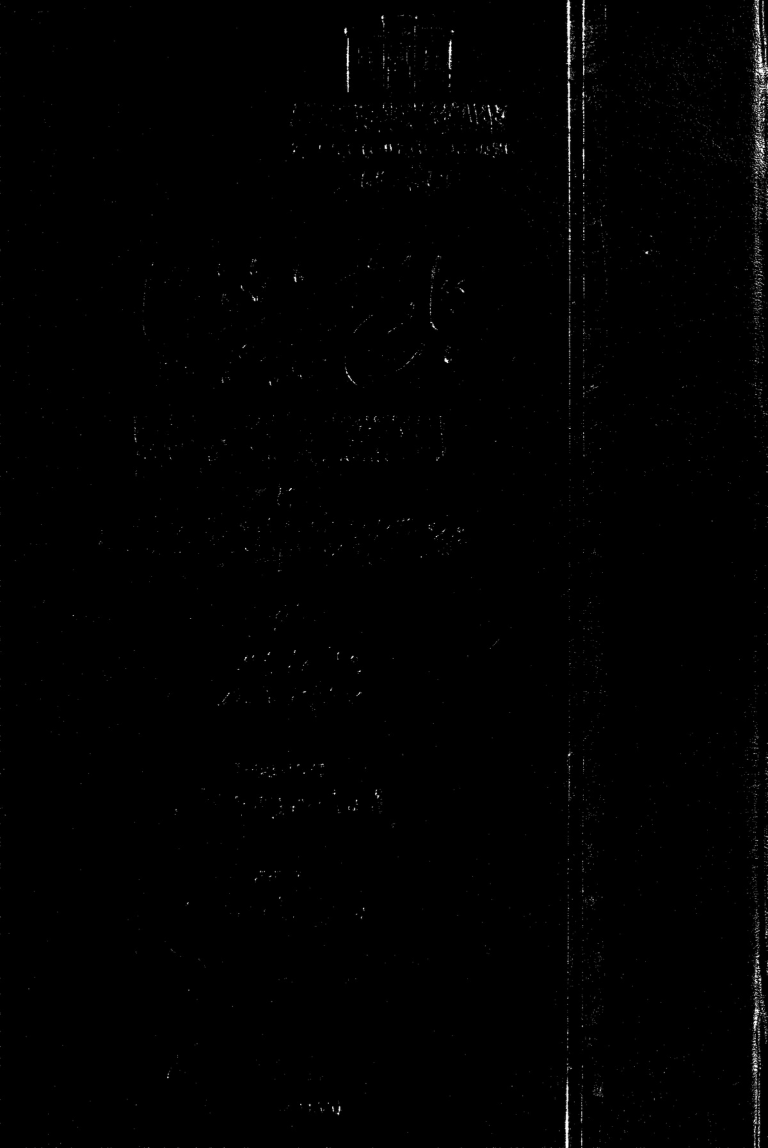


تاريخ سينا

القديم والحديث وجغرافيتها



الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تاريخ مصر المعاصر

تاريخ سينا

القديم والحديث وجغرافيتها

مع

خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب

لمؤلفه

نعوم بك شقير

إشراف ودراسة

أ. د. أحمد زكريا الشلق

تحقيق

د. صبرى أحمد العدل

الطبعة الثانية (محققة)

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. محمد صابر عرب

شقير، نعوم

تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب/ تأليف نعوم شقير؛ إشراف ودراسة أحمد زكريا الشلق ؛ صبرى أحمد العدل . ـ ط ٢ . ـ [القاهرة]: دار الكتب والوثائق القومية، الإدارة المركزية للمراكز العلمية، مركز تاريخ مصر المعاصر، 2005.

776 ص : ايض، صور، خرائط ؛ 30 سم.

تدمك x - 0376 - 18 - 977

٩٦٢,٣٩

إخراج وطباعة:

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٥٦٦/٢٠٠٥

I.S.B.N. 977 - 18 - 0376- x

نعوم شقير وكتابه "تاريخ سينا"

دراسة أ.د أحمد زكريا الشلّق

- ١ -

ينتمي مؤلفنا نعوم شقير (١٨٦٤ — ١٩٢٢) إلى موجة من موجات هجرة الشوام إلى مصر، تلك الموجات التي تدفقت منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. مستفيدة من مناخ الحرية النسبية التي توفرت في مصر آنذاك، قياسا إلى الحكم العثماني المستبد لبلاد الشام، والواقع أن افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية، وازدهار التجارة، وغنى الأراضي المصرية وكثرة الشركات والبنوك الأجنبية بها، فضلا عن توسع التعليم والإرساليات، وازدهار النشاط في مجال الصحافة والطباعة، كل ذلك كان من العوامل التي جذبت الكثير من السوريين واللبنانيين فضلا عن جنسيات عديدة، إلى مصر، منذ هذه الفترة، ساعد في ذلك عنصر الاستقرار الأمني الذي شهدته مصر، التي لم تشهد أحداثا دامية كبيرة، باستثناء أحداث الثورة المصرية المعروفة بالعرابية، فضلا عن أن الانتفاضات الكبيرة التي شهدتها مصر لم تكن دموية و لم تتعرض للسكان، سواء كانوا مصريين أو عرب أو أجانب.

لقد كان عامل الاستقرار شديد الأهمية في اجتذاب المهاجرين إلى مصر، حيث شرعوا يوظفون رءوس أموالهم وخبراتهم وطاقاتهم في مشروعات طويلة الأمد دونما خوف. وكان للقطن المصري، إنتاجا وتصنيعا وتجارة، دور مهم في اجتذاب المهاجرين إلى مصر، يضاف إلى ذلك أن مصر كانت من أوائل بلاد العالم التي دخلتها السكك الحديدية، والتي ساهمت في تغيير بنية المجتمع وربط أطرافه بالمدن الكبرى، كما أن رصيد مصر الحضاري يمتد تاريخيا، ويتجدد باستمرار في مجال صيانة الحقوق والواجبات واحترام النظم والقوانين والأعراف. والواقع أن مصر كانت آنئذ تتمتع بقدر كبير من الحرية وتحيا حياة ثقافية وأدبية وفنية على جانب كبير من النهضة والتطور، وكان ذلك من أهم سمات عصر الخديوي إسماعيل (١٨٦٣ — ١٨٧٩).

ولقد ساهمت العوامل السابقة مجتمعة في اجتذاب أعداد كبيرة من الشوام إلى مصر للعمل فيها، وكان النجاح الملحوظ الذي أحرزه الرواد المهاجرون قد ساهم بدوره في توالي موجات الهجرة، واندماج الكثير منهم في المجتمع المصري.

ومن المهم ملاحظة أن هؤلاء المهاجرين الشوام لعبوا دورا مهما خلال فترة تدفق الأجانب على مصر وازدياد نفوذهم، حتى تحول إلى سيطرة كاملة انتهت بالاحتلال

وعندما عاد إلى القاهرة عام ١٨٨٩ التحق ثانية بقلم مخابرات الجيش المصري منذ فبراير ١٨٩٠، وقد اقتضت أعباء وظيفته حينذاك أن يرافق الجيش المصري المتوجه إلى السودان لاسترجاعه من المهدية التي كانت قد سيطرت عليه تماما وأقامت دولتها فيه وعلى رأسها التعايشي خليفة المهدي، مما هدد مشروعات بريطانيا الاستعمارية في القارة الأفريقية، لذلك قررت الحكومة البريطانية والسلطات البريطانية، في مصر تجريد حملة قوية لاسترجاع السودان وعهد إلى اللورد "كتشنر" سردار الجيش المصري آنذاك بقيادة الحملة التي استطاعت احتلال دنقلة وبربر ثم عطبرة وصار الطريق مفتوحا أمامها إلى أم درمان التي دخلها كتشنر بعد معركة شرسة، ولم تأت نهاية عام ١٨٩٩ إلا وقد سقطت الأبيض آخر معاقل المهدية. المهم أن نعوم شقير شارك في هذه الحملات خاصة خلال عمليات استرجاع طوكر (١٨٩١) ودنقلة (١٨٩٦) ثم الخرطوم (١٨٩٨)، وقد بقي في وظيفته هذه حتى عام ١٩٠٠ حينما نقل المكتب إلى حكومة السودان حيث نقل هو أيضا إلى هناك لشغل وظيفة(مدير القسم التاريخي) بها ونتيجة لجهوده أنعم الخديو عليه عام ١٩٠٢ بالرتبة الثانية مع لقب بك.

والحاصل أن نعوم شقير أصبح شاهد عيان على الأحداث والوقائع التي وقعت خلال حملات استرجاع السودان خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر، وقد أتيح له بحكم وظيفته واتصالاته وكان يمتلك حسا تاريخيا عاليا، أن يلاحظ ويدرس ويجمع ويصنف المعلومات والمشاهدات والوقائع التي شارك فيها وأن يخالط السودانيين على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم، وأن يأخذ عن ثقافتهم ما يعرفونه عن تاريخ بلادهم، وكذلك ما حفظوه عن أسلافهم، ثم طالع كتب التاريخ والرحلات، القديمة والحديثة، عربية وأفرنجية مطبوعة ومخطوطة، حتى تمكن من وضع سفر ضخم عن تاريخ السودان صدرت طبعته الأولى عام ١٩٠٤، الذي يعتبر من أهم الكتب التي صدرت في مصر آنذاك، فضلا عن كونه من أهم مصادر تاريخ السودان. فقد قدم فيه نحو ألف صفحة حافلة بالأخبار والحقائق التي لم يتسن لغيره الوقوف عليها، فضلا عن تسجيله لما رآه رأي العين، مما أكسب كتابه قيمة كبيرة كمصدر من مصادر تاريخ السودان الحديث، وتقديرا منه للمنهج الحديث في الكتابة التاريخية وتوثيقها، قدم في بداية كتابه مسردا بأهم المصادر والمؤلفات التي اعتمد عليها، وكذلك أهم الرواة الذين نقل عنهم.

ويبدو أن خبرة نعوم شقير في مجال الاستخبارات وشئون الإدارة قد أهلته للقيام بمهام عديدة في سيناء منذ عام ١٩٠٥ حين كلف بمرافقة مدير المخابرات ووكيل حكومة السودان في ذلك العام عند افتتاح سكة حديد البحر الأحمر، كما كلف بمهمة في العقبة صحب خلالها الكابتن "هورنبي" إلى أن كانت حادثة العقبة الشهيرة عام

١٩٠٦ التي حاول فيها السلطان العثماني ممارسة حقوق السيادة على مصر، باقتطاع جزء من أرضها في طابا، غير أن تدخل السلطات البريطانية وتهديدها للدولة العثمانية جعل الدولة العثمانية تتراجع وتتفاوض لتعيين حدود مصر الشرقية كما أرادت بريطانيا، حيث دارت المفاوضات بين الحكومتين العثمانية والبريطانية بشأن الأزمة.

أما عن دور نعوم شقير خلال الأزمة فقد كان واضحا منذ صحب الكابتن هورنبي في فبراير ١٩٠٦ باعتباره مندوبا عن المخابرات المصرية، للتباحث مع القائد العثماني رشدي باشا الذي احتل طابا بقواته، و لم تسفر المحاولة عن حل حاسم مما شجع القوات العثمانية على التقدم نحو رفح وإزالة عمودي الحدود بها في ١٢ إبريل ١٩٠٦ مما اضطر الحكومة المصرية إلى إرسال بارجة بريطانية إلى رفح للتحقيق في الأمر، كان على متنها نعوم شقير معتمدا للحكومة المصرية والكابتن ويموث معتمدا للحكومة البريطانية حيث تحققا من الحادثة وقدما باسم الحكومتين احتجاجا رسميا لقائد القوات العثمانية هناك، وطلب نعوم شقير إليه أن يكتب لحكومته بتعيين لجنة مشتركة من الأتراك والمصريين لتعيين الحدود بصورة جدية وودية، و لم تأت هذه المساعي بنتيجة، كما هو معروف، مما اضطر الحكومة البريطانية إلى توجيه إنذار نهائي للدولة العثمانية، اضطرت معه حكومتها إلى التسليم بالمطالب البريطانية، وإخلاء طابا ورفح من عساكرها، وتعيين لجنتين لتعيين الحدود.

وكانت اللجنة المصرية تضم بعضا من القادة الإنجليز، ومدير المخابرات المصرية، وانتدب نعوم شقير للعمل كسكرتير للجنة التي بدأت أعمالها في العقبة مع اللجنة المشتركة في ٢٤ مايو ١٩٠٦ إلى أن وقع الاتفاق في أول أكتوبر ١٩٠٦ بعد نحو خمسة شهور من المفاوضات الطويلة والضغوط السياسية والتهديدات العسكرية البريطانية، وانتهت أزمة طابا بانتصار الدبلوماسية المصرية — البريطانية في مواجهة ادعاءات الدولة العثمانية، وغني عن القول أن نعوم شقير لعب دورا مهما خلال نشاط اللجنة مستعينا بخبرته بالمنطقة وقدرته وكفاءته الإدارية[٥]، والأهم من ذلك كله أنه سجل للتاريخ دوره وما رآه في حينه خلال فترة الأزمة فلم يكن مجرد شاهد عيان أو راوية للأحداث لكنه كان من صناعها بحكم دوره ووظيفته.

وكان من نشاطات نعوم شقير العامة في مصر انخراطه مثل أقرانه من الشوام في سلك المحافل الماسونية، حتى بلغ منصب رئيس "محفل نيازي" العثماني في مصر والذي تألف تكريما لأحد زعماء الأحرار العثمانيين في يناير عام ١٩٠٩ بعد نجاح حركة أحرار الترك، وكانت للشخصيات الكبيرة تضم للمحافل الماسونية منجذبة ببريق مبادئها وشعاراتها، وكانت ذات صبغة أجنبية في نشأتها ونشاطاتها، كما هو معروف،

واعتقد الكثيرون أن الارتباط بها سيفتح أمامهم الطريق إلى المناصب الكبرى من خلال العلاقات مع الصفوة أو من خلال ما توفره من وجاهة اجتماعية، وقد انضم إلى هذه المحافل الكثير من الشخصيات البارزة للأقليات، وخاصة المسيحيون الشوام الذين استقروا في مصر ووجدوا فيها موئلا وحماية من جانب القنصليات الأجنبية، وبرز منهم شاهين مكاريوس ويعقوب صروف وفارس نمر ونعوم شقير وجورجي زيدان وخليل مطران وغيرهم .

وكانت صحف الشوام ومجلاتهم في مصر تنشر أخبار ونشاطات الماسونية، وعلى رأسها مجلة المقتطف التي اعتاد نعوم شقير أن يكتب فيها وأن يواليها بمقالاته عندما يكون خارج مصر، وكانت تدعو إلى الاهتمام بنشاط الماسون وتجذب الاهتمام العام إليهم. وليس من المبالغة القول بأن الجالية الشامية كانت بمثابة العمود الفقري للنشاط الماسوني المتصاعد في أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين، فانتشروا في محافلها وترأسوا الكثير منها مما هيأ لهم الارتباط بمجتمع الأجانب في مصر الذي يوفر لهم نوعا من الحماية في مواجهة السلطات المصرية عند الضرورة(٦).

وقد يبدو مفيدا لاستكمال البحث في جوانب حياة شقير وتفكيره أن نتبين موقفه من نشاط السوريين في مصر الذين كان يرى أن لهم اليد الطولى في نهضتها الحديثة، وقد تساءل هل من مصلحتهم استيطان مصر والتجنس بجنسيتها وهجر أوطانهم الأصلية؟ وقد راح يحدد المزايا وأهمها في رأيه اتفاق المصريين والسوريين في اللغة والجنس والعادات فضلا عن الجوار الجغرافي " فمصر بلد لا يفصله عن بلادنا سوى ليلة "كما أن غنى مصر واتساعها ووفرة خيراتها يحتاج إلى أيدي السوريين النشيطة المخلصة، ويقابل ذلك العوامل التي تجعل السوريين يترددون في استيطان مصر كاشتداد وطأة هوائها عن البلاد المعتدلة كسوريا، فضلا عن أن السوريين يجدون أنفسهم في مصر عنصرا منفردا وضعيفا كاليهود والأرمن، بسبب اختلاف العنصر والدين وعدم الاختلاط بالزواج وعلى ذلك طلب شقير بأن ترتقي نظامات مصر بما يزيل كل فوارق الدين والعنصر بين أبناء الوطن الواحد، ويتمكن النابهون من كل جنس ودين من نيل المنزلة الرفيعة في الحياة القومية أو السياسية.

ومن الواضح أن الشعور الأخير كان يلازم شقير باعتباره من الأقلية المسيحية، وهذا ما دعاه أن يخاطب الشباب السوري بخبرة ثلاثين عاما قضاها في مصر، باعتبارهم أحفادا للحيثيين والفينيقيين الذين كانوا أول من اخترع واكتشف وساد البحار وبذر بذور التمدن ".. فلا تحاولوا الانتساب إلى الأصول السائدة الآن وليكن ارتباطكم بوطنكم الأصلي حيا ما أمكن" وينبههم إلى أنهم سيكونون في مصر عنصرا

ضعيفا، وعليهم أن يستعينوا على ذلك بالعلم والمال وحسن الخلق وألا يحترفوا إلا المهن الراقية الحرة.. وألا يهتموا بوظائف الحكومة المصرية "فإن موظفي الحكومة من السوريين هم أقلهم حظا من النجاح" لقد كان نعوم شقير رغم إقامته الطويلة في مصر ينظر إلى السوريين في مصر كعنصر خاص أو طائفة محددة، ويطالبهم بالاتحاد في شكل جمعيات وأندية، وأن يرتبطوا بناد عام في عاصمة بلادهم "ليكون لكم من ذلك جامعة معنوية تعوض عن وطنيتكم الأصلية التي فقدتموها" وناشد الشباب السوري المقيم في مصر "طاعة الحكام والقانون، ونفع الأمة التي أضافتكم، ومتى تجنستم بالجنسية المصرية أصبحت مصلحة مصر مصلحتكم ورقيها رقيكم" وقد توجه إلى الحكومة المصرية مطالبا إياها بأن تسن قانونا خاصا بالهجرة إلى مصر، وقانونا آخر للجنسية، تحدد بهما ما تراه في صالحها وخيرها، وإذا منحت أحد جنسيتها وجب عليها أن تمنحه معها كل حقوق المصريين وتفرض عليه ما عليهم من واجبات دون تفريق أو تمييز بسبب الدين أو الجنس. لقد ظل نعوم شقير موزعا في عاطفته بين وطنه الأول والوطن الذي استقر فيه، وقد أنشأ قصيدة عبر فيها عن انقسام قلبه في حب الوطنين، وأنه يود الخلاص من هذه القسمة، قال فيها:

هجرت الشام ومهد الصبا ... وجئت الكنانة مهد العلى

شطرت فؤادي شطر النواة ... فشطر لذاك وشطر لذا[٧]

فليت رجوم الحدود تزول ... ويذهب ذاك القرار سدى

وليت الشام تعانق مصر ... عناق الإخاء إلى المنتـــهى

لقد قضى نعوم شقير الشطر الأكبر والأهم من حياته في مصر، ولم تشغله الوظائف التي تولاها عن عشق العلم والتعليم والأدب، كما كان يولي طائفته الأرثوذكسية في مصر اهتماما كبيرا، لاسيما في المدرسة العبيدية ومدرسة القديس جاورجيوس، وقد سعى في سنوات عمره الأخيرة أن يبني لطائفته كنيسة كبيرة، كما قام بنشاط خيري قدره أبناء طائفته من خلال نشاطه في الجمعية الخيرية السورية الأرثوذكسية بمصر، والتي صار رئيسا لها كما كان من مؤسسي "جمعية إعانة سوريا" خلال سنوات الحرب العظمى الأولى من خلال منصبه كسكرتير لها.

وقد تجلت اهتماماته العلمية ورغبته في التأليف منذ العقد الأخير للقرن التاسع عشر، عندما خطط لتأليف كتاب عنوانه "مرآة الأيام في مصر والسودان والشام" لم ينشر منه إلا جزءا أسماه "أمثال العوام في مصر والسودان والشام" بالقاهرة عام ١٨٩٤ فكان أول مؤلفاته، كما كان يقرض الشعر وينشر بعض أشعاره في المجلات والصحف

السيارة، وإن لم يشتهر كشاعر، فلم تكن أشعاره من الكثرة والنضج بحيث يضمها ديوان، فضلا عن أن قدرته كدارس وباحث فاقت قدراته الإبداعية.

وقد برزت قدرته كباحث ومؤرخ عندما وضع كتابيه الشهيرين اللذين وضعاه في مقدمة مؤرخي عصره وهما: تاريخ السودان (١٩٠٤) وتاريخ سيناء (١٩١٦) وكان مدفوعا إلى تأليفهما بميله الخاص إلى التاريخ، وبرغبته في تدوين تجربته التاريخية مع كل من السودان وسيناء، مدركا قيمة ما شاهد وما شارك فيه بحس المؤرخ ومقدرته. وكان بصدد تأليف كتاب ثالث عن تاريخ اليمن و الجزيرة العربية، لكن لم يسعفه العمر[٨]، فقد أصيب بقرحة في معدته في بداية مارس عام ١٩١٦، مما اقتضت إجراء جراحة توفي في أعقابها في أواخر نفس الشهر حيث دفن بمدافن الروم الأرثوذكس بمصر القديمة[٩].

- ٣ -

أما عن مؤلفاته ومنهجه في الكتابة فقد اتضح من مؤلفه الأول عن "أمثال العوام" وإن ازداد نضجا ورسوخا فيما تلاه من كتابات، فرغم أن الكتاب كان في مجمله جمعا للأمثال، ومقارنة بينها إلا أن مؤلفنا رأى أن يمهد لهذا القاموس بتعريف معنى الأمثال وكيف أنها "غرس الحكمة ونبت الخبرة ومقياس الأدب " كما أنها مرآة تعكس أخلاق القوم وعاداتهم وشاهد عدل على حالة لغتهم" وأثبت أنها "تظهر في كل أرض وفى كل عصر، ولا تخلو منها أي أمة تألفت لها لغة واتجهت إلى العمران" أما عن مصدرها فهي تخرج من أهل الخبرة والنظر فيخرج اللفظ معبرا عن الكلام وتبرز في الكلام ممتازة عنه، فيتداولها الجمهور وتدوم وتنتشر بالاستعمال. ولم يكتف شقير بذلك بل استعرض أشكال الأمثال وكيف قالها العرب في تاريخهم القديم، وفى عصور دولهم الإسلامية، كما تعرض لأهم الكتب التي سجلت في الأمثال في التراث العربي. وكان مؤلفنا ينوى أن يضع موسوعة كاملة عن هذه البلاد الثلاثة، يضمنها كتابه هذا في الأمثال "بعد أن جال في أنحاء هذه البلاد واختلط بأهلها على اختلاف طبقاتهم ونحلهم وجمع من أمثالهم نحو عشرة ألاف انتقى منها هذه المجموعة التي تضم (٣٤٩٤) مثلا " وجعل يحلل أسباب الاختلاف والتقارب في الأمثال بين هذه البلاد، وعلل التشابه بينها بالتشابه بين العادات العربية واستمرار الاختلاط والصلات التجارية في جميع الأزمنة[١٠].

ونتيجة لخبرته العملية في السودان وأهله أخرج لنا كتابه الثاني الذي جعل منه مؤرخا رائدا تحت عنوان " تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته " الذي ضم ثلاثة أجزاء في مجلد واحد تم تأليفه في نهاية عام ١٩٠٣ ونشره في العام التالي متناولا

فيه جغرافية السودان الطبيعية والإدارية، وحضارته وحكومته، وأخلاق أهله وعاداتهم وخرافاتهم، كما تناول تاريخ السودان القديم، والوسيط والإسلامي، ثم العصر الحديث الذي امتد به حتى عام ١٩٠٣ "بعد اختبار نحو ٢٠ سنة في السودان وأهله وقضاء مدة سبع سنين متوالية في جمع مواده وتمحيص حقائقه، وسنة ونصف في تبييضه وطبعه"[١١] وقد زود شقير كتابه بخاتمة عن السودان تحت الحكم المصري – الإنجليزي.

(١٨٩٨ – ١٩٠٣) ثم رأى أن يلحقه بملحق كتبه في ٣١ ديسمبر ١٩٠٣ شكل إضافة وتنقيحا لبعض المعلومات التي أوجبه "مرور الزمن ومتابعة الاستقراء أثناء الطبع وتصليح ما وقع في الطبع.. حرصا على زيادة إتقانه واستيفاء حوادثه إلى يوم صدوره"[١٢] مما يعني حرص المؤلف على الدقة والإحاطة والشمول وهذا من خصائص البحث العلمي، فضلا عن تزويده كتابه بعدد من الخرائط والأختام والرسوم والصور لبعض الوقائع والشخصيات والأمكنة التي وقع ذكرها بالكتاب. وكان مؤلفنا يفطن إلى أهمية وضع خطة علمية يسير عليها عند تأليفه، فقد قسم كتابه إلى أبواب وجعل لكل باب عددا من الفصول، وتحت كل فصل عددا من النقاط، أو البنود حسب تسميته، "في شكل رتب فيه الوقائع والمواضيع على نسق خاص واف، ذاكرا كل مطلب في محله إجمالا أو تفصيلا حسبما يقتضي المقام، وأنه التزم التتابع الزمني عصرا فعصرا في حلقات متصلة كأنها سلسلة واحدة"[١٣].

وحول منهجه في تقصي الحقائق وتحقيق الروايات التاريخية وتوثيقها، بلغ نعوم شقير درجة عالية من استخدام المنهج العلمي، ففي حديثه عن مصادر كتابه أو "مستنداته" ذكر أنه بذل أقصى جهده في تحري الحقيقة وتقرير الواقع "فلم أثبت خبرا أو أمرا إلا كنت قد شهدته بعيني أو خبرته بنفسي أو أخذته عن أثر أو تاريخ من التواريخ المشهورة أو عن ثقة أو أكثر من الثقات المعروفين من أهل السودان" كما يكشف لنا أنه في الجزء الخاص بالتاريخ الحديث (يقصد المعاصر له) اعتمد على محفوظاته الخاصة واستقصائه الشخصي من ثقات يعدون بالمئات. وكان إذا اختلف الرواة في مسألة جمعهم في مكان واحد واستقصى الحقيقة منهم جميعا "وكثيرا ما اجتمع عندي لحادثة واحدة بضعة عشر رجلا من رواتها، حتى إذا ما قضوا أياما في المحاورة والمذاكرة تدبرت ما أجمعوا عليه، فإذا لم يتفق مع ما ثبت لي من الحقائق أو لم يطابق أحكام العقل والعادة، استأنفت البحث مع جماعة آخرين حتى أظفر بالحقيقة فأثبتها" وكان مؤلفنا يختبر الحقائق التي أوردها ليتأكد من صحتها ودقتها قبل أن يمثل كتابه للطبع فيطابق ويقارن إذا ما وصلته رواية عن واقعة كان قد أثبتها لمزيد من التحري والتدقيق وضرب أمثلة عديدة لذلك.

وحرصا منه على إثبات أمانته ودقته أعد قائمة بالمصادر والكتب التي استقى منها مادة كتابه، قديمها وحديثها، سواء كانت بالعربية أو بغيرها، وأثبت بيانات النشر ما أمكنه، حتى الشخصيات التي لعبت دورا في الأحداث والتقى بها وأخذ عنها قد سجل أسماءها موضحا أهم ما قامت به أو شهدته، وضرب أمثلة لذلك. ويلاحظ أن مؤلفنا سجل الوقائع التي عاصرها وعاينها فيما يشبه المذكرات في حينها، فقد روى على سبيل المثال حوادث استرجاع السودان عام ١٨٩٨ بوصفه مشاركا للجيش المصري — الإنجليزي مع السردار، فكان يستخدم صيغا من قبيل "رأينا، وذهبنا، واتصل بنا" بضمير المتحدث وشاهد العيان، مما أكسب كتابه قيمة باعتباره ليس فقط كتاب تاريخ وإنما مصدرا لكتابة التاريخ .

- ٤ -

أما كتاب نعوم شقير "تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها" والذي زوده بعنوان فرعي هو "مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينهما من العلائق التجارية والحربية وغيرها عن طريق سيناء من أول عهد التاريخ إلى اليوم" فهذا العنوان الفرعي ينطبق على ملحق ذيل به كتابه الذي انصب على تاريخ سيناء حتى عام ١٩٠٧، فقد أضاف هذا الملحق خلال عامي ١٩١٤ - ١٩١٥. المهم أن مؤلفنا كان حتى صدور كتابه هذا عام ١٩١٦ لا يزال يشغل وظيفة "مدير قلم التاريخ بوزارة الحربية بمصر" وقد أهداه إلى الجنرال ريجنالد وينجت سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام الذي وصفه بأنه "محب للعرب والمروج الأكبر للإصلاح في سيناء والسودان" وفي مقدمته أوضح المؤلف أن صحراء سيناء هي الحصن الطبيعي لمصر من جهة الشرق، وأن مصر عرفت منذ القدم أهميتها الحربية فوضعتها تحت السيطرة العسكرية، كما أن جميع الدول التي ملكت مصر وسوريا معا ألحقت سيناء بمصر عسكريا وإداريا ولم تزل الحال على ذلك إلى اليوم (١٩١٦).

وفي حديثه عن أسباب تأليفه لهذا الكتاب، كشف عن صلته المبكرة بشبه جزيرة سيناء عندما كان يزورها في مهام استخباراتية منذ عمل بإدارة المخابرات بوزارة الحربية عام ١٨٨٩ حين كانت سيناء من قبل ذلك تحت إدارة وزارة الحربية التي كانت تعين عليها قومندان من قبل السردار، وكان يقيم في "نخل" ويتبع مدير المخابرات بالقاهرة، وذكر شقير أن الوزارة كانت تنتدبه مرارا للقيام بمهام تتعلق بشئون الأمن بين قبائل سيناء، وأنه خلال ذلك كان يدرس جميع أحوالها، ثم ازدادت معرفته بها عندما عين سكرتيرا للجنة المصرية التي انتدبت لتعيين حدود سيناء الشرقية مع اللجنة العثمانية على إثر حادثة العقبة عام ١٩٠٦ ونتيجة لعشقه للتاريخ، شرع

يجمع ما استطاع من معلومات وحقائق تاريخية وجغرافية، ساعده على ذلك أنه كان من واجبه في اللجنة أن يتحرى أوضاع عرب الحدود وملكياتهم للأراضي والمياه، وعلاقاتهم مع مصر وسوريا، واكتشف شقير أن سيناء على اتساعها وشهرتها التاريخية وقربها من القاهرة، كانت مجهولة عند عامة المصريين، ولما كان كتابه عن السودان قد لقي إقبالا واسعا من القراء، فقد تحمس لوضع كتاب في تاريخ سيناء على غرار ما فعل في تاريخ السودان(١٤).

أما عن طريقة المؤلف في جمع واستقصاء مادة كتابه فقد أوضح أنه كان في مهمة استخباراتية في سيناء عام ١٩٠٥ حيث قضى بها خمسة شهور كان يجتمع خلالها بشيوخ القبائل ويتسقط أخبارهم وأحوالهم وكان يطرح السؤال عينه على أكثر من واحد، فرادى ومجتمعين "حتى استوثق من صحة الجواب فأثبته في يوميتي" وأفاد أنه زار البدو مرارا في مخيماتهم وشاركهم حياتهم الاجتماعية، وجال بنفسه في المناطق التي رأى ضرورة معاينتها، كما بحث عن الآثار القديمة والحديثة، وعثر على كثير من الحصون والنقود والحجارة المدون عليها باللغات القديمة والعربية، وأضاف أنه عندما عاد إلى القاهرة في أكتوبر ١٩٠٦ باشر مراجعة مادته لوضع الكتاب، فوجد أن المعلومات ما زالت قاصرة فشرع في استكمالها من كتب الأقدمين وكتب الآثار والتوراة ومؤلفات المؤرخين الأجانب والمسلمين، ثم اتفق له أن انتدب لمهمة تتعلق بوظيفته في منطقة الطور في إبريل ١٩٠٧ فأتيح له زيارة الدير والإطلاع على ما به من كتب، ثم عاد إلى القاهرة ليستأنف تأليف الكتاب حتى أتمه في نهاية عام ١٩٠٧ ولكن تأخرت طباعته إلى شتاء عام ١٩١٤ "لموانع لا محل لذكرها" غير أنه عكف خلال هذه المدة على الإضافة والتنقيح بما استجد لديه من معلومات، ورغم أن ظروف الحرب زادت من أعباء وظيفته في إدارة المخابرات ــ مما يفهم منه أنه ظل في وظيفته حتى وفاته ــ إلا أنه لم يتوقف عن الإضافة والمراجعة، وعندما كانت ظروف عمله تضطره إلى مغادرة القاهرة، فإنه كان يبعث ما يعنُّ له من تصويب عن طريق البرق، حتى انتهى من تبييض الكتاب كله "في أسلوب تفهمه العامة وترضى به الخاصة" في ٣١ ديسمبر ١٩١٥ ليطبع في ٢٧ مارس ١٩١٦ .

ويلاحظ أن الكتاب توقف تاريخيا أو تأليفيا بالفعل عند نهاية الفصل الخامس من الجزء الثالث وهو عن حادثة الحدود الشهيرة عام ١٩٠٦، وهو من أهم فصول الكتاب باعتباره نوعا من المذكرات خاصة وأن المؤلف كان يدون يوميات عما يراه ويشارك فيه ويستعين بها في الكتابة. وهذا الفصل ينتهي زمنيا في أواخر عام ١٩٠٦ عندما خططت الحدود وبنيت أعمدتها التي تقررت في الاتفاق ثم عودة المؤلف إلى

القاهرة، وإن كان قد ختم الفصل بإشارة إلى قيام الحرب العظمى الأولى في أغسطس ١٩١٤ وتجريد الأتراك حملة لغزو مصر وانتزاعها من الإنجليز، وهي حملة جمال باشا، التي فشلت في دخول مصر في فبراير ١٩١٥.

لقد قدم شقير في نهاية كتابه تذييلا أسماه "خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق.."[١٥]. حاول فيه أن يربط تاريخ سيناء بتاريخ شبه الجزيرة العربية والشام والعراق خلال عصور التاريخ، فركز على فكرة أن علاقات مصر بالشام والعراق والجزيرة العربية تستند في أصولها إلى اللغة العربية، وأن أهم الصلات هي "صلة الجنسية العربية" - ولعله يقصد الجنس العربي المشترك وأنه لذلك قرر أن "يأتي على زبدة تاريخ هذه البلاد وشعوبها وممالكها لإيضاح هذه الحقيقة"[١٦] وربما كان مؤلفنا متأثرا في ذلك باتجاهات الجمعيات العربية التي تكونت قبل الحرب الأولى وخلالها ونادى بعضها بالحكم الذاتي للعرب تحت راية العثمانيين ونادى البعض الآخر بالانفصال عن الدولة العثمانية، فيما عرف آنئذ بحركة العرب القومية والتي توجت بالثورة العربية ضد الدولة العثمانية عام ١٩١٦، وإن لم يعرف عن شقير انضمامه إلى إحدى هذه الجمعيات، والثابت أن موقفه من الدولة هنا لا يخرج عن موقف مسيحيي الشام.

بقي أن نشير إلى موقف نعوم شقير من الاحتلال البريطاني لمصر، والواقع أن اشتغال مؤلفنا في خدمة السلطات البريطانية في مصر طوال ثلاثين سنة يكشف دون شك عن طبيعة هذا الموقف، وقد جعله هذا يعرض لتاريخ الاحتلال لمصر باعتباره مسألة طبيعية، فقد انطوى عرضه على نوع من تبرير بقاء الإنجليز في مصر طوال هذه السنوات، كما انطوى على قدر من تبرير سياساته والتي وصفها بأنها "سياسة الإصلاح" والتي لا تتفق مع وعوده بالجلاء .. فقد ذكر شقير - بنص عباراته تقريبا - أن انجلترا تدخلت في مصر لإطفاء ثورة المصريين تحت راية عرابي، فاحتلت جنودها مصر على أن تخرج منها ريثما يعود إليها النظام ويستتب الأمن، لكنها رأت أن ثورة المهدي وخليفته أشد خطرا على مصر والسودان، فظلت حتى استرجعت السودان على يد بطلها اللورد "كتشنر" كما قضت على خليفة المهدي بيد بطل جديد هو وينجت باشا.. وكان الإنجليز قد فاوضوا الباب العالي (٨٧ - ١٨٨٨) بشأن جلائهم عن مصر، فلم يجدوا منه شروطا يطمئنون إليها فقرروا البقاء .. وتولوا المراكز الرئيسية في البلاد، وشرعوا في إصلاح ماليتها وريها وجيشها وداخليتها وسائر مصالحها الحيوية.. وعندما نادى الحزب الوطني بالجلاء وأثارت صحفه الشعب خلال حادث العقبة، رأى الإنجليز أن خروجهم من مصر وتسليمها للأتراك سوف يهدم بناء الإصلاح الذي شيدوه وتعود إليها الفوضى التي كانت قبل الثورة العرابية، فيضطرون

إلى العودة إليها للمحافظة على مصالحهم ومصالح أوربا، لذلك قرروا استمرار الاحتلال لأجل غير مسمى، كما أنهم لم يتعرضوا لسيادة تركيا على مصر، ولا للجزية السنوية التي تدفعها مصر إلى تركيا.. فلما جاءت الحرب العظمى ودخل الاتحاديون الحرب مع الألمان، لم ير الإنجليز بدا من إزالة السيادة التركية على مصر وبسط حمايتهم عليها، ورأوا كذلك أن انضمام الخديو عباس حلمي إلى أعدائهم في الحرب يعد انتحارا سياسيا له، فعزلوه[١٧]، كما أشاد نعوم شقير بالإجراءات الحكيمة الفعالة التي اتخذها في السودان بطله العظيم السير وينجت باشا ورجاله المنتخبون الكرام" وولاء أهالي السودان لحكومتهم الشفيقة العادلة.."[١٨].

ولم يفكر شقير في التعليق على سياسة بريطانيا في مصر وعدم وفائها بوعودها بالجلاء، بل عرض هذه السياسة مفسرا ومبررا وجهة النظر البريطانية دونما إبداء رأى صريح وواضح، وإن لم يكن هذا الرأي خافيا على القارئ من خلال تمجيده للقادة الإنجليز الذين عمل في معيتهم وخدمتهم ومن خلال إشادته بما اعتبره "سياسة الإصلاح" التي اتبعتها بريطانيا في مصر.. يضاف إلى هذا كله أنه أحاط الكثير من السردارين الإنجليز ومديري المخابرات الذين تولوا أمر سيناء بكثير من الإجلال والتقدير بحكم صلاته واشتغاله معهم، وعبر عن شكره لمودتهم له وتمنى "أن تحظى البلاد برجال راقين يشتغلون بالغيرة والهمة والمقدرة التي اشتغل بها هؤلاء النبلاء في مصر"[١٩] ويبقى في النهاية أن نؤكد أن نعوم شقير، أيا كانت مواقفه السياسية وعلاقاته، والتي غالبا ما كانت تمليها مصالحه الخاصة ووظائفه، وانتماؤه لأقلية أرثوذكسية شامية تقيم في مصر، فإنه قدم للتاريخ المصري وللمؤرخين كتابا مهما عن تاريخ سيناء، يرقى إلى درجة المصادر التاريخية، خاصة في الجزء الذي عاصر المؤلف أحداثه ووقائعه أو ساهم فيها بحكم مناصبه، كما كان شاهد عيان واعيا يمتلك حسا تاريخيا مرهفا، فسجل ما رآه في حينه كما أنه ضمن كتابه الكثير من نصوص الوثائق الأصلية، سواء من القرارات والمراسيم والفرمانات أو نصوص الاتفاقيات، مما اقتضاه سياق العرض التاريخي. كذلك فإن نعوم شقير اتبع، في فترة مبكرة من تاريخ الكتابة العلمية للتاريخ في مصر، الكثير من قواعد البحث العلمي ومناهجه وتقاليده، وقد برز هذا واضحا في خطة كتابه، والاستناد إلى المصادر الأصلية على اختلاف أنواعها ودرجاتها، وتحقيق الوقائع والروايات التي تضمنتها، أي نقدها نقدا تاريخيا، فضلا عن توثيقه للوقائع والإتيان بالشواهد والأسانيد التي تدعم أحكامه وآراءه، وهذه الأمور جميعا ترقى بكتابه عن سيناء، ومن قبله بكتابه عن السودان، إلى درجة كبيرة من درجات البحث التاريخي العلمي في مصر.

الهوامش :

١ – مسعود ضاهر : الهجرة اللبنانية إلى مصر، هجرة الشوام، بيروت، ص ١١ – ١٣، ص ٢٣٤ – ٢٣٩.

٢ – أسعد داغر (جامع) نشر المندل العطر، خطب تأبين ورثاء نعوم بك شقير، مطبعة المعارف بالقاهرة ١٩٢٣، ص ١٩ وما بعدها.

٣ – ورد بمجلة المقتطف ج ٥ مايو ١٩٢٢ أنه ترك المدرسة قبل أن ينال شهادتها ثم أهدتها إليه بعد نبوغه واشتهاره.

٤ – عن مجلة المقتطف وتاريخها راجع : أحمد طاهر حسين: دور المهاجرين الشوام إلى مصر في النهضة الأدبية الحديثة، دار الوثبة، دمشق ١٩٨٣، ص ١٦٤ – ١٧٠ وحول دورها في مقاومة الحركة الوطنية المصرية ولاسيما الحزب الوطني راجع: رابح لطفي جمعة: محمد لطفي جمعة وهؤلاء الأعلام، دار الوزان، القاهرة ١٩٩١ ص ٢٠٧.

٥ – انظر صبري العدل : سيناء في التاريخ الحديث ١٨٦٩ – ١٩١٧، مصر النهضة (٥٧) دار الكتب المصرية ٢٠٠٤ ص ١٤٦ – ١٦٥.

٦ – راجع عمر بكر : إطلالة على الماسونية ومحافلها في مصر، القاهرة ٢٠٠٠، ص ٤٩ – ٦٢، نعوم شقير: مقالة عن الماسونية في البلاد العثمانية، المقتطف ج٢، يناير ١٩١٠، علي شلش اليهود والماسون في مصر، الزهراء للإعلام، القاهرة ١٩٨٦، ص ٢٤٢ – ٢٤٧ .

٧ – نعوم شقير : تاريخ سيناء، ص ٧٥٨، ص ٧٦٨ – ٧٧٢ ويقصد بالقرار قرار تقسيم الحدود عام ١٩٠٦ بعد أزمة طابا الشهيرة.

٨ – المقتطف عدد مايو ١٩٢٢.

٩ – اقترن نعوم شقير بكريمة الوجيه أسير أفندى شقير من وجهاء سوريا وأنجب ولدين وكريمتين.

١٠ – نعوم شقير:أمثال العوام في مصر والسودان والشام،القاهرة ١٨٩٤، عن المقدمة.

١١ – نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث، القاهرة، ١٩٠٤، ص ٦٨٨.

١٢ – المصدر السابق، ص ٦٨٩.

١٣ – المصدر السابق، ص ١ – ٢.

١٤ – المقتطف عدد مايو ١٩٢٢، تاريخ سينا، ص ٣.

١٥ – نعوم شقير: تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها، القاهرة ١٩١٦، ص ٦٨٢ وما بعدها.

١٦ – نفس المصدر، ص ٦١٨.

١٧ – نفس المصدر، ص ٧٢٧ – ٧٢٩.

١٨ – نفس المصدر، ص ٧٥٢.

١٩ – نفس المصدر، ص ٣٠٤.



تقدمة

تاريخ سينا والعرب

باذن خاص

الى محب العرب الكبير ومروّج الاصلاح

في سينا والسودان

حضرة صاحب المعالي

الجنرال الفريق السير رجينولد ونجت باشا

حامل نيشان الحمام الاكبر . ونيشان فكتوريا الاكبر . ونيشان القديسين ميخائيل وجورج ونيشان الامتياز الخ

سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام

مع جزيل احترام المؤلف المخلص

مصر في ٢٧ مارس سنة ١٩١٦ «نعوم شقير»

THIS WORK ON

SINAI and ARABS

is

DEDICATED

(by permission)

to

The Great and Illustrious Friend of the Arabs

and

Promoter of Reform in Sinai & the Sudan,

HIS EXCELLENCY

GENERAL, EL-FERIK, SIR FRANCIS REGINALD WINGATE PASHA

G.C.B., G.C.V.O., K.C.M.G., D.S.O. &c. &c.

Sirdar of the Egyptian Army and Governor General of the Sudan

with

The highest and most sincere regards of the author

Cairo, 27. 3. 1916. *NAUM SHOUCAIR*



Reginald Wingate.
Sirdar

الجزء الأول

في

جغرافية سيناء

مقدمة الكتاب

عرَّف بعضهم المقدمة بأنها « الجزء الذي لا يقرأ من الكتاب » . ومع ذلك فلا بدَّ للمؤلف من مقدمة يبسط فيها السبب الذي حملهُ على تأليف كتابهِ . والغاية التي توخاها في تأليفهِ . والطريق التي اتخذهــا للوصول الى غايتهِ . وبيان العقبات التي لقيها في طريقهِ . والاصطلاحات التي جرى عليهــا في كتابهِ . وكثيرًا ما يرى القارئ نفسهُ مضطراً الى قراءة المقدمة لأجل تفهُّم مراد المؤلف في بعض المواضع . والمقدمة وان صُدّر بها الكتاب فانها آخر ما يكتب فيهِ . لذلك اذا أُريد تخصيص المقدمة بنعتٍ ما فربما كان الأصح أن يقال انها « آخر ما يكتب من الكتاب » . والآن فاني أحمد الله انهُ أعانني على انجاز هذا الكتاب وأشرع في مقدمتهِ فأقول :

﴿ سيناء حصن طبيعي لمصر ﴾ لقد خصَّت الطبيعة مصر بأربعة حصون منيعة من الجهات الأربع : — البحر المتوسط من الشمال . وشلالات النيل من الجنوب . وصحراء ليبيا من الغرب . وصحراء سيناء من الشرق * وعرفت مصر منذ القديم أهمية سيناء من الوجهة الحربية فوضعتها تحت السلطة العسكرية . وجميع الدول التي ملكت مصر وسوريا معاً ألحقت سيناء بمصر عسكريًّا واداريًّا ولم تزل الحال على ذلك الى اليوم . وقد امتدت صحراء سيناء نحو ١٥٠ ميلاً شرقاً وغرباً ونحو ضعفي ذلك شمالاً وجنوباً . وانقسمت بحسب طبيعة أرضها الى ثلاثة أقسام كبيرة وهي :

١. « بلاد الطور » وهي بلاد جبلية محضة في الجنوب * ٢. « بلاد التيه » وهي سهل مرتفع فيَّاح جامد التربة في الوسط * ٣. « بلاد العريش » وهي وهاد من الرمال في الشمال

وصحراء سيناء واقعة في المنطقة التي يقل فيها المطر . لذلك غلب عليها الجدب والقحولة فهي قليلة المياه قليلة النبت قليلة الزرع والضرع والسكان

﴿ مواضيع تاريخ سيناء ﴾ ولم يقم في هذه البلاد في زمن من الأزمان دولة أو أمة جعلت لها شأناً يستحق الذكر في التاريخ فان موقعهــا الجغرافي وطبيعة أرضها لا يؤهلانهــا لذلك . ولم يسكنها منذ القديم الاَّ عدد محدود من القبائل المتبدية دأبهم شن الاغارة بعضهم على بعض وعلى البلاد المجاورة لهم من الشرق والغرب .

وربما لم يزد عدد سكانها في عصر ما عن خمسين ألف نسمة كما هو في الوقت الحاضر

ومع ذلك فاسم سيناء في التاريخ أشهر من نار على علم ولها ذكر جميل في التوراة والقرآن والهيروغليف المصري القديم . وابتدأت شهرتها بمناجم الفيروز والنحاس والمنغنيس التي عدّنها الفراعنة المصريون في بلاد الطور من عهد الدولة الأولى الى عهد الدولة العشرين وأقاموا في بعض مناجمها هيكلاً من أقدم هياكلهم وأنفسها . وما زال أهل سيناء يعدّنون الفيروز والافرنج يعدّنون المنغنيس والنحاس فيها الى اليوم

ثم كان مرور بني اسرائيل في سيناء عند خروجهم من مصر على يد موسى النبي ونزلت « الوصايا العشر » على طور سيناء فعدّها اليهود ثم النصارى والمسلمون من بعدهم من الأراضي المقدسة * ولم تكد النصرانية تنتشر في مصر والشام حتى انتشر الرهبان والنسّاك حول جبل الطور وبنوا الكنائس والأديرة فأصبح الجبل محجّاً لأهل الشرق والغرب من اليهود والنصارى والمسلمين . وما زال هناك دير يزار الى اليوم

ثم لما كانت سيناء في طريق مصر الى الشام وجزيرة العرب قام فيها منذ أقدم أزمنة التاريخ طريقان تجاريتان حربيتان وهما : « طريق الفرما » على ساحل البحر المتوسط الى الشام فالعراق . « وطريق البتراء » مخترقاً بلاد الطور الى الحجاز

ثم بعد الاسلام قام فيها « طريق الحج » مخترقاً بلاد التيه الى الحجاز . « وطريق العريش » مخترقاً قطية والعريش الى الشام فالعراق

وفي سنة ١٩٠٦ وقع خلاف بين الدولة العلية والخديوية المصرية على حدود سيناء الشرقية وتدخّلت الدولة البريطانية في الأمر فتعاظم الخلاف حتى كاد يؤدّي الى حرب وانتهى الأمر بتعيين الحدود بعُمُد على طول الخط بين العقبة ورفح

وعليه فينحصر الكلام على تاريخ سيناء في خمسة أمور وهي :

١ . غزوات قبائل سيناء بعضهم لبعض وللقبائل المجاورة لهم في مصر وسوريا والحجاز * ٢ . أعمال الفراعنة المصريين في مناجم الفيروز والنحاس والمنغنيس ووقائعهم مع أهل سيناء * ٣ . تغرّب بني اسرائيل في سيناء مدة أربعين سنة * ٤ . معاهد البلاد الدينية في بلاد الطور والحج اليها * ٥ . العلائق التجارية والحربية والدينية بين مصر من جهة والشام والعراق والحجاز من الجهة الأخرى عن طريق سيناء

فذكر هذه الشؤون مع وصف الجزيرة وسكانها وشرائعهم وأخلاقهم وعاداتهم يتناول جميع مواضيع سيناء تاريخيًا وجغرافيًا

﴿ أسباب تأليفي تاريخ سيناء ﴾ هذا وكان لي اتصال بسيناء منذ دخلت ادارة المخابرات بوزارة الحربية سنة ١٨٨٩ . وكانت سيناء من قبل ذلك العهد تحت ادارة الحربية وعليها قومندان يعينهُ السردار يقيم في نخل ويرجع بأحكامهِ رأساً الى مدير المخابرات المقيم بالقاهرة وهو يرجع بأحكامهِ الى السردار

وقد ندبتني الحربية مراراً للذهاب الى سيناء لأغراض مختلفة تتعلق بادارة البلاد واستتباب الأمن والراحة بين قبائلها . فزرت ديرها ومدنها وقراها وتعرَّفت بقبائلها وأشهر طرقها واطلعت على حال أهلها . ولما كانت حادثة الحدود سنة ١٩٠٦ عُيّنتُ سكرتيراً للجنة المصرية التي نُدِبت لتعيين حدود سيناء الشرقية مع اللجنة العثمانية . وكانت سيناء على اتساعها وشهرتها التاريخية وقربها من مصر مجهولة عند عامة المصريين . وكان تاريخ السودان الذي فرغت من تأليفهِ سنة ١٩٠٤ قد لقي عند القراء الكرام اقبالاً لم أكن أتوقعهُ . فحملني ذلك كلهُ على وضع تاريخ لسيناء على مثال تاريخ السودان . فشرعت منذ ندبت مع لجنة الحدود في جمع كل ما أمكن جمعهُ من الحقائق التاريخية والجغرافية لا سيما وقد كان من واجبي في اللجنة أن أتحرَّى تاريخ عرب الحدود وملكيتهم للأراضي والمياه وعلاقاتهم الحاضرة والماضية مع مصر وسوريا .

﴿ عقبات تأليف تاريخ سيناء ﴾ فما عتَّمت ان وجدت ان دون جمع الحقائق التاريخية من بدو سيناء عقبات كؤودة وان العون الذي استمدَّه موسى لاستخراج الماء من صخرة سيناء أعوزني مثلهُ لوضع تاريخ لهذه الصخرة ! وأهمُّ العقبات التي وقفت في سبيلي : ١ . ان بدو سيناء في غاية الخشونة والجهل لا تاريخ لهم ولا علم ولا شبه علم بل ليس في بادية سيناء كلها من يحسن القراءة والكتابة * ٢ . ان أهل القبيلة الواحدة يجهلون كل الجهل بلاد القبائل المجاورة لهم وليس من يعرف أحوال القبائل كلها من أهل سيناء الاَّ أفراد قليلون يعدُّون على الأصابع . ومعرفة هؤلاء لغير بلادهم اجمالية سطحية قلما يصحُّ الاعتماد عليها * ٣ . ان أكثر مشايخ القبائل في سيناء لا يعرفون من تاريخ قبائلهم وجغرافية بلادهم الا اليسير وهذا اليسير لا يمكن

الحصول عليهِ الاّ بعد بذل الجهد والحيلة المستلطفة لأن البدو متكتّمون الى الغاية عن الحكام فلا يمكّنونهم من معرفة أحوالهم خوفاً من التعرُّض لأمورهم وادخال قانون القرعة الى بلادهم ووضع الضرائب على أملاكهم . فكنت في أول الأمر اذا سألت أحدهم عن أي شأن من شؤون قبيلتهِ أراه ينقبض ويظهر الريبة ويُنكر كل علم في الشأن المسؤول عنهُ أو يجيبني جواباً غير سديد . وكنت اذا نفيت عنهُ الريبة وآنستهُ في المقال حاول التخلص من الجواب عن كسل أو ضعف همة . واذا نشطتهُ واستنهضت همتهُ الى الجواب أجابني بما عنَّ لهُ صدقاً أو كذباً

﴿ تذليل العقبات ﴾ على ان هذه العقبات التي لم أكن أتوقّعها لم تكن لتثنيني عن عزمي بل بذلت الجهد في تذليلها : فكنت حيثما نزلت أجمع المشايخ والخبراء وأتلطف في تسقُّط أخبارهم واستقصاء أحوالهم مبيناً لهم ان ذلك في مصلحتهم . ولم أكن أكتفي بسؤال واحد منهم عن أية حقيقة كانت ولو انهُ اسم مكان بل كنت أطرح السؤال الواحد على اثنين أو أكثر وأسأل كلاً منهم على انفراد ثم أجمعهم اذا اقتضى الأمر وأسألهم السؤال عينهُ حتى استوثق من صحة الجواب فأثبتهُ في يوميتي كما فعلت في تمحيص حقائق تاريخ السودان * ثم انهُ لم تسنح لي فرصة لاختبار البلاد وأهلها بنفسي الاَّ اغتنمتها فزرت البدو مراراً في مخيماتهم وحضرتُ أفراحهم ومراقصهم وغناهم وسباقهم على الخيل واجتماعاتهم العمومية والخصوصية . وجوَّلت في أنحاء الجزيرة في الجهات التي قضت عليَّ المصلحة بالتجوال فيها وفي كثير غيرها . وكنت في أثناء ذلك أبحث عن آثار البلاد القديمة والحديثة ولا سيما العربية منها فعثرت على كثير من النقود القديمة والحصون الأثرية والحجارة التاريخية الهيروغليفية واليونانية والنبطية والعربية مما زادني علماً بأحوال البلاد وتاريخها القديم والحديث

هذا وقد كشف لي البحث في آثارها عن عادة جميلة لأهلها كانت عوناً لي على استطلاع الكثير من أخبارها وحوادثها التاريخيّة والتقليدية . وذلك أنهم اعتادوا تخليد كل عمل جليل أو حادث هام حدث في الجزيرة بأن يقيموا لهُ « رجماً » وهو حجر أبيض أو كومة من الحجارة — « على ماء شهير أو درب جهير » — أو يرسموا بضع دوائر أو تلاً عن جانبيهِ حفر . وهم يعنون كل العناية باحياء هذه الرجم والرسوم

ومن جميل عادات البدو التي اطلعت عليها في أثناء البحث ، فمكّنني من معرفة الكثير من غزواتهم وحروبهم الحديثة ، أنهم ينظمون القصائد في كل غزوة أوحرب شهيرة ويستظهرونها ويتوارثونها خلفاً عن سلف

وقد دامت مهمة الحدود خمسة أشهر قضيتها كلها في أرض سيناء وبين أهلها فما انتهيت من المهمة حتى كان قد اجتمع عندي من الحقائق التاريخيـة والجغرافية وأحوال البلاد وأهلها قديماً وحديثاً ما يملأ مجلّدًا كبيرًا

﴿ مستندات التاريخ ﴾ فلما رجعت الى مصر في اوكتوبر سنة ١٩٠٦ باشرت وضع التاريخ الذي عزمت عليهِ فوجدت المعلومات التي جمعتها في التاريخ القديم والأجيال المتوسطة لا تزال قاصرة جدًّا فنقّبت في كتب الأقدمين والآثار المصرية القديمة في التوراة . وكتابي « فجر العمران » « وجهاد الأمم » للموسيو ماسبرو العالم الأثري الفرنساوي . وكتاب « مباحث في سيناء » للمستر فلندرس بتري العالم الأثري الانكليزي . وفي كتب مؤرخي العرب كالمقريزي . والمسعودي . واليعقوبي . والهمذاني . وأبي الفداء . وغيرهم فجمعت منها حقائق جمة عن تاريخ سيناء القديم

وبلغني ان في بلدة الطور كتاباً يدعى « الامّ » أنشيء في قلعـة الطور القديمة وفيهِ كثير من أخبار سيناء في القرون التي بعد الألف للهجرة . وكنت أتوق جدًّا الى مطالعة الكتب والمستندات العربية التي في دير طور سيناء الشهير فاتفق اني نُدِبت لمهمة الى بلاد الطور في ابريل سنة ١٩٠٧ فزرت مدينة الطور والدير واطلعت على كتاب « الامّ » في الطور وكتب شتى عربية في الدير وقفت منها على كثير من الحقائق التاريخية في الأجيال المتوسطة * وعدت الى مصر وانكببت على العمل فلم تنتهِ سنة ١٩٠٧ حتى أتممت الكتاب فجاء في ثلاثة أجزاء كبيرة وهي :

﴿ الجزء الأول ﴾ في جغرافية سيناء الطبيعية والادارية . وفيه ذكر حدودها وأراضيها . وجبالها . وأوديتها . ومياهها . ومعادنها . وهوائها . ونباتاتها . وحيواناتها . وسكانها . ومدنها . وقراها . وديرها . وطرقها . وآثارها . وحكومتها وغير ذلك

﴿ الجزء الثاني ﴾ في بداوة سيناء . وفيه ذكر لغة أهلها . ودياناتهم . ومعارفهم . وزراعتهم . وصناعتهم . وتجارتهم . وعاداتهم . وخرافاتهم . وقضائهم . ومحاكمهم .

وشرائعهم . وأحكامهم . مع نقد شريعة البــدو وحكومتهم وطرق اصلاحهم

﴿ الجزء الثالث ﴾ في تاريخ سيناء القديم والحديث . ويشمل تاريخ السكان الأصليين مع الفراعنة . وتغرب بني اسرائيل في سيناء . ومملكة النبط في البتراء . وتاريخ دير طور سيناء . وتاريخ سيناء في عهد اليونان والرومان والفتح الاسلامي الى هذا العهد . وحروب البدو في سيناء في عهد الأسرة العلوية . وتفصيل حادثة الحدود وغيرها

هذا وقد جعلت تحت كل جزء أبواباً وتحت كل باب فصولاً تناولت جميع مباحث التاريخ القديم والحديث والجغرافية فجاء أوفى كتاب ألف في سيناء في الافرنجية أو العربية الى هذا العهد . وقد تفرّد عن الكتب الافرنجية والعربية في المباحث الآتية:

١ . الحجارة التاريخية العربية ومنها الحجارة التاريخية في قلعة صلاح الدين الأيوبي على عين سدر * ٢ . جلّ ما جاء في كتب مؤرخي العرب عن سيناء وأهلها * ٣ . لغة بدو سيناء ودياناتهم وعاداتهم وأخلاقهم وشرائعهم * ٤ . غزوات أهل سيناء وحروبهم الحديثة المأخوذة عن رجومهم وتقاليدهم وأشعارهم * ٥ . كتاب الأم وكتب الدير العربية

ولما تم الكتاب على هذا المنوال وهممت بتقديمه للطبع عرضت لي موانع لا محل لذكرهــا هنا أخّرت طبعهُ الى شتاء سنة ١٩١٤ فأضفت اليهِ ما جدَّ عندي من الحوادث والمعلومات عن سيناء وأهلها منذ أواخر سنة ١٩٠٧ وباشرت الطبع

﴿ الخاتمة ﴾ ولكن لم يتمّ طبع الجزئين الأولين منهُ حتى قامت الحرب الغشومة الحاضرة ودخل الاتحاديون الحرب في جانب الألمان وجردوا جيشاً من سوريا والعراق والحجاز على الانكليز في مصر عن طريق سيناء فأوقفت الطبع ريثما تنتهي الحملة فأجعلها خاتمة الكتاب. ثم خطر لي أن أضمّن الخاتمة جميع الحملات التي حملها الغزاة على مصر بطريق سيناء . ثم توسعت في ذلك فراجعت التاريخ القديم والحديث وأخذت خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وكل ما كان بين مصر وجاراتها من الوقائع الحربية والصلات التجارية وغيرها عن طريق سيناء . وأضفت اليهِ وصف جزيرة العرب . وتاريخ العرب قبل الاسلام وبعده في بلادهم وخارج بلادهم. وحركة السنوسي في الغرب . وتاريخ السوري في مصر . وغير ذلك من المباحث التي أوجبتها الحرب الحاضرة. وجعلتُ هذه الخلاصة مع وصف الحملة الأخيرة على مصر «خاتمة الكتاب»

وقد كان أكثر اعتمادي في هذه الخلاصة على الكتب الآتية :

« فجر العمران » ، و « جهاد الأمم » للعلامة مسبرو * « تاريخ مصر » للمؤرخ المحقق شارب الانكليزي * « تاريخ سوريا » النفيس للعلامة المطران يوسف الدبس * « التاريخ القديم » للاستاذ هارفي بورتر الأميركي * « تاريخ العقد الثمين » للعالم الأثري أحمد بك كمال * « تاريخ مصر الحديث وتاريخ العرب قبل الاسلام » للمرحوم جورج بك زيدان * « تاريخ مصر » للاديبين عمر افندي الاسكندري والمستر سفدج الانكليزي * « تاريخ مصر » للمرحومة هند عمون * « الدروس التاريخية » للمؤرخ المحقق الاستاذ محمد الخضري * « كتاب أشهر مشاهير الاسلام » لرفيق بك العظم * « الرحلة اليمانية » للشريف شرف عبد المحسن البركاتي * « الرحلة الحجازية » لمحمد بك لبيب البتنوني وهو من أنفس ما كتب عن جزيرة العرب قديماً وحديثاً * وتقارير كثيرة من أهل الخبرة من الشام والعراق والحجاز عن صفة جزيرة العرب والعلائق التجارية وغيرها بين مصر وجاراتها في هذا العصر

واشتد طلب الجمهور لتاريخ سيناء لوقوع الحرب فيها . وكانت هذه الحرب قد زادت شغلي في ادارة المخابرات حتى جعلتهُ أضعاف ما كان عليهِ قبل الحرب ولم تترك لي ساعة واحدة من ساعات الفراغ التي كنت أغتنمها لطبع التاريخ . فكنت أكتب الخاتمة وأجهزها للطبع في ساعات الراحة بل في ساعات النوم . فلما كان شتاء سنة ١٩١٥ كنت قد فرغت منها فقدمتها للطبع هي والجزء الثالث من التاريخ . وكثيراً ما كنت أقدّم فصلاً للطبع فتدعوني المصلحة الى مزايلة القاهرة فأبعث باصلاح ما عنَّ لي اصلاحهُ بلسان البرق . وبقيت على هذا الجهاد حتى قدرني الله وفرغت من التحبير في ٣١ ديسمبر سنة ١٩١٥ ومن الطبع في ٢٧ مارس سنة ١٩١٦

﴿ أسلوبهُ ﴾ وقد عنيت عناية خاصة في ضبط عبارة الكتاب وأحكام وضعهِ على أسلوب تفهمهُ العامة وترضى بهِ الخاصة وضمنتهُ الكثير من النكات المستملحة والقصص التقليدية المستظرفة التي تشوّق القارئ الى مطالعتهِ بلا تعب ولا ملل

﴿ رسومهُ ﴾ وحليتهُ ب ١٣٧ رسماً من مناظر البلاد وقلاعها وحيواناتها وآثارها الشهيرة ورسوم كثير من مشايخ قبائلها وحكامها وكبار الموظفين والأعيان والأمراء والملوك الذين كان لهم الشأن في تاريخها قديماً وحديثاً . وقد أخذت بعض هذه الرسوم بنفسي ولكن أكثرها تكرم بهِ محبو التاريخ ممن ساحوا في سيناء وأخذوا رسومها أخص منهم بالذكر مع الشكر : الكولونل باركر مدير سيناء الأسبق . والمستر

ستن من كبار تجار الانكليز وصاحب كتاب « سياحتي على جمل من السويس الى جبل سيناء » . والدكتور هسكنز المرسل الأميركي صاحب الكتاب النفيس « من النيل الى نبو » وكل هذه الصور حفر الخواجه بنيامين صابونجي السوري . وبعضها رسم أخيه مناويل

﴿ خرائطهُ ﴾ وقد جعلت للكتاب ثلاث خرائط : — ١ . خريطة سيناء منقولة عن أتم خريطة أصدرتها ادارة المخابرات بلندن بعد أن نقحتُها على قدر المستطاع اذ لم يتم مسح الجزيرة كلها بعد * ٢ . خريطة مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وهي خريطة تقريبية يقصد بها اعانة القارئ على معرفة أشهر المواقع المذكورة في الخاتمة * ٣ . خريطة طريق الجيش العثماني الى القنال

﴿ فهرسهُ ﴾ وجعلت للكتاب فهرساً للأبواب والفصول ولم أجعل لهُ فهرساً للمواضيع لأن هذا لا يفيد الاّ اذا كان وافياً متقناً كل الاتقان وهذا العمل يتطلب وقتاً وورقاً للطبع وأنا لا أجد هذا ولا ذاك الآن وربما وُفّقت الى عملهِ بعد الحرب

﴿ اسمهُ ﴾ وقد سميتهُ باسم موضوعهِ الأصلي وهو « تاريخ سيناء » واسمهُ مفصلاً : « تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها وبداوتها مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلائق الحربية والتجارية وغيرها « عن طريق سيناء » منذ أول عهد التاريخ الى اليوم . وبعبارة موجزة : « تاريخ سينا والعرب »

﴿ تقدمة الكتاب ﴾ هذا ولما كان صاحب المعالي السردار الحالي وحاكم السودان العام الجنرال الفريق السر رجينولد ونجت باشا هو المشرف على سيناء بصفتهِ سردار الجيش المصري وقد اشتهر بحب العرب ولغة العرب وبلاد العرب وكان المروّج الأكبر للاصلاح في سيناء والسودان — لذلك كلهِ رأيت أن أجعل كتابي هذا تقدمة لهُ فاستأذنتهُ في ذلك فتكرّم بقبول التقدمة بعبارة دلّت « على ثقتهِ بفائدة الكتاب وحسن انشائهِ وأمّل لهُ نجاحاً عظيماً » * وقد بذلت جهدي في أن يكون كتابي هذا جديراً بثقة معاليهِ وثقة أدباء هذا العصر الكرام الذين غزرت مادة علمهم حتى أصبحوا لا يرضيهم الاّ الجيد النفيس من التآليف . فان كنت قد أجدت فذلك فضل من الله والاّ فعذري قصر الوقت أو قصر الوقت والباع معاً والحمد لله أولاً وآخراً ؟

مصر القاهرة في ٢٧ مارس سنة ١٩١٦ « نعوم شقير »

الباب الأول

في

جغرافية سيناء الطبيعية

الفصل الاول

في

حدود شبه جزيرة طور سيناء وأسمائها

« شبه جزيرة طور سيناء » بلغة الشاعر قنطرة النيل الى الاردن والفرات ، و بلغة الناثر الوُصلة البرّية بين أفريقيا وآسيا ، وبعبارة أخص هي تلك البادية الشهيرة التي تصل القطر المصري نفسهُ بقطري سوريا والحجاز[1]. وقد أخذت شكل مثلث قعد على البحر المتوسط وانقلب على رأسهِ فدخل كالسفين في رأس البحر الاحمر وشطَرهُ شطرين هما خليج العقبة وخليج السويس

وشبه الجزيرة في الاصل هي البلاد الواقعة بين هذين الشطرين المعروفة الآن ببلاد الطور ، ثم امتدت اداريًّا فشملت بلاد التيه ثم بلاد العريش في الشمال . فأصبح حدّها من الشمال البحر المتوسط ، ومن الغرب ترعة السويس وخليج السويس ، ومن الجنوب البحر الاحمر ، ومن الشرق خليج العقبة وخط يقرب من المستقيم يبدأ من رأس طابا على رأس خليج العقبة وينتهي بنقطة على شاطئ البحر المتوسط عند رفح

﴿ أسماؤها ﴾ وسنسميها بعد الآن : جزيرة طور سيناء أو جزيرة سيناء أو الجزيرة أو سيناء طلبًا للاختصار * أما نسبتها الى طور سيناء فلأن هذا الطور

(١) المقصود بسوريا هنا هي بلاد الشام عموماً التي تشمل حالياً سوريا ولبنان وفلسطين المحتلة والأردن.

هو أشهر جبالها . وأما سينآء فلغةً « الحجر »[١] قيل سميت البلاد سينآء لكثرة جبالها . وقيل ان اسم سينآء مأخوذ من سين بمعنى القمر في العبرانية فسمّيت البلاد سينآء لان أهلها كانوا قديماً يعبدون القمر . قلت بل يكفي لنسبتها الى القمر حسن الليالي المقمرة فيها فان صفآء جوها ورقة هوائها وسعة أرضها تجعل قمرها أبدع الاقمار

وقد عُرِفت سينآء في الآثار المصرية باسم « توشويت » أي أرض الجدب والعرآء . وعرفت في الآثار الاشورية باسم « مجان » ولعلهُ تحريف مَدْيَن وهو الاسم الذي أطلقهُ مؤرخو العرب على شمال الحجاز وجنوبي فلسطين وهي البلاد التي عرفت عند مؤرخي اليونان باسم « أرابيا بترا » أي العربية الصخرية[٢]

هذا وقد عرفت في التوراة باسم حوريب أي الخراب كما عرفت باسم سينآء ، قال بعض علماء التوراة أن اسم حوريب أطلق على البلاد جملة واسم سينآء على أشهر جبل فيها ، ثم نسي اسم حوريب وسائر الاسمآء القديمة ولم يبقَ الى يومنا هذا الا اسم سينآء

ولقد كانت سيناء في اكثر العصور التاريخية ملحقة بمصر مع أن سكانها كانوا منذ بدء التاريخ ولا يزالون من أصل سامي كسكان سوريا . وهي في هذا العهد محافظة من محافظات القطر المصري كما سيجيء تفصيلاً

﴿ البحر المتوسط ﴾ أما البحر المتوسط الذي يحدُّ سينآء من الشمال فطول شاطئهِ من بور سعيد الى رفح نحو مئة وثلاثين ميلاً وطولهُ على خط مستقيم نحو مئة ميل . وهو شاطئ رملي معرَّض للرياح الشمالية الغربية التي تشتد في غالب الاحيان حتى يستحيل على السفن الاقتراب منهُ لشدة هياج الامواج . وليس في هذا الشاطئ ما يصلح لان يكون مينآء للسفن الا خليجاً صخرياً صغيراً بين مدينة العريش والشيخ زويّد يدعى جرف الحُصَين عند بئر المصيدة فانهُ اذا اعتني بهِ صلح لان يكون مينآء للسفن الصغيرة

هذا ويدخل من البحر المتوسط في بر سينآء بين العريش والطينة بحيرة عظيمة تعرف « ببحيرة بردويل » سيأتي ذكرها

---

(١) لعل الأوفق أن تصاغ: وأما سيناء لغة فهي "الحجر".

(٢) البتراء Petra هي مدينة حصينة في وادي موسى كانت مركزاً للحضارة النبطية التي نسبت إلى سكانها من الأنباط الذين يرجح أن يكونوا من أصول عربية نزحت من الحجاز. راجع: منطقة الشرقية التعليمية، الشرقية وسيناء، القاهرة ١٩٤٦، ص ٢٨٣.



ش ١ : الموسيو ده لسبس فاتح ترعة السويس

﴿ ترعة السويس ﴾ وأما ترعة السويس التي تحد سيناء الشمالية من الغرب فهي الترعة التي تصل البحر الاحمر رأساً بالبحر المتوسط ، تمتد من مدينة السويس فتخترق البحيرة المرة فبحيرة التمساح فبحيرة البلاّح ، ثم تحاذي بحيرة المنزلة من الشرق الى أن تصل البحر المتوسط عند بور سعيد . وطول هذه الترعة ١٦٠ كيلومتراً وعرضها مئة متر وعمقها تسعة أمتار وخمسون سنتيمتراً ، واكبر البواخر التي يُسمَح لها بالملاحة فيها الآن لا تتطلّب من العمق اكثر من ثمانية أمتار و٥٣ سنتيمتراً ولكنهم آخذون في توسيعها وتعميقها حتى تصلح لمسير اكبر البواخر

وللترعة ثلاثة جسور (كباري) متحركة يُعبر بها الى جزيرة سيناء : أحدها شمالي السويس والثاني عند الاسماعيلية والثالث عند القنطرة في طريق العريش

ولقد كان وصل البحر الاحمر بالبحر المتوسط أمنية كل ملك عظيم قام على مصر

منذ أيام الفراعنة . وكان أوّل من حقّق هذه الامنية رعمسيس الثاني سنة ١٣٣٠ ق . م فانهُ وسّط النيل ومدّ ترعة من فرع النيل البليوسي عند تل بسطة الى السويس طولها نحو ٢٠٠ كيلومتر وعرضها من مئة الى مئتي قدم ، ثم ردمت فجدّدها داريوس ملك الفرس ثم ردمت وجدّدها البطالسة ، ولما افتتح العرب المسلمون مصر عن يد عمرو بن العاص كانت مردومة فاستأذن ابن العاص الخليفة عمر بن الخطاب وجدّد حفرها فجعل مبدأها مصر العتيقة وأتمّها بسنة ، و بقيت الى زمن أبي جعفر المنصور ثاني الخلفآء العباسيين فوصل اليهِ الخبر بأن خرج عليهِ محمد بن عبدالله من سلالة علي بن أبي طالب[١] بالمدينة المنوَّرة فكتب الى عاملهِ على مصر يأمره بسدّ هذه الترعة حتى لا تحمل المؤونة من مصر الى المدينة فسدّها وما زالت كذلك الى اليوم

ولكن لم يتم وصل البحرين رأساً بدون توسط النيل الاّ في عهد اسماعيل باشا الخديوي الأسبق وذلك بهمة الموسيو ده لسبس المهندس الفرنساوي الشهير فانهُ نال الاذن بنتحها من سعيد باشا سنة ١٨٥٦ م وألف شركة مساهمة فدبر ما تحتاج اليه من المال وأنشأها على رغم ما اعترضهُ من الموانع السياسية والادارية القوية . وقد بلغت نفقات حفرها وتوسيعها ٢٤ مليون جنيه . واحتُفل بافتتاحها في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ م ١٢ شعبان سنة ١٢٨٦ هـ احتفالاً بلغ منتهى الأُبهة وقد حضرهُ بعض ملوك أوربا ونواب جميع الدول

وهذه الترعة من أعظم الاعمال التي باشرها الانسان منذ قام العالم لانها ربطت الشرق بالغرب وسهّلت التجارة في آسيا وأفريقيا وأوربا أعظم تسهيل

هذا وقبيل فتح هذه الترعة كان المسافرون الى الهند من الاسكندرية يركبون ترعة المحمودية بالمراكب تجرها الرفاصات الى العطف ٤٤ ميلاً . ثم يركبون النيل فرع رشيد بالبواخر الى القاهرة ١٢٠ ميلاً. ومن هناك يركبون مركبات الامنيبوس تجرها الخيل في الصحراء الى السويس ٨٤ ميلاً * وقد قصَّرت هذه الطريق طريق الهند أسابيع. وكان الفضل في انشائها الى « اللفتننت توماس واغورن » من ضباط البحرية الانكليز، توفي في ينابر سنة ١٨٥٠ عن ٤٩ عاماً ولم يكافأ على عملهِ هذا الاّ بعد

---

(١) هو محمد المعروف بالنفس الزكية الذي ثار بالمدينة علي الخلافة العباسية عام ١٤٥هـ في محاولة لانتزاع الحكم من أبي جعفر المنصور في إطار اقتناعه بشرعية العلويين في الحكم، لكن ثورته قد فشلت علي الرغم من ثورة أخيه إبراهيم بالبصرة في التوقيت نفسه. للمزيد راجع، نبيلة حسن محمد، في تاريخ الدولة العباسية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٥، ص ١١٧-١٢٣.

وفاتهِ فقد نصب لهُ قومهُ تمثالاً في بلدتهِ شاتام من أعمال كَنْتْ بانكلترا سنة ١٨٨٨ وكانت شركة «القنال» قد نصبت لهُ تمثالاً نصفياً عند مدخل القنال في بورت توفيق بالسويس كما نصبت للمسيو ده لسبس تمثالاً كاملاً عند مدخل القنال في بورسعيد



ش ٢ : اللفتننت توماس واغورن فاتح طريق النيل والصحراء من الاسكندرية الى السويس

هذا وقد كان لمرور تجارة الهنـد وبريدها بمصر نفع عظيم لمصر وسوريا معاً ففتح هذه الترعة سدّ النفع في وجهها وحوَّلهُ الى أوربا . وكان الانكليز اكبر المستفيدين من فتحها مع أنهم كانوا اكبر المعارضين لها في أول الأمر لأن سياستهم كانت تقضي ببقاء طريق الهند على رأس الرجاء ، في سنة ١٩١١ مرّ بالترعة ٤٩٦٩. باخرة تحمل ١٨٫٨٢٤٫٧٩٤ طناً فكان ٣٠٨٩ باخرة منها للانكليز والباقي لسائر الدول . وكانت الحكومة الانكليزية قد اشترت اسهم خديوي مصر في ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٧٥ في وزارة اللورد بيكو نسفيلد بأربعة ملايين جنيه فبلغت قيمتها في ٣١ مارس سنة ١٩١١ سبعة وثلاثين مليوناً ونصف مليون جنيه ، وكانت أرباح هذه الاسهم فى العام المنصرم (١٩١٣) ١٫٣١٦٫٦٨٥ جنيهاً

هذا وفي الاتفاق الدولي الذي أمضي في ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨ تقرر أن يكون حق المرور بالترعة شائعاً لجميع الدول فتمخر فيها بواخرها المسلّحة وغير المسلّحة في زمن الحرب او في زمن السلم

ويديرها الآن مجلس عام مؤلف من ٣٢ عضواً من جميع الدول المساهمة فيها وفيهم عشرة من الانكليز بينهم ثلاثة ينوبون عن الحكومة الانكليزية

ومدة امتياز الترعة ٩٩ عاماً من تاريخ افتتاحها . وشروط الحكومة المصرية مع الشركة تقضي بخروج الاسهم كلها من ايدي المساهمين ودخولها في حوزة مصر عند انتهاء هذه المدة اي سنة ١٩٦٨ . وجميع اسهم الترعة الآن للأجانب فليس للحكومة المصرية او للمصريين سهم واحد منها . ففي سنة ١٩٠٩ اقترحت الشركة على الحكومة المصرية ان تطيل الامتياز اربعين سنة فتدفع لها الشركة اربعة ملايين جنيه مع نصيب قليل من الارباح . وقد قصدت الشركة بذلك رفع اسهمها واطالة امد ارباحها باشراك مصر في شيء من الارباح ، فعرضت الحكومة الاقتراح على الجمعية العمومية وقيَّدت نفسها بقبول رأي الجمعية كيف كان فرفضت الجمعية الاقتراح بأغلبية عظيمة بحجة انهُ مجحف بحقوق مصر ، قالوا يكفي الذي خسرتهُ تجارة مصر بفتح هذه الترعة وانهُ ليس لمصر الآن سهم واحد من اسهمها فلا نطيل اجل خسارتنا بيدنا اربعين سنة اخرى ، قالوا ذلك وهم آملون دخول الترعة في حوزة مصر عند انتهاء مدة الامتياز

ولكن الذين دافعوا عن الاقتراح قالوا ان مصر لو قبلتهُ افادت الشركة باطالة مدة امتيازها واستفادت هي مورد مال جديد ليس لها غير هذا السبيل الى وروده ، لان ترعة كترعة السويس تربط الشرق بالغرب وتشترك فيها مصالح الدول كلها لا تُترك لرحمة مصر والمصريين يتحكمون فيها كما يشاؤون . وقد كان رسم المرور بالترعة اولاً عشرة فرنكات على الطن الواحد فخفض تدريجاً حتى بلغ الآن ستة فرنكات وخمسة وسبعين سنتياً ، وقد وعد الموسيو ده لسبس سنة ١٨٨٣ بأن يكون الحد الأدنى لرسم المرور خمسة فرنكات فلا بدّ من خفضهِ الى هذا الحد الموعود

بهِ « خصوصاً بعد فتح ترعة بناما » بل ربما خفض الى ادنى من هذا الحد حتى اذا ما انتهت مدة امتياز الترعة جعلوها حرَّة ولم يسمحوا بأخذ رسم مرور بها الا بقدر ما يكفي للمحافظة عليها فاذا صحّ هذا القول ولم يكن لمصر اذ ذاك ما للشركة الآن من القوة لتمشية الرسم الذي توجبهُ كان رفض الاقتراح موجباً للاسف الشديد

﴿ خليج السويس وموانيهِ ﴾ اما خليج السويس الذي يحد سيناء الجنوبية من الغرب فطولهُ من السويس الى رأس محمد نحو ١٥٠ ميلاً وعرضهُ من عشرة اميال الى ثمانية عشر ميلاً . واشهر موانيهِ على شاطئ سيناء مبتدئاً من الشمال :

« ميناء عيون موسى » على ثمانية اميال من السويس وفيهِ محجر صحي قديم

« وميناء ملعب » على نحو خمسين ميلاً من ميناء عيون موسى وقد اتخذتهُ حكومة مصر محجراً للحجاج بضع سنين ثم وجدتهُ عرضة للرياح الشديدة فنقلت المحجر منهُ الى مدينة الطور

« وميناء ابو زنيمة » على نحو اثني عشر ميلاً من ميناء ملعب سُمّي كذلك باسم شيخ يُزار هناك يعرف بهذا الاسم . وقد كان في عهد الفراعنة ميناء معدّني الفيروز في سرابيت الخادم، وفي هذا العهد ميناء معدني المنغنيس في وادي بعبعة

وبين هذا الميناء وسرابيت الخادم يومان بسير القوافل : تذهب الطريق من الميناء بوادي الطيّبة فوادي الحُمر فرملة القُرَي فوادي بعبعة فوادي سُوَق فالسرابيت

وقد قرر مجلس الصحة والكورنتينات في جلسة ٦ يناير سنة ١٩١٤ انشاء محلة جديدة للحجر الصحي في هذا الميناء

« وميناء ابو رُدَيس » على نحو عشرة اميال من ميناء ابو زنيمة وهو ميناء معدّني الفيروز في وادي المغارة منذ عهد الفراعنة الى اليوم . وبينهُ وبين وادي المغارة ١٥ ميلا بوادي السِدرة

« وميناء الطور » على نحو خمسة وخمسين ميلاً من ابو رديس ومئة وخمسة وثلاثين ميلاً من السويس بشاطئ البحر ومئة وخمسة وعشرين ميلا بطريق البواخر . وهو اشهر مواني سيناء واقدمها وسيأتي ذكره في الكلام على مدينة الطور

«وميناء راية» على نحو خمسة اميال من الطور وهو ميناء حسن ولهُ بئر عذبة المياه وآثار تدلّ على انهُ كان مأهولاً في القديم. وهناك قبر شيخ يزار يعرف باسمهِ

« ميناء جار » على نحو سبعة اميال من راية. وهنا ايضاً قبر شيخ يزار يُعرَف بهذا الاسم.

﴿ خليج العقبة وجزرهُ وموانيهِ ﴾ اما خليج العقبة الذي يحد سيناء الجنوبية من الشرق فطولهُ من رأس محمد الى قلعة العقبة نحو مئة ميل وعرضهُ من سبعة اميال الى اربعة عشر ميلاً. وفيهِ ثلاث جزر:



ش ٣ : جزيرة فرعون

« جزيرة تيران » عند قاعدتهِ تجاه رأس محمد بينهما مضيق حرج لمرور المراكب. « وجزيرة سنافر » (١) شرقيها وكلتاهما قفر بلقع

« وجزيرة فرعون » عند رأس الخليج على ثمانية أميال من مدينة العقبة بحراً. وهي جزيرة صغيرة محيطها نحو ألف متر مؤلفة من اكمتين صغيرتين بينهما فرجة ضيقة وبينها وبين بر سينا نحو ٢٥٠ متراً. وهي داخلة في حد سيناء

وعلى قمتي الاكمتين خرائب قلعة قديمة لم يبق منها سوى صهاريج الماء ومخازن الغلال والذخائر ومنازل العساكر، وفي جدرانها المزاغل لضرب النار، ولذلك تعرف

(١) تكتب أحيانا "صنافر"، و"صنافير".

عند البدو بالقلعة او القُلَيعة او القُرَيّة . وهي الان خراب لا ساكن فيها . وكان يحيط بها سور منيع لهُ باب الى جهة سيناء . وقد ذكر بعض السياح الافرنج أنهُ مرّ بالجزيرة في أواسط القرن الغابر فرأى حجراً فوق الباب عليهِ اسم باني القلعة وتاريخ بنائها ولكن هذا الباب قد تهدم الآن وتهدم السور الى الارض الا أن ما يبدو من أساسهِ يدل على متانتهِ . وقد فتشت عن الحجر التاريخي المشار اليهِ في الجزيرة كلها فلم أقف لهُ على أثر . ولكن عثر بعضهم بين خرائب القلعة على قطع من العملة النحاسية القديمة

وقد ظنَّ بعض السياح أنها عصيون جابر المذكورة في التوراة بقرب أيلة ولكن خرائب قلعتها الحاضرة تدل على أنها أحدث جداً من ذلك العهد ، والارجح انها من بناء صلاح الدين الايوبي وانهُ بناها لمقاومة الصليبيين وهي تشبه في بنائها قلعة لصلاح الدين في جوار عين سدر كما سيجيء . ويقال ان ارنولد ده شنتليون حصرها بالمراكب سنة ١١٨٢ م ، ثم هجرت بعد ذلك بمئة سنة واكتُفي بقلعة العقبة

واما «رأس محمد» فهو تل صغير في رأس مثلث سيناء علوهُ نحو ١٢٠ متراً . وعلى نحو ٢٠ ميلاً منهُ شمالاً رأس النصراني . وأشهر موانى هذا الخليج على شاطئ سيناء :

« ميناء الشرم »(١) بين رأس محمد ورأس النصراني . على نحو ثمانية أميال من الاول واثني عشر ميلاً من الثاني . وفي هذا الميناء قبر شيخ يزار يعرف بهذا الاسم

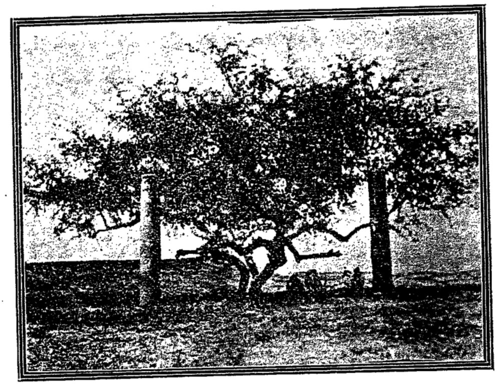
« وميناء النبك » على نحو عشرين ميلاً من ميناء الشرم وهو أقرب فرضة الى بر الحجاز وتجاههُ في ذلك البر ميناء الشيخ حُمَيد بينهما سبعة أميال او حواليها. ينتابهُ الآن تجار الابل والغنم واكثرهم من عرب الحويطات المصريين فيأتون بالابل والغنم من بر الحجاز الى النبك ثم يخترقون برّية سيناء الى السويس . وسيأتي ذكر هذه الطريق تفصيلاً . وفي النبك آبار عذبة الماء و بستان نخيل . قيل وهناك خرائب دير بُني في صدر النصرانية . و بقربهِ خرائب قرية صغيرة أقدم منهُ

« وميناء ذهب » على نحو خمسة وعشرين ميلاً من النبك وفي عرض شمالي ٢٨° ٢٨′ وهناك آبار ماء عذبة قديمة العهد وثلاث جنان من النخيل . قيل وهناك ايضاً خرائب دير قديم ، وان القدماء عدَّنوا الذهب في جوارهِ ومن ذلك اسمهُ

(١) كان يعرف أحياناً باسم شرما ، أو شرمه ويعرف الآن بشرم الشيخ .

« وميناء النُّوَيبع » على نحو ثلاثين ميلاً من ميناء ذهب وفيه آبار ماء وحديقة متسعة من النخيل وطابية صغيرة بنتها السردارية المصرية سنة ١٨٩٣ م وجعلت فيها نفراً قليلاً من البوليس الهجانة وألحقتها ادارياً بمركز نخل

وفي خليج العقبة المد والجزر كما في خليج السويس ، وقد راقبناهما مدة اقامتنا في رأس خليج العقبة سنة ١٩٠٦ فكان الفرق بينهما ست أقدام



ش ٤ : عمودا رفح قبل حادثة الحدود سنة ١٩٠٦

﴿ الخط الشرقي ﴾ وأما الخط الشرقي الذي جُعل الحد بين سيناء من جهة وولاية الحجاز ومتصرفية القدس من جهة أخرى فقد عُيّن بالتدقيق في الاتفاق الذي عقد بين الحكومة الخديوية المصرية وبين الدولة العلية سنة ١٩٠٦ كما سيجيء تفصيلا، ولم يُعيّن حد سيناء الشرقي من قبل بمثل هذا التدقيق في عصر من العصور ولكن يستدل من مراجعة تاريخ مصر وسوريا ومن التقاليد المحفوظة عند أهل الحدود الى هذا اليوم أن رَفَح كانت في أكثر العصور الحد بين مصر وسوريا على البحر المتوسط وأَيلة المعروفة الآن بالعقبة الحد بين مصر والحجاز على رأس خليج العقبة ، واليك البيان:

« حد رفح » أما رَفَح فقد جرت فيها عدة وقائع حربية بين ملوك مصر وملوك آسيا كأنّ ملوك مصر كانوا يقفون عند رفح للذب عن حدهم . من ذلك مجيء سباقون ملك مصر الى رفح سنة ٧١٥ ق . م لصـد الاشوريين عن بلاد مصر ومجيء بطليموس الرابع ملك مصر سنة ٣١٧ ق . م لرد انطونيوس الكبير ملك سوريا عن مصر كما سترى في باب التاريخ

وفي اخبار فتح عمرو بن العاص لمصر سنة ١٨هـ ٦٣٩م : ان عمر بن الخطاب ألحقهُ بكتاب وهو في الطريق ففضهُ عمرو في العريش وتلاه على أصحابه وهو : « ... أما بعد فان ادركك كتابي هذا وانت لم تدخل مصر فارجع عنها وأما اذاً ادركك وقد دخلتها أو شيئاً من أرضها فامضِ واعلم اني ممدُّك . فالتفت عمرو الى من حولهُ وقال أين نحن يا قوم فقالوا في العريش فقال وهل هي من أرض مصر أم الشام فاجابوا انها من مصر وقد مررنا بعمدان رفح أمس المساء فقال هلموا بنا اذا قياماً بأمر الله وأمير المؤمنين »

والظاهر أن حد مصر كان في زمن اليعقوبي الذي عاش في أواخر القرن الثالث للهجرة وابن الفقيه الهمذاني الذي عاش في القرن الرابع للهجرة في مكان يقال لهُ « الشجرتين »[1] قرب رفح : قال اليعقوبي في كتاب البلدان « . . ومن خرج من فلسطين مغرّباً يريد مصر خرج من الرملة .. الى مدينة غزة .. ثم الى رفح وهي آخر أعمال الشام ثم الى موضع يقال له « الشجرتين » وهي أول حد مصر ثم الى العريش وهي أول مسالح مصر وأعمالها .. » * وقال الهمذاني: « وطول مصر من الشجرتين اللتين بين رفح والعريش الى اسوان وعرضها من برقة الى ايلة وهي مسيرة اربعين ليلة في اربعين ليلة »

وفي تقويم البلدان لابي الفداء الذي توفي سنة ٧٢٣هـ ١٣٢٣م «حد ديار مصر الشمالي بحر الروم من رفح العريش ممتداً على الجفار الى الفرما الى الطينه الى دمياط الى ساحل رشيد الى الاسكندرية الى ما بين الاسكندرية وبرقة . والحد الغربي مما بين الاسكندرية وبرقة على الساحل آخذاً جنوباً الى ظهر الواحات الى حدود

---

(١) تشير احدي الوثائق المؤرخة بعام ١٨٨٢ إلى وجود الشجرتين وعامودي الحدود كعلامة تفرق بها الحدود المصرية من الحدود الشامية . راجع: صبري أحمد العدل، سيناء في التاريخ الحديث، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٤، ص٤٨ .

النوبة . والحد الجنوبي من حدود النوبة المذكورة آخذاً شرقاً الى اسوان الى بحر القلزم . والحد الشرقي من بحر القلزم المذكور قبالة اسوان الى عيذاب الى القُصَير الى القلزم (السويس) الى تيه بني اسرائيل ثم ينعطف شمالاً الى بحر الروم الى رفح العريش حيث ابتدأنا »

وجاء في تاريخ مصر الحديث بالفرنساوية للموسيو « أمادي ريم » عند ذكره زحف نابليون على سوريا بطريق العريش ما ترجمتهُ :

« فاستأنف الجيش السير في ٢٤ فبراير سنة ١٧٩٩ م . وفي الطريق حيَّا العُمُد المشيدة في الصحراء لتعيين الحد بين أفريقيا وآسيا حتى وصل خان يونس » اه وهو يعني عُمُد رفح لانهُ ليس في الطريق قبل خان يونس عمد غيرها

وجاء في أسفار المستر « وليم وِتمن » الذي رافق الحملة العثمانية الى العريش سنة ١٨٠١ ما ترجمتهُ: « وفي ٢٩ مارس سنة ١٨٠١ خرجنا من خان يونس قاصدين العريش و بعد مسيرة نحو ساعتين وصلنا الحدود التي تفصل آسيا عن أفريقيا وهناك استرحنا قليلاً عند بئر ثم واصلنا السير فمررنا بين عمودين من الغرانيت المصري قيل انهما أقيما هناك لتعيين الحد بين القارتين » اه . وهو يعني بئر رفح وعمودَي الحدود

وفي سنة ١٨٦٩ م نشر محمد قدري بك كتاباً في تاريخ مصر وجغرافيتها . ثم نشر محمد امين فكري بك جغرافيتهُ سنة ١٨٧٩م . فاثبتا حد مصر عن أبي الفداء

والمشهور ان اسماعيل باشا الخديوي الاسبق زار رفح في أوائل ملكهِ فرأى عمودين من الغرانيت قائمين تحت سدرة قديمة ومعروفين انهما الحد بين مصر وسوريا فأقرَّ ذلك

وزار عباس باشا حلمي الثاني خديوي مصر الحالي عمودَي رفح سنة ١٨٩٨ فامر فنُقش على العمود الذي الى جهة مصر تاريخ زيارتهِ للحدود كما سيجيء * ولما ذهبتُ الى الحدود سنة ١٩٠٦ صرَّح لي بدو تلك الجهات انهم منذ نشأتهم يرون هذين العمودين ويعلمون انهما الحد بين مصر وسوريا وأنهم ورثوا هذا العلم عن الآباء والاجداد * ولعل ما أوجب أن تكون رفح الحد بين مصر وسوريا موقعها الطبيعي فهناك يقل المطر وينتهي الخصب ويبدأ رمل الجِفار الذي يمتد الى الدلتا

« مر أيضاً » وأما أيلة فقد جاء في كتاب أحسن التقاويم في معرفة الاقاليم لشمس الدين المقدسي المعروف بالبشاري الذي عاش سنة ٣٧٥ هـ ٩٨٥ م : «وفي ايلة تنازع بين الشاميين والمصريين والحجازيين واضافتها الى الشام أصوب لان رسومهم وأرطالهم شامية» * وحسبها الهمذاني آخر حد مصر من جهة الغرب كما مر * واستولى الصليبيون على ايلة فخرج صلاح الدين الايوبي من مصر سنة ٦٦٥ هـ ١٢٦٦م فاسترجعها منهم وجعل فيها حامية من رجاله . وما زالت عساكر مصر تحمي ايلة ثم العقبة خليفتها الى أن تسلمتها الدولة العلية من مصر سنة ١٨٩٢ م كما سيجيء * وقال أبو الفداء في الكلام عن ايلة : « وهي في زماننا برج وبهِ والٍ من مصر » * وذكرها المقريزي الذي عاش في القرن التاسع للهجرة فقال : « وايلة أول حد الحجاز .. وكانت حد مملكة الروم في الزمن الغابر » * وقال صاحب كتاب درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة الذي زار مكة بطريق ايلة سنة ٩٥٥ هـ ١٥٤٨ م : « وايلة آخر حد مصر وأول الحجاز »

وخلاصة ما تقدم أن التاريخ يدل على أن رفح أو شجرتين في ضواحيها هي أول حد مصر الشرقي من جهة البحر المتوسط وايلة المعروفة الآن بالعقبة كانت تعتبر تارة في الحجاز وتارة في مصر ولكنها كانت في أغلب الاحيان تابعة لمصر . أما اللجنة التي نُدِبت لتعيين الحدود سنة ١٩٠٦ فقد أبقت على رفح الحد بين مصر وسوريا ولكنها أُلحقت أيلة بالحجاز وجعلت رأس وادي طابا قرب جزيرة فرعون الحد بين الحجاز وسينا كما سيجيء مفصلاً

هذا وطول الخط الفاصل من رأس طابا الى رفح نحو ١٥٠ ميلاً فيكون محيط شبه جزيرة سينا نحو ٦٣٠ ميلاً كما يأتي :

ميل		ميل	
١٣٠	البحر المتوسط من رفح الى بور سعيد بطريق الشاطئ	٣٨٠	ما قبله
١٠٠	ترعة السويس	١٠٠	خليج العقبة
١٥٠	خليج السويس	١٥٠	الخط الفاصل الشرقي
		٦٣٠	المجموع

وطول الجزيرة من البحر المتوسط الى رأس محمد نحو ٢٣٠ ميلاً . وعرضها من السويس الى رأس طابا نحو ١٥٠ ميلاً. ومساحتها بوجه التقريب ٢٥ الف ميل مربع

الفصل الثانى
في
﴿ أقسامها وأراضيها ﴾

تقدم أن المصريين القدمآء سموا سينآء بلاد الجدب والعرآء . وسماها اليونان العربيّة الصخرية . وعرفت في التوراة باسم حوريب أي الخراب . فوصفوها بهذه الاسمآء الموجزة أبلغ وصف . فانك كيف ذهبت في الجزيرة لا ترى الاّ جبالاً قاحلة وسهولاً مجدبة ورمالاً محرقة . ولولا القليل من الامطار التي تنتابها في فصل الشتآء – فتعدّ بعض بقاعها للزراعة وتترك في أوديتها القليل من الاعين والآبار وأنواع الشجر والعشب الذي ترعاهُ الابل والاغنام – لما رأيت فيها أثراً للحياة . فالبلاد على اتساعها وكثرة جبالها قليلة الامطار قليلة المياه قليلة النبت والزرع والضرع والسكان . وهي تنقسم بحسب طبيعة أرضها الى ثلاثة أقسام كبيرة وهي :
١ . بلاد الطور في الجنوب * ٢ . بلاد التيه في الوسط * ٣ . بلاد العريش في الشمال

﴿ ١ . بلاد الطور ﴾

أما بلاد الطور فهي شبه الجزيرة نفسها الواقعة بين شطري البحر الاحمر كما مرّ. ومساحتها بوجه التقريب نحو عشرة آلاف ميل مربع . وهي بلاد جبلية وعرة ولعلها أوعر بلاد جبلية على سطح الكرة الارضية فترى الجبال فيها متراكمة بعضها فوق بعض كأنها بحر عجّاج متلاطم الامواج قد أُمر بغتة أن يجمد فجمد كما كان في ابّان هياجهِ . وهذه الجبال تعلو في الوسط وتنحدر تدريجاً الى الشرق والغرب فتسيل منها الاودية الى خليج العقبة وخليج السويس

﴿ سهولها ﴾ ثم أن جبال هذه البلاد الشرقية تقتحم خليج العقبة حتى تكاد تغوص فيهِ فلا تترك الا طريقاً ضيقاً على شاطئهِ . ولكن جبالها الغربية تنحسر عن خليج السويس في اكثر جهاتهِ فتترك وراءها ثلاثة سهول رملية عظيمة وهي من الشمال:

« سهل الراحة » بين جبال الراحة وخليج السويس ويمتد من شط السويس الى جبل حمَّام فرعون عند ميناَء ملعب مسافة نحو ٦٠ ميلاً . في رأسهِ واحة عيون موسى وسيأتي ذكرها . وفي وسطهِ « المَبَج » وهو سهل كثير الحصى بين وادي الاحثا ووادي العمارة طولهُ نحو ٢٥ ميلاً اشتهر في القرن الغابر بوقعة دموية بين العوارمة والعزازمة

« وسهل المرخاَء » يبدأ من ميناَء ابو رديس ويمتد جنوباً نحو خمسة عشر ميلاً الى مصب فيران . والمشهور أنهُ السهل المعروف في التوراة ببرية سين حيث تذمر الاسرائيليون من الجوع فأُرسل لهم المنّ والسلوى لاول مرة (خروج ص ١٦ عد ١)

« وسهل القاع » يبدأ حيث ينتهي سهل المرخاَء ويمتد جنوباً الى رأس محمد مسافة تسعين ميلاً تقريباً وعرضهُ عند مدينة الطور نحو ١٤ ميلاً .ولكنهُ من مصب فيران الى مدينة الطور يتقهقر نحو البر فيفصل بينهُ وبين البحر جبال مستطيلة قليلة الارتفاع أشهرها جبل حمام موسى وجبل الناقوس وسيأتي ذكرهما

﴿ الرملة ﴾ وفي الشمال الغربي من بلاد الطور مما يلي جبال التيه سهل رملي فيَّاح يدعى « الرملة » وفيهِ قبران يُزاران : قبر الشيخ حُبوس في وسطها ، وقبر الشيخ القُرَيّ في غربيها ، وقد عُرف هذا القسم برملة القرَيّ نسبة اليهِ وعرف القسم الجنوبي الشرقي منها برملة حُمَيّر نسبة الى جبل هناك يعرف بهذا الاسم

ويعرف السهل المرتفع الجامد التربة عندهم بالعِلْو من ذلك : « عِلو العَجْرميّة » على نحو أربع ساعات من الدير غربي وادي الشيخ ومساحتهُ نحو ستين ميلاً مربعاً .

« وعلو سَنَد » على نحو ساعة الى الشرق من النبي صالح ومساحتهُ نحو ٢٠ ميلاً مربعاً

هذا وتعرف « بالفارعة » جميع البلاد الواقعة ضمن دائرة تمتد من نقب حبران فنقب هاوة فالوطية فرأس سعال فجبل الظلل فوادي السيق فوادي بَرَق فبويب فيران الى أن تعود الى نقب حبران.وهي تشمل علو العجرمية وقسماً كبيراً من وادي الشيخ

ووادي الاخضر وفروعهما . وفي اللغة فارعة الطريق اعلاهُ ومنقطعهُ وفارعة الجبل أعلاه يقال « انزل بفارعة الوادي واحذر أسفلهُ ».

هذا وليس في بلاد الطور كلها من المدن العامرة الا مدينة الطور وسيأتي ذكرها

﴿ ٢ . بلاد التيه ﴾

وأما بلاد التيه وتعرف أيضاً ببرية التيه فهي سهل عظيم مقفر جامد التربة يتخللهُ بعض الجبال وتغطيهِ طبقة رقيقة من فتات الصوان مساحتهُ نحو عشرة آلاف ميل مربع وعلوهُ نحو ١٥٠٠ قدم عن سطح البحر . ويخترقهُ من الجنوب الى الشمال وادي العريش العظيم وفروعهُ . وفي وسطهِ بلدة نخل الشهيرة وسيأتي ذكرها وذكر وادي العريش تفصيلاً

ويفصل بين بلاد التيه و بلاد الطور سلسلة عظيمة من الجبال تعرف « بجبال التيه » تمتد من تجاه السويس الى تجاه العقبة في شكل قوس عظيمة تحديبها الى الجنوب . والمشهور أنها البلاد التي تاه فيها بنو اسرائيل ومن ذلك اسمها * وقد سألت بعض مشايخها عن سبب تسمية بلادهم بالتيه فقالوا : « خرج سيدنا موسى من جبل الطور ومعهُ أربعون نبياً قاصدين القدس الشريف فلما دخلوا التيه اختلفوا في الطريق الموصل الى القدس فذهب موسى في طريق أوصلتهُ اليها في بضعة أيام وذهب الاربعون نبياً في طريق أخرى فدخلوا برية التيه وتاهوا فيها أربعين سنة فسميت بالتيه »

﴿ ٣ . بلاد العريش ﴾

وأما بلاد العريش فهي سهول متسعة من الرمال يتخللها بقاع صالحة للزراعة . مساحتها بالتقريب نحو خمسة آلاف ميل مربع . وحدها الطبيعي من الجنوب الفاصل بينها و بين بلاد التيه جبل المغارة . وحدها الاداري الذي عين لها سنة ١٨٩٥ يبدأ من ميناء رفح على البحر المتوسط ويمتد على درب الحجر حتى يلاقي الدرب المصري عند صنْع المنيعي فيسير معهُ الى ذراع الحُرّ شرقي القُرَيعي ثم ينحرف عنهُ غرباً الى رجم القَبَلين فريسان عُنَيزة فعجيرة الحادّ فالآجِمَة فحماد الضبعان فالشيخ حُمَيد

فالخُرَيق فنقب المُرَيحيل فأبورجوم فالغُرَيرة فأم ضَيّان فالمَرْقب فالحَمّة فكثيب حَبَشي الى البحيرة المرة في ترعة السويس * ولكن هذا الحد قد امتد شرقاً سنة ١٩٠٦ كما سيجيءُ ولا يوافق تقسيم القبائل اذ يشطر القبيلة الواحدة شطرين شطراً تابعاً في الادارة لبلاد العريش والشطر الآخر لبلاد التيه فلا بدّ من اعادة التحديد

﴿ الجِفار ﴾ وقد أطلق مؤرخو العرب على معظم بلاد العريش اسم الجفار لكثرة الجفار بأرضها . والجفار جمع جَفر وهي البئر الواسعة القريبة القعر لم تطوَ .

وأشهر أراضي هذه البلاد :

«الجورة» على نحو ست ساعات شرقي مدينة العريش وأربع ساعات جنوبي رفح . ومساحتها نحو مئة ميل مربع وهي أخصب بلاد العريش وأجودها تربة ويزرع فيها القمح والشعير والذرة وقد أحاطت بها الرمال من كل الجهات كسورٍ ومن ذلك اسمها * وفي طرفها الشمالي الشرقي خرائب متسعة من عهد الرومان في الارجح تعرف « بخربة الرُّطَيل » منسوبة الى مسلم بن سبيتان الرُّطَيل من قبيلة السواركة صاحبها الحالي . وهناك آثار قلعة وابنية فخمة مبنية بالحجر المنحوت وبئر بعيدة القعر مطوية بالحجر المنحوت ايضاً عمقهــا ٢٢ باعاً [(١)] . وقد ردمت البئر من عهد بعيد فحاول أصحابها ترميمها فلم يفلحوا لقلة وسائطهم وشدة عمق البئر فرممهــا محافظ سيناء سنة ١٩٠٨ . وقد شاهدت هذه الخربة سنة ١٩٠٦ فاخبرني أهلها انهم طالما لقوا فيها قطعاً من النقود القديمة وكان على بعضها رسم الصليب

« والعُجرة » وهي متسع عظيم من الكثبان شرقي الجورة تتخللها بقاع زراعية . وفي وسطها بقعة متسعة مربعة الشكل تدعى « المربَّعـة » اخترقها الحد الشرقي الجديد فوقع قسم كبير منها في حد سيناء

« والبَرث » جنوبي الجورة وغربي العجرة ويمتد جنوباً الى وادي الابيض وهو سهل رملي مرتفع تكسوهُ الاعشاب التي ترعاها الابل

« وقَطية » وهي غوطة كبيرة من النخيل في طريق العريش فيها آثار قديمة العهد وسيأتي ذكرها تفصيلاً

---

(١) هناك إضافة من التصويب [وذلك قبل ترميمها، فقد ظهر الماء فيها على عمق ٨٠ متراً] .

« والزُّقبة » وهي قطعة كبيرة من الجفار مرتفعة التربة تنحصر بين بحيرة بردويل وطريق العريش شمالاً وجنوباً وبين بئر العبد وقطية شرقاً وغرباً . قيل مساحتها نحو مئة ألف فدان وفيها بقاع كثيرة صالحة للزراعة تزرع بطيخاً وشعيراً وفيها بعض النخيل . ومعظم سكانها من عرب هُتَيم الدواغرة . وقد دخلت في أملاك الحكومة المصرية في عهد المغفور لهُ توفيق باشا وكانت الحكومة تؤجرها بالمزاد العلني الى سنة ١٩٠٧ ثم تركتها للقبائل القاطنة فيها والمجاورة لها لتزرعها وتنتفع بها ولكنها لم تعطهم حق بيعها

«ودبَّات الغرابيَّات» وهي كثبان عظيمة من الرمال بين قطية و بئر الدوَيدار تخترقها طريق العريش

وليس في هذه البلاد كلها الآن من المدن العامرة سوى مدينة العريش وحلة الشيخ زوّيد وسيأتي ذكرها * ولقد كانت في القديم أعمر منها اليوم :

قال شمس الدين المقدسي الذي عاش سنة ٣٧٥هـ ٩٨٥م في كتابهِ أحسن التقاويم في معرفة الاقاليم : « فاما الجفار فقصبتها الفرما ومدنها البقارة والورّادة والعريش » وقال ياقوت الحموي المتوفي بحلب سنة ٦٢٦هـ ١٢٢٩م : «الجفار مسيرة سبعة أيام بين فلسطين ومصر أولها رفح من جهة الشام وآخرها الخشبي متصلة برمال تيه بني اسرائيل والخشبي بينهُ وبين الفسطاط ثلاث مراحل فيهِ خان وهو أول الجفار من ناحية مصر وآخرها من ناحية الشام . قال أبو العز مظفر بن ابراهيم الضرير العيلاني معتذراً عن تأخره لتلقي الوزير الصاحب صفي الدين بن شكر وكان قد تلقى الى هذا الموضع :

قالوا الى الخشبي سرنا على لهفٍ　　نلقى الوزير جموعاً من ذوي الرتبِ
ولم تسر قلتُ والمولى ونعمتـهِ　　ماخفتُ من تعبٍ ألقى ولا نصبِ
وانما النار في قلبي لغيبتـهِ　　خفتُ أجمع بين النارِ والخشبِ

وفي الجفار الآن نخل كثير ورطب جيد وهو ملك لقوم متفرقين في قرى مصر يأتون أيام لقاحهِ فيلقحونهُ وأيام ادراكهِ فيجنونهُ وينزلون بينهُ بأهاليهم في بيوت من سعف النخل والحلفاء . وفي الجادَّة السابلة الى مصر عدة مواضع عامرة

يسكنها قوم من السوقة للمعيشة على القوافل وهي رفح والقلس والزعقا والعريش والورادة وقطية وفي كل موضع من هذه المواضع عدة دكاكين . قال المهلبي وأعيان مدن الجفار العريش ورفح والورادة . والنخل في جميع الجفار كثير وكذلك الكروم وشجر الرمان وأهلها بادية متحضرون وجميعهم في ظواهر مدنهم أجنة وأملاك واخصاص فيها كثير منهم ويزرعون في الرمل زرعاً ضعيفاً يؤدون منهُ العشر وكذلك يؤخذ من ثمارهم . ويقطع في وقت من السنة الى بلدهم من بحر الروم طير من السلوى يسمونهُ المرغ يصيدون منهُ ما شاء الله يأكلونهُ طرياً ويقتنونهُ مملوحاً . ويقطع أيضاً اليهم من بلد الروم على البحر في وقت من السنة جارح كثير فيصيدون منهُ الشواهين والصقور والبواشق وقل ما يقدرون على البازي وليس لصقورهم وشواهينهم من الفراهة ما لبواشقهم . وليس يحتاجون لكثرة أجنتهم الى الحراس لانهُ لا يقدر أحد منهم يعدو على أحد لان الرجل منهم اذا أنكر شيئاً من حال جنانهِ نظر الى الوطء في الرمل ثم قفا ذلك الى مسيرة يوم ويومين حتى يلحق من سرقهُ . وذكر بعضهم انهم يعرفون أثر وطء الشاب من الشيخ والابيض من الاسود والمرأة من الرجل والعاتق من الثيب فان كان هذا حقاً فهو من أعجب العجائب» اه

﴿ بحيرة بردويل ﴾ ومن أشهر بلاد العريش « بحيرة بردويل » وهي بحيرة عظيمة تمتد من خرائب الفلوسيات على نحو عشرة أميال غربي العريش الى خرائب المحمدية على نحو ثمانية أميال شرقي الفرما . طولها نحو ٥٨ ميلاً وعرضها يختلف من نصف ميل الى عشرة أميال . ولها فم ضيق تدخل منهُ مياه البحر المتوسط شرقي القلس والقلس كثيب عظيم من الرمال يمتد نحو ميلين على شاطئ البحر عند منتصف البحيرة وعليهِ خرائب بلدة قديمة طمرتها الرمال . وهناك بئر عذبة المآء في وسط كثبان عظيمة من الرمال . وفي الصيف ينحسر الماء عن مكان مرتفع في البحيرة في جهتها الشرقية يدعى «بركة الجمل» فينفصل منها بحيرة صغيرة تدعى « بحيرة الزرانيق »[1] طولها أربعة أميال وعرضها نحو ميلين ولها فم ضيق شرقيها قرب الفلوسيات تدخل منه مياه البحر . وهذه البحيرة تعود في الشتآء فتتصل ببحيرة

---

(١) تطلق الوثائق عليها "أشتوم الزرانيق" .

بردويل فتصبح معها بحيرة واحدة . وهي التي كانت معروفة قديماً باسم بحيرة سربونيوس . وبين هذه البحيرة والبحر الابيض ذراع مرتفع من البر الثابت في طريق المسافر الى العريش من الفرما يُعبر الماء فيها بقارب مرتين : مرة عند فم البردويل شرقي القلس ومرة عند فم الزرانيق عند الفلوسيات . ولا يزيد عمق المآء في البحيرتين عن مترين او ثلاثة أمتار وقد يكون عمقهُ في بعض الجهات شبراً أو أقل من شبر . ويكثر فيهما السمك الذي يصنع فسيخاً فيستخرج منهما مقادير كبيرة من السمك كل سنة

اما بحيرة الزرانيق فقد كانت الحكومة تؤجرها بالمزاد العلني بنحو مئة وخمسين جنيهاً في السنة الى سنة ١٩٠٣ فاباحت الصيد فيها للأهلين[١] . واما بحيرة البردويل فالحكومة تؤجرها الآن بالف جنيه في السنة وملتزموها هم باسيلي بك عريان وعويس افندي السيد وشركاهما . وفي رجوعي من العريش بطريق الفرما سنة ١٩١٠ وجدت وكيلاً للشركة عند فم البحيرة فسألتهُ عن كيفية الصيد في البحيرة فقال :

« نقفل فم البحيرة في اول مايو ونشرع في صيد السمك بالفلائك والعدد الى اوائل اوغسطس فنفتح فم البحيرة قليلاً لتجديد المآء والسمك ونصيد السمك بالشباك الى اوائل نوفمبر فنفتحهُ ملياً ونترك الصيد الى اوائل مايو فنعود اليهِ وهكذا »

وقد جعلوا في البحيرة كرّاكة تدار على الدوام لتطهيرها من الرمال . وهم في ايام المواسم يستخرجون من ١٥٠ الى ٢٠٠ برميل من السمك في اليوم وكلهُ يصنع فسيخاً ويؤتى بهِ الى مصر فيدخل في المتجر

وبلاد العريش كبلاد التيه تنحدّر تحدّراً تدريجياً لطيفاً من الجنوب الى الشمال حتى تصل البحر المتوسط . وقد سميت بلاد العريش نسبة الى مدينة العريش التي هي اشهر مدنها . ويسمي أهل سينآء بلاد التيه الجامدة التربة بارض الجَلَد وبلاد العريش الرملية بارض الدَّمث . على ان القسم الغربي من بلاد التيه رملي كبلاد العريش.

ويؤكد الخبيرون بعلم الجيولوجيا ان بلاد سينآء كلها كانت في الاعصر الجيولوجية مغمورة بالبحر المتوسط ثم انحسر عنها تدريجاً الى حدّه الحالي قبل التاريخ بازمان

---

(١) كانت المصايد طوال القرن التاسع عشر تسير وفق نظام الالتزام لمن يدفع أعلى سعر في السنة، وقد سري هذا الوضع علي بحيرة البردويل والزرانيق حتي عام ١٩٠٣ حين صدر قرار حكومي باتباع نظام الضريبة وإباحة الصيد نظير تراخيص يحصل عليها الصيادون. راجع عباس عمار، المدخل الشرقي لمصر أو شبه جزيرة سيناء كطريق للمواصلات ومعبر للهجرات البشرية، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، المجلد ٢١، القاهرة ١٩٤٦، ص ١٥٤.

الفصل الثالث

في

﴿ جبالها ﴾

١ . جبال بلاد الطور

أشهر جبال بلاد الطور :

﴿ جبل طورسيناء ﴾ واليهِ تنسب الجزيرة كلها كما مرّ . وهو واقع على نحو ستين كيلومتراً الى الشمال الشرقي من مدينة الطور . وفي تقاليد رهبان سيناء انهُ الجبل المعروف في التوراة بجبل حوريب او جبل سيناء او جبل الله اي الجبل الذي جاءهُ موسى النبي لرعي غنم حميهِ يثرون كاهن مَدْيَن فظهر له الرب في عليقة مشتعلة وأمرهُ بالعود الى مصر وانقاذ بني اسرائيل من الأسر (خروج ص ٣ : ٤) ، والجبل الذي نزل عندهُ موسى بعد خروجهِ بالاسرائيليين من مصر وتجلى لهُ الرب فانزل عليهِ الشريعة (خروج ص ١٩) والجبل الذي جاءهُ ايليا النبي بعد سفر شاق من « بئر سبع » دام اربعين نهاراً واربعين ليلة فبات في مغارة وكلمهُ الرب بعد زلزلة عظيمة « بصوت منخفض خفيف » (ملوك ص ١٩) * وهذا الجبل مؤلف من عدة قمم تدعى جبالاً اعلاها وابهاها :

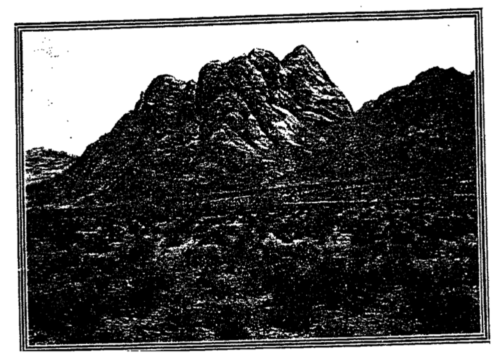
« جبل موسى » يقع في عرض شمالي ٦ً ٣٢ َ ٢٨ ° وطول شرقي ٣٨ً ٥٨ َ ٣٣ ° ويعلو نحو ٧٣٦٣ قدماً عن سطح البحر * وقد بُني على رأسهِ كنيسة صغيرة لرهبان دير سيناء وجامع أصغر منها بل الجامع عبارة عن كوخ من الحجارة الغشيمة . تسلقت قمة هذا الجبل في يوم صحو سنة ١٩٠٥ فرأيت منها معظم بلاد الطور وجانباً من خليج العقبة وقد أرسلت الشمس أشعتها الذهبية على تلك الجبال المتراكمة بعضها فوق بعض على مدى النظر وكان المنظر من أبدع ما رأت العين وجمّلت الطبيعة ، وقد ترك في نفسي أثراً من فخامة سيناء لا تمحوه الايام



ش ٥ : شاهق في قمة جبل موسى

« وجبل المناجاة » شمالي جبل موسى . يدل عليهِ البدو أنهُ الجبل الذي عليهِ ناجى الله موسى ومن ذلك اسمهُ . وهو يعلو نحو ٦٠٠٠ قدم عن سطح البحر . وينشأُ من منقلبهِ الغربي وادٍ صغير يفيض في وادي الشيخ يدعى وادي الدير سُمّي كذلك لأنهُ قام على جنبهِ الأيسر « دير طور سيناء الشهير » الآتي ذكرهُ تفصيلاً

« وجبل الصفصافة » الى الشمال الغربي من جبل موسى سمي كذلك لأن في سفحهِ الشرقي صفصافة . وهو يعلو نحو ٦٧٦٠ قدماً عن سطح البحر * ويطلُّ على سهل فسيح غربيّهِ يدعى «سهل الراحة» تبلغ مساحتهُ نحو ميل مربع ويعلو نحو ٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر * والى طرف هذا السهل الشرقي عند مصب وادي الدير وعلى نحو ميل غربي الدير تل صغير عليهِ كوخ من الحجارة الغشيمة يُدعى « مقام النبي هارون»



ش ٦٠ : جبل الصفصافة وسهل الراحة

والذي عليهِ اكثر المحققين الآن ان جبل الصفصافة هذا هو الجبل الذي وقف عليهِ موسى عند القائهِ الوصايا العشر على الاسرائيليين ، وان سهل الراحة هو السهل الذي وقف فيـــهِ الاسرائيليون عند تلقيهم تلك الوصايا (خروج ص ١٩) وأن التل الذي عليهِ مقام النبي هارون الآن هو التل الذي عليهِ عبدَ الاسرائيليون العجل الذهبي العجل الذي صنعهُ لهم هارون في غياب موسى في رأس الجبل (خروج ص ٣٢)

هذا وبدو الجزيرة يزورون جبل موسى ومقام النبي هارون مرّة في كل سنة في الصيف ويذبحون لهما : يضربون خيامهم في سهل الراحة عند مقام النبي هارون ثم يصعدون الى قمة جبل موسى ومعهم الذبيحة من ماعز أو ضان فيذبحونها في

مكان معين شرقي الجامع ويسلخون جلدها ثم ينزلون بهـا الى المخيّم أو يكتفون بتشريط اذنيها على قمة الجبل وينزلون بها حية فيذبحونها ويأكلونها في المخيّم *

وفي اليوم التالي يعيّدون للنبي هارون فيذبحون لهُ جملاً . واكثر البدو محافظة على هذه الذبائح الجباليّة ثم الصوالحة ثم العليقات ومزينة

وقد تقدم أن قمة جبل موسى هي أعلى قمة في طور سيناء وأبهاها وهي بهذه الصفة أحق باسم بطل الجبل من كل قمة سواها . وقد يُطلق اسم جبل موسى على طور سيناء كلّهِ

وقال المطران پورفيريوس مطران سيناء الحالي معللاً اسمَي التوراة لهذا الجبل : ان القمة المعروفة الآن بجبل موسى هي «جبل سيناء» وسائر الجبل «جبل حوريب»

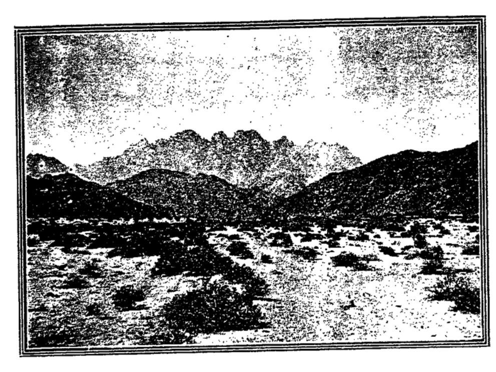
﴿ وجبل القديسة كاترينا ﴾ بجانب جبل موسى الى الجنوب الغربي منهُ . ولهُ ثلاث قمم ارتفاع اعلاها ٨٥٣٦ قدماً عن سطح البحر وهي أعلى قمة في سيناء كلها . وقد سمي الجبل بهذا الاسم لان في تقاليد الرهبان ان الملائكة قديماً حملت جثة القديسة كاترينا من محل استشهادها في الاسكندرية سنة ٣٠٧ م ونزلت بها على رأس هـذا الجبل ! ولكن لم يبق من الجثة الاّ الجمجمة وعظم احدى اليدين وهما محفوظان في صندوق خاص في هيكل كنيسة الدير الى اليوم

قيل ومن قمة هـذا الجبل في يوم صحو يُرَى خليج العقبة كما يرى خليج السويس . وعلى قمتـهِ كنيسة بناها رهبان الدير سنة ١٩٠٥ م وبنوا بجانبها غرفة يستريح فيها الزوار وصهريجاً يجمع فيه ماء المطر

﴿ والجبل الاحمر ﴾ سمي بذلك لحمرة تربتهِ ، وهو واقع الى الغرب من جبل سيناء على نحو عشرة أميال منهُ ويمتد شمالا بجنوب مسيرة يوم او اكثر . ومن فروع هذا الجبل:

« جبل الفُريع » وهو جبل حصين تسيل منه أودية شتى فيها عدة جنان للفاكهة

« ونقب هاوة » او نقب الهاوية وهو نقب شهير تمرّ فيه طريق مختصرة قريبة من السويس الى الدير . في أعلاهُ صخر شُقّ من الوسط يدعى «مضرب سيف عُدَيّ» . قيل ان جباراً في الجاهلية ضربهُ بسيفهِ فشطره شطرين ! وفي هذا النقب عدة صخور نبطية وينابيع غزيرة يجف اكثرها في الصيف



ش ٧ : جبل سربال

﴿ وجبل سربال ﴾ وهو اشهر جبال سيناَء بعد جبل موسى . واقع الى الشمال من مدينة الطور والغرب من جبل موسى على نحو ثلاثين ميلا من كل منهما . وهو يطلّ على مدينة الطور ويحجبهُ عن جبل موسى الجبل الاحمر . ولهُ خمس قمم تمثّل تاجاً عظيماً في شكل نصف دائرة ارتفاع اعلاها نحو ٦٧٣٠ قدماً عن سطح البحر ونحو ٤٠٠٠ قدم عن وادي فيران الشهير في سفحهِ الشمالي

وقد ذهب بعضهم ان اسم سربال مختذل من سرب بعل او نخيل الاله بعل اشارة الى نخيل فيران في سفحهِ وان الناس كانت تقدسهُ وتحج اليهِ قبل النصرانية بل قبل الخروج باجيال . ونرى الآن في الطريق اليهِ من وادي فيران حجارة أثرية قد نقش عليها اسماَء الزوار الذين لم ينقطعوا عن زيارتهِ حتى القرن الثالث للمسيح ، وفي سفحهِ خرائب دير قديم وكنيسة مبنية بالحجر المنحوت ومغاور للنساك * . وهو في رأي بعض المحققين جبل حوريب وجبل سيناَء المذكورين في التوراة لا الجبل المعروف الآن بطور سيناَء غير ان جبل طور سيناَء اكثر انطباقاً على رواية التوراة من جبل سربال وسنعود الى ذلك تفصيلاً في باب التاريخ

﴿ وجبل البنات ﴾ وهو جبل عظيم تجاه سربال يفصل بينهما وادي فيران . وقد كثرت الروايات في سبب تسميتهِ بهذا الاسم واشهرها : ان بعض بنات البادية فررن من أهلهن للتخلص من الزواج بمن لم يحببنَ ولجأنَ الى هذا الجبل فطاردوهنَّ اليهِ فعقدن ضفائرهنّ بعضها لبعض ورمين بانفسهن الى الوادي وذهبن شهيدات الحرية

وأكد لي راهبٌ من رهبان دير سيناء انهُ كان على هذا الجبل قديماً دير للراهبات فان صحّ هذا النبأ فلايبعد أن يكون بعض العربان قد هاجموا الدير وحاولوا اغتصاب الراهبات فرمين بانفسهن الى الوادي خوف الفضيحة وكانت هذه الرواية

﴿ وجبل أم شومر ﴾ يطل بعظمتهِ من الشرق على مدينة الطور من عبر سهل القاع فيزيد موقع المدينة رونقاً وبهاءً . وهو يعلو ٨٠٠٠ قدم ونيفاً عن سطح البحر . وهو ، بقطع النظر عن ارتفاع الارض القائمة عليها الجبال ، أعلى جبل في سيناء كلها

« قُرين عَتوت » وينفرد عن جبل أم شومر أكمة عظيمة في سهل القاع تدعى قرين عتوت على ١٦ ميلاً الى الجنوب الشرقي من مدينة الطور وتُرَى من كل جهات السهل . قيل ان عربان سيناء اغضبوا حكومة مصر في بعض السنين الغابرة فبعثت لتأديبهم كوكبة من الفرسان فجاؤا من السويس بطريق البر حتى انتهوا الى مصب وادي فيران عند رأس القاع الشمالي فلما درى العربان بهم لجأوا الى الجبال القاصيـة وبقيت عجوز شمطاء على رأس عتوت فأخذت تجمع الحطب الى أن دخل الليل فأوقدت ناراً رآها فرسان مصر فظنوها نار القوم فاسرعوا نحوها مغيرين على خيلهم وهم يظنونها قريبة منهم وما زالت العجوز تمد النار بالوقود والفرسان مغيرة نحوها في ذلك السهل الفسيح حتى كلّت الخيل وسقط اكثرها ميتاً . وبلغ أشدّ الفرسان الأكمة عند الفجر وكانت العجوز قد هجرتها فلم يروا عليها الاّ أثر النار فانقلبوا راجعين

﴿ وجبل حمام موسى ﴾ وهو جبل صغير على خليج السويس على أربعة اميال من مدينة الطور فيه سبعة ينابيع كبريتية حارة . وقد بنى المغفور لهُ سعيد باشا فوق أحدها حماماً لا تزال آثاره باقية الى الآن . وبقرب هذا الجبل ميناء «أبو صُوَيرة»

﴿ وجبل الناقوس ﴾ وهو جبل صغير شديد الانحدار مكسو بالرمال على شاطئ الخليج على نحو ٨ أميال شمالي جبل حمام موسى . وفي جوارهِ ميناء أبو قفص وقبر الشيخ البتّان . وفي هذا الجبل مظهر عجيب من مظاهر الطبيعة فانهُ كلما انهال الرمل في سفحهِ سُمع لهُ دويّ كصوت الناقوس ومن ذلك اسمهُ ٭ وقد كثرت الاقوال في تعليل ذلك وأشهرها ان الرمال بانهيالها تمرُّ على صخور مجوّفة في باطن الجبل فتُحدث ذلك الصوت

ولأهل البلاد حكاية خرافية فيه قالوا : كان في ذلك الجبل دير يسكنهُ جماعة من الرهبان فخرج عليهم البدو يوماً قصدَ قتلهم ونهب الدير فاستجار الرهبان بربّهم فهبت عاصفة وغطّت الدير بالرمال وحجبتهُ عن الابصار ! وحدث في أحد الايام ان مركباً غرق عند أبو صويرة فنجا منهُ رجل وأتى هذا الجبل عارياً جائعاً تعباً فحنّ لهُ الرهبان وفتحوا كوّة وادخلوهُ الى الدير واطعموهُ ثم زوّدوهُ بشيء من التمر وصرفوهُ . فدُهش النوتي من وجود ذلك الدير محجوباً بأعجوبة الهيّة عن عيون الناس وأراد ان يختطّ طريقاً يعود بها اليهِ فأخذ يأكل من التمر ويرمي النوى في الطريق فادرك الرهبان قصدهُ فاقتفى واحد منهم أثرهُ وأخذ يلتقط النوى من ورائهِ ثم رجع الى الدير وسدّ الكوّة فعدم النوتي السبيل الى قصده . قالوا ولا يزال الدير قائماً والعناية ترقب الرهبان فيهِ الى اليوم ! ولا بدّ لزوار دير طور سيناء الروسيين من زيارة هذا الجبل بعد زيارة الدير وحمام موسى تبركاً بهِ

﴿ وجبل حمّام فرعون ﴾ على شاطئ خليج السويس على نحو يومين من مدينة السويس . يخرج من سفحهِ نبع كبريتي يدعى « حمام فرعون » درجة حرارتهِ ١٥٧° وفم النبع على شاطئ البحر فيصب ماؤه رأساً في البحر . وعلى بضعة أمتار من فم النبع في منحدر الجبل مغارة كبيرة تتصل بمجرى النبع في بطن الجبل . وأهل سيناء يستحمون بهِ استشفاءً من الروماتزم والامراض الجلدية فهم ينزلون في البحر بعيداً عن فم النبع تجنباً لحرارتهِ ثم يقتربون من النبع تدريجاً حتى يصلوهُ فيصعدون الى المغارة المشار اليها وينامون فيها الى أن تبرد أجسامهم ٭ وقد زرت هذا

النبع مع أحد مشائخهم فلما دخلنا المغارة أوقد النار فيها فسألتهُ في ذلك فقال « هنا تسكن الملائكة فنوقد النار اكراماً لها » . وسألتهُ عن سبب تسمية النبع بحمام فرعون فأشار بيده الى البحر وقال: «هذه طريق موسى التي عبر بها البحر الاحمر وقد انشقّ لهُ البحر فمشى على اليابسة هو وقومهُ ثم تبعهُ فرعون فعادت المياه الى أصلها وكادت تخنقهُ ، فنادى موسى قائلاً انقذني يا موسى فقال لهُ موسى ادعُ ربك فدعا فرعون ربّهُ فقال لهُ الرب اما وقد طلبت شفاعة موسى أولاً فدع موسى ينقذك فنادى موسى ثانية فلم يُجبهُ فنفخ نفخة من كبدٍ حرّى فخرج من الجبل النبع الحار الذي تراهُ فسمي باسمهِ »!!

﴿ وجبل المغارة ﴾ في جنب وادي اقنه الأيمن على نحو ١٥ ميلاً من ميناء أبو رديس

﴿ وجبل سرابيت الخادم ﴾ جنوبي الرملة وعلى بعد يومين للحملة من ميناء ابو زنيمة

﴿ وجبل الصهو ﴾ بين جبل المغارة وجبل سرابيت الخادم

وهذه الجبال الثلاثة الأخيرة هي جبال الفيروز الشهيرة . وفي الأولين منها آثار جليلة من عهد الفراعنة وسيأتي ذكرها تفصيلاً

﴿ وجبل أبو مسعود ﴾ مسيرة يوم الى الجنوب الشرقي من الدير على نحو ٧٧٥٠ قدماً عن سطح البحر ، ويظن أن فيه المنغنيس والذهب .

﴿ وجبل الحديد ﴾ في جواره قيل سُمي بذلك لوجود الحديد فيهِ . وهناك خرائب بلدة قديمة للسكان الأصليين تعرف عندهم بالنواويس

﴿ جبال بلاد التيه ﴾

أشهر جبال بلاد التيه من الجنوب « جبال التيه » المار ذكرها الفاصلة بين هذه البلاد وبلاد الطور . وهي تقسم الى ثلاثة مجاميع كبيرة وهي :

﴿ جبال الراحة ﴾ في طرفها الغربي وهي تطل على رأس خليج السويس وبينهما سهل رمليٌّ فيّاح متوسط عرضهِ نحو عشرة أميال

﴿ وجبال خشم الطرف ﴾ في طرفها الشرقي تطلُّ على خليج العقبة ويقال لها « طرف الركن » ومنها فرع يدعى « جبل الطباقة »

﴿ وجبال العُجمة ﴾ في وسطها عند تحديب قوسها . ومنها فرع يمتد الى داخل التيه يدعى «شُوَيشة العجمة» فيه خرائب كثيرة تدلُّ على أنهُ كان في القديم أعمر منهُ اليوم

وهذه الجبال وعرة جدًّا لا تُسلك الاّ من خمسة أنقاب صعبة وهي مبتدئاً من الشرق : نقب الميراد ونقب المَرَيخي ونقب ورصآء ونقب الراكنة ونقب وطاه وأشهرها وأكثرها استعمالاً : « نقب الراكنة » في الطريق من مدينة الطور والرملة الى نخل . « ونقب المريخي » في الطريق من النويبع والدير الى نِخل

«جُبَيل حُسْن» هذا وينفرد عن جبل الراحة جبل صغير يقع على درب الحاج على نحو ٣٠ ميلاً غربي نخل يدعى جبيل حسن ، قيل في سبب تسميتهِ ان احد مماليك مصر حجَّ قديماً الى بيت الله الحرام فرأى في برية الحجاز وهو عائد الى مصر بدويةً بارعة الجمال تُدعى حسناً فاختطفها من أهلها وسار بها في قافلة الحجاج فتبعها شقيق لها قصد انقاذها ، ولما وصلت قافلة الحجاج الى هذا الجبل دخل المملوك هودج شقيقتهِ ونام فقطع البدوي مقود الجمل الذي يحمل الهودج وفصلهُ عن القافلة فاستيقظ المملوك وهمّ بالنزول من الهودج ليرى سبب انقطاعهِ فبادره البدوي بضربة سيفٍ قطع بها رجلهُ ثم اجهز عليهِ وركب الجمل مع شقيقتهِ وانقلب راجعاً الى قومهِ فسمّي هذا الجبل باسم شقيقتهِ وكان الأولى أن يسمَّى باسمهِ

ومن جبال التيه الشهيرة في الجنوب :

« جبل بَضيع » « وجبل المَنيدرة » « وجبل قلعة الباشا » وسيأتي ذكرها :

وأشهر جبال بلاد التيه من الشرق :

﴿ نقب العقبة ﴾ وهو جبل عظيم يطلُّ على رأس خليج العقبة وسفحهُ الشرقي على ٣ ¾ الميل من قلعة العقبة . ولهُ عدة قمم تدعى جبالاً أشهرها : «جبل الشنانة» . «وجبل أبو جدَّة» . «وجبل الردَّادي» وسيأتي ذكرها . ولقد كان هذا الجبل عقبة عظيمة في طريق الحج المصري فنقبت حكومة مصر فيه طريقاً منذ عهد بعيد فسمّي نقب العقبة وقد دخل معظمهُ في حد تركيا . وسيأتي ذكرهُ في الكلام عن الطرق

﴿ جبال الحمرآء ﴾ وهي دائرة عظيمة من الجبال في زاوية التيه الجنوبية الشرقية

في شمالي نقب العقبة . سميت بذلك لأن لونها ضاربٌ الى الحمرة وتخترقها درب غزّة

﴿ وجبال الصفرآء ﴾ الى الشمال الشرقي من جبال الحمرآء سميت بذلك لصفرة تربتها

﴿ وجبل سُوَيقة ﴾ شمالي جبال الصفراء على درب غزة على نحو ٢٠ ميلاً من المفرق

اما «المفرق» فنقطة في رأس النقب تفترق عندها الطريق الآتية من العقبة فطريق تذهب شمالاً وهي درب غزة وطريق تذهب غرباً وهي درب الحج المصري

﴿ وجبل عُرَيف الناقة ﴾ وهو جبل عظيم على نحو ٤٠ ميلاً الى الشمال من جبل سويقه على درب غزة ، يُرى من مسافة بعيدة في شكل عرف الناقة ومن ذلك اسمهُ

﴿ وجبل القُنّه * وجبل الرّغام ﴾ بين سويقة وعريف الناقة بانحراف الى الغرب

﴿ وجبل المقراه ﴾ وهو عبارة عن سلسلة سهول متدرجة طولها نحو سبعين ميلاً وعرضها نحو خمسين ميلاً تبدأ من جبل عريف الناقة وتمتد وهي تعلو تدريجاً شمالاً بشرق الى قرب بئر السبع . ومعظم هذا الجبل واقع في حدّ سوريا . ويدخل منهُ في حد سينآء قسم كهيئة السفين يعرف « بجبل خُراشة »

وأشهر جبال بلاد التيه في الشمال :

﴿ جبل الحلال ﴾ وهو جبل عظيم على نحو أربعين ميلاً الى الشمال الشرقي من نِخل. قيل سُمي بجبل الحلال لان حولهُ مراعي متسعة للأبل والغنم المعروفة عند البدو «بالحلال» . وينفصل عن هذا الجبل شعبة الى الشرق تدعى « جبل ضَلَفَعْ » تمر بينهُ وبينها وادي العريش

﴿ وجبل ألْبني ﴾ الى الشمال الغربي من جبل الحلال وعن يمين المسافر من نِخل وآبار الحَسنة الى العريش

﴿ وجبل الأبرقين ﴾ الى الجنوب الغربي من جبل الحلال وعن يمين المسافر الى العريش من نِخل وآبار الحسنة . وعلى رأس هذا الجبل مقام للشيخ الأبرقين يزورهُ بدو التيه ويذبحون لهُ . ويزورهُ النسآء العقيمات استشفآء من العقم .

وفي سفح الجبل سلسلة من الحديد قد دُفن طرفاها في التراب فلا يظهر منها سوى أربعة أمتار قيل وُضعت هناك للدلالة على ان الذبائح تكون عندها لا عند

مقام الشيخ في أعلى الجبل . قالوا ويُسمع لهذا الجبل احياناً صوت كضرب الطارة

﴿ وجبل يَلَك ﴾ الى الشمال الغربي من نِخل على نحو ثلاثين ميلاً منها علوهُ نحو أربعة آلاف قدم . ويتفرع منهُ شعبة الى الشرق تدعى « جبل المنشرح » يجري بينهما وادي الحسنة * وفي جبل يَلَك ثلاثة ثمود أو ينابيع شهيرة وهي : —

« عدّ أبو قرون » بالقرب من قمة الجبل في رأس وادي قرون وهو عدّ غزير قديم العهد يُصعد اليهِ من شمالي الجبل وجنوبيهِ وعندهُ قبر الشيخ خليفة جدّ التياها * « وعد يَلَك » في سفح الجبل الجنوبي * « وعد أم سعيد » في سفحهِ الشرقي

﴿ وجبل فِلّي ﴾ . ﴿ وجبل أم خُشَيب ﴾ الى الغرب من جبل يَلَك

﴿ وجبل إخرِم ﴾ الى الشرق من جبل يَلَك على نحو ١٦ ميلاً منهُ يجري بينهما وادي العريش

« وجبل البُرْقة » الى الشمال الشرقي من جبل إخرم على نحو عشرين ميلاً منهُ يجري بينهما وادي قُرَيّة

﴿ ٣ . جبال بلاد العريش ﴾

وأما بلاد العريش فجميع جبالها في الجنوب فاصلة بينها وبين بلاد التيه وأهمها:

﴿ جبل المغارة ﴾ على نحو ٣٢ ميلاً من مدينة العريش و ٦٤ ميلاً من مدينة نِخل ، يُنسب الى مغارة فيهِ يخرج منها نبع مآء عذب وهناك آثار أبنية رومانية في الارجح تدل على ان تلك الجهة كانت مأهولة في القديم ولكن أبنيتها بلا مؤنة كأكثر الأبنية القديمة في الجبال

« وجبل ريسان عُنَيزة » ويعرف رأسهُ الشمالي «بجبل الحِفن» على نحو ثمانية أميال من العريش . وقد رأيت على قمتهِ خرائب قلعة من عهد الرومانيين . وفي سفحهِ في جنب وادي العريش الغربي بئر منسوبة اليهِ من ذلك العهد ايضاً وسيأتي ذكرها

وفي بعض جبال سينآء ولا سيما في جبال الطور وجبال التيه مغاور كبيرة يسكنها البدو مع إبلهم وأغنامهم في فصل الامطار فيستغنون بها عن الخيام

الفصل الرابع

في

﴿ أوديتها ومياهها ﴾

ويسيل من جبالها ومرتفعاتها في زمن الأمطار أودية شتى تصب في الأبحر المحيطة بها أو تعترضها صحارٍ من الرمال فتغور فيهـا * وأودية سيناء هي روحها وحياتها ففيها تسيل الأنهر وتتفجَّر الأعين وينبت العشب والشجر ، وفيها مساكن البدو ومزارعهم ومراعي ابلهم وأغنامهم ، وجميع طرق البلاد تمر فيها فتقطعها أو تسير معها . ويختلف اتساع الوادي الواحد في مجراه من بضعة أمتار الى ألف متر أو اكثر وارتفاع جانبيهِ من متر أو أقل الى ألف متر او اكثر . ومعظم الأودية ارتفاعاً من جانبيها أودية بلاد الطور فهي تسير متعرجة بين جبال شامخة حتى ان المسافر فيها يرى كأنهُ في بئر رفيعة الجوانب لا منفذ لهُ منها * ويدوم السيل في الأودية بضع ساعات بعد انقطاع المطر ثم يجفّ . وليس في الجزيرة كلها نهر واحد حي ولكن في بعض أوديتها ينابيع مآء او آباراً حيّة او وقتية تجمعها في اصطلاحهم الرؤوس الآتية وهي :

« العين » . وهي نبع ماء يجري ماؤهُ فوق الأرض صيفاً وشتاء

« والعِدّ » جمعهُ عدود وتصغيرهُ عُدَيد وهو نبع حي في حفرةٍ فلا يجري ماؤهُ فوق الأرض ويقال لهُ الثمّد ايضاً وجمعهُ ثماده * « والبئر » وهي ما يفرغ ماؤها في الصيف اذا لم يقع مطر في الشتاء وقد تُستعمل للعدّ

« والثملية »[1] وهي حفرة قريبة الغور يظهر فيها الماء تواً بعد المطر وتنشف في الصيف الاّ اذا غزر المطر جدًّا في الشتاء

« والمَشاش » جمعهُ أَمِشَّة وهو ثميلة ضعيفة وينشف في الصيف قبل الثميلة

« الصِّنع » وهو سدّ صناعي من تراب يحفرونهُ في طريق السيل لجمع مياه الأمطار ويطهرونهُ كل سنة

---

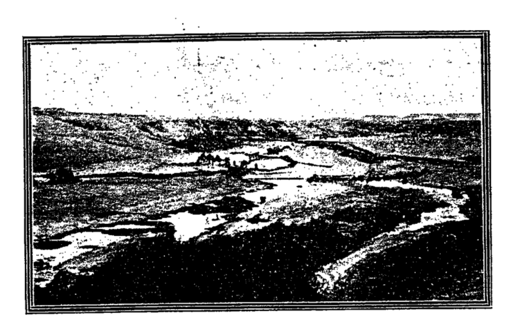
(١) صحتها: "والثميلة" .

« والسدّ » وهم يجعلونهُ في مجرى الوادي لحبس المياه في زمن الامطار
« والمِكراع » وهو بركة طبيعية بين صخور الجبال تتجمع فيها مياه الأمطار
« والهَرابة » بركة صناعية في مجرى السيل لخزن مياه الأمطار في زمن الصيف وهي اما نقر في صخر أو بناء بحجر ومونة
« والحمَّام » وهو نبع كبريتي . وليس في الجزيرة كلها الاّ نبعان كبريتيان على شاطئ خليج السويس وهما حمام موسى وحمام فرعون وقد مرَّ ذكرهما
ومياه الجزيرة كلها ملحة أو مائلة الى الملوحة وأهل الجزيرة لا يعتنون بنظافتها فيتولد فيها علق دقيق كثيراً ما يعلق في حلق شاربهِ فلا يزال يمتص منهُ حتى يمتلئ فيشكو المصاب بهِ من عسر البلع ، وأفضل واسطة لازالتهِ الغرغرة بماء الدخان
واذ قد تبين ذلك فلنتقدم الآن الى ذكر أهم الأودية ومياهها ونبدأ بذكر :

﴿ ١ . اودية بلاد الطور ﴾

١ . الاودية التي تصب في خليج السويس مبتدئاً من الشمال

﴿ وادي الإِحثا ﴾ ينشأ من جبال الراحة ويصب في خليج السويس على نحو ١٢ ميلاً من عيون موسى و ٢٠ ميلاً من شط السويس
﴿ ووادي سَدر ﴾ قيل انهُ ينشأ من جبل ابو الزُّنابة من جبال التيه ويسير متعرجاً مسافة نحو ٣٠ ميلاً فيمر بين جبال الراحة وجبل سن البِشر ثم يخترق سهل الراحة ويصب في الخليج على نحو ٩ أميال من مصب وادي الإِحثا وفيهِ ثلاث عيون :
« عين سدر » وهي عين غزيرة على نحو ساعتين من منشإِهِ يجري ماؤُها مسافة قصيرة في بطن الوادي ثم يغور في الرمال ويذهب هدراً . وعليها بعض اشجار النخيل والتين وفيها نبت النال الذي تعمل منهُ الحصر . واليها يجتمع عربان الحويطات والتيه * وعلى نحو ثلاثة أميال الى الشمال الشرقي من هذه العين تلة مرتفعة مخروطية الشكل عليها قلعة حصينة من بناء السلطان صلاح الدين الايوبي المشهور تعرف بقلعة الباشا ومَعصاة الجندي وسيأتي الكلام عليها



ش ٨ : عين سدر

« وعين أبو رجوم » على نحو ساعتين من عين سدر منحدراً مع الوادي وهناك قُتل الاستاذ بالمر الانكليزي ورفيقاهُ غدراً سنة ١٨٨٢ كما سيجيءُ في باب التاريخ

« وعين أبو جراد » وهي عين شحيحة في جنب الوادي قُبَيل خروجهِ الى سهل الراحة وعلى نحو خمس ساعات من عين أبو رجوم منحدراً مع الوادي

وترى بين مصب وادي سدر ومصب الاحثآء على نحو ميل من شاطيء الخليج بئراً حسنة المآء قريبة القعر تعرف « بئر عوَّاد »

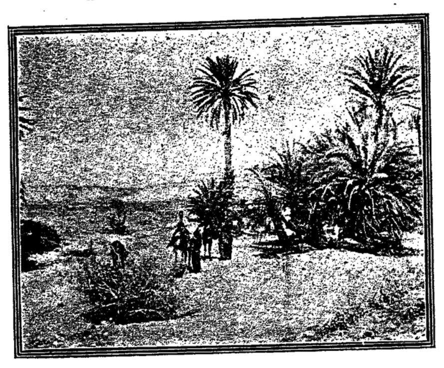
﴿ ووادي وِردان ﴾ يخرج من جبال التيه ويصب في الخليج على نحو ٨ أميال من مصب وادي سدر * وفي أسفل هذا الوادي بالقرب من مصبهِ بالبحر بئر «أبو صُوَيرة» * وعن يمين الوادي فوق طريق القوافل عين غزيرة تُدعى «الطيّبة»

« مَكون الحَماضة » وعن يسار الوادي مكان كثير الحصى يدعى « مَكون الحَماضة » وقعت فيهِ واقعة دموية بين الحماضة وبني واصل في القديم كما سيجيءُ

﴿ ووادي عَماره ﴾ يخرج من جبال التيه ويصب في البحر على نحو ١٢ ميلاً من وادي وردان * وسيل هذا الوادي والأودية التي تقدمتهُ ينبسط في سهل «الهَبَج» المارّذ كرهُ انبساطاً عظيماً حتى يبلغ عرض الوادي هناك ألف متر أو اكثر

« حجر الركاب » وفي طريق القوافل على نحو نصف ساعة جنوبي وادي العمارة حجارة كبيرة يستريح المسافرون في ظلها عند الغروب فسميت « حجر الركاب »

« عين الهوَّارة » وفي هذه الطريق على نحو نصف ساعة من حجر الركاب عين شحيحة حريفة الطعم في قفر محرق تدعى «عين الهوارة» عندها ثلة من النخيل يُستَحب الاستظلال بها . وهي في رأي اكثر الباحثين « مَراح » التوراة



ش : ٩ وادي غرندل

﴿ ووادي غرندل ﴾ ينشأ من جبال التيه من نقب وطاه ويصب في خليج السويس على نحو ١٣ ميلاً من مصب وادي عمارة * وتجري فيه عين غزيرة تعرف «بعين غرندل» وفيهِ نخل قليل، ويظن أنهُ «ايليم» التوراة . وفي هذا الوادي كهفان للنساك منحوتان في الصخر . وفي رأسهِ «عين حُجَيَة» ونواويس قديمة للسكان الأصليين

« رِجم حصان ابو زَنَّه » وعلى طريق القوافل على نحو ساعة جنوبي غرندل رجمان من الحجارة احدهما اكبر من الآخر وبينهما نحو ١٥ متراً يطلق عليهما «رجم حصان ابو زنّه» وكل ما قيل في أصل هذا الرجم مختلق غير معقول. من ذلك : ان جبّاراً من جبابرة النصارى كان فارًّا من وجهِ أعدائهِ فأدركوه في هذا المكان

فاعمل بثاكلة جواده المهماز فقفز من مكان الرجم الصغير الى مكان الرجم الكبير ووقع ميتاً فأقاموا هناك رجمَين للدلالة عليهِ ومن ذلك الحين كلما مرَّ عربي من هناك قال : «إخسأ يا حصان ابو زنّه» ورمى الرجم الكبير بحجر الى اليوم . قالوا وهم يلعنونهُ لأن موتهُ كان السبب في اسر صاحبهِ



ش ١٠ : رجم حصان ابو زنه

« خط المزراق » وعلى نحو ربع ساعة الى الجنوب من «رِجم حصان ابو زنّه» « خط المزراق » وهو ثلم في الأرض يحاذيهِ خمسة رجوم من الحجارة بين كل رجم وآخر نحو مترين ، وعلى مقربة منهُ لجهة الغرب تلّ عليهِ رجم من الحجارة . قالوا في خبر هذه الرجوم والخط : ان بنتاً بدوية كانت ترعى غنَمها في ذلك المكان فمرّ بها ثلاثة من البدو : شابان وكهل وسألوها شربة من لبن الغنَم وكان معها طاس فضة فسقت الشابين بطاس الفضة وسقت الكهل بكفهِ ، وكان الكهل شهماً أبي النفس فسآءهُ استخفافها بهِ وقال لها أودُّ لو هاجمك اللصوص في هذه البرية لنرى من منا يشرب بطاس الفضة ، ولم يتم كلامهُ حتى هاجمهم جماعة من اللصوص فاختطفوا البنت وساقوا غنَمها واعتصموا بالتل المجاور ففر الشابان وثبت الكهل يقاتل اللصوص وحدهُ بالسيف والمزراق حتى اجلاهم عن التل وأنقذ الصبية وغنَمها من أيديهم . فاعجبت الصبية ببسالتهِ وقالت حقاً أنك أنت الجدير بطاس الفضة ثم ملأَتهُ لبناً

وقدمتهُ اليهِ ليشرب فأبى وقال لا اشرب بطاس الجبنآء وشرب بكفهِ . فزادت الصبية اعجاباً بهِ وتزوجتهُ برضى أهلها وأقامت لهُ هذا الأثر احياء لذكرهِ ، وما زال العرب يحيون هذا الأثر كلما عبثت بهِ الرياح الى اليوم .



ش ١١ : وادي وسيط

﴿ ووادي وُسَيط ﴾ ينشأ من جبال التيه ويصب في البحر شمالي حمام فرعون على نحو ستة أميال من مصب غرندل وفيهِ عين حريفة الطعم ونخل قليل . قال بعضهم أنهُ «ايليم» التوارة لا غرندل ولكن اكثر المحققين في جانب وادي غرندل

﴿ ووادي أثال ﴾ ينشأ من جبال التيه ويصب في البحر جنوبي جبل حمام فرعون على نحو ٧ أميال من مصب وُسيط وفيهِ نبع ماء شحيح حريف الطعم ونخل قليل

« عُرَيّس ثمّان » وفي طريق القوافل على نحو ربع ساعة من هذا الوادي عود من الطرفآء عليهِ خرقة بالية يعرف «بعُرَيّس ثمّان». قال بعضهم : ان بدوياً خطف

بنتاً من غير قبيلتهِ فادركهُ أهلها في هذا المكان وانتزعوها منهُ ونصبوا هذا العود تذكاراً لذلك . وقال آخرون : أنهم قتلوهُ ودفنوهُ هناك وهذا العود دليل على قبرهِ

﴿ ووادي الحُمر ووادي الطيّبة ﴾ ينشأ وادي الحمر من الرملة ونقب وطاه ويسير الى أن يأتي عين مآء حريفة الطعم تدعى « الطيبة » عندها حديقة من النخيل فيأخذ اسم وادي الطيبة ، يسير نحو ساعة فيصب في الخليج عند ابو زنيمة على نحو ٨ أميال من مصب أثال * ويصب في وادي الحمر على نحو ساعة من عين الطيبة « وادي الشُبَيكة » ينشأ من أكمة عريس ثمان . وفي وادي الحمر على الطريق حجارة نبطية كثيرة

﴿ ووادي بَعْبَعة ﴾ وهو من أمهات الأودية ولهُ رأسان :

« وادي سُوِّق » وهو وادٍ قصير ينشأ من المنحدر الشمالي لجبل سرابيت الخادم وجبل الغرابي « ووادي حبُوس » ينشأ من نقب ورصآء ويخترق الرملة مارًّا بقبر الشيخ حبُوس الى أن يلاقي وادي سوّق على نحو ثلاثة أميال من رأسهِ . ومن ملتقى هذين الواديين يسير وادي بعبعة بين الجبال ، والأودية تصب فيهِ عن اليمين والشمال ، الى ان يخرج من الجبال عند خشم اللقم ويصب في سهل المرخا عند مينآء ابو رديس . ومن أهم الأودية التي تصب فيهِ مبتدئاً من أعلاه :

« وادي المالحة » يأتي من نقب الراكنة ويخترق الرملة ويصب فيهِ على نحو ميل من ملتقى رأسيهِ . قيل وفي هذا الوادي ثلاث آبار قديمة العهد مبنية بالحجر عمق كل منها سبع باعات . وعلى ساعة من الآبار مسنداً في الوادي مصاول قديمة للمنغنيس ، وظاهر أن هذه الآبار لمعدّني المنغنيس في ذلك الوادي وربما كانت ايضاً لمعدني الفيروز في سرابيت الخادم لأنها أقرب مآء لسرابيت

« ووادي النصب » يأتي بعبعة من الجنوب ويصب فيهِ تجاه مصب وادي الإخنا . وفي وادي النصب على نصف ساعة من مصبهِ عدّ ينسب اليهِ . وهناك معدن للنحاس وكتابة هيروغليفية تدل على تعدين النحاس فيهِ في عهد الدولة الثامنة عشرة . وقد رأيت عند هذا العدّ وعند مصب الوادي تلالاً عالية من رُذالة

النحاس وصخوراً نبطيَّة كثيرة . وعند العدّ حديقة مسوَّرة من النخيل والسدر ، وقد كان العدّ والحديقة ملكاً لرهبان طورسيناآء فأعطوهُ « بَركةً » للنفيعات قبل ارتحال النفيعات من الجزيرة ، ولا تزال هذه الحديقة ملكاً للشيخ ابراهيم منصور عمدة النفيعات في الشرقية بمصر الى اليوم لكنهُ يهب ثمرها لبعض أهلهِ العليقات من سكان الجزيرة . ومن فروع بعبعة :

« وادي أم بَجْمة » وفيهِ معدن للمنغنيس تعدّنهُ شركة انكليزية منذسنة ١٩١٠ ومیناؤهُ ابو زنيمه كما مرّ ، وقد أقامت الشركة المذكورة جسراً من الخشب في ذلك الميناء تسهيلاً لشحن البواخر وتفريغها . ومدَّت سكة حديد من الميناء الى سفح الجبل الذي تُعدّن فيهِ المنغنيس طولها نحو ١١ ميلاً

« ووادي الشلاّل » يصب في وادي بعبعة على نحو نصف ساعة من خشم اللّقَم

﴿ ووادي السيق ﴾ هذا الوادي ووادي السدرة وادٍ واحد أعلاه وادي السيق ينشأ من نقب المريخي ويسير جنوباً بغرب فيحد الرملة من الشرق ثم يخترق الجبال متعرجاً والأودية تصب فيه عن اليمين واليسار حتي يلاقي وادي السدرة فيأخذ اسمهُ الى أن يصب فى سهل المرخا عند ميناآء ابو رديس جنوبي مصب بعبعة * وأهم فروع السيق مبتدئاً من أعلاه :

« وادي المُرَيخي » وعليه مقام الشيخ حُمَيد من أولياآء قبيلة الجباليَة

« ووادي بَرَق » وفيهِ اقتتل الجيش المصري وأجداد الجيل الحاضر كما سيجئ

« ووادي أم جراف » وهو فرع كبير . وعلى نحو ثلاثة أميال من مصبهِ منحدراً في وادي السيق قبر لأمرأة صالحة من النفَيعات يعرف « بقبر النفيعية » وهو قبر يزار

﴿ ووادي السِدّرة ﴾ يأتي السيق من الشرق ويصب فيهِ على نحو ميل من قبر النفيعية مترجاً مع الوادي ومن هنا فنازلاً الى البحر يأخذ الوادي اسم السدرة كما مرّ . وفي هذا الوادي قبل مصبهِ بالسيق بنحو ميل عين غزيرة تعرف بعين السدرة » . وأهم فروع وادي السدرة :

« وادي لِبْن » يصب فيهِ عن يمينهِ على نحو ثلاثة أميال من مصبهِ بالسيق.

وفي هذا الوادي بالقرب من مصبهِ « عين لبن » الشهيرة يشرب منهـا معدّنو الفيروز في وادي إِقنه اذا جفّت عين إِقنه وتبعد عن مغاور الفيروز نحو ساعتين

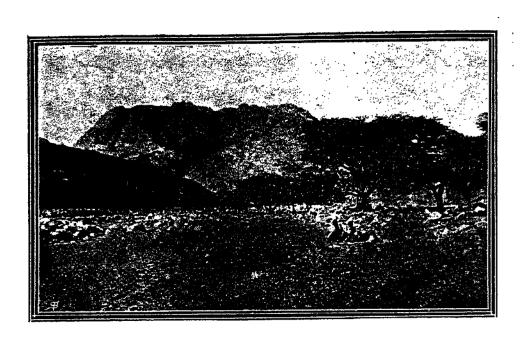
« ووادي المُكتّب » وهو وادٍ قصير يأتي السدرة من المرتفعات التي تطل على فيران ويصب فيهِ على نحو ميلين من مصب لِبن . وهو في طريق السويس الى وادي فيران كما سيجيء * وعند مصبهِ بالسدرة في جنبهِ الغربي محطة قديمة للقوافل ، وهناك صخور رملية عليها كتابات بالنبطية واليونانية والعربية واكثرها بالنبطية . وقد سُمي هذا الوادي بالمكتّب نسبةً لها . وترى بين هذه الكتابات رسوماً غير متقنة الصنع تمثل رجالاً مسلّحين وعُزّلاً عن السلاح وجمالاً محمّلة وغير محمّلة وخيولاً بفرسان أو بلا فرسان ووعولاً وغزلاناً ومراكب وصلباناً وأنجماً وغيرها

وقد ظنها كوسماس السائح الهندي الذي زار سيناء سنة ٥٣٥ م أنها من آثار بني اسرائيل عند مرورهم بسيناء . ولكن مباحث العلماء المحدثين دلّت أن النبطية من آثار تجار النبط الوثنيين وترجع الى ٢٠٠ أو ٣٠٠ ق . م . وأما اليونانية والعربية فهي آثار حجاج النصارى من اليونان والعرب في القرون الاربعة الأولى للمسيح * أما الكتابة العربية الوحيدة التي عثرت عليها هناك فهي هذه مكتوبة بأحرف كوفية : «يارب ارحم واغفر آثام عبدك الواله عبدالله». وتحتها : « ارحم يا الله سعيد يوحنا ؟»

وسيأتي الكلام عن النبط وتاريخهم وآثارهم في سيناء في فصل خاص

« ووادي إِقنه » يأتي السدرة من الشمال الشرقي ويصب فيهِ على نحو ميلين من مصب المكتّب . وهو وادٍ قصير لا يزيد طولهُ على ثلاثة أميال . وفي رأسهِ عين تُنسب اليهِ يشرب منهـا معدنو الفيروز في وادي المغارة * وعند مصبهِ بوادي السدرة قبر للشيخ سليمان من الصلاح بناهُ حديثاً ربيع بن جمعه القرّاشي

ولوادي إِقنه فرع يدعى « وادي قُنيَ » يصب فيهِ قبل مصبهِ بالسدرة بنحو ٢٠٠ متر . وعن يمين هذا الوادي ويساره جبل الفيروز وفيهِ مغاور كثيرة يستخرج منها الفيروز لذلك سُمّي أيضاً « بوادي المغارة » . وهناك صخور هيروغليفية وصخور نبطية يأتي ذكرها تفصيلاً . وميناءهُ هذا الوادي ميناء أبورديس كما مرّ



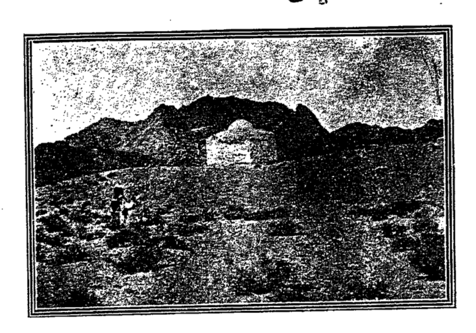
ش ١٢ : وادي اقنه

﴿ ووادي الشيخ ﴾ هذا الوادي ووادي فيران وادٍ واحدٌ ولهُ رأسان : «وادي الدير » المار ذكرهُ الناشئ من جبل المناجاة . « ووادي اللجاة » الناشئ من جبل كاترينا . وهما واديان قصيران يلتقيان عند مقام النبي هارون . ومنهُ يسير الوادي باسم وادي الشيخ شمالاً بغرب نحو عشرة أميال فيخترق الجبل الأحمر عند الوَطْية . ثم يسير منها جنوباً بغرب نحو عشرين ميلاً الى مضيق بين جبلين يُدعى « بُوَيب فيران » فيأخذ اسم وادي فيران ويسير متعرجاً غرباً بين جبلين من الغرانيت الأحمر وفروعهُ تصب فيهِ عن اليمين والشمال الى ان يصب في الخليج عند سهل القاع

وقد سُمّي القسم الأعلى من الوادي بوادي الشيخ نسبة الى « الشيخ صالح » المشهور أيضاً بالنبي صالح المدفون على جنبه الأيمن على نحو ستة أميال من الدير. ولهُ قبة تزار: يزورهُ البدو مرة كل سنة في أول الصيف قُبَيل زيارتهم جبل موسى ويذبحون لهُ جملاً ولكن ليس منهم من يعرف لهُ أصلاً ولا تاريخاً . وهم يقولون أنهُ من الصحابة وقد ظنّ بعضهم انهُ جد الصوالحة من سكان الجزيرة الحاليين

مررت بهذه القبة سنة ١٩٠٧ مع الشيخ موسى ابو نصير كبير الصوالحة وكان القبر داخل القبة قد رُكّب فوقهُ قفص من خشب عليـهِ « كسوة » من نسيج

قطني وقد لفّ رأس القفص بعمامة خضراء ، فقرأ الشيخ موسى الفاتحة على القبر ثم قبّل رأس القفص وأركانهُ الأربعة والتقط قليلاً من تراب القبر بأطراف أصابعهِ فذرّ منها شيئاً على رأسهِ ثم خرج وذرّ الباقي على رأس جملهِ تبركاً !



ش ١٣ : قبة النبي صالح

وعلى نحو عشر دقائق من القبة منحدراً مع الوادي على جنبهِ الأيمن « بئر صوير» يشرب منهُ زوار النبي صالح * وتجاه البئر على جانب الوادي الأيسر قرية قديمة تدعى « المَرْوة» قد تخربت ولم يبق منها الا بضعة منازل يسكنها جماعة من أولاد سعيد * ومن فروع وادي الشيخ :

« وادي السباعيَّة » يأتيهِ من شرقي جبل المناجاة ويصب فيهِ عن يمينهِ على نحو ميلين من مقام النبي هارون

« ووادي الشِّعب » يصب فيهِ عن يساره على نحو ميلين من قبة النبي صالح ويتصل رأسهُ بجبل الفُرَيع المار ذكرهُ * وعند مصب هذا الوادي « قبر الشيخ محسن » جد المحاسنة العوارمة وهو قبر يزار

« ووادي السُّلَيف الفوقاني » * « ووادي السُّلَيف التحتاني »

« ووادي سَهَب » يأتي وادي الشيخ من منقلب جبل العرفان الغربي ويصب

فيهِ تجاه مصب السليف التحتاني على نحو ساعتين ونصف ساعة فوق «البويب» *
وعلى نحو ساعة من رأس هذا الوادي شمالاً خرائب قرى قديمة تدعى «قُرى الصفحة»

وفي جنب وادي الشيخ الأيمن على نحو خمسة أميال من مصب سهب منحدراً مع الوادي خرائب قرية قديمة وبئر مطمورة * وتجاهها بجانب الوادي الأيسر بئر حديثة العهد قريبة القعر حفرتها امرأة الشيخ موسى أبو نصير المار ذكره ، قيل رأت في الحلم أنها لو حفرت في ذلك الموضع وجدت المآء قريباً من سطح الأرض فحفرت هذه البئر وسمتها « بئر اللاصقة » لأنها بلصق الجبل

« ووادي صلاف » وهو أشهر فروع وادي الشيخ وأكبرها ولهُ رأسان : « وادي غربا » ينشأ من جبل الفرَيع ونقب الهاوية ، « ووادي حُطم » ينشأ من أواسط الجبل الأحمر ويلتقيان على نحو ميل من نقب الهاوية . ومن هناك يسير وادي صلاف جنوباً بغرب الى أن يصب في وادي الشيخ على نحو نصف ميل من بويب فيران * ومن فروع حطم : « وادي طلاح » قيل سكنهُ كثير من النساك قبل بناء الدير . وفيهِ جنان من النخيل والفاكهة أخصها العنب والكمثرى واللوز

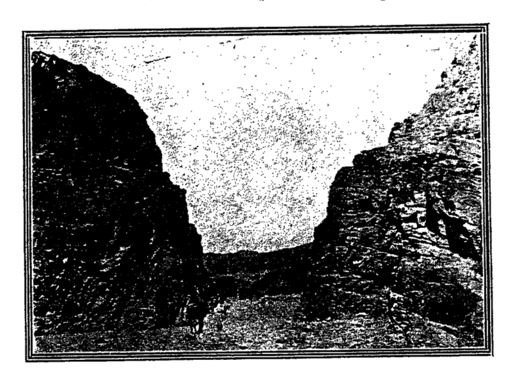
وفي رأس وادي غربا عين تنسب اليهِ . وعلى جنبهِ الأيسر في سفح نقب الهاوية الغربي على نحو نصف ساعة من عين غربا مقام شيخ يزار من الجبالية يدعى « الشيخ عوّاد » توفي منذ ٢٢ سنة وكان من الصلاّح

وفي وادي صلاف بالقرب من ملتقى رأسيهِ « قبر الشيخ رُزّة » في جبّانة أولاد سعيد . قالوا اذا فُقِد لأحدهم حمار أتى هـذا القبر وقال « يا شيخ رُزّة أنا داخل عليك تحمي حماري من الضياع » ثم يشرب القهوة ويقرأ الفاتحة وينصرف

ومن فروع صلاف : « وادي الدُهَيسة » ينشأ من منقلب جبل العرفان الشرقي ويصب فيهِ على نحو ستة أميال من ملتقى رأسيهِ : وعلى تلة في جنب هذا الوادي مقام للنبي طالب وهو من أوليائهم الكبار يُذبح لهُ جمل ويخصّهُ بالتكريم أولاد سعيد

وفي وادي صلاف بالقرب من مصب الدُهيسة عنـد مروره بنقب حبران نواويس للسكان الأصليين وفي نقب حبران ايضاً نواويس قديمة سيأتي ذكرها

﴿وادي فيران﴾ أو فاران وهو اشهر أودية الجزيرة كلها قديماً وحديثاً واغزرها ماءً ونخيلاً حتى لقد سُمّي « واحة الجزيرة » . والذي عليهِ اكثر المحققين انهُ «رفيديم» التوراة . وقد قدمنا ان هذا الوادي ووادي الشيخ واد واحد القسم الأعلى منهُ وادي الشيخ والأسفل وادي فيران . وبديهي ان القسم الأعلى لم يدعَ بوادي الشيخ الاّ بعد دفن الشيخ صالح عليهِ وواضح ان ذلك كان بعد الخروج ، فلا يبعد اذاً ان يكون « رفيديم » التوراة اسم الوادي كلّهِ من رأسهِ الى مصبهِ ، ولنا في هذا البيان غرض سنذكرهُ في ما بعد . أما وادي فيران فيبدأ من بويب فيران كما قدمنا



شكل ١٤ : بويب فيران

وأما «بويب فيران» فهو مضيق بين جبلين قائمين عن جانبي الوادي كمصراعي باب مفتوح ومن ذلك اسمهُ . والمضيق لا يزيد اتساعهُ عن عشرين قدماً ويعلو نحو ٢٤٥٠ قدماً عن سطح البحر . وقد اكّد لي مشايخ الجزيرة أن أجدادهم أقاموا فيهِ سدًّا لخزن الماء فهدمهُ السيل فلم يجدّدوا بناءهُ . وعلى جانب المضيق الأيمن كتابة بالنبطية * ولوادي فيران عدة فروع أهمها :

« وادي الأخضر » يأتيه من جبل الظلل جنوبي نقب المَرَيخي ويصب فيهِ عن

يمينهِ على نحو ربع كيلومتر من البويب . وفي رأس هذا الوادي عين حلوة تُنسب اليهِ ، وعندها بستان نخيل ورمان وهي واقعة في طريق النبك المشار اليهِ انفاً

ومن فروع الأخضر « وادي رتامة » وفيهِ عدّ . وعلى نحو نصف ساعة من العدّ منحدراً مع الوادي مقام بزار « للشيخ ابو نجيمة » من اجداد اولاد سعيد

« ووادي عُلَيَّات » يأتي فيران من جبل سربال ويصب فيهِ عن يسارهِ في أسفل حديقة النخيل على نحو ثلاثة أميال ونصف ميل من البويب ٭ وعند مصبهِ على جنبهِ الايمن « تل المحرد » وهو تل صخري أثري علوُه نحو مئة قدم وسيأتي ذكرهُ ٭ وعن يسارهِ بستان لرهبان دير سيناء بنوا فيهِ منزلاً صغيراً يسكنهُ واحد منهم وفي البستان بعض اشجار الفاكهة ويزرع فيهِ بعض الحبوب والخضر ٭ وفي هذا الوادي الطريق الى قمة سربال وهي طريق وعرة شاقة مسيرة ست ساعات صُعوداً واربع ساعات نزولاً . وعلى الطريق في الوادي وفي سفح سربال صخور نبطية قديمة وهي أقدم آثار فيران

« ووادي الرَّمانة » يصبُّ في فيران عن يمينهِ على نحو ١٣ ميلاً من مصب عُلَيَّات ٭ ومن فروع الرمّانة وادي « إقنه الشرايع » وعليهِ قبة تزار « للشيخ أبو غانم » وعند القبة عدّ ينسب الى الشيخ المذكور عليهِ نحو عشرين نخلة ٭ ومن فروع اقنه الشرائع « وادي اللبوة »

« ووادي نَشرين » يصب في فيران عن يمينـــهِ على نحو ثلاثة أميال من مصب الرمانة ونحو ٢٠ ميلاً من البويب . وعند مصبهِ خرائب قرية قديمة العهد . ومن هنا يعرّج المسافر من فيران شمالاً بغرب الى وادي المكتّب بطريق السويس المعتادة ويبقى الوادي منحدراً الى البحر مسيرة ١٢ ميلاً أو أكثر

﴿ واحة فيران ﴾

أما « واحة فيران » فهي واحة عظيمة تمتد من البويب فنازلاً في الوادي نحو خمسة أميال ٭ وفي أعلى الواحة « غابة الطرفاء » وهي غابة عظيمة تمتد من البويب الى مكان يُدعى « عِلوْ فيران » مسافة ميلين أو نحوهما

« مُنقِذة النعجة » وفي وسط الغابة على نحو ميـل من البويب على طريق

المارة صخرة عظيمة منفصلة عن أصل الجبل في جنب الوادي الأيمن عندها رجم من الحجارة تدعى « منقذة النعجة » قيل سميت كذلك لان نعجة لعرب مزينة طاردها ذئب فلجأت الى رأس هذه الصخرة ونجت من الذئب فصار عرب مزينة كلما مرَّ أحدهم بهذه الصخرة رماها بحجر الى اليوم

« حديقة فيران » ويلي غابة الطرفآء حديقة غضة من النخيل يتخللها بعض أشجار السدر تمتد من عِلو فيران الى مصب وادي عليات نحو ميل ونصف ميل. ويضيق الوادي عند الحديقة حتى انهُ لا يزيد عرضهُ في بعض المواضع عن عشرين متراً ويزدحم النخل فيهِ حتى يكاد يخنقهُ ولا يترك فيهِ الاّ طريقاً ضيقاً للمارة

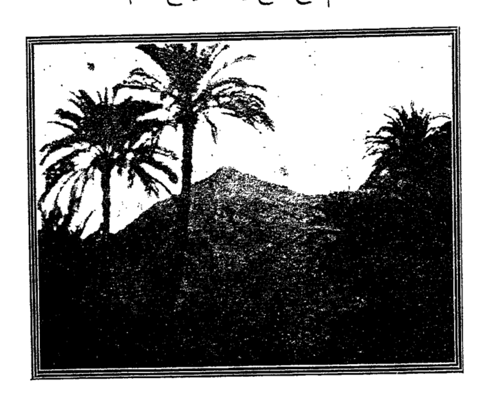
«النُّخَيلة والحُسْوة» وعلى نحو نصف ميل من مصب عليّات منحدراً مع الوادي حديقة صغيرة من النخيل تدعى « النخيلة » * وعلى نصف ميل آخر حديقة أخرى من النخيل تدعى « الحسوة » وهي منتهى واحة فيران . فيكون طولها من البويب الى الحسوة أربعة أميال ونصف ميل أو يزيد وربما بلغ عدد نخيلها ١٦٠٠٠ أو أكثر

ولكل قبيلة من قبائل الطورة الست قسم مسوَّر في الحديقة وقد بنوا فيها أكواخاً ومضايف من الطين والحجر الغشيم وسعف النخل حتى اذا ما جاء موسم البلح في الصيف اجتمعوا في الحديقة وقضوا الموسم. ولكنهم يتركون ابلهم وأغنامهم في الخارج فلا يأوونها الحديقة لضيقها وقلة مراعيها وكثرة بعوضها . وعند جني التمر يجعلونهُ في قُرَب من جلد المعزى بعد دهنها بالزيت أو بالسمن فتحفظ التمر صالحاً للأكل مدة طويلة . وبعد الموسم يتفرقون الى أماكنهم في الجزيرة فلا يبقى في الحديقة الاّ جماعة من سكان البلاد الأصليين يدعون « التَّبَنَه » يلقّحون نخيلها ويزرعون بعض بقاعها حبوباً وتبغاً وهم ينسجون حصراً من سعف النخل لا بأس بها وسنعود الى ذكرهم . وأكثر القبائل تملكاً في الجزيرة القرارشة ثم مُزَينة ثم العوارمة ثم أولاد سعيد ثم العُلَيقات ثم الجبالية

« نبع فيران » ويخرج من صخرة في أعلى الحديقة نبع مآء غزير بل هو اغزر نبع في الجزيرة كلها قطره نحو تسعة قراريط مربعة يجري كنهر صغير فيسقي الحديقة

ثم يغور في الرمال والحصى قُبيل وصوله الحسوة فيذهب ماؤهُ هدراً ، مع أنهُ لو أُعتني بهِ وسُيّر في قنوات لصيّر الوادي عن جانبيهِ جنّة حافلة بأنواع الفاكهة والخضرة

ومما يُذكر هنا أنهُ في سنة ١٩٠٦ ظهر نبع جديد في علو فيران فوق النبع الكبير وزرع البدو عليهِ . وفي سنة ١٩١١ ظهر نبع آخر فوق هذا النبع عند البويب ولكنهُ يجري قليلاً ثم يغور في غابة الطرفآء . وأكّد لي بعض عربان فيران أن فم النبع الكبير كان قديماً عند قبة الشيخ احمد ابو شبيب في وسط حديقة النخيل ثم غار وظهر في مكانهِ الحالي كأن فم النبع يرتفع في الوادي مع الأيام



ش ١٥ : جبل المناجاة في وادي فيران

هذا ويُرَى عند فم النبع الكبير في جانب الوادي الأيمن طبقات من الطمي المتجمد لأصقةً بالجبل مما يدلّ على أن الوادي قد سُدَّ من أسفلهِ في الأعصر الغابرة فصار بحيرة عظيمة ثم زال السدّ فزالت البحيرة وبقيت آثارها

« جبل المناجاة » وفي الجبل الذي الى يسار الوادي في أعلى الحديقة قمة مرتفعة تدعى « جبل المناجاة » . وفي تقاليد البدو انهُ سمّي كذلك لأن الله سبحانهُ

ناجى عليهِ موسى النبي عند مروره بفيران . وهم يزورونهُ كل سنة في آخر الصيف بعد موسم البلح ويذبحون لهُ : يأتون سفح الجبل فوق النبع الكبير ومعهم الذبائح فيذبح كل فريق منهم ذبيحة من الغنم أو المعزى ثم يشتركون في جمل يقدمونهُ ذبيحة عامة فيأكلون منهُ ويوزعون على الفقراء ويقرأون الفاتحة « لموسى وملائكة فيران » قالوا فكل من أحبَّ الاشتراك في الذبيحة العامة ربط مقود الجمل بخرقة علامة لذلك حتى اذا ما ذُبح الجمل علّقوا مقودهُ في شجرة طرفاء هناك تبركاً * وقد بنى العرب قديماً على رأس الجبل مزاراً وهو كوخ صغير من الحجارة الغشيمة ولكنهم قلما يصعدون اليهِ فيكتفون بالزيارة في سفح الجبل

« تاريخ فيران » ومما زاد في شهرة هذا الوادي أنهُ في سفح جبل سربال العظيم الذي قيل ان الأقدمين قدَّسوهُ وحجوا اليهِ كما مرّ، وأنهُ في طريق المسافر برًّا من مصر الى البترآء و بلاد العرب . وقد مرَّ بهِ موسى النبي اذ خرج بقومهِ من أرض مصر . وفيهِ قهر العمالقة أسياد النبع في ذلك العهد . وطرقهُ النبطيون والادوميون من قبلهم في تجارتهم . وهنا اسس الرهبان والنساك في صدر النصرانية ابرشية عظيمة دامت بضع مئين من السنين كما تدل الآثار الباقية هناك الى هذا العهد . وقد دلّت اصناف النقود التي وُجدت فيها أنها بلغت أوج مجدها بعد عصر الملك قسطنطين في آخر القرن الرابع وبقوا الى أن جاء العرب المسلمون في صدر الاسلام فاغتصبوا البلاد منهم واحتلوها في مكانهم الى اليوم كما سيجيءُ .

« آثار فيران » وأشهر آثار هذا الوادي عدا الصخور النبطية في وادي عليات وسفح سربال المار ذكرها : آثار دير وكنيسة في وسط حديقة النخيل * وآثار دير وكنيسة على تل المحرد عند مصب وادي عليات بوادي فيران ، وبين تلك الآثار عُمد مضلعة ومستديرة ومربعة من الرخام والحجر الرملي، وهي مؤلفة من قطعة واحدة أو عدة قطع وقد رسم على بعضها صورة الصليب ، ووُجد على حجر كتابة باليونانية فيها ذكر التابوت المقدّس * وآثار كنيسة مبنية بالحجر المنحوت ودير عند فم عُلَيات في أسفل تل المحرد * وآثار كنيسة وطاحونة على تل الطاحونة تجاه تل المحرد *

وآثار قرية قديمة في أسفل جبل الطاحونة * وآثار منازل بالحجر والطين وقبور على جميع التلال التي ترى من تل المحرد عن جانبي الوادي * وكلها من آثار المسيحيين في صدر النصرانية * ومن آثار الاسلام :



ش ١٦ : قبة الشيخ ابو شيبب في حديقة فيران

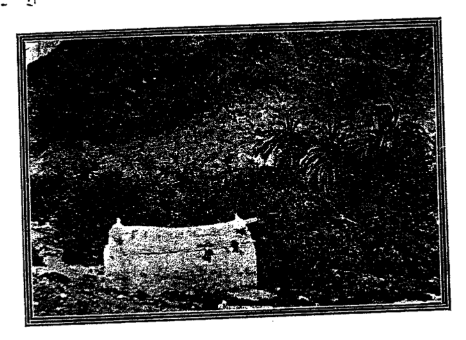
قبة تزار «الشيخ احمد ابو شيبب» من النصيرات القرارشة في جبانة الحديقة السفلى ويخصهُ بالتكريم القرارشة والعوارمة يذبحون لهُ الغنم والمعزى في كل سنة عند اجتماعهم لموسم البلح . وفي بعض السنين يذبحون لهُ جملاً كجبل المناجاة * وقبر يزار في جبانة الحديقة العليا « للشيخ عُلَيَّان » جدّ الرضاونة العوارمة من جدود الجيل الحاضر قالوا ان بعض العربان رأى في الحلم كأنَّ جدّ الرضاونة هذا هو وليّ تجب زيارتهُ فصاروا يزورونهُ ويذبحون لهُ * وقبة تزار في الحسوة في أسفل الحديقة «للشيخ سلامه بُدَيري » من أولاد تيهي القرارشة . يزوره القرارشة والعوارمة ويذبحون لهُ

ومن آثار وادي فيران الشهيرة التي تلفت نظر المنحدر من الحُسْوة :

«حُصي الخطاطين» على نحو ميلين من الحسوه وهي صخرة كبيرة بجانب الطريق انفصلت عن أصل الجبل وبقربها رجم من الحجارة ، قيل هناك كان يجلس الخطاطون المغاربة قديماً ويبصرون البخت . والى الآن كلما مرّ بدوي بهذه الصخرة رماها بحجر . ويظن أنها الصخرة التي ضربها موسى فخرجت منها الماء لبني اسرائيل لما منعهم العمالقة

عن الماء وهي على نحو ميلين ونصف ميل من المكان الذي تغور فيهِ مياه نبع فيران الآن

« وعرق المجرَّحين » على نحو ساعة من حصي الخطاطين وهو عرق من جنب الوادي الغربي يستريح المسافرون بظلهِ وعليهِ كتابة بالنبطية كالتي في وادي المكتّب. قيل سمي كذلك لان جماعة من التجار اقتتلوا هناك فأصيبوا بجراح بالغة . والظاهر أن هذا المحل كان «محطة» للتجار النبطيين الذين كانوا يحملون متاجرهم الى مصر



ش ١٧ : قبة للشيخ عليان في حديقة فيران

« وعرق رجامات البيض » على نحو نصف ساعة من عرق المجرحين وهو تل صغير في جانب الوادي الايسر عليهِ رجوم بيضاء ، قيل أن الحماضة لما سكنوا حديقة فيران قديماً كانوا في الصيف يرحلون الى هذا المكان ليلاً هرباً من البعوض الذي يكثر في الحديقة ويجلب الحمى الى أهلها * * وذكر المقريزي مدينة فاران فقال :

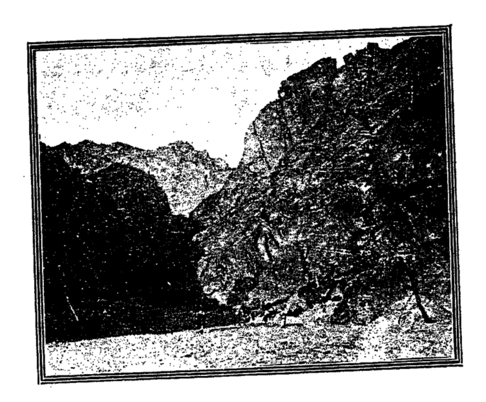
هذه المدينة بساحل بحر القلزم وهي من مدن العماليق على تل بين جبلين وفي الجبلين نقوب كثيرة لا تحصى مملوءة أمواتاً . ومن هناك الى بحر القلزم مرحلة واحدة ويقال لهُ هناك ساحل بحر فاران وهو البحر الذي أغرق الله فيه فرعون . و بين مدينة فاران والتيه مرحلتان. . . وكانت مدينة فاران من جملة مدائن مَدْين الى اليوم وبها نخل كثير مثمر أكلت من ثمره . وبها نهر عظيم . وهي خراب يمرّ بها العربان » اه

﴿ ووادي حِبران ﴾ ينشأ من « نقب حبران » شرقي جبل سربال ويسير متعرّجاً جنوباً نحو ١٥ ميلاً فيصب في سهل القاع على نحو ١٦ ميلاً من مدينة الطور . وهو في طريق هذه المدينة من الدير والعقبة . وعند مصبهِ حجارة نبطية * وفيه ثلاث عيون: «عين الوَطية» في رأس الوادي في سفح نقب حبران الجنوبي . « وعين الرُّدَيسات » على نحو خمسة أميال من عين الوطية وعليها ثلة من النخيل «وعين الحشا» على نحو خمسة أميال من عين الرُّديسات وهي أغزرها ماء تجري نحو ٣أميال ثم تغور بالقرب من مصب الوادي وفي مجراها بعض النخيل * ومن فروع حبران:

« وادي كِبرين » يأتي من الشرق من جبل مدسوس ويصب فيهِ بين عين الوطية وعين الرّديسات بعد مسيرة ٦ أميال أو نحوها . وفي رأسهِ في جبل مدسوس يكثر التَّيتل فتقصده السياح للصيد

« ووادي الملاّحة » يأتي حبران من الشمال الغربي ويصب فيه بين عين الرُّديسات وعين الحشا . طولهُ نحو ٦ أميال وفي رأسهِ معدن للمنغنيس والحديد عدنهُ القدماء . أتيت هذا المعدن سنة ١٩٠٧ فرأيت تلالاً من نفاوة المعدن وبقربها عدة أكواخ بناها المعدّنون الأقدمون مساكن لهم ، وهي مبنية بالحجر «الغشيم» والطين بناء متيناً جداً حتى تجد الطين لاصقاً بالحجر كأنهُ جزء منهُ ، ولها أبواب من حجر ضيقة جداً ، شبران في شبرين ، فلا يمكن الدخول منها الاّ زحفاً . وأهل البلاد يسمونها « قَصَر » مفردها قُصير

« نقب حبران » أما نقب حبران فهو جبل مرتفع شهير يطل على سهل القاع وجبل سربال وجبال التيه فتتجلى مَنهُ مناظر من أجمل مناظر سيناء وأبهاها . وطولهُ من أسفلهِ عند عين الوطية الى رأس قمتهِ مسيرة ساعة. وعلى قمتهِ خرائب قرية قديمة للسكان الأصليين تخترقها طريق الطور . ترى المنازل فيها مبنية على شكل اسطواني أو حلزوني تنتهي بقبة ولكل منزل في أسفلهِ حائط متين يدعمهُ ، وكلها بالحجر الغشيم والطين. وللقرية جبَّانة محكمة الصنع فيها أربعة أضرحة : ضريحان تحت الأرض وضريحان فوقها قالوا وقد وجد بعض البدو في تلك الجبَّانة أساور من ذهب



ش ١٨ : فم وادي اسلا عند مصبه بالقاع

﴿ ووادي إِسلا ﴾ ينشأ من غربي طور سيناء ويسير متعرجاً بين الجبال الغرانيتية الى أن يصب في سهل القاع على نحو ١٤ ميلاً من مدينة الطور. وهو أجمل وادٍ في سيناء كلها. وفيهِ عين تجري مسافة قصيرة ثم تغور في الرمال قبيل مصبهِ بالقاع. وفيهِ تمر طريق مختصرة من مدينة الطور الى دير سيناء. ويعرف رأسهُ «بوادي الطرفاء»

٢ . الاودية التي تصب في خليج العقبة مبتدئاً من الجنوب

﴿ وادي تَدَوي ﴾ يصب في خليج العقبة عند ميناء النبك الشهير. ولهُ فروع كثيرة أشهرها: «وادي لَتحي» وفيهِ تمر طريق مختصرة من النبك الى مدينة الطور

﴿ ووادي الكيد ﴾ ينشأ من شرقي طور سيناء ويسير مسافة طويلة في جبال وعرة، والأودية تصب فيهِ عن اليمين والشمال، الى ان يصب في الخليج عند خشم الكلب على ساعتين الى الشمال من ميناء النبك. وفي هذا الوادي عين غزيرة تُنسب اليهِ تمر بها طريق النبك الى السويس

﴿ ووادي السمراء ﴾ ينشأ من جبل السمراء ويصب في الخليج على نحو ثلث

ساعةمن مصب الكيد. قيل وفي جبل السمرآء معدن للنحاس كما في وادي النصب الغربية

﴿ ووادي النصب الشرقية ﴾ ينشأ من الشرق ويخترق البلاد متعرجاً فيها مسافة ٤٨ ميلاً الى أن يصب في الخليج عند ميناء ذهب . وفيهِ عين غزيرة ونخيل . ويعرف عند رأسهِ بوادي الرَّحبَة الواقع في طريق الدير من وادي اسلا * ولوادي النصب فروع شتى أشهرها وأعظمها :

« وادي سُعال » ينشأ من جبل العرفان فرع الجبل الأحمر ويسير في منحنى عظيم تحديبهُ الى الشمال ويصب في النصب قبل مصبهِ في ميناء ذهب بنحو ساعتين. قيل ويعرف في أسفلهِ « بوادي الحمَّام »

﴿ ووادي العين ﴾ ويسمى ايضاً « وادي وَتير » ينشأ من جبال التيه الشرقية ويصب في الخليج عند قلعة النويبع . وقد سُمِّي وادي العين لأن في مجراه على أربع ساعات من جنوبي قلعة النويبع عيناً تدعى عين الفرطاقة أو « العين السفلى » تمييزًا لها عن « العين العليا » في اعلاه الآتي ذكرها ، وسمي وادي وتير لأنهُ متحدب من وسطهِ كوتر « أي سرج » الجمل . وهو يتألف من أودية شتى تجمعها ثلاثة وهي :

« وادي الشيخ عطية » . « ووادي الزَّلقة » . « ووادي الغزالة »

يأتي وادي الشيخ عطية من الشمال ووادي الزلقة من الغرب ويلتقيان في مكان في الوادي يدعى « الهرَمات » على نحو ٢٢ ميلاً من قلعة النويبع . ثم يسير الوادي مسافة سبعة أميال تقريباً فيلاقي وادي الغزالة آتياً من الجنوب الغربي عند العين السفلى ويسير الكل باسم وادي العين الى النويبع * ومن فروع وادي الشيخ عطيّة :

« وادي السَّورة » يصب فيهِ عن يمينهِ على نحو ساعة من الهرمات * وعلى نحو ساعتين من مصب السورة مسنداً في الوادي « قبر الشيخ عطية » أحد اجداد الترابين الذي سميت الوادي باسمهِ وهو قبر يزار يزوره الترابين وغيرهم من القبائل المجاورة * وعند قبر الشيخ عطية تلتقي الأودية الآتي ذكرها

« وادي الحَيثي » آت من الشمال الشرقي . وعليهِ قبر الشيخ سليمان ابو قردود اللُّحيوي

« ووادي شعيرة الدّبس » آت من الشمال من المنحدر الجنوبي لجبل الشعائر

وفيهِ تمر الطريق من النويبع والدير الى غزة وسيأتي ذكرها تفصيلاً في باب الطرق

« ووادي مَرطبة » * « ووادي قدَيرة » آتيان من الشمال الغربي

«ووادي جُدَيع» آتٍ من الشمال الغربي أيضاً . وفيهِ «عين جُدَيع» على نحو نصف ساعة من قبر الشيخ عطيَّة ومنها يشرب زواره * ومن فروع وادي الزَّلقة :

وادي البيار » يأتيهِ من جبال العُجمة ويصب فيهِ في مكان يُدعى المجرَح على نحو ساعة ونصف من العين العليا . وفي رأس هـذا الوادي عدّ ماء ينسب اليهِ ونواويس قديمة * « ووادي ابو طريفية » قيل وفيهِ معدن ذهب

وفي سيل الزلقة عينان : « عين العاقولة » على نحو ساعة ونصف من الهرمات « والعين العليا » على نحو أربع ساعات من العين السفلى . وتدعى أيضاً عين احمد وهناك نواويس قديمة كالتي في نقب حبران وحديقة من النخيل * ومن فروع الغزالة :

« وادي حُضْرة » وهو وادٍ قصير يصب فيهِ على نحو ساعتين من مصبهِ بوادي العين * وفي وادي حضرة على نحو ساعة من مصبهِ بالغزالة «عين حضرة » وهي في المشهور عين حَضيروت التي مرَّ بها الاسرائيليون عند ارتحالهم من جبل سيناء (سفر العدد ص١١: ٣٥ و ص١٢: ١٦) * وهناك نواويس قديمة للسكان الأصليين واطلال مساكن لرهبان سيناء وحديقة صغيرة من النخيل . وقد كانت العين والحديقة ملكاً لرهبان سيناء فاضطروا ان يهبوها لعرب العليقات ولا زالت في حوزة هؤلاء الى الآن

ويصب في خليج العقبة من النويبع فصاعداً شمالاً عدة أودية كبيرة أشهرها:

«وادي طُوَيبة» وهو ينشأ من نقب ذنيب «العير ويصب» في الخليج تجاه جزيرة فرعون وفيهِ طريق من هذه الجزيرة الى درب الحاج ودرب الشّعوي الآتي ذكرهما

« ووادي طابا » وهو ينشأ من جبل طرف الرّكن ونقب العقبة ويصب في الخليج قرب مصب طويبة على ثمانية أميال من قلعة العقبة برًّا وستة أميال بحراً وهو الوادي الذي وقع الخلاف عليهِ سنة ١٩٠٦ م بين الدولة العليـة والحكومة المصرية فبقي في حد مصر وجُعل مبدأ الحدّ الفاصل أكمة صغيرة في جنبهِ الأيسر عند مصبهِ بالخليج سميت «رأس طابا» . وعند مصب هذا الوادي بئران بئر حفرها

الميرالاي سعد بك رفعت عند اخلائهِ العقبة سنة ١٨٩٢ وبئر حفرها رشدي باشا قومندان العقبة سنة ١٩٠٦ في اثناء الخلاف المار ذكره * وعلى نحو ثلاثة أميال من مصبهِ بالبحر عين تعرف باسمهِ. وعليها دومة ولعلها الدومة الوحيدة في الجزيرة كلها

ومن الأودية التي تصب في خليج العقبة وقد دخلت في حد الدولة العلية :

﴿ وادي المصري ﴾ ينشأ من رأس نقب العقبة ويصب في الخليج على نحو ميل ونصف ميل من مصب طابا . سمي كذلك لأنهُ كان منفذ الحجاج المصريين الى العقبة

﴿ ووادي المحسَّرات ﴾ وهو وادٍ قصير ينشأ من أسفل النقب ويصب في رأس الخليج عند « المرشّش » على ميل ونصف من مصب المصري وقد كان منفذ طريق الحج المصري الى الخليج بعد ترك وادي المصري

وعلى شاطئ الخليج بين مصب وادي المصري ومصب المحسرات حجر كبير في طريق المارة يدعى «حجر عَلَوي» وهو الحد القديم بين عربان الطورة وعربان العقبة

﴿ ووادي العرَبة العظيم ﴾ يمتد من البحر الميت الى رأس خليج العقبة مسافة ١١٥ ميلاً تقريباً . ويعترضهُ في وسطهِ « جبل الريشة » فيقسمهُ قسمين : قسماً ينحدر السيل فيهِ شمالاً الى بحر الميت ، وآخر ينحدر فيهِ جنوباً الى خليج العقبة . وسنعود الى ذكرهِ بعد الكلام عن مدينة العقبة

﴿ ٢ و ٣ أودية بلاد التيه والعريش ﴾

وأما أودية بلاد التيه والعريش فيرجع اكثرها الى واديين عظيمين وهما : « وادي الجرافي » . « ووادي العريش »

﴿ وادي الجرافي ﴾

أما «وادي الجرافي» فينشأ من جبال بلاد التيه الجنوبية الشرقية ويسير شمالاً بشرق نحو مئة ميل والفروع تصب فيهِ عن اليمين والشمال الى أن يصبَّ في العَرَبة على نحو ست ساعات شمالي جبل الريشة * وفي بطن هذا الوادي عدة أمِئّة أهمّها :

« مشاش الكُنْتِلّة » على نحو ٣٤ ميلاً من المفرق * وقد احتفر محافظ سيناء

سنة ١٩١١ بئراً في جنب هذا الوادي الأيسر تجاه المشاش وطواها بالحجر المنحوت عمقها ٢٣ متراً وماؤها غزير عذب الى الغاية * «وثميلة سوَيلم» على نحو ٧ أميال من مشاش الكنتلة * «ومشاش أبو شوك» على نحو ميلين من ثميلة سويلم * « ومشاش البقر » على نحو ٣ أميال من مشاش أبو شوك * وأهم فروع هذا الوادي :

﴿ وادي رُحَيّة ﴾ وهو أصل الجرافي ولهُ عدة فروع أهمها: «وادي شعيرة مظعان» سمي كذلك لأن فيهِ قبر شيخ ترباني يزار يعرف بهذا الاسم . « ووادي شعيرة أم عرقوب » وهذان الفرعان ينشآن من جبل الشعائر من منحدرهِ الشمالي كما ان شعيرة الدبس الذي يصب في وادي الشيخ عطية ينشأ من ذلك الجبل من منحدره الجنوبي * « ووادي الأخريطي » وهو ينشأ من غرب جبال الحمرآء . وفيهِ مشاش ينسب اليهِ على نحو ٣ ساعات من المفرق في درب الحج المصري

﴿ ووادي خميلة النعجة ﴾ ينشأ من جبال الحمرآء والصفرآء ويصب في الجرافي عن يمينهِ على نحو خمسة أميال جنوبي مشاش الكنتلة . وفيه شجر كثير يصنع فحماً . وهو واقع في درب غزة * ولهُ فرع عن يمينهِ يدعى «المحابيس» . أتيت رأس هذا الفرع على هجين وسرتُ فيه منحدراً سير الذميل فوصلت مصبهُ بساعة وربع ساعة

﴿ ووادي الأغيدرة ﴾ ينشأ من جبال الصفراء ويصب في الجرافي عن يمينهِ على نحو ٣ أميال جنوبي الكنتلة . وفيهِ تمر درب غزة فتنحدر معهُ الى قرب مصبهِ

﴿ ووادي سلالم ﴾ ينشأ من جبال طرف الركن وغيرها ويصب في الجرافي عن شمالهِ قرب مشاش الكنتلة ؟

﴿ ووادي الهاشّة ﴾ يصب في الجرافي عن يمينهِ على نحو ميلين من مشاش الكنتلة منحدراً مع الوادي * ويتفرع منهُ وادي « هاشة الشوافين » وفيـهِ قبور الشوّافين اللحيوات بينهـا قبران يزاران للشيخ صبح والشيخ حسين بن زيدان

﴿ ووادي الخضاخض ﴾ . ﴿ ووادي الغُبَي ﴾ ينشآن من جبل القنّة ويقطعان درب غزة ويصبان في الجرافي: الأول عند ثميلة سُوَيلم والثاني عند مشاش أبو شوك

﴿ ووادي أم حلُوف ﴾ ينشأ من جبل سماوي ويصب فيهِ عن شمالهِ عند مشاش البقر

﴿ وادي العريش ﴾

وأما وادي العريش فينشأ من جبال العجمة ويخترق بلاد التيه ثم بلاد العريش، والأودية وامهات الأودية تنضمُّ اليهِ من اليمين والشمال فيزداد ضخامة واتساعاً كلما اتجه شمالاً ، الى ان يصب في البحر المتوسط عند مدينة العريش ومن ذلك اسمهُ . وهو أعظم أودية سيناَء كلها . طولهُ نحو ١٥٠ ميلاً ومتوسط عرضهِ نحو ستين يرداً .



ش ١٩ : فم وادي العريش عند مصبه بالبحر المتوسط

ولهُ رأسان : « وادي المغارة » ينشأ من نقب ورصآء * « ووادي جُنَيف » ينشأ من « حصى المُرَوكِبة » شرقي ورصآء ، يلتقيان قبيل جبلٍ ظلّيل عن يمين الوادي يدعى « عرقوب الراهب » . اما العُرقوب فطريق في جبل فسمي الجبل بالعرقوب لأن فيهِ عقبة صغيرة في طريق نخل الى بلاد الطور ، قالوا وقد نسب الى الراهب لأنهُ قد تنسَّك فيهِ راهب في القديم * وأهم فروع وادي العريش :

﴿ وادي ابو مُتَيقنة ﴾ يأتيهِ من نقب الراكنة ويصبُّ فيهِ عن يساره بعد مروره بعرقوب الراهب بقليل * وفيهِ على طريق المسافر من نخل « عين ابو متيقنة » على نحو ساعتين من رأس النقب وساعتين من مصب الوادي * وعلى نحو خمس دقائق

من مصب هذا الوادي منحدراً بوادي العريش «بارود العايدة» وهي مدافن قديمة للعايدة عن يمين الوادي قد نصب عليها اخشاب كأخشاب البنادق ومن ذلك اسمها

﴿ ووادي البربري ﴾ يأتي وادي العريش عن يمينهِ على نحو ساعة وربع ساعة من مصب ابو متيقنة * وهناك « مزارع للبَدارة »

﴿ووادي البيَّاض﴾ يأتي وادي العريش عن يمينهِ على نحو ساعة من مصب البربري

﴿ ووادي مَجْمَر ﴾ ينشأ من نقب وطاه ويصب في وادي العريش عن يساره على نحو أربع ساعات من مصب البيَّاض * وعلى نحو ربع ساعة قبل مصبهِ «مزارع الصفايحة»

﴿ ووادي ابو لُقَين ﴾ يأتي وادي العريش عن يمينهِ على نحو خمس دقائق من مصب مَجْمَر . ولهُ فرعان : وادي السّقي » وعليهِ «قبر الشيخ محمود» . « ووادي رُجَيم» وفيهِ « بئر رجيم » * ويرى المنحدر في وادي العريش من مصب ابو لقين:

« عُجْرة الملح » وهي تلة صغيرة عن يمين الوادي على نحو ساعة من مصب أبو لقين يستخرج منها الملح

« فدرب الشّعْوي » وهي درب قديمة من السويس الى نقب العقبة تقطع وادي العريش على نحو ساعتين ونصف ساعة من عجرة الملح وسيأتي ذكرها

« فثميلة أم سعيد » على نحو نصف ساعة من مقطع درب الشعوي

« فخفْجة ابن لهمان » على نحو ساعة ونصف ساعة من الثميلة عن يمين الوادي

« فغدير الحمارة » على نحو ساعتين ونصف ساعة من خفجة ابن لهمان وهو غدير عظيم يدوم فيهِ المآء أياماً بعد انقطاع السيل

﴿ ووادي أبو عُلَيجانة ﴾ ينشأ من نقب الهيَّالة ويصب في وادي العريش عن يمينهِ على نحو ربع ساعة من غدير الحمارة

﴿ ووادي أبو طُرَيفية ﴾ ينشأ من جبال العُجْمة ويصب في وادي العريش عن يمينهِ على نحو ٣ ساعات من مصب أبو عليجانة * وعن يمين أبو طريفية على نحو ميل قبل مصبهِ بوادي العريش « مدينة نِخل » الشهيرة . وفيها تمر درب الحج المصري بعد ان تقطع وادي العريش ببضع دقائق

﴿ ووادي أبو غُرَيْقِدَّات ﴾ يصب في وادي العريش عند « عُجَيرة الشّي » وهي تلة شهيرة على نحو ساعة من مصب أبو طريفية

﴿ووادي الرُّواق﴾ ويعرف في أعلاه بوادي العجمة لأنهُ ينشأ من جبال العجمة ويصب في وادي العريش على نحو ساعة من مصب أبو غريقبدات * وفي أعلى الرُّواق صُنع قديم يعرف « بصُنع الزرقاء» يسع من المآء ما يكفي ٤٠٠ جمل ٤٠ يوماً. وعلى نحو ثلثي الساعة من مصب الرواق مزارع متسعة للتياهة تدعى « الخُفْجة »

ومن فروع الرواق : « وادي الرُّويق » ولهذا فرع يدعى « مُسَيك العبد » فيهِ نواويس قديمة * « ووادي الغَبِيَّة » ينشأ من شويشة العجمة ويصب في الرّواق عند جبل أبو هَشمي على نحو ساعتين شرقي نِخل * وفي هذا الفرع مِكراع مآء يكفي إبل العرب المجاورة لهُ مدة شهر أو اكثر

﴿ ووادي البُروك ﴾ وهو من أمهات الأودية ينشأ من جبال الراحة وجبل بَضيع ويصب في وادي العريش عن يساره عند غدير القفّ على نحو ست ساعات من مصب الرواق * وفي بطن هذا الوادي ، على نحو أربع ساعات من مصبهِ بالعريش ونحو ٢٠ ميلاً غربي نخل ، آبار تدعى « ثمادة البروك » * ولهُ فروع شتى أشهرها : «وادي صدر الحيطان» . «ووادي الأُغَيدرة» . « ووادي الدُّحَيمي » . « ووادي النُّتَيلة » . « ووادي ابو كنادو » . « ووادي ابو جِذل» . وكلها تقطع درب الحج المصري أو تسير معها

﴿ ووادي العقابة ﴾ وهو من أمهات الأودية ينشأ من جبال العجمة ويصب في وادي العريش عن يمينهِ عند ضيقة إِخرم على نحو ساعة من مصب البروك * وأهم فروعهِ: « وادي القُرَّيص » في أعلاه . وفيهِ « بئر القُرَّيص» على درب الحاج المصري على نحو ٣٧ ميلاً من نخل ، وكانت محطة للحجاج يبيتون عندها بعد خروجهم من نخل . وتعرف أيضاً بيئر أم عباس نسبة الى أم عباس الخديوي التي طوتها بالحجر المنحوت وبنت عندها بركتين طول اكبرها ٩٩ قدماً وعرضها ٥٧ قدماً وعمقها ١٤ قدماً . وتعرف هذه البئر أيضاً « بيئر أبو محمد» نسبة الى الشيخ أبو محمد الجوهري

المدفون هناك على نحو ربع كيلومتر شمالي البئر في قبر حسن البناء . وقد مررت بهذا القبر في ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٠٦ فاذا هو في حال الخراب ولكن آثاره تدل على فخامتهِ. ورأيت بين الانقاض حجراً طباشيرياً من حجارة تلك الجهة قد نقش عليهِ اسم صاحب القبر وتاريخ وفاتهِ، ولكن الايام قد عبثت بالكتابة حتى لم يبقَ مقروءًا منها الاَّ ما يأتي : « بسم الله الرحمن الرحيم الحي الذي لا يموت . قبر المرحوم .. العينتبلي الشهير بالجوهري ... في ثاني عشر شوال سنة تسعين وتسعمائة تغمدهُ الله تعالى برحمتهِ والمسلمين آمين » اه . وهذا التاريخ يوافق ٩ نوفمبر سنة ١٥٨٢م . والظاهر أن أبا محمد الجوهري هذا خرج للحج في تلك السنة فمات عند هذه البئر وكان عزيزاً في قومهِ فبنوا لهُ هذا القبر أحياءً لذكرهِ * ومن فروع وادي القُرَّيص :

« وادي المشيِّش » وفيهِ عدٌّ يُنسب اليهِ واقع في الطريق الى النويبع من نخل

« الولي المفسود » وفي جنب هذا الوادي على درب الحج المصري قرب مفرق الطريق الى بئر الثمد رجم كبير من الحجارة يعرف برجم « الولي المفسود » . مررت بدرب الحج سنة ١٩٠٦ مع جماعة من البدو فما وصلنا هذا الرجم حتى رأيت كلاً من البدو قد أخذ حجراً ورمى بهِ الرجم وأخذ يصب عليهِ الشتائم ويقول « اخسأ يا ملعون الوالدين اعقب اكعب الله يلعنك » . فسألتهم في ذلك فقالوا هذا قبر رجل يدعى مُصبَّح كان وليًّا ففسد وضلَّ السبيل فسُمّيَ الوليَّ المفسود * قالوا وفي أعلى وادي الأبيض على درب غزَّة على نحو عشرة أميال من خرائب العوجة وليٌّ آخر مفسود يدعى « عَمْري » ولكن ليس من يعرف لهذين الوليّين أصلاً ولا تاريخاً . وظنّ بعضهم ان عمري هذا هو عمري ملك اليهود الذي بنى السامرة «وعمل الشرّ في عينَي الرب » «ملوك الاول ص ١٦ عد ١٦ : ٢٨» * ومن فروع القرّيص:

«وادي الطيّبة» وفيهِ عدٌّ ينسب اليهِ على نحو ١٢ ميلاً جنوبي بئر القرَّيص . ولهُ فرع يدعى «وادي أم رجام» فيهِ آثار قديمة قيل وجد بعض السياح هناك صخرة نبطية

«ووادي الثمد» ينشأ من جبل الطباقة . وفي هذا الوادي بئر تدعى « بئر الثمد» او « ثمد الحصى» على نحو ٣٩ ميلاً من نخل و ٨ أميال من بئر القرّيص عمقها قامتان

ونصف مطوية بالحجر « الغشيم » ولها فوهة واسعة حفرها الخناطلة اللحيوات منذ نحو خمسين سنة . وفي جوارها بئر قديمة العهد قد دفنت فشرع في تطهيرها الميرالاي سعد بك رفعت سنة ١٩٠٦ . ثم جاء اليوز باشي محمد افندي بهجت من ضباط الجيش المصري فأتمَّ تطهيرها ولكنهُ لم يطوِها بحجر ونصب عند فم البئر حجراً نقش عليهِ هذه العبارة بحرفها: « هذا البئر حفر بمعرفة اليوز باشي محمد افندي بهجت من ٣ حي أورطة بيادة مصرية سنة ١٩٠٦» * ومن فروع وادي الثمد : «وادي الشيخ نبعة» سُمّي باسم شيخ يزار من الترابين مدفون فيهِ على نحو ساعة من بئر الثمد

ومن فروع العقابة : «وادي الفيحي» يصب فيهِ على نحو ٦ ساعات قبل مصبهِ بوادي العريش * ومن فروع الفيحي :

« وادي الرّيد » تخترقهُ درب الحج المصري . وفي منتصف هـذا الوادي في جنبهِ الأيسر أكمة عليها رِجم يدعى « مقعد الحبيبين » قالوا : افترق اخوان من عرب جَرْم فسكن أحدهما في الشرق والآخر في الغرب فولد للأول صبي وللثاني بنت وشب الولدان فخرجت الشابة يوماً من وادي الحسنة شمالي نخل لرعي إبلها وخرج الشاب من وادي العرَبة على هجين فالتقيا في وادي الريد هذا عند تلك الأكمة فحنَّ كلٌّ منهما الى اصلهِ وأحسَّ بميـل الى الآخر وكان هجين الشاب عطشاناً فحفرت الشابة حفرة وافترشت عليهـا صُفرة (جلد غنم مدبوغ) وحلبت نياقها وسقتهُ ، ثم تعارفا واقترنا فوُضع الرجم على تلك الاكمة تذكاراً لذلك

« ووادي قُرَيّة » وهو من اكبر فروع العريش يصب فيـهِ عن يمينهِ عند « ضيقة الحمَاضة » على نحو ٣ ساعات من مصب العقابة و ٣٥ ميلاً من مدينة نخل

وفي هذا الوادي عدّة آبار حيَّة أشهرها : « بئر المالحة » . « وعد عجرود» . « و بئر قُرَيّة » . وهذه البئر الأخيرة واقعة على ٩ أميال غربي درب غزَّة

ومن فروع وادي قرَيّة : « وادي خُرَيزة » ينشأ من جبل عُرَيف الناقة * «ووادي الأُحَيقبة » ينشأ من جبل الأحيقبة ويقع في طريق غزَّة

« ووادي مايين » وهو أهم فروع قُرَيَّة يأتيهِ من غرب جبل سماوي ومن

جنوب المقراة ، ولعل هذا أصل تسميتهِ بمايين ، ويمرُّ بجبل عريف الناقة من شمالهِ

وفي رأس هذا الوادي عدة آبار حية شهيرة تعرف « بآبار مايين » لا ينقطع ماؤها تعلو نحو ٢١٣٠ قدماً عن سطح البحر . وعلى نحو ٣ كيلومترات من هذه الآبار « عين المغارة » وهي عين في مغارة يردها عرب الصُّبْحِيين العزازمة وقد جعلتها لجنة الحدود سنة ١٩٠٦ في حد الدولة العلية وجعلت آبار مايين في حدّ مصر *

وفي هذا الوادي في أسفل « عُقلة » الآبار مضيق لو جعل فيهِ سدٌّ لأروى أرضاً زراعية متسعة عن جانبي الوادي . وهناك خرائب قُرًى وسدود زراعية مما يدلُّ على ان الوادي كان عامراً في القديم . وقد ذكره المقريزي في جملة مداين مَدْين كما سيجيْ *

ومن فروع مايين : « وادي الأحمر » وعليهِ مقام « الشيخ صبَّاح » بجوار جبل عرَيف الناقة وهو من أجداد التياها * ومن فروع قُرَيّة :

« وادي الفَهْدي » يصب فيهِ عن يساره قرب مصبهِ بالعريش * وقد جرت فيهِ قديماً واقعة دموية بين العليقات من عرب الطور والكعابنة من عرب الخليل سيأتي ذكرها . وهناك أثر لتلك الواقعة على جنب الوادي الأيسر في طريق نِخل الى غزة ، وهو ثلم في الأرض طولهُ نحو خمسين متراً وعلى كل من جانبيهِ صفٌّ من الحجارة ، وعلى الصف الذي يلي نِخل وَسْم العليقات والصف الذي يلي غزة وسم الكعابنة ، وما زال البدو يحيون هذا الأثر كلما عبثت بهِ الرياح الى اليوم

﴿ ووادي الشُّرَيف ﴾ يأتي وادي العريش من جبل الشُّرَيف ويصب فيهِ عن يمينهِ عند « مزارع الشتيَّات التياها » على نحو ساعتين وربع من مصب قُرَيَّة

﴿ وسيل الحضيرة ﴾ ينشأ من جبل الحلال ويصب في وادي العريش عن يسارهِ على نحو عشر دقائق من مصب الشريف * وفي هذا السيل قبل مصبهِ بقليل « هرابة » أثرية مشهورة منحوتة في أصل الصخر تدعى « هرابة ابن نافع » * وهناك « هرابة » أخرى على ستة أميال من المُوَيلح ، وهي نُقرة في صخر يُخزن فيها ماء المطر ، يجري اليها في قناة متصلة بأكمة في جوارها طولها ٦٠ قدماً وعرضها ٤٠ قدماً وعلوها ٢٠ قدماً يُنزل اليها بسُلَّم من أصل الصخر وقد تُرِك في وسطها عمود من أصل الصخر لعمد سقفها

« وادي الجُرور » يصب في العريش على نحو ساعتين ونصف من مصب سيل الحضيرة ولهُ فروع أشهرها : «وادي لصَّان» ينشأ من جبل خراشة وجبل العُنَيقة

« ووادي المُنبَطِح » يصب في العريش عند « ضيقة الحلال » وهي مضيق بين جبل الحلال وجبل ضَلْفع على نحو ساعة من مصب الجرور * ومن فروعهِ :

« وادي السيسب » . « ووادي الجايفي » * ومن فروع الجايفي :

« وادي قُدَيس » الناشئ من جبل خراشة . وفي رأسهِ « عين قُدَيس » المنسوبة اليهِ ، وهي برأي اكثر المحققين من علماء التوراة أنها «عين قادش» التوراة . تتألف من اربعة ينابيع غزيرة في بطن الوادي: نبعان يجري ماؤهما فوق الأرض نحو نصف ميل ثم يغور في الأرض وعدّان ينحبس ماؤهما تحت الأرض . وليس بقرب هذه الينابيع أرض صالحة للزراعة ولكن على ثلاثة أميال منها وادي الجايفي الغني بمزارعهِ . ويرد هذه العين الآن قبيلتا العزازمة والبريكات التياها * ومن فروع المنبطح :

« وادي المُوَيلح » وفيهِ عين شهيرة وآبار حية تنسب اليهِ وهناك قبر الشيخ عوده بن عمرو من البُنيَّات التياها . وفي هذا الوادي قرب الماء مغاور قديمة للنساك منحوتة في الصخر . وعلى رؤوس التلال التي تشرف على الآبار خرائب قرى قديمة للسكان الأصليين * ومن فروع المويلح :

« وادي القُصَيّمة » وفي رأسهِ « عين القصيمة » الشهيرة الواقعة على درب غزة على ٣ أميال شرقي آبار المويلح * «ووادي الصحبة » وفيهِ أراضٍ زراعية متسعة للتياها تزرع على المطر * والى شمالي الصَّبحة مزارع متسعة للتيـاها والترابين تعرف « بالعَمْر » * ومن فروع الصبحة:

« وادي القديرات » الناشئ من جبل خراشة وفي رأسهِ « عين القديرات » المنسوبة اليهِ . على نحو ثلاثة أميال شرقي عين القصيمة . وهي نبع غزير كنبع فيران يتدفق من سفح جبل خراشة فيجري كنهر صغير في غوطة من قش النال وشجر السِّدر مسافة ميل ونصف ميل ثم يغور في الرمال فلا يُنتفع بهِ ، مع أن في جانبي ذلك الوادي أراضي متسعة تبلغ نحو عشرة آلاف فدان أو أكثر صالحـة للزراعة .

وهذه العين وواديها للقديرات التياها وقد دخلنا في حدّ مصر * وعين القديرات أعلى موقعاً وأغزر مآءً من عين القصيمة كما ان هذه أعلى موقعاً واغزر مآءً من عين المويلح وكلها في اتجاه واحد . فلا يبعد اذاً ان تكون كلها من نبع واحد وهو عين القديرات *
وقد أتيت هذه العين فرأيت في جنب الوادي الأيسر على نحو ميلين من رأس النبع بركة ماء قديمة العهد مبنية بالحجر المنحوت مساحتها ٢٠ متراً في ٣٠ متراً وعرض حائطها نحو مترين قد بني على شكل دَرَج قصد تقويتهِ . ولعلها من بناء الرومان
ويرى المنحدر في وادي العريش بعد ضيقة الحلال عدة آبار حية قريبة القعر اشهرها:
« عدّ الروافعة » على نحو ١٢ ميلاً من ضيقة الحلال
« فعدّ ابو عُوَيقيلة » على نحو ميل ونصف ميل من عدّ الروافعة
« فعدّ أولاد علي » بقرب عدّ ابوعويقيلة وهناك قبور أولاد علي من أجداد الترابين
« فعدّ المَقْضَبَة » على نحو خمسة أميال من عدّ أولاد علي و٢٤ ميلاً من مدينة العريش ، وهو أشهر عدود وادي العريش وأغزرها مآءً وليس هناك عدّ واحد بل بضعة عدود في بطن الوادي يردها الترابين وغيرهم من عربان العريش والتيه وقد كان شأنها في القديم أعظم منهُ اليوم لوقوعها في « الدرب المصري » الآتي من غزة الى السويس والاسماعيلية وهو طريق تجاري سيأتي ذكرهُ
﴿ ووادي الأبيض ﴾ من أمهات الأودية يخرج من جبل المقراه ويصب في وادي العريش على ٦ أميال شمالي المقضبة و١٨ ميلاً جنوبي العريش . وأشهر فروعهِ:
« وادي العوجاء » ويقال لهُ ايضاً الأعوج وهو الأصح سُمّي كذلك لكثرة تعرجهِ : وفيـــهِ آثار مدينة متسعة فخمة البناء من عهد البيزنتيين وأهم تلك الآثار : كنيسة وقلعة وآبار وجبَّانة وكروم
« كنيسة العوجاء » أما الكنيسة فقائمة على تلة مرتفعة عن يسار الوادي طولها ١٢٢ قدماً وعرضها ٤٨ قدماً وعلو بعض جدرانهـا ٢٣ قدماً وستة قراريط وسمكها ٨ أقدام وعلو البعض الآخر ١٥ قدماً
« قلعة العوجاء » وأما القلعة فعلى التلة نفسها قرب الكنيسة وطولها ٢٧٢ قدماً

وعرضها ١٠٧ أقدام ولها بوابة عظيمة بقنطرة اتساعها ١٤ قدماً . وفي جانب القلعة الغربي الذي يلي سيناء باب اتساعهُ خمس أقدام يُنزل منهُ بسلّم طويل الى بطن الوادي . وفي طرف القلعة الشرقي الذي يلي سوريا حائط سمكهُ ١٥ قدماً وعلوه ٢٥ قدماً . ووراء هذا الحائط مخزن للحبوب . ومن ورائهِ أساس برج عظيم

« آبار العوجاء » ومن وراء البرج بئر متسعة مربعة الجوانب عمقها ٧٦ قدماً منها ٣٥ قدماً من فم البئر فنازلاً مطوية بالحجر المنحوت والباقي وهو ٤١ قدماً نقر في صخر . وقد ذكر المقريزي هذه البئر عند ذكره مدينة العوجاء كما سيجيءُ

وفي العوجاء عدا هذه البئر ١١ بئراً وكلها مثلها مربعة الجوانب ومطوية بالحجر المنحوت ولكل بئر عند فمهِ عريشة وقناة يُنقل الماء فيها الى أحواض أو أراضٍ زراعية بجانبها مما يدل على أنهم كانوا يرفعون الماء من الآبار بما يشبه الساقية المصرية

« مدينة العوجاء » أما المدينة فمبنية كلها بالحجر المنحوت حتى السدود التي أقامها أهلها في الوادي لتوسيع الري قد بنيت بالحجر المنحوت . وبين خرائب المدينة المتسعة حجارة رخامية وحجارة عليها نقوش وأشكال هندسية على أحسن هندام وأجمل وضع مما دلَّ على أن أهلها كانوا على جانب عظيم من التمدن والعمران

« جبَّانة العوجاء » وأما جبانة المدينة ففي طرفها الشمالي الشرقي . ولما مررت بالعوجاء سنة ١٩٠٦ رأيت في جبانتها كثيراً من الحجارة منقوشاً عليها باليوناني القديم اسماء المدفونين فيها وتاريخ وفاتهم ولكن كان أكثر تلك الحجارة مكسرًا ومبعثرًا في أرض المقبرة ولم يبقَ فيها منصوباً في مكانهِ الاَّ القليل ، والنقش على الحجارة غائر غير بارز . وقد أتيت ببعضها الى مصر وأطلعت عليها بعض أدباء اليونان فقرأ منها ثلاثة : على الحجر الأول: «اسطفان بتريك ذو الشعر الأصفر» * وعلى الحجر الثاني : « توفيت ماريا كونيرس » * وعلى الحجر الثالث : « صعد بمجد آمون »

« كروم العوجاء » ورأيت على التلال التي الى الجنوب الغربي من تلة الكنيسة كوماً من الحجارة على ابعاد متساوية جعلت صفوفاً مما دلَّ على انهُ كان هناك كروم متسعة من العنب . وقد حدثني كبير من بدو هذه الجهة قال : من الأخبار

التي أخذناها عن أسلافنا ان بلادنا هذه كانت مشهورة بخصب كرومها وجودة عنبها وكبر عناقيدها حتى كان عنقودان منها يحمّلان حماراً ! وقد جاء في التوراة في سفر العدد ص ١٣ : ٢٣ مشيراً الى الرسل الذين أرسلهم موسى الى حَبرون ليتجسسوا الأرض : « وأتوا الى وادي أشكول وقطفوا من هناك زَرَجونة بعنقود واحد من العنب وحملوهُ بالدُّقرانة بين اثنين مع شيءٍ من الرمان والتين »

وذكر المقريزي العوجآء في جملة مدائن مدْين فقال : « وكان بأرض مَدين عدة مدائن كبيرة قد باد أهلها وخربت وبقي منها الى يومنا هذا ، وهو سنة ٨٢٥ هـ (١٤٢٢م) ، نحو الأربعين مدينة قائمة ، منها ما يعرَف باسمهِ ومنها ما قد جهل اسمهُ . فما يُعرَف اسمهُ فيما بين أرض الحجاز وبلاد فلسطين وديار مصر ستة عشر مدينة منها في ناحية فلسطين عشر مدائن وهي : « الخلصة . والسَنيطة . والمدرة . والمنية . والأعوج . والخويرق . والبئرين . والماءين . والسبع . والمعلق . وأعظم هذه المدائن العشر الخلصة والسنيطة (وتعرف الآن بالسُّبَيطة) وكثيراً ما تنقل حجارتها الى غزة ويبنى بها هناك * ومن مدائن مدين بناحية القلزم والطور مدينة فاران ومدينة الرقة ومدينة القلزم ومدينة ايلة ومدينة مدين وبمدينة مدين الى الآن آثار عجيبة وعمد عظيمة * ووجد في مدينة الأعوج أعوام بضع وستين وسبعماية هـ (١٣٥٩ م) جبٌّ بقلعتها بعيد المهوى يبلغ عمقهُ نحو ماية ذراع وبقاعهِ عدة أسفار على رفوف حمل منها سفر طولهُ ذراعان وأزيد قد غُلّف بلوحين من خشب وكتابتهُ بالقلم المسند طول الألف واللام نحو شبر فوجد ببلاد الكرك من قرأهُ فاذا هو سفر من عشرة أسفار قد ابتدأهُ بحمد الله » اه

ومن فروع العوجاء : « وادي الحفير » يأتيهِ من المقراه * « ووادي بيرين » المشار اليهِ في كلام المقريزي وفيهِ بئران شهيرتان للعزازمة ومن ذلك اسمهُ . ويقرب البئرين بركة مآء من عهد الرومان كالبركة التي عند عين القديرات * وهذه الأودية الثلاثة الأخيرة أي العوجاء والحفير وبيرين قد دخلت في حدّ سوريا

ومن فروع بيرين: «وادي صرام» يأتيهِ من شرقي العَمر وفيهِ تمر طريق غزة

فتنحدر معهُ الى مصبهِ في بيرين وهو داخل في حدّ سيناء * ولنعد الى وادي العريش:

« رِجم القبَلَين » يرى المنحدر فيهِ على ٨ اميال من مصب وادي الأبيض هرَمين أثريّين عن جانبي الوادي الواحد تجاه الآخر وهما مبنيان بالحجر المنحوت والكلس على شكل هرم مدرج طول قاعدتهِ نحو عشرة أمتـار وعلوهُ كذلك . والأرجح أنهما من بناء الرومان وقد اقيما حدًّا بين قبيلتين وهما الآن الحدّ بين السواركة والترابين . يُدعى الرجم الغربي منهما الذي الى يسار الوادي « رِجم الحَمْضة » لأن نبت الحمضة كثير في جهتهِ ، وسميا كلاهما رِجم القبَلَين لأنهما متقابلان . وقد عبث الزمان والعربان بهما فتهدَّمت بعض جوانبهما وترى كثيرًا من حجارتهما مبعثرًا في الأرض حولهما ، فحبذا لو اعتنت محافظة سيناء بترميمهما

« بئر لِحفِن » وعلى نحو ميلين من رجم القبلين وثمانية أميال من مدينة العريش بئر لحفن على جانب الوادي الغربي في سفح جبل لِحفِن . وهي بئر قديمة العهد لباني القلعة التي على رأس الجبل . عمقها نحو ٢٠ باعاً مطويّة بالحجر المنحوت كبئر الرُّطيل الاَّ أنها اضيق منها . وقد كانت هذه البئر مدفونة فطهَّرها السواركة سنة ١٨٨١ . مررت بها سنة ١٩٠٦ فوجدت عليها نفراً من عرب الحويطات والسواركة يسقون إبلهم وقد جعلوا على فم البئر بكرة يستعينون بها على رفع الماء بأدلٍ من صفيح أو جلد . وهم يرفعون الماء بها اثنين اثنين : يعقد أحدهما طرف الحبل الى صدره ويولّي ظهره فم البئر ثم يصدر عنها جارًّا الدلو بصدرهِ حتى ترتفع فوق فم البئر فيتناولهـا الآخر ويفرغها في حوض بجانب البئر لسقي السائمة ، ثم يعود الأول الى البئر فيملا الدلو ثم يرفعهُ بصدرهِ وهكذا . وقد يستخدمون جملاً لهذه الغاية

اما القلعة التي على جبل لحفن فمبنية بالحجر المنحوت . وقد نقل أهل مدينة العريش حديثاً بعض حجارتها فجدَّدوا فيها بناء جامع المدينة * ومن رأس لحفن تنكشف البلاد الى مسافة بعيدة من كل الجهات فترى من الشمال البحر المتوسط ومنـارة جامع العريش ، ومن الجنوب جبال الِبني والحلال والمويلح ، ويحجب جبلَ المغارة عنهُ جبلُ الريسان ، وترى منهُ وادي العريش تنساب في صحرائها انسياب الحية

«الشجرة الفقيرة» وفي طريق العريش من بئر لحفن شجرة كبيرة من الطرفاء تدعى « الشجرة الفقيرة » وهي قائمة وحدها في وسط سهل فسيح محرق يقدّسها البدو ويعلّقون فيها حبال إبلهم تبركاً ويودعون عندها أغراضهم فلا يمسّها أحد

وقد ذكر وادي العريش أشعيا النبي «ص ٢٧ : ١٢» فسماه «وادي مصر» وذكرهُ غيره من رجال الكتاب المقدس أنهُ يحد بلاد فلسطين من الجنوب * وفي هذا الوادي كثير من شجر الجزيرة أخصُّها الطرفاء وقد أشار اليهِ شاعرهم بقولهِ :

«مسكين يا الي مسك رِدْن المليح وارخاه   وادي العريش ضجّ لهُ حتى خشب طرفاه»

ومن الأودية الشهيرة التي تستحق الذكر في بلاد التيه الشمالية الغربية :

﴿ وادي المغارة ﴾ ينشأ من جبل المغارة ويتجه جنوباً فيغور ماؤه في سرّ الحسنة . وهذا الوادي يُنسب الى مغارة في رأسهِ كمغارة مايين واقعة على نحو خمسين ميلاً من مدينة العريش . وبقربها «هرابة» قديمة منقورة في الصخر مغمورة الآن بالرمال . وعلى التلة المطلة على الهرابة خرائب قلعة قديمة من عهد الرومان

﴿ ووادي الحَمَّة ﴾ ينشأ من جبل المغارة ويصب في سر الحسنة وفيهِ بئر تنسب اليهِ على « الدرب المصري »

﴿ ووادي الحَسَنة ﴾ ينشأ من رُوَيسات الخضر الى الشمال الغربي من جبل المنشرح ويصب في سرّ الحسنة . وفيهِ آبار شهيرة على نحو ٣٥ ميلاً من نخل في طريق المسافر الى العريش وماؤها غزيرة كماء المقضبة

﴿ ووادي أبو قرون ﴾ ينشأ من رأس جبل يلَك ويصب في رملة غزيرة قرب الحَمَّة . وفي رأس هذا الوادي بئر أبو قرون المار ذكره

﴿ ووادي الجفجافة ﴾ ينشأ من جبل فِلّي ويصب في سرّ الحقيّب . وفيهِ بئر تنسب اليهِ

﴿ ووادي الجدي ﴾ ينشأ من جبل أم خشيب ويصب في سرّ الحقيّب . وفيهِ عد ينسب اليهِ في طريق الدرب المصري وعليهِ « قبر أم ضيَّان » ؟

﴿ ووادي الحاج ﴾ ينشأ من جبل الحيطان أحد جبال الراحة ويسير متعرجاً

غرباً بجنوب الى أن ينتهي في الترعة عند « كوبري » السويس أو يغور في الرمال قبل وصولهِ الترعة * وقد سمي وادي الحاج لأنهُ أول وادٍ يلاقيهِ الحج المصري في طريقهِ من السويس ويسير فيهِ من مصبهِ الى رأسهِ عند « شرفة الحاج » * ويعرف هذا الوادي في اعلاه « بوادي الحيطان » لأنهُ في أعلاه ، من « شَرَفة الحاج » الى « مفرق وادي الحاج » مسيرة ساعة ونصف ساعة ، يجري بين جبلين قائمين عن جانبيهِ كحائطين عظيمين

أما « مفرق وادي الحاج » فقد سمي كذلك لأن منهُ تفترق الطرق الى السويس ، فطريق تذهب مع وادي الحاج وتنتهي عند كوبري السويس وهي درب الحج المصري وهي طريق طويلة ، وطريق تنحرف يساراً فتقطع عدة أودية وتمرّ بوادي الراحة الى شط السويس وهي طريق مختصرة وسيأتي ذكرهما تفصيلاً في باب الطرق * أما « شرفة الحاج » فهي أعلى نقطة في وادي الحيطان فإذا انتهى الحاج من وادي الحيطان الى هذه النقطة انكشفت لهُ البلاد من الشرق وأشرف على بلاد التيه العظيم ومن ذلك اسمها * ومن فروع وادي الحاج :

« وادي أبو ضوَّان » وهو وادٍ قصير يأتي وادي الحيطان من جانبهِ الغربي ويصب فيهِ عند قبر أبو براطم الآتي ذكره

« ووادي الطّوال » ينشأ من منحدرات جبل أبو صوان الغربية ويسير متعرجاً الى أن يصب في وادي الحاج على نحو عشرين ميلاً من السويس * وفي أعلى هذا الوادي آبار محفورة في طريق السيل لجمع مياه الأمطار . ولكل بئر منها غطآء من حجر لا يستقي منها الاّ أهلها * وفي وادي الحاج على نحو نصف كيلومتر مصعّداً من مصب الطوال تماثل مشهورة تعرف « بالقباب »

« ووادي الجايفي » ينشأ من جبال الراحة ويصب في وادي الحاج عند المفرق

« ووادي أبو يتنون » ينشأ من جبال فُرَيشات الشيخ ويصب في وادي الحاج عند « فشحة الحاج » . وهو واقع في طريق المسافر من السويس الى نخل . قيل سمي كذلك لأنهُ يُنبت شجر اليتنون وهو نجم شهير لهُ ورق يشبهُ ورق الزيتون

ولهذا الوادي فرع صغير عن يمين المسافر الى نخل من السويس فيهِ هرابة مدفونة في طريق السيل نقرها الأقدمون في صخرة كلسيَّة وجعلوا لها فوهتين : فوهةً في شكل مربع مستطيل في طريق السيل تُملأ منها وفوهةً مرتفعة عن السيل في ظهر الصخرة يُرفع منها الماء . وقد رأيت على جانب هذه الفوهة وسم الدُّبُور الحُوَيطات ووسم الترابين . والهرابة عن يمين المسافر من السويس الى نخل بين مفرق أبو ينتون ومفرق وادي الحاج على نحو خمس دقائق شرقي الطريق

﴿ ووادي الراحة ﴾ ينشأ من جبال الراحة وينتهي في القنال تجاه السويس وهو يتسع اتساعاً عظيماً عند مصبهِ حتى يمتدُّ مسافة ثلاثة أميال أو أكثر. وفي فمهِ أقيمت بلدة شط السويس الآتي ذكرها * وفي هذا الوادي بئران شهيرتان :

« بئر المُرَّة » على ساعتين الاَّ ربع ساعة من شط السويس احتفرها الحويطات عمقها نحو قامة ونصف قامة ولا تزال غير مطوية. وماؤها حريف الطعم ومن ذلك اسمها

« وبئر مبعوق » على نحو ساعة وربع ساعة من بئر المرة وثلاث ساعات من الشط عمقها قامتان ونصف قامة وهي مطوية بالحجر المنحوت طواها محافظ سيناء الأسبق . وماؤها حريف الطعم * وعند هذه البئر على جانب الوادي الأيسر خرائب قلعة قديمة متينة البناء مبنية بالمونة والحجر وهي مربعة الشكل طول جانبها نحو ٥٠ قدماً وعرض حائطها نحو ٦ أقدام * ومن فروع وادي الراحة في اعلاه :

« وادي العشاري » ومن فروع هذا الوادي : « فُرَيشات الشيح تقع في طريق المسافر الى نخل من شط السويس * « ووادي أبو علاقة » يصب في الراحة على نحو ساعة وثلث من بئر مبعوق وهو يقع في طريق المسافر الى نخل من شط السويس تسند معهُ الى آخرهُ * ومن فروع وادي أبو علاقة : « وادي أم إِثلة» ينشأ من المنحدر الغربي للجبل الذي تنشأ منهُ وادي فريشات الشيح ويصب في أبي علاقة على ربع ساعة قبل مصبهِ بالراحة . وهو يقع في طريق المسافر الى نخل من السويس يأتيهِ عن يمينهِ ويسند معهُ الى رأسهِ فينحدر الى وادي فريشات الشيح

الفصل الخامس

في

﴿ معادنها ﴾

﴿ معادنه بلاد الطور ﴾

﴿الفيروز﴾ وهو أشهر معادنها ويوجد في جبال وادي المغارة وسرابيت الصهو في قلب بلاد الطور وقد عدَّنهُ فيها قدمآء المصريين من أيام الدولة الاولى الى الدولة العشرين وتركوا هناك انصاباً وصخراتٍ هيروغليفية في غاية الأهمية وسنأتي على ذكرها في باب التاريخ

وأوَّل من فكَّر في تعدين الفيروز من الافرنج في القرن الغابر الماجور مكدونلد من ضباط الانكليز المتقاعدين ، جاء وادي المغارة سنة ١٨٥٤ وبنى لهُ منزلاً في سفح الأكمة التي سكنها المعدّنون القدمآء وأقام فيهِ هو وامرأتهُ خمس سنوات يشتغل في المعدن فلم يصادف النجاح الذي كان يرجوهُ فعاد الى مصر وتوفي فيها سنة ١٨٧٠

وفي ٢٧ يناير سنة ١٩٠٠ رخّصت الحكومة المصرية لشركة انكليزية يرئسها المستر مورنج في تعدين الفيروز في سينآء . ثم نُقلت هذه الرخصة في أول أغسطس من تلك السنة الى شركة انكليزية اخرى تُدعى « اجبشن ديفلوبمنت سنديكت» فاشتغلت هذه الشركة في المعدن نحو سنة فوجدت ان دَخلها منـهُ لا يفي بنفقات التعدين فتركت العمل وأُلغيت الرخصة في ١ يناير سنة ١٩٠٣

وقد عاث بعض عمال الشركة في الصخرات الهيروغليفية المشار اليها فكسَّروا بعضها وشوّهوا البعض الآخر امل وجود الفيروز فيهـا فخاب أملهم ولم يبقَ الاَّ ضررهم . فنقلت مصلحة الآثار المصرية اهمَّ ما بقي من تلك الآثار النفيسة الى متحفها في القاهرة محافظةً عليها كما سيجيءُ



ش ٢٠ : جماعة من الطورة الذين يعدّنون الفيروز في وادي المغارة

وما زال الطَّورة يستخرجون الفيروز على قلة من معادنهِ ويبيعونهُ في السويس والاسكندرية ومصر . وعدد المشتغلين منهم الآن لا يزيد عن ٢٠٠ رجل ولا يزيد دخلهم منهُ عن ٢٠٠٠ جنيه في السنة . وكان عدد المشتغلين فيهِ قبل مجيء الشركة الانكليزية نحو ٦٠٠ رجل ودخلهم نحو ٦٠٠٠ جنيه في السنة

وترى الفيروز منثوراً في جبالهِ ظاهراً باطناً كالنجوم في سمائها فيتتبّعهُ المعدّنون الى باطن الجبل وكلما توغلوا فيهِ تركوا عموداً من اصل الجبل لئلا يهوي عليهم فيتكوّن من ذلك مغاور قائمة فيها العُمُد كالهياكل . وفي جبال الفيروز الآن عدة مغاور قديمة وحديثة واكثرها في وادي قُنَيّ ولذلك سُمّي بوادي المغارة كما مرَّ . مررت بهذا الوادي في ١ ابريل سنة ١٩٠٧ فوجدت نفراً من الطورة يعدّنون الفيروز في مغارة قديمة في جنب الوادي الأيمن فكانوا ينقرون في الجبل نُقرة بالإزميل والمطرقة ثم ينسفونهُ بالبارود فتنشق منهُ صخرة يكسرونها بالمطرقة قطعاً صغيرة وينتقون منها الفيروز ويتجرون بهِ . وقد سألت هؤلاء المعدنين عن نتيجة عملهم فقالوا ، وهم يخفون بعض الحقيقة ، قد يشتغل الواحد منا الشتاء كلّهُ فما يزيد دخلهُ عن جنيهين

﴿ والنحاس ﴾ ويوجد في وادي النصب الغربية في عرض شمالي ٨َ ٢٩ ° وطول شرقي ٥٥َ ٥٠ ° وقد عدَّنهُ فيهِ قدماء المصريين كما تدلُّ آثارهم الباقية هناك الى اليوم * ويوجد النحاس ايضاً في وادي السمرا على نحو أربع ساعات غربي ميناء النبك . وفي عِلْو سَنَد على نحو ساعتين شرقي النبي صالح وفي جهات اخرى

وقد اهتمَّ محمد علي باشا بالبحث عن معادن سيناء فأرسل الدكتور روبل الألماني لهذه الغاية سنة ١٨٢٢ فأتى معدن النحاس في وادي النصب ولكنهُ لم يعدّنهُ * وفي سنة ١٩٠٤ استخرج المستر وَنَر الانكليزي مثالاً من النحاس في وادي السمرا وأرسلهُ الى اوربا . وفي المعرض الجيولوجي في مصر نموذج منهُ

﴿ والمنغنيس ﴾ ويوجد في بلاد الطور في كثير من جبالها وأوديتها وقد تقدم أن القدماء عدَّنوهُ في وادي المالحة ، وان شركة انكليزية تعدّنهُ اليوم في وادي ام بجمة من فروع بعبعة وترجو منهُ خيرًا

﴿ والحديد ﴾ قيل يوجد في شرق بلاد الطور في جبل الحديد وفي غربها قرب وادي النصب في ملتقى الأرض الكلسية والأرض الرملية . والظاهر أن تعدينهُ غير رابح لكثرة نفقاتهِ

﴿ والذهب ﴾ وقد ذكر بعض البدو وجوده في مغارة في وادي طُرَيفية من فروع الزّلقة كما مرّ . وهذه الرواية لم تثبت علمياً بعد ولكن العلم لا ينفيها لوقوع ذلك الوادي في منطقة مصر الشرقية التي تُنبت الذهب ومشابهتِهِ لها في التربة

﴿ والفحم ﴾ قيل وُفق بعض الباحثين الى عرق من الفحم في بعض الجبال في الزاوية الشمالية الشرقية من بلاد الطور ولكن لم تُعلَن خصائص ذلك الفحم الى الآن

﴿ والبترولیوم ﴾ ويقال بامكان وجوده في غرب بلاد الطور على الشطوط البحرية بين وادي غرندل ومدينة الطور

﴿ والينابيع الكبريتية ﴾ وقد تقدم أن في جبل حمَّام موسى وجبل حمَّام فرعون ينابيع كبريتية حارّة يستحم الأهلون بها استشفاء من أمراض الجلد والروماتزم والكبد وان المغفور لهُ عباس باشا الأول بنى حماماً على احد ينابيع حمام موسى وتهدَّم

ففحصت الحكومة ماءهُ سنة ١٨٩٣ بقصد ترميمهِ ولكن الفحص لم يشجع على ذلك .
وهذه نتيجة الفحص الكيماوي في اللتر الواحد :

جرام	
١٠٫٩٣	رواسب
٤٫١٩	كلور
٢٫٠٥٩	حامض كبريتيك
٠٫٧٦٤	أكسيد المغنيسيوم
١٫١٠١	أكسيد الكلسيوم أو الكلس
٦٫٩١٣	كلوريد السوديوم او ملح الطعام

﴿ معادن بلاد التيه والعريش ﴾

﴿ والكبريت ﴾ ويوجد على قلة في « جبل المُكَبْرَت » على درب الحج المصري شرقي بئر القريص . و بدو هذه الأيام يستخرجون منهُ مقادير قليلة و يستعملونهُ دوآءً لجرب الإبل . وأراني المستر ترافر من رجال «شركة سنديكا القاهرة» حجراً كبريتيًّا استخرجهُ من جبل جَنسه في مصر الشرقية تجاه مدينة الطور

﴿ والملح ﴾ وهو كثير في جميع جهات الجزيرة ولا سيما في بلاد التيه و بلاد العريش يُرى فيها صرفًا أو ممزوجاً بالتراب وقد رأيتهم يستخرجون منهُ مقادير كبيرة من سفح جبل كلسي على خمسة أميال شرقي نخل * وفي بلاد العريش على شاطئ البحر المتوسط عدة سباخ معروفة بأسمائها تتحلَّب اليها مياه البحر في الشتآء وتجف في الصيف فيتخلَّف عنها من الملح النقي الصالح للاستعمال ما لا يقل وزنهُ عن خمسين الف طن . وقد كانت الحكومة المصرية تضرب عليهِ الضرائب وكان التجار والمتسببون يصدرونهُ الى الشام ومصر ثم تركتهُ للأهلين في عصر العباس خديوي مصر الحالي رأفةً بهم

﴿ والحجارة ﴾ ومعظم جبال سينآء الجنوبية من الحجر الغرانيت المحبب أحمر واسود ورمادي * وفي بلاد الطور حجر أخضر يتخللهُ خيوط ذهبية دقيقة كان المصريون القدمآء يصنعون منهُ الكؤوس وأدوات الزينة * وقد رأيت في جبل طور سيناء وجبل

المسانّ في نقب العقبة نباتات طحلبية متحجرة بغاية الجمال * وفي بعض جهات بلاد الطور الحجرُ الذي يصلح لعمل الرحى

ومعلوم ان جيولوجية البلاد لم تُدرس الدرس الكافي بعد وربما اظهر البحث العلمي الكافي في جبالها وأوديتها معادن تغني مصر وسيناء معاً * وفي بلاد الطور الآن عدة شركات ، عدا شركة المنغنيس في أم بَجمة ، تبحث عن البترول والفحم والحديد والنحاس والمنغنيس وغيرها

الفصل السادس
في
﴿ هوائها ﴾

﴿ رياحها وحرارتها ﴾ وهواء هذه الجزيرة جافٌ نقيٌ صحيٌ للغاية . وهو باردٌ جدًّا في الشتاء وحارٌّ في الصيف ، ولكن حرَّ الصيف ساعتين أو ثلاث وسط النهار ثم تهب ريح شمالية أو شمالية غربية فتلطف الهواء ولا سيما في الجبال ومن ذلك جودة هوائها ، ولكن تثور احياناً الرياح الشرقية فتعكّر صفاءَهُ

وقد تشتدُّ الرياح الشمالية أو الشمالية الغربية في الصيف اشتداداً عظيماً ولا سيما في السهول البحرية حتى انها تقتلع الخيام وتعبث بالزرع . وقد رأيت أهل مدينة الطور وعيون موسى يحوطون بساتينهم بأسوار مرتفعة لمنع أذى الرياح

وهناك فرق كبير بين حرارة الليل وحرارة النهار ولا سيما في الجبال فقد يهبط الترمومتر ليلاً في الشتاء الى درجة الجليد ويرتفع نهاراً الى ٢٠ سنتيغراد في الظل . كنت في دير سيناء في يناير سنة ١٩٠٥ فكان رأس الجبل مغطًّى بالثلوج وكانت درجة الحرارة ليلاً تحت الصفر وفي النهار تتراوح بين ١٢° و ١٥° سنتيغراد وكنت في نخل في بلاد التيه في ابريل ومايو من تلك السنة فكانت درجة الحرارة تختلف بين ١٢° سنتيغراد ليلاً و ٢٢° سنتيغراد نهاراً

﴿ امطارها وسيولها ﴾ وتجيء الأمطار في غالب الأحيان بغتةً بضجة عظيمة : في يوم صحو هادئ جدًّا في الشتاء تهب فجأةً ريح عاصف شمالية فتملأ الغيوم الجوّ وتلمع البروق وتقصف الرعود وتتوالى بلا انقطاع ثم تهطل الأمطار صبًّا كأنها من أفواه القرب حتى تخال السمآء قد طبقت الأرض فتسيل الأودية وتندفع السيول بشدة هائلة الى البحر فتجرف كل ما تجد في طريقها من الناس والحيوان والشجر والسدود . وقد تعلو السيول عن حدها المعتاد في الأودية وتباغت الأهلين النازلين في جوانبها وهم غير مستعدين لها فتجرفهم هم وانعامهم وخيامهم الى البحر * يدوم السيل بضع ساعات ثم يذهب بالسرعة التي جاء فيها فيأخذ في النقصان حتى يصبح جدولاً صغيرًا ، ثم ينقطع الجدول ولا يبقى الاَّ برك صغيرة في تجاويف الوادي ، ثم تجفّ هذه البرك ويجفّ الوادي الا اذا كان فيهِ نبع اوعدّ حيّ فيغزر حيناً ثم يعود الى حالهِ

حدثني الشيخ موسى ابو نصير كبير الطورة المار ذكرهُ عن سيل جارف حدث في وادي صلاف في ٣ ديسمبر سنة ١٨٦٩ ، وذكرهُ المستر هولاند احد اعضاء اللجنة التي ندبتها الجمعية الجغرافية الانكليزية لمسح سينآء في تلك السنة ، قال الشيخ موسى: بدأ المطر عصر ذلك اليوم رذاذاً ثم اشتدّ قبل الغروب ولم ينقطع الاَّ بعد العشاء فطغى السيل في الوادي وجاوز حدّهُ المعتاد حتى بلغ علوهُ نحو خمس اذرع . وكان « اولاد سعيد » نازلين في جنب الوادي فأدركهم السيل واغرق منهم ٥٣ نفساً بأنعامهم فدُفنوا في نواويس ذلك الوادي القريبة من نقب حبران . ثم ان هذا السيل نفسهُ عند مرورهِ بوادي فيران أغرق ستة من سكانهِ التَّبنَة وجرف كثيرًا من اشجار النخيل والطرفآء الى البحر » . اه

وحدثني الأب بنيامين « أقلوم » دير سينآء عند زيارتي الدير سنة ١٩٠٧ عن سيل جارف حدث في وادي الدير ليلة الجمعة في ١٧ مارس سنة ١٩٠٦ قال : اشتدت الأمطار في تلك الليلة عند العشاء وعظم السيل فدحرج صخوراً عظيمة من الجبل المشرف على الدير من الجنوب فوقف بعضها في منحدر الجبل ووصل بعضها

وادي الدير فسدَّه، وتحوَّل السيل الى دار الدير الخارجية فجرف الجانب الجنوبي من سورها و بوابتها الشمالية وربما لو دام ساعة أخرى لجرف الدير برمتهِ. اه * ورأيت أثر ذلك السيل، بعد أن رم الرهبان كثيراً ممَّا خرَّب ، فاذا بالباقي كافٍ للدلالة على شدتهِ وعظم ضرره * وقد قرأت في كتب الدير ذكراً لعدة سيول حدثت في السنين الغابرة فسببت اضراراً بليغة فى الدير وضواحيهِ

﴿ مراعيها ومزارعها ﴾ هذا واذا نزل مطر كافٍ وارتوت الأرض باشر الأهلون الزرع في جوانب الأودية والسهول الخصبة ونمت الأعشاب في بطون الأودية والخيران ورتعت فيها ابلهم وأغنامهم . بل قد يجيءُ بعض الترابين والتياها القاطنين جنوب سوريا على حدود بلاد التيه فيرعون إبلهم وأغنامهم مع اخوانهم الترابين والتياها القاطنين سيناء

وأما اذا لم ينزل مطر كافٍ في الجزيرة قلَّ زرع الأهلين وذهب معظمهم في الصيف لرعي ابلهم وأغنامهم في بلاد غزة وبئر السبع فتتقاضاهم ولاية القدس جُعلاً قدرهُ نصف ريال على كل جمل وربع ريال على كل رأس من الغنم . وأما محافظة سيناَء فلا تتقاضى عرب الشام شيئاً على رعيهم في الجزيرة

﴿ أمراضها ﴾ أمَّا جفاف الهواء في سيناَء ونقاوتهُ وعظم اتساع البلاد بالنسبة الى اهلها كل ذلك يقلل الأمراض في أهلها . وقد توقَّوا هم انفسهم كثيراً من الأمراض بمحافظتهم على العرض . واهتمامهم بالزواج الباكر . وعدم الإكثار من الأطعمة المختلفة الألوان ولذلك فهم يعمّرون طويلاً حتى ترى الكثير منهم قد تجاوز سن الثمانين . ولو اهتموا بالنظافة وراعوا الاعتدال في اميالهم لعمَّروا أطول * وأشهر الأمراض التي تنتابهم: الدسبسيا والدوسنطاريا والحبة والرمد. وفي بعض الأودية حيث يستنقع الماَء كوادي فيران والقصيمة والقُدَيرات تحدث الحميات والانفلونزة والحصبة

﴿ السياحة في سيناء ﴾ ويدخل سيناَء كثير من الافرنج كل سنة لأغراض شتى: لزيارة دير سيناَء ومعظم هؤلاء من الحجاج الروسيين . او للبحث عن معادنها او للتنقيب عن آثارها القديمة . أو لصيد التيتل في جبالها . او للسير في طريق موسى وتطبيقهِ على رواية التوراة الى غير ذلك من الأغراض

وأول ما يلفت المسافر في سيناء جفاف الهوآء وطلاقتهُ واتساع البلاد وفراغها وسكينتها التامة ، فيشعر من نفسهِ بانبساط وارتياح لا يشعر بهما في المدن . واني انصح للمتعبين من كثرة الأشغال وجلَبة المدن ان يفسحوا لأنفسهم شهراً من الزمان يقضونهُ في سينآء سفراً وإِقامة فانهم يجدون فرقاً ظاهراً في صحتهم قبل مضي الشهر

واجمل بلاد سيناء للسياحة والنزهة بلاد الطور فهناك يجد المسافر من فخامة المناظر الطبيعية ووعورتها وجمالها ما لا يجدهُ في اي مكان على وجه البسيطة

واجمل الفصول التي يحسن السفر فيها الى سينآء : الربيع من اواسط فبراير الى اوائل مايو . واول الشتآء من اوائل اوكتوبر الى اواسط نوفمبر وفي غير هذه الشهور يكون الهواء اما حارًّا او بارداً

اما الصيف فحرُّه معتدل جداً في جبال سينآء وخصوصاً في «جبل الطور» عند دير سينآء ولولا بُعد هذا الجبل وصعوبة الوصول اليهِ لكان مصيفاً لمصر من اجمل المصايف ، فان السفر اليهِ من السويس عن طريق الرملة او فيران ثمانية ايام على الإِبل وعن طريق مدينة الطور ثلاثة ايام: ليلة في البحر ويومان ونصف في البر * ثم ان سفر البر في سينآء صيفاً شاقٌّ للغاية خصوصاً في طريق البر من السويس الى غرندل فان السفر فيها صيفاً، فضلاً عن مشقتهِ، لايخلو من التعرّض لضربة الشمس او ضربة الحرّ

وكان اهل السويس الى عهد قريب يصيّفون في عيون موسى على ثمانية اميال من شط السويس الشرقي وقد بنى بعضهم هناك منازل من حجر لقضاء الصيف فيها

وكان المغفور لهُ سعيد باشا الاول قد عزم على جعل جبل الطور مصيفاً لهُ فاشترى من رهبان الدير جبلاً غربي جبل موسى فيهِ نبع مآء وبنى عليهِ قصراً لم يتمهُ ومدَّ طريقاً للعربات من مدينة الطور فأوصلها الى مصب وادي كبرين كما مرّ ووقف

وسنفرد فصلاً خاصًّا للطرق وآخر للسفر في سينآء وما يحتاج اليهِ المسافر فيها من المعدات والاحتياطات قبل السفر وفي اثناء السفر

الفصل السابع
في
﴿ نباتاتها ﴾

﴿ اشجارها البستانية ﴾ اهم اشجار سيناَء :

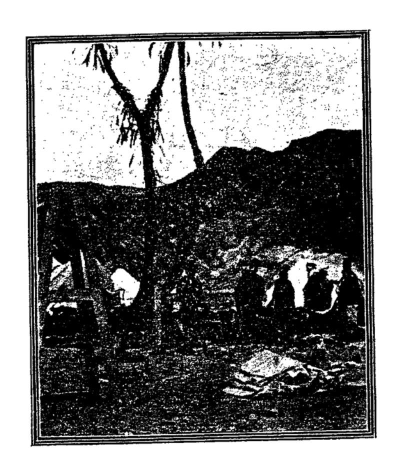
« النخيل » يكثر في بلاد الطور وبلاد العريش وينعدم في بلاد التيه وقد قُدّر ما في سيناَء من النخيل بنحو مئة ألف نخلة هذا تفصيلها :

نخله	١ . عن تعداد ناظر الطور سنة ١٨٩٠ :		٣ . عن تعداد محافظ سيناء ١٩٠٧ :
١٩،٠٠٠	في مدينة الطور وضواحيها	٣٩،٤٨٥	في بر قطية وقطية
٧٠٠	في النويبع	٧،٠٠٠	في بئر المساعيد
	٢ . عن تقدير بعض العارفين :	١٢،٠٠٠	في مدينة العريش وضواحيها
١٧،٠٠٠	في وادي فيران	١،٠٠٠	في بلدة الشيخ زويد وضواحيها
٣،٨١٥	في عيون موسى وميناء ذهب الخ	١٠٠،٠٠٠	الجملة

« والدوم » وهو نادر فيها . وقد كان منهُ ثلاث اشجار على عين طابا فحرقت واحدة وكُسِرت اخرى ولم يبق الاَّ دومة واحدة ولعلها الدومة الوحيدة في الجزيرة كلها

ورأيت في بساتين مدن الطور والعريش ورفح « وجبل طور سيناَء » : العنب . والرمان . والأجاص . والبرتقال . واليوسف افندي . والكمثرى . واللوز . والخوخ . والتفاح . والخروب . والمشمش . والسفرجل . والزيتون . والتين « وينبت ايضاً لنفسهِ في الأودية » . والسرو والصفصاف . والصبر. والطوَّرة يأتون بما يفيض عنهم من اللوز والكمثرى والسفرجل والرمان والتفاح الى السويس او مصر فيبيعونهُ او يهادونهُ

وهم يزرعون في بساتينهم: الطماطم . والملوخية . والبامية . والبصل . والتوم . والفجل . والجرجير . والخس وغيرها من الخضروات . ويزرعون الدخان على قدر كفايتهم



ش ٢١ : دومة وادي طابا

ويجود في بلاد سيناء في كل الجهات البطيخ والعجُّور والشمام . وفي بلاد العريش المرملة يكثرون من زرع البطيخ وبهِ يتجرون ويعلفون بهائمهم ايام الربيع فيقوم مقام البرسيم في مصر . وقد وجدت عندهم نوعاً من البطيخ بيضيّ الشكل احمر القلب جدًّا يعرف بالجاموس ويعرف في مصر بالنمس وهو من ألذّ انواع البطيخ

ويزرع اهل سيناء على المطر : القمح والشعير والذرة الرفيعة في كل الجهات ولا سيما في جبال بلاد التيه وبلاد العريش وتجود الغلال هناك حتى ان غلة الحبوب في بلاد نخل وحدها قد تبلغ ٦٠٠٠ اردب في السنة وتبلغ اضعاف ذلك في بلاد العريش. واما زراعة اهل الطور فقليلة جدًّا لقلة الأراضي الزراعية في بلادهم

﴿ اشجارها البرّية ﴾ واهم اشجارها البرّية التي ترعاها الإبل والأغنام : « الطرفاء ». وتعرف ايضاً بشجرة المنّ اذ يتسلط عليها دودة كدودة القز تثقب

جذوعها وأغصانها فيخرج من الثقوب صمغ حلو المذاق يلتقطهُ بدو سيناء ويجعلونهُ في علب صغيرة من الصفيح ويبيعونهُ لزوار الدير والسياح أو يأتون بهِ الى مصر فيبيعونهُ فيها باسم المنّ

« والسَّيال » وهو أشهر أشجار الجزيرة وهم يصنعون من خشبهِ أجود الفحم ويدخلونهُ في المتجر

« والسِدّر » وهو قليل واكثره في بلاد العريش ولهُ ثمر يشبهُ الزعرور شكلاً وطعماً يُعْرَف بالنبك تحريف النبق يأكلهُ البدو ويستمرئونهُ

« والاثل » وينبت في بلاد التيه والعريش وهم يستخدمون خشبهُ للبنادق والمحاريث وأسرجة الإبل « والبطم » وهو قليل جداً

﴿ أنجمها البرّية ﴾ ومن الأنجم التي تكثر في سيناء وترعاها الإبل والأغنام :

« الرَتَم » وهو اشهر انجمها وانفعها ويكثر جداً في الأودية فيستظلُّ المسافرون بظلهِ ويصنع من خشبهِ فحم جيد كفحم السيال

« والعَدام » وهو نجم يشبه الرتم الاّ أنهُ اصغر حجما

« والقَطف » نجم يشبهُ العدام وهو كثير جدًّا واكثر اعتماد البدو في رَعي إبلهم واغنامهم عليهِ . بل هم ايضاً يأكلونهُ مسلوقاً ومقلياً بالسمن

« والمَتنان » وتعمل منهُ الحبال ولا يوجد الاَّ في الجهات الشمالية الشرقية من الجزيرة . ترعاهُ الغنم قليلاً ولكن الإبل لا ترعاه

على ان اشجار البلاد ولا سيما الظليلة منها قليلة جدًّا مع ان البلاد في أشدّ الحاجة اليهـا نظراً لاتساعها وكثرة مفاوزها وصحاريها وتعرضها للشمس المحرقة ولأن جبالها ولا سيما الشمالية منها متحدّرة كعِرَم الغلة لا ظل لها . لذلك ترى البدو يبالغون جدًّا في الاحتفاظ على اشجارهم الظليلة القائمة في الطرق والأماكن العامة التي ينتابونها كثيرًا فانهم ينصبون عند كل شجرة ظليلة رجماً من الحجارة للنهي عن قطعها او قطع شيءٍ من اغصانها للفحم او للوقود . وهم يعتقدون ان من قطع شجرة

هذا شأنها او قطع غصناً منهـا لقي مغبَّة عملهِ في نفسهِ او في اولادهِ او مالهِ *
ولقد رأيت في اسفاري في سيناء عدة اشجار محمية بهذه الطريقة بل رأيت اشجاراً
ظليلة تُنذر لها النذور كما ينذر للأولياء كما سنبينهُ في محلهِ

﴿ أعشابها البرّية ﴾ وينبت في أودية سيناء أعشاب شتى ترعاها الإبل والأغنام
ويستخدمها البدو في الطب والمتجر والأطعمة . وأهم ما رأيت من تلك الأعشاب:

« الشّيح » ولهُ رائحة عطرية يبخّرون بهِ منازلهم لطرد الثعابين منها . وتستحم
بهِ النِفاس . وهم يدقونهُ ويمزجونهُ بالملح والكمون والفلفل ويستعملونهُ بهاراً في اطعمتهم

« والقَيصوم » ولهُ رائحة ذكية يغلى وتغسل بمائهِ العين الرمداء . ولهُ زهر اصفر
جميل قيل يظهر بظهور الثريّا حتى صار أهل البادية اذا رأوا القيصوم قد أزهر علموا
أن الثريّا قد عادت الى فلكها في الشرق

« واللّصَف » وهو لا ينبت الاَّ في شقوق الصخور ولكنهُ ينبت نشيطاً رائع
اللون كأنهُ نامٍ على غدير ماء . وهم يداوون بهِ الروماتزم وذلك بإغلاء ورقهِ وتبخير
المصاب بهِ حتى يتصبّب العرق منهُ

« والحَمْض » ويكثر في بلاد التيه يجمعهُ التياها اكداساً ويحرقونهُ فتنجلي
الحريقة عن حجر ابيض اللون هو « القِلْو » فيدخلونهُ في المتجر ويبيعونهُ في غزَّة
قِلْواً للمصابن سعر الأردب الواحد من ثلاثة ريالات الى اربعة

« والعَجْرم » اكبر نبتاً من الحمض يستخرج منهُ القلو ايضاً ولكن ثمن قلوهِ
نصف ثمن قلو الحمض

« والعاذِر » نبت كالزعتر يستعملهُ البدو دواء للمغص . ترعاه الإبل قيل واذا
رعتهُ الأغنام غيَّر طعم لحمهـا . ورأيت في رفح نوعاً من الرتيلاء نسجت على هذا
النبت خيوطاً متينة من الحرير الأصفر الجميل

« الحَرجَل » وبهِ ايضاً يداوون الروماتزم ولكن الماشية لا تأكلهُ

« والعُضْو » وهو نبت سام اذا أكلتهُ الإبل ماتت ويستعملهُ البدو علاجاً

للجرَب : يدقونهُ ويغلونهُ على النار ويغسلون بمائهِ الإبل الجرباء فتبرأ . وقد رأيت هذا النبت في أودية بلاد التيه الشرقية ينبت عروقاً مجرَّدة من الورق «كالتيّين» في سوريا

« والحنظل » لا ترعاهُ الماشية ولكن البدو يتجرون بهِ . وقد رأيت بعضهم يجمعونهُ للتجار في غزة وهؤلاء يدخلونهُ في المتجر لعمل الأدوية

« والغَرْقَد » وهو نوع من العوسج ورقهُ شحمي مثلث الشكل ولهُ حب احمر كحب الرمان وطعمهُ حلو . والبدو يأكلونهُ ويستخرجون منهُ عسلاً بعصره في مناديل وإغلائهِ على النار

« والحُوِّي » وهو نبت ربيعي يأكلهُ البدو زهراً وورقاً . قيل وأوَّل من أكلهُ في الجزيرة اللحيوات فسمُّوا بهِ

« واليَهَق » ورقهُ كورق الفجل وطعمهُ كطعم الجرجير والبدو تأكلهُ وتستمرئهُ

« والتُمَّير » لهُ في اصولهِ حبٌّ كالزُّلم المعروف عند العامة بحب العزيز يأكلهُ البدو وطعمهُ لذيذ كطعم اللوز الأخضر . دلني عليهِ بعضهم في رأس التلة التي قامت عليها قلعة الباشا المار ذكرها

« والذانون » وهو نوع من الجزر يأكلهُ البدو مشوياً وطعمهُ كطعم الجزر

« والخبّيزة » وهم يأكلونها مطبوخة بالسمن والزيت واللحم

« والإسليح » ورقهُ كورق الفجل شكلاً وطعماً وهم يأكلونهُ ويستمرئونهُ

« والحَمَصِيص » ورقهُ كورق الإسليح وهم يطبخونهُ كالخبّيزة ويأكلونهُ . ويكثر في الأرض المرملة

« والسَّمْح » يكبر كالبلاَّن ويحمل حبّاً كالسمسم يطحنونهُ ويأكلونهُ وطعمهُ كطعم الفول

« والسِيسب » يأكلونهُ كالهليون وطعمهُ حلو مريْء

ومن الأعشاب البرّية التى ترعاها الإبل والأغنام ولكنها لا تدخل في الطب ولا في المتجر ولا تأكلها البدو

«البُعَيثران» . « والحدّاد » . وهما كثيران والإبل والأغنام تستمرئهما جداً

« والعَيْاجان » . « واليَنْبوت » . « والرِّمْث » . «والكَبات » . « والسَّبَط »
«والسكران» قيل اذاأكلتهُ الاغنام سكرت ومن ذلك اسمهُ. وأما الإِبل فلا يسكرها
« والنُّعمان » ولهُ زهر أحمر اللون قيل اذا أكلتــهُ المعزى أحدث لها مغصاً وأماتها بليلتها ولكنهُ لا يضر الضان !

« والبُصَّيل » وهو نبت كالبصل لهُ ساق طويلة . وفي رأسهِ زهر أبيض اللون طيب الرائحة ينبت في الرمال ولذلك يستخدمهُ البدو لتحديد أراضيهم الزراعية في الأرض المرملة وهو ضارٌّ جداً بالإِبل والأغنام

وقد أتى سينآء كثير من العلماء في القرن الغابر وبحثوا في نباتاتها وكتبوا فيها المجلدات : أوّلهم الدكتور روپل الألماني المار ذكرهُ جاءها سنة ١٨٢٢ : ١٨٢٦ ثم المستر شِمپر لجمع نباتات جبل طور سينآء وضواحيهِ * ثم المسيو بواسيه سنة ١٨٤٦ وسنة ١٨٦٧ * ثم جاءت البعثة العلمية التي أرسلتها الجمعية الجغرافيــة الانكليزية لمسح أراضي سينآء سنة ١٨٦٩ وكان فيها عالم نباتي يدعى المستر هوكر فجمع رواميز كثيرة من نباتات سينآء * ثم جاء المستر هرنكر سنة ١٩٠٣ فجمع رواميز النباتات التي بين مدينة الطور والسويس * ثم البعثة العلمية التي أرسلها قلم المساحة المصرية برئاسة المستر هيوم سنة ١٩٠٦ فأصدر هذا العالم كتاباً نفيساً في طوبوغرافية سينآء الجنوبية الشرقية وبيولوجيتها ضمَّنهُ أسماء نباتات سينآء العلميــة مع أسماء جامعيها وأمكنة وجودها

وقد أخبرني بدو سينآء أن فرنساويًّا يدعى ألفريد قيصر أربون أتى سينآء في أواخر القرن الغابر فقضى فيها عشر سنوات يجمع حشراتها ورواميزها النباتيّة قالوا وقد تحدَّى أهل البادية في المأكل والمشرب والملبس ، وبعد أن قضى أربع سنوات وحدهُ عاد الى بلادهِ وأعلن في جرائدها أنهُ يرغب التزوج بمن ترضى أن تعيش عيشةَ البدويَّة فلبَّتهُ احدى بنات بلدهِ فتزوجها وأتى بها الى سيناء فقضيا فيها معاً ست سنوات ، وكان في بعض السنين يتركها وحدها ويذهب الى أوربا في أشغالهِ ثم يعود اليها ، وبقيا على ذلك الى أن عادا الى بلادهما

الفصل الثامن

في

﴿ حيواناتها ﴾

﴿ حيواناتها الاليفة ﴾ أما حيواناتها فالأليفة منها : الإبل . والخيل . والحمير . والبقر . والغنم . والكلاب

﴿ الإبل ﴾ أما الابل فهي أهمُّ حيواناتها الداجنة وأنفعها واكثر اعتماد البدو في معيشتهم عليها . وهم يؤصّلونها ويعتنون بتربية الأصيلة منها كل الاعتناء . والاصيلة عندهم نوعان : « الزُّرَيقي » « والوُضَيحان »

اما « الزُّرَيقي » ومؤنّثهُ الزُّرَيقة وجمعهُ الزُّرق ففي تقاليدهم أنهُ من قَعُود الراعي من إبل العبابدة . ولهم في ذلك رواية خرافية قالوا : ان راعياً في العبابدة كان يرعى إبل سيده في أحد الأودية فهب إعصار على ناقة من نياق سيدهِ فألقحها فولدت قعوداً ولم يطَّلع على هـذا السرّ سوى الراعي فانتظر حتى حان أوان أجرتهِ ، وهي على عادة العرب « مفرود » يختاره من إبل سيده ، فجعل شوكة تحت لسان القعود نتيجة الاعصار حتى ضعف وهزل فلما سألهُ سيدهُ أن يختار مفروداً أجرة لهُ اختار قعود الإعصار وكان لون القعود يميل الى الزُّرقة فسماهُ « زُريقان » فلما بلغ أشدَّهُ أعلن خبرهُ واذاع سره فرغب فيهِ البدو وألقحوا نياقهم منهُ فكان نسل زريقان! * وقد رأيت من هذا النوع ناقة للشيخ صُبَيح السواركي من سكان الجورة ببلاد العريش فدلني على كرم أصلها رشاقتُها وخفة حركتها وسرعة جَريها

أما « الوضيحان » فقالوا ان أصلهُ من إبل الشرارات ببـلاد العرب ، وقد سمي بذلك لأن لون قوائمهِ الاربع وأسفل بطنهِ أبيض وضاح وباقي الجسم أصفر مشرب حمرة كلون الغزال

ولا يصفو الاصل عندهم الا في الجيل الخامس وذلك بأن تلقح ناقة من هجين

أصيل فاذا انتجت ناقة ولقحها هجين أصيل ولقح نتاج هذه الانثى هجين اصيل الى النسل الخامس فهو الاصيل الصافي ونتاجهُ أصيل ومنهم من يؤصّلون إبلهم الى الجيل السابع أو الجيل العاشر

وهم يُعنَون عناية خاصة بتربية هجن الركوب وترويضها على حسن الخصال . ومن عادتهم أنهم اذا نزلوا للمقيل بوادٍ فيهِ كلأٌ عقلوا إبلهم بأيديهــا وسرَّحوها فترعى في جوار المقيل . فاتفق في بعض اسفاري في سيناء ان ناقةً سرحت بعيداً عن مقيلنا فجدّ صاحبها في طلبها حتى وجدها وكان الركب قد سبقهُ فلحق بهِ ولم يقف في مؤخرهِ بل بقي راكباً الى مقدَّمهِ ثم عاد بها الى مؤخَّرهِ وسار معهُ فسألتهُ في ذلك فقال اروضها كي تبقى مع رفاقها فلا تذهب بعيداً عنهم في الحل او الترحال ٭

ومن اقوالهم في عقل الإِبل للمرعى : « جملك ان عقلتهُ لك النصف فيهِ وان قيَّدتهُ لك الربع فيهِ وان أطلقتهُ ما لك حاجة فيهِ »

وهم قلما يستخدمون الأرسنة لغير الهجن. أما المستعصية منها فانهم يخزمونها في انوفها

ومن الإِبل ما يثور في فصل الشتاء في شهر طوبه فيفتك بصاحبهِ . وقد حدثني البدو عن كثيرين ذهبوا فرائس الإِبل الثائرة فمن ذلك « الشيخ حميد » المدفون في « بئر الشيخ » بين بئر الثمد وجزيرة فرعون قالوا ثار عليهِ جمل فقتلهُ

ورأيت في منتصف « وادي الحيطان » رجماً من الحجارة مغطًّى بأغصان الشجر قالوا هذا « رجم الشيخ ابو براطم الحويطي » قتلهُ جمل ثائر وأشاروا الى تلة صعبة المرتقى جدًّا في جوار الرجم وقالوا لجأ ابو براطم الى تلك التلة فلحقهُ الجمــل اليها وبقي يطارده فيها حتى ظفر بهِ وقتلهُ

ولإِبل سيناء صبر عجيب على العطش ففي أيام الربيع تبقى شهرين أو اكثر بلا ماء . اما في أيام الصيف فالتي تشتغل منها تطلب الشرب كل يوم أو كل يومين وقد تصبر الى اليوم الثالث والرابع . وهم يردون بها الى الآبار أذواداً كل ذَود في حوض ويُروونها على نغم الاناشيد ولطيف الأشعار كما سيجيءُ

ولكل قبيلة منهم شارة خاصة تسم به إبلها في الوجه والعنق والورك كما سيجيءُ

وسعر الجمل الواحد عندهم من خمسة جنيهات الى عشرين جنيهاً .او اكثر ولكن لا يبلغ هذا الثمن الأخير الاَّ ما كان من الهجن الأصيلة

وتختلف أسماء الإبل باختلاف اسنانها وهذه هي كما اخذتها عنهم :

« المُبَاري » أو « الحِوار » . وهو ولد الناقة قبل أن يُفطم . ومدة الرضاع تختلف من خمسة أشهر الى ثمانية أشهر . قالوا ان ولد الناقة يقف في اليوم الأوَّل من ولادتهِ ويمشي في اليوم الثالث ويرافق امهُ للمرعى في اليوم السابع

« والمفرود » او « الفصيل » . وهو ولد الناقة بعد الفطام الى ان يبلغ السنة

« واللِبْني » ولد الناقة في السنة الثانية

« والمربوط » ولد الناقة في السنة الثالثة

« والحُقّ » ولد الناقة في السنة الرابعة

« والجَدَع » ولد الناقة في السنة الخامسة

« والرُّباع » ولد الناقة فى السنة السادسة

«والسُّداس» ولد الناقة فى السنة السابعة وهو الجمل بلغ اشدَّهُ . ومن أسماء الإبل:

« القَعُود » وهو ذكر الإِبل من سن المُباري الى الجَدَع

« والجَمَل » وهو ذكر الإِبل من الرُّباع فصاعداً

« والبَكْرة » وهي انثى الإِبل الى سن الجَدَع

« والناقة » وهي انثى الإِبل من الرُّباع فصاعداً

« والهجين » وهو جمل الركوب . وافضل الهجن الأصايل المروَّضة على الجري . والركوب على هجين مروّض أصيل يفضَّل على ركوب أية دابَّة كانت بل يفضّل على ركوب المركبات والسيَّارات لانهُ مريح للغاية خصوصاً في الصحرآء *

ومن أقوالهم في الهجن السريعة :

الركاب ما لهم مناقد تنقدوهم   الاَّ بقوسهم في الاراضي
الركض يامع طوال هفاهيف   يا مع قصار عراضِ

وإِبل سيناء ابهى منظراً واخف حركة واسرع جرياً من إِبل مصر . ولكن

إبل مصر التي للحمل اقوى جدًّا من إبل سيناء ، فجمل مصر المروّض على الحمل يحمل من ٧ الى ٨ قناطير ولكن قلما تجد في إبل سيناء ما يحمل اكثر من ٤ قناطير



ش ٢٢ : فارسان من السواركة على فرسيهما

﴿ الخيل ﴾ وأما الخيل فلا يقتنيها من بدو سيناء الا الرميلات و بعض السواركة الساكنين شرق بلاد العريش وقد ندر في الرميلات من ليس لهُ فرس أو فرسان . ويقتنيها أيضاً ترابين سيناء كاخوانهم الترابين في جنوب سوريا . وهم يعتنون بتربيتها ويحافظون على أصولها وكرامتها اشد المحافظة

واشهر الاصول الكريمة عندهم : المَخْلَدِيّة . والكُبَيْشة . والعُبَيَّة

اما « المخلدية » فيقال انها من اصل فرس خالد بن الوليد ولذلك هي اشرف الاصول عندهم . قالوا وهم لا يركبون فرساً هذا اصلهُ الا بعد الاغتسال من « الجنابة » بل قالوا انهُ اذا اقبلت فرس من هذا النوع على بدويّ وهو جالس وقف اجلالاً لها واذا لم يقف لها وجبت عليهِ اللعنة !

واما « الكبيشة » فلهم في اصلها رواية خرافية قالوا : خرج من البحر حصان فعلا فرساً للرميلات فأنتجت الكبيشة

وأما « العُبَيَّة » فقالوا في سبب تسميتها : ان فارساً بدوياً في القديم فرَّ من وجهِ أعدائهِ فطاردوه اميالاً فنجا منهم بسرعة فرسهِ ، وكان للفرس مهرة تتبعها فظن الفارس انها تخلَّفت عن أُمها وصارت في حرز الأعداء فلما صار في مأمن منهم التفت وراءهُ فاذا بالمهرة بجانب امها تسترها عباءتهُ فسماها العُبَيَّة !

وهم حريصون على أصل خيولهم حرصهم على اصل إبلهم وأزيد فلا يسمحون لأحجار الخيل غير مشهورة الأصل ان تعلو اصائلهم * قالوا واجرة الحِجْر ريال مجيدي . وملءُ مخلاتهِ شعيرًا * وهم يبيعون الذكور من خيلهم الموصَّلة بيعاً باتاً وندر بيعهم الاناث كذلك . بل قد يبيعون النصف ويحفظون لأنفسهم النصف الآخر ، وفي هذا البيع يتناوب الشاري والبائع قنية الفرس ويتقاسمان نتاجها فكل منهما يقتنيها سنة ويكون للشاري منها نتيجة وللبائع نتيجة . واذا اختلف الجنس في النتائج كان لكل منهما النصف من كل نتيجة * ولكن غالب بيعهم للاناث الأصائل بشرط أن يُعطي الشاري البائعَ مهرتين من نتاج الفرس . والشاري بهذا الشرط لزمهُ الاَّ يطلق عليها الا الاصائل والاَّ فاذا أطلق عليها الأحجار غير الاصائل لزمهُ نتاجها . ويكون تسليم الشاري المهرة للبائع بعد الفطام . ومدة الرضاعة عندهم مئة ليلة ، فاذا ماتت المهرة في عشرة الأيام الاولى كانت بحظ الشاري واذا ماتت بعدها كانت بحظ البائع . لذلك متى بلغت المهرة سن العشرة الأيام أشهد الشاري شاهدين عَدْلين ان المهرة بلغت هذه السن وهي سليمة لا عيب فيها وقال « من بختي لصاحبها »

وقد وجدت في كحائلهم لين الظهر وسهولة القياد وخفة الحركة وسرعة الجري ولكنها في الغالب صغيرة الجسم نحيفة البنية وهي جميلة الرأس قبيحة المؤخر

هذا والبدو في صحرائهم يفضلون ركوب الهجن على ركوب الخيل لأنها أصبر على العطش والحرّ وأريح للركوب ومن ذلك قولهم :

«قولوا لأبو زيد ما يركب «الرَّمك» الهجن أصبرَ السري والقوايل »

ولكنهم يفاخرون بركوب الخيل ويعدُّون ركوبها أشرف من ركوب الإبل . قالوا زار بدويٌّ بنتاً لهُ كان قد زوجها الى غني فافتقر وجرى ذكر الخيل فقال الأب لصهرهِ ناصحاً

« لا تخلِّ مالك قرن ماعز ولا بقر يجفّلها الصفير
عزّ المال « سابق » تحت ورِكك وان دَهبَشت دَهبِش لك بعير »

وكانت ابنتهُ تقاسي المرّ من الفقر فلما سمعت كلام أبيها هزَّت رأسها وقالت :

« مال ما عندنا مال غير الفراخ العِناقِ
مرتعهم مقدم البيت والديك مهم يُقاقي » !!

وهم اذا ركبوا الخيل اسرجوها بالسروج العربية المعروفة والركاب العريضة واللُّجم الضيقة وحملوا الرماح الطويلة على اكتافهم والسيوف على أجنابهم . وقالوا في استعمال ضيّق اللُّجم ان الخيل اذا استعملها واسع اللجم فتحت فاها عند العدْو وقلَّ جريها * وهم يعتنون جدًّا بشد السرج قبل الركوب سواء كان ذلك في ركوب الهجن أو ركوب الخيل ومن اقوالهم في ذلك :

« أقشط على الهجين ولو كان ابوكَ تحت البِطان »

وهم من أول اوكتوبر يتركون السرج ليلاً على ظهر الفرس فاذا أتى الربيع جرَّدوها منهُ ، قالوا ان الخيل تشعر بالبرد قبل الانسان بشهر

واذا ربطوا الفرس جعلوا لها قيداً بيديها وقيَّدوا إِحدى رجليها بشَبحة يعقدونها الى رزَّة من ورائها وربطوا رسنها برزَّة من أمامها * وهم يعلفونها ويسقونها في أوقات معينة لا يتعدونها : يعلفونها مرة عند الفجر ومرة توّاً بعد الغروب ويسقونها مرة عند الظهر ومرة في المسآء بعد العليق . وعلفة الفرس في الصبح ربع صاع وفي المساء نصف صاع . وفي زمن الصيف يعلفون الخيل البطيخ والذرة الخضرآء بدل البرسيم في مصر ، والموسر منهم يطعم خيلهُ البطيخ والذرة في الصباح والشعير في المساء

ولكن البدو مع شدة اعتنائهم بتربية خيلهم وتنظيم علفها قلما يعتنون بنظافتها فهم يغسلونها مرة واحدة في البحر كل سنة في الصيف

وعندهم ان الخيل في الخريف لا تزيد ولا تنقص ومن أقوالهم :

« تشرين في تشرين يقل جريهنَّ وفي ذمتي جري المكرمات يزيد »

ولهم قاعدة في معرفة علو الخيل منذ ولادتها ، قالوا ان ذراع المهر يوم ولادتهِ

من أعلى الحافر عند منبت الشعر الى مفصل الركبة هو ربع العلو الذي يصير اليهِ عند البلوغ . ولكن خيلهم لا تعلو كثيرًا وأعلى ربع للخيل عندهم ١٩ قيراطاً فما بلغ هذا الحد استوفى علوهُ

﴿ سباق الخيل ﴾ وهم يتسابقون على الخيل والإبل في أيام الأعياد والأفراح وزيارة الأولياء واستقبال الضيوف . وأهم سباقهم سباق الخيل في أيام عيد الأضحى وختان الأولاد

في سباق عيد الأضحى يجتمع البدو نساءً ورجالاً في ميدان متسع صالح للسباق فتقف النساء في جانب منهُ وفي يد احداهنَّ منديل أحمر مرفوع رايةً على عصاً ويقف الفرسان في الجانب الآخر من الميدان والرجال المتفرجون في صف النساء على نحو كيلومتر منهنَّ . فحالما يرى الفرسان الراية قد ارتفعت في صف النساء يطلقون الأعنة لخيولهم فمن فاز بها أولاً كان السابق فاذا طاردهُ أحد أقرانهِ وأخذها منهُ كان هو الفائز والاَّ بقي الفوز للأوَّل

وفي سباق الختان يرفعون قفطاناً من الأطلس رايةً بدل المنديل الأحمر ترفعهُ امرأة راكبة جملاً. وقد قصَّ عليَّ بعض الرميلات ما كان لهم في سباق مع الترابين قبيل الثورة العرابية قالوا : احتفل الرياشات أحد فروع السواركة بطهور « ختان » بعض أولادهم فأقاموا سباقاً للخيل جمع جماً غفيراً من فرسان السواركة والترابين وكانت الراية قفطان حرير ففاز بها ترباني يسمى مُهَيزع بن علي ولم يأت الى موقف الرجال كما هي العادة بل بقي سائراً بالراية الى قومهِ فأخذت النخوة سعيدابو شيخه من فرسان الرميلات وكان راكباً فرساً حمراء من أصل « الكُبيشة » فدفع فرسَهُ وانطلق وراءهُ حتى أدركهُ وأخذ الراية منهُ ولبسها وعاد بها الى الميدان

وكان ممن حضر هذا السباق ابن لمهيزع يدعى عليًّا فلما رأى الرميلات قد استردُّوا الراية من أبيهِ أخذتهُ الغيرة وطلب من السواركة أن يقيموا سباقاً آخر ففاز بالراية ولحق بأبيهِ فتبعهُ مسلم ابو صفرة الرميلي وكان راكباً فرساً حمراء من أصل الجُرية ، وهو من الأصول المشهورة أيضاً ، فأدركهُ قبل أن يصل قومهُ واستردَّ الراية

منهُ وعاد الى الميدان بين زراغيت النساء وترحيب الرجال * هذا في الخيل والإبل

وأما « الحمير » فهم يقتنونها لركوب النسآء وجلب المآء عليها من الآبار

وأما « البقر » فلا يقتنيها في سيناء كلها الا الرميلات لقربهم من سوريّا وهم يقتنونها لا للحرث عليها لأنهم يحرثون على الإبل بل للحليب والنتاج ودرس الحنطة وغيرها

وأما « الغنم » من الضان والمعزى فكثير في كل جهة وا كثر غنمهم من المعزى

وأما « كلابهم » فثلاثة أنواع :

« العَكَل » لحماية الغنم من الذئاب والضباع

« والسَّلَق » لصيد الأرنب والغزال

« والضِّرِي » وهو خاصٌ بصيد التيتل قيل وهو جنس مولّد من العكل والسلق

﴿ حيواناتها البرّية ﴾ وأهمّ حيواناتها البرية :

« النمر » « Leopard » ويسكن الجبال الوعرة وهو يفترس ثعالبها وغزلانها وكثيراً ما يفترس أغنامها

« والذئب » وهو كثير ويسطو على الأغنام . والبدو يقتنون كلاب الضرّي بكثرة لمنع أذاه * وفيها « الضبع » . « والثعلب »

« والغزال » وا كثره في السهول يصطاده البدو لأجل لحمهِ وجلدهِ

« والتيتل » « Ibex » ويوجد في الجبال العالية الوعرة يصطاده السياح لأجل جلدهِ والارتياض بقنصهِ ويصطاده البدو لأجل جلده ولحمهِ وقد رأيتهم يبيعون لحمهُ في مدينة الطور الاقة بثلاثة غروش صاغ

والوَبْر « Coney » دُوَيبة كالسنور أصغر منهُ كحلآء اللون حسنة العينين لها ذنب قصير جدًّا * « والقنفذ » وهم يبخرون بشعره المصاب بالحمى

« والأرنب » وا كثره في السهول المرتفعة

ويستدل من اسم وادي اللبوة ووادي السباعيــة من أودية بلاد الطور ان « الأسد » كان يعيش فيها * قالوا وكان في بلاد التيه « النعام » ولم ينقطع منها الاَّ

منذ أربعة أجيال . حدثني الشيخ علي القُديِّر شيخ اللحيوات السابق قال : ان جدّ جدي شاهد النعام في الجزيرة



ش ٢٣ : تيتل رابض على صخرة

﴿ طيورها ﴾ وأهم « طيورها الأليفة » : الدجاج والحمام

ورأيت من « طيورها البرّيّة » الحمام البري . والحجل وهو كثير . والقطا البرّي . والشنار أكبر من القطا ولحمهُ ألذُّ طعماً من لحم القطا . والصقر وهو يفترس الأرنب . والغزال . والورور . والسنونو . والقبَّرة . والهدهد . والبومة . والعقاب . والنسر . والغراب . والدوري

﴿ زحافاتها وهوامها ﴾ ومن زحافات سيناء وهوامها :

« الحيَّة » ومنها نوع سامّ أسود اللون . وآخر من النشاب لونهُ كلون التراب الاَّ طرف ذنبهِ فانهُ اسود حالك ولهُ في رأسهِ قرنان لحميّان قيل هو أشد الحيات سماً وقد رأيت بدوياً قتل حية من هذا النوع في وادي المُكتَّب وقال : « قتلنا السمّ وزال الهم »

« والعقرب » « وابو شبت » وهو يشبه الرتيلاء ولكنهُ سامّ كالعقرب ولدغتهُ أسلم عاقبة من لدغة العقرب . وهم يعالجون لدغة العقرب وابو شبت بالكي بالنار أو بمص السمّ بالفم وقبل مصّهِ يأخذ المداوي قطعة من الملح يجفف بها فمهُ حتى لا يبلع السمّ

ومن زحافاتها: «الفيران . والجراذين . واليرابيع » وأشرُّها الجراذين فانها آفة من آفات الجزيرة وتكثر فيها جدًّا ولا سيما في الأراضي الزراعية المرملة كبلاد العريش الشمالية فانك ترى الجراذين قد خرّقتها حتى صيرتها كالمنخل فلا تكاد تخطو خطوة حتى تقع في جُحْر من أجحارها . ويستخدم البدو لقتلها سماً يدعى « عيش الغراب » . ولها عدوّ من جنسها يُدعى « الورَن » فيفتك بها . ولكنها لا تنقطع الأَّ بحرث الأرض وزرعها كل سنة

وينتاب هذه البلاد احياناً « الجراد » فلا يبقي ولا يذر . ويكثر فيها صيفاً الذباب والبق . ولكن البراغيث نادرة فيها . وآفة البدو القمل لعدم اعتنائهم بالنظافة

« ذبّانة الإبل » ويظهر في بر الزُّقبة من بلاد العريش« ذبانة » سامة طويلة الأجنحة اذا لسعت الجمل اهزلتهُ او قتلتهُ . تظهر في المنطقة الواقعة جنوبي بحيرة البردويل من بئر النصف الى خشوم الأدراب وتظهر مرتين في السنة : المرة الاولى في أوائل مايو وتدوم اربعين يوماً ثم تنقطع فتظهر المرة الثانية في أوائل اوغسطوس وتدوم ثلاثين يوماً . قيل والسبب في ظهورها المستنقعات التي تتخلّف عن بحيرة البردويل . وأهل البلاد يحتاطون لها فيهرّبون إبلهم في ذينك الفصلين خارج منطقتها

﴿ صيد الحيوان في البر والبحر ﴾

﴿ صيد التيتل ﴾ وبدو سيناء يصطادون التيتل بكلاب الضري قالوا : يطارد الكلب التيتل حتى يدركهُ فيعضهُ عضة موءلمة في فخذه ويقف عنده يرقبهُ والتيتل لا يجسر أن يوليهُ ظهرهُ خوفاً من عضة أخرى فيبقى حتى يجيءُ الصياد فيمسكهُ باليد أو يرميهِ برصاصة ويقتلهُ . وترى في سيناء عند كل ماء ترده الأوعال دريئة من الحجارة يستتر بها الصيادون لصيد التيتل بالبنادق عند ورودهِ الماء



ش ٢٤ : بدوي قابض على تيتل

﴿ صيد الأرانب والغزلان ﴾ وفي كل سنة في الصيف يذهب جماعة من مغاربة الزقازيق على هجنهم ومعهم صقورهم وكلابهم السلوقية الى بر قطية لصيد الأرانب والغزلان : يذهب الصياد على هجينهِ طالباً الصيد ومعهُ صقره وكلبهُ فاذا رأى الصيد أطلق عليهِ الصقر والكلب معاً فيدركهُ الصقر أولاً فيرف حول عينيهُ ويحبسهُ عن الجري حتى يدركهُ الكلب فيعضهُ في فخذه ويرقبهُ فيأتي الصياد على هجينهِ ويأخذه باليد

وأما بدو سيناء فتصطاد الأرانب والغزلان بالكلاب السلوقية وحدها لان كلابهم أسرع جرياً من الارنب والغزال ويقال أن عشر جمزات للغزال بتسع جمزات للكلب

هذا وفي كتاب كترمير : « أن السلطان بيبرس في توجههِ من مصر الى الشام سنة ٦٦١ هـ كان يتعاطى الصيد في طريقهِ مع أمرائهِ وكان يحب الصيد . فلما وصل العريش جعل من جنوده حلقة فيها ثلاثة آلاف رجل أحاطوا بجزء كبير من الارض ليصطادوا ما بداخل الحلقة من الغزلان ثم أخذوا يضيقون الحلقة شيئاً فشيئاً مع المحافظة على ما بداخلها من الحيوانات حتى قبضوا على ما بها من الوحوش » اه



ش ٢٥ : بدويان صادا نمراً

﴿ صيد الأنمر والضباع ﴾ وهم يصيدون الأنمر والضباع برصاص البنادق أو ينصبون لها الفخاخ . والفخ عبارة عن وجار صناعي مبني بالحجارة الغشيمة على شكل تابوت لهُ باب مفتوح في احد طرفيهِ وكوة في ظهره قرب الباب فيضع الصياد قطعة من اللحم في داخل الفخ يعقدها الى طرف حبل ويعقد طرفهُ الآخر الى حجر عند الكوة تسمى «ردَّاسة» فاذا استنشق الضبع أو النمر رائحة اللحم دخل الفخ من الباب ليأكلها ولا يكاد يجذبها بأسنانهِ حتى تسقط الردَّاسة من الكوة وتسد الفخ ويبقى الضبع أو النمر محبوساً فيهِ الى ان يموت او يأتي الصياد فيقتلهُ برصاصة من بندقيتهِ



ش ٢٦ : بدوي يصيد نمراً في فخهِ

﴿ صيد الطير في بلاد العريش ﴾ هذا وقُبَيل دخول فصل الشتاء اي حوالى شهر سبتمبر تبدأ مهاجرة الطيور من أوربا الى ساحل بلاد العريش . وغالب هذه الطيور :

« الفِرّي » ويقال لهُ السمان ايضاً

« والمرَعاه » وهو اكبر من الفرّي حجماً ولكنهُ اخف وزناً واقل قيمة ولون الذكر منهُ اسود والانثى مائل الى السواد

« والرُّقطي » وهو طائر كالحمام ولكن لون ريشهِ اخضر واصفر * واهل العريش من بادية وحضر يصيدون هذه الطيور ويبيعونها حية في مصر واكثر بيعهم لها في بور سعيد

أما اهل مدينة العريش فقد رأيتهم يصيدونها بشباك ينصبونها على شاطئ البحر مرفوعة على قوائم من خشب مسافة خمسين متراً وعلو ثلاثة امتار . او يجعلون على الشاطئ عِشاشاً من الأعشاب ابوابها لجهة البحر ويجعلون الشباك على الابواب فتأتي تلك الطيور مُتعَبة من عبر البحر المتوسط فلا ترى تلك العِشاش حتى تترامى عليها طلباً للراحة فتعلق في الشباك ويأتي الصياد فيقبض عليها باليد

أما عرب البادية فانهم يجدونها تعبة نائمة في ظل الاعشاب قرب الشاطئ فيصيدونها باليد . فويلٌ للحيوان من الانسان !

هذا كلهُ في صيد الفري والمرعاه . وأما الرُّقطي فانهُ لا يصاد الاَّ بالدّبق على الشجر لأنهُ يحذر الشباك ولا يختبئ في الأعشاب

ويهاجر الى بحيرة الزرانيق في الصيف نوع من الطائر المائي الملوَّن الريش فيصطاده الأهلون بالبنادق ويصبّرونهُ ويدخلونهُ في المتجر حلياً لبرانيط النسآء

﴿ صيد السمك ﴾ ويصطاد السمك كثير من سكان الشطوط البحرية من اهل المدن والبدو خصوصاً مزينة والترابين يصيدونهُ بالشباك او السنارة . واهل مدينة الطور كعرب جهينة في ينبع وضبا من برّ الحجاز يصطادون نوعاً من السمك من خليجي العقبة والسويس ويجففونهُ ويدخلونهُ في المتجر وهو المعروف في مصر « بالبَقّلاه »

وهم أيضاً يغوصون على اللؤلؤ « واليسر » في خليج العقبة عند رأس محمد وذهب والنويبع

وفي البحر الأحمر لا سيما في خليج العقبة كثير من السمك الطيّار والإرش . أما الإرش فهو حيوان مفترس لا يؤمن الإستحمام في الخليج بسببهِ . وقد طارده ضباط الطرّاد الانكليزي « ديانا » مدة أقامتهم في جزيرة فرعون سنة ١٩٠٦ فاصطادوا إرشاً طولهُ ٢٨ قدماً

الفصل التاسع

في

﴿ سكانها ﴾

﴿ ١ . سكانها الأصليون الذين بادوا ﴾

لقد دلّت الآثار التي خلّفها الفراعنة في سيناء ان سكان هذه الجزيرة كانوا منذ بدء التاريخ من أصل سامي كسكان سوريا وكانوا يتكلمون لغة غير لغة المصريين . وقد عُرِفوا على الآثار المصرية باسم «هيروشاتيو» اي أسياد الرمال ، وعرف سكان بلاد الطور خاصة باسم « مونيتو » . وعُرِفوا في التوراة عند مرور بني اسرائيل في الجزيرة « بالعمالقة » . ورأيت في دِرج في دير سيناء ان سكان الجزيرة في عهد يوستينيانوس في أوائل القرن السادس للمسيح هم « الأعراب بنو اسماعيل» . وبنى يوستينيانوس المذكور ديراً لرهبان طور سيناء و بعث اليهِ بحامية خليط من أروام ومصريين عُرفوا «بالجباليّة»[1] نسبة الى «جبل الطور» وما زالوا يسكنون ضواحي الجبل الى اليوم

ثم ظهر الإسلام في جزيرة العرب في أوائل القرن السابع للمسيح وفتح العرب المسلمون جزيرة سيناء فتغلبوا على أهلها الأصليين فأبادوا اكثرهم واستعبدوا الباقين او اجلوهم عن البلاد وسكنوها الى هذا العهد

---

(١) يختلف الجبالية عن سائر بدو سيناء من حيث الملامح والطباع وهناك خلاف حول أصلهم ، فهناك من يعتبر أنهم من الولاشيين والبوسنويين الذين أتى بهم الإمبراطور جستنيان حين بني الدير لحماية الرهبان من هجمات البدو .
راجع: Murry, G.W., Sons of Ishmeal, Study of Egyptian Bedouin, London 1935, p.262.

وأقدم القبائل الأصلية التي بقي لها أثر في الجزيرة بعد ان افتتحها العرب المسلمون هم : الحَماضة ، والتَّبَنة ، والمواطرة في بلاد الطور . والبَدارة في جبال العجمة من بلاد التيه * وقد دخلوا في حمى العرب الفاتحين واتخذوا لغتهم ودياناتهم وعاداتهم ولكنهم ما زالوا منفصلين عنهم في الجنس فالبدو الفاتحون لا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم ولا يقيمون حرباً عليهم الى اليوم

أما « الحَماضة » فالمشهور أنهم كانوا أسياد البلاد قبل الصوالحة وكان مجتمعهم في حديقة فيران . وكانوا مدة الصيف يذهبون كل ليلة الى عرق رجامات البيض في أسفل الوادي ويبيتون فيهِ فراراً من البعوض كما مرَّ ثم يعودون في الصباح الى الحديقة . وهم الآن شرذمة قليلة لا يزيدون عن اربعين بيتاً وقد دخلوا في حمى العليقات

وأما « التَّبَنة » فقد تقدم أنهم من سكان حديقة فيران الأصليين يزرعون ارضها ويلقحون نخيلها الى اليوم * واما « المواطرة » فيسكنون حديقة الحمام قرب مدينة الطور يزرعون ارضها ويلقحون نخيلها كالتبنة في فيران وقد رأيت لهم ذكراً في بعض كتب الدير القديمة التي يرجع تاريخها الى سنة ١٠٠١هـ ١٥٩٢م . ويظهر أن التبنة والمواطرة من اصل واحد وكلاهما اعرق في القِدَم من الحماضة . ولعلهم بقية نصارى فيران « وراية » الذي غُلبوا على أمرهم بعد فتح العرب لسيناء وهم الآن في حمى الصوالحة

وأما « البدارة » ويبلغ عددهم نحو خمسين بيتاً فيسكنون جبال العجمة وربما سميت الجبال بالعجمة نسبة اليهم لأنهم كانوا يتكلمون لغة اعجمية . وقد كانوا اولاً حُلفاء التياها ثم اختلفوا معهم منذ عهد قريب فحالفوا الصفايحة اللحيوات . ولهم علاقة « حُسنى » مع العليقات

وقد سكن اهل البلاد الأصليون في المغاور والكهوف وفي منازل محكمة البناء من الحجر الغشيم والطين على هيئة قفير النحل تعرف عند العرب بالنواويس ولا يزال كثير منها قائماً على رؤوس الجبال وضفاف الأودية الشهيرة الى اليوم كما مرّ وهي ترجع في تاريخها الى خمسة آلاف سنة قبل المسيح او اكثر

﴿ ٢ . سكانها العرب المسلمون الذين هجروها ﴾

وفي تقاليد بدو سيناء انهُ قد هاجر من العرب المسلمين ٧٥ قبيلة من نجد والحجاز في سنة واحدة؟ فسكنوا مصر وسيناء وجنوب فلسطين . على ان القبائل التي سكنت سيناء لم تثبت فيها كلها بل هاجر كثير منهم الى مصر او سوريا بعد ان اقاموا فيها مدة وضعف الباقون او انقرضوا كلهم ومن هؤلآء :

« الوُحَيدات ، والرُّشيدات ، والرُّتيمات ، والجُبارات ، والعـايد ، والمَعازة ، والطُّمَيلات ، وبنو واصل ، وبنو سليمان ، والعيايدة ، والنُّفيعات »

اما « الوُحيدات والرُّشيدات » فقد ذكرهما صاحب درر الفرائد في رحلتهِ الى الحجاز سنة ٩٥٥ هـ ١٥٤٨ م انهما فرعان من بني عطية وان عليهمـا درك النقب « نقب العقبة » واما الآن فلا نرى احداً منهما في سيناء كلها ونرى بقية من الوحيدات في بلاد غزة . وقد آل درك النقب منذ عهد بعيد الى قبيلة اخرى من بني عطية وهم العمران الحويطات كما سيجيء

واما « الرُّتيمات والجبارات » فقد كانت مساكنهما في بلاد العريش الشرقية فطردهما الترابين منها الى بلاد غزة في أوائل القرن التاسع عشر بعد حرب دامت نحو عشرين سنة كما سنبينهُ في محلهِ

واما « العـايد » فهم الآن من سكان مديرية الشرقية في جهة بلبيس وقد تحضَّروا وتركوا البادية . وهناك خط يُدعى خط العايد الى اليوم . وليس لدينا دليل على انهم سكنوا جزيرة سيناء ولكنا نرى ان الحكومة المصرية عهدت اليهم قديماً خفر المحمل الشريف من مصر الى العقبة . وقد ورد ذكرهم في كتاب « الأم » المحفوظ الآن في الدير ان لهم الإشراف على قبائل الطَّورة وفي بيت شيخهم كانت تُعقد شروط الاتفاق بين عرب الطورة ورهبان دير سيناء بشأن تأجير الإبل وتأمين الطرق ونحوها كما سيجيء * والعايد الآن فريقان فريق يرجع بنسبهِ الى ابراهيم العايدي وفريق الى حسن أباظه ومن هـذا الفريق أسرة اباظه المشهورة وكبيرها

اسماعيل باشا اباظه * قيل وينتهي نسب العايد الى عقبة الى جزام الى قحطان وكانت جزام في جملة من دخلوا مصر مع عمر بن العاص

واما « المعازة والطميلات » فانهم رحلوا من سيناء الى مصر وبقي لهم الى الآن بعض الأملاك في برّ قطية من بلاد العريش

واما « بنو واصل » فقد اجمع ثقات سيناء انهم من بني عقبة من عرب الحجاز وانهم هاجروا الى بلاد الطور من عهد بعيد واقتسموا البلاد مع الحماضة المار ذكرهم فأخذ بنو واصل القسم الجنوبي الى وادي فيران واخذ الحماضة القسم الشمالي اي وادي فيران وشماليها الى جبال التيه . وكانت منافع البلاد مقسومة بينهم بالسوية . ثم قامت بينهما حرب بشأن نقل الحجاج المصريين الذين كانوا يأتون بطريق الطور وكانت الواقعة الكبرى في المكان المعروف بمكون الحماضة قرب وادي وردان كما مرّ فضعف حالهم جميعاً . فجاء الصوالحة والنفيعات من بر الحجاز واستولوا على البلاد واقتسموا منافعها بينهم على نحو ما كان عليهِ بنو واصل والحماضة وانضم من بقي من الحماضة الى النفيعات ثم الى حلفائهم العليقات وانضم من بقي من بني واصل وهم الآن نحو ٢٠ بيتاً الى الصوالحة . وقد رأيت ذكراً لبني واصل في « كتاب الأم » : « ان بني عقبة اصحاب الدرك في قلعة المُوَيلح « ببر الحجاز » تعدَّوا على تجار من بني واصل في ٤ صفر سنة ١٠٠٢هـ » اه ٣٠ اكتوبر سنة ١٥٩٣م . وفي مصر في مديرية جرجا قبيلة من بني واصل

واما عرب « بني سليمان » فالظاهر انهم كانوا قبيلة قوية في الجزيرة ولعلهم دخلوا الجزيرة مع بني واصل وكانوا حلفاءهم ثم ضاق بهم العيش فرحلوا الى مصر وسكنوا مديرية الشرقية ولم يبقَ منهم في الجزيرة الآن سوى بيت واحد انضم الى القرارشة الصوالحة . وقيل هم فرع من بني عطيّة المساعيد كما سيجيء

واما «العايدة» فانهم استوطنوا بلاد الطور مدة ثم رحلوا عنها ، بسبب القحط في الأرجح ، الى مصر فسكنوا مديرية الشرقية وغربي بلاد العريش . ومن الأقوال المأثورة عنهم انهم قالوا عند ارتحالهم من بلاد الطور « تركنا الشرّ في خُشيم الطرّ » .

وبقي لهم كرم نخيل في وادي فيران الى عهد قريب فرهنهُ سليمان بن غانم العيادي عند رجل من العوارمة ثم باعهُ لهُ سنة ١٩٠٥

وأما « النفيعات » فالراجح أنهم دخلوا بلاد الطور مع الصوالحة فوجدوا الحماضة وبني واصل في ضعف فاستولوا على البلاد واقتسموها فيما بينهم كما مرَّ واقتسموا أيضاً غفر الدير ونقل الحجاج والسياح

ثم جآء العليقات من بلاد الحجاز الى الجزيرة وحالفوا النفيعات وصاروا معهم حزباً واحداً رئيسهم النُّفَيعي. وسكن العليقات أولاً جهة عين حدرة والنويبع ثم حصل قحط في الجزيرة فرحل النفيعات الى مصر وسكنوا مديرية الشرقية في مركز الزقازيق وحل محلهم في الجزيرة حلفاؤهم العليقات . وترك النفيعات في الجزيرة « بدَنة » منهم يقال لها « السواعدة » فسكنت مع العليقات الى اليوم. ولا يزال للشيخ ابراهيم منصور عمدة النفيعات الحالي املاك في أودية فيران والنصب وبعبعة من بلاد الطور وفي برقطيه من بلاد العريش. وقد رأيت ذكراً للنفيعات في كتب الدير يرجع تاريخها الى سنة ١٠٠١ هـ ١٥٩٣ م. وهم ينتسبون الى نافع بن مروان بطن من ثعلبة طي من نجد الحجاز

﴿ حرب الصوالحة والعليقات ﴾ وفي تقاليد الطَّورة أنهُ في زمن حكم الأنطوش ؟ في قلعة مدينة الطور اختلف الصوالحة والعليقات على قسمة منافع البلاد ونقل الحجاج فقامت بينهم حرب واقتتلوا في واقعة عظيمة في « وادي الحمام » قرب مدينة الطور كان النصر فيها للصوالحة . وقالوا في تفصيل ذلك : ان الصوالحة هاجموا العليقات ليلاً وكان سرّ الليل عندهم « إدْهك يا داهوك » فكانوا يرددون هذه الكلمة بصوت عال ليتعارفوا بها في الظلام فمن لم يردّدها علموا أنهُ عدو وقتلوهُ . قالوا ولم ينج من جيش العليقات في تلك الواقعة سوى أربعين رجلاً فضعف حالهم وعجزوا عن حفظ مركزهم مع الصوالحة

واتفق أنهُ في هذه الاثنآء هاجر جماعة من مُزَينة من « قبيلة حرب » بالحجاز وأرادوا التوطن في سينآء ولما كانوا هم والصوالحة من أصل واحد سألوهم الإقامة معهم

فضرب الصوالحة عليهم جعلاً قدرهُ « نصفان » من الدراهم على كل بنت يزوجونها من بناتهم فأبوا وحالفوا العليقات على أن يكون لكل قبيلة نصف منافع الجهة ما عدا « منافع الدير » فانها تبقى للعليقات وحدهم . فقوي بذلك العليقات وعادت الموازنة بينهم و بين الصوالحة كما كانت فهبوا لأخذ الثار . قيل وقد ذهب واحد منهم بعد « واقعة الحمام » الى مصر فجلس على طريق سوق الخانكي ينادي :

«عليقات ياعليقات يا أهل الرّمك والنجادة الطورغربي سربال ماعقّب الاّ النكادة»

فأمدّهم حلفاؤهم النفيعات بنجدةٍ فجيشوا جيشاً كبيراً وأرسلوا الجواسيس ترقب حركات الصوالحة . وكان الصوالحة قد ذهبوا لزيارة الشيخ صالح في واديهِ وتقديم الذبيحة المعتادة لهُ ولما لم يكن عند القبة حطب كافٍ أتوا بالذبيحة الى غابة الطرفآء التي الى غرب الوَطية فذبحوا ناقتهم وأكلوا وناموا . وانتظر العليقات حتى استغرقوا في النوم ثم انقضوا عليهم كالنسور وقتلوهم شر قتلة . قيل وكان سرّ الليل عند العليقات « إِفعص يا فاعوص »

و بعد هذه الواقعة اجتمع كبرآء الصوالحة والعليقات في بيت عربي في مصر يُدعى «الوُدَيّ» وعقدوا صلحاً على أن يعود كل فريق منهم الى الأملاك التي كانت لهُ قبل الحرب من نخيل ومزارع وان تعود منافع البلاد من خفر الدير «أي نقل الرهبان وامتعتهم ونقل حجاج الدير» ونقل حجاج مصر المسلمين الآتين بطريق الطور أو بطريق نخل على الإبل فتقسم بينهم بالسويّة . حتى « الفَيْد » الذي يلفظهُ البحر الى شطوط الجزيرة يقسم بينهم بالسوية كما كان الحال بين الحماضة و بني واصل ثم بين الصوالحة والنفيعات من قبلهم . ثم ان لكل من الفريقين نسبة معلومة تقسم بها المنافع بين قبائلهِ سنأتي على ذكرها تفصيلاً في فصل خاص

ولنتقدم الآن الى ذكر قبائل سينآء الحالين قبيلة قبيلة مع ذكر اصولها وفروعها ومشايخها وأشهر مراكزها في الجزيرة فنقول :

—﴿ ٣ . سكانها الحاليون ﴾—

﴿ ١ . قبائل بلاد الطور ﴾

يسكن بلاد الطور الآن قبائل : العُلَيقات . ومُزَينة . والعوارمة . وأولاد سعيد. والقرارشة . والجباليَّة . ويطلق عليها كلها اسم « الطورة » . ويطلق على العوارمة وأولاد سعيد والقرارشة اسم الصوالحة. وقد يطلق اسم الصوالحة على العوارمة وحدهم

﴿ العليقات ﴾ اما قبيلة العليقات فأهمّ فروعها : اولاد سِلمي. والتُّليلات . والحمايدة . والخرَيسات . وينضم اليها الحماضة . والسواعدة النفيعات كما مرّ * وشيخها الحالي مدَخّل سليمان من اولاد سِلمي * وتمتد بلادها من الرملة الى وادي غرندل * والمشهور انها هي والعليقات القاطنين في مديريتي القليوبية واصوان من اصل واحد

﴿ مُزَينة ﴾ واما قبيلة مزينة او ام زينة فأهمُّ فروعها العلاونة . والشذاذنة . والعُوَيصات . واولاد علي * وشيخها الحالي خضر عامر فرحان من بدنة العويصات

وتبدأ بلادها من جنوب مدينة الطور وتمتد على الشطوط البحرية حول رأس محمد الى النويبع فالرملة * وهم يرجعون في اصلهم الى عرب بني حرب كما مرَّ . وقد اشتهروا بحب السلام ولين العريكة والأمانة مع انهم فقرآء * ومن اشغالهم عمل حجارة الرحى والفحم وصيد السمك . ورأيت جماعة منهم في السويس يشتغلون سقاة

ويسكن مع مزينة في جهة النويبع نفر من العزايزة يصيدون السمك ولهم نخيل قديم في ارض مزينة . ولعلهم نسل رجل من العزايزة الساكنين غزة

﴿ العوارمة ﴾ واما قبيلة العوارمة ففروعها العوارمة خاصة ومنهم الفوانسة . والرُّدَيسات ومنهم اولاد شاهين . والنواصرة . والمحاسنة * وشيخهم الحالي سليمان غنيم من الفوانسة

﴿ اولاد سعيد ﴾ وأما قبيلة اولاد سعيد ففروعها اولاد سعيد خاصة ومنهم الزهيرات والعوامرة . واولاد مسلَّم . واولاد سيف . والرَّزَنة وهم فرع غريب ملحق بها * وشيخها الحالي صالح علي من العوامرة



ش ٢٧ : الشيخ موسى ابو نصير شيخ مشايخ الطورة

﴿القرارشة﴾ واما قبيلة القرارشة ففروعها النصيرات . واولاد تيهي . قيل هم من عرب قريش دخلوا الجزيرة مع العوارمة واولاد سعيد وكانوا معهم حزباً واحداً كما مرَّ وبالنظر لرفعة نسبهم ترى شيخهم في الغالب شيخاً للطَّوَرة كافة * وشيخهم

الحالي نصير موسى من النصيرات * وكان ابوهُ الشيخ موسى ابو نصير شيخ القرارشة من قبلهِ وشيخ مشايخ الطُّوَرة كافة . وهو أعظم رجل انتجتهُ الجزيرة في هذا العصر وقد كان نابغة جزيرة سيناء كما كان « الزبير » نابغة السودان . وكان رجلاً شهماً مَهوباً طويل القامة جميل الطلعة جليل القدر سديد الرأي مسموع الكلمة . توفي عن نحو ٨٠ عاماً في منزلهِ في حديقة فيران يوم الجمعة في ١١ اوكتوبر سنة ١٩١٢ ودفن في جبانة الشيخ عليان بفيران . قيل عجَّل في موتهِ وفاة ابنهِ الاصغر ابرهيم شاباً في مقتبل العمر . وقد ادخلهُ مدرسة الطور فكان اوَّل من اتقن القراءة والكتابة من البدو في سيناء كلها فشق عليهِ موتهُ فمات غمًّا . وكان في فيران يوم وفاتهِ نحو ٢٠٠ رجل من قبائل الطورة كافة قد اجتمعوا لموسم البلح فدفنوهُ بالاكرام اللائق بهِ

ثم ان بلاد الصوالحة اي العوارمة واولاد سعيد والقرارشة هي في قلب بلاد الطور يحيط بهم مزينة والعليقات كدائرة * وفي تقاليد الصوالحة انهم من قبيلة حرب الحجاز وقد رحلوا اولاً الى ضبا ثم الى بلاد الطور فسكنوها الى اليوم

ونرى الآن فريقاً من العوارمة واولاد سعيد يسكنون قرب قليوب مصر قالوا حصلت مجاعة في سيناء فهاجروها الى مصر وبقوا فيها . ولبعضهم املاك من النخيل في فيران الى اليوم وكبيرهم في مصر هندي ابو شعيرة من النواصرة العوارمة

﴿ الجباليَّة ﴾ واما قبيلة الجبالية ففروعها الحمايدة . والسلايمة . والوُهيات . واولاد جندي * وشيخهم الحالي الشيخ عطية ابو غنيمان من الوهيات * وهم يسكنون جبل طور سيناء المنتسبين اليهِ وضواحيهُ * وقد تقدم انهم خليط من اروام ومصريين . وكانوا يدينون بالنصرانية ثم أُجبروا على اعتناق الاسلام وعاشوا عيشة البادية ولكن البدو العريقين في البداوة يترفعون عنهم فلا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم . وعددهم الآن كما هو في كتب الدير ٤٨٠ شخصاً وسيأتي ذكرهم

هذا وقد اشتهر الطورة عموماً بالضيافة واتحاد الكلمة ومن أمثالهم : « الطورة ربيع الضيف » فهم يضيفونهُ ثلاث وجبات مع أن سائر قبائل الجزيرة يضيفونهُ وقعتين . واذا لحقهم أذًى قاموا كلهم قومة رجل واحد لأخذ الثار

﴿ ٢ . قبائل بلاد التيه ﴾

يسكن بلاد التيه الآن فروع من قبائل التياها . والترابين . واللحيوات . والحويطات

﴿ التياها ﴾ أما قبيلة التياها فتسكن بلاد التيه وجنوب سوريا . وأهمّ فروعها التي تسكن بلاد التيه : الصُّقيرات . والبُنيّات . والشُّتيات . والقُديرات . والبريكات * وشيخهم الحالي الشيخ حمد مصلح من الصقيرات

والمشهور ان هذه القبيلة هي أقدم قبائل التيه وقد سميت كذلك لأنها اول قبيلة سكنت بلاد التيه . وفي تقاليد شيوخها : « أن اصلهم من بني هلال من ظعن سليمان العنود من برية نجد وأنهم هاجروا بلادهم فراراً من المعازة ودخلوا الجزيرة في وقت واحد مع الترابين وسكنوا بلاد التيه وسكن قسم من الترابين شرق بلاد الطور ووقعت بين القبيلتين حرب على «عين سدر» كان الفوز فيها للتياها وانهزم الترابين الى مصر ثم عادوا الى الجزيرة وأصطلحوا مع التياها في بلدة نخل على أن يكون للتياها أرض الجَلَد وللترابين أرض الدَّمث» فسكن التياها بلاد التيه من جبل الحلال الى نقب الراكنة شمالاً وجنوباً ومن مطلة نخل الشرقية الى جُبَيل حسن شرقاً وغرباً . وسكن الترابين شمالي جبل الحلال بين التياها والسواركة وامتدوا شمالاً بشرق الى غزة

وكان «درك» التياها في درب الحج المصري من جبيل حسن الى مطلة نخل الشرقية . وأشهر مراكزهم نخل وجبل الحلال وعين القُصَيمة وعد المويلح . وأشهر مزارعهم في أودية المويلح والصَّبحة والقُصَيمة وصِرام ومعظم وادي العريش . ويسكن القديرات منهم الوادي المعروف باسمهم . والبريكات وادي مابين وقريّة

وقد اشتهر التياها بالبساطة وشكاسة الأخلاق . ومما رواه أهل الجزيرة عنهم : « ان أحد التياها كان نازلاً بجمله في بطن وادي العريش ففاجأه السيل وجرفهُ هو وجملهُ فصار يستغيث وينادي : « انا تيهي يا سيل . انا تيهي يا سيل . وان كذبتني فكّر بوسم الجمل » * ومنها أن احدهم كان لهُ عباءة سوداء فنزل عليهِ مطر شديد وهو في سفر فغرّق العباءة وبلّلهُ فظن أن ذلك من سواد العباءة فخلعها

عنهُ ورماها على شجرة في الطريق وقال لها « والله لأتركنَّك في الخلاء حتى يقتلك البرد » ! ! ثم تركها وانصرف

﴿ الترابين[1] ﴾ أما الترابين فأشهر فروعهم في التيه : « الحرَرَة » شياخة خضر الشتُّوب * «والحسَابلة» شياخة سلامة حجازي * «والشُّبَيتات» شياخة عودة الباسلي

وأشهر مراكزهم : الجورة . والبَرْث . والبواطي . والمَقْضَبة . والعمْر . وأم قَطْف بين المقضبة والعمر . والروافعة . وجبل المغارة . والجفجافة . وجبل الراحة

وقد تقدم أن فريقاً منهم سكن شرق بلاد الطور ولا يزال منهم بقية هناك في النويبع . وعين احمد . وعين جُذَيع . وعين العاقولة . ولهم فيها نخيل الى اليوم . ولكن معظم الترابين في بلاد غزة . ومنهم طائفة في مديرية الجيزة بمصر .

ومما قيل في أصل الترابين أنهم من جدّ يقال لهُ نجم قدم الى سيناء مع رجل يدعى الوُحيدي من ذرية الحسن أخي الحسين فنزلا ضيفين على شيخ كبير من بني واصل في جبل طور سيناء وكان لهذا الشيخ بنتان احداهما جَعْدة الشعر قبيحة الوجه والاخرى ذات شعر جميل ووجه حسن ولم يكن لهُ ذكور وكان نجم فارساً مقداماً ولكنهُ كان قبيح المنظر أسمر اللون وكان الوحيدي شاباً جميل الوجه ابيض اللون فزوج نجماً بنتهُ القبيحة الوجه وزوج الوحيدي بنتهُ الجميلة فكان نجم جدّ الترابين وهم مشهورون بالبسالة وقبح الصورة ، والوُحيدي جدّ الوُحيدات وهم مشهورون بالكياسة وحسن الصورة

وقد أقام الوحيدات في جزيرة سيناء زماناً طويلاً ثم هجروها وسكنوا غزة كما مرّ . ولا يزال الترابين يحترمونهم الى الآن فيذهب كبارهم لمعايدة شيخ الوحيدات ثاني يوم عيد الأضحى احتراماً لمقامهِ ونسبهِ . ومن اقوال البدو في الوحيدات انهم «خفيفي الملبوس نقالة الدبُّوس »

قالوا ونجم جدّ الترابين هذا هو ابن الشيخ عطية المدفون في الوادي المنسوب اليهِ عند عين جذيع وقد مرَّ ذكرهُ . والترابين يزورون قبرهُ كل سنة بعد الربيع ويذبحون لهُ الذبائح * وقد اشتهر الترابين بالإلفة والاتحاد واشتهرت بَدَنة النَّبعات

---

(١) هناك روايات متعددة حول أصل الترابين، فهناك من يشير إلي أنهم من "تربة" قرب مكة، وهناك من يرجعهم إلي أصول أسطورية، لكن جميع هذه الروايات تتفق علي أنهم نزحوا من شبه الجزيرة العربية. حول هذه الروايات راجع: صبري العدل، المرجع السابق، ص ٢٧٨، وعارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، مطبعة بيت المقدس، القدس ١٩٣٤، ص ٧٧ .

منهم بجودة الرأي . وبدنة الغوالية بالشجاعة والاقدام فهم يقتحمون غمرات الوغى بعزم صادق على نية النصر أو الموت * وعن درر الفرائد : « ان الترابين والوحيدات والحويطات واللحيوات من أصل واحد اي من بني عطية »

﴿ اللُّحَيوات ﴾ وأما قبيلة اللحيوات او الأُحيوات ففروعها : النَّجَمات والخناطلة والكساسبة . والسلاَّميِّين . والغُريقانيين . والمُطُور . والكرادِمة . والحَمَدات . والصَّفايحة . والخواطرة . والخلايفة

وفي تقاليدهم انهم من بني عطية المساعيد المنتسبين الى مسعود بن هاني . وقالوا في تفصيل ذلك ان المساعيد ارتحلوا هم وبني عقبة من نجد ونزلوا في وادي العَرَبة. وكان مع المساعيد قوم من عرب مُطَير يعيشون معهم «بالخاوة» فاستثقلوا دفع الخاوة واستغاثوا ببني عقبة ليتخلَّصوا منها كلها أو بعضها . وكان لشيخ مُطَير بنت بديعة الجمال فمرَّت بهودجٍ على أميرَي بني عقبة والمساعيد وهما يلعبان «السِّيجة» ففتن أمير المساعيد بجمالها وترك اللعب وصار ينظر اليها فغاظ ذلك شيخ بني عقبة فأنشد قائلاً:

مُطَيريَّة يا أمير ما هي لنا من قبيلة وطُنَيبها داود الذي ما يعيبها

فقال لهُ الأمير

نجيبها « بالسّرْد » والمُرْد والقنا وضربٍ يعدّي جارها مع طنيبها

فأجابهُ العُقبي

يا ما دونها يا أمير من طرح «سابق» « وعودة » بالميدان ما ينسخى بها

فهب المسعودي لساعتهِ وأخذ يجمع جموعهُ ويستعد للقتال وهكذا فعل العقبي والتقى الجمعان في مكان يدعى حُصي المدَرَه عند « مطبّ نقب غارب » بوادي العرَبة فاقتتلا قتالاً شديداً كان النصر فيهِ للمسعودي ووقعت المطيريَّة في اسرهِ . فلما أتى بها الى خيمتهِ خرجت امهُ من الخيمة فسألها ابنها في ذلك فقالت لا أقيم تحت سقف واحد مع « هتيمية » فتأثر لقول امهِ وطرد المطيريَّة واهلها من دارهِ . وقد عرفت تلك الواقعة « بواقعة المطيرية » وفي حصي المدَره الى الآن قبور قديمة قيل انها مدافن قتلى تلك الواقعة

قالوا وبعد الواقعة ذهب العقبي الى بلاد الكرك والمسعودي الى بلاد غزه فضرب عليهِ حاكمها فرساً من جياد خيلهِ يقدمهُ لهُ كل سنة وبقي المساعيد يؤدون هذه الضريبة حتى قام عليهم امير يدعى «سليمان المنطار» فاستثقل الضريبة وأبى دفعها وجاهر بالعداوة للدولة فجرَّدت عليهِ وقتلتهُ في واقعة مشهورة قرب غزة . قالوا وكان سليمان المذكور من أهل الصلاح والتقوى فرأى الترك قنديلاً اضاء فوق جثتهِ فدفنوهُ باكرام وبنوا قبة فوق قبرهِ لا تزال قائمة والعرب تزورها الى اليوم

وتفرق المساعيد ثلاث فرق : فرقة ذهبت شرقاً فسكنت فارعة المسعودي ورآء حوران . وفرقة ذهبت غرباً فسكنت ارض مصر وعرفت هناك بأولاد سليمان وبقي منها بقية في برقطية غرب العريش حافظت على اسم المساعيد كما سيجيءُ . وفرقة ذهبت جنوباً بشرق فسكنت وادي الليف في البَدْع من أعمال الحجاز على نحو خمسين ميلاً من العقبة . وتخلف من هذه الفرقة قوم في وادي الجرافي ففرغ زادهم فأخذوا يقتاتون بنبت الحُوّي فسمُّوا الأحيوات. وكبيرهم اذ ذاك «سعد صادق الوعد»

وكان لسعد ثلاثة بنين: شوفان من أُم . وحَمَد وسُوَيلم من أُم * فكان سويلم جدّ الكرادمة وحَمَد جدّ الحَمَدات وشوفان جدّ الشوَّافين . وكان لشوفان ابنان: غانم جدّ النجمات والخناطلة والكساسبة والسلاميين . وغُنيم جدّ الغريقانيين والمطور

وقد اشتهر الشوَّافون بين اللحيوات بالصلاح والتقوى ولهم في الجزيرة عدة قبور تُزار منها : قبر « الشيخ حمدان » بن نجم جدّ النجمات المدفون في رأس وادي الردّادي قرب مفرق العقبة يزورهُ اللحيوات من كل الجهات . وقبران في وادي الهاشة مرَّ ذكرهما وهما « قبر الشيخ مسلّم وقبر الشيخ صُبَيح » وكلاهما من بَدَنة المطور . وقبر « الشيخ عمر » المدفون بقرب « بئر أبو قطيفة » على نحو ست ساعات شرقي السويس. وقبر «الحجاج» في نِخل الآتي ذكرهُ. وقبر «أبو ديب» في وادي مايين وكلاهما من السلاَّميين . وأبو ديب أقدم من حمدان وأحدث من الحجاج

وأما باقي فروع اللحيوات : «فالصفايحة» من صفيح ابن عم لسعد صادق الوعد . وأما الخواطرة والخلايفة فليسوا من اللحيوات قيل ان الخواطرة هم نسل رجل مزيني

يدعى خاطراً ساكنَ اللحيوات وتناسل عندهم . وأما الخلايفة فالمشهور أنهم انضموا الى اللحيوات بطريق «الأخوَّة» فنسبوا اليهم على عادة القبائل الضعيفة الأصيلة مع القوية

وبلاد اللحيوات شرقي بلاد التياها وغربيها فبدنة الصفايحة تسكن غربي التياها من جبيل حسن الى بئر مبعوق . وأشهر مراكزهم : جبل المغارة . والجفجافة . وسر الحقيّب . وعين سدر . وجبل بَضِيع * وأما سائر اللحيوات فيسكنون شرقي التياها ويمتدون من مطلة نخل الشرقية الى وادي العربة شرقاً وغرباً ومن جبل الأحيقبة الى خليج العقبة شمالاً وجنوباً * وأشهر مراكزهم في سيناء بئر الثمد . والتحديد الأخير أخرج الخلايفة القاطنين وادي العربة من ادارة سيناء وألحقهم بادارة العقبة

وكان درَك اللحيوات في درب الحج المصري من مطلة نخل الشرقية الى العقبة. ولكن عرب الحويطات العلويين القاطنين العقبة منذ عهد بعيد يقولون أنهم كانوا يتسلّمون محمل الحج المصري من اللحيوات «من رجم الدرك» في رأس نقب العقبة وأنهم اشتروا هذا الحق من الترابين الذين سكنوا العقبة قبلهم

ومشايخ اللحيوات كلهم من بدنة النَّجمات ذرية نجم بن سلامة بن غانم بن شوفان بن سعد صادق الوعد * وكان نجم هذا هو أول من أخذ « الصرَّة » من الحكومة المصرية لحماية طريق الحج وهو مدفون عند بئر الصني على ١٦ ميلاً شرقي المربَّعة ومات عن أربعة أولاد : علي وحمدان وعُليّان وسالم

وخلفهُ على مشيخة اللحيوات ابنهُ « علي » فقتل في القاهرة خطأً . قيل دخل القلعة وهو راكب فرسهُ فناداه الديدبان « ان قف » فلم يلتفت الى النداء استصغاراً لشأن الديدبان فرماه بالرصاص فقتلهُ فأضافت الحكومة اربعة جنيهات الى صرَّة النجمات لهذا السبب ولا زالت تُضاف الى صرَّتهم الى اليوم . وفي أيام علي هذا شبت حرب بين اللحيوات والسواركة سيأتي ذكرها في باب التاريخ

وخلفهُ أخوهُ « حمدان » فاشتهر بالصلاح والتقوى ولهُ قبر في جبانة الشوَّافين عند نُميلة الردَّادي يزورهُ اللحيوات كما مرَّ

وخلفهُ « مسمح بن عُليَّان بن نجم » فتولى مشيخة القبيلة مدة طويلة ومات

ابن ثمانين سنة . وفي أيامهِ حالف اللحيوات الترابينَ ونصروهم في حربهم المشهورة على السواركة سنة ١٨٥٦ م كما سيجيء

وتولّى المشيخة بعدهُ ابنهُ « عُلَيَّان » فمات في سن الخمسين

وخلفهُ على المشيخة « سليمان بن سالم بن نجم » الملقّب بالقُصيِّر لقصر قامتهِ ولما بلغ سن الثمانين تنازل عن المشيخة لابنهِ علي المشهور « بعلي القصيّر » * وتوفي علي سنة ١٩١٠ وتولّى المشيخة بعدهُ اخوهُ « عُليَّان » وهو شيخ اللحيوات الحالي

﴿ الحويطات ﴾ وأما الحويطات فمنهم في بلاد التيه شراذم من بدنات شتى جاؤوها حديثاً من مصر والحجاز وأقدمهم فيها الدُّبور وهم يتجرون بالحطب والفحم مع السويس * وشيخهم الحالي سعد ابو نار * وكان قد دخل سيناء جماعة من بدنة الفحَّامين فنشب بينهم وبين التياها خصام فعادوا الى جزيرة العرب سنة ١٩٠٦

وتمتد بلاد الحويطات من « طاسة العِلْو » تجاه الاسماعيلية الى وادي غرندل شمالاً وجنوباً ومن جبيل حسن الى البحر الأحمر شرقاً وغرباً . وأشهر مراكزهم : بئر مبعوق و بئر المُرَّة في وادي الراحة . وعين سدر في وادي سدر

ومن الحويطات قبيلة كبيرة في مصر في مديرية القليوبية وعمدتهم فيها الشيخ سعد بن شديد ولهُ منزل في القاهرة ومنزل فيأجهور الصغرى وهو من المشايخ النبلاء

ومنهم حويطات حسما والعقبة وهم هناك فريقان: «العلويون» المار ذكرهم وكبيرهم الشيخ حسن بن جاد * « والعمران » وكبيرهم الشيخ قاسم الهليّل وسيأتي ذكرهم

وقد اشتهر عن الحويطات الميل الى التعدي والسرقة . حدثني بعضهم عن رجل من الحويطات يدعى سليم العشا أنهُ قصد في احدى الليالي حياً من أحياء عرب بِلِي والناس نيام فرأى أرجوحة معلقة في سقف الخيمة فظنها زق سمن فتسرَّق حتى دخل الخيمة وقطع الأُرجوحة بسكين وحملها على ظهرهِ وجدَّ في السير حتى أعياه التعب فأنزل الأرجوحة عن ظهره وفتحها فاذا بها عجوز شمطاء قد انهكها العجز والمرض وكان أهلها قد رفعوها عن الأرض خوف الرطوبة فصب الحويطي عليها وابلاً من الشتائم ثم تركها وانصرف . قالوا وهي حادثة واقعية وقعت قريباً في جهة ضبا من أرض الحجاز

﴿ ٣. قبائل بلاد العريش ﴾

يسكن بادية العريش قبائل السواركة . والرُّميلات . والمساعيد . والعيايدة . والأخارسة . والعقايلة . وبلي البررَه . وأولاد علي . والقطاوية . والبيّاضيّين . والسماعنة . والسعديّين . والدواغرة

﴿ السواركة ﴾ أما « السواركة » فأكثر قبائل سيناء عدداً . وفروعها الرئيسة : العرَدات . والدُّهيات ومنهم الجُريرات . والمحافيظ . والفلافلة . والخناصرة * وعمدتها الشيخ سلاّم عرادة من العردات * ويقال للعردات غزُّ العرب لامتيازهم عن سائر البدو جيرانهم بنظافة المأكل والملبس . واشتهر الجريرات بالصلاح والتقوى ومنهم ابو جُرَير الذي يحلف العرب بردنه الآن . وأبو جرير الولي المدفون في مدينة العريش

ويمتاز السواركة عموماً بكثرة العدد وضعف الرأي . ويلقبون بأولاد الظّرْوة . والظروة عندهم هي المرأة التي خالط الشيب سواد شعرها . وأما نسبتهم الى الظروة فقد قيل فيه ان رجلين من ذرية عكاشة الصحابي وهما نصير ومنصور هاجرا من بلادهما ونزلا ضيفين على رجل من عرب بلي في وادي اللّيف وكان نصير متزوجاً من عرب قبيلته واخوه منصور عازباً فرأى عند مضيفه بنتاً ظروة فتزوجها وجاء الاخوان بامرأتيهما الى بلاد العريش فكان من نصير بَدنة العردات . ومن منصور سائر بدنات القبيلة

﴿ والرُّميلات ﴾ أما الرميلات فأهم فروعها البُسُوم . والشرطيين . والعوابدة . والسنَنة . والعجالين * وشيخهم الحالي سليمان معيوف الملقب بأبو صَبيع من البسوم وهي أكبر البدنات * وكان الرميلات قديماً يسكنون « القرارة » في برية خان يونس من أعمال فلسطين ثم ارتحلوا الى بلاد العريش بسبب حروب نشبت بينهم وبين الترابين وانضموا الى السواركة « بالأخوّة » وصاروا معهم قبيلة واحدة . واشتهر الرميلات بحبّ الخصام وقد عُيّر شيخهم ابو صبيع في ذلك فقال « الرميلات رجال اذا كان الحق لهم اخذوه عنوة واقتداراً وان كان عليهم لم يمكّنوا الخصم منهُ الاّ بكل مشقة!

ويسكن السواركة القسم الشرقي من بلاد العريش اي القسم الواقع بين خط الحد الشرقي وبئر العبد شرقاً وغرباً وبين البحر المتوسط ورجم القَبلَين شمالاً وجنوباً وأهم أملاكهم الجورة المار ذكرها. ويسكن اخوانهم الرميلات في جهة رفح على الحدود . واما باقي قبائل العريش فتسكن القسم الغربي وتعرف « بعربان برّ قطية » . وهي فروع صغيرة من القبائل المعروفة بهذه الاسماء في مديريتي الشرقية والقليوبية الا المساعيد فان اخوانهم في مصر يعرفون بأولاد سليمان كما مرَّ. وقد كانت مع أصولها تابعة في الادارة للمديريتين المذكورتين . ثم ألحقت بادارة العريش بعد فتح ترعة السويس وهي :

﴿ المساعيد ﴾ وعمـدتهم الشيخ عودة عطية . وقد تقدم أنهم واللحيوات من اصل واحد . وهم أقوى قبائل العريش بعد السواركة

﴿ والعيايدة ﴾ ومن مشايخهم مسلَّم ابو السباع * وتمتد بلادهم من ضواحي القنطرة الى تل حبْوة فالمرقب فأُم ضيَّان فالشيخ حُميد فجبل الرّيشة . ويحدهم من الشمال المساعيد ومن الجنوب الصفايحة اللحيوات ومن الشرق بلي البررة ومن الغرب ترعة السويس

﴿ والاخارسة ﴾ ومن مشايخهم : ابرهيم عطية . وعبد العال محمد * وتمتد بلادهم على شاطئ البحر المتوسط من « غراقد الحنَّة » شمالي بركة الجمل الى قلعة مفرّج المعروفة أيضاً بقلعة البلاَّح على نحو ساعتين من قلعة الطينة غرباً . وأهم مراكزهم « القلس »

﴿ والعقايلة ﴾ وشيخهم عطوان سعدون * ﴿ وبلي البررة ﴾ وشيخهم جدُّوع شلبي

﴿ وأولاد علي ﴾ وشيخهم عمر ابو الرايات

﴿ والقطاويّة ﴾ وهم سكان حديقة قطْية . وعمدتهم سعيد أبو بطيحان

﴿ والبيّاضيّين ﴾ ومن مشايخهم : الحاج علي سالم الهرش

﴿ والسماعنة ﴾ ومن مشايخهم : محمد خضير . وحسين شبانه

﴿ والسعديّين ﴾ وشيخهم مقبول نصر . وهم مجاورون للبياضيين والسماعنة

﴿ والدواغرة ﴾ وقد تقدم انهم من عرب مُطير ويسكنون الزُّقبة وقد كانوا قديماً يعيشون مع جيرانهم البدو « بالخاوة » ولكنهم صاروا الآن احراراً والحكومة تحميهم * ومن مشايخهم عيد سويلم . وسالم مصبّح

ومن القبائل التي تزرع الزقبة مع الدواغرة : الاخارسة والبياضيين والسماعنة والسعديين
وأما دركات القبائل على طريق العريش فهي : العيـايدة من القنطرة الى تل حبوه . فالمساعيد الى بئر الدويدار . فالأخارسة الى بئر النصف . فالعقايلة وبلي البررة وأولاد علي الى سبخة قطية . فالقطَّاوية الى بئر حجَّاج . فالبياضيين الى بئر العبد من الجبل الى البحر . فالدواغرة الى الجنادل من الجبل الى البحر . فالسواركة الى الشيخ زويّد . فالرميلات الى رفح

ملحقات قبائل سيناء

﴿العبيد السود﴾ هذا وكان من عادة العرب قبل منع الاسترقاق اقتناء العبيد السود لمساعدتهم على رعي السائمة وحرث الأرض فتناسلوا بينهم . وما زال عدد كبير منهم في برية سيناء وهم راضون بعيشتهم ولكن البدو غير راضين عن منع الاسترقاق.[1] كنت يوماً احدث كهلاً من الرميلات يدعى حسين سلامة فلما استأنس بي قال « بالله قل لي متى تنتهي حرية العبيد ، فان عندي عبداً غير راضٍ عنهُ واريد ان أبيعهُ واشتري بثمنهِ بعيرًا » . قلت لانهاية لحرية العبيد فقد أصبحوا أحراراً كالعرب فان كنت غير راضٍ عن عبدك فاعتقهُ لوجه الله تعالى . فهزَّ رأسهُ وقال « اذاً خلّيه ! »

والعرب لا يزوجون السود ولا يتزوجون منهم واذا تزوج عربي بجارية سوداء عُدَّ نسلهُ عبيداً وعوملوا معاملة العبيد . والعادة عندهم أنهُ اذا زوج عربيّ بنتهُ رجلاً من غير قبيلتهِ حقَّ لعبدهِ الكسوة من العريس وتعرف عندهم « بالحدادة » وهي « يا هدم شهير يا جمل ظهير » أي اما ثوب ثمين من الجوخ او نحوه او جمل نشيط . واذا لم يكن للعربي عبد حقّت الكسوة لا قدم عبدٍ في قبيلتهِ

﴿الهتَيم﴾ هذا ويسكن بادية العرب قبائل شتى مستضعفة لا طاقة لها على حفظ كيانها فتعيش في حمى القبائل القوية على جُعْل معلوم يسمُّونهُ « الخاوة » وهم معروفون في البادية باسم « هتَيم » . وهم كالسود في ان العرب لا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم واذا تزوج أحدهم بهتيمية عيَّرهُ العرب وعدُّوا أولادهُ هتَماً . واذا غنمت قبيلة من اخرى في الحرب وكان في غنيمتها مال لإحدى قبائل هتيم ردَّتهُ اليها بلا تردُّد

---

(١) هذا الرأي يحتاج إلي سند قوي، حيث يتضح من الوثائق وجود رغبة قوية لدي معظم قبائل سيناء في عتق ما لديهم من رقيق، راجع علي سبيل المثال، دار الوثائق، سجلات محكمة العريش، سجل ٨ سندات، ص٦، وثيقة ١٩ بتاريخ ٣٠ أكتوبر ١٨٨٤ .

واشهر قبائل هتيم في بادية العرب :

« الشرارات » وقنيتهم الإبل ولهم ولع بالصيد وهم خبرآء البادية لأنهم أعرف أهل البادية بطرق المفاوز والقفار حتى ان البدو انفسهم يتخذون منهم الأدلّة في أسفارهم البعيدة . وهم يسيرون على النجم . قيل ولهم مهارة عجيبة في الاستدلال على الطريق حتى انهم قد يعينون موقع مخيَّم من العرب بمجرد تغيير حرارة الهوآء التي تسببها نار المخيَّم . والشرارات اقوى قبائل هتيم واكثرها عدداً وكثيراً ما يأبون دفع الخوة لحاتهم العرب ويشهرون عليهم حرباً . وأكثر الشرارات في بلاد نجد شرقي طريق الحج الشامية وليس منهم أحدٌ في جزيرة سيناء ولكن لبدو سيناء علائق قديمة بهم يأتي ذكرها في باب التاريخ

ويسكن جزيرة سيناء من قبائل هتيم :

« مُطير » ومنهم الدواغرة سكان الزُّقبة من بلاد العريش وقد مرَّ ذكرهم

« والعُوَينات » ويسكنون جبل الحلال مع التياها البُنَيَّات ومنهم جماعة على شاطئ البحر المتوسط يصيدون السمك

« والملالحة » ويسكنون العُجرة مع الترابين والسواركة وهم احقر قبائل هتيم

وفي تقاليد البدو في أصل هتيم : أنهُ لما اعاد مسعود بن هاني بناء الكعبة تأخَّر عرب هتيم عن الاشتراك في بنائها فبناها بقبيلتهِ وألزم هتيم بالخاوة وقال لقبيلتهِ «لك هتيم بمالك تشريه ودون رقبتك تؤدّيه» * ولا يبعد ان يكون هتيم من سكان جزيرة العرب الأصليين الذين غُلبوا على أمرهم ولم يمكنهم المحافظة على كرامتهم بين العربان فعاشوا معيم على صغار * ومن امثال أهل سيناء في هتيم :

«الهتيمي كثير ناسه قليل باسه» . «ولا يتلف الأصل غير الهتيمي المقرّ والعبد الزفرّ»

﴿ الصُّلَيب ﴾ وفي حكم هتيم بدو يعرفون بالصُّلَيب يسكنون غالباً برية الشام ولا يأتون سيناءَ الاَّ نادراً وصناعتهم عمل الفؤوس الزراعية ورماح الحراب وعمل الأخراج والمخالي . وقنيتهم الحير ليس الاَّ . وحميرهم مشهورة بحسن الجري ولطافة اللون . فاذا ارتحلوا حملوا عليها خيامهم وأثقالهم واذا نزلوا ضربوا خيامهم وراء مخيمات

العرب واشتغلوا بصناعتهم وذهبت نساؤهم تستعطي . وهم محتقرون كبدو هتيم ويستعار اسمهم للشتم فيقال في الشتائم « يا صُلَيب العرب » كما يقال « يا هتيم العرب » *
ويظهر من صناعتهم ونوع معيشتهم ومجمل حالهم أنهم كانوا حضراً فقذفتهم الحروب الى البادية فعاشوا مع البدو « بالخاوة »

وقد ظن بعض المحققين أنهم من بقايا الصليبيين بدليل اسمهم ومسكنهم وطول شعرهم وبياض لونهم ووجود العيون الزرق فيهم . ومن أصحاب هذا الرأي العلامة سليمان افندي البستاني ، ناظر النافعة والزراعة في المملكة العثمانية الذي خبر البدو في بادية بغداد زماناً طويلاً

﴿ النَّوَر ﴾ وينتاب جزيرة سيناء النَّوَر فيتعاطون فيها الشحاذة وبصر البخت وعمل المناخل والرقص في الأفراح وهم أحط أنواع البدو وحالهم معروف في كل بلاد

هذا في ما يتعلق بقبائل البدو في سيناء . وأما الحضر في مدن الطور ونخل والعريش والشيخ زويد وعيون موسى والشط وغيرها فسيأتي الكلام عليهم في الفصل التالي

﴿ عدد سكان سيناء من بدو وحضر ﴾

أما عدد سكان الجزيرة فلا يمكن معرفتهُ بالتدقيق لعدم وجود احصاء قانوني ولان البدو تنفر من التعداد وتحسبهُ مقدمة لإدخالهم في العسكرية * ولما باشرت الحكومة المصرية تعداد السكان سنة ١٨٩٧ أبى أهل مدينة العريش اولاً قبول التعداد ثم اذعنوا[١] . أما عرب البادية فبقوا على نفورهم فقدَّرهم الحافظ اذ ذاك باثني عشر ألفاً * وكذلك لما بوشر أحصاؤهم سنة ١٩٠٧ أرسلوا عرائض مشددة لرجال الحكومة بمصر يتوسلون اليهم أن تُرفع يد الاحصاء عنهم والاَّ رحلوا عن بلادهم

واذا سألت مشايخ البدو عن عدد رجال قبائلهم اجابوا أننا لا نعلم عددهم لأننا لا نعدهم واذا عيَّنت لهم عدداً وسألتهم عن رأيهم فيهِ قالوا ربما بلغوا هذا العدد أو نقصوا عنهُ أو زادوا !

ومعلوم أن البدو يتجنبون النزول على الطرق خوف القرى على حدّ قولهم :

---

(١) الواقع أن تعداد ١٨٩٧ لم يكن أول تعداد لسكان سيناء، فقد سبقه ثلاثة تعدادات الأول في عصر محمد علي عام ١٨٤٨، والآخر في عصر إسماعيل عام ١٨٦٨، والثالث في عام ١٨٨٠ . صبري العدل، المرجع السابق، ص ٢٨٦ — ٢٩٠ .

« لا تنزل حدا الطريق تعمُّدِ الدرب تأخذ حقها ما تستحي »

ولم أُقِم في الجزيرة وقتاً كافياً يمكنني من زيارة البدو في جميع مخيماتهم ومجتمعاتهم ولكن مما لاريب فيهِ أن سكان الجزيرة كانوا ولا يزالون قليلين جدًّا بالنسبة الى اتساع بلادهم . وقد جلت كثيراً في بادية سيناء فلم أرَ الاّ القليل من سكانها . وسبب قلتهم قلة المياه والأمطار والأراضي الصالحة للزراعة في بلادهم كما مرّ



ش ٢٨ : الشيخ ابراهيم ابو الجدائل التاجر بالسويس وبعض الطورة والحويطات

بقي علينا ان نعلم ولو تقديراً الى أي حدّ تصل هذه القلة من السكان . وقد حدث اني لما كنت في رفح سنة ١٩٠٦ اختلف بدَنتا السنَنة والعجالين من الرميلات في أيتهما اكبر من الأخرى ليكون الشيخ منها لأنه لم يُسمح لهما الاّ بشيخ واحد فأحضر كل زعيم رجالهُ فكان في كل بدنة نحو مئة رجل . وقد تقدم ان في قبيلة

الرميلات ٥ بدنات فيكون عدد رجالها ٥٠٠ تقريباً . وفي السواركة ٥ فروع او أفخاذ يقدّر في كل منها رجال بعدد الرميلات فيكون عدد السواركة ٢٥٠٠ وعدد الكل ٣٠٠٠ رجل . فاذا قدّرنا مع كل رجل ثلاثة انفس كان عددهم جميعاً ١٢٠٠٠ نفس

هذا وقد قدّرت عدد سكان بلاد الطور بما ينفقونهُ من الحبوب . اخبرني الشيخ ابراهيم ابو الجدائل وهو اكبر تاجر في السويس يتجر مع الطورة ومن ابرع تجار هذا القطر وانجبهم قال : انهُ يشحن للطورة في السنة نحو ٤٠٠٠ أردب من الحبوب الى مين الشط وابو رُدَيس والطور . وان « علي أبو شاهين » من تجار السويس يبيع الطورة نحو ٥٠٠ أردب حباً في السنة فيكون الكل ٤٥٠٠ أردب . ومعلوم ان البدوي يأخذ ثلثي طعامهِ حبوباً والثلث الآخر لحماً ولبناً وعشاباً . فلو أخذ الطورة كل طعامهم حبوباً لزمهم ٦٧٥٠ أردباً في السنة . واذا قدّرنا لكل شخص ثلثي أردب من الحبوب في السنة كما هو المعتاد كان عدد الطورة ١٠١٢٥ نفساً . وقد قدّرتهم اكثر قليلاً من هذا العدد كما سترى لأن عربان مزينة يشترون بعض حبوبهم أحياناً من غزة . وهكذا بالاستقرآء والمزاولة ومقارنة قوى القبائل بعضها ببعض مع مشايخها توصلت الى الارقام الآتية التي لا أضمن صحتها ولكني أرجح قربها من الحقيقة :



ش ٢٩ بعض التبنه من سكان فيران

﴿ ١ . عدد البدو في بادية سيناء ﴾

﴿ ١ . في بلاد الطور ﴾

	عدد النفوس	عدد النفوس
قبيلة مزينة	٤٢٠٠	
« العليقات	٢٤٠٠	
« الموارمة	١٥٠٠	
« القرارشة	١٥٠٠	
« اولاد سعيد	٩٠٠	
« الجبالية	٤٨٠	١٠٩٨٠

﴿ ٢ . في بلاد التيه ﴾

قبيلة اللحيوات	٤٢٠٠	
« التياها	٤٢٠٠	
« الترابين	٣٠٠٠	
« الحويطات	١٥٠٠	١٢٩٠٠

﴿ ٣ . في بلاد العريش ﴾

قبيلتا السواركة والرميلات	١٢٠٠٠	
عربان برّ قطية	٤١٢٠	١٦١٢٠
فمجموع عدد النفوس في بادية سيناء كلها :		٤٠,٠٠٠

﴿ ٢ . عدد الحضر في مدن سيناء ﴾

« حسب تعداد محافظها سنة ١٩٠٧ وغيره »

﴿ ١ . فى بلاد الطور ﴾

	ذكور	اناث	عدد النفوس
سكان مدينة الطور وضواحيها	٥٦٢	٥١١	١٠٧٣
سكان عيون موسى من أهل السويس والبدو			٩٥
سكان شط السويس من تجار السويس والعرب	٦٠	٧٥	١٣٥
رهبان دير طور سيناء			٦٠

﴿ ٢ . فى بلاد التيه ﴾

سكان نخل	١٩٠	١١٨	٣٠٨

﴿ ٣ . فى بلاد العريش ﴾

سكان مدينة العريش والمساعيد والشيخ زويد	٢٩٦١	٢٨٩٠	٥٨٥١
سكان القنطرة			٤٨٨
فجموع عدد الحضر في مدن سيناء وقراها :			٨و٠٠٠
ومجموع عدد النفوس في بادية سيناء كما تقدم :			٤٠و٠٠٠
فيكون مجموع سكان سيناء ماعدا موظفيها وعمالها وعساكرها الذين من غير اهلها:			٤٨و٠٠٠

وعليهِ يمكن أن يقال بالإجمال ان عدد سكان جزيرة سينآء من بادية وحضر «خمسون ألف نسمة» أي بعدد سكان مدينة بور سعيد من مدن مصر. وقد قدَّرنا مساحة سينآء بـ ٢٥ ألف ميل مربع فيكون لكل نفسين من سكان سيناء ميل مربع من الأرض يرتعان فيهِ بلا منازع ولا مزاحم !



شكل ٣٠ : صياد طوري يعرض صيده للبيع



شكل ٣١ : تيتل صغير رابض بين الشجر

الباب الثاني

في

جغرافية سيناء الادراية

الفصل الاول

في

مدن سيناء وقراها وآثارها

ليس في بادية سيناء كلها الآن من بناء الحضر الاَّ ثلاث مدن وثلاث قرى وستة مراكز جديدة للبوليس وهي :

﴿في بلاد الطور﴾ مدينة الطور . وواحة عيون موسى . وقرية الشط وفيها مركز جديد للبوليس . وقلعة النويبع وهي مركز للبوليس

﴿وفي بلاد التيه﴾ مدينة نِخل . وثلاثة مراكز جديدة للبوليس في بئر الثمد . ومشاش الكُنْتِلَّة . وعين القُصَيّمة

﴿وفي بلاد العريش﴾ مدينة العريش. وقرية الشيخ زويد. ومركز للبوليس في رفح

ولكن اشهر ما في الجزيرة من بناء أو أثر « دير طور سيناء » في قلب بلاد الطور وقد أفردنا لهُ فصلاً خاصاً كما قدمنا * ومن المدن الخارجة عن ادارة سيناء وقد كان لها قديماً علاقة شديدة بسيناء ولا تزال الى الآن :

« مدينة القنطرة » على ترعة السويس في بر سيناء التابعة في الادارة لبور سعيد

« ومدينة العقبة » على رأس خليج العقبة وقد دخلت حديثاً في حدّ الحجاز

فلنتقدم الآن الى ذكر هذه المدن والقرى وما فيها من الآثار مع ذكر سكانها ومراكز البوليس الجديدة فنقول :

﴿ ١ . مدن بلاد الطور ﴾

﴿ مدينة الطور ﴾

أما مدينة الطور فهي بندر بلاد الطور وقد قامت على ساحل خليج السويس على ١٢٥ ميلاً من مدينة السويس منذ آلاف من السنين وقيل أنها من عهد الفينيقيين . وبيوت المدينة نفسها لا تزيد عن الثلاثين بيتاً لاصقاً بعضها ببعض كأنها بناء واحد واهمها : في الجنوب مركز لرهبان دير سيناء يشمل كنيسة. ومدرسة للصبيان. ومنازل استراحة للرهبان وزوار الدير



ش ٣٢ : مدينة الطور

أما الكنيسة فقد بُنيت على اسم « مارجرجس » سنة ١٨٧٥ م على انقاض كنيسة قديمة ترجع في تاريخها الى سنة ١٥٠٠م او أبعد . وقد رأيت فيها إيقونة للقديسة كاترين تاريخها سنة ١٧٧٩م . وايقونة لمارجرجس تاريخها سنة ١٧٨٠ م

واما المدرسة فقد اسست منذ سنة ١٨٩٧ وقامت بمال الدير وفيها نحو ٤٠ تلميذاً من ابناء مدينة الطور وباديتها . يدرّس فيها الآن أنيس افندي الخوري من أدباء اللبنانيين وراهب من رهبان الدير . يدرّسان مبادىء العربية والانكليزية واليونانية والحساب والجغرافية

والى جنوبي مركز الدير منازل لناظر الطور وكاتبها وبوليسها ومنزل لمفتش الجزيرة بُني سنة ١٩١١ على تل صغير وحفرت بجانبهِ بئر عمقها ١٢ متراً

وفي شمال المدينة جامع صغير بمنارة من عهد المغفور لهُ توفيق باشا خديوي مصر السابق وقد ضمّ مقاماً قديماً للشيخ الجيلاني

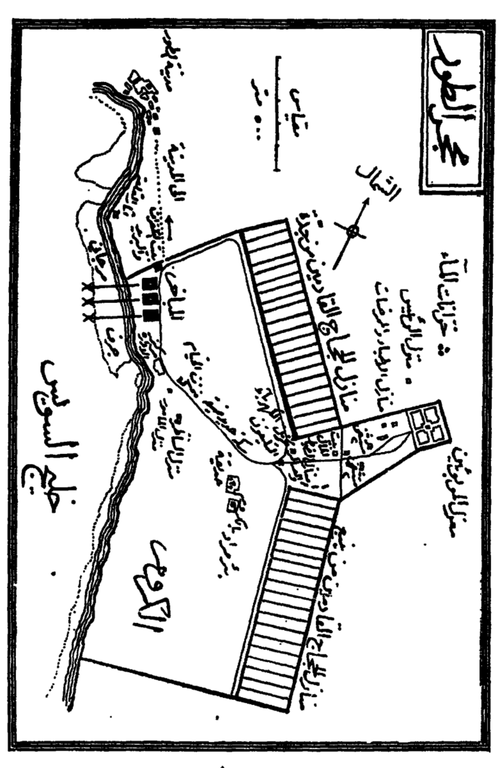
وسميت المدينة بالطور نسبة الى طور سيناء الذي هو اشهر جبالها كما مرّ . وكانت تسمى قديماً « رَيثو » وبقيت معروفة بهذا الاسم الى القرن الخامس عشر للمسيح

﴿ ميناء الطور ﴾ ولهذه المدينة ميناء حسنٌ لهُ جرف مرجاني يمتد عشرات من الأمتار تحت الماء حتى لا يمكن السفن البخارية الاقتراب من البرّ بسببهِ . وهو ضيق جدًا لا يسع الاَّ السفن الصغيرة . ولأهل المدينة فيهِ نحو ٣٠ مركباً شراعياً تستخدم في نقل الحبوب والبضائع من السويس وجدَّة ونقل حجارة البناء من برّ أفريقيا . وفيهِ ورشة لبناء المراكب

هذا والسفر في خليج السويس بهج نزيهٌ الى الغاية يرى المسافر فيهِ برَّي آسيا وأفريقيا عن جانبي الخليج كما يرى المسافر في النيل جانبي واديهِ . ويرى من مدينة الطور جبل جَمْسه يطلُّ عليهِ من الغرب من عبر البحر ، وجبل أم شومر وجبل سربال يطلان عليهِ من الشرق والشمال الشرقي من وراء سهل القاع ، فلا تطلع الشمس ولا تغيب الاَّ يرى من جمال الطبيعة وعظمتها ما يُنطق لسانهُ بحمد باريها

﴿ ضواحي مدينة الطور ﴾

ولمدينة الطور من الضواحي العامرة : « محجر الطور . وقرية المنشية أو الكروم الجديدة . ومُسَيْعِط . وقرية الجُبَيل . وحمام موسى . ووادي الحمام »



ش ٣٣ : محجر الطور

﴿ محجر الطور ﴾

أما محجر الطور فقائم على شاطئ البحر على نحو ٦٤٠ متراً جنوبي المدينة ومساحتهُ نحو ٤ كيلومترات مربعة . يحدهُ من الغرب خليج السويس ويحيط بهِ من جهة البرّ شبكة من الاسلاك مرفوعة على عمد خشبية متينة علوها نحو أربعة أمتار .

وهو محجر مصر العام والحجاج المصريين

أسس منذ سنة ١٨٥٨ م ولكنهُ لم يُبدأ بتنظيمهِ على الطرز الجديد وتجهيزه بأحدث المعدات والادوات الصحية الاَّ بعد صدور الأمر العالي بذلك سنة ١٨٩٣ . ومن ذلك الحين أخذ ينمو ويتحسن ، بهمة وسعي العالم العامل الدكتور روفر « رئيس مجلس الصحة البحرية والكورنتينات بمصر » ومعونة ناظر المحجر النشيط الحاذق الدكتور زكاريادس بك ، حتى أصبح الآن من اكبر المحاجر الصحية واكثرها اتقاناً في العالم اجمع

وهو على شكل طائر عظيم جثم في البحر و بسط جناحيهِ في البرّ

ولهُ ثلاث أرجل : وهي ثلاث مباخر من أحدث طرز مُدَّت منها جسور في البحر الى آخر حدّ الجرف المرجاني ليتسنى للسفن الصغيرة الاقتراب من البرّ

وفي رأسهِ : معزل الموبوئين أو مستشفى للامراض « غير العاديَّة »

وفي عنقهِ : أربعة مستشفيات مستشفى للجراحة وثلاثة للأمراض العاديَّة . وصيدلية كبيرة . ومنازل للأطباء والممرضين والممرضات والعساكر . و بيت المال . ومخزن للكهرباء ينير المحجر كلهُ . وجهاز للتليفون يربط مراكز المحجر الرئيسة بعضها ببعض

وفي جناحيهِ : صفان من « الحزاءات » او المنازل للحجاج في كل صف عشرة . فالتي الى اليمين مبنية بالحجر وقد خُصَّت بالحجاج القادمين من جدَّة . والتي الى اليسار مجهزة بالخيام وهي للحجاج القادمين من ينبع . وهي تأوي آلافاً من الحجاج في وقت واحد

وفي بدنهِ : بئر عذبة الماء غزيرتهُ تدعى « بئر مراد » وقد رُكّب عليها وابور لرفع الماء . ومنها يشرب اهل المحجر ومدينة الطور . وحديقة متسعة من النخيل واشجار الفاكهة . ومنزل لناظر المحجر . ومنزل للمأمور . ومخزن للخيام . ومكتب للأدارة

هذا وتخترقهُ سكة حديد ضيقة من رأسهِ الى قدمهِ . تنشأ من البحر من آخر حد الجرف المرجاني وتمر بالمباخر والحزاءات وجميع المراكز الرئيسة في المحجر الى ان تنتهي بمعزل الموبوئين * وخارج المحجر منزل الرئيس وخزانات الماء

وكانت السردارية المصرية قد مدَّت الى مدينة الطور خط التلغراف من السويس سنة ١٨٩٧ . وأسست مصلحة البريد فيها فرعاً سنة ١٩٠٠ . فلما تمَّ نظام المحجر سنة ١٩٠٧ نقل التلغراف والبريد اليهِ وجُعلا عند مدخلهِ كما ترى في الرسم

وكان البريد قديماً يُحمل بالبر على الهجن . فلما انتظم المحجر واسست مصلحة البريد فرعاً في مدينة الطور صارت تمر بها مرة في كل أسبوع باخرة من بواخر الشركة الخديوية في السويس وذلك في ذهابها الى سواكن وجدة وفي رجوعها منهما * وفي موسم الحج يساعد على نقل البريد سفينة بخارية خاصة تمخر بين الطور والسويس مرتين في الاسبوع * وللمحجر في موسم الحج خفر داخلي من البوليس يأتيهِ من مصر وخفر خارجي من البوليس و بدو الطورة * وفي نظارة الداخلية في القاهرة قلم للمحاجر المصرية يختص بالعناية محجر الطور . ورئيس هذا القلم الهمام النشيط حسن بك شوقي

وأما «مجلس الصحة البحرية والكورنتينات» فمركزه الاسكندرية . وسكرتيره العام النبيل المقدام جورج زنانيري باشا . وقد أصدر هذا المجلس في ١٩ فبراير سنة ١٩١٤ احصاءً عن الحجاج الذي دخلوا محجر الطور من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩١٤ فكان عددهم ٣٥٨,٣٤١ حاجاً وهم : ٧٦,٠٧٦ عثمانيًّا . و ١٥٢,٦٨٣ مصريًّا . و ١٨,٧٨٧ جزائريًّا . و ٧,٦٧٧ تونسيًّا . و ١١,٧٠٩ مراكشيًّا . و ٨٢٢ بوشناقيًّا . و ٦,٢٦٨ عجميًّا . و ٧٨,٧٨٨ روسيًّا . و ٥,٥٣١ من أمم مختلفة

ويؤخذ من هذا الاحصاء : ان الحج أعتُبر نظيفاً من كل داء في كل تلك المدة مرَّتين فقط أي سنة ١٩٠١ وسنة ١٩٠٤ . وانهُ أعتبر ملوثاً بالهواء الاصفر في سني ٢ و ٨ و ١١ و ١٢ و ١٩١٣ وبالطاعون في السنين الأخرى * وان الذين مرضوا داخل المحجر في تلك المدة بلغ عددهم ١١,١٦٥ حاجًّا . منهم ١٠,٩٩٤ أصيبوا بأمراض عاديَّة و ١٦٤ بالهواء الاصفر و ٧ بالطاعون . شفي منهم ٨,١١٧ وتوفى ٣٠٤٨ *

وان أقل عدد دخل المحجر من الحجاج كان في سنة ١٩٠٣ دخلهُ فيها ١١,٢٦٦ حاجًّا. وأكبرهُ كان في سنة ١٩٠٧ دخلهُ فيها ٤٣٢٧١ حاجًّا . ودخلهُ هذه السنة ٢٦٤٢٦ حاجًّا

﴿ الكروم الجديدة أو المنشية ﴾ هذا وقد شملت أرض المحجر بلدة قديمة تدعى «الكروم» من بناء عساكر قلعة الطور في الارجح . سميت كذلك لكثرة «كروم» النخيل فيها . وقد اشترتها الحكومة المصرية من أهلها سنة ١٩٠٥. ففي تلك السنة انتدبت ثلاثة من موظفيها: ليئان بك مندوباً عن المالية ، والدكتور زكاريادس بك مندوباً عن مجلس الصحة البحرية والكورنيتنات، والمؤلف مندوباً عن الحربية . وعهدت اليهم أن يقدّروا أثمان الحدائق والمنازل في بلدة الكروم فقدروها بـ ١١٣,١٢٠ غرشاً أميرياً عدا حديقة متسعة من النخيل وأشجار الفاكهة لرهبان دير سيناء فقدروها بألف جنيه مصري. فصدقت الحكومة قرارهم ونقدت الاهلين أثمان حدائقهم ومنازلهم . وأعطتهم بدل أرضهم أرضاً شرقي بندر الطور على نحو نصف ميل منها فبنوا فيها بلدة وبنت الحكومة لهم فيها جامعاً فخماً بمنارة سمّوها الكروم الجديدة أو المنشية أو «منشية عباس»

﴿ مُسَيْعط ﴾ والى شمال المنشية ، على نحو نصف ميل منها ومثل ذلك شرقي مدينة الطور ، حدائق من النخيل تدعى « مُسيعط » . اتخذ محافظ سيناء الاسبق منها ارضاً مساحتها فدانان وغرسها بستاناً من النخيل وأشجار الفاكهة والخضرة وحفر فيها بئرًا جعل عليها طلمبة تدار بالهوآء

﴿ حمَّام موسى ﴾ والى شمالي مدينة الطور على نحو كيلومترين منها حمام موسى . وبقربهِ حدائق متسعة من النخيل فيها مساكن للمواطرة المار ذكرهم . وفيها منزل لرهبان دير سيناء قائم وسط حديقة جميلة من النخيل وأشجار الفاكهة

﴿ وادي حمام موسى ﴾ وعلى نحو ميل من الحمام شمالاً « وادي الحمام » وهو مشهور هناك «بالوادي» وفيه نخل كثير لأهل الطور ومساكن للمواطرة وغيرهم من البدو

وهناك خرائب دير قديم لم يبقَ ظاهراً منهُ سوى قنطرة بالحجر المنحوت . وكنيسة صغيرة لا تزال جدرانها قائمة الى الآن . قيل انهما من بناء القرن الرابع أو قبلهُ *

وفي نخل هذا الوادي قبر يزار للشيخ الحُرَيزي من عرب المواطرة

﴿ آبار مدينة الطور ﴾ وفي مدينة الطور وضواحيها آبار قديمة العهد كان يستخدمها الأهلون للغسل ويشربون من «بئر مراد» في الكروم . فلما ضُمَّت الكروم الى المحجر جرَت مصلحة المحاجر بعض ماء البئر الى خارج النطاق الصحي ثم الى مدينة الطور ليستقي منها أهل المدينة والمنشية وسمحت لرهبان دير سيناء فجروا الماء منها الى منزلهم

﴿ سكان الطور ﴾ أما سكان مدينة الطور والكروم الجديدة فلا يزيد عددهم عن ٣٠٠ نفس ، نصفهم نصارى على مذهب الروم الارثوذكس وهم سكان مدينة الطور نفسها ، والنصف الآخر مسلمون وهم سكان «الكروم» * أما المسلمون فيُظنّ أنهم من متخلفي العساكر الذين كانوا يخفرون قلعتها والبحارة الذين جاءوها من السويس وما زال أكثرهم يشتغلون في المراكب الى الآن . ومن وجهائهم الشيخ احمد موسى راضي والشيخ محمد عبد القادر * وأما النصارى فهم من متخلفي زوار الدير وموظفيه . نصفهم أروام من جزائر الأرخبيل الرومي والنصف الآخر سوريون من القدس الشريف وغيرها . واكثرهم تجار بالحبوب والمأكولات والأقمشة مع البدو

وأهمّ أسر النصارى في الطور : أسرة عنصرة جاءوها من القدس وكبيرهم الآن الخواجا ميخائيل عنصره . وكان كبيرهم قبلهُ المرحوم قسطنطين عنصرة فكان وكيلاً لدير سيناء وللقنصلية الروسية في الطور * وأسرة براميلي وكبيرهم الخواجا واسيلي وكيل قنصلية المانيا فيها * ومنها أسر أبويني.وغرغوري.وأبو عطا. وطناشي. وبولس

هذا وكانت نظارة الداخلية المصرية قد جعلت مدينة الطور منفى للمتشردين المصريين فكان فيها منهم سنة ١٩٠٥ خمسة شبان . ثم أبطل النفي اليها سنة ١٩٠٧

﴿ قلعة الطور ﴾

وكان في جنوبي مدينة الطور قلعة قديمة فوق البحر من بناء السلطان سليم في المشهور أدركها الخراب منذ عشرات السنين فاستخدم الأهلون حجارتها لبناء منازلهم وساعدهم حديثاً بعض موظفي الحكومة على محو آثارها فاستخدموا ما بقي من حجارتها حتى حجارة أساسها في بناء منازل للحكومة في المدينة . ولم يبق ما يدلُّ عليها سوى أثر الحفر في أساسها وشهادة أهل الطور الذين عاصروا خرائبها

﴿ كتاب الأم ﴾

هذا وكان في قلعة الطور سجلٌ كتب فيهِ صور الدعاوي والحكم فيهـا . وصكوك المبايعات والرهونات في النخيل والأراضي الزراعية في مدينة الطور وحديقة فيران وضواحيهما من املاك الرهبان والطورة من بادية وحضر . وفيه صكوك الزواج والطلاق وتحرير الارقاء وحصر تركات المتوفين ونحو ذلك

وقد دلَّ هذا السجل انهُ كان في القلعة : حامية من العساكر الطوبجية عليها ضابط يرجع في أموره الى القائد العام في السويس. ومدير موْن العساكر . ومحافظ اداري على العربان . وقاضٍ على المذهب الحنفي يعينهُ قاضي السويس . وكاتب . وان السجل نفسهُ كان بيد القاضي وكاتبهِ * قل ثقات مدينة الطور فلما خربت اقامة استولى على السجل راهب سوري من رهبان دير سيناء يدعى ملاتيوس كان وكيلاً للدير في مدينة الطور . وكان العرب والرهبان يرجعون الى هذا السجل كلما اختلفوا على ملكية أراضيهم وحدودها . لذلك سمي « كتاب الأم »[1]

وتوفي الراهب ملاتيوس نحو سنـة ١٨٦٠ فتولى وكالة الدير مكانهُ الخواجه قسطنطين عنصرة وآل « كتاب الأم » اليهِ . وتوفي هذا سنة ١٨٩٨ فآل السجل الى ابنهِ الياس ثم الى حفيده ديمتري سنة ١٩٠٣. وقد اتصل بي خبر هذا الكتاب اتفاقاً من راهب في دير سيناء فتطلَّبتهُ حتى وجدتهُ عند ديمتري عنصرة المذكور في مدينة الطور في ابريل سنة ١٩٠٧ . واتفق وجود مدير خزينة دير سيناء هناك في ذلك الحين فرغب اليهِ مشايخ الطورة كافة في حفظ هذا الكتاب فحفظهُ في خزانة وكالة الدير بمدينة الطور للرجوع اليه عند الاقتضاء

وفي هذا السجل ٥٦٧ ورقة بقطع هـذا الكتاب كلها ملأى بالكتابة حتى أنهُ لم يبقَ فيها موضع لكتابة سطر واحد . وهي نثار غير مجلدة ولكنها محفوظة بغلاف متين من جلد * ولغة الكتاب العربية وفيهِ بعض نصوص بالتركية واليونانية . وأقدم تاريخ فيهِ : ٩ شوال سنة ١٠٠١ هـ وأحدث تاريخ غرة ربيع أول سنة ١٢٦٧ هـ

---

(١) من خلال الوصف الذي يقدمه لنا شقير يتضح أنه بقايا سجلات محكمة الطور الشرعية، خاصة وأننا نلاحظ وجود كلمات بالنصوص التي أوردها مثل "مجلس الشرع الشريف"، و"لدي الحاكم الشرعي"... الخ.

أي من سنة ١٥٩٢م الى ١٦ مارس سنة ١٨٥١م . فتكون مدة استعماله ٢٥٩ سنة . وعمرهُ الآن ٣٢٢ سنة . ولكن يظهر أن هذا السجل بقي معمولاً بهِ في القلعة الى سنة ١٢٤٢هـ ؟ ١٨٢٦ م وهو تاريخ خراب القلعة أو هجرها . واستمرّ الراهب ملاتيوس والخواجه عنصره من بعده على احيائهِ فكان آخر ما سُجّل فيهِ بيع نخل في وادي فيران « اشتراه شيخ العرب جمعة ابن نصار أبو منجد العارمي من بايعهُ المكرَّم سالم بن حسن النمر العارمي في ١٣ جمادى الاولى سنة ١٢٦٧ » هـ ١٦ مارس سنة ١٨٥١م

وهذه امثلة مما حواه هذا السجل العجيب ولهُ علاقة بموضوعنا :

⁂

١ . « حضر الى مجلس الشرع الشريف أحمد بن محمد طبجي باشا وأحضر الراهب زخريا والراهب مقاريه الأقلوم وادعى عليهم أنهم اشتكوا منهُ الى مولانا القبطان (بالسويس) « اني ظلمتهم وتعديت عليهم واشتكيتهم » . فسئل الرهبان المذكورن فأجابوا ما اشتكينا منك ولا ظلمتنا ولا لنا عليك حق ولا سحق ولا دعوى ولا طلب . فبموجب اعترافهم هذا لم يثبت لهم على المذكور أحمد طبجي باشا حق ولا ظلم ولا شيءٌ قلَّ أو جلَّ . ثبت مضمون ذلك لدى الحاكم الشرعي المشار اليهِ اعلاه ثبوتاً شرعياً مستوفياً شرائطهُ الشرعية وموجباتهِ المحررة المرعية تاريخ يوم الأربع تاسع شهر شوال سنة واحد بعد الألف » اه ٩ يوليو سنة ١٥٩٣ م

⁂

٢ . « ادعى عبد الكريم ، وكالة عن أخيهِ صالح ، على عيسى بن يعقوب القندلفت انهُ قال لهُ يا ... يا سدس يا ابن ... وضرب أُمي . فسئل مسؤله فأجاب بالانكار فطُلب منهُ (من عبد الكريم) البيان فجاء بشهود وهم عازر بن سقر وفهد بن عازر فبموجب شهوده ثبت عليهِ (على عيسى بن يعقوب) التعزير فعزرهُ الحاكم الشرعي وثبت مضمونهُ لدى الحاكم وحكم حكماً صحيحاً شرعياً تاريخ يوم الجمعة سابع عشر شهر شوال سنة واحد بعد الألف » اه ١٧ يوليو سنة ١٥٩٣ م

⁂

٣ . « نقلت من حجة من عند الأغا علي بن اسكندر النائب بقلعة الطور المعمور على يد القاضي محمد بن القمني مضمونها :

« بتاريخ احدى عشر شهر رجب الفرد سنة أحد بعد الالف (١٣ ابريل سنة ١٥٩٣ م)

«مكتوب قدوة الأمرآء الكرام، عمدة البلغآء الفخام المختص بعناية الملك العلام. الامير خضر بك قبطان بندر السويس ولواحقهِ الى المقر الكريم العالي الأغا علي الدردار بقلعة الطور المبارك . ومن مضمونهُ أنهُ ورد علينا مثال عالي من الديوان العالي من حضرة مولانا احمد باشا جمع معهُ من الخيرات ما يشآء من مضمونها مسك شيخ العرب مرعي بن يحيى السليماني « من أولاد سليمان » شيخ الدرك ببندر الطور المعمور لأنهُ من أهل الفساد وأهل الحرام ووالس على قطع حبال مركب الوزير حسن المتولي باليمن وغيرها وان له سوابق ولواحق من مكاسر عباس ناصر ومن جميع المكاسر واقتضى الحال مسكهُ وارسالهُ الى مصر لمن لهُ ولاية ذلك . قوبل ذلك بمزيد السمع والطاعة وأمر الأغا علي المذكور رئيس طائفة العرب هو وجميع الطائفة بمسكهِ ويؤدونهُ الحصار الخنكاري[1] . فمسكهُ وحبسهُ في الحصار وخشبهُ بالخشب والحديد وقفل عليه الباب من داخل الحصار وأقام الحرس عليهِ . . . الى أن طلع النهار وغفلهُ ساعة واحدة واذ فك الحديد والخشب ونزل من السور وفرَّ هارباً وللنجاة طالباً فتكاثر العياط والزعاق وخرج الأغا علي ماشياً يجري خلفهُ هو وطائفتهُ ولحقوا بهِ واذا بعبده أدركهم واعترضهم بقوس النشاب والمزراق ورمى بالنشاب على عسكر السلطان . . . فببركة الله تعالى لم يصبهم منـهُ شيئاً ونصر الله عسكر الاسلام وأطلعوه من البحر وأتوا بهِ الى . . . المذكور وأرسلهُ الى الأمير القبطان بالسويس وأرسل صحبتهُ من يوصلهُ من طائفتهِ الى أن دخل ... تاريخ ما كتبت هذه الواقعة يوم ثالث شهر محرم سنة اثنين بعد الالف» اه ٢٩ سبتمبر سنة ١٥٩٣م

***

٤ . «ورد مكتوب من مولانا القبطان ببندر السويس وذكر أن للشيخ العالم العلامة

---

(١) خنكار كلمة تركية تعني السلطان. راجع: Redhouse, J., Turkish and English Lexicon, Istanbul 1979, p. 867.

شيخ الاسلام زين العابدين في الطور ثلاث فرد فول مدشوش تأخرت عن المويلح وتسلمها الأغا عابدين أمانة عندهُ يدفعها لعيسى بن حرز الله بن نصر النصراني الصير في فسلمها الأغا عابدين الى عيسى بن حرز الله بمعرفة الحاكم الشرعي مما جرى ذلك في تاريخ يوم الجمعة رابع ربيع الاول سنة ثلاثة بعد الالف من الهجرة النبوية (ثلاثة شهود) ١٧ نوفمبر سنة ١٥٩٤ م

* * *

٥ . ويستفاد من نص في هذا السجل مؤرخ ٢ محرم سنة ١٠٠٤هـ ٧ سبتمبر سنة ١٥٩٥ أنهُ كان بالطور جامع وان قد جُمِع من أوقافهِ «بمبلغ ذهب جديد ٥٤»

* * *

٦ . «سبب تحرير الكتاب وموجب تسطير الخطاب هو ان سيدنا ومولانا القاضي الأكمل مولانا افندي داود حفظهُ الله تعالى أقام الجناب الكريم الأمير أحمد كتخدا المعين على جماعة العرب ببندر الطور أميناً على بعض ما يتحصل من محصول مولانا قاضي العسكر بالديار المصرية لطف الله به آمين . وان يحاسب القاضي علي بن جحى على معلوم شهر ربيع أول وربيع ثاني من حجج وسجلات وعوائد الزعايم (المراكب) المتوجهة الى المويلح وغيرها وان يقبض المتحصل مولانا أحمد كتخدا المشار اليهِ وجميع ما يتحصل يضبطهُ جهتهُ ويرسلهُ الينا سريعاً من غير تأخير وان لا يعمل شيء الا بمعرفتهِ يكون ذلك في شريف علمكم الكريم مما جرى ذلك وحرر تحريراً في مستهل شهر جماد الثاني سنة خمس بعد الألف» اه ١ فبراير سنة ١٥٩٦م

شهـــــــــــــود المجلس

الفقير احمد	الفقير القاضي	الفقير محمد
كتخدا بالقلعة	علي بن جحى	اليازجي بالقلعة

* * *

٧ . «يوم السبت المبارك حادي عشر رجب تاريخ خمسة بعد الألف ورد مكاتبة الى الجبار عابدين بن مصطفى دردار قلعة بندر الطور المحررة بمدينة مصر المحروسة

المورود من مولانا شيخ الاسلام قاضي بندر السويس والطور والمويلح مولانا شعبان
خادم الشريعة بأن الفقير الراجي عفو ربهِ ينظر الأحكام الشرعية
الداعي علي بن اسكندر الحنفي الطوري المعروف بطاشي . . . حرر في يوم تاريخه »
« هذه المكاتبة من مجلس الشرع الشريف ببندر السويس المعمور : الى كل
واقف عليها وناظر اليها من الحكام والرعية والخاص والعام من أهل بندر الطور
المبارك . نوضح لعلمهم الكريم بعد التحية والتسليم انَّا استخرنا الله سبحانهُ وتعالى
وأقمنا القاضي علي بن اسكندر نائباً بالبندر المذبور لسماع الدعاوي الشرعية على قاعدة
مذهبهِ الشريف ومعتقدهِ الحنيف . نوصيهِ بالعمل في ذلك بتقوى الله سبحانهُ وتعالى
في سرهِ وعلانيتهِ فان من سلك طريق الحق نجا ومن يتق الله يجعل لهُ مخرجاً ويرزقهُ
من حيث لا يحتسب . حررهُ بختمهِ وأمضاهُ مولانا مصطفى نايب بندر السويس
مستهل شهر شعبان سنة ستة بعد الألف وحسبنا الله (٩ مارس ١٥٩٨ م)
« جلوس اضعف العباد علي بن اسكندر الحنفي الطوري عفي عنهُ » اه

***

٨ . « بتاريخ مستهل صفر الخير سنة عشر بعد الألف سنة ١٠١٠ جلوس الفقير
الى الله تعالى علي حجى النايب الشرعي عن مولانا مصطفى يحيى الحنفي على الاحكام
الشرعية يفصل بين الرعية ويمضي الوثايق ويعقد الانكحة وينصب الأوصياء ويضبط
أموال الغايب ويقبض الرسوم . وعليهِ بتقوى الله وطاعتهِ في سرهِ وعلانيتهِ بتاريخ
ثامن وعشرين محرم سنة عشر بعد الألف » اه ٣١ يوليو ١٦٠١م

***

٩ . « يقبل الأرض وينهي بين يدي سيدنا ومولانا الوزير صاحب السعادة
نصرهُ الله تعالى ودام عزهُ آمين
«أنهُ رجل ذمي فقير الحال ولهُ أولاد عم سبعة أيتام قُصَّر عن الجواب الشرعي .
وخلف لهم والدهم سفينة بعد وفاتهِ تشحن من بندر السويس الى بندر المويلح . ومن
يوم توفى والدهم ورجل ذمي يسمى ابراهيم الطعام وضع يده على السفينة مدة أربع

سنوات ولا يعطي الأيتام منها شيئاً ولا حساباً . والمسئول من الصدقات العالية بروز أمركم الكريم بيرلدي شريف باحضارهِ الى بندر الطور الى بين يديكم ويكون خلاص مال الايتام على يديكم ولكم الاجر والثواب من الملك الوهاب ويكون عمهم وكيلهم لخلاص الحق غرة ربيع الثاني ١٠٤٨ » (١٢ اوغسطوس ١٦٣٨ م)

بنـــده

الذميّ فيرونس النصراني الطوري

« ما قولكم رضي الله عنكم في رجل ذمي هلك عن أولاد ذكور وأناث قاصرين وخلف سفينـة ولهُ ابن عم شقيق وصي . ثم أن والد زوجة المتوفى وضع يدهُ على السفينة بالتعدي يسافر بها مدة ولم يدفع لأولاد المتوفى شيئاً ، والحال أن الاولاد بكنف ابن عم المتوفى لينفق عليهم . فهـل لهُ خلاص السفينة من يده . وهل يثاب ولي الأمر على منعهِ من يتعرَّض للأيتام وخلاص حقهم ممن هو بيده أم كيف الحال أفيدونا الجواب

صورة جواب الشيخ محمد المزاحي الشافعي:

« الحمد لله لا يجوز لوالد الزوجة المذكورة وضع يده على سفينـــة الأولاد المذكورين الأيلة لهم بالارث بطريق التعدى بل يحرم عليـهِ ذلك ويلزمهُ التعزير وترفع يده عنها قهراً وأجرة مثلها مدة وضع يدهِ عليها ولابن العم المذكور الوصي على الايتام رفع الأمر الى مولانا ولي الأمر نصره الله تعالى ليرفع يدهُ عن السفينـــة ويجبره على دفع الأجرة قهراً عليهِ ويثاب على ذلك والله أعلم »

صورة ما كتبه الشيخ احمد المنشاوي الحنفي :

« الحمد لله نعم لابن العم الشقيق الوصي رفع أمرهم الى ولي الأمر ليخلص لهم ما كان من سفينة أو غيرها ويثاب على ذلك الثواب الجزيل والله تعالى أعلم »

صورة ما كتبه الشيخ يوسف الواطي المالكي:

« الحمد لله جوابي كذلك والله أعلم » اه

١٠ . « سنة ١٠٥٠ لدى العبد الفقير علي جلال الدين النائب بالطور المبارك عفي الله عنهُ : الزوج شيخ العرب مضيف بن مطلق القراشي الصالحي . الزوجة نجوم المرأة الثيب البالغة . الصداق ثلاثماية قرش معاملة . الموعود بقبضهِ قبل الدخول بها مايتان وخمسون قرشاً وباقي الصداق وقدرهُ خمسون قرشاً يحلي عليهِ بموت أو فراق . زوّجها لهُ على ذلك والدها المذكور باذنها لهُ في ١٥ ربيع الأول سنة تاريخهِ » اه ٥ يوليو ١٦٤٠ م

***

١١ . «الخيامة العرب الصوالحة ان لهم على كل حمل كان للتجار الذي يحصلوهُ في البندر قبل نزولهِ الى البحر عشرة انصاف كما سبقت بهِ عوائد آبائهم واجدادهم والذي يجي معهم كذلك سنة ١٠٥٥ ولو كان الخيامة هاهنا والذي يجيء بندر السلامة يحط الخفر»

***

١٢ . « البايع شيخ العرب المعروف بأبي صوير بن محمود بن مطر السعيدي . المشتري الراهب موسى بن معوض الترابلسي . المبتاع عيَّاد الشاب البالغ بن عيسى الشهير بالطحيل النصراني (راس رقيق) . الثمن اربعون غرشاً حالاً مقبوضاً بيد البايع باعترافهِ بذلك وشهادة شهوده . وكفَّل البايع على نفسهِ شيخ العرب منصور ابن صيام العايدي كفالة بني عقبة المعلومة بين العرب . وكفل صبيح بن سلمي العليقي . وكفَّل جميع بني عقبة كفالة العرب للعرب كذلك . بحيث ان لا يتعرض لعيَّاد المذكور أحد من اخوانهِ ولا من بدنتهِ ولا من عربهِ ويكون على الكفيلين المذكورين ردهُ ومنعهُ عنهُ ويرجعون على البايع بما يلزمهُ عندهم في قواعدهم وقوانينهم . ثم ان موسى الراهب اعتق عيَّاد المبتاع المذكور احتساباً لله تعالى عتقاً صحيحاً شرعيًّا مقبولاً قبلهُ منهُ لنفسهِ عياد المذكور بعد اعترافهِ بالرق لهُ . وثبت ذلك كلهُ لدى الحاكم الشرعي وجرى ذلك في غرة شهر الله المحرم سنة ١٠٥٨ » ه (٢٧ يناير ١٦٤٨م) شهودهُ :

الفقير علي بن جلال الدين الحنفي المولى ببندر الطور عفي عنهُ . عمر بن سليم العليقي . جباره بن رشيد السعيدي . عطاالله بن سويلم الصالحي . سعد بن سعدالله السليماني

***

١٣ . « حضر جماعة الرهبان الى مجلس الشرع الشريف وهم الاقلوم إسرافيل والراهب ؟ القاطنين بالطور وصحبتهم عنصرة ومطيع وكلاء الدير وأمروا مولانا الحاكم باحضار طائفة المواطرة وهم سليم شهاب الدين (وتسعة آخرون) وهم فلاحين كرم الراهب المتعاطين خدمتهُ . . . وتخالص كل فريق من الآخر . حرر في صفر الخير سنة ١٠٩٦ هـ » اه يناير ١٦٨٥ م.

كتبهُ الفقير ابراهيم الازهري قاضي الطور . محمد اغا دردار الطور (و١٢ شاهد غيرهما)

***

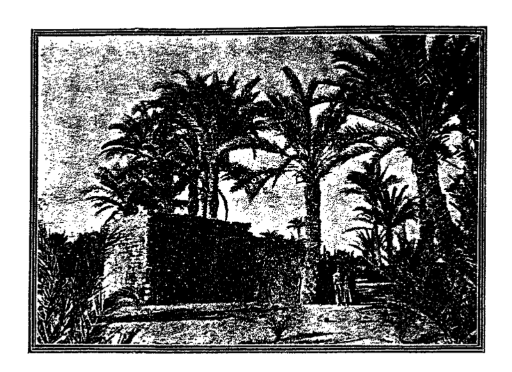
١٤ . وفي كتاب الأم هذا كتابة باليونانية بخط مطران دير سيناء نيكوفورس الكريتي تاريخها سنة ١١٥٧ هـ ١٧٤٤ م مضمونها :

« أن قد تمَّ الاتفاق ببندر الطور بحضرة الإمام بين نكينورس أقلوم الدير وكاتبهِ الخوري جرجس تلحمه من جهــة وبين جماع أبو هديب وموسى ولد علي وغيرهما من جهة أخرى بشأن انارة الجامع وتنظيفهِ »

١٥ . وفيهِ مكاتبة من قاضي القلعة بتاريخ سنة ١١٧٥ هـ ١٧٦١م دلت على وجود النفيعات في الجزيرة في ذلك العهد

***

١٦ . « سبب تحرير الأحرف وموجب تسطيرها هو أنهُ ببندر الطور المعمور بين يد متوليها الحاكم الشرعي من يضع اسمهُ وختمهُ أعلاه أدامهُ الله تعالى واعلاه اشترى يني عنصرة من بايعهِ لحام الشيخ النصف في كرم ابو ترابيه نايبهُ بثمن قدره من القروش العددية مايه وستة قروش وتعدد مربوطه ثمنهُ قروش ثلاثين وجميع الثمن مغلق بيد البايع من يد المشتري ولم يتبقَّ عند المشتري شيء يقال لهُ شيء بيعاً صحيحاً شرعياً جائزاً لازماً من غير اكراه ولا اجبار ويكون جملة الثمن نصف الكرم أبو ترابيه مايه وستة وثلاثين قرشاً الجميع مغلق بيد البايع لحام الشيخ وكفيله سلامه أبو نحيله كفالة بني عقبه الحي عن الميت وعن الغايط والذي في المقايط وكفالتهُ مغلقة وجاره أعلاه كرم عنصرة وأسفله الوادي في ٦ رمضان ١١٩٦هـ » اه ١٥ اغسطوس ١٧٨٢م



ش ٣٤ : عيون موسى

﴿ عيون موسى ﴾

أما عيون موسى فهي واحة صغيرة في سهل رملي فيّاح محيطها نحو ثلاثة ارباع الميل وعلى نحو ثمانية أميال جنوبي السويس وميلين ونصف ميل من شاطئ الخليج . وفيها عدة ينابيع . وحدائق . وحلة صغيرة . ومنازل للمصيف

أما «الينابيع» فأكثرها فوّارة وماؤها حارٌّ ضارب الى الملوحة وتختلف حرارتهُ بين °٧٠ و °٨٠ فارنهيت فاذا برد ساغ شربهُ . واحلى ينابيعها ابعدها الى الجنوب وقد ظن بعضهم انهُ النبع الذي « طرح فيهِ موسى الشجرة فصار المــآء عذباً » خروج ص ١٥ عدد ٢٥ * وبعض هذه الينابيع مطويٌّ بالحجر منذ عهد بعيد

وأما « الحدائق » فأهمُّ اشجارها النخيل والطرفآء والاثل وبعض اشجار الفاكهة كالرمان والليمون والبرتقال ويزرع فيهــا بعض أنواع الأزهار والخضر . وجميع الحدائق مسوَّرة بأسوار من الطين والخشب لمنع ضرر الرياح كما مرَّ

وأما « حلة عيون موسى » فيسكنها جماعة من البدو والأروام المتسببين والنوتية*

وأما «منازل المصيف» فقد بناها بعض كبرآء السويسيين في الحدائق لقضآء الصيف فيها نظراً لطلاقة هوائها واعتداله كما قدمنا ولكنها أهملت الآن أو كادت تهمل

وقد تقدم أن في مينآء عيون موسى محجراً صحيًّا بُني قديماً للحجاج المصريين قبل بنآء محجر الطور وأما الآن فهو محجر للبواخر الموبوءة

وفي سنة ١٥٣٨ م في زمن السلطان سليمان الثاني اجتمعت مراكب البندقيين بمراكب العثمانيين في هذا المينآء واتحدت على حرب البرتوغاليين . وكانت التجارة قد اتبعت طريق رأس الرجاء فأنشأ البندقيون قناة جرُّوا بها مآء العيون الى حوض على ساحل البحر لينتفع بهِ مراكبهم. ولا زالت آثار القناة والحوض ظاهرة هناك الى اليوم

وأما نسبة هذه العيون الى موسى فلأن موسى النبي اتخذها محلة لهُ عند خروجهِ من مصر على المشهور

﴿ قرية الشط ﴾

« الشطُّ » قرية صغيرة على شاطئ الترعة تجاه السويس نشأت بعد فتح الترعة فبنت فيها « مصلحة الصحة البحرية والكورنتينات » محجراً لركاب البواخر الموبوءة التي تقف في السويس ومدت اليها خط تليفون من السويس

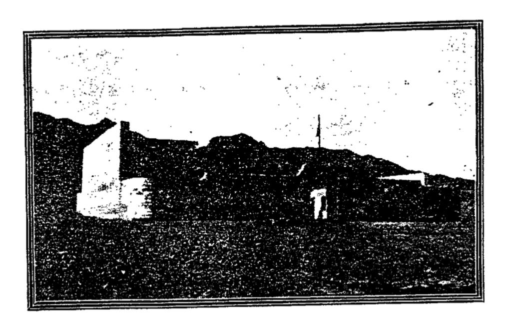
ثم بنى فيها الشيخ ابرهيم ابو الجدايل التاجر السويسي المار ذكرهُ مخزناً لبيع الحبوب للطورة وجعل الحاج اسماعيل من أهل السويس شريكاً لهُ في المخزن فبنى الحاج اسماعيل منزلاً بطبقتين قرب المخزن

ثم تبعهُ علي ابو شاهين من تجار السويس فبنى مخزناً آخر لبيع الحبوب ومنزلاً لهُ . وبعد ذلك بنى بعض الطورة وأهل السويس اكواخاً أقاموا فيها للصيد والتعيُّش فكان هناك حلة جمعت ٣٠ بيتاً أو اكثر

وفي سنة ١٩٠٦ بنى محافظ سينآء مركزاً للبوليس ومنزلاً لاستراحة المسافرين من موظفي المحافظة وربطهُ بتليفون مع نخل والسويس

﴿ بئر الغرقدة ﴾ وعلى نحو ساعتين من الشط وساعتين من عيون موسى

وثلاث ساعات من بئر مبعوق « بئر الغرقدة » وهي بئر عذبة المآء ظلَّ أهل السويس يستقون منها الى عهد المغفور لهُ اسماعيل باشا الخديوي الاسبق . ثم مُدَّت الى مدينتهم « الترعة الاسماعيلية » فأهملت البئر الآن وطمرتها الرمال



ش ٣٥ : قلعة النويبع

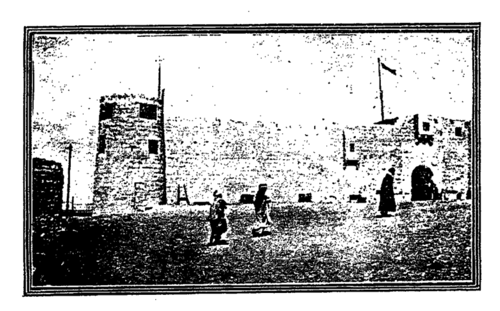
﴿ قلعة النويبع ﴾

أما قلعة النويبع وتعرف بطابية النويبع فقد مرَّ أنها طابية صغيرة بنتها السردارية المصرية سنة ١٨٩٣ وذلك بعد خروج العساكر المصرية من العقبة وجعلتها مركزاً للبوليس وفيها الآن بضعة رجال من البوليس الهجانة لحفظ الأمن في تلك الجهة . وهي تابعة في الادارة لمركز نخل . وللقلعة سور ومزاغل وباب كبير . وفي داخل السور بئر ماؤها ضارب الى الملوحة . وبجانبها بضعة اكواخ من الحجر يسكنها عائلات البوليس . وهي واقعة على نحو ميلين من مصب وادي العين شمالاً و ٥٠ ميلاً من العقبة جنوباً . وتسمى الجهة القائمة فيها « نويبع الترابين » تمييزًا لها عن « نويبع مُزَينة » على نحو ساعتين جنوبيها

﴿ ٢. مدن بلاد التيه ﴾

﴿ مدينة نخل ﴾

أما مدينة نِخل ففي قلب جزيرة سيناء . وهي الآن عاصمة بلاد التيه ومركز محافظة سيناء كلها * وفيها : « قلعة قديمة . وبلدة صغيرة . ومحجر صحي . وجبانة . وآبار . وبُرَك . وحديقة . وبقربها في وادي العريش سدّ بقناطر »



ش ٣٦ : قلعة نخل

﴿ قلعة نخل ﴾ أما قلعة نخل فهي احدى القلاع الجميلة التي بناها السلطان قانصوه الغوري[1] (١٠٥١ : ١٥١٦ م) في درب الحج المصري وكانت تعرف قديماً بالخان . وهي قائمة على هضبة عن يمين وادي ابو طرَيفية قرب مصبه بوادي العريش على نحو ٨٠ ميلاً من السويس و ٧٠ ميلاً من العقبة وتعلو نحو ١٧٥٠ قدماً عن سطح البحر . وهي تشرف على سهل فسيح تحدّه الجبال من كل الجهات الاّ جهة الجنوب كأنها نجمة في هلال * وهي مربعة الجوانب تقريباً طول الجانب منها من ٣٧ يرداً الى ٣٩ يرداً وعلوّها من ٢١ قدماً الى ٢٥ قدماً . وسمك حائطها ثلاث

(١) قانصوة الغوري تولى الحكم عام ١٥٠١ حتى عام ١٥١٦م .

أقدام ونصف قدم في أسفلهِ وقدمان ونصف قدم في وسطهِ وقدم في أعلاه * ولها خمسة ابراج: في كل زاوية برج والبرج الخامس في منتصف الضلع الشمالية . وبناؤها بالحجر المنحوت وهو حجر كلسي كثير الوجود في تلك الجهات

وللقلعة رتاج او بوابة عظيمة مصفحة بالحديد معقودة عتبتها بقنطرة تفتح للشرق وتُقفل من الداخل بمِتْرَس من الخشب يروح ويجيءُ في خرقين متقابلين عن جانبيها . ولها في وسطها خادعة على النمط الشرقي المعروف * تدخل من هذه البوابة في دهليز طولهُ خمسة أمتار فتلقى عن شمالك بوابة عظيمة أخرى تفتح للشمال تودي الى صحن القلعة . وفيهِ شجرة سدر قديمة ينذر لها النذور . ويحيط بهِ طبقتان من الغرف الضيقة المسقوفة بالقصب الفارسي الكثير الوجود في أودية الجزيرة . وقد كان سقفها قليل الارتفاع جدًّا يكاد الطويل في الرجال يمسهُ برأسهِ فرممها محافظ سيناء الأسبق والذي قبلهُ فرفعا سقفها ووسعا غرفها وجعلا الطبقة العليا مسكناً للمحافظ والناظر . والسفلى مكتباً لهما ومخازن . وفي أعلى السور فوق سطح الطبقة العليا وفي جدران الابراج مزاغل الى الجهات الأربع

وفي واجهة القلعة فوق البوابة ثلاثة حجارة تاريخية في صف واحد بين الحجر والآخر نحو ذراع عليها كتابة بالعربية بحروف ناتئة . الحجر الاول عن يمين الداخل مستدير الشكل قطرهُ نحو قدم لم يبق ظاهراً من النقش عليهِ سوى هذه الكلمات: « مولانا السلطان . . . عزَّ نصره » اه * والثاني في الوسط في شكل الأول وحجمهِ وعليهِ هذه العبارة: « مولانا السلطان مراد خان عزَّ نصرهُ سنة . . . » اه والتاريخ غير ظاهر تماماً . وقد يُوهِم هذا الحجر أن السلطان مراد هو باني القلعة والحال أن بانيها هو السلطان قانصوه الغوري كما قدمنا . والظاهر أن السلطان مراد رممها فوُضع هذا الحجر تذكاراً لذلك * والحجر الثالث عن اليسار مربع الشكل مستطيلهُ منقوش عليهِ هذه العبارة: « جدد هذا المكان المبارك مولانا السلطان احمد بن السلطان محمد خان عزَّ نصره مدة راجي محمد باشا سنة ١١١٧ » ه ١٧٠٥ م

وفي القلعة الان مدفع جبلي من متخلفات حاميتها القديمة يُطلق في أيام الأعياد

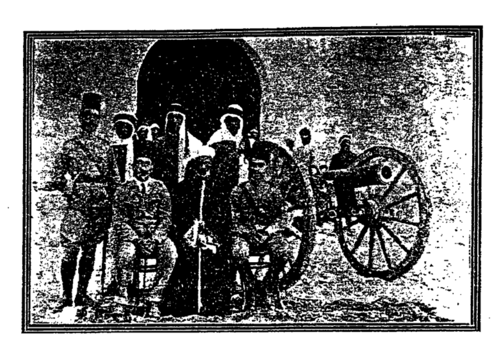
اعلاناً لها * وهناك نفر من البوليس غير النظامي واكثرهم من أهل نخل وعليهم ناظر من الجيش المصري * وثلة من العساكر النظامية مؤلفة من ٢٥ جندياً وضابط لخفارة المحجر

﴿ بلدة نخل ﴾ أما بلدة نخل فالى جانب القلعة الجنوبي الشرقي على نحو ٢٠٠ متراً منها . وفيها نحو ستين بيتاً . ولها شارع واحد يقسمها الى قسمين شرقي وغربي . وهي مبنية بالطوب النيء . وقد جُدّد فيها منذ سنة ١٩٠٦ الى اليوم عدة منازل بنيت بالحجر على الطرز الجديد بعضها من بنآء المحافظة وبعضها من بنآء الأهالي * وكل منازلها طبقة واحدة ارضية الأَّ ثلاثة منازل أو أربعة فان لكل منها طبقة عالية بغرفة أو غرفتين يصعد اليها بسلم ضيق . وأكثر منازلها القديمة لا منفذ لها الأَّ باب بمصراع واحد ولبعضها كوى ضيقة عارية أو مكسوة * وقد جُدّد فيها سوق من بنآء الاهالي جنوبي البلدة مؤلفة من خمسة دكاكين تباع فيها الحبوب والملبوسات وغيرها

وأما الأبنية التي جدّدتها المحافظة فهي : أربعة منازل في صف واحد شرقي البلدة بينها وبين البلدة شارع جديد فيها مستشفىً «ومَضيَفة» للعربان ومنزل للبوليس المجانة من غير سكان البلدة ومنزل لكاتبي المحافظة الأول والثاني

ومن الأبنية التي أحدثتها المحافظة : نادٍ للموظفين شرقي هذه المنازل بينهُ وبينها شارع جديد * « وثكنة » للعساكر النظامية شمالي البلدة وشرقي القلعة على نحو مئة متر من كل منهما * «ومحجر» صحي مجهز بالخيام وعليهِ نطاق من السلك والاخشاب شرقي الثكنة يأوي اليهِ الحجاج الذين يأتون بدرب الحج المصري القديم فيقضون فيهِ الحجر الصحي بخفارة العساكر النظامية . ثم يستطردون السير الى مصر

وتجاه القلعة من الشرق على محاذاة البلدة جامع صغير بلا مأذنة يجتمع اليهِ اولاد البلدة لتعلم القرآءة والكتابة يعلمهم الآن الشيخ زاهر احمد عفيفي امام الجامع ومأذون الشرع الشريف في نخل . وهذا الشيخ أقدم موظف مصري في سينآء وقد كان قبلاً مأذون قلعة العقبة وامامها * وقد باشرت المحافظة حديثاً بنآء جامع فخم في شمال البلدة بقرب الجامع الحالي وارتفع البنآء نحو ذراع فوق الأرض



شكل ٣٧: الشيخ احمد زاهر عفيفي امام ومأذون الشرع الشريف في نخل في الوسط * وعن يمينه اليوز باشي احمد افندي مختار . واليوزباشي محمد افندي توفيق خيري ناظران في سينا سابقاً * وعن شماله الملازم اول حسن افندي حلمي السماع ضابط القسم العسكري بنخل سابقاً . ومدفع نخل

وفي سنة ١٩٠٦ مُدَّ خطّ التليفون من نخل الى السويس فكان طولهُ الى شط السويس الشرقي نحو ١٢٠ كيلومتراً . وفي هذه السنة (١٩١٤) تمت المواصلات التليفونية بين نخل والعريش بطريق القصيمة * ولنخل بريد اسبوعي يُحمَل على الابل يربطها بالسويس ومصر كما سيجيُ

وقد اختلف الباحثون في أصل تسمية هذه المدينة بنِخل فقال بعضهم انها متخلّفة عن « نخل مصرايم » الاسم الذي أطلقهُ العبرانيون على وادي العريش (اشعيا ص ٢٣ عدد ١٢) * وظنّ آخرون أنها تحريف نَخل ولكن لم يسمع في تاريخها انهُ كان فيها نَخل قبل سنة ١٩٠٦ كما سيجيُ * هذا وكانت قديماً تدعى ايضاً نخر ولكن هذا الاسم فارقها بتاتاً ولم يبقَ من يعرفها بهذا الاسم الآن

﴿ جبّانة نِخل ﴾ وأما جبانة نخل فالى الشرق والشمال الشرقي من القلعة على نحو عشرين متراً منها . وفيها قبران شهيران يزورهما اهل نخل والبادية ويحلفون بصاحبيهما وهما: قبر الشيخ النخلاوي وعليهِ قبة . وقبر الشيخ الحجاج وهو مبني على شكل ظهر الثور

﴿ قبر الحجاج ﴾ أما الشيخ الحجاج فهو احد أجداد السلاَّميين الشوَّافين اللحيوات كما مرَّ . توفي منذ ثمانية أجيال . وبدو التيه يعتقدون انهُ كان صاحب « سرّ وولاية » . وهو معاصر للشيخ ابو جرَير جدّ الجرَيرات السوارِكة المدفون في مدينة العريش. قيل كان لكل منهما حزب وأنصار فاختلف الحزبان في أيّ الشيخين اكثر ولاية من الآخر فأتى أبو جُرَير بحزمة من الحطب وأوقد فيها النار وأخذ يتقلب عليها فلم تمسهُ بضرر. ثم تقدم الحجاج وتربع في وسط النار وأخذ سكيناً من جنبهِ وعصر مقبضهُ بيدهِ فخرج منهُ ماءٌ وحليب اطفأا النار فاعترف لهُ الجميع بالتفوّق في الولاية !

﴿ قبة النخلاوي ﴾ وأما الشيخ النخلاوي فليس في الجزيرة من يعرف لهُ تاريخاً وكل ما يُعرَف عنهُ أنهُ وليٌّ اقدم عهداً من الحجاج * وفي داخل القبة ثلاثة أضرحة :

« ضريح النخلاوي » وعليهِ حجران تاريخيان: حجرٌ فوق رأسهِ منقوش عليهِ بأحرف بارزة « هذا مقام العارف بالله تعالى الشيخ النخلاوي رحمهُ الله » . وحجرٌ فوق قدميهِ عليهِ هذه الآية « لا اله الاَّ الله محمد رسول الله »

« وضريحان آخران » على كل ضريح منهما حجران حجر فوق رأس الميت وآخر فوق قدميهِ . وقد كتب على كل منهما فوق القدمين : « لا اله الاَّ الله محمد رسول الله كل من عليها فان» . وكتب على حجر الرأس الأول : « الشيخ محمد بن الحاج محمد تلنبدجي استانبولي توفي في صفر سنة ١١٢٩ » ﻫ يناير ١٧١٧م . وعلى حجر الرأس الآخر : « هذا قبر المرحوم رشوان جربجي هجان باشي تفكجيان ابن حسين افندي باش اختيار تفاكجيان توفي سنة ١١٤٨» ﻫ ١٧٣٥ م

وقد نقش على حجر مستطيل فوق عتبة القبة العليا العبارة الآتية بنصها وفصها :

« لما شوهدة صداقة سعادة خورشيد بك مهدي تعين مأمور تعمير القلاع الحجازية من شعبان سنة ١٢٨١ لغاية القعدة سنة ١٢٨٢

يا من أسرارهُ فاقة في الملا ونفحـاتهُ متهطـلا
اني بك استجير من حرّها في غديوم الحساب الاكبر»!! اه

وهذا التاريخ الهجري يوافق يناير سنة ١٨٦٥ الى ١٦ ابريل سنة ١٨٦٦ م

وفي كل عيد تخرج نسآء المدينة الى الجبّانة وينصبن الرايات على قبة النخلاوي وقبر الحجّاج ويوزعن الصدقات من فطير وكعك على فقرآء البـادية . وأهل نخل ينيرون القبرين ليلة الجمعة وليلة الاثنين من كل اسبوع على مدار السنة وقد ينيرونهما وفاء لنذر ويقول الناذر عند انارتهما : «العارف لا يُعرَّف والنايم لا يتخرَّف» اي لا يتكلم!

ويزور اللحيوات والتياها هذين القبرين كل سنة هم وجمالهم ويذبحون لهما الغنم

﴿ قبر الشيخ عدس ﴾ وتجاه القلعة على جنب الوادي الأيسر « جبانة الحجاج » الذين توفوا بمحجر نخل قبل انقطاع درب الحج . وفي هذه الجبانة قبر الشيخ عدس من أوليآء أهل البادية وقد جرف السيل قسماً من هذه الجبانة فكشف عن جمجمة رجل لا يزال شعرهُ كأنهُ قد دفن بالأمس

﴿ رِجم ابراهيم النخلاوي ﴾ وعلى « مطلَّة نخل الغربية » على نحو ميلين من القلعة رجم من الحجارة وضع تذكاراً لابراهيم النخلاوي . قالوا كان لهُ زوجة يحبها جدًّا سافرت الى السويس لغرضٍ ما وطال غيابها وكان رجلاً مسناً أقعدهُ العجز عن السفر فكان كل يوم يأخذ زادهُ ومآءهُ ويأتي المطلَّة منتظراً قدوم زوجتــهِ الى ما بعد الغروب ثم يعود الى نخل. بقي على ذلك أياماً حتى عادت زوجتهُ فعادت روحهُ اليهِ

﴿ قبر زين الناس ﴾ وعلى « مطلة نخل الشرقية » على نحو خمسة أميال من القلعة قبر « زين الناس » قيل انها من نسآء الصحابة . تسلَّقتُ المطلَّة في ١٧ مايو سنة ١٩٠٥ فرأيت على القبر رجماً بيضي الشكل من الحجارة الغشيمة وبجانبهِ صخرة منقوشة

﴿ حديقة نخل ﴾ اما حديقة نخل فهي حديثة العهد من إنشآء المحافظ الاسبق والذي تقدمهُ اي من سنة ١٩٠٦ وهي حديقة متسعة بلصق القلعة من الجنوب تبلغ مساحتها خمسة أفدنة وعليها سور من الطوب النيء وفيها من الأشجار : النخيل وهذا اول عهد النخيل بنخل في التاريخ فيما نعلم . والطرفاء . والإثل . والسنط . والكينا . والفلفل . والزيتون . والرمان . والتفاح . واللوز . والموز . والتين . والصبر * أما أشجار الزيتون والتفاح واللوز والتين فقد أتي بها من دير سينآء ولم تثمر بعد . وكذلك النخيل لم يثمر بعد * ويزرع فيها من أنواع الخضرة : البامية . والقرع . والباذنجان . والسبانخ .

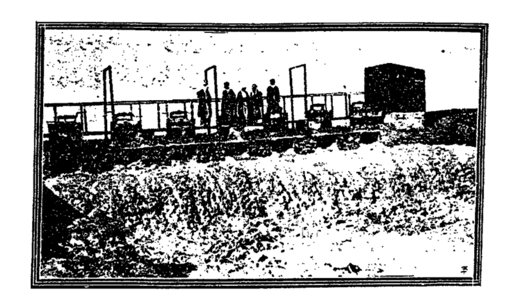
والطماطم . والرِجلة . والفجل . والفلْيفلة . والخيار . والبطيخ . والشمام . والبرسيم الحجازي * وفي آخر الحديقة مناخان مسقوفان للابل

﴿ آبار نخل ﴾ وفي نخل ثلاث آبار قديمة مطوية بالحجر : بئر داخل القلعة في زاويتها الشمالية الغربية حفرها باني القلعة . وبئران خارج القلعة احداهما شماليها على نحو مئة متر منها تشرب منها العربان والسائمة ويُظن انها أقدم من القلعة . والأخرى جنوبيها على نحو عشرين متراً منها قيل احتفرها احمد آغا الوكيل أحد ضباط القلعة السابقين في أواخر القرن الغابر . وقد ضمها سور الحديقة الجديدة وهي تسقي الحديقة ومنها يشرب أهل المدينة . وقد ركب عليها حديثاً ساقية من حديد

وفي سنة ١٩٠٦ احتفر المستر جننس براملي أحد محافظي سيناء السابقين بئراً غربي القلعة على نحو ٤٠٠ متر منها وطواها بالحجر . وعمق هذه الآبار كلها من ١٠ أمتار الى ١٢ متراً وفيها من الماء نحو قامتين وهي تكفي ٣٠٠٠ جمل تشرب منها في وقت واحد . ولكن ماءها ملح غير صحي . ومع ذلك كان أهل المدينة وموظفو الحكومة يشربون منها الا المحافظين فانهم كانوا يأتون بماء الشرب على نفقتهم من بئر الثمد المشهورة بعذوبة مائها . وفي أواسط سنة ١٩١٣ ارسلت المحافظة نموذجاً من مياه آبار نخل الى المعمل الكيماوي في مصر فحكم بعدم صلاحيتها للشرب مدة طويلة لكثرة الاملاح فيها فصارت المحافظة من ذلك الوقت تأتي بماء الشرب لموظفيها من بئر الثمد

﴿ بُرَك نخل ﴾ والى شمالي القلعة بينها وبين البئر الشمالية ثلاث برك واسعة مبنية بالحجر والأسمنت سعة أكبرها ٢٧,٤٠ متر طولاً و ١٤ متر عرضاً و٤,٦٠ متر عمقاً

وهذه البرك في رواية درر الفرائد من بناء سلار . بنيت لتسهيل تناول الماء على ركب الحج عند نزوله بنخل . وهي متصلة بقناة الى بئر القلعة وقد كان على هذه البئر « ساقية » من خشب وكانت حكومة مصر ترسل نجاراً في كل سنة في موسم الحج الى نخل فيرمم الساقية ويملأ البرك قبيل وصول ركب الحج فيشرب منهُ الحجاج ويسقون بهائمهم ويتزودون الماء للمرحلة الثانية . وأما الآن فلم يعد من فائدة لهذه البرك . وأما بئر القلعة فلا تزال مستعملة وقد ركبت عليها محافظة سيناء حديثاً ساقية من حديد



شكل ٣٨ : سد العريش عند نخل

﴿ السدّ ﴾ وأما السد الذي في وادي العريش فعلى نحو كيلومتر جنوبي القلعة . أقامهُ المستر براملي محافظ سينآء سنة ١٩٠٦ ليرفع مآء السيل في زمن الأمطار ويعدّ أرضاً واسعة عن جانبي الوادي للزراعة . ولكن هذا السد قصَّر عن رفع الماء الى الحد المطلوب فترك وشأنهُ موقتاً

﴿ تاريخ نخل ﴾ وذكر صاحب درر الفرائد نخل فقال : « وتسمى بطن نخر . وذكرها أبو عبيد البكري فقال و بطن نخر منهل من مناهل الحاج وهي قرية ليس بها نخيل ولا شجر يسكنها نفر من الناس . ويقال بطن نخل لسوافٍ تسفي على الناس فيهِ تراباً دقيقاً كأنما نُخل بمنخل . وبها خان أنشأهُ السلطان قانصوه الغوري على يد الأمير الكبير خير بك المعمار أحد المقدمين في سنة خمس عشرة وتسعماية (٩١٥هـ ١٥٠٩م) وبهِ حصار ونوباجيه من الترك والقواصة . وكان الخان ضيقاً فعرض صاحبنا زين الدين خولي السواقي السلطانية أمره على كافل المملكة المصرية علي باشا سنة تسعٍ وخمسين وتسعماية (٩٥٩هـ ١٥٥٢م) فأمر بتوسعتهِ من مال السلطان وأمر بصرف ما يحتاج اليهِ من الخزانة فتوجه اليهِ بالمعمارية والمؤن الوافرة واجتهد في توسعتهِ فزاد فيهِ زيادة عظيمة وجاء في غاية من الحسن . وبنخل ثلاث برك وكانت أربعاً من انشآء سلار فتعطلت

واحدة . وبها بئران احداهما بساقية والأخرى بسلم . وينصب بها سوق كبير يؤتى له من قطيا وغيرها . . . ومنهل نخل يميل ماؤه الى العذوبة الاّ أنهُ ثقيل في المعدة وربما أورث الاستكثار منهُ امراضاً باطنية كالاستسقآء » اه

﴿ سكان نخل ﴾ أما سكان نخل فمن ذرية العساكر غير النظامية الذين وُلّوا حراسة القلعة من مصريين ومغاربة وحجازيين في سالف الأيام . والآن اكثر عساكر نخل والنويبع والطور والقصيّمة هم منهم . وقد أحصيتُ سكان نخل في مايو سنة ١٩٠٥ فكانوا ٢٤٢ نفساً من رجال ونسآء وأولاد . ولكنهم زادوا من ذلك العهد حتى بلغوا ٣٠٨ أنفس في سنة ١٩٠٧ . وهم الآن ينيفون على هذا العدد

وهم يتجرون مع السويس وأهل البادية . يشترون من هؤلاء السمن والإبل والغنم ويبيعونهم الحبوب والبن والسكر والبفتة السمرآء يشترونها من السويس

﴿ زراعتهم ﴾ وفي أيام المطر يزرعون في « الخفجة » القمح والشعير والذرة والشمام والبطيخ والعجور أو القثآء كما مرّ

وعاداتهم خليط من عادات البدو والحضر * ومن عاداتهم في الأفراح : أنهم يزفون العروس ضمن « ناموسية » مرفوعة على أربع قوائم من خشب فيخرجون بها العصر الى الجبانة لزيارة قبة النخلاوي وقبر الحجاج ويصحب العروس داخل الناموسية احدى قريباتها وأمامها الرجال يرقصون ويطلقون البارود وهم يغنون هذه الأغنية :

« على أول قَبّة يا برسيم   على أول حشّة يا برسيم » !

وعند وصولهم الى قبر النخلاوي وقبر الحجاج ينادون: «يا سادة نحن زرناكم» ثم يأتون الى بيت العريس . وفي السهرة يزفون العروس فيزورون النخلاوي والحجاج ثانية ثم يدورون بها حول القلعة ويعودون الى منزل العريس

هذا وفي مرور أقربآء العريس على أهل البلدة ليدعوهم لحضور الفرح يوزعون عليهم قطعاً من الصابون لكل بيت قطعة. ومهر البنت عندهم ١٥ جنيهاً انكليزياً: عشرة جنيهات تدفع مقدماً لأهل العروس وخمسة جنيهات تدفع مؤجلة للعروس اذا طُلّقت * وهم يشترون جميع حاجات العروس من السويس . ولا بدّ لكل عروس من « جلاّبية »

من القطيفة الحمراء تلبسها في الأيام الاولى من الفرح * واكثر رجال نخل يتزوجون بامرأتين : بدوية لرعي الأنعام وحضرية من بنات نخل أو السويس لتدبير المنزل

وفي البلدة «مضيفة» يجتمع اليها رجال البلدة كل صباح ومع كل منهم حفنة من البن وحزمة من الحطب فيشربون القهوة سوية مع الضيوف . وكلما جاءهم ضيف من البدو وغيرهم أضافوه بالتناوب كل منزل وجبة واحدة حتى ينصرف ويأتي غيره فيبدأ حيث انتهى الضيف السابق * وهم قلما يوقدون السرُج في منازلهم فانهم في الليالي المقمرة يكتفون بنور القمر وفي غير الليالي المقمرة يكتفون بالنار التي يوقدونها للقهوة

﴿ مركز البوليس في بئر الثمد ﴾

وقد بنى المحافظ الاسبق والذي قبلهُ مركزاً للبوليس في كل من بئر الثمد ومشاش الكنتلّة وعين القصيمة . أما مركز بئر الثمد فقد بُني على التل المشرف على البئر شماليها وفيهِ : مكتب للادارة غرفتان وامامها عرصة مسقوفة . ومنزل لجاويش البوليس فيهِ غرفتان وعرصة . « وعنبر » لعساكر البوليس الهجانة

﴿ مركز البوليس في مشاش الكنتلّة ﴾

أما مركز مشاش الكنتلة فقد بُني على التلة المشرفة على المشاش جنوبيها . وهو مكتب للادارة غرفتان وعرَصة مسقوفة . ومنزل لوكيل الناظر . وثلاثة منازل للعساكر الهجانة . وقد قدمنا أنهُ حُفِرت بئر عذبة الماء غزيرتها في وادي الجرافي بقرب المشاش فكانت رحمة عظيمة لأهل البادية لقلة الماء في تلك الجهات

﴿ مركز البوليس في عين القصيّمة ﴾

أما مركز عين القصيمة فقد بُني على تل مرتفع شمالي العين وهو مكتب مؤلف من خمس غرف وعرصة مسقوفة ومنزل لوكيل الناظر والجاويش ومنزل عشر غرف للعساكر الهجانة محاطة بسور ضمَّ مناخاً للابل . وقد بني على العين حوض لسقي الابل وآخر لسقي الأغنام * وهذه المراكز الثلاثة مربوطة بنخل بخط التليفون .

﴿ آثار بلاد التيه ﴾

ومن الآثار التي تركها سلاطين مصر في درب الحج المصري عدا مدينة نخل :

« النواطير » وهي ثلاثة عُمُد من الحجر بين ترعة السويس وشرفة وادي الحاج بين كل عمود وآخر مسيرة ساعة وقد نصبت هناك لهداية الحجاج في ذلك التيه

« ونقب دبّة البغلة »(١) على نحو تسع ساعات شرقي نخل . وهناك ترى الدرب قد نقبت في وسط تلّة طباشيرية ونقش على ثلاث صخرات من أصل التلة عن يمين المسافر من نخل اسم السلطان الذي أمر بتمهيد درب الحج في تلك الجهة وفي غيرها. وقد عبث الزمان والسكان بهذه النقوش كلها أو بعضها حتى انهُ لم يعد من الممكن قراءة شيء مما نقش على الصخرة الثالثة * وأما الصخرة الأولى وهي أهمها فقد قرأت عليها ما يأتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمتهُ عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك نصراً عزيزاً . . . رسم بقطع هذا الجبل المسمى « عراقيب البغلة » ومهّد طرق المسلمين الحجاج لبيت الله تعالى . . . وعمار مكة المكرمة والمدينة الشريفة والمناهل عجرود ونخل وقطع الجبل عقبة ايلا وعمار القلعة والآبار وقلعة الازلم والموشحة ومغارب ونبط الفساقي ... وطرق الحاج الشريفة مولانا المقام الشريف والامام الأعظم سلطان الاسلام والمسلمين . . . الملك الأشرف ابو النصر «قانصوه الغوري» نصرهُ الله تعالى نصراً عزيزاً . . . » اه * واما الصخرة الثانية فقد نقش عليها بأحرف كبيرة :

« لمولانا السلطان الملك الأشرف ابو النصر قانصوه الغوري عز نصرهُ »

ومن آثار سلاطين مصر في درب الحج المصري « نقب العقبة » وسيأتي وصفهُ في الكلام على مدينة العقبة * ومن الآثار التي تستحق الذكر في بلاد التيه :

« قلعة الباشا » قرب عين سدر (او عين صدر) الآتي ذكرها . وما ذكرناهُ في الفصول السابقة من هرابات الماء قرب جبل الحلال والمقاور والنواويس في جبال العجمة ووادي المويلح ووادي أم رجام وغيرها

---

(١) نقب دبة البغلة من المناطق التي تتسم بالصعوبة عند اجتياز الحجاج لها، وقد قام السلطان قانصوة الغوري بتمهيدها، ثم قام الأمير رضوان الفقاري في القرن السابع عشر ببناء مسجد صغير بها . راجع: سميرة فهمي علي عمر، إمارة الحج في مصر العثمانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تاريخ المصريين العدد ٢٠١، ٢٠٠١، ص٢٥١.

﴿ ٣ . مدن بلاد العريش ﴾

﴿ مدينة العريش ﴾

العريش مدينة شهيرة على ساحل البحر المتوسط عند فم وادي العريش ، على نحو ميلين من الأول وميل من الثاني. وعلى نحو ٢٨ ميلاً من رفح و٨٥ ميلاً من القنطرة. وهي تشمل : « قلعة قديمة . وبلدة صغيرة . وجبَّانة . وآباراً . وبعض الضواحي »

﴿ قلعة العريش ﴾[(١)] وأشهر ما فيها قلعتها . وهي سور مربع تقريباً ارتفاعهُ نحو ٨ أمتار . وطول كل من ضلعيهِ الشرقية والغربية نحو ٧٥ متراً وطول كل من ضلعيهِ الشمالية والجنوبية نحو ٨٥ متراً . وفي أعلى السور ستة مزاغل لضرب النار وفي كل من اركانهِ الاربعة برج . وعلى كل برج مدفع من مدافع كروب . وفي اسفل كل برج قبو لخزن القنابل والجبخانة . وبناء القلعة بالحجر الرملي الصلب . وكان يحيط بها قديماً خندق متسع قد رُدم الآن ولم يبقَ الاَّ أثرهُ

والقلعة قائمة على تلة مرتفعة جنوبي البلدة تشرف عليها . وقد سفت الرياح الرمال من الجنوب وأقامتها كثباناً أعلى من القلعة . وهي قريبة جداً من البلدة حتى ان بابها يفتح الى سوق البلدة . وهو باب عظيم بقنطرة مصفح بالحديد الصلب . علوهُ نحو خمسة أمتار وعرضهُ ثلاثة أمتار ونصف متر

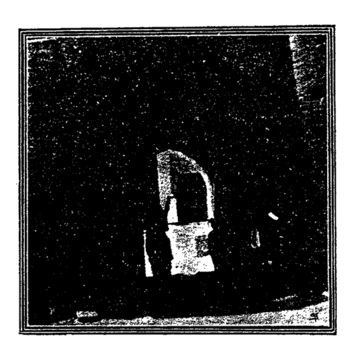
والى جانبي الباب من داخل السور ثلاث غرف : غرفة الى يمين الداخل وفيها بوليس القلعة . وغرفتان الى شمالهِ وفيهما خزنة المحافظة ودفاترها القديمة * وفي صحن القلعة بناء واسع بطبقتين الطبقة العليا منزل للناظر ومفتش المحافظة والطبقة السفلى ديوان لكتَّاب المحافظة * والى الجانب الشرقي من السور مكتب الناظر والمحكمة الجزئية . ومكتب التلغراف والبريد * والى الجانب الجنوبي منازل للبوليس ومصلًّى عرف بالمُصلَّى العباسي لأنهُ أنشئ عند تشريف سمو الخديوي الحالي للعريش سنة ١٨٩٨م * وبين بناء الوسط وبناء الجنوب حديقة صغيرة غرس فيها بعض الأشجار الظليلة . وبينها وبين بناء الشرق بئر مطوية بالحجر عمقها ثمانٍ وثمانون قدماً وقطرها

---

(١) قلعة العريش أنشئت في عام ١٥٣٥م، كانت مركزاً للإدارة في شمال سيناء طوال القرن التاسع عشر، حيث كانت مقراً للمحافظ والجهاز الإداري المعاون له، وتم تجديدها وإصلاحها عام ١٨٨١ في نظارة محمود سامي البارودي. راجع، صبري العدل، المرجع السابق، ص٤١.

أربعة أقدام وماؤها مَسوس يميـل الى الملوحة ويستعمل للغسل وارواء الحديقة

وكان في صحن القلعة حوض أثري من الغرانيت الأحمر لهُ قاعدة هرميـة الشكل طولهُ متر وسبعة سنتيمترات وعرضهُ ٨٠ سنتيمتراً وارتفاعهُ ٦٠ سنتيمتراً . وقد نقش على جدرانهِ الاربعة كتابة بالهيروغليفية موضوعها « الاله شو » قيل ان هذا الحجر نقل الى القلعـة في عصر مجهول ولسبب مجهول من مدينة جوشن القديمة المعروفة الآن بسفط الحنَّة قرب الزقازيق . فبقي في العريش الى أن نقلتهُ مصلحة الآثار المصرية الى متحفها بمصر القاهرة سنة ١٩٠٧ م



شكل ٣٩ : باب قلعة العريش

وفوق باب القلعة ستة حجارة تاريخية من الرخام جعلت بعضها فوق بعض في خط عمودي . وهذه صور ما نقش فيها مبتدأً من الأعلى :

الحجر الأول : « وما النصر الاّ من عند الله »

الحجر الثاني : الطغرآء السلطانية وفيها اسم « السلطان سليم سليمان » . وتحت الطغرآء « حرره سيد محمد اسعد . خليفة تاريخي سنة ١٢١٤ » اه سنة ١٧٩٩ م

الحجر الثالث والرابع والخامس ثلاثة أبيات شعر بالتركية على كل حجر بيت وهي:

كلنجه چاريارك همتيله فتحنه حصنك ملكلر جمله امداد ايتديلر بوفتح غرّايه
وزير أعظمي يوسف ضيا باشا ديدي تاريخ مجوهر مصراع ثاني سردار طاق والايه
زهي صاحبقران سلطان سليم خان ثالث غازي
عريشك فتحي ايله آصدي سيفن عرش اعلايه
في سنة اربعة عشر ومايتين والف » اه

وترجمتها حرفيًّا : « لما أتى بعون السلطان لفتح الحصن أمدَّتهُ الملائكة كلها في هذا الفتح الأغرّ * قال وزيره الاعظم يوسف ضيا باشا تاريخًا في الحروف الحالية من المصراع الثاني الذي نقش في طاق الحصن الأعلى * حبذا الفاتح السلطان سليم خان الثالث الغازي فانهُ بفتحهِ العريش قد علّق سيفهُ في العرش الاعلى سنة ١٢١٤ » ه ١٧٩٩ م

الحجر السادس : « أمر بانشاء هذه القلعة مولانا السلطان سليمان بن السلطان سليم بن السلطان بايزيد بن السلطان عثمان خلّد الله ملكهُ وقدَّس شوكتهُ وأعز دولتهُ بمحمد وآله وسلم تاريخهُ في المصراع الأخير

في عصر بادشاهنز مرحباً بالعارفين
وابشروا تاريخهُ « فيهِ أمن الخائفين » سنة ٩٦٨» اه ه سنة ١٥٦٠م

﴿ بلدة العريش ﴾ أما بلدة العريش فهي بندر بلاد العريش وفيها نحو ٦٠٠ بيت . وشوارعها متسعة نظيفة . وبناؤها بالطوب النيء والطين ولكن طوبها متين كالحجر . ولكل بيت من بيوتها فناء مسور بباب عظيم لايواء الإبل والخيل والغنم . واسوارها مرتفعة جدًّا حتى ان راكب الهجين في شوارعها لا يرى ما في داخل أفنيتها

وللبلدة سوق صغيرة بجانب القلعة فيها نحو ٧٠ حانوتاً تباع فيها الأقمشة والحبوب والزيت والسمن واللحم والسكر والصابون والبن وأصناف الفاكهة والخضر

وفيها جامع صغير يضمُّ قبر الشيخ محمد الدمياطي وقد جُدّد هذا الجامع بأمر سمو الخديوي الحالي فاستُخدم في بنائهِ بعض حجارة القلعة الرومانية على جبل لحفن كما مرَّ . ونقش على عتبة بابهِ بأحرف ناتئة : « أنشئ هذا المسجد المبارك في عصر خديوي مصر عباس حلمي الثاني أدام الله أيامهُ سنة ١٣١٧ » ه ١٨٩٩ م

ولها مدرستان : مدرسة وطنية يؤمها نحو ٩٠ تلميذاً يعلّم فيها القراءة والكتابة العربية والقرآن . ومدرسة لجمية انجيلية فرع من مدرسة المرسلين الانكليز في غزة يؤمها نحو ٥٠ تلميذاً تدرّس فيها العربية والانكليزية ومبادئ الحساب والجغرافية

وللعريش محكمة جزئية تابعة لمحكمة الزقازيق الكليّة . ومحكمة شرعية . ونفر من البوليس الوطني . وناظر مصري . ومفتش انكليزي

وهي واقعة في الطريق التجارية الشهيرة المنسوبة اليها التي تربط مصر بسوريا * ويربطها بمصر خط التلغراف . وبنخل ورفح والقصيمة خط التليفون * ولها بريد اسبوعي يُحمَل على الابل يربطها بالقنطرة ومصر كما سيجيْ

﴿ جبانة المدينة ﴾ وللمدينة جبانتان : جبّانة قديمة الى الشمال الغربي من القلعة بطل استعمالها من زمان طويل . وجبانة حديثة غربي القلعة . وفيهما عدة قبب تزار لأولياء قلما يعرف احد عن اصلهم أو تاريخهم شيئاً وهي :

﴿ قبة الشيخ جبارة ﴾ في جبانة العريش القديمة . قيل هو من أولياء البادية ويدّعي الملالحة أنهُ من أجدادهم . وقد رمّم هذه القبة عثمان بك فريد أيام كان محافظاً للعريش وبنى بجانبها سبيل مآء وكتب على حجر رخامي فوق باب القبة هذه العبارة : « هذا مقام الشيخ جبارة جدّده عثمان بك فريد محافظ العريش سنة ١٣١٧ » ه سنة ١٨٩٩ م

وبنى بجانب القبة سبيل مآء وقف لهُ نصف ريال في الشهر لاحيائهِ . وقد وجدت في هذا السبيل حجراً تاريخيًّا من الرخام كان منصوباً فوق قبر نجلين لجدّ من أجداد العرائشية . وهذه صورة المنقوش على الحجر : «لا إله الاّ الله محمد رسول الله صدقاً المرحومين نجلَي محمود آغا جعل الله الجنة لهما المأوى سنة ٩٨٧»ه١٥٧٩م

﴿ وقبة الشيخ نصار أبو جرير ﴾ في جبانة البلدة الحالية غربي القلعة وهو جدُّ الجرارات السواركة وقد مرَّ ذكره

﴿وقبة الشيخ عبد الله﴾ في شرق المدينة وهي قبة حديثة العهد قيل «أن أحد محافظي العريش رأى في الحلم أن هذا الشيخ وليٌّ تجب زيارتهُ فبنى على قبره قبة ومزاراً »

﴿ آبار المدينة ﴾ وفي العريش عدة آبار اشهرها :

« بئر عطوان » في الجهة الشمالية الغربية من القلعة على نحو نصف كيلومتر منها وهي بئر قديمة العهد مطوية بالحجر عمقها ٢٠ قدماً وقطرها ٨ أقدام وهي أعذب آبار العريش ماء ويشرب منها سكان المدينة . وقد ركبت عليها محافظة سيناء حديثاً طلمبة لسهولة رفع الماء منها * « وبئر الجامع . وبئر القلعة » وماؤهما يميل الى الملوحة

« وبئر الشرفا » على نحو مئة متر من بئر عطوان شمالاً عمقها ١٦ قدماً ونصف قدم وقطرها ست أقدام ونصف قدم ويُستخدم ماؤها لسقي السائمة والبناء

﴿ مستشفى ومحجر صحي[1] ﴾ وكان في شرق البلدة جمرك ومحجر صحي للابل والخيل التي ترد من سوريا فألغيا بعيد الثورة العرابية ونقلا الى القنطرة

وفي سنة ١٩٠٦ حولت المحافظة المحجر الى مستشفى وأنشأت فيه حديقة متسعة من أشجار الفاكهة والخضر . وفي الحديقة بئر غزيرة عذبة الماء تسقي الحديقة عمقها ٧٩ قدماً وقطرها ٦ أقدام وعليها ساقية من حديد . وعلى المستشفى طبيب من ضباط الجيش المصري . وطبيبهُ الحالي الملازم اول «الدكتور شكري افندي مشرق» من أبرع الأطباء السوريين وأنجبهم * وأنشأت المحافظة محجراً موقتاً وهو نطاق متسع من السلك والأخشاب على شاطىء البحر المتوسط عند قبة النبي ياسر . وعند الاقتضاء يتولّى المحجر طبيب العريش وتخفره عساكرها

﴿ ضواحي مدينة العريش ﴾

أما ضواحي مدينة العريش فأهمها : نخل أبو صقل . وقبة النبي ياسر . وحلة المساعيد

﴿ نخل ابو صقل ﴾ أما نخل ابو صقل فهو شرقي المدينة عند فم وادي العريش وهناك نخيل كثير وأراض زراعية متسعة يزرع فيها العنب والتين . وفيها آبار ماء قريبة الغور قد رُكبت عليها الشواديف وزُرع عليها أنواع الخضر كالملوخية والبامية والطماطم وغيرها واكثر أصحاب نخل أبو صقل يسكنون قرية صغيرة هناك تدعى «المَخوزقة»

﴿ قبة النبي ياسر ﴾ أما قبة النبي ياسر فقائمة على تل مرتفع فوق شاطىء البحر

---

(١) منذ إنشاء قناة السويس في عام ١٨٦٩م تم إنشاء عدد من الإدارات الحدودية علي شاطئ القناة كنقطة الحجر الصحي بالقنطرة وجمرك الإسماعيلية وغيرها، وقد أدي ذلك إلي تضاؤل أهمية النقاط الإدارية الحدودية في سيناء . ومع زيادة عمليات التهريب، قامت السلطات الحكومية بإنشاء محجراً صحياً مؤقتاً بالعريش بالقرب من قبة النبي ياسر في عام ١٨٨٧م . راجع: صبري العدل، المرجع السابق، ص ٦٢-٦٣ .

في مكان يدعى «البزك» ذكرهُ الشيخ عبد الغني النابلسي (١١٤٣هـ) في رحلتهِ عند ذكر مدينة العريش قال: « في تلك البلاد مكان مبارك يقال لهُ البزك . . . ويقال انهُ متصل بالغار الذي في بلاد الخليل » اه ! * وقد جدَّد بنآء هذه القبة عثمان بك فريد المار ذكره ونقش على رخامةٍ فوق باب القبة هذه العبارة : «هذا مقام نبي الله ياسر صاحب الفضل والمآثر عليهِ السلام جدَّده عثمان بك فريد محافظ العريش سنة ١٣١٧ » هـ ١٨٩٩م . وفي سنة ١٣١٨هـ نكب عثمان بك فريد بابن عزيز لهُ في العريش فدفنهُ عند القبة . وهناك بئر قديمة العهد تعرف ببئر البزك جُدّدت بأمر الجناب العالي الخديوي عند زيارتهِ الحدود سنة ١٨٩٨ وقد بُني لها حوض لسقي السابلة وماؤها اعذب من آبار المدينة . وعند هذه البئر الحجر الجديد المار ذكره

وبجانب القبة الى جهة البحر قبران : قبر عليهِ شاهدتان من الرخام ارتفاع كل منهما نحو متر وقد حفر على الشاهدة الشرقية شجرة ورد جميلة الصنع وعلى الغربية كتابة بالتركية هذا نصها : « هو الحي الباقي . دركاه عالي يكنچر يلري أغاسي اولوب عريش محافظي ايكن رحلت دار بقاء ايدن مير ميران مرحوم ومغفور لهُ أمين سنة ١١٩٧ » هـ * وترجمتهُ : انتقل الى دار البقآء المغفور لهُ المير ميران آغا الانكشارية الهمايونيـــة الذي كان محافظاً للعريش سنة ١١٩٧ » هـ * ١٧٨٣ م وقبر آخر فوقهُ حجر منقوش عليهِ بالعربية : « قل هو الله أحد . هذا قبر المغازي في سبيل الله الحاج حسن بن طلحة »

﴿ حلة المساعيد ﴾ أما حلة المساعيد فهي حلة صغيرة في وسط حديقة متسعة من النخيل وأشجار الفاكهة والخضر على نحو أربعة أميال غربي العريش . وفيها « بئر المساعيد » على السكة السلطانية قرب شاطىء البحر . وبئر أخرى في وسطها على نحو مئة متر من الأولى وهي بئر عذبة المآء قريبة القعر . وقد كان محافظو العريش السابقون لعثمان بك فريد يأتون بمآء الشرب من القنطرة فلما جاء عثمان بك محافظاً استعذب مآء هذه البئر فحصرها في برميل انزلهُ في الحفرة ومنع العامة عنها واستغنى عن مآء القنطرة وجرى مجراهُ المحافظون الذين جاءوا بعدهُ . وبنى المحافظ

محمد اسلام بك على البئر كوخاً من الخشب وجعل لها قفلاً لأجل حمايتها وما زالت محمية وموظفو المحافظة يشربون منها الى اليوم

﴿ سكان مدينة العريش ﴾ وأما سكان مدينة العريش وضواحيها فقد بلغ عددهم في تعداد المحافظة سنة ١٩٠٧ مع سكان حلة الشيخ زويد ٥٨٥١ نفساً كما مرَّ . أما سكان الشيخ زويد فلا يزيدون على مئة نفس فيكون عدد سكان مدينة العريش نحو ٥٧٥٠ نفساً أو ٢٩٠٠ ذكر و٢٨٥٠ أنثى وكلهم مسلمون على المذهب الحنفي بينهم ١١ مسيحيًا و٣ يهود . وقد كانوا في أيام عبد الغني النابلسي (١٧٣٠م) « نحو الفي نفس غالبهم دائم الاسفار الى مصر والشام على الإبل لضرورة المعاش »

وهم فريقان كبيران : « العرايشية . والفواخرية »

أما « العرائشية » فجلهم من متخلفي العساكر التركية الذين أرسلوا لحماية قلاع العريش وقطية والطينة في مدات مختلفة منذ تأسيس تلك القلاع الى أن ألغى محمد علي باشا قلعة العريش بعد سنة ١٨٤٠ م في الأرجح[1] * وهم عدة فرق أهمها :

« أولاد سليمان . والاغوات . والمماليك . والكشاف . والشرابجة . والشرفا . والحجاجوة » . ويقال أن الفرق الثلاثة الاولى هم متخلفو حامية العريش وأقواها فرقة أولاد سليمان حتى لقد ينسب العرايشية كلهم اليهم . وان الكشاف هم متخلفو حامية قطية . والشرابجة متخلفو حامية الطينة

وأما « الفواخرية » فاكثرهم من مهاجري جنوبي سوريا جاءوها بعد تأسيس القلعة للاتجار مع حاميتها وبادية العريش . قيل لقبوا بالفواخرية لأن اكثرهم كانوا يتجرون بالفخار يأتون بهِ من غزة . وفي غزة الى الآن معمل فخار لصنع آنية المآء من تربة سودآء هناك وأهل العريش يشترون منهُ الجرار السود التي يستخدمونها لنقل المآء. أما الفواخرية أنفسهم فيقولون أن أصلهم « عرب من الشرق » * وهم فرقتان :

« الغوّلة . والقلعجية . والسلايمة . والفيران . والعطاوين » وعليهم شيخ

« والعبادين . وأولاد احمد . والصبايحة . والسحايقة » وعليهم شيخ آخر . .

أما العطاوين فقيل انهم من سكان المدينة الأصليين وهم عائلتان فقط لا يزيدون

---

(١) لم يحدث أن ألغيت قلعة العريش كمركز للإدارة سوي في عام ١٨٦١ حين صدر أمر عال بإلغاء كافة الأشكال الإدارية في سيناء، لكن هذا الأمر لم يستمر سوي بضعة أيام، وما لبث أن عاد العمل بهذه الأشكال الإدارية مرة أخري. راجع: صبري العدل، المرجع السابق، ص ٤٠.

عن عشرين نفساً . واما السلايمة فمن مهاجري الخليج . والفيران من مهاجري غزة

هذا وفي سنة ١٨٤٠ كان غطاس آغا من فرقة الأغاوات حاكماً في العريش فوقع خلاف بينهُ وبين قومهِ العرايشية فشكوهُ الى الحكومة بمصر فعزل فانفصل الأغوات والمماليك من ذلك العهد عن العرايشية وانضموا الى الفواخرية وألفوا معهم حزباً واحداً فأصبح سكان العريش حزبين متقاربين عدداً وثرآءً

وبعض أهل العريش يتجرون مع البدو في البادية . وبعضهم يتجرون في سوق المدينـة . وبعضهم يشتغلون بالزراعة . وآخرون في خدمة الحكومة : عساكر بوليس وكتاباً ووكلاء نظار . ولكن اكثرهم يقتنون الإبل ويشتغلون جمَّالة . ولهم مهارة خاصة في تربية الإبل وسياستها ونقل الاحمال عليها . بل هم في ذلك أمهر أهل الجزيرة ويأتي بعدهم الطورة ثم أهل التيه . ولهم في ضواحي بلدتهم نخيل كثير يعنون بهِ كما مرَّ . وهم يتبعون في معائشهم نظاماً معيناً اعتادوه منذ عهد بعيد : وذلك انهُ عند انتهاء موسم النخيل في أواخر اكتوبر يذهب قسم كبير منهم الى مصر بابلهم فيؤجرون الإبل لنقل القطن والحبوب ويرعونهـا البرسيم . وفي يناير يبدأون بالعودة الى أوطانهم لتلقيح نخيلهم والاعتنـاء بزراعتهم . وأهم زراعتهم : البطيخ . والشعير . والقمح يزرعونها على المطر : الشعير بعد أول مطرة . والقمح بعد زرع الشعير بنحو شهر . ثم يزرعون البطيخ يزرعون منهُ حقولاً متسعة وبهِ يتجرون ويعلفون خيلهم وابلهم كما مرَّ . وبعد حصد الزرع في أواخر مايو أو أوائل يونيو يجعلون حبوبهم في مطامير ويرحلون الى غزة بجمالهم ونسائهم لمساعدة أهلها في الحصاد وتأجير ابلهم لنقل الحبوب ثم يرجعون الى وطنهم عند انتهاء الحصاد في أوائل سبتمبر ومعهم ما جنوه من الحبوب فيضيفونهُ الى مطاميرهم ويبقون الى انتهاء موسم البلح في أواخر أوكتوبر فيذهبون الى مصر كما مرَّ وهكذا

وهم في بلدتهم يقتسمون الغُنم والغُرم وأجَر الجمال على نسبة معلومة اتفقوا عليها منذ قديم الزمان وأقرّتها الحكومة.[1] وهذه حصص كل فريق منهم كما أقرّتهـا نظارة الداخلية سنة ٤ : ١٨٩٩ مع أسمآء مشائخهم الحاليين الرسميين :

---

(١) في عام ١٨٨٢ قسمت مدينة العريش إلي خمسة حواري وفقاً لنفوذ عائلاتها، وكان شيخ الحارة منوط به "حفظ درك" الحارة والحفاظ علي أمنها، لكن في عام ١٨٨٤ قسمت المدينة إلي قراريط، وصار لكل شيخ عدد معين من القراريط حسب قوة وحجم ونفوذ عائلته، ويقتسمون المنافع وفقاً لنصيب كل عائلة من هذه القراريط. سجلات محافظة العريش، وارد بوليس العريش، سجل ٥٧، ص٩، وثيقة ٢٣ بتاريخ ٨ جمادي الأولي ١٣٠١هـ.

العرائشية : الفروع	اسم الشيخ	الحصة بالقيراط
اولاد سليمان وشركاؤهم	الحاج عبد الحليم عبد الله	٧
الشرابجة	حسين ابو نجيلة	٣
الكشاف . والشرفا . والحجاجوة	رفاعي محمد كاشف	٣

الفواخرية :

الفواخرية فريق أول	ابراهيم عيد	٤
الفواخرية فريق ثان	محمد سميري	٤
الفطايسة أو الاغاوات . والمماليك . والجفانوة	احمد بدوي	٣
	الجملة قيراط :	٢٤

ولكل من الفريقين مقعد أو مقاعد يجلس فيها رجالهُ يشربون القهوة ويتحدثون في شؤونهم الخاصة والعامة على نحو ما يفعل مشايخ البدو في باديتهم

واكثر أهل العريش فقرآء ولكن فيهم نحو ٣٠ عيناً يملك الواحد منهم من الإبل والأغنام والنخيل والأراضي الزراعية ما قيمتهُ ٥٠٠ جنيه الى ٣٠٠٠ جنيه . وانراهم : « الحاج كريم عبد الشافي. والحاج يوسف عبد الله الطنجير من العرائشية . والشيخ عطية الغول. والشيخ صبيح محمد من الفواخرية . والحاج محمد صالح البك واخوانهُ من الأغوات . وفريق الشرابجة » * وممن دخلوا خدمة الحكومة حديثاً وامتازوا فيها :

« طولسن بك عبد الشافي » من أولاد سليمان خدم معاوناً لثلاثة محافظين في العريش فكان لهم المرشد الامين الخبير الناصح فرُقي الى وظيفة في القطر المصري. وهو الآن مأمور مركز كوم حماده بمديرية البحيرة

«وأسعد افندي عَرَفات» من الكشّاف . مأمور ترحيلات الحربية بالقنطرة . وهو يلتهب غيرة على قومهِ وبلادهِ ودائم التفكُّر في ما يعود عليهم بالخير والاسعاد . وقد اشتهر في حادثة الحدود سنة ١٩٠٦ كما سيجيء

« وخالد افندي حسني » من مهاجري غزة . صراف نظارة العريش . وهو من الشبان الادباء النجباء ومن ذوي اليسار

هذا وعند انشآء الجمعية العمومية المصرية في أوّل مايو سنة ١٨٨٣ أعطي

للعريش حق النيابة فكان لها مع الاسماعيلية عضو واحد في الجمعية العمومية . وكان لها مع سائر محافظات القطر عضو واحد فى مجلس الشورى[1]. وفي ٦ يناير سنة ١٩٠٨ في آخر انتخاب للجمعية العمومية ، مثَّل العريش والاسماعيلية الشيخ عبد الوهاب سليمان من اولاد سليمان العرايشية . ولكن قانون الجمعية التشريعية الجديد الصادر في أول يوليو سنة ١٩١٣ اسقط العريش من المجلس وألحق الاسماعيلية ببور سعيد . وكانت بور سعيد ملحقة بالسويس فتفردت السويس بالعضوية وحدها

﴿ تاريخ العريش القديم ﴾

والعريش مدينة قديمة قائمة على انقاض مدينة للمصريين القدماء تدعى رينوكلورا أي مجذوم الأنف . قيل سميت كذلك لانها كانت منفى الذين حُكم عليهم بالاعدام واستُبدل الحكم بجذم الانف . وأما العريش فانهُ الاسم الذي أطلقهُ عليها العرب . والظاهر أن أهلها في القديم كانوا يسكنون في مظالّ من القش اليابس كما يفعل أهل البادية اليوم في الصيف فسميت محلتهم العريش . وهذا الاسم لا يزال يطلق هناك على مظال القش الى الآن . وذكر المقريزي في خططهِ مدينة العريش قال : « العريش مدينة فيما بين أرض فلسطين واقليم مصر . وهي مدينة قديمة من جملة المدائن التي اختطت بعد الطوفان » قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه « ان مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح (عم) كان غلاماً مرفَّهاً . فلما قرب من مصر بنى لهُ عريشاً من أغصان الشجر وسترهُ بحشيش الأرض ثم بنى لهُ بعد ذلك في هذا الموضع مدينة وسماها درسان أي باب الجنة فزرعوا وغرسوا الأشجار والجنان من درسان الى البحر فكانت كلها زروعاً وجناناً وعمارة»

«وقال آخر انما سميت بذلك لأن بيصر بن حام بن نوح تحمل في ولده وهم اربعة ومعهم أولادهم فكانوا ثلاثين ما بين ذكر وأنثى » وقدم ابنهُ مصر بن بيصر أمامهُ نحو أرض مصر حتى خرج من حد الشام فتاهوا وسقط مصر في موضع العريش وقد اشتدَّ تعبهُ ونام فرأى قائلاً يبشرهُ بحصولهِ في أرض ذات خير ودر وملك وفخر فانتبه فزعاً فاذا عليهِ عريش من أطراف الشجر وحولهُ عيون ماء فحمد الله وسألهُ

---

(١) بلغ عدد الناخبين بالعريش في انتخابات الجمعية العمومية، والتي تمت في يونيه ١٨٨٣ حوالي ٢٩٩ ناخباً . راجع: Egypt No.1(1884), Further Correspondence Respecting the Affairs of Egypt, Inclosure in No.18, p.13, No.19, p.34.

أن يجمعهُ بأبيهِ واخوتهِ وان يبارك لهُ في أرضهِ فاستجيب لهُ وقادهم الله اليهِ فنزلوا في العريش وأقاموا بهِ فأخرج الله لهم من البحر دواب ما بين خيل وحمُر وبقر وغنم وإبل فساقوها حتى أتوا موضع مدينة منف فنزلوه وبنوا فيهِ قرية سميت بالقبطية مافة يعني قرية ثلاثين. فنمت ذرية بيصر حتى عمَّروا الأرض وزرعوا وكثرت مواشيهم وظهرت لهم المعادن فكان الرجل منهم يستخرج القطعة من الزبرجد يعمل منها مائدة كبيرة ويخرج من الذهب ما تكون القطعة منهُ مثل الاسطوانة وكالبعير الرابض »

«وقال ابن سعيد عن البيهقي كان دخول اخوة يوسف وأبويهِ (عم) عليهِ بمدينة العريش وهي أول أرض مصر لأنهُ خرج الى تلقيهم حتى نزل المدينة بطرف سلطانهِ وكان لهُ هناك عرش وهو سرير السلطنة فأجلس أبويهِ عليهِ وكانت تلك المدينة تسمى في القديم بمدينة العرش لذلك . ثم سمتها العامة مدينة العريش فغلب ذلك عليها . ويقال انهُ كان ليوسف (عم) حرس في اطراف مصر من جميع جوانبها فلما أصاب الشام القحط وسارت اخوة يوسف لتمتار من مصر أقاموا بالعريش وكتب صاحب الحرس الى يوسف ان اولاد يعقوب الكنعاني يريدون البلد لقحط نزل بهم فعمل اخوة يوسف عند ذلك عرشاً يستظلون بهِ من الشمس حتى يعود الجواب فسُمي الموضع العريش وكتب يوسف بالاذن لهم ... » وفي سنة خمس عشرة وار بعماية طرق عبد الله بن ادريس الجعفري العريش بمعاونة بني الجرَّاح واحرقها وأخذ جميع من فيها » وقال القاضي الفاضل وفي جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وخمسماية ورد الخبر بأن نخل العريش قطع الفرنج أكثرهُ وحملوا جذوعهُ الى بلادهم وملئت منهُ ولم يجدوا مخاطباً على ذلك » ونُقِل عن ابن عبد الحكم ان الجفار بأجمعهُ كان أيام فرعون موسى في غاية العمارة بالمياه والقري والسكان وان قول الله تعالى « ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومهُ وما كان يعرشون » عن هذه المواضع . وان العمارة كانت متصلة منهُ الى اليمن ولذلك سميت العريش عريشاً . وقيل انها نهاية التخوم من الشام وان اليها كان ينتهي رعاة ابراهيم الخليل (عم) بمواشيهِ وانهُ (عم) اتخذ بهِ عريشاً كان يجلس فيهِ حتى تُحلب مواشيهُ بين يديهِ فسمي العريش من أجل

ذلك * وقيل ان مالك بن زعر بن حجر بن جديلة بن لخم كان لهُ اربعة وعشرون ولداً منهم العريش بن مالك وبهِ سميت العريش لأنهُ نزل بها وبناها مدينة * وعن كعب الأحبار ان بالعريش قبور عشرة من الانبياء » اه

وفي رحلة النابلسي: « ان العريش أول حدود مصر وآخر حدود الشام وفيها جوامع عامرة بداخل احدها قبر الشيخ محمد الدمياطي صاحب الولاية والتقريب تلميذ الشيخ نور الدين الدمياطي صاحب الدمياطية . وقد وصفها السيد محمد كبريت في رحلتهِ بقولهِ:

« ثم اتينا بعد للعريشِ وانهُ في ساحل وحيشِ
ما فيهِ الاَّ الرمل والبرغوث وليس فيهِ للغريب غوث
وفيهِ أيضاً قلعة وزاوية وبعض دور في فناها خاوية » اه

ثم بعد دخول مصر في حوزة الاتراك بنى السلطان سليمان الثاني القلعة الباقية الى هذا العهد . وفتحها نابوليون الأول في ١٨ فبراير سنة ١٨٩٩ عند قدومهِ لمصر فاسترجعها منهُ السلطان سليم الثالث في ١٧ نوفمبر من السنة نفسها . ثم لما دخلت مصر في حكم محمد علي باشا جدّ العائلة الخديوية الكريمة سنة ١٨٠٥ م . دخلت العريش وسيناء كلها في حكمهِ ايضاً كما سيجيء مفصلاً في باب التاريخ

﴿ قرية الشيخ زُوَيِّد ﴾

أما قرية الشيخ زويد فهي ثلة من المنازل في طريق العريش على نحو ١٨ ميلاً من مدينة العريش وعشرة أميال من رفح ونحو ميلين من شاطئ البحر * واهلها اخلاط من خان يونس والعريش جاؤوها منذ نحو خمسين سنة فأسسوها على انقاض بلدة قديمة العهد تدلُّ خرائبها على أنها كانت على جانب عظيم من المدنية والعمران

وأول من بنى فيها في هذا العهد الحاج احمد من أولاد سلوس أتاها من خان يونس وبنى فيها منزلاً ودكاناً للبيع والشراء على البدو وعابري السبيل ثم أتى « الزعران » من العريش ثم اولاد سلوس ايوب والسيد من خان يونس * وكلهم يتجرون بالبضائع التي تروج عند البدو وعابري السبيل . وكانوا أولاً يأتون بجميع بضائعهم من غزة .

وأما الآن فيأتون بالاقمشة والأعبئة من العريش وبالزيت والسيرج والصابون من غزة

وأما المدينة القديمة التي بنيت عليها هذه القرية فمعظم خرائبها وقبورها على ثلة الى الغرب والجنوب الغربي من القرية الحالية

﴿ قبة الشيخ زويد ﴾ والى شمالي البلدة على مقربة منها جبانة قديمة فيها « قبة الشيخ زويد » الذي بهِ سميت البلدة . ويدّعي السواركة أنهُ من أجدادهم ولكن سائر القبائل تنكر عليهم هذه الدعوى ويقولون أنهُ من الصحابة . يزور القبة عابروا السبيل والسواركة وغيرهم من بدو الجزيرة في كل سنة بعد الحصاد فيقيمون عندها الافراح ثلاثة أيام ويذبحون الذبائح ويولمون الولائم ويتسابقون على الخيل والهجن . قيل وقد اجتمع عندها في ٢٥ مايو سنة ١٩٠٦ نحو ٥,٠٠٠ نسمة وهم يزورونها الخميس صباحاً فيقضون نهار الخميس كلهُ وليلة الجمعة ثم يبدأون بالرحيل

وعلى باب القبة حجر من رخام عليه كتابة بالعربية هذه نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذه القبة المباركة ان شاء الله تعالى أمير اللوا الأمير محمد بك باش الخزين الواقف عليهِ حضرة علي احمد اغا وذلك فى شهر صفر سنة ١٠٦٣ » هـ اه يناير سنة ١٦٥٣م

وفي هذه الجبانة بجانب القبة قبر زايد ومزيد وأربعة قبور أخرى قديمة قيل انها قبور اخوة الشيخ زويد وعلى هذه القبور حجارة رخامية وحجارة عادية منحوتة مأخوذة من الخرائب القديمة * وللقبة شيخ يحافظ عليها وينيرها كل ليلة جمعة . ورأيت عليها سنة ١٩٠٦ محمد بن سليمان سلامة وهو في عشرة التسعين من عمرهِ فسألتهُ عن القبة فقال تهدمت بمرور الأيام فرممها جدي سلامة وأصلهُ من العريش ثم تهدمت فرممها أبي ونحن نعيش على الصدقات التي يتصدق بها زوار الشيخ

﴿ قبر صبح أبو لقيتة ﴾ وبين قبة الشيخ زويد والقرية جبانة حديثة فيها حجرة مبيضة حديثة العهد لصبح ابو لقيتة من عرب العائد بمصر . قيل ارتكب جريمة في أهلهِ فهجرهم وسكن بين السواركة ومات عن بنت وحيدة ومال كثير وقد بنوا لهُ هذه الحجرة قياماً بوصيتهِ

﴿ قبر عمير ﴾ وعلى نحو ميلين من هذا القبر شمالاً « قبر عُمَير » وهو قبر يزار

﴿ أبارها ﴾ وفي قرية الشيخ زويد بئر قديمة مبنية بالحجر الغشيم ماؤها ملح . وكانت القرية في أيام المغفور لهُ محمد علي باشا محطة للبريد الى سوريا كما سيجيُ

﴿ بئر حنظلة ﴾ وفي ساحل الشيخ زويد على البحر بئر تدعى بئر حنظلة حفرها السواركة وماؤها غزير وأعذب من بئر الشيخ زويد

﴿ مطلة الشيخ زويد ﴾ والى جانب هذه البئر شماليها اكمة عظيمة تدعى مطلّة الشيخ زويد عليها خرائب مدينة قديمة . وقد وجدت بين تلك الخرائب قطع من العملة النحاسية وقطع أساور زجاجية وغيرها من عهد اليونان والرومان والعرب

أخبرني الحاج احمد من اهالي الشيخ زويد انهُ كان على تلك الاكمة اثار نفيسة جداً . من ذلك معبد جميل فيهِ تمثال امرأة من الرخام الأبيض الجميل يشبه ان يكون تمثال مريم العذراء بقي الى ايام الثورة العرابية فحطمهُ العرب تحطيماً . وقد وجد احدهم في بعض القبور حلى ذهبية فنبشوا كل القبور وعاثوا بها وطمرت الكنيسة الرمالُ * وكانت هناك غرف مبلطة بالفسيفساء فلم يبق ما يدل على تلك الغرف الاَّ حجارة الفسفيساء المكعبة الصغيرة

﴿ قطية ﴾

« قطية » ومن بلاد العريش الشهيرة في طريق العريش على نحو ٢٦ ميلاً من القنطرة بلاد قطية وهي حدائق متسعة من النخيل عندها خرائب بلدة قديمة وقلعة وبئر مطوية بالحجر المنحوت وقد رمم البئر ابراهيم باشا في اثناء حملتهِ على سوريا ثم رممها عباس باشا الخديوي الحالي عند زيارتهِ العريش

وكانت قطية قبل فتح ترعة السويس تابعة لمديرية الشرقية فلما فتحت الترعة الحقت بالعريش[1] ولا تزال ويسكنها الآن عربان متبدّون يقيمون فيها بخيامهم واكواخ من سعف النخل في موسم البلح وبعد انتهاء هذا الموسم يرحلون بخيامهم وإبلهم وعيالهم الى مصر وسوريا للتعيش فيها كأهل العريش

---

(١) لم تلحق قطية بالعريش بعد افتتاح قناة السويس، بل ظلت ملحقة إدارياً بمديرية الشرقية، حيث ظهرت بالوثائق مشكلات تبعيتها الإدارية في عام ١٨٩٣، ومن المرجح أن تكون قد ضمت إلى العريش في عام ١٩٠٦ أثناء أزمة الحدود . صبري العدل، المرجع السابق، ص٢٥٠ .

وفي تقويم البلدان : « أنها على بعض يوم من الفرما »

وقال خليل الظاهري في كتابهِ « زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك » :
« ان قطية ليست من الأقاليم وانما هي بمفردها وهي مزم الدرب حتى لا يمكن التوصل الى الديار المصرية الا منها وبها حرسية ونخيل كثيرة ولها ميناء وهي الطينة على شط البحر المحيط وعمر هناك الملك الأشرف تغمده الله برحمتهِ برجين ويصب من هناك فرقة من بحر النيل » اه

وفي رحلة النابلسي : « قطية بفتح القاف بعدها طاء مهملة ساكنة هي مكان اخذ المكوس من كل من يمر من ذلك الطريق فيأخذ الكاشف من جهة الأجناد المصرية خفارة الأموال والخيل والدواب التي للتجار وغيرهم ممن يمر في تلك البرية .
قال السيد محمد كبريت :

والظلم في قطية كل الظلم ... يضرب في الأمثال بل في النظم
قد أنشأ الظلم بها هنادُ ... وقام في مقامهِ الأوغادُ

﴿ مركز البوليس في رفح ﴾

وبنى محافظ سيناء سنة ١٩٠٧ مركزاً للبوليس في رفح قرب عمودي الحدود . وهو مؤلف من مكتب فيهِ اربع غرف ودار مسقوفة ولهُ سور ضلعهُ الشرقية على خط الحد الشرقي . وبنى بقربهِ مساكن للبوليس الهجانة فيها عشر غرف . ومنزل لوكيل الناظر ومناخ للإبل ومدّ اليهِ خط التليفون من العريش . وكل هذه الأبنية شرقي طريق العريش الى غزة وانشأ غربي الطريق حديقة للخضر واشجار الفاكهة كاللوز والمشمش وحفر فيها بئراً

﴿ الجمعية الصهيونية في رفح ﴾ وحضر حديثاً بعض رجال الجمعية الصهيونية الى رفح واشتروا من أهلها بعض الأراضي بقصد تأسيس مستعمرة لهم هناك . وكان بعض تلك الأراضي للحكومة وبعضها منازع على ملكيتهِ فلم يثبت لرجال الجمعية من الارض ما يكفي لانشاء مستعمرة فوقف عملهم [1]

---

(١) هذه المحاولة الصهيونية حدثت عام ١٩٠٨م، وهي المحاولة الوحيدة التي أشار إليها شقير، وقد سبقها محاولات أخرى أهمها مشروع العريش الذي تبناه تيودور هرتزل في عام ١٩٠٣، والمحاولة التي قام بها بول فريدمان في عام ١٨٩٢ لإحياء دولة مدين.



شكل ٤٠ : مركز البوليس في رفح

﴿ آثار رفح القديمة ﴾ ومركز رفح هذا قائم على انقاض مدينة رفح القديمة على ٢٨ ميلاً من مدينة العريش و ٥ أميال عن خان يونس و ١٨ ميلاً من غزة . وهي مدينة « رافيا » التي ذكرها المؤرّخ يوسيفوس أنها أول محطة سورية استراح فيها تيتوس في طريقهِ لمحاصرة القدس سنة ٧٠ ب . م . وقد تقدم ان رفح هذه كانت في أكثر العصور التاريخية الحدّ بين مصر وسوريا . وان فيها انتصر بطليموس الرابع ملك مصر على انطيوخوس الكبير ملك سوريا في واقعة كبيرة سنة ٢١٧ ق . م . وانتصر سرجون ملك أشور على سباقون ملك مصر في أوائل القرن الثامن قبل الميلاد وسنأتي على ذلك تفصيلاً في باب التاريخ

وقال المهلبي سنة ٥٧٥ هـ ١١٧٩ م : « رفح مدينة عامرة فيها سوق وجامع ومنبر وفنادق واهلها من لخم وجذام وفيهم لصوصية واغارة على امتعة الناس حتى ان كلابهم أضر كلاب الأرض بسرقة ما يسرق مثلهُ الكلاب ولها والي معونة برسمهِ عدة من الجند * ومن رفح الى مدينة غزة شجر جميز مصطف من جانبي الطريق عن اليمين والشمال نحو ألف شجرة متصلة اغصان بعضها ببعض مسيرة نحو ميلين وهناك منقطع رمالِ الجفار ويقع المسافرون في الجلد * وكان فتحها فيما فتح من مدن الشام

على يد عمرو بن العاص في خلافة عمر بن الخطاب ولها ذكر في اخبار الصليبية »

وقال ياقوت الحموي الذي توفى سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٩ م : « رفح منزل في طريق مصر بعد الدارم بينهُ و بين عسقلان يومان لقاصد مصر . وهو أول الرمل . خرب الآن تنسب اليهِ الكلاب ولهُ ذكر في الاخبار » اه

قلت ولا تزال خراباً وارضها تزرع شعيرًا . وقد طمرت الرمال معظم آثارها وعبث الزمان والسياح والعربان بالباقي . ومع ذلك فالقليل الظاهر فوق الارض من خرائبها يدلُّ على ما كانت عليهِ قديماً من الثروة والعز * واشهر آثارها الباقية الى الآن:

« عمد من الغرانيت الأسود والسماقي * وكثيرٌ من حجارة البناء الصلبة * وكِسَر آنية الفخار والزجاج على أنواعها * والفُسيفساء * وهرابات الماء * وقطع النقود الفضية والنحاسية والزجاجية من عهد الرومان والبيزنتيين والدول الاسلامية الأولى * وآبار قديمة وحديثة * وجبانة قديمة وقبور أولياء . ومما يذكر من تلك الآثار :

﴿ بئر رفح ﴾ وهي بئر قديمة العهد مطوية بالحجر المنحوت قطرها نحو عشر اقدام وعمقها نحو عشر قامات وماؤها غزير صالح للشرب لكنهُ مائل الى الملوحة وفيهِ علق صغير . وكانت البئر قد ردمت فطهَّرها اهل خان يونس منذ نحو ٣٠ سنة وزرعوا الأرض التي تجاورها شعيرًا . وقد جعلوا على البئر عمودين من عمد رفح القديمة لتضييق فمها وتقليل خطر السقوط فيها. وقد دخلت هذه البئر في حدّ الدولة العلية

و بين بئر رفح والبحر المتوسط كثبان عظيمة من الرمال تسفي رياح البحر منها الى الأرض الزراعية فتبتلعها تدريجاً وأهلها لا يبدون أقلّ حركة لايقافها عند حدّها . ويتخلَّل تلك الكثبان خرائب أبنية قديمة وكسر فخار وزجاج ممَّا دل على ان عمرانها كان يمتد الى شاطئ البحر المتوسط

﴿ وبئر رُفَيح ﴾ وهي بئر حديثة العهد احتفرها الرميلات في وسط الكثبان المشار اليها على نحو ميلين الى الجنوب الغربي من بئر رفح . وقد دخلت في حدّ مصر ورممها محافظ سيناء سنة ١٩٠٧

﴿ عامودا الحدود والسدرة ﴾ وعلى نحو ٣٦٠ مترًا الى الجنوب الغربي من

بئر رفح سدرة كبيرة كان عن جانبيها عمودان من الغرانيت الأسمر عُرفا بعمودي الحدود طول كل منهما سبع أقدام ومحيطهُ نحو ثلاث أقدام الواحد الى جهة الشام والآخر الى جهة مصر . وقد كوّنا مع أصل السدرة مثلثاً متساوي الأضلاع طول كل ضلع منها نحو خمسة أمتار (انظر شكل ٤) . ولما زار سمو الخديوي الحالي رفح سنة ١٨٩٨ نقش تاريخ زيارتهِ على العمود الذي الى جهة مصر[1] فلما كانت حادثة الحدود سنة ١٩٠٦ ازال الجنود التركية العمودين من مكانهما وطمروهما في الرمال بعد ان حطموا أحدهما تحطيماً . فلما جاءت اللجنة لتعيين الحدود أبقت على هذا الحدّ ونصبت في مكان العمودين المذكورين عمودين غرانيتيين آخرين من عمد رفح القديمة احدهما كامل والآخر قطعة من عمود كما سيجيء مفصلاً في باب التاريخ

قال محمد ابراهيم صاحب السدرة : « إنهُ كان تحت السدرة قديماً عدة عمد بينها عمود عليهِ كتابة أعجمية فنقلهُ بعض النصارى بحراً حوالي سنة ١٨٤٥ م » . وعلى نحو مئة متر غربي البئر والسدرة تل رملي مسطح يدعى تل رفح عليهِ خرائب أبنية قديمة . وقد اخبرني ثقة من بدو رفح انهُ كان عليهِ تمثال من الرخام وبلاطة كبيرة عليها كتابة أعجمية وغيرها من الآثار النفيسة فنقلت الى الاستانة منذ عهد غير بعيد

﴿ كوخ التلغراف ﴾ وعلى نحو ٦٠٠ متر جنوبي السدرة ، عند ملتقى طريق العريش الى غزة وطريق الرميلات الى بئر رُفَيح ، غرفتان صغيرتان من الطوب النيء ، بنتهما مصلحة التلغراف المصرية لمفتشي الخط على الحدود وأطلق عليهما « كوخ التلغراف »

﴿ قبر الشيخ سليمان الرفحي ﴾ و بين عمودَي الحدود و بئر رفح ضريح الشيخ سليمان الرفحي المشهور بكراماتهِ وعجائبهِ . قال محمد ابراهيم صاحب السدرة : « كان الناس يزورون هذا الضريح وينيرونهُ بالشموع الى سنة ١٨٩٩ اذ قدم ضابط تركي وهدم الضريح الى الأرض ليمنع الناس من زيارتهِ فمرض الضابط على الأثر . فظن البدو ان صاحب القبر يميتهُ ولما لم يمتهُ ذهب اعتبارهُ من قلوبهم وعدلوا عن زيارتهِ من ذلك الحين . أما الضابط فانهُ بعد شفائهِ أعاد بناء الضريح وذبح لهُ . وهذا الشيخ هو حارس البئر يحمي الناس من السقوط فيها واذا سقطوا حماهم من الموت غرقاً !

---

(١) تشير إحدى الوثائق المؤرخة بعام ١٨٨٢ إلى وجود هذين العامودين، وبأنهما منصوبين عند رفح من قديم الزمان وبينهما شجرة سدر وهي تمثل الحد الفاصل بين الممتلكات المصرية والممتلكات العثمانية في الشام . صبري العدل، المرجع السابق، ص٤٨ .

﴿ هرابة رفح ﴾ وعلى نحو ميل من بئر رفح الى الجنوب الشرقي منها هرابة قديمة مبنية بالحجر والكلس على شكل الجرَّة أي انها ضيقة الفم منفوخة البطن ولها قناة تتصل اليها من أعلى التلة المحفورة فيها مما دلّ على أنها مصنوعة لخزن مياه الأمطار

ومن الآثار التي عثرت عليها في رفح : قطعة من تمثال صغير من الرخام الابيض الناصع وهو تمثال فارس بيدهِ رمح ولعلَّهُ مار جرجس يطعن التنين كما في الصورة التي نراها في كنائس النصارى الشرقية . وقطعة تمثال آخر صغير من الرخام يشبه أن يكون تمثال مريم العذرآء . وقطعة من حجر طباشيري عليهِ كتابة باليوناني القديم كما في العوجآء . وأنواع كثيرة من النقود النحاسية القديمة

﴿ ضواحي رفح ﴾

﴿ الفقيرة ﴾ وعلى نحو ميل ونصف ميل جنوبي بئر رفح شجرتا سدر قديمتا العهد جدًّا يقال لكل منهما الفقيرة تزورهما نسآء البادية وينذرنَ لهما النذور وهما قائمتان على تل مرتفع يُرَى منهُ جبل الحلال في الجنوب وجبل الخليل في الشرق البحت

﴿ ام عَمَد ﴾ وعلى نحو ميل ونصف ميل جنوبي الفقيرة خرائب « ام عمد » سميت كذلك لكثرة العُمد في خرائبها وأهمُّ ما هو ظاهر منها الآن : عمودان كبيران من الغرانيت الرمادي احدهما مكسور . وعمود من الرخام الأبيض . ومطارة لخزن الغلال مبنية بالحجر والكلس . وهرابة للمآء كهرابة رفح * وعلى نحو ٩ أميال جنوبي ام عمد « خربة الرطيل » في شمال الجورة المار ذكرها

﴿ قبر الغَبي ﴾ وعلى نحو ميلين الى الجنوب الشرقي من بئر رفح قبر الغبي وهو ضريح قديم مدرَّج . وحول الضريح شجر شائك عُلّق فيهِ سرُج الزيت لإنارة الضريح . وأهل البلاد ينذرون لهُ النذور ويذبحون لهُ الذبائح

﴿ قبر القبَّة ﴾ على نحو ساعة من قبر الغبي جنوباً وهو قبر يزار

﴿ وقبر الشيخ حَسن ﴾ على نحو خمسة أميال الى الجنوب الشرقي من بئر رفح بجوار كرم مصلح وهو قبر قديم مدرج كقبر الغُبي

﴿ بقية آثار بلاد العريش ﴾

١ · على طريق الفرما

تبدأ الطريق المعروفة الآن « بطريق الفرما » من القنطرة شرقي ترعة السويس فتتبع فرع النيل البليوسي الذي جف شمالاً بشرق الى قرب مصبهِ بالبحر المتوسط عند رأس بحيرة بردويل الغربي . ثم تدخل شرقاً في ذراع مرتفعة من البرّ بين بحيرة بردويل والبحر المتوسط الى ان تخرج من البحيرة فتتبع شاطيء البحر الى ميناء رفح. وهذه أقدم طرق مصر الى سوريا وقد كانت قديماً عامرة بالمدن والحصون والابراج فلما جف الفرع البليوسي خربت المدن والحصون خراباً تاماً وفُتِحت طريق البر المعروفة « بطريق العريش » وقل استعمال طريق الفرما . ثم بتقدم الملاحة قلّ استعمال طريق العريش ايضاً كما سيجيء . وأشهر الخرائب الباقية الى الآن على طريق الفرما أو التي تنحرف عنها قليلاً : « التل الأحمر . تل حَبوَة . تل هُرُبَّة . تل الحير . تل الفضة . تل الذهب . المحمدية . قلعة الطينة . قلعة مفرّج . الفرما . تل القلس . الفلوسيات . الخوَينات . البزَك . عسلوج »

﴿التلّ الأحمر﴾ أما التل الاحمر فعلى نحو ميلين شرقي القنطرة على يمين المسافر سُمّي كذلك لان عليهِ خرائب متسعة من القرميد الاحمر وعليهِ كثير من الحجارة الأثرية والعمد . قيل وفيهِ خرائب هيكل من بناء ستي الأول ورعمسيس للاله « هورس » . وبقايا معسكر روماني وجد فيهِ بعض البحّاثين كتابة باللاتينية للامبراطورين ديوقليشيان ومكسيميان

مررتُ بهذا التل سنة ١٩٠٧ فرأيت عليهِ حجراً هيروغليفياً مطموراً بالرمال وحجر طحن كبير من الغرانيت الاسود . ورأيت في شرق القنطرة على نحو ميل من الترعة حجراً كبيراً من الصوان الأحمر لهُ أربعة أوجه ملأى بالكتابة الهيروغليفية. قيل نقلهُ اليها الموسيو ده لسبس فاتح الترعة فى زمن المغفور لهُ سعيد باشا بقصد أخذهِ الى فرنسا وقد دفعت الحكومة الفرنساوية ستة آلاف جنيه ثمناً لهُ فرفضت الحكومة

المصرية بيعهُ . فبقي في القنطرة الى أن نقلتهُ شركة الترعة الى حديقتها بالاسماعيلية في اكتوبر سنة ١٩٠٩ * وفي يونيو سنة ١٩١١ كان اسماعيل افندي المفتي مهندس المحافظة سابقاً يفتش في جوار التل الاحمر عن حجارة للبنآء فعثر على جبانة قديمة دلّ عليها مصلحة الآثار المصرية فوجدت فيها توابيت من الحجر عليهــا كتابة بالهيروغليفية وقد نقلت بعضها الى المتحف المصري بالقاهرة

﴿ تل حَبْوَة ﴾ أما تل حبوَة ففي طريق العريش على يمين المسافر بطريق الفرما وعلى نحو ساعة ونصف ساعة شرقي القنطرة وعليهِ خرائب برج حديث بالطوب الأحمر

﴿ تل هُرُبَّة ﴾ في طريق الفرما على نحو ساعة ونصف ساعة من التل الاحمر وعليهِ خرائب قلعة قديمة بالحجر المقصوب لم يبق ظاهراً منها الاّ أساسها

﴿ تل الحِيْر ﴾ على طريق الفرما على نحو ساعة وربع ساعة من تل هُرُبَّة . وهنالك خرائب قلعة عظيمة ومنازل بالطوب الأحمر من الأجيال الوسطى

﴿ تل الفضة ﴾ على طريق الفرما على نحو ساعة ونصف ساعة من تل الحير وفي جوارهِ « تل الذهب » وعلى كل منهما خرائب برج وأبنية قديمة

﴿ المحمديّة ﴾ وهي خرائب مدينة فخمة قديمة العهد مبنية بالحجر المنحوت والطوب الأحمر على شاطئ البحر المتوسط على نحو ساعة وثلثي الساعة من تل الفضة . وهنالك قصر جميل بحمامات على أجمل طرز قائم على تل مرتفع . وجبانة شمالي التل فيها قبور كثيرة حسنة الصنع . وقد تحوّل البحر على تلك الخرائب فغمر اكثرها ولا يزال يحمل على الباقي

﴿ قلعة الطينة ﴾ أما قلعة الطينة فقائمة على فم الفرع البليوسي على نحو ساعتين غربي المحمدية وأقل من ساعتين شمالي تل الفضة وبينها وبين تل الفضة خرائب الفرما الآتي ذكرها . وهي من بنآء الأجيال الوسطى وقد بقيت عامرة تخفرها العساكر الى عهد قريب . وقد عثرت على كتاب مع بعض أهل العريش مؤرخ ١٢ الحجة سنة ١١٤٠ هـ ٢٠ يوليو سنة ١٧٢٨ م يستدلُّ منــهُ ان الطينة كانت في ذلك التاريخ عامرة بالعساكر . ويستدلُّ مما كتبهُ المستر وِتْمن الذي رافق الجيش العثماني

لاخراج الفرساويين من مصر في أوائل القرن الغابر ان قلعة الطينة كانت لا تزال عامرة وفيها حامية * والذي يعلمهُ أهل العريش ان حاميتي قطية والطينة نقلتا من عهد غير بعيد الى قلعة العريش . ثم الغيت قلعة العريش حوالي سنة ١٨٤٠ كما مرَّ

﴿ قلعة مُفَرّج ﴾ ويقال لها ايضاً قلعة البلاَّح على نحو ساعتين غربي قلعة الطينة في طريق بور سعيد من الفرما . وهي قائمة على فم فرع النيل المعروف بطِيتَنِك الذي جفَّ وهي الآن مهجورة كقلعة الطينة

﴿ الفَرَما ﴾ وهي خرائب مدينة متسعة وقلعة عظيمة مبنية بالطوب الأحمر والحجارة المنحوتة والعمد الغرانيتية . واقعة على ضفة الفرع البليوسي اليمنى بالقرب من مصبهِ بالبحر المتوسط وهذا الفرع قد جفَّ من عهد بعيد . وهي مرتفعة قليلاً عن الطريق المنسوبة اليها الآن على نحوِ ميلين من تل الفضة شمالاً ومثل ذلك من قلعة الطينة جنوباً وعلى نحو ساعتين من المحمدية وست ساعات من بور سعيد بسير الإبل. وكانت قديماً من أشهر مدن مصر البحرية واكثرها عمارة . وكانت عرضةً لغارات الأمم المهاجمة برًّا و بحراً لوقوعها على شاطئ البحر المتوسط وأقصى فروع النيل الشرقية. وقد طالما وقف ملوك مصر فيهـــا لرد هجمات الغزاة من الاشوريين والفرس والسوريين والعرب والصليبيين الافرنج كما سيجيء بالتفصيل * ويدل تاريخ هذه المدينة انها عريقة جدًّا في القدمية . وان أهلها الاصليين كانوا من البحارة الفينيقيين. وان بسامتيك الاول (٦٦٤ ق . م) استخدم لحمايتها مسترزقة اليونان وأقطعهم أرضاً بالقرب منها وكان لهم في البحر مرافئ لمراكبهم . ولعلَّ الارض التي أقطعهم اياها هي في موضع خرائب المحمدية المتقدم ذكرها

وظن بعض المحققين أنها «سين» المذكورة في سفر حزقيال النبي الذي بدأ نبوتهُ في بابل سنة ٥٩٤ ق . م (ص٣٠ عد١٥): « واسكب غضبي على سين حصن مصر واستأصل جمهور نو . وأضرم ناراً في مصر . سين تتوجَّع توجُّعاً ونو تكون للتمزيق » هذا وقد عرفت عند اليونان باسم بلوسيوم واليها نسب فرع النيل القائمة عليهِ

كما مرَّ * وعرفت عند القبط باسم فرومى ومنهُ أخذ العرب اسم الفرما وهو الاسم المعروفة بهِ الى هذا اليوم * قيل وانها وطن بطليموس الفلكي الشهير * وانهُ كان في شرقيها قبر پمپيوس الذي أقام عمود السواري بالاسكندرية * وفي تاريخ الكنيسة انهُ قد تنسك فيها القديس ابماخس الشهيد . ثم انحدر الى الاسكندرية في عهد الامبراطور داكيوس فقبض عليهِ ابليانوس الحاكم وقتلهُ سنة ٢٥١ ب م * وفي عهد الامبراطور ثيودوسيوس الثاني (٤٠٩ : ٤٥٠ . ب . م) قام فيها عالم من علماء النصرانية يدعى ايسودورس فكتب عدة مقالات في الدين وجَّهها الى اعدائهِ وأحِبَّائهِ

وفي طريق الفرما سار عمر بن العاص لفتح مصر سنة ١٩ ﻫ ٦٤٠م فنزل العريش ثم أتى الفرما وبها على رواية البلاذري المتوفي سنة ٢٧٩ ﻫ ٨٩٢م قوم مستعدون للقتال فحاربهم فهزمهم وحوى عسكرهم ومضى الى الفسطاط . والفرما كان حصناً على ضفة البحر يُحمَل اليهِ ماء النيل بالمراكب من تنيس ويخزن أهلهُ ماء المطر في الجباب . وكان بعض أهلهِ قبطاً وبعضهم من العرب . وقد ورد ذكرهُ كثيراً في شعر أهل القرون الاولى . وفي الفرما ارق الخليفة المأمون (رضهُ) لما سار الى مصر فبات فيها وقد ذكر بغداد ونعيمها وقصورها فقال :

أَلَمِيلُكَ كان بالميدا ... نِ اقصر منهُ بالفرما
غريب في قري مصر ... يعاني الهمّ والسَّدَما

وهي التي عناها ابو نواس بقولهِ :

طوالب بالركبان غزة هاشم ... وبالفرما من حاجهنَّ شُقُورُ

وذكر المقريزي الفرما قال : «قال البكري الفرما ، بفتح اوله وثانيه ممدود على وزن فعلاء وقد يقصر ، مدينة تلقاء مصر * وقال ابن خالويه في كتاب ليس : الفرما هذه سميت باخي الاسكندر وكان يسمي الفرما وكان كافراً وهي قرية أم اسماعيل بن ابراهيم انتهى . ويقال اسمهُ الفرما بن فيلقوس ويقال فيه فليس ويقال بليس . وكانت الفرما على شط بحيرة تنيس وكانت مدينة حصينة وبها قبر جالينوس الحكيم . وبنى بها المتوكل على الله حصناً على البحر تولى بناءه عنبسة بن اسحق امير مصر في سنة

تسع وثلاثين ومايتين (٨٥٣ م) عند ما بنى حصن دمياط وحصن تنيس . وانفق فيها مالاً عظيماً . ولما فتح عمر بن العاص عين شمس انفذ الى الفرما ابرهة بن الصباح فصالحهُ اهلها على خمسمائة دينار هرقلياً واربعمائة ناقة والف راس من الغنم فرحل عنهم الى البقارة * وفي سنة ثلاث واربعين وثلاثمائة (٩٥٤ م) نزل الروم عليها فنفر الناس اليهم وقتلوا منهم رجلين . ثم نزلوا في جمادى الاولى سنة تسع وأربعين وثلثمائة (يونيو ٩٦٠ م) فخرج اليهم المسلمون وأخذوا منهم مركباً وقتل من فيهِ واسروا عشرة * وقال اليعقوبي الفرما اول مدن مصر من جهة الشمال وبها اخلاط من الناس وبينها وبين البحر الأخضر ثلاثة أميال * وقال ابن الكندي : ومنهـا الفرما وهي اكثر عجائب واقدم أثاراً من غيرها ويذكر أهل مصر أنهُ كان منها طريق الى جزيرة قبرس في البرّ فغلب عليها البحر ويقولون أنهُ كان فيما غلب عليهِ البحر مقطع الرخام الابلق وان مقطع الأبيض بلوبية

« وقال يحيي بن عثمان كنت ارابط في الفرما وكان بينها وبين البحر قريب من يوم يخرج الناس والمرابطون في اخصاص على الساحل ثم علا البحر على ذلك كلهِ

« وقال ابن قديد وجّه ابن المدبر ، وكان بتنيس ، الى الفرما في هدم ابواب من حجارة شرقي الحصن احتاج أن يعمل منها جيراً فلما قُلع منها حجر أو حجران خرج أهل الفرما بالسلاح فمُنعوا من قلعها وقالوا هذه الابواب التي قال الله فيها على لسان يعقوب (عم) : « يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة ». والفرما بها النخل العجيب الذي يثمر حين ينقطع البسر والرطب من سائر الدنيـا فيبتدئ هذا الرطب من حين يلد النخل في الكوانين فلا ينقطع اربعة اشهر حتى يجيء البلح في الربيع وهذا لا يوجد في بلد من البلدان لا بالبصرة ولا بالحجاز ولا باليمن ولا بغيرها من البلدان ويكون في هـذا البسر ما وزن البسرة الواحدة فوق العشرين درهماً وفيهِ ما طول البسرة نحو الشبر والفتر

« وقال ابن المأمون البطايحي في حوادث سنة تسع وخمساية (١١١٥ م) : ووصلت النجابون من والي الشرقية تخبر بأن بغدوين ملك الفرنج[1] وصل الى أعمال

---

(١) هو بلدوين ملك بيت المقدس المتوفي في بالعريش في عام ١١١٨م .

الفرما فسيَّر الأفضل بن أمير الجيوش للوقت الى والي الشرقية بأن يسير المركزية والمقطعين بها وسير الراجل من العطوفية وأن يسير الوالي بنفسهِ بعد أن يتقدم الى العربان بأسرهم بأن يكونوا في الطوالع ويطاردوا الفرنج ويشارفوهم بالابل قبل وصول العساكر اليهم. فاعتمد ذلك ثم أمر باخراج الخيام وتجهيز الاصحاب والحواشي فلما تواصلت العساكر وتقدمها العربان وطاردوا الفرنج وعلم بغدوين ملك الفرنج ان العساكر متواصلة اليهِ وتحقق ان الإقامة لا تمكنهُ أمر أصحابهُ بالنهب والتخريب والإحراق وهدم المساجد فأحرق جامعها ومساجدها وجميع البلد وعزم على الرحيل فأخذه الله سبحانهُ وتعالى وعجَّل بنفسهِ الى النار فكتم أصحابهُ موتهُ وساروا بعد أن شقوا بطن بغدوين وملأوه ملحاً حتي بقي الى بلاده فدفنوهُ بها . وأما العساكر الاسلامية فانهم شنُّوا الغارات علي بلاد العدو وعادوا بعد أن خيَّموا على ظاهر عسقلان...

وبلغ المنفق في هذه النوبة على ذهاب بغدوين وهلاكهِ مابة ألف دينار .

وفى شهر رجب سنة خمس واربعين وخمسمائة (اكتوبر ١١٥٠ م) نزل الفرنج على الفرما في جمع كبير وأحرقوها ونهبوا أهلها . وآخر أمرها ان الوزير شاور خربها لما خرج منها متوليها ملهم اخو الضرغام (حوالي سنة ٥٦٠ﻫ ١١٦٥م) فاستمرت خراباً لم تعمر بعد ذلك . وكان بالفرما والبقارة والورّادة من عرب جذام يقال لهم القاطع...

وقال ابن الكندي وبها مجمع البحرين وهو البرزخ الذي ذكره الله عز وجل فقال مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان . وقال وجعل بين البحرين حاجزاً وهما بحر الروم وبحر الصين والحاجز بينهما مسيرة ليلة ما بين القلزم والفرما وليس يتقاربان في بلد من البلدان اقرب منها بهذا الموضع وبينهما في السفر مسيرة شهور» اه

﴿ تل القلس ﴾ أما تل القلس فهو كثيب عظيم من الرمال على نحو سبع ساعات الى الربع من المحمَّدية . وهو يمتد نحو ميلين على شاطئ البحر ويعلو نحو ثمانين قدماً عن سطح البحر . وفي شرقيهِ خرائب بلدةٍ قديمة طمرتها الرمال . أخبرني البدو أنهم وجدوا فيها قطعاً كثيرة من النقود والفسيفساء . وفي وسط التل تجويف عظيم فيهِ

بئر عذبة المآء أعلى من سطح البحر . ويسكن القلس الآن بعض العرب الأخارسة بخيامهم ولهم فيهِ بعض نخيل

﴿ الفلوسيّات ﴾ أما الفلوسيات فهي خرائب بلدة قديمة مبنية بالحجر المنحوت على نحو سبع ساعات شرقي القلس ونحو نصف ساعة الى الجنوب من فم بحيرة الزرانيق. وفيها وجد أهل البلاد كثيرًا من النقود النحاسية أو الفلوس وهذا على الأرجح سبب تسميتها بالفلوسيات . والظاهر مما كتبهُ مؤرخو العرب أنها خرائب بلد الورَّادة

قال المقريزي تحت عنوان « أرض الجفار » : « اعلم ان الجفار اسم لخمس مدائن وهي الفرما . والبقارة . والورادة . والعريش . ورفح * والجفار كلهُ رمل وسمي بالجفار لشدة المشي فيهِ على الناس والدواب من كثرة رملهِ وبُعد مراحلهِ . والجفار تجفر فيهِ الإبل فاتخذ لهُ هذا الاسم كما قيل للحبل الذي يعقل بهِ البعير عقال... واشتقت البقارة من البقر . والورادة من الوريد . والعريش أُخذ من العرش وقيل ان رفح اسم جبل» اه

وقال المقريزي تحت عنوان « بلد الورّادة » : « الورادة من جملة الجفار. قال عبيد الله ابن عبد الله بن خرداويه في كتاب المسالك والممالك : وصفة الطريق والأرض من الرملة الى أزدود اثنا عشر ميلاً. ثم الى غزة عشرون ميلاً. ثم الى العريش اربعة وعشرون ميلاً في رمل . ثم الى الورادة ثمانية عشر ميلاً . ثم الى ام العرب عشرون ميلاً . ثم الى الفرما اربعة وعشرون ميلاً . ثم الى جرير ثلاثون ميلاً . ثم الى القاصرة أربعة وعشرون ميلاً. ثم الى مسجد قضاعة ثمانية عشر ميلاً. ثم الى بلبيس احد وعشرون ميلاً. ثم الى الفسطاط مدينة مصر أربعة وعشرون ميلاً * وقال جامع تاريخ دمياط : « ولما افتتح العرب المسلمون الفرما بعد ما افتتحوا دمياط وتنيس ساروا الى البقارة فأسلم من بها . وساروا منها الى الورَّادة فدخل أهلها في الاسلام وما حولها الى عسقلان * وقال القاضي الفاضل في متجددات شهر المحرم سنة سبع وستين وخمساية (١١٧١م): « وصابحنا الورَّادة فبتنا على ميناء الورّادة ودخلنا الورَّادة فرأيت تاريخ منارة جامعها سنة ثمان وأربعمائة (١٠١٧م) واسم الحاكم بأمر الله عليها . والورّادة من جملة الجفار ويقال اخذ اسمها من الورود ولم يزل جامعها عامراً تقام بهِ الجمعة الى ما بعد السبعمائة

(١٣٠٠م) . وبلد الورّادة القديمة في شرقي المنزلة التي يقال لها اليوم الصالحية وبها آثار عمائر ونخل قليل » اه

﴿ الخُوَينات ﴾ أما الخوينات فهي خرائب بلدة قديمة على نحو نصف ساعة جنوبي الفلوسيات وهي في درب الطوايات من دروب العريش التي غمرتها حديثاً بحيرة البردويل المتقدم ذكرها

﴿ قبر الساعي ﴾ وبجانبها قبر يدعى قبر الساعي . رُوِي أنهُ كان في الخوينات ساعٍ شغف بحب بنت من أهل قريتهِ تدعى عائشة وأبت أن تتزوَّجهُ الاَّ اذا أتاها «بزلابية سخنة» من غزَّة فذهب الى غزة واشترى الزلابية وعاد مسرعاً الى حبيبتهِ وكان كلما سار شوطاً يجسّ الزلابية فيجدها سخنة وبقي حتى أشرف على البلدة فجس الزلابية فوجدها باردة فاغتمّ لذلك وسقط في الأرض ميتاً فدفنوهُ في مكانهِ وجعلوا فوق قبره رجماً من الحجارة . ومن ذلك الوقت كلما مرّ مسافر بالقبر رماهُ بحجر وقال :

« الحبُّ يا قلب من قبلك رمى الساعي   وان كنت رجّال طيّب تفهماً وجاعي »

﴿ تل البزك ﴾ وعلى نحو خمس ساعات ونصف ساعة من الفلوسيات تل البزَك القائمة عليهِ قبة النبي ياسر . وعلى مثل هذه المسافة من تلّ البزَك شمالاً مطلّة الشيخ زويد وقد مرَّ ذكرها . وقد كان في شمالي تلّ البزك بلدة صغيرة قديمة العهد طمرتها الرمال فكشفها الموسيو كليدا ، من رجال شركة القنال الموكل بالبحث عن الآثار في شهر فبراير سنة ١٩١٣ فوجد بعض الغرف قد بُلّطت بالفسيفساء ورُسم بها صورة ملكة تحتها أربعة أسطر باللاتينية . وبجانب البلدة مقبرة مبنية بالحجر المنحوت فيها ١٢ قبراً في صفين في كل صف ستة قبور وللمقبرة سور متين من حجر

﴿ عسلوج ﴾ أما عسلوج فعلى شاطئ البحر على نحو ساعة الاّ ربع شمالي مطلة الشيخ زُوَيد . وهناك بئر حديثة العهد تدعى بئر عسلوج . وبجانبها تلة عليها خرائب مدينة قديمة العهد بناؤها بالطوب النيء والمحرق والحجارة المنحوتة والرخام . وقد وجدتُ على تلك التلة كثيراً من النقود النحاسية الرومانية والبيزنتية والاسلامية . وكثيراً من كسر آنية الزجاج الأخضر المطلي بالذهب والفضة . والمسامير الحديدية

الضخمة كالتي تستعمل في البوابات العظيمة . ووجدت مثل ذلك على تل ميناء رفح على نحو ساعتين شمالي عسلوج وعلى غيره من التلال بين رفح والفرما

قال أيوب سالم من سكان الشيخ زويّد وهو مصدّق ما يقول : « كانت هذه البلاد تسمى مدائن الزعقات . والسبب في وجودها على رؤوس التلال أنهُ لم يكن البحر المتوسط من قبلُ وكانت أرضهُ عامرة ملأى بالمدن والقرى وكلها خاضعة للملكة هيلانة . فوقعت حرب بينها وبين الاسكندر وأخذتهُ أسيراً فتوسل اليها أن تطلقهُ من الأسر فقالت اذا أنا أطلقتك عدت الى محاربتي فاقسم لها بشرفهِ الاّ يعود الى محاربتها . ولما أطلقتهُ ذكر ذلهُ في أسرها فهاجت الذكرى في نفسهِ روح الانتقام ولم يكن شرفهُ يسمح لهُ بنقض العهد واشهار الحرب عليها فذهب الى سد المحيط وفتح فيهِ ثغرة « وهي بوغاز جبل طارق » فغمر بلاد الملكة هيلانة وكان البحر المتوسط ! وفرّت الملكة هيلانة ببعض رعاياها من وجهِ الماء وعمّرت هذه المدن على التلال وسكنتها الى أن أراد الله خرابها فخربت » !

٢ : على طريق العريش

أما الآثار الباقية على طريق العريش فأشهرها مبتدأً من القنطرة : « التل الأحمر . تل حبوة . قطية . تل ابو مزروع . رجم البردويل . خربة العشوش . الخروبة . المكسر . الشيخ زويد . رفح » . وقد تقدم الكلام عليها كلها الاّ « تل أبو مزروع . وخربة العشوش . ورجم البردويل . والخروبة . والمكسر »

وجاء في خطط المقريزي تحت ذكر « مدينة حطين » : « هذه المدينة آثارها الى اليوم باقية فيما بين حبوة والعاقولة بأرض العاقولة فيما بين قطية والعريش تجاهها بميل ماء عذب تسميهِ العرب أبا العروق وهو شرقيها . وهذه المدينة تنسب الى حطين ويقال لهُ حطي ابن الملك أبي جاد المديني . وأهل قطية اليوم يسمون تلك الأرض ببلاد حطين والجفر . وملكَ حطين هذا أرضَ مصرَ بعد موت أبيهِ وكان صاحب حرب وبطش وكان ينزل بقلعة في جبال الأردن قريباً من طبرية واليهِ تنسب قرية حطين التي بها الآن قبر شعيب بالقرب من صفد » اه

﴿ تل ابو مزروع ﴾ أما تل أبو مزروع فانهُ تل مرتفع يطل على البحر في « طريق العريش الوسطانية » على نحو أربع ساعات الا ربع ساعة غربي العريش وعليهِ خرائب برج قديم

﴿ خربة العشوش ﴾ وتعرف أيضاً «بخربة البردويل» وهي خرائب بلدة قديمة في « طريق العريش السلطانية » على نحو عشرة أميال غربي مدينة العريش

﴿ رِجم البردويل ﴾ أما رِجم البردويل فعلى تل صغير يبعد نحو عشرة أميال غربي العريش في « طريق العريش الوسطانية » ونحو نصف ساعة شمالي خربة البردويل . قيل ان البردويل محرفة عن بلدوين أو بغدوين كما عرَّبهُ كتاب العرب. وان بلدة البردويل ورجم البردويل وبحيرة البردويل منسوبة الى الملك بلدوين الأول من ملوك الصليبين الذي ملك القدس سنة ١١٠٠ م . وفي تاريخ مصر ان هذا الملك غزاها وعاد عنها خائباً فمات في الطريق سنة ١١١٨ م فأخرجوا امعاءهُ ثم حنّطوا جثتهُ وحملوها الى القدس ودفنوها هناك بجانب جثة أخيهِ « جود فري » أول ملوك القدس . وقد أشار المقريزي الى ذلك في كلامهِ عن الفرما كما مرَّ

وعلى نحو ميلين غربي رجم البردويل حُفَر صغيرة في وسط الطريق بين الحفرة والاخرى نحو مترين قد خطّ حذائها تلم في الأرض . وفي تقاليد البدو ان رجم البردويل هذا هو قبر البردويل ملك البلدة المجاورة المنسوبة اليهِ قتلهُ أبو زيد الهلالي وقالوا في تفصيل ذلك : « ان بني هلال لما رحلوا من نجد قاصدين بلاد المغرب ومعهم فارسهم وعقيدهم أبو زيد الهلالي مرُّوا ببلدة البردويل وكان عليها ملك يدعى البردويل ابن راشد(١) وكان لهذا الملك طاقية اذا لبسها في الحرب اختفى عن عيون مقاتليهِ فلما مرَّ بنو هلال صارعهُ كثير من فرسانهم فصرعهم . وكان من عادة أبي زيد أنهُ لا يقاتل أحدًا الاّ اذا عجز فرسان قبيلتهِ عن قهرهِ فانبرى لهُ وكان قد علم أن سرّ قوتهِ في طاقيتهِ فصارعهُ سبعة أيام متوالية وهو يحاول خطف طاقيتهِ عن رأسهِ فلم يفلح . وكان للبردويل بنت بديعة الجمال تشاهد القتال من قصرها فأعجبتها بسالة أبو زيد ووقع حبهُ فى قلبها فسرقت من أبيها طاقيتهُ المسحورة وأعطتهُ

---

(١) يرى جارفس أن هذا الإسم هو تحريف لبلدوين الذي كان ابناً لهيوج كونت راسيل، وقد حرف البدو هذا الاسم بدلاً من بلدوين بن راسيل إلى بردويل بن راشد . Jarvis, Major C.S., Yesterday and To-day in Sinai, London 1936, p. 106.

طاقية اخرى . فلما نزل لمصارعة ابي زيد في اليوم التالي طعنهُ أبو زيد بالرمح فخرّ قتيلاً بجانب ذلك التل فدفنوهُ عليهِ وجعلوا الرجم على قبرهِ. وفي ما هو يطاردهُ رسم رمحهُ وفرسهُ التل والحفر التي في جواره . ومن ذلك اليوم لا يمرُّ أحد بتلك الجهـة الاّ أحيا الحفر ورمى الرجم بحجر. قالوا ومن مرَّ بهذا الأثر ولم يفعل ذلك وجبت عليهِ اللعنة . وهذا هو السبب في بقآء هذا الأثر الى اليوم

﴿ الخرُّوبة ﴾ أما الخرُّوبة فموضع في منتصف الطريق بين العريش ورفح وفيهِ أراضٍ متسعة صالحة للزراعة وهناك خرائب برج قديم مبني بالحجر المنحوت وبجانبهِ بركة متسعة . والظاهر أنهُ كان محطة للبريد في الأجيال الوسطى . وأنهُ كان هناك قديماً خرُّوبة فتسمَّى بها * مررت بهذا الموضع فى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٠٦ فوجدت فيهِ رجلاً من متسببيّ العرائشية قد نصب خيمة جعل فيها كل ما يلزم البدو من مأكول وملبوس . وقد صاد مئات من السمّان جعلها في أقفاص من الجريد وكان يطعمها الذرة ويبيعها الاثنتين بقرش صاغ

﴿ المكسر ﴾ وعلى نحو نصف ساعة من الخروبة في الطريق الى رفح « المكسر » وهو موضع خلآء وفيهِ كسر الترابينُ السواركةَ في واقعة دموية شهيرة سنة ١٨٥٦ كما سيجيء ومن ذلك اسمهُ . ومن هذا الموضع طريق تتجه غرباً فتخترق كثبان الرمال الى بئر على شاطئ البحر تدعى بئر المصيدة

٣ : على الدرب المصري

ومن الأماكن الأثرية على الدرب المصري الآتي من غزة بطريق المقضبة الى السويس والاسماعيلية : « نقع شبانة . وصنع المنيعي وحجر السواركة . والبواطي »

﴿ نقع شبانة ﴾ أما نقع شبانة فبئر قديمة العهد مبنية بالحجر المنحوت على ١٢ ميلاً الى الجنوب الشرقي من رفح . وهي الان ملك جمعة العوَضات من السواركة اشتراها من الترابين الذين اكتسحوا هذه البلاد وأخذوها بالقوة من أهلها الرتيمات كما سيجيء . والبئر زَعقة المآء بعيدة الرِشآء كبئر الرُّطيل . قال صاحبها : « عمقها ٤٤ قامة وقد كانت مردومة فطهرتها فوجدت ماءها ملحاً جدًّا لا يصلح للشرب

فأهملتها » . وقد رأيت على فم البئر بكرة بين عمودين من الخشب ورأيت أثر أقدام الإبل التي كانت تستخدم لنشل الماء منها على نحو ما وصفناهُ في بئر لحفن . وقد تحققت عمق البئر من طول ذلك الأثر * وأما «بئر الرُّطيل» في شمال الجورة المار ذكرها فقد كان عمقها ٢٢ باعاً قبل التطهير . وبعد تطهيرها في عهد محافظ سيناء الاسبق ظهر الماء فيها على عمق ٨٠ متراً

﴿ صنع المنيعي وحجر السواركة ﴾ أما صنع المنيعي فهو بركة صناعية فى طريق السيل على نحو ٣ ساعات بسير الهجن جنوبي رفح وعشر دقائق من الجورة صنعها رجل من السواركة ، وقيل من الرتيمات ، يدعى المنيعي فنسبت اليهِ * وفي متتصف المسافة بين صنع المنيعي والجورة : « حجر السواركة » وهو حجر طباشيري طولهُ أقل من ذراع عليهِ وسم السواركة هكذا : « —|| » . وبجانبهِ حجر أصغر منهُ عاطل لا وسم عليهِ . قيل كان عليهِ وسم الرتيمات حلفاء السواركة في القديم . ولأهل البلاد رواية تقليديّة في ذلك قالوا : عصي المنيعي الدولة فطارده بعض فرسانها وكان المنيعي راكباً فرساً سبوقاً فعجز الفرسان عن اللحـاق بهِ فسألهُ أحدهم وهو جادٌّ في أثره ما أصل هذا الفرس يا عربي فأجابهُ هازئاً « شعير يا جندي » قالوا ولما كان كتم أصل الاصائل من الشؤم أفل سعد الفرس وللحال خفّ جريها فأدركهُ الفارس وقتلهُ في هذا الموضع ونصب السواركة هذا الحجر دلالة على مقتلهِ * ومن هذا الحجر شمالاً الى بئر رفح درب شهيرة تدعي « درب الحجر » نسبة اليهِ

﴿ البواطي ﴾ وأما البواطي فعلى الدرب المصري على نحو نصف ساعة جنوبي الجورة . وهي دوائر مرسومة في أرض صلبة وسط الطريق تشبهُ البواطي حجماً وشكلاً ومن ذلك اسمها . وكلما طمرت الرمال هذه الدوائر احياها العرب ولكن ليس احد منهم يعرف لها أصلاً

هذه هي أهمُّ آثار العريش عدا الآثار التي مرّ ذكرها في الفصول السابقة وأهمها : خربة الرطيل في شمال الجورة . ورجم القبلين وبئر لحفن وقلعة لحفن على وادي العريش . والقلعة الرومانية في جبل المغارة

﴿ بلدة القنطرة ﴾

القنطرة بلدة صغيرة في طريق العريش على شاطئ الترعة الشرقي على نحو ٣٣ كيلومترًا من الاسماعيلية و٤٥ كيلومترًا من بور سعيد . وفيها نحو ٢٠٠ بيت وبعض الجنان . أنشأ هذه البلدة في أثناء فتح الترعة تجار ومتسببون من غزة والعريش والصالحية وغيرها من مدن الوجه البحري فبنوا فيها أولاً أكواخاً خشبية وأقاموا فيها يبيعون أنواع المأكولات والملبوسات والحبوب على عمَّال الترعة والبدو وعابري السبيل . ثم بنوا المنازل بالطوب النيء وسكنوها الى اليوم . وعدد سكانها الآن (سنة ١٩١٤) ٧٥٠ نفساً وقد كانوا ٤٨٨ نفساً في سنة ١٩٠٧ كما مرَّ

وفيها سوق صغيرة تشمل ١٦ تاجراً من تجار المانيفاتوره والحبوب والعطارة والبقالة وفيها خمارتان للأروام وأربع قهوات بلدية وستة جزارين واكبر تجارها الشيخ صالح جويد من أهالي غزة قيل جاء بأربعين كيس دقيق فأصبح الآن من كبار الأغنياء * وفي السوق جامع بمنارة يسع نحو ٥٠٠ نسمة مبني بالطوب النيء والأخشاب بنتهُ نظارة الأوقاف المصرية في أوائل سنة ١٨٩٩ بعد تشريف سمو الخديوي الحالي الحدود . وكان من قبل مبنيًّا بالأخشاب * وفي البلدة مدرسة أهلية يحضرها نحو ٣٠ تلميذاً من الصبيان والبنات يعلّمهم فقيه من سكان البلدة

وفي ضاحية البلدة «محجر للحيوانات» التي يؤتي بها من سوريا للاتجار في مصر ومأمور المحجر الحالي الدكتور حسين بك كامل من نبلاء المصريين

وماء القنطرة من الترعة الاسماعيلية النيلية تجرها اليها شركة القنال بأنابيب من حديد تحت الترعة الملحة . وقد جعلت حنفية عمومية شرقي البلدة يستقي منها الأهلون مجاناً. وأما المياه التي يجرونها الى منازلهم ويسقون بها جنانهم فيشترونها بثمن بخس جداً

والقنطرة تابعة في الادارة محافظة بور سعيد كما مرَّ . وفيها ضابط بوليس يرجع بأحكامهِ اليها. وقد بنت لهُ ولكاتبهِ حديثاً مركزاً شرقي البلدة فيهِ ثلاثة منازل. وأهل القنطرة خاضعون للقرعة العسكرية ولجميع الأحكام الجارية على مدن القطر المصري

وفي القنطرة مأمور تابع لمحافظة سيناء يُلقَّب « مأمور ترحيلات الحربية » يلبي طلباتها ويسهل أسباب السفر لموظفيها . وأول مأمور سمتهُ للقنطرة هو النشيط أسعد افندي عرفات السالف الذكر . سمتهُ سنة ١٩٠٦ . وفي سنة ١٩١٢ بنت لهُ داراً يسكنها شرقي البلدة وبنت بجانبها مكتباً للادارة وغرفتين لاستراحة الموظفين المسافرين * وشركة الترعة تسعى لنقل البلدة كلها شرقاً لتتمكن من توسيع الترعة

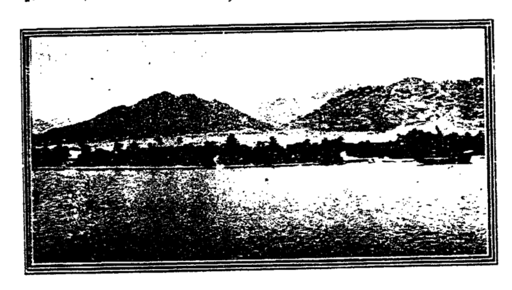
وفي برّ القنطرة الغربي جمرك لجمع الرسوم على الإبل والخيل والأغنام التي ترد من سوريا بطريق البرّ . وقد كان هذا الجمرك في البر الشرقي فنقل حديثاً الى بناء جميل في البرّ الغربي . وفي هذا الشاطئ مبتدأً من الجنوب : محطة سكة الحديد الآتية من الاسماعيلية ومصر . ومكتب البوسطة والتلغراف . فمكاتب ومساكن عمال شركة الترعة بالقنطرة . فمكتب لغفر السواحل . فمساكن لناظر محطة السكة الحديد وضابط غفر السواحل وعمال السكة الحديد . فمدرسة أميرية لأولاد موظفي الحكومة فيها ٢٧ تلميذاً . فالجمرك الآنف الذكر * ويصل بين البرّين « كوبري » متحرك مرَّ ذكرهُ

« مدينة العقبة »

أما مدينة العقبة فهي مدينة صغيرة في رأس خليج العقبة على نحو ١٩٠ ميلاً من السويس بطريق البحر و ١٥٠ ميلاً بطريق البرّ . وهي مدينة حديثة العهد قائمة على انقاض مدينة أيلة الشهيرة فيها قلعة قديمة ونحو مئة كوخ مبنية بالحجر الغشيم والطين يسكنها نحو ٣٥٠ نفساً من متخلفي العساكر الذين كانت مصر ترسلهم لحماية القلعة . ويتنابها مشايخ الحويطات العلويين * والبلدة قائمة على تلة وسط حديقة متسعة من النخيل تمتد شمالاً وجنوباً على شاطئ الخليج مسافة ميل أو اكثر . وفي البلدة والحديقة آبار عذبة الماء يزرع عليها أنواع الخضر كالبامية والملوخيـة والباذنجان والطماطم ونحوها . ويمكن زرع الذرة والزيتون والنيلة والقطن لأن التربة خصبة والماء كثير

وقد دخلت العقبة في حدّ الحجاز كما مرّ وعظم شأنها بعد حملة الدولة الأخيرة على اليمن فصارت محطة للعساكر ومُدّ اليها خط التلغراف من معان فوصلها في مايو

سنة ١٩٠٥. ومدّت سكة الحديد الحجازية من دمشق الى المدينة وكان في النية مد فرع الى العقبة من معان . وكانت العقبة محطة من محطات الحج المصري أيام كانت طريق الحج تمر بسيناء . وكان حجاج جنوب سوريا يأتونها بدرب غزة فيجتمعون فيها مع الحج المصري ويجيء مع حجاج سوريا نفر من التجار ومعهم الحبوب وأنواع الفاكهة والخضر والمأكولات بقصد بيعها على الحجاج ولكن انقطعت درب غزة بانقطاع درب سيناء ولم يعد يمرّ بها سوى بعض تجار الإبل بين الحجاز والشام كما سيجيء



شكل ٤١ : نخل العقبة

{ قلعة العقبة } أما قلعة العقبة فقائمة في جنوب بلدة العقبة لاصقة بها من جهة الشرق . وهي على نحو ٥٠ متراً من شاطئ الخليج في سفح جبل عظيم يفصل خليج العقبة عن الحجاز . وفي منحدر هذا الجبل كان الحج المصري ينصب خيامه عند نزوله بالعقبة . وفيه تعسكر الآن جنود الدولة العلية عند مجيئها اليها

والقلعة هي مثل قلعة نخل مربعة الشكل مبنية بالحجر المنحوت وكان على كل ركن من اركانها الأربعة برج قد تهدّم الآن. ولها بوابة عظيمة بقنطرة تفتح في شمال الشرقي يُدخل منها الى صحن القلعة بدهليز عظيم معقود بالقناطر . وفي أول الدهليز عن يمين الداخل وشماله ديوانان مبنيان بالحجر قد نقش على جدرانهما وواجهة البوابة بأحرف ناتئة كبيرة اسم باني القلعة ومرممها. أما باني القلعة فهو السلطان قانصوه الغوري

الملك الذي قبل الأخير من ملوك دولة المماليك الثانية على مصر . سنة ١٥٠١ الى سنة ١٥١٦ م » وأما مرممها فهو السلطان مراد الثالث سنة ١٥٧٤ : سنة ١٥٩٥ م

وقد قرأت على جدار الديوان الأيمن هذه العبارة : « امر بانشاء هذه القلعة المباركة السعيدة مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري سلطان الاسلام والمسلمين قتال الكفرة والملحدين محيي العدل في العالمين . . . »

وفي واجهة القلعة على صدغي القنطرة حجران مستديران نقش على كل منهما هذه العبارة : « مولانا السلطان الملك الأشرف . مراد بن سليم خان . عزَّ نصره جدَّد هذه القلعة » » وفي داخل البوابة الى يسار الداخل حجران آخران مستديران قد نقش على كل منهما هذه العبارة : « لمولانا السلطان مراد بن سليم عزّ نصره . جدد هذه القلعة سنة ٩٩٦ » هـ سنة ١٥٨٨ م

وقد رأيت هذه القلعة سنة ١٩٠٦ فاذا بهـا متردمة وتحتاج الى ترميم كثير وفي داخلها مخازن للحبوب والذخائر . ومخبز للعساكر . وبئر بعيدة الرشاء . وشجرة سدر . وبقيت هذه القلعة بيد مصر وعساكر مصر تحميها الى أوائل سنة ١٨٩٢ م فسُلّمت الى الدولة العلية كما سيجيء

قال صاحب كتاب « درر الفرائد » سنة ١٥٤٨ م : « وبعقبة أيلة آبار منها في داخل الخان (القلعة) واحدة مورده عذب سائغ من بناء السلطان الغوري مع الخان . وفي الخارج بئران داخل نخل وماؤها عذب وهما منهل الحاج وبئر خارج النخل حيث الفضاء وماؤها دون ذلك ويسمونها آبار العرب . وكل من أراد الماء فليحفر من الأرض مقداراً قريباً يرى ماء عذباً أحسن من ماء الآبار . وتختلف الحفائر في العذوبة فبعضها أحلى من بعض وأعذب والله أعلم » اه

قلت وكان صاحب الدرر في نعلم أول من سمّى المدينة « عقبة أيلة » الاسم الذي عُرف به جبل العظيم ذو العقبة الشهيرة غربيها . ثم أهمل اسم أيلة وسُميت المدينة «العقبة» وسُميت عقبة الجبل نفسها «نقب العقبة أو النقب» لأن ملوك مصر نقبوا أي مهّدوا فيه طريقاً للحج المصري كما سيجيء في باب الطرق

﴿ تاريخ مدينة أيلة ﴾ أما مدينة أيلة التي على خرائبها قامت بلدة العقبة فهي مدينة قديمة العهد جداً . وقد ورد ذكرها كثيرًا في التوراة :

جاء في سفر الملوك الأول ص ٩ عد ٢٦ في الكلام عن الملك سليمان الحكيم (سنة ١٠١٥ : ٩٧٥ ق . م) : « وعمل الملك سليمان سفناً في عصيون جابر التي بجانب أيلة على شاطئ بحر سوف في أرض ادوم »

وجاء في سفر الملوك الثاني ص ١٤ عد ٢٢ في الكلام عن عزريا ملك اليهود (سنة ٨١٠:٧٥٨ق.م) الذي في أيامهِ قام اشعيا النبي: «هو بنى أيلة واستردَّها ليهوذا»

وجاء في ص ١٦ عد ٦ من السفر نفسهِ في الكلام عن آحاز ابن يوثام ملك يهوذا (٧٤١ م : ٧٢٥ ق . م) : « في ذلك الوقت ارجع رصين ملك أرام أيلة للاراميين وطرد اليهود من أيلة وجاء الأراميون الى أيلة وأقاموا هناك الى هذا اليوم»

ثم اخضعها النبطيُّون فاليونان فالرومان وكانت في أيامهم بندراً تجاريًّا مهمًّا . وصارت في صدر النصرانية مركز ابرشية وحضر مطارنتها بعض المجامع الكنائسية . ثم آلت الى الاسلام ولا زالت بيدهم الى اليوم وكان لها شأن في تاريخ الصليبيين * وقد ورد ذكرها كثيرًا في كتب مؤرخي العرب :

قال اليعقوبي : « ومدينة أيلة مدينة جليلة على ساحل البحر الملح وبها يجتمع حاج الشام وحاج مصر والمغرب وبها التجارات الكثيرة وأهلها اخلاط من الناس * وبها قوم يذكرون أنهم موالي عثمان بن عفان . وبها برد حِبرَه يقال أنهُ برد رسول الله (صلعم) يقال انهُ وهبهُ لرؤبة بن يَحُنّه لما صار الى تبوك »

وعن كتاب أحسن التقاويم لشمس الدين المقدسي: « وفي أيلة تنازع بين الشاميين والمصريين والحجازيين واضافتها الى الشام أصوب لأن رسومهم وارطالهم شامية »

وعن كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي :

« أيلة بالفتح مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام * قال ابو زيد : أيلة مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير

وبها في يد اليهود عهد رسول الله (صلعم) . وقال ابو المنذر سميت بايلة بنت مدين ابن ابراهيم (عم) . وقال أبو عبيدة أيلة مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر القلزم تعد في بلاد الشام . وقدم يوحنه بن روءبة على النبي صلعم من أيلة وهو في تبوك فصالحهُ على الجزية وقرر على كل حاكم بأرضهِ في السنة دينارا فبلغ ذلك ثلثماية ديناراً واشترط عليهم قرى من مرَّ بهم من المسلمين وكتب لهم كتاباً ان يُحفَظوا ويُمنَعوا فكان عمر بن عبد العزيز لا يزداد على أهل أيلة عن الثلثماية ديناراً شيئاً . أما تبوك فهي الى الشرق من أيلة بميل الى الجنوب وهي على نصف المسافة بين المدينة ودمشق . وكانت هناك واقعة عظيمة بين المسلمين والروم في السنة التاسعة للهجرة . وقال احيحة ابن الحلاج يرثي ابنهُ

ألا ان عيني بالبكاء تهلّلُ ... جزوعٌ صبورٌ كل ذلك تفعلُ

فان تعزيني بالنهار كآبةٌ ... فليلي اذ أمسى أمرُّ وأطولُ

فما هبرزيٌ من دنانير أيلةٍ ... بأيدي الوشاة ناصع يتأ كَّلُ

بأحسن من يوم أصبح غادياً ... ونفَّسني فيهِ الحمام المعجَّلُ

وقال محمد بن الحسن المهلبي : « ومدينة ايلة جليلة على لسان من البحر الملح وبها مجتمع حج الفسطاط والشام . وبها قوم يذكرون أنهم من موالي عثمان بن عفان . ويقال أن بها برد النبي (صلعم) وكان قد وهبهُ ليحنة بن روءبة لما سار اليهِ الى تبوك . وخراج أيلة ووجوه الجبايات بها نحو ثلاثة آلاف دينار . وينسب الى أيلة جماعة من الرواة منهم يونس بن يزيد الايلي صاحب الزهري توفى بصعيد مصر سنة ١٥٢ هـ (٧٦٩ م) . واسحق بن اسماعيل بن عبد الأعلى بن عبد الحميد بن يعقوب الأيلي . روي عن سفيان بن عُيَينة وعن عبد المجيد بن عبد العزيز بن روَّاد حدّث عنهُ النسائي مات بأيلة سنة ٢٥٨ هـ (٨٧٢ م) . وحسان بن أبان بن عثمان أبو علي الأيلي وُلّي قضاء دمياط وكان يفهم ما يحدث بهِ وتوفى بها سنة ٣٢٢ هـ » (٩٣٤ م) . اه

وقال صاحب تقويم البلدان : « وأيلة كانت مدينة صغيرة وكان بها زروع يسيرة وهي على ساحل بحر القلزم وعليها طريق حاج مصر وهي في زماننا برج وبهِ

وال من مصر وليس بها زروع وكان بها قلعة في البحر فعطلت ونقل الوالي البرج الى الساحل » اه * * وعقب صاحب درر الفرائد (سنة ١٥٤٨م) على هذا فقال : «وقد استجد بها النخل الذي على ساحل البحر و بعض حدائق بالوادي والساحل وجميع ذلك لبني عطية الحويطات وانما لقبوا بذلك لما بنوه من بعض الحيطان على النخل» اه

وقال المقريزي في خططهِ : « ذكر ابن حبيب ان أثال بضم أوله ثم ثا مثلثة وادي أيلة . وأيلة بفتح أولهِ على وزن فعلة مدينة على شاطئ البحر فيما بين مصر ومكة سميت بأيلة بنت مدين بن ابراهيم « عم » . وأيلة أول حد الحجاز . وقد كانت مدينة جليلة القدر على ساحل البحر الملح بها التجارة الكثيرة وأهلها اخلاط من الناس . وكانت حد مملكة الروم في الزمن الغابر . وعلى ميل منها باب معقود لقيصر قد كان فيه مسلَّحتهُ يأخذون المكس . وبين أيلة والقدس ست مراحل . والطور الذي كلم الله عليه موسى « عم » على يوم وليلة من ايلة . وبينهـا وبين القلزم ست مراحل في برية وصحراء . وكانت في الاسلام منزلاً لبني أمية واكثرهم موالي عثمان بن عفان وكانوا سقاة الحج . وكان بها علم كثير وآداب ومتاجر واسواق عامرة . وكانت كثيرة النخل والزروع * وعقبة أيلة لا يصعد اليها من هو راكب . وقد أصلحها فائق مولى خمارويه بن احمد بن طولون وسوى طريقها ورم ما استرم منها * وكان بايلة مساجد عديدة وبها كثير من اليهود . ويزعمون أن عندهم برد النبي « صلعم » وانهُ بعثهُ اليهم أماناً وكانوا يخرجونهُ رداء عدنيًّا ملفوفاً في الثياب قد أبرز منهُ قدر شبر فقط

«وذكر ابو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان: أن موسى «عم» سار ببني اسرائيل بعد موت أخيهِ هارون الى ارض أولاد العيص وهي التي تعرف بجبل الشراة جنب جبل الشوبك ثم مرّ فيها الى ايلة وتوجه بعد أيام الى برية باب حيث بلاد الكرك حتى حارب تلك الأمم وكان الى جانب أيلة مدينة يقال لهـا عصيون جليـلة عظيمة »

« وذكر المسعودي أن يوشع بن نون « عم » حارب السميدع بن هرمز بن

مالك العمليقي ملك الشام ببلد أيلة نحو مدين وقتلهُ واحتوى على ملكهِ . وفي ذلك يقول عون بن سعيد الجرهمي :

ألم ترَ أن العملقيّ بن هرمز … بأيلة أمسى لحمــهُ قد تمزَّعا
تداعت عليهِ من يهود جحافل … ثمانون ألفاً حاسرين ودرَّعا

«وقال ابن اسحق فلما انتهى رسول الله «صلعم» الى تبوك أتاه تحية بن رؤبة صاحب أيلة فصالحهُ وأعطاهُ الجزية وأتاه أهل حرباء واذرح فأعطوه الجزية وكتب لهم كتاباً فهو عندهم * وكتب لتحية بن رؤبة « ولعلها تحريف يوحنا بن رؤبة » :

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمنة من الله ومحمد النبي رسولهِ لتحية بن رؤبة وأهل أيلة أساقفهم وسائرهم في البرّ والبحر لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معهم من أهل الشام واهل اليمن واهل البحر فمن أحدث منهم حدثاً فانهُ لا يحول مالهُ دون نفسهِ وانهُ طيب لمن أخذه من الناس وانهُ لا يحل ان يمنعوا ما يريدونهُ ولا طريقاً يريدونهُ من بر او بحر هذا كتاب بن جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة باذن رسول الله صلى الله عليهِ وسلم وكان ذلك في سنة تسع من الهجرة »

«ولم تزل مدينة أيلة عامرة آهلة . وفي سنة خمس عشرة واربعماية (١٠٢٤ م) طرق عبد الله بن ادريس الجعفري أيلة ومعهُ بعض بني الجراح ونهبها وأخذ منها ثلاثة آلاف دينار وعدة غلال وسبى النساء والأطفال . ثم أنهُ صرف عن ولاية وادي القرى فسارت اليه سرية من القاهرة لمحاربتهِ

«قال القاضي الفاضل : وفي سنة ست وستين وخمسماية (١١٧٠م) انشأ الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب مراكب مفصلة وحمّلها على الجمال وسار بها من القاهرة في عسكر كبير لمحاربة قلعة ايلة . وكانت قد ملكها الفرنج وامتنعوا بهـا فنازلها في ربيع الأول وأقام المراكب وأصلحها وطرحها في البحر وشحنها بالمقاتلة والأسلحة وقاتل قلعة ايلة في البر والبحر حتى فتحها في العشرين من شهر ربيع الآخر وقتل من بها من الفرنج وأسرهم وأسكن بها جماعة من ثقاتهِ وقواهم بما يحتاجون اليهِ من سلاح وغيره . وعاد الى القاهرة في آخر جمادى الاولى

« وفي سنة سبع وسبعين (١١٨١م) وصل كتاب النائب بقلعة أيله ان المراكب على تحفظ وخوف شديد من الفرنج . ثم وصل الابريس لعنهُ الله الى أيلة وربط العقبة وسير عسكره الى ناحية تبوك وربط جانب الشام لخوفهِ من عسكر يطابهُ من الشام أو مصر . فلما كان في شعبان من السنة المذكورة كثر المطر بالجبل المقابل للقلعة بأيلة حتى صارت بها مياه استغنى بها أهل القلعة عن ورود العين مدة شهرين . وتأثرت بيوت القلعة لتتابع المطر ووهت لضعف أساسها فتداركها اصحابها واصلحوها » اه

قلتُ وقد خربت أيلة خراباً تاماً ولم يبق منها ما يدل عليها سوى أسس بعض منازلها وانقاضها . وهناك أساس من حجر داخل مياه الشاطئ يدعي « الحَمَّام »

وقد أراني رشدي باشا قومندان العقبة سنة ١٩٠٦ قطعة ذهب من النقود الاسلامية التي وجدها في خرائب ايلة وهي اكبر قليلاً من نصف الجنيه الانكليزي وقد نقش عليها في الوسط : « لا اله الاَّ الله محمد رسول الله » . وعلى الدائر : « محمد رسول الله ارسلهُ بالهدى ودين الحق يظهره على الدين كلهِ ولو كره المشركون »

أما « عصيون جابر » فقد اختلف المحققون في تعيين مكانها فجعلها بعضهم في جزيرة فرعون وجعلها آخرون في النويبع وغيرهم في المرشش[1] لأن منطوق التوراة يدلُّ أنها كانت ميناء على خليج العقبة قريبة من ايلة وفي طريق جبل سيناء . وقد مرَّ ان خرائب جزيرة فرعون هي أحدث عهداً من عصيون جابر وليس في النويبع أو المرشش خرائب بلدة ظاهرة ولعلها كانت ضاحية من ضواحي أيلة وخربت معها

﴿ وادي العربة ﴾

هذا ومدينة ايلة، والعقبة خليفتها، واقعتان على فم وادي العربة العظيم على ضفتهِ اليسرى وعرضهُ من مدينة العقبة الى المُرَشَّش، في سفح النقب الشرقي، ستة كيلومترات . وطولهُ من رأس خليج العقبة الى البحر الميت نحو ١١٥ ميلاً . ويعترضهُ في وسطهِ جبل الريشة فيقسم سيلهُ قسمين : قسماً ينحدر جنوباً الى خليج العقبة وقسماً ينحدر شمالاً الى البحر الميت . ويزداد هذا القسم تحدُّراً كلما اتجه شمالا

(١) المرشش أو أم الرشراش هي أيلات حالياً .

حتى انهُ ينخفض عنـد البحر الميت نحو ١٢٩٢ قدماً عن سطح البحر * ويعرف السهل عند سفح جبل الريشة الجنوبي « بالقاع » وهو صالح للزراعة ويسكنهُ عرب السعديين . ويسكن العرَبة من القاع الى رأس الخليج عرب الحلايفة اللحيوات

﴿ آبار العربة ﴾ وفي بطن وادي العرَبة في قسمهِ الجنوبي عـدة آبار شهيرة نذكرها على الترتيب حسب مواقعها مبتدئين من الجنوب :

« بئر البَحير » . « وبئر الخليفي » على شاطئ الخليج

« وعد دَفِيَّة » على نحو ١٢ ميلاً من رأس الخليج في جانب الوادي الغربي

« وبئر حندس » على نحو ٤ أميال من دفية في جانب الوادي الغربي

« وبئر الثمرة » على نحو ٣ أميال من بئر حندس . بينهما خرائب بلدة قديمة

« وبئر غضيان » على نحو ٨ أميال من بئر الثمرة في جانب الوادي الغربي *

وتجاه غضيان في جانب الوادي الشرقي : « بئر جُبَيل . وبئر طابة » وهما متقاربتان

« وبئر المليحي » على نحو ٢٧ ميلاً من غضيان شمالاً الاَّ أنها مرتفعة عن جنب الوادي الغربي . وهي مورد السعديين سكان القاع وقد يردها اللحيوات

﴿ فروع العربة ﴾ هذا ويحفّ بوادي العربة عن الجانبين جبال قاحلة شامخة تعلو نحو ٢٠٠٠ قدم عن سطح البحر * وأشهر فروع العربة التي تأتيهِ من الجبال الغربية :

﴿ وادي الردّادي ﴾ ينشأ من جبال الحمرة ويصب فيهِ على نحو ٣ أميال من رأس الخليج . وفي هذا الوادي نبعان شحيحان : « ثميلة الردّادي » قرب رأسهِ على نحو ٣ كيلومترات من « المَفْرَق » وقد دخلت في حدّ سيناء . وعلى مقربة منها جبانة الشوّافين اللحيوات المدفون فيها الشيخ حمدان المار ذكره

« وعين القطّار » وهي عين شحيحة تخرج من شاهق في جبل الردادي عند منتصف مجرى الوادي . وقد زرتها في ربيع ١٩٠٦ فاذا ماؤها يقع قطرتين قطرتين قلت ومن ذلك اسمها . أما الردادي فيظن فيهِ الحديد والنحاس وقد دخل في حد العقبة

﴿ ووادي الرَّخَمَة ﴾ يصب في العرَبة على نحو ٣ أميال شمالي بئر دفيَّة

﴿ ووادي البيَّاني ﴾ يصب فيهِ على نحو ٢٠ ميلاً شمالي بئر غضيان

﴿ ووادي اللحياني ﴾ يصب فيهِ على نحو ١٥ ميلاً من مصب البياني * ومن فروع اللحياني وادي العُقفي . ومن فروع العقفي وادي الغبيَّة

﴿ ووادي الجرافي ﴾ يصب في العربة شمالي جبل الريشة وقد مرّ ذكره تفصيلاً

وأشهر الأودية التي تصب في وادي العرَبة من الجبال الشرقية

﴿ وادي اليتْم ﴾ تصب فيهِ على ٣ أميال من بلدة العقبة

﴿ ووادي ابو خُشَيبة ﴾ تصب فيهِ شمالي جبل الريشة

﴿ ووادي موسى ﴾ قيل ينشأ من الجبال التي الى غربي معان ويصب في العربة شمالي مصب وادي أبو خشيبة

﴿ مدينة البترآء ﴾ وفي وادي موسى خرائب «مدينة البترآء» الشهيرة واكثرها نقر في صخر والوادي هناك ضيق جداً حتى انهُ في بعض المواضع لا يزيد عرضهُ على اربعة امتار . وفي رأس الوادي نبع ماء غزير يسقي البترآء . وهي على الأرجح المدينة المسماة سالع في التوراة (القضاة ١ : ٣٦ والملوك الثاني ١٤ : ٧ واشعيا ١٦ : ١)

وقد قام في البترآء قديماً مملكة أدوم . ثم مملكة النبطيين . ثم تملكها الرومان . ثم البيزنتيُّون . ثم العرب كما سيجيءُ تفصيلاً في باب التاريخ .

ويزور البترآء للتفرج على آثارها النفيسة كثير من السياح كل سنة يأتونها من طريق القدس ودمشق الشام ومن مصر عن طريق سيناء والعقبة . وأهلها الحاليون يعرفون باللياثنة ويسكنون في خيام عند النبع . ويزرعون انواع الحبوب وعندهم بساتين الفاكهة والخضر . وهم يتسلمون السياح من البدو حين وصولهم الوادي .

﴿ طرق العقبة ﴾

ومعلوم أن العقبة مركز وسطي هامّ تتفرَّع منها الطرق برًّا وبحراً الى بلاد العرب وسوريا وسينآء ومصر وغيرها . وأهم طرقها البرّية الى بلاد العرب : « درب الحج المصري» الآتي من مصر وسيناء وسيأتي وصفهُ * وأهم طرقها الى سينآء غير درب الحج :

« طريق النويبع » . تتبع شاطئ البحر الى قلعة النويبع وسيأتي وصفها

« وطريق نقب العمراني » وهي طريق خاصة بالبدو تنشأ من وادي العربة على خمسة أميال من المرشش شمالاً . قيل وعلى رأس هذا النقب خرائب بلدة قديمة

« وطريق وادي البيّاني » وهي أسهل الطرق الى سيناء من العقبة . تسير في وادي العربة الى بئر دفيَّة . فبئر حندس . فبئر غضيان . فمصب وادي البياني . ثم تصعّد في هذا الوادي الى رأسهِ فتأتي حمادة . فتقطعها الى وادي العقفي . فوادي الغبية . فوادي اللحياني . تنحدر معهُ قليلاً ثم تقطعهُ الى وادي الماشة . فمشاش الكنتله في وادي الجرافي على طريق غزة الآتي ذكرها . ومسافة هذه الطريق نحو ٢١ ساعة تقطع بثلاث مراحل متقاربة طولاً : بئر غضيان. فوادي البياني. فمشاش الكنتلة

«وطريق المُلَيْحي » تبدأ من القاع وتمر ببئر المليحي فوادي الجرافي الى مشاش الكنتلة . وهي طريق الغزاة . وقد طالما غزا بها عرب الشرق جزيرة سيناء كما سيجيء

وللعقبة الى البترآء طريقان قديمتان وهما :

« طريق بوادي اليُتْم » وهي طريقها أيضاً الى معان ودمشق الشام

« وطريق بوادي العربة » وهي طريقها المعتادة الى البترآء . قيل وهذه الطريق ثلاث مراحل : مرحلة الى بئر غضيان ثماني ساعات . ومرحلة الى جبل الريشة ثماني ساعات . ومرحلة الى وادي موسى سبع ساعات . وفي المرحلة الأخيرة تستمر الطريق من جبل الريشة على الجانب الغربي من وادي العربة نحو ٣ ساعات فتأتي أبو خشيبة فتصعد معهُ الى رأسهِ قرب مقام النبي هارون نحو ٣ ساعات . تترك مقام النبي هارون عن يسارك وتسير نحو ساعة فتأتي خرائب البترآء في وادي موسى

« طريق القدس » وللعقبة طريق الى القدس الشريف طولها ٨١ ساعة بسير الحملة تمرُّ بالمياه الآتية : بئر غضيان ١٠ ساعات وثلث . فبئر المليحي ١٢ ساعة . فالوَيبي ١٠ ساعات . فالشهابية ١٢ ساعة وثلث . فنقب الغراب فعسلوج ١٠ ساعات وثلث . فبئر السبع ٧ ساعات . فالخليل ١٢ ساعة ونصف . فالقدس بالعربة ٦ ساعات ونصف . وهذه هي الطريق التي اتخذها رجال كوك الذين رافقوا لجنة الحدود المصرية سنة ١٩٠٦ قطعوها بتسعة أيام في كل يوم تسع ساعات

﴿ نقب العقبة ﴾ أما نقب العقبة فهو الطريق الذي مهدهُ ملوك مصر للحج المصري في ذلك الجبل العظيم المطلّ على مدينة العقبة من الغرب . وقد يطلق النقب على الجبل كلهِ . ومسافة هذه الطريق من المرشش في أسفل النقب الى المفرق في رأسهِ ٣ ساعات الاّ ربع بسير الهجن النشيطة . وهي طريق متعرجة متحدرة جدًّا حتى ان رأسها عند المفرق يعلو ٦٢٠ متراً عن أسفلها عند المرشش : تسير الطريق مصعّدة في « وادي المحسّرات » الى رأسهِ عند « قبر المغربية » ساعة وربع فتأتي « وادي المصري » . تصعد بهذا الوادي الى قنطرة عليهِ نصف ساعة * « فمعقد الباشا » ثلث ساعة . وهنا خرائب مقعد للباشا الذي تولى تمهيد الطريق وُجد فيها حجر تاريخي قد تكسر قطعاً هذه قراءتهُ : « أمر بقطع هـذا الطريق المبارك السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري عزَّ نصرهُ وكان الواقف في هذا المكان الأمير . . . خان تاسع عشر . . . » * وقد رأى بعض الضباط هنا قطعة حجر من الرخام عليها هاتين الكلمتين: « السلطان مراد » * « فرجم الدّرك » على ثلث ساعة من مقعد الباشا . وهو حجر تاريخي منقوش عليه هكذا : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر باصلاح هذه الأماكن مولانا السلطان الملك الناصر حسن بن السلطان الملك الناصر محمد قلاون وذلك في شهر رجب سنة ٦٢٩ » هـ ١٢٣١ م * سمي هذا الحجر برجم الدرك لأنهُ كان مبدأ درك العلويين الحويطات * تذهب الطريق من هذا الرجم « بوادي القرَيقرة » وهو فرع من وادي طابا الى جبل المسانّ فالمفرق ثلث ساعة . أما المسان فجبل صغير في سطح النقب فيهِ نباتات طحلبية متحجرة . وحجارتهُ رملية تستخدم مسان ومن ذلك اسمهُ * وفي هذا النقب عدة قمم كل قمة منها جبل عظيم معروف باسمهِ وأهمها:

« جبل الشنانة » عنـد رجم الدرك وقد سماه مندوبو الحدود سنة ١٩٠٦ « جبل رشدي باشا » على اسم قومندان العقبة في ذلك العهد وألحقوهُ بالعقبة

« وجبل أبو جدّة » بين جبل الشنانة والمفرق وقد سمي « بجبل فتحي باشا » ودخل في حد مصر * «وجبل الردادي» المار ذكرهُ وهو يحجبها عن سطح النقب. أما سطح النقب أو رأس النقب فهو القسم الأعلى من النقب بين رجم الدرك والمفرق

١ . تجاه صفحة ٢٠٤



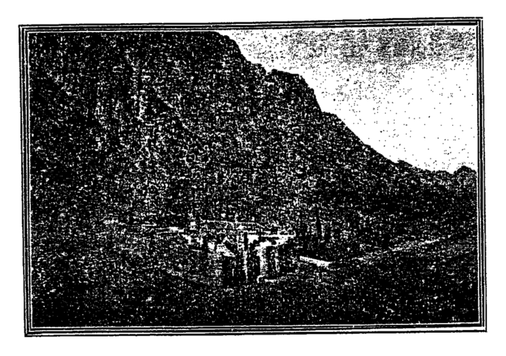
شكل خاص ١ : القديسة كاترينا

٢ . تجاه صفحة ٢٠٤



شكل خاص ٢ : المطران بورفيريوس الثاني
مطران سيناء الحالي

الفصل الثاني
في
﴿ دير طور سيناء ﴾



شكل ٤٢ : دير طور سيناء

أشهر ما في الجزيرة الآن من بنآء أو أثر «دير طور سيناء» للروم الارثوذكس. بناه الامبراطور يوستينيا نوس نحو سنة ٥٤٥ م[1] معقلاً لرهبان سينآء وهو واقع في سفح قمة من قمم طور سينآء على احد فروع وادي الشيخ كما مرّ. ويعلو نحو ٥٠١٢ قدماً عن سطح البحر. حيث العرض "٥٥ `٣٢ شمالاً والطول `١٨ "٥٨ °٣٣ شرقاً. وعلى نحو ثمانية أيام من السويس وستة أيام من العقبة ويومين من مدينة الطور

وقد بُني على اسم القديسة كاترينا لذلك يدعى أيضاً «دير القديسة كاترينا». ولهُ راية بيضاء ترفع على قبة كنيستهِ الكبرى في أيام المواسم والأعياد وقد رسم عليها باللون الأحمر صليب وحرفا A. K. وهما مختصر اسم القديسة كاترينا باللاتينية

(١) بن هذا الدير الإمبراطور جستنيان في عام ٥٥٧م ليكون حصناً للرهبان من هجمات البدو، كما أمر بناء كنيسة وحصن لحماية كنيسة العذراء التي بنتها القديسة هيلانة (والدة الإمبراطور قسطنطين) على مقربة من الشجرة المقدسة (العليقة). فايز نجيب اسكندر، مصر في كتابات الحجاج الروس في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية د/ت، ص ٧-٨.

وللدير سور عظيم غُصٌّ داخلهُ بالابنية القائمة بعضها فوق بعض طبقة واحدة أو طبقتين او ثلاثاً او اربعاً على غير نظام . وتخترقها ممرَّات ودهاليز معوَّجة ضيقة حتى يرى المتجول نفسهُ تارة في صعود وتارة في هبوط وتارة في ظلمة وتارة في نور . ويرى من اختلاف حال الأبنية واشكالها انها قامت في أعصر مختلفة واحوال مختلفة . وقد تداعى بعضها الى الخراب وخرب البعض الآخر وهُدِم البعض بقصد تجديد بنائهِ

وقد ضمَّ هـذا السور « العليقة المشتعلة » وبرجاً من برجين بنتهما القديسة هيلانة في تلك الجهة قبل بنآء الدير . أما البرجان فقد تهدما الآن ولم يبقَ لهما أثر . وكان احدهما عند العليقة والآخر خارج السور الى الشرق منهُ

وأهم الأبنية القائمة في داخل السور الى الآن :

«الكنيسة الكبرى التي بُنيت عند بنآء السور . وكنيسة العليقة . وعدة كنائس اخرى بنيت بعدها في اعصر مختلفة . وجامع بمنارة . ومكتبة نفيسة . ومنازل للرهبان وزوار الدير . ومخازن للحبوب والمؤن والأثاث والأخشاب . ومطابخ . وفرنان فرن للقربان وفرن للخبز . وطاحونتان تداران بالبغال . ومعصرة زيتون تدار بالبغال ايضاً . ومعمل للخمر والسبرتو من البلح والعنب . وآبار تختلف في العمق والقِدم * وخارج السور الى جهة الغرب عرصة فسيحة مسوَّرة . وحديقة متسعة فيها أنواع الشجر والفاكهة»

﴿ سور الدير ﴾

أما سور الدير فقريبٌ من المربع المستطيل ومساحتهُ نحو ٨٥ متراً في ٧٥ متراً . ومتوسط علوّه نحو ١١ متراً وسمك حائطهِ نحو مترين وربع متر حتى انهم جعلوا داخل الحائط كنائس صغيرة للعبادة * وبنآء السور بالحجر الغرانيت المنحوت متين جداً . وقد أُخذت حجارتهُ من جبل الدير الجنوبي وترى الى الآن في منحدر هذا الجبل على نحو ٢٠٠ متر من السور صخرة غرانيتية عظيمة قد قُطع منها بعض الحجارة وبُدئ بقطع غيرها ثم ترك العمل قبل اتمامهِ

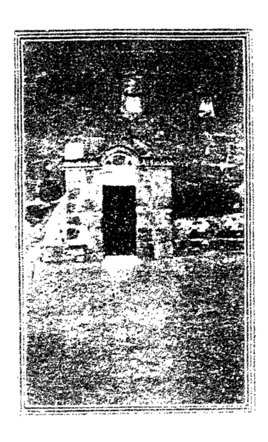
وفي أعلى السور مزاغل رُكب عليها مدافع صغيرة من أقدم طرز طولها نحو

٣ اشبار قائمة على عجل صغير والمشهور انها من عهد السلطان سليم العثماني الأول . وهي الآن ستة تُطلق في ايام الأعياد والمواسم اعلاناً لها

وقد هدَّمت الزلازل الجزء الجنوبي من الحائط الغربي والزاوية الجنوبية الشرقية من السور فرُمّمت ودُعمت . وتهدّم جانب من الحائط الشمالي في أواخر القرن الثامن عشر فانكشفت الكنيسة لجبل الدير الشمالي فأطلق بعض البدو رصاصة على راهب وهو يصلي فقتلهُ . وكانت مصر اذ ذاك بيد الفرنساويين وعليهم الجنرال كليبر وهو من أصل يوناني كأصل رهبان الدير فرفعوا اليهِ شكواهم فأرسل البنائين والادوات اللازمة فرمّموا الحائط واعادوه كما كان . وفي هذا الحائط رخامى عليها كتابة باليونانية الحديثة تشير الى ذلك . قالوا وكان الفراغ من ترميمهِ في ١ مايو سنة ١٨٠١ وقد انفق عليهِ ٣٢,٠٢٨ غرشاً عثمانياً

وفي هذا الحائط نفسهِ في أعلى الجانب الغربيّ منهُ حجر رخامي صغير قد نقش عليهِ كتابة بالعربية لم اتمكن من قراءتها بالعين المجردة لعلو الحجر فاستعنت بالنظارة المكبرة وقرأت فيهِ هذه العبارة بحرفها : « قد حضروا هذه الجهة المباركة المقدسة المعلمين من بلاد الشام نقولا وهبة موسى سليمان وهبة ابراهيم جرجس جرجس سنة ١٦٧٥ (؟) مسيحية » * وفي هذا الحائط من داخل السور بقرب هذا الحجر حجر رملي ابيض عليهِ كتابة بالعربية هذا نصها : « من طرابلس الشام سنة ١٨٤٠ مسيحية . الحقير الى الله المعلم يوسف كانون . اغفر لهُ يا رب »

﴿ أبواب الدير ﴾ وقد كان للدير في حائطهِ الغربي في الجهة الشمالية منهُ باب كبير بقنطرة سعتها ٧ أقدام وهو باب الدير الأصلي ولكن المخاوف التي مرّت على الدير في الأجيال الوسطى اضطرت الرهبان الى سدّه بالحجارة وقد فتحوا باباً ضيقاً في وسط هذا الحائط طولهُ نحو متر ونصف وعرضهُ نحو متر وصفَّحوه بالحديد والمسامير الضخمة على الطرز القديم . ويمر الداخل منهُ بدهليز ضيق طولهُ نحو مترين فيأتي على باب آخر بحجم الباب الخارجي ومتانتهِ يفتح الى الشمال ويؤدي الى داخل الدير



شكل ٤٣ : باب الدير

ثم في سنة ١٨٨٠ اضطر الرهبان الى زيادة التحفظ على ديرهم فحجبوا باب الدير الخارجي بدهليز بنوهُ أمامهُ طولهُ نحو مترين وجعلوا لهُ باباً كباب الدير شكلاً ومتانة فأصبح للدير ثلاثة أبواب : اثنان يفتحان للغرب و باب يفتح للشمال . وهذه الأبواب لا تفتح الاَّ بإذن «أقلوم» الدير وفي أيام المخاوف لا تفتح الاّ عند الضرورة الشديدة

﴿ حجران تاريخيَّان ﴾ وفوق باب الدير الحالي حجران من الرخام قد نقش عليهما اسم باني الدير وتاريخ بنائهِ الواحد بالعربية والثاني باليونانية . وهذا ما نقش على الحجر العربي:

« أنشأ دير طور سيناء وكنيسة جبل المناجاة الفقير لله الراجي عفو مولاهُ الملك المهذب الرومي المذهب يوستينيانوس تذكاراً لهُ ولزوجتهِ تاوضورة على مرور الزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وتم بناؤه بعد ثلاثين سنة من ملكهِ ونصب لهُ رئيساً اسمهُ ضولاس . جرى ذلك سنة ٦٠٢١ لادم الموافق لتاريخ السيد المسيح سنة ٥٢٧ » اه

ولكن هذين الحجرين وُضعا هناك في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر عند فتح باب الدير الجديد في الأرجح. وفيهما غلطتان تاريخيتان : الأولى أن اول رئيس سمي للدير هو الأب لونجينيوس وليس ضولاس. والثانية ان الملك يوستينيانوس لا يمكن ان يكون قد أتمّ بناء الدير سنة ٥٢٧ م لأن هذه السنة هي بدء ملكهِ وكان اذ ذاك مشغولاً بالحروب كما هو ثابت في التاريخ. واذا صحّ انهُ أتمهُ بعد ٣٠ سنة من ملكهِ كما في هذا الأثر فيكون قد تمّ سنة ٥٥٧ م ولكن مؤرخي الدير يرجّحون لاعتبارات شتى ان الدير قد تمّ بناؤهُ في السنة الاربعين الى الخمسين بعد الخمسماية لذلك قدّرنا بناءهُ في نحو سنة ٥٤٥ م كما مرّ. وسنعود الى هذا الموضوع في ما بعد



شكل ٤٤ : باب الدير المعلق

﴿ باب الدير المعلّق والدوّار ﴾ وللدير كوّة في أعلى الحائط مستورة بقفص من خشب سميتها الباب المعلق . وبجانبهِ لولب كبير من خشب لُفَّ عليهِ حبل متين

ضخم يعرف « بالدوَّار » ترفع بِهِ الاثقال من خارج الدير في زمن المخاوف فيغني عن فتح باب الدير حتى كان الزوّار قديماً يُدْخلون الى الدير من باب الدوَّار هذا . ومنهُ يوزع الخبز على فقراء البدو * ولنتقدم الآن الى ذكر أهم الأبنية داخل السور:

﴿ الكنيسة الكبرى ﴾

أما الكنيسة الكبرى وتعرف بكنيسة الاستحالة في زاوية السور الشمالية الشرقية . وهي مبنية بالحجر الغرانيتي المنحوت كبناء السور أو أجمل. طولها ٣٨،٤٠ متر وعرضها ١٩،٢٠ متر ومتوسط علو جدرانها ما عدا السقف والقبة ٥ أمتار * ولها باب كبير يفتح للغرب * وفي داخلها صفان من العمد الغرانيتية في كل صف سبعة عمد ضخمة كل عمود منها حجر واحد وينقسم بها صحن الكنيسة الى ثلاثة أقسام: فسحة في الوسط ورواق الى اليمين ورواق الى الشمال * ويحف بالعمد الأمامية عن يمين الداخل وشمالهِ صفان من المقاعد الخشبية لجلوس الناس عليها في اثناء الصلاة * وفي وسط الصف عن شمال الداخل منبر من الرخام جميل الصنع يصعد اليهِ بسلم أهدي الى الكنيسة سنة ١٧٨٧م لا يرتقي اليهِ الاّ شماس الكنيسة لقراءة الانجيل أو الواعظ من الرهبان

وفي آخر صف المقاعد التي عن يمين الداخل منبر لمطران الدير قد رُسم عليه الدير وضواحيه رسمهُ الأب كُرْنلُس الكريتي من مصوري القرن الثامن عشر المشهورين

والكنيسة مبلطة بالرخام ومزدانة بالايقونات القديمة والثريات والقناديل النفيسة كسائر الكنائس الشرقية * وأقدم الايقونات فيهـا أيقونة مريم العذراء والمسيح الطفل على يدها قيل انها من صنع لوقا الانجيلي ؟ * وأيقونة العذراء وسمعان وعلى يده المسيح بعد ولادتهِ بثمانية أيام يزوّرهُ الهيكل . قيل انها من اختراع الملك يوستينيانوس وقد أهداها الى الكنيسة عند انشائها * وأيقونة القديسة كاترينا

﴿ هيكل الكنيسة ﴾ على أن أجمل ما في الكنيسة هيكلها . وأبدع ما في الهيكل حنيَّتهُ المصوَّرة . وهي نصف قبة في صدر الهيكل قد رُسِم عليها صورة السيد المسيح وصور الرسل والأنبياء ومؤسسي الكنيسة وكلها مصوَّرة بالفسيفساء ببراعة عظيمة واتقان

بديع حتى تخال الرسوم قد صُوّرت بالفونوغرافية لا بحجارة الفسيفساء : ترى في جوف الحنيَّة صورة السيد المسيح ناظراً الى السماء وعن يمينهِ ايليا النبي وعن شمالهِ موسى النبي . ثم يوحنا الرسول في صف ثانٍ تحت الصف الاول بين المسيح وايليا ويعقوب الرسول في الصف الثاني هذا بين المسيح وموسى . ثم بطرس الرسول في صف ثالث تحت قدمي المسيح * هذا في جوف الحنية وترى على دائرة قوسها السمتية صور الرسل الاثني عشر . وعلى دائرة قوسها الافقية صور الأنبياء السبعة عشر أولهم حزقيال عن يمين الداخل وآخرهم دانيال عن يسار الداخل وداود في الوسط . وفي الدائرة نفسها عن يسار حزقيال و يمين الداخل الأب لونجينيوس أول رئيس للدير وعن يمين دانيال ويسار الداخل الشماس يوحنا المشهور بالاقليمقوس تلميذ لونجينيوس ورئيس الدير بعدهُ * هذا وفي جبهة الحنية فوق تجويفها يرى الداخل عن يمينهِ صورة موسى يتناول الوصايا العشر من يدٍ مُدّت اليهِ من فوق وتحتهُ ملاك وتحت الملاك صورة الملكة ثيودورة . ويرى عن شمالهِ العليقة وموسى يخلع حذاءهُ بجانبها ويد تشير اليهِ من فوق . وتحتهُ ملاك وتحت الملاك صورة الملك يوستينيانوس

وفي أسفل حنية الفسيفساء ترى حائط الهيكل مرصوفاً بقطع الرخام المتموّج الجميل قيل انهُ رخام قديم أتي بهِ عند بناء الهيكل من معبد وثني في افسس

هذا وفي صحن الهيكل على وُجهة المذبح كتابة باليونانية مؤدَّاها ان هذا المذبح جُدّد في عهد المطران ايوا نيكيوس سنة ١٦٧٥ م

والى يمين المذبح عند بابهِ الجنوبي صندوق جميل من الرخام حُفظت فيه يد القديسة كاترينا وجمجمتها واليد محلاَّة بالخواتم النفيسة من هدايا الزوّار

وتحت هذا الصندوق بلاطة مكتوب عليها بالعربية ما نصهُ : — « جدد بلاط هذه الكنيسة المقدسة اثناسيوس رئيس اساقفة طور سيناء . وهو عمل نصر الله الشاغوري الدمشقي . وكان التمام يوم عيد الرسل سنة ١٧١٥ مسيحية »

وفي الهيكل الى يسار الداخل من بابهِ الشمالي رُخامى قد كتب عليها بالعربية: «هنا وضع جسد أبينا القديس أفتيموس بطريرك أورشليم يوم الأربعاء ثالث عشر

كانون الأول سنة ستة آلاف وسبعماية واثنتين وثلاثين على عهد أبينا البار مقاريوس الدمشقي أسقف طورسيناء . يا أبونا اذكرنا نحن تلاميذك واذكرني أنا الكاتب »

والداخل في باب الهيكل الوسطي يرى عن يمينهِ وشمالهِ صندوقين من الفضة قد رسم على غطاء كل منهما صورة القديسة كاترينا فاما الذي عن الشمال فعليهِ كتابة باليونانية مفادها : «ان الارشمندريني كيرلس القبرصي جمع مالاً من النصارى وصنع تابوتاً للقديسة كاترينا سنة ١٦٩١ م في عهد المطران يوانيكيوس »

وأما الذي عن اليمين فقد أُهدي للدير من حكومة اليونان سنة ١٨٦٠ م وقد رصعت صورة القديسة كاترينا فيهِ بالحجارة الكريمة المختلفة الألوان والحجم وبينها زمردة خضراء كبيرة غالية الثمن * وفي سنة ١٧٦٥ رممت الكنيسة وجعل فوق بابها رخامى نُقش عليها باليونانية تاريخ ترميمها واسم مرممها

﴿ قبة الكنيسة ﴾ وفي سنة ١٨٧٠ في عهد المطران كاليستراتس جعل للكنيسة قبة جميلة وعلّق فيها : عارضة من خشب وهي ناقوسها قبل استعمال الحديد . وعارضة من حديد وهي ناقوسها قبل استعمال الأجراس . و١٥ جرساً نحاسيًّا اكثرها صغيرة الحجم تستخدم لاغراض شتى . وفي أيام الأعياد تدقُّ كلها معاً

وفي هذه الكنيسة ، كنيسة الدير الكبرى ، صلاة الرهبان اليومية والعمومية

وفي تاريخ الدير أن الملك يوستينيانوس لما بنى هذه الكنيسة بنى كنيسة بيت لحم وكنيسة مارسابا قرب القدس وكلها على هندسة واحدة

﴿ سقف الكنيسة ﴾ وسقف الكنيسة ذو سطحين منحنيين كظهر الثور وقد كان يُغطّى منذ بنيت الكنيسة بصفائح الرصاص . فلما كانت سنة ١٩١١ أشار بعض المهندسين على الرهبان بأن يضعوا بدل الرصاص اللامارين وهي صفائح رقيقة من « الحديد المزيبق » ففعلوا وندموا لأنهم استعملوا اللامارين لخفتهِ رفقاً بالسقف ثم علموا من أمهر المهندسين انما الرفق بالسقف هو في استعمال صفائح الرصاص فانهُ أفضل واقٍ من المطر والحرّ . أما صفائح اللامارين فانها لا تلبث أن تصدأ وتُثقَب فتتسرَّب مياه الأمطار في الجسور وتتلفها

﴿ جسور الكنيسة ﴾ وللسقف ثمانية جسور عظيمة من خشب الصنوبر اكتشف الرهبان حديثاً على بعضها كتابة باليونانية فيها اسم باني الكنيسة ومهندسها وهذه ترجمتها:

على الجسر الأول: «اللهم أنت الذي أظهرت نفسك في هذا المكان احفظ وارحم عبدك اسطفانوس مارتيريوس المهندس واليسيون ونوناس ونيّح نفس ولده جرجس»

وعلى الجسر السابع: « تذكاراً ونياحاً لله·او بة الذكر ملكتنا ثيودورة »

وعلى الجسر الثامن: « من أجل خلاص المؤمن ملكنا يوستينيانوس »

﴿ كنيسة العليقة ﴾

وبلصق الكنيسة الكبرى الى الشرق منها ورآء الهيكل: «كنيسة العليقة» وهي غرفة صغيرة بلطت جدرانها بالصيني . قيل وهي قائمة في مكان العليقة المقدسة التي ظهر الرب لموسى عندها (خروج ص٣ عد٢:٥) بل قيل أن باني الدير انما بناهُ في هذا الموضع تبركاً بالعليقة . والآن ترى هناك عليقة أصلها داخل الكنيسة وأغصانها خارجة من طاقة في جدارها الشرقي * هذا وفي قمة جبل المناجاة شرقي الدير نافذة طبيعية . ففي صباح ٢٣ مارس من كل سنة تدخل الشمس من هذه النافذة فطاقة الكنيسة في آن واحد وتنير العليقة . ولا يدخل هذه الكنيسة أحد الاّ يخلع نعليهِ خارج بابها تمثلاً بموسى النبي عند اقترابهِ من العليقة

وفي هذه الكنيسة منبر من خشب متين يجلس عليهِ مطران الدير وقد كُتب على ذراعَي المنبر بأحرف من صدف نُزّلت في الخشب اسم واقف المنبر وتاريخ وقفهِ لهُ هكذا: « وقف الفقير ابراهيم مسعد الحلبي لدير طور سينآء المعمور سنة ١٧١٣»

ورأيت في الكنيسة عدة ايقونات جميلة الصنع منها ايقونة نحو شبر في شبر جمعت على صغر حجمها صور مريم العذرآء والمسيح وجميع الأنبياء والرسل والقديسين الشهدآء وكلها واضحة جلية . وهي رسم كاهن من كريت يدعى أنتيموس رسمها سنة ١٧٦٠م

وفي جانبي الكنيسة الكبرى عن اليمين والشمال عدة كنائس صغيرة للرسل والانبيآء والقديسين تفتح أبوابها الى الكنيسة * في جانبها الأيمن الى يسار الداخل

أربع كنائس منها كنيسة القديسين قسطنطين وهيلانة . وفي جانبها الأيسر خمس كنائس منها كنيسة الشهداء في طريق كنيسة العليقة من هيكل الكنيسة الكبرى

وفي داخل السور عدا هذه الكنائس عدة كنائس صغيرة أكثرها متداعية الى الخراب وأهمها كنيسة الأرمن الى الشرق من الكنيسة الكبرى

وترى الكنيسة الكبرى بما تراكم حولها من الأبنية التي قامت بعضها على انقاض البعض كأنها في منخفض من الأرض . وهذا يفقدها كثيراً من رونقها وجمال بنائها

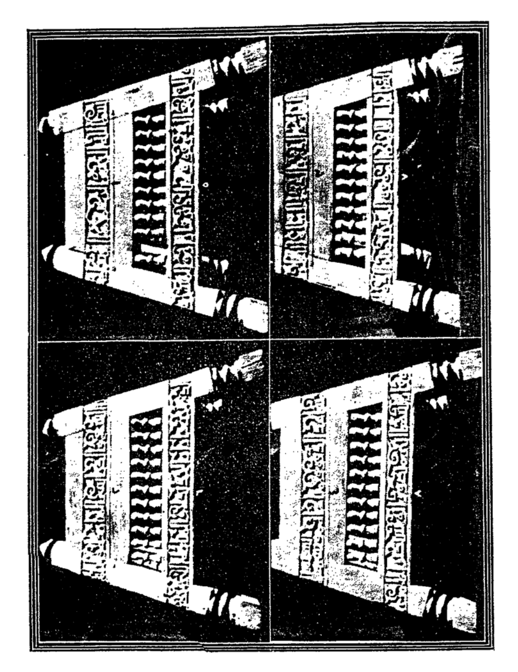
﴿ جامع الدير ﴾

أما جامع الدير فهو جامع صغير بمنارة غربي الكنيسة الكبرى على نحو عشرة أمتار منها وتعلو أرضهُ نحو عشرة أمتار عن أرض الكنيسة المذكورة . ومع ذلك فمنارتهُ أقل ارتفاعاً من قبّة الكنيسة . وبناؤهُ بالطوب النيّء والحجر الغرانيتي الغشيم

وفي الجامع أثران تاريخيان نفيسان وهما : كرسي ومنبر من الخشب الصلب أما الكرسي فعلى شكل هرم مقطوع نُقش على جوانبهِ الأربعة سطران بالخط الكوفي سطر من أعلى وسطر من أسفل وفيهما اسم باني الجامع ومالهُ في سيناء من المآثر. وترى صورة جوانب الكرسي الاربعة بالفوتوغرافية وما كتب عليها (شكل ٤٥)

وقد زالت هذه المآثر كلها ولم يبقَ منها الآن الأَّ هذا الكرسي والجامع الذي نحن بصددهِ والمسجد على قمة جبل موسى المار ذكرهُ

أما منبر الجامع فقد حُفر على جبهتهِ ستة أسطر بالخط الكوفي فيها اسم واقف المنبر وتاريخ وقفهِ لهُ . وقد أخذت رسم الكتابة على ورق نشاف عند زيارتي للدير سنة ١٩٠٥ . وأخبرني الرهبان أن المؤرخ المحقق احمد زكي باشا سكرتير مجلس النظار زار الدير سنة ١٩٠٠ وطبعها على قوالب من الجبس فلما عدت الى مصر وجدت زكي باشا محتفظاً بالقوالب وراغباً في حلها . وقد دلني على الشيخ مصطفى القباني الدمشقي وهو من كبار الثقات في الخطوط الكوفية في مصر والشام فقرأها لي . وترى صورتها بالفوتوغرافيا وقراءتها (شكل ٤٦)



شكل ٤٥ : كرسي الجامع التاريخي

« بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر بعمل هذا الشمع والكراسي المباركة والجامع المبارك الذي بالدير الأعلا والثلاث مساجد الذي فوق مناجاة موسى عليه السلام والجامع الذي فوق جبل دير فاران والمسجد الذي تحت فاران الجديدة والمنارة التي بحضر الساحل الأمير الموفق المنتخب منير الدولة وفارسها أبي المنصور أنوشتكين الامري.» اه

« بسم الله الرحمن الرحيم لا إله الا الله وحده لا شريك لهُ . لهُ الملك ولهُ الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير . نصر من الله وفتح قريب . لعبد الله ووليـّـهِ أبي علي المنصور الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليهِ وعلى آبائهِ الطاهرين وأبنائهِ المنتصرين . أمر بانشاء هذا المنبر السيد الأجل الافضل أمير الحرمين سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو القاسم شاهنشاه عضد الله بهِ الدين وامتع بطول بقائهِ أمير المؤمنين وأدام قدرتهُ وأعلا كلمتـهُ وذلك في شهر ربيع الأول سنـة خمس ميه أثق بالله » اه



شكل ٤٦ : الكتابة الكوفية على منبر الجامع

أما الامام الآمر بأحكام الله أبو علي المنصور. والأفضل أبو القاسم شاهنشاه المذكوران في لوحة المنبر فالأول هو السابع من خلفاء الدولة الفاطمية الذي تولّى الخلافة من سنة ٤٩٥ : ٥٢٤ هـ ١١٠١ : ١١٣٠م. والثاني وزيرهُ صاحب المنبر. وتاريخ انشائهِ المنبر ربيع أول سنة خمس مئة هـ يوافق نوفمبر ١١٠٦م

وأما ابو المنصور انوشتكين الآمري باني الجامع المذكور في لوحة الكرسي فتدلُّ نسبتهُ الى « الامري » على انهُ كان أحد امرآء الآمر بأحكام الله المذكور آنفاً . وسنعود الى ذكر الجامع وآثارهِ وبانيهِ في باب التاريخ

وفي محراب الجامع حجر من المرمر الصقيل مكتوب عليهِ بالحبر بعض اسمآء الزوار المسلمين ومنهم : « مفتاح عبد الله في ٢٨ رمضان سنة ٩٢٥» هـ ٢٥ سبتمبر سنة ١٥١٩ م « سليم بن محمد الخطيب (ومعهُ جماعة من عساكر الباشبوزق) في ١٨ رجب سنة ١٠٢١ » هـ ١٤ سبتمبر ١٦١٢ م

وبدنة الرزنة من قبيلة أولاد سعيد هم المخصصون لخدمة الجامع فلا يُسمح لأحد بهذه الخدمة غيرهم. والظاهر أنهم أرسلوا من مصر بعد بنآء الجامع ليكونوا في خدمتهِ فتناسلوا بين العرب وانضموا الى أولاد سعيد بطريق الأخوَّة فعاشوا معهم الى اليوم. ويبلغ عددهم الآن نحو عشرين رجلاً كلٌّ منهم يخدم الجامع أسبوعاً . وهم لا يصلون فيهِ ولا يؤذّنون ولكنهم يكنسونهُ ويعتنون بنظافتهِ وفي شهر رمضان ينيرونهُ كل ليلة. واذا زار الدير مسلم وجيه فرشوا لهُ الجامع بحصيرتين وسجادة ليصلي فيهِ

ويُلقّب خادم الجامع « بالخوجه » . ولهُ جراية من الدير يومية واسبوعية. أما اليومية فعشرة أرغفة وطعام الظهر والمسآء مما يأكلهُ الرهبان . واذا صام الرهبان أخذ بدل طعامهِ قدحاً من القمح . وأما جرايتهُ الاسبوعية فانهُ يتناولها عند انتهاء الاسبوع قبل الانصراف وهي خمسة أقداح مصرية من القمح ونصف قدح من العدس وثلاثة أرغفة وأقة بلح . هذا وفي الوقت نفسهِ يأخذ جراية عائلتهِ وهي في كل يومين ٣ ارغفة للمرأة و ٤ ارغفة للبالغ من اولاده و ٣ ارغفة لغير البالغ منهم. ومعدل وزن رغيف الدير ٣٥ درهماً

﴿ مكتبة الدير ﴾

أما مكتبة الدير ففي الطبقة الثالثة من بناء قديم جنوبي الكنيسة الكبرى وهي ثلاث غرف في صف واحد الوسطى منها مبلطة بالرخام وكانت قبلاً مجلساً للرهبان وفيها الآن صور بعض مطارنة الدير تصوير يد كالمطران حنانيا سنة ١٦٥٨:١٦٦٨. والمطران كيرلس الاول سنة ١٧٥٩ : ١٧٩٠ . والمطران قسطنديوس الثاني سنة ١٨٠٤ : ١٨٥٩ . والمطران كالستراتس سنة ١٨٦٧ : ١٨٨٥ والمطران پورفيريوس الأول سنة ١٨٩٧. وغوريغوريوس خزندار الدير في ايام كالستراتس وپورفيريوس الاول . وفيها جرة كبيرة من الرخام الأصفر الصافي مثقوبة من أسفلها . وقد نقش عليها:

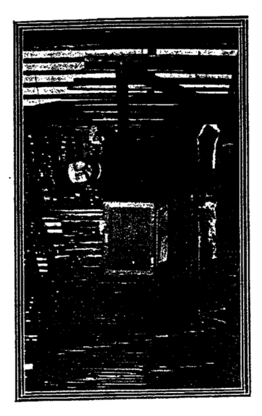
يا وارد المآء الزلال الصافي   اشرب هنيئاً صحةً وعوافي * ٤٠٠

وأما الكتب ففي الغرفتين الآخريين مرصوصة على رفوف من خشب قيل تبلغ نحو ٣٠٠٠ كتاب وهي مجموعة نفيسة من الكتب الدينية والأدبية والتاريخية من صدر النصرانية الى هذا العهد . وهذه الكتب اما خطية أو مطبوعة باللغات اليونانية والعربية والسريانيــة والعبرانية والأرمنية والحبشية والقبطية والفارسية والروسيــة واللاتينية . وأكثر كتبها باليونانية والعربية * وأهم هذه الكتب وأقدمها :

﴿ الانجيل السرياني ﴾ المعروف باسم «بالمِسست» وهي نسخة خطية غير تامة من الأنجيل باللغة السريانية مكتوبة على رق غزال . قيل هي أقدم نسخة معروفة للأنجيل باللغة السريانية . ويظن انها مترجمة عن أصل يوناني في القرن الثاني للمسيح

أما لفظة « بالمِسست » فتدل على أنها مكتوبة على الرق ثالث مرة . فسميت كذلك لأنهُ ظاهر على الرق ان قد كتب عليهِ مرتين من قبل ثم مُحيت الكتابة عنهُ وكتب عليهِ ثالث مرة هذه النسخة من الانجيل

وأوّل من اكتشف هذه النسخة ودلّ عليها سيدتان شقيقتان انكليزيتان وهما مسس سمِث ومسس جِبسن وذلك في سنة ١٨٩٣م . وهي محفوظة الآن في مكتبة الدير في صندوق جميل من الخشب الثمين لهُ غطآء من زجاج وعليهِ كتابة باليونانية



شكل ٤٧ : صندوق الانجيل السرياني
يفتحهُ الاب بوليكربوس



شكل ٤٨ : الاب بنيامين اقلوم الدير
سابقاً بثياب الشغل. واحد الجبالية

هذا مؤدّاها : « نحن أغنس سمث ومرغريت جبسن اعترافاً بجميل الدير نرسل اليهِ هذا الصندوق ليحفظ فيهِ النسخة السريانية للكتاب المقدس المسماة بالمِيست »

﴿ والتوراة اليونانية ﴾ المعروفة باسم « كودَكس سيناتيكوس » وهي نسخة خطية غير تامة من التوراة اليونانية . قيل انها من القرن الرابع للمسيح . اكتشفها في الدير العلاّمة الروسي تيشندُرف سنة ١٨٦٩ في عهد المطران كالِستراتس وحملها الى بطرسبورج وعرضها على اسكندر الثاني قيصر روسيا فاشتراها القيصر من الدير بثمانية آلاف فرنك ! وقد طبع منهـا عدة نسخ بالفوتواغرافية وأرسل الى الدير نسخة منها وحفظ الأصل عنده . قيل وفي مكتبة لِيْسك أوراق من النسخة الأصلية

﴿ والانجيل مكتوباً بماء الذهب ﴾ قيل انهُ خط يد الامبراطور ثيودوسيوس أهداه للدير سنة ٧١٦ ولكن رأي اكثر المحققين أنهُ ليس أقدم من القرن العاشر للمسيح

﴿ ومزامير داود مكتوبة بحروف مكروسكوبية ﴾ قيل انها مكتوبة بخط الراهبة

كاسياني وقيل انهُ خط كاتب في بدء القرن الخامس عشر بدء النهضة العلمية في أوربا

« والعهدة النبوية » وهي في تقاليد الرهبان كتاب العهد الذي كتبهُ لهم النبي محمد . قالوا وقد كان الاصل محفوظاً في الدير الى ان فتح السلطان سليم مصر سنة ١٥١٧م فأخذ الاصل وأعطاهم نسخة منهُ مع ترجمتها التركية . وفي المكتبة الآن عدة نسخ منها بعضها على رق غزال وبعضها على ورق متين وبعضها في دفتر خاص وسنأتي على هذه العهدة وما قيل في شأنها بالتفصيل في باب التاريخ

« فهارس المكتبة » وللمكتبة فهارس أنشأها أهل الفضل غيرة على الدير والعلم وهي:

« فهرس الكتب اليونانية الخطية » انشأهُ الاستاذ جردنوسن من لِنيسك وطبعهُ في اكسفورد سنة ١٨٨٦

« وفهرس الكتب اليونانية المطبوعة » للراهب بولس من رهبان الدير النجباء

« وفهرس الكتب السريانية الخطية» للفاضلة اجنس سمث لويس المار ذكرها

« وفهرس الكتب العربية الخطية » للفاضلة مارغريت جبسن سنة ١٨٩٤

وأما الكتب التي بباقي اللغات فليس لها فهارس بعد * ثم ان أهمّ الكتب العربية : « نسخ من التوراة . وتفاسير الكتب المقدسة . والمزامير . والأناجيل . وقراءات من الأناجيل « تقرأ على طول السنة » . وأخبار القديسين . واستشهاد القديسة كاترينا ومقالات لباسيليوس الكبير والقديس غوريغوريوس الثاولوغس والقديس غوريغوريوس والقديس يوحنا فم الذهب ومار اسحق السرياني ومار افرام السرياني. وقصة عبد المسيح الذي استشهد بالرملة . وقصة القديسة تقلة . وقصة جهاد القديسة بربارة . وقصة القديسين المقتولين في طور سيناء . وذكر مريم المصرية . وقصة أرسانيوس السليح في برية مصر . ورجعة الصليب بعد ما ردَّهُ هرقل من بابل الى بيت المقدس . وقصة الملك اسكندر ذي القرنين . وخبر وجود الصليب على يد الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين . وشهادة الابهات الذين قتلوا بطور سيناء . وقصة القديس انسطاسيوس رئيس طور سيناء . وكتاب الأقليمقوس» تأليف يوحنا رابع رئيس للدير وهو من أشهر كتب الدير وسيأتي ذكرهُ في باب التاريخ

﴿ سائر أبنية الدير ﴾

وأما بقية الأبنية داخل السور فالتي الى غربي الكنيسة الكبرى ما عدا الجامع: معصرة الزيتون ومعمل الخمر ومخازن الغلال في الطبقة الأولى . ومنازل للرُّهبان وزوَّار الدير في الثانية والثالثة . ومنزل المطران والضيوف في الرابعة

والى شرقي الكنيسة : مخازن المؤونة ومنازل الرهبان طبقة واحدة وطبقتان وثلاث طبقات . والطاحونتان . والفرنان . والمطبخ العام . وكنيسة الأرمن وقد جعلوها الآن غرفة الطعام وخشب مائدتها ومقاعدها متين وعليهِ رسوم جميلة قديمة العهد

والى شمالي الكنيسة : مجلس الرهبان في طبقة ثانية . والدوَّار المار ذكرهُ طبقة ثالثة . ويصعد منهُ بسلم قصير الى مكتب الدير وغرفة الاستقبال

والى جنوبي الكنيسة ما عدا المكتبة : منازل للرهبان . وكانت اكثر الأبنية التي بلصق الحائط الجنوبي متداعية فهدمها المطران الحالي وسيشرع قريباً في بناء مركز جديد لهُ ومنازل للرهبان وكنائس في مكانها

﴿ آبار الدير ﴾

وللدير عدة آبار حية داخل السور وهي :

« بئر موسى » شمالي الكنيسة الكبرى قرب الدوّار ومجلس الرهبان . وهي بئر قديمة مطوية بالحجر . قيل هي أقدم من الدير وانها البئر التي سقى منها موسى النبي غنم بنات يثرون (خروج ص ٢ عد ١٧) ومن ذلك اسمها

« وبئر العليقة » بجانب العليقة والطاحونتين وهي بئر عميقة مطوية بالحجر . قيل وهي أيضاً أقدم من الدير

« وبئر اسطفانوس» الى الجنوب الغربي من الكنيسة الكبرى بجانب كنيسة اسطفانوس وماؤها عذب وهي التي يشرب منها الرهبان وفي تقاليدهم أنها البئر التي احتفرها اسطفانوس مهندس الدير . وبجانبها سروة وهي الشجرة الوحيدة داخل السور

﴿ عرصة الدير ﴾

أما عرصة الدير ففناءٌ مسوَّر غربيهُ فيهِ منزل للضيوف. ولسور العرصة بوابة تفتح للشمال وهي بابها العمومي . وفوق عتبتها رخامى نقش عليها باليونانية كتابة مؤداها أن البوابة بنيت في عهد المطران كيرلُّس سنة ١٨٥٩ : ١٨٦٧ . وباب صغير يفتح الى الجنوب ويصعد منهُ الى جبل موسى . وآخر يفتح الى الغرب يؤدي الى حديقة الدير

﴿ حديقة الدير ﴾

أما حديقة الدير فهي جنينة متسعة مسوّرة في أرض متحدرة فيها ١٢ جلاً ولسورها من جهة الغرب باب معلق يدلي منهُ خدام الحديقة الطعام الى أهلهم في الخارج

وفي الحديقة من أشجار الخشب : السرو . والصفصاف . والحور

ومن أشجار الفاكهة : التين . والعنب وهو اكثر أشجارها . والخوخ . والتفاح . والمشمش . والجوز . والسفرجل . والكمثرى . والبرتقال . واللوز . والتوت الاسود

ومن أشجار الغلة : الزيتون . والخروب . ونخلة واحدة

وفيها من الأزهار : الورد . والقرنفل . والمنثور . والريحان . والآس

ومن الخضر والبقول : الأرنبيط . والسلق . والخيار . والكوسه . والفول . والسبانخ . والخرشوف . والبقدونس . والخس . والفجل . والبصل . والتوم . والبقلة . والنعنع

﴿ آبار الحديقة ﴾ وفي هذه الحديقة ثلاث آبار وثلاثة ينابيع . وأما الآبار فهي: « بئر مكاريوس » في أعلى الحديقة عمقها نحو ١٥ متراً وماؤها في الصيف باردة كالثلج . قيل انها أقدم آبار الحديقة وان قد احتفرها مهندس الدير « و بئر اللوزة » تحتها عند لوزة قديمة العهد . والبئر الثالث مهجورة في جل منخفض عنها

وأما الثلاثة ينابيع ففي أسفل الحديقة وقد جروا ماء أسفلها الى جنينة صغيرة غربي الحديقة الكبرى بينهما الطريق المؤدية الى الدير

والى شرقي الحديقة وشمالي الدير على يسار الداخل في بوَّابة العرصة نبع غزير يدعى « بركة الدوَّار » يجري ماؤهُ بقناة تحت الأرض فيسقي الجهة الشرقية من الحديقة

﴿ معرض الجاجم ﴾ هذا وفي وسط الحديقة مدفن الرهبان ومعرض الجاجم فهم يدفنون موتاهم في هذا المدفن ويتركون الجثث حتى تبلى فينبشونها ويأخذون عظامها ويجعلونها في معرض خاص قرب المدفن يسمى « كنيسة الموتى »

ترى في مدخل المعرض غرفة صغيرة فيها رفات الموتى من زوّار الروس وأهل الطور . وترى صورة القديس أونوفربوس من نساك طور سيناء المشهورين ولهُ لحية تكاد تلمس الأرض . والمعرض قبو متسع تعلوهُ كنيسة وقد رُصت الجماجم بعضها فوق بعض كآنية الفخار في جهة منهُ وباقي العظام في جهة اخرى . وترى بعض هياكل العظام متماسكة من الرأس الى القدم وبينها هيكل غريب في الطول هذه هي عظام الرهبان . وأما المطارنة فان هياكل عظامهم قد جُعل كلٌّ منها في صندوق خاص أو في عين في الحائط ومن ذلك : رفات المطران حنانيا الذي سعى ليكون بطريركاً للاستانة ولم يفلح وتوفي سنة ١٦٦٨ . ورفات المطران اثناسيوس المتوفى سنة ١٧١٨ م * ورفات المطران دوروسيوس المتوفى سنة ١٧٩٧م * ورفات المطران قسطنديوس الثاني الذي صار بطريركاً في الاستانة وتوفي سنة ١٨٥٩ م * ورفات المطران كالستراتس المتوفى سنة ١٨٨٥ . ورفات المطران پوفيريوس الاول

وترى عند باب هذه القاعة عن شمالك هيكل رجل مسنّ قد أجلسوهُ على كرسيّ وألبسوهُ ثياباً رثّة وجعلوا في يدهِ سبحة حتى تخالهُ حيًّا حارساً للباب . قيل انهُ هيكل القديس اسطفانوس أوّل بوّاب للدير في أيام يوحنا اقليمقوس المذكور آنفاً

وترى معلقاً في الحائط رفات ناسك وبجانبهِ سكينهُ ولباسهُ وحزام من حديد كان يتحزّم بهِ . قيل توفي سنة ١٦٩٦ وقد أخرجت عظامهُ من مدفنها في عهد المطران اثناسيوس المار ذكرهُ

﴿ ضواحي الدير ﴾

أما ضواحي الدير التي تستحق الزيارة لما عليها وعلى الطرق المؤدية اليها من قديم الآثار فهي : « قمم جبال موسى . والصفصافة . والمناجاة . وكاترينا »

أما «قمة جبل موسى» فلها من الدير طريقان: «طريق سيدنا موسى. وطريق عباس باشا»

أما «طريق سيدنا موسى» فهي طريق مختصرة الاّ انها متحدّرة شاقة مهدها الرهبان منذ عهد بعيد جدًا وجعلوا لها سُلماً من الحجر الغشيم فيهِ نحو ٣٫٠٠٠ درجة وقد رممَّهُ المطران الحالي سنة ١٩١١

ومسافة هذه الطريق نحو ساعتين ونصف ساعة للشاب النشيط المتعوّد تسلّق الجبال: تصعد فيها نحو ثلث ساعة فتأتي «نبع ماء» كان يعيش عليهِ قديماً ناسك اسكافي * فربع ساعة تأتي «كنيسة الاقاوم». وفي تقاليد الرهبان الروائية: انهُ في احدى السنين اشتدّ الجوع في الجزيرة وانقطع الزاد عن الرهبان فأقرُّوا على ترك الدير والالتجاء الى مدينة الطور فراراً من الجوع فصعدوا الى قمة جبل موسى لاداء الزيارة قبل الرحيل وتأخّر الاقاوم في الدير فأقفل الابواب وسلّم المفاتيح الى شيخ أولاد سعيد بحضور مشايخ الجزيرة كلهم وسار في طريق قمة جبل موسى لاحقاً باخوانهِ. فلما وصل هذا المكان تجلّت لهُ مريم العذراء وابنها الطفل على يدها وقالت لهُ: «اذهب وتمم زيارتك لقمّة الجبل وعد باخوانك الى الدير فان الفرج قد جاءكم» قالت ذلك وغابت عن نظرهِ. فعاد باخوانهِ الى الدير فوجدوا إبلاً كثيرة محملة حبوباً فسألوا أصحاب الإبل عمَّنْ أتى بهذه الحبوب فقالوا أتى بها شيخ جليل علاهُ الشيب وفتاة في مقتبل الجمال وقد رافقانا الى هذا المكان ثم اختفيا عن الأبصار. قال الرهبان ان الشيخ والفتـاة هما موسى النبي والقديسة كاترينا وقد شادوا هذه الكنيسة على اسم مريم العذراء تذكاراً لتلك الحادثة العجيبة!

تصعد من كنيسة الأقاوم عشر دقائق تجد «القنطرة الاولى» مبنية بالحجر المقصوب. فعشر دقائق أخرى تجد «القنطرة الثانية». قالوا كان يجلس عند كل قنطرة راهب أو اكثر يتقبل الاعتراف من الزوار ويكتب أسماءهم

تسير من القنطرة الثانية نصف ساعة في منخفض بين الجبال يدعى «الفَرش» فتأتي «كنيسة موسى النبي» وبجانبها «كنيسة ايليا النبي» * وفي هذه الكنيسة مغارة متسعة. قيل أنها المغارة التي سكنها ايليا النبي عند مجيئهِ الى حوريب (ملوك ١ ص ١٩)



شكل ٤٩ : الجامع الصغير على قمة جبل موسى



شكل ٥٠ : القنطرة الاولى في طريق سيدنا موسى .

ومن الفرش طريق تتجهُ شمالاً بغرب الى « قمة جبل الصفصافة » مسيرة ساعة ونصف ساعة مارة بمغارة القديس اسطفان المار ذكره عن اليسار ثم كنيسة مار يوحنا عن اليمين . وهذه القمة هي في رأي اكثر المحققين القمة التي وقف عليها موسى وألقى على شعبهِ الوصايا العشر وهم تجاههُ في سهل الراحة كما مرّ * ولنعد الى طريق سيدنا موسى

تصعد من كنيسة النبي ايليا خمس دقائق فتأتي سفح «شاهق» عظيم أتينا على رسمهِ عند ذكر جبل موسى (شكل٥) * ومنهُ تصعد في درج يكاد يكون عاموديًّا نحو ساعة فتصل قمة جبل موسى . تجد هناك كنيسة صغيرة وجامعاً صغيراً وينكشف لك منظر من أجمل مناظر الطبيعة كما قدمنا . وقبل وصولك الى قمة الجبل بنحو ٥ دقائق تجد على الطريق أثراً في صخرة كأثر قدم الجمل يدل البدو عليهِ أنهُ الأثر الذي تركهُ جمل النبي لما زار الجبل ! * قيل سميت هذه الطريق طريق موسى لان موسى كان يتخذها الى قمة الجبل من العليقة

وأما « طريق عباس باشا » فانها تسير من الدير شرقاً الى رأس جبل المناجاة ثم تنحرف جنوباً الى سفح « الشاهق » المار ذكره . والى هنا يمكن الزائر ان يركب جواداً أو هجيناً أربعين دقيقة من الدير ثم يترجّل ويسير في «طريق سيدنا موسى» الى قمة الجبل نحو ساعة فتكون مسافة هذه الطريق ساعة وثلثي الساعة . وقد مهّدها من الدير الى الشاهق المغفور لهُ عباس باشا الأول فسميت باسمهِ

وأهمّ ما في هذه الطريق « جبل المناجاة » وعلى قمتهِ كنيسة صغيرة . قيل انها قائمة على اطلال دير قديم للراهبات

أما « قمة جبل كاترينا » فلها من الدير طريق واحد تنحدر غرباً بوادي الدير الى مقام النبي هارون فتلتقي وادي اللجاة فتصعد معهُ جنوباً الى رأسهِ ومنهُ صعوداً في الجبل الى قمتهِ . ومسافة هذه الطريق من الدير الى رأس وادي اللجاة ساعة للراكب وساعة وثلث للماشي . ومن رأس وادي اللجاة الى قمة الجبل ساعتان للراكب وثلاث ساعات للماشي النشيط في طريق لولبية مهدها سنة ١٩٠٥ الأب كالستو أحد رهبان الدير. وهذا الراهب هو باني الكنيسة وصهريج الماء المار ذكرهما على قمة جبل كاترينا . ومما يستحق الذكر في طريق الدير الى رأس وادي اللجاة :

« جبانة للجبالية » على وادي الدير قبيل مقام النبي هارون وفيها قبر يزار للشيخ نَهَمة من الجبالية مات منذ نحو مئة سنة

« فنُقرة البقَرة » على نحو خمس دقائق جنوبي مقام النبي هارون . قيل انها البقعة التي صنع عليها النبي هارون العجل لبني اسرائيل عند تغربهم في جبل سيناء

« فالبستان » من أهمّ بساتين الدير على يمين وادي اللجاة وفيهِ أنواع الفاكهة والخضر . ومنزل صغير طبقتين . وكنيسة قديمة العهد على اسم مار جرجس

« فالربّة » على يسار وادي اللجاة في منتصف الطريق بين رأس الوادي والدير وهناك بستان متسع حوى أنواع الفاكهة والخضر . وفيهِ كنيسة جميلة تدعى كنيسة الرُسل . ومنزل صغير في طبقتين . ونبعان غزيران . وأقدم ما فيه ثلاث صخرات نبطية كبيرة . وبجانب الربة الى جهة الغرب منازل من حجر غشيم وطين للجبالية

يسكنون فيها أيام الصيف . وعلى نحو ساعة غربيها الجبل الذي اختارهُ ساكن الجنان عباس باشا الأول مصيفاً لهُ وشرع في بناء قصر عليهِ فلم يتمهُ

« فاللجاة السفلى » وهي بستان من الزيتون والرمان بين الربة ورأس الوادي . وفي أسفلهِ نبع غزير يسقي «البستان» المار ذكره « والحواويط والقنطرة » بينهما

« فاللجاة العليا » في رأس الوادي . وهناك بستان عظيم من شجر الزيتون وبعض أشجار الفاكهة . وخمس عيون ماء . ومنزل قديم للرهبان . وكنيسة «الأربعين شاهد » . وهم الشهدآء الأربعون الذين قتلوا لأجل ايمانهم بالمسيح في سبسطية بكبدوكية في ٩ اذار سنة ٣٢٠ م

« وصخرة موسى » بين اللجاة السفلى واللجاة العليا . وهي صخرة غرانيتية علوها نحو ١٢ قدماً وطولها وعرضها نصف ذلك . يدلُّ عليها الرهبان أنها الصخرة التي أخرج منها موسى النبي المآء لبني اسرائيل (سفر العدد ص ١٩ عدد ٨ : ١١)

❊ زوّار الدير ❊

هذا ولما كان المأثور واعتقاد الجمهور ان الدير قائم على «طور سيناء » الجبل الذي كلَّم الله عليهِ موسى وقد قدَّسهُ القرآن والانجيل والتوراة على السوآء لذلك كان الدير محجاً لزوار اليهود والنصارى والمسلمين من الشرق والغرب منذ أول عهدهِ الى هذا اليوم . ولكن قلَّ من زار الدير في هذا العهد زيارة دينية غير الروس المعروفين بالمسكوب . يزورونهُ رجالاً ونساءً كل سنة . ومتوسط عدد الزوار منهم في السنة ٢٠٠ أو اكثر . وتدوم زيارتهم للدير ثمانية أيام يزورون في اثنائها جميع الضواحي المتقدم ذكرها

وهم يأتونهُ في الغالب بعد زيارة القدس في عيد الميلاد وعيد الغطاس . أو يأتونهُ رأساً من بلادهم لحضور عيد القديسة كاترينا الواقع في ٢٥ نوفمبر من كل سنة حساباً شرقيًّا اذ يحتفل الرهبان بهذا العيد احتفالاً بالغاً منتهى الأبهـة لأن ديرهم مسمّى برتبة العيد كما قدمنا * يأتي هؤلاء الزوار أولاً مدينة السويس ومنها يأخذون طريق البحر الى مدينة الطور فالدير أو يذهبون رأساً من السويس بطريق البرّ

ويرجعون كلهم بمدينة الطور فيزورون حمام موسى وجبل الناقوس . ثم يأتون القاهرة ويزورون الاهرام . وبئر يوسف في القلعة . وشجرة العذرآء في المطرية

هذا وفي مدة اقامتهم في الدير ومراكزه في السويس والطور والقاهرة يأكلون ويشربون وينامون على نفقة الدير . ولكن بعضهم يقدمون نذوراً للدير من نقود وحلَى

﴿ أملاك الدير ﴾

١ . في جزيرة سيناء

يملك رهبانُ سينآء الديرَ وضواحيهُ . ولهم بستان في وادي طلاح غربي الرَّبة . وبستان كبير في جبل الفُرَيع غربي الدير . وبستان كبير ونخيل وخرائب دير قديم في فيران . ومركز وكنيسة ومدرسة في مدينة الطور . وبستان نخيل ومنزل كبير في حمام موسى . وخرائب دير وكنيسة في وادي الطور . وكان لهم قديماً عين النصب وبستانها فوهبوهما للنفيعات . وعين حُدْرة وبستانها فوهبوهما للعليقات كما قدمنا

واذا سألت الرهبان عن أملاكهم في سينآء قالوا « لنا الدير ودائرة من الأرض طول قطرها ثلاثة أيام ! » . وأما أملاكهم وأوقافهم خارج سينآء فهي :

٢ . في مصر وسوريا وآسيا الصغرى

« مركز في القاهرة » تجاه جامع الظاهر وفيهِ كنيسة ومنازل ثلاث طبقات للمطران والرهبان والزوّار وحديقة متسعة . وبجانبهِ منزل كبير ذو ثلاث طبقات للايجار . وكان مركزهم قبلاً في الجوّانية بقسم الجماليّة أقاموا فيهِ زماناً طويلاً الى سنة ١٨٩٠ . ثم غيّروه لتقادم عهده وازدحام السكان حولهُ وعدم ملاءَمتهِ للصحة . قالوا وكان لهم قديماً قبل الجوانية مركز في مصر العتيقة فنقلوهُ الى الجوانية للسبب عينهِ

وفي مركز القاهرة يقضي مطران سينآء معظم الشتاء والربيع ومعهُ بعض الرهبان للنظر في علائق الدير مع حكومة مصر والسياح والزوار وتدبير المؤن والمعدات اللازمة للدير

« ومنزلان للايجار في الاسكندرية » كل منزل ٣ طبقات

« ومركز في السويس » وهو منزل للرهبان وبقربهِ منزل للايجار ذو ثلاث

طبقات . وهنا يقيم على الدوام راهب منهم لتسهيل وسائط السفر للرهبان وزوار الدير « وابعدية في سرياقوس » قرب القاهرة وهي مئة فدان من الأطيان الزراعية قالوا وهبها لهم ساكن الجنان عباس باشا الأول بدل عين و بستان كانا لهم في الجبل الذي اختاره مصيفاً قرب الدير

وللدير مركز في طرابلس الشام . ومركز في دمشق الشام . ومركز في ازمير

٣ · في جزائر الارخبيل الرومي وشرق أوربا

ومركز في جزيرة صاقس . وكنيستان في جزيرة زَنتي . وثلاث كنائس واربعة مراكز في جزيرة قبرص . وأربع كنائس في جزيرة كريت . ومركز وكنيستان في المورة . ومركز في كلامس من بلاد اليونان على ٨ ساعات بالسكة الحديد جنوبي اثينا . وكنيسة في الاستانة . وكنيسة في بيتوليا بمكدونية . ومركز في مناستير . وكنيسة في يانينا جنوبي البانيا . وكنيسة في تفليس في روسيا . ومركز في كِيَف في روسيا . وكان لهم أوقاف متسعة في كيف استولت عليها الحكومة الروسية وهي تعطيهم من ريعها من ٢٥٠٠ : ٣٠٠٠ جنيه في السنة

هذا وكان للدير قديماً مركز في ضواحي غزة يمدُّه بالحبوب بطريق المويلح فالثمد فوادي شعيرة الدبس . وكان الرهبان يدفعون مرتبات سنوية للمشايخ الذين تمر القوافل في بلادهم . ثم اهمل مركز غزة بعد استتباب الأمن في مصر في أيام المغفور له محمد علي باشا ؟ واكتفي بمركز مصر . اخبرني الأب افثيانوس وكيل الدير سابقاً أنهُ في سنة ١٨٧٠ حضر الى مركز الدير بمصر بعض مشايخ السواركة وطلبوا المتأخر من مرتباتهم لعدة سنين مع ان الدير كان قد ألغى مركز غزة ولم يخفروا لهُ قافلة في كل تلك المدة فرفض طلبهم ولكنهُ تقدم شيئاً من المطلوب كهدية تطييباً لخواطرهم

دخل الدير ونفقاتهُ

أن متوسط «دخل الدير» في سيناء وحدها : من الزيت نحو ٣٥٠٠ اقة . ومن النبيذ نحو ١٥٠٠ أقة يستخرجونهُ من العنب . ومن العرق نحو ١٥٠٠ أقة يستخرجونهُ

من البلح . ومن السبرتو نحو ٥٠٠ أقة يستخرجونهُ من البلح في مركزهم بمدينة الطور ومن البلح نحو ٢٠٫٠٠٠ أقة . ولهُ دخل سنوي من أبعديتهِ في سرياقوس وأملاكهِ في مصر القاهرة والاسكندرية والسويس ومن مراكزه في الشام وآسيا الصغرى وأوربا[1]

أخبرني مطران سيناء الحالي أن متوسط دخل الدير في السنة نحو ستة آلاف جنيه تنفق كلها أو معظمها على العرب والرهبان وترميم الدير ولوازمهِ

أما « نفقات الدير » فمعظمها على العربان وحجاج الروس . قال الاقلوم السابق «وربما بلغت نفقات الدير على العربان وحدهم ألفي جنيه في السنة أو اكثر : يرد الى الدير من مركزه بمصر كل سنة ١٥٠ كيس تبن ونحو ٥٠٠ أردب من الحبوب منها ١٠٠ أردب فول و ٧٠ أردب شعير و ٥٠ أردب ذرة و ١٠ أرادب عدس والباقي قمح . فلا ينوب الرهبان من هذه الحبوب كلها سوى خمسين أردباً وما بقي ينفق على العربان وزوار الدير من المسكوب وغيرهم» . وسألت الاقلوم زيادة الايضاح فقال :

« يوزع الرهبان مرتباً يومياً من الخبز على الجبالية القاطنين في جوار الدير وعلى فقرآء سائر القبائل اذا مرُّوا بالدير. فهم يفتحون باب الدوّار كل يوم من الساعة ١٠ صباحاً الى الساعة ١ بعد الظهر فمن حضر من الجبالية وغيرهم أنزلوا له الراتب من الباب المذكور . وهو في كل يومين ٥ أرغفة للرجل و ٤ أرغفة للبالغ أو البالغة و ٣ أرغفة للمرأة و٣ أرغفة للطفل . ويوزعون أيضاً عليهم البن والسمن والأرز والزيت والخل والسبرتو بمقادير قليلة . ويوزعون على مرضاهم الكينا وأنواع الشربات واللزق وغيرها من الأدوية المتعارفة

واذا مات أحد الجبالية أو الرّزنة ونعاهُ أهلهُ الى الدير أعطاهم الدير الكفن والقطن ولوح صابون لغسل الميت وتكفينهِ وقدحَي قمح وقدح عدس وقليلاً من البن وأعطاهم فوقها ٣ أقات تمر للتوزيع على الفقراء عن روح فقيدهم

واذا ضاف الرهبانَ شيخٌ من العرب في الدير أو في الطور أو في مصر ذبحوا لهُ واكرموهُ وقدموا العلف لبهائمهِ »

---

(١) كانت الحكومة المصرية تمنح الدير إعانة سنوية وصلت في عام ١٩١١ حوالي ١٠٠ جنيهاً مصرياً نظير المساعدات التي يقدمها الدير لمن يلتجئون إليه من البدو . دار الوثائق، محافظ مجلس الوزراء، محفظة ٤/أ شركات وجمعيات، مجموعة ٣٥٠، وثيقة بتاريخ ٢٥ يناير ١٩١١ .



شكل ٥١ : المرحوم الاب افيانوس
وكيل الدير سابقاً



شكل ٥٢ : الارشمندريت نيقوديموس

﴿ رهبان الدير ﴾

﴿ عددهم وجنسيتهم ﴾ أما رهبان الدير فعددهم الآن ٦٠ راهباً موزعين كما يأتي:

عدد	
٢٧	في الدير وضواحيه
١	في مركز فيران
٧	في مركز مدينة الطور
١	في مركز السويس
٧	في مركز القاهرة
١	في مركز طرابلس الشام
٠	في مركز ازمير
٣	في مراكز جزيرة قبرص

عدد	
١	في مركز صاقس
١	في مركز زانتي
٣	في جزيرة مراكز كريت
٢	في مركز الاستانة
١	في مركز مناستير
١	في مركز يانينا
١	في مركز تفليس
٣	في مركز كيف
٦٠	المجموع

وكان قد بلغ عددهم في الأجيال الوسطى ٣٠٠ الى ٤٠٠ راهب وكانوا خليطاً من سوريين وأروام وأرمن ولاتين وأحباش ومصريين وغيرهم . وساد الأرمن في القرن الثامن أو التاسع وساد اللاتين بعدهم مدة ثم عادت السيادة الى الأروام والآن جميع رهبان الدير يونانيو الجنس على مذهب الروم الارثوذكس واكثرهم يتكلمون العربية وبعضهم يجيدونها * وكان بينهم في أوائل هذا الجيل راهب روسي فتوفى سنة ١٨٧٤

﴿ مهنهم واعمال حالهم ﴾ وفيهم : النجار . والطحان . والخباز . والطباخ . والبناء . والبواب والاسكافي . والخياط . والقندلفت

ولبسهم قماش خشن من الشعر الرمادي اللون في الشتاء . وجوخ أسود رفيع في الصيف . ولكل راهب سبحة يجدلها من شعر رأسهِ يستخدمها في الصلاة

وطعامهم بسيط الى الغاية وقد رأينهم على المائدة في الصوم الكبير يأكلون الخبز بآدام من بطارخ وعدس وفاصوليا و بصل

ومن عاداتهم الحميدة ان واحداً منهم يقرأ لهم وهم يأكلون ففي الصيام الكبير يقرأون فصلاً من الاقليمقس . وأما في باقي أيام السنة فيقرأون تاريخ قديس ذلك اليوم . ما عدا السبت فانهم يقرأون فيهِ تفسير الرسائل . والأحد فانهم يقرأون فيهِ تفسير الانجيل . واكثر الرهبان غير متعلم ولكن كلهم أهل تقوى وورع ويحبون الضيف وقد زرتهم في ديرهم مرتين مرة في ينايرسنة ١٩٠٠ ومرة في ابريل سنة ١٩٠٧ فلقيت من مطرانهم الى أصغر راهب فيهم كل أنس وضيافة . ورأيت جميع الزوار الذين وضعوا أسماءهم في دفتر الدير قد شهدوا لهم بهذه الشهادة * وحضرت صلواتهم في الكنيسة فاذا هي مثال العبادة الصادقة والقلب الخاشع

﴿ عيشتهم اليومية ﴾ وقد سالت الاقلوم كيف يقضي الراهب يومهُ في الدير فقال : يستيقظ الساعة ٢ بعد نصف الليل في الشتاء والساعة ١ في الصيف . فما تمضي نصف ساعة حتى يكون قد أعد نفسهُ فيأتي الكنيسة ويبقى الى الساعة ٧ وفي أيام الأعياد الى الساعة ٨ منعكفاً على الصلاة . ثم يعود الى غرفتهِ فيفطر فيها . ويباشر شغلهُ الخاص الى الساعة ١٠ في الأيام الاعتيادية والى الساعة ١١ في أيام الصوم.

ثم يذهب الى غرفة الطعام فيأكل طعام الظهر ويعود الى غرفتهِ فيطالع الكتب الدينية أو ينام الى العصر فينزل الى الكنيسة ويصلي صلاة العصر ثم يذهب الى « الوسط » قرب المائدة فيأخذ عشاءهُ الى غرفتهِ « وهو رغيف وقليل من الزيتون أو الجبن أو السردين » ويذهب الى الجنينة للعمل فيها الى الغروب . ثم يعود الى الكنيسة فيصلي صلاة الغروب ويرجع الى غرفتهِ فيتعشى وينام الى الساعة ٢ بعد نصف الليل فيعود الى العمل وهكذا

﴿ مجلسهم ﴾ وللرهبان مجلس خاص يحكم بأكثرية الأصوات وهو ينتخب الرئيس أو المطران ويكرسهُ بطريرك القدس[1]. واذا وقع بين المجلس والمطران خلاف فصلهُ بطريرك القدس . فاذا لم يرضوا بحكمهِ رفعوا أمرهم الى بطريرك القسطنطينية وحكمهُ نافذ . ولقب مطران الدير الرسمي: « مطران جبل طور سيناء وفيران والطور »

هذا ومطران سيناء هو رئيس مجلس ادارة المدرسة العبيدية بموجب قانونها منذ سنة ١٨٦١ . وسيأتي ذكر هذه المدرسة وقانونها بالتفصيل في الفصل التالي

أما مجلس رهبان الدير الحالي فمؤلف من الآتي ذكرهم :

الرئيس : المطران پورفيريوس الثاني

نائب الرئيس : نائب المطران في الدير الارشمندريت بروكوبيوس

الأعضاء :
- امين خزانة الدير الارشمندريت پوليكربوس
- أقلوم الدير الارشمندريت انثيموس
- وكيل الدير العام الارشمندريت ثيودوسيوس
- كاتب المجلس الاب پناديوس

اعضاء الشورى :
- الارشمندريت پورفيريوس استاذ العلوم الدينية بالمدرسة العبيدية
- الارشمندريت يعقوب وكيل الدير بمدينة الطور
- الارشمندريت بنيامين أقلوم الدير السابق
- الأب پوليكربوس أمين خزانة الدير سابقاً

وهم نخبة الرهبان الحاليين وأقدمهم عهداً وأوسعهم خبرة . وكان بينهم وكيل الدير

---

(١) كان مجلس الدير في عام ١٩٠٤ يتكون من ٩٤ عضواً ما بين راهب وقسيس وشماس، والواقع أن عدد الأعضاء كان يختلف من فترة إلى أخرى وفقاً لظروف ومتغيرات مختلفة . صبري العدل، المرجع السابق، ص ٣٠٨

العام سابقاً الأب اڤيانوس من خيرة الرهبان واشدهم غيرة على العربان والدير توفاه الله في ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٠ عن نحو ٦٥ عاماً فأسف لفقده الدير والعربان معاً

﴿ المطران پورفيريوس الثاني مطران الدير الحالي ﴾

أما المطران پورفيريوس الثاني مطران سيناء الحالي فانهُ من أفضل المطارنة الذين تولوا رئاسة الدير وأغزرهم علماً وأعظمهم شأناً . وهو يتقن اللغات اليونانية والفرنساوية والألمانية كتابةً وتكلماً ويتكلم اللغات العربية والانكليزية والروسية . ولهُ أصدقاء ومريدون كثيرون من كبار الأقوام في مصر وغيرها من الاقطار . لذلك نأتي على طرف من تاريخ حياتهِ كما أخذناها عنهُ وعن أصدقائهِ الأخصاء فنقول :

« وُلد في جزيرة القديس افستراتيوس قرب جزيرة لمنوس سنة ١٨٥٩ م . وحضر الى مصر وهو في الثانية عشرة من العمر لمشاهدة شقيق لهُ في السويس فأدخلهُ شقيقهُ في المدرسة العبيدية بالجوانية بالقاهرة لتلقي مبادىء العلوم فيها تحت رعاية رهبان دير سيناء فرأى الرهبان منهُ فتى ذكيَّ الفؤاد رضي الخلق متوقد الذهن فأحبوهُ وحببوا اليهِ الرهبنة . وبعد درس سنتين في المدرسة العبيدية أنهى فيهما دروس القسم الابتدائي أرسلوه الى جامعة أثينا فدرس فيها اللغة اليونانية سنتين . ثم عاد الى مصر فأتمَّ دروس القسم التجهيزي الفصل الأول بسنة . وكان قد بلغ الثامنة عشرة من عمرهِ فأرسلهُ رهبان الدير الى كلية خالكي اللاهوتية الشهيرة في الاستانة فدرس فيها سبع سنوات ونال شهادتها . وقد كُرّس راهباً وشماساً في يوم واحد في كلية خالكي وسنُّهُ اذ ذاك ٢٣ سنة . ثم عاد إلى مصر فعيّن سكرتيراً للدير ومدرّساً للعلوم الدينية في المدرسة العبيدية . وكان على دير سيناء في ذلك العهد المطران كالستراتس توفي سنة ١٨٨٥ وسمي على الدير المطران پورفيريوس الأول . وكان من قبل ارشمندريتاً في الاستانة وقد عرف المترجَم هناك وأحبهُ محبة شديدة حتى كان يدعوه ابنهُ . فلما تولى رئاسة الدير عني بهِ عناية خاصة فأرسلهُ الى أكادمية كِيَف في روسيَّا فدرس فيها اللغة الروسية سنة . ثم أرسلهُ الى كليةِ لِبْسِك الشهيرة بالمانيا فدرس فيها الفلسفة

واللغة الألمانية أربع سنين . وعاد الى مصر سكرتيراً للدير ومدرساً للعلوم الدينية في المدرسة العبيدية كما كان قبلاً . وبقي الى سنة ١٨٩٥ فسُمي أرشمندريتاً للجالية اليونانية في باريز فأقام فيها ٩ سنين . واعترى المطران بورفيريوس الأول مطران سيناء مرض أقعده عن العمل فاستعفى من رئاسة الدير وأشار بتعيين المترجَم في مكانهِ فسُمي مطراناً على سيناء باجماع الآراء وذلك في ٢٣ افريل سنة ١٩٠٤

وتوفي المطران بورفيريوس الأول في ١٥ يوليو سنة ١٩٠٩ في جزيرة صاقس ودفن فيها . فذهب المطران الحالي في صيف سنة ١٩١٣ وحمل عظامهُ الى مصر في صندوق . وفي نوفمبر من السنة المذكورة حملها الى الدير ووضعها في معرض الجماجم المار ذكره لتحفظ فيهِ . وقد فعل ذلك جرياً على عادة الرهبان من حفظ رفاتهم وتكريماً لروح صديق محب غيور

وأشهر صفات المطران الحالي الاخلاص والوفاء والشمم ومحبة الحق والعدل والحرية ولهُ غيرة مرة على قومهِ وبلاده . وهو يدأب الليل والنهار لترقية دير سيناء والمدرسة العبيدية اللذين تحت رئاستهِ . ويحب عربان سيناء ويسعى لراحتهم كما يسعى لراحة الرهبان . وهو محبوب جداً من الجميع * ومما أتاهُ من الاصلاح في الدير ومراكزه:

١ . تنظيم مكتبة الدير . وتأسيس مكتبة نفيسة في مركز القاهرة
٢ . ترميم بعض المنازل داخل سور الدير
٣ . بناء منزل طبقة ثالثة في مركز الدير بالقاهرة
٤ . بناء منزل للايجار ثلاث طبقات قرب مركز الدير بالقاهرة
٥ . بناء منزل للايجار في السويس قرب مركز الدير فيها
٦ . تعديل الشروط بين العربان والرهبان وزوار الدير بشأن تأجير الإبل
٧ . انشاء مدرسة للصبيان في مدينة الطور سنة ١٨٩٧
٨ . الحصول على مساعدة سنوية للدير من الحكومة قدرها ١٠٠ جنيه ووعدٍ بزيادتها الى ٤٠٠ جنيه
٩ . ضبط مالية الدير والمدرسة العبيدية وتحسين موارد دخلها

وهو الآن شارع في اتمام الاصلاحات الآتية : —

تأسيس مدرسة للبنات . ومطبعة لطبع كتب الدير . ومكتبة . ومدرسة لاهوتية للرهبان في مركز الدير بمدينة الطور * وبناء منازل لهُ وللرهبان وكنائس داخل سور الدير في القسم الجنوبي منهُ * وبناء فندق كبير للزوار في عرصة الدير * وبناء كنيسة جميلة على قمة جبل موسى بدل الكنيسة الحالية . وكنيسة على تل المحرد في وادي فيران

ولعلَّ أفضل ما يستطيع الرهبان اجراءه من الاصلاح في الدير ان يحوّلوهُ تدريجاً الى مدرسة لاهوتية راقية ليكون مصدراً تنبعث منـهُ أنوار العلم والحكمة والعرفان الى جميع البلدان كما هو الآن مصدر عون وأسعاف لمن هم حولهُ من العربان

﴿ أسباب بقاء الدير ﴾ ولقد قوي الدير على البقاء في تلك البادية النائية عن العالم المتمدن كل هذه الأجيال مع اختلاف أهلها عن رهبانهِ ديناً وجنساً وعاداتٍ :

١ . لانهُ معقل حصين بالنسبة لاستعداد البدو القاطنين حولهُ

٢ . لانهُ قائم على جبل يقدسهُ اليهود والنصارى والمسلمون على السواء

٣ . لانهُ أظهر عهداً من النبي صدّقهُ سلاطين المسلمين من قديم العهد الى اليوم

٤ . لان رهبانهُ بنوا جامعاً داخل سورهِ واظهروا من التسامح الديني ما لم يعد معهُ محلٌ للاضطهاد

٥ . لانهُ يعول فقراء البدو ويحسن معاملة الزائرين من كل جنس ودين

٦ . لانهُ مصدر رزق كبير للبدو لانتفاعهم من تأجير ابلهم للسياح والحجاج الذين يزورونهُ والرهبان الذين يسكنونهُ

﴿ طرق الدير ﴾ وللدير عدة طرق من مصر والشام والحجاز وأشهرها :

طريق من السويس تمر بفيران طولها ثمانية أيام * وطريق من السويس تمر بالرملة طولها سبعة أيام * وطريق من الطور تمر بوادي حبران وهي يومان طويلان * وطريق من الطور تمر بوادي اسلا طولها يومان * وطريق من نخل تمر بنقب الراكنة ستة ايام * وطريق من العقبة تمر بالنويبع ووادي العين ٧ أيام * وطريق من غزة تمر بالمويلح والثمد ووادي شعيرة الدبس * وسيأتي الكلام عليها كلها في باب الطرق

١ . تجاه صفحة ٢٣٦



شكل خاص ٣ : المحسن الشهير روفائيل عبيد
أحد مؤسسي المدرسة العبيدية في مصر

٢ . تجاه صفحة ٢٣٦



شكل خاص ٤ : وطنيُّنا الكبير حبيب لطف الله باشا

الفصل الثالث

في

المدرسة العُبَيدية

أما المدرسة العبيدية التي يرئس مجلس ادارتها مطران سيناء فتنسب الى مؤسسيها «عُبَيد اخوان» وهم أربعة أشقاء سوريون من أصل بعلبكيّ من طائفة الروم الأرثوذكس هاجر أبوهم الى مصر في عهد المغفور لهُ محمد علي باشا؛ وولدوا كلهم في القاهرة في حارة الجوانية بقسم الجمالية وهم: الياس وجرجس وحنانيا وروفائيل ولهم أخت شقيقة لم نقف على اسمها

وقد تزوّج الياس وولد بنتاً تدعى كاترينا وتزوَّجت هذه برجل يوناني يدعى انضوني اتخذ لقب عائلتها فسمي انضوني عبيد وولد بنين وبنات

وتزوج جرجس بفتاة حمصية تدعى ليًّا باسيلي ولم يلد أولاداً

وتزوجت الشقيقة برجل سوري يدعى العرقجي فولدت جرجس وجبران وبنتاً.

وتزوجت البنت بيوناني يدعى جورج فسمي جورج عبيد وولدت منهُ بنين وبنات

وأما حنانيا وروفائيل فانهما لم يتزوجا. وقد تعاطى الاخوان عبيد تجارة الجمالية وأقام أحدهم حنانيا في بلاد الانكليز مدة لترويج تجارتهم فافلحوا واتسعت ثروتهم. وكانوا على جانب عظيم من التقوى ومحبة العلم والوطن فصحت عزيمتهم على انشاء مدرسة في مسقط رأسهم في الجوَّانية يتعلم فيها الأولاد الذكور «مجاناً» من كل جنس وملة

ومات الياس وجرجس قبل انفاذ هذه العزيمة وبقي حنانيا وروفائيل فأسسا المدرسة ووضعاها تحت حماية روسيا وعناية مجلس ادارة مؤلف من سبعة اعضاء سوريين وأروام ومن مطران سيناء رئيساً وفرع من آل عبيد نائب رئيس. وقد أقاما للمدرسة بناء فخماً في الجوانية أنفقا عليهِ ١٠,٠٠٠ جنيه أو اكثر وسنَّا لها قانوناً وافياً باللغة العربية هذا نصهُ بحروفهِ كما أخذتهُ عن الأصل المحفوظ في خزانة المدرسة:

﴿ قانون المدرسة العبيدية ﴾

« بسم الآب والابن والروح القدس الله واحد »

« تمكّن الانسان على امداد قريبهِ انما هو من أجل عطايا الرب المعطي الوحيد . وجودتهُ عزَّ وجل المعصومة من التحديد تقتضي ان فعل الخير يهذّب الانسان ويجعلهُ سعيداً ويرفعهُ لدرجة يتوصل بها لمعنى الشبه الالهي السبب المبدي الغير متناهي مانح ساير الخيرات ومقيل العثرات وانهُ يهيء لهُ أجراً ويأتيهِ بالنجاة وهو المقصود من كافة أعمال البشر في هذه الحيوة . وكل صنيع تسديهِ الى قريبك يعــدُّ من الخيرات ان كان ذلك احساناً للفقير أو تعزية للحزين أو عولاً للمريض بحسب الامكان . فجميعها حسنات مرضية لله تعالى مقبولة عنده كشم البخور في كل الاوقات . ويفوق الانسان في النفع لقريبهِ اذا كان لهُ معيناً في تطبيب حوايجهِ العقلية وساعده في تهذيب وتشديد قوة النفس النطقية

لما همنا بهذا الاحساس نحن « الاخوان عُبَيد » ولما كان حصولنا على خلاص نفوسنا ونفوس كل اعضاء عائلتنا اقصى مرامنا باذلين في استحصالهِ الجهد الجهيد رأينا من الوجوب علينا ورأس كل الفروض أن نكون معينين لمسقط رأسنا وتحف وطنا المألوف وناسنا ، وقد منحنا الحليم الكريم المعبود وسائل لانجاز ذلك بما أنعم علينا من الموجود ، فرأينا ان أعظم ما يحتاج الدوآء اليهِ عدم تقدم الشبان لغياب العلم المعول عليهِ. وحيث كان هؤلاء الفتيان خلفآء جيلنا الباقي في حالةِ واقفة من خطوب الزمان وظروف الأوقات وغياب اسباب النجاح أخذ في القهقرى لبراح التمدن في باقي الجهات فلا عادت لنا حجة تتعلل بها الآن عن تأخيرنا في عصر حرّ ساده أهل الفهم والعرفان

لما تفاقمت فينا هذه التأملات شرعنــا بتشييد مدرسة معدة لتعليم الصبيان وترقيتهم حتى تصير اخلاقهم سلسة مؤانسة فيتحف الوطن بانداب صالحين يخدمون بلادهم وينفعون عشيرتهم ويكونون مسيحيين متقين . ويصير وصل أهل مصر بعلائق وثيقة ودادية مع العشائر الاجنبية بواسطة حسن المعاشرة ومعرفة اللغات

حتى يحسن تعليمها وقطف محاسنها تنجلي الاذهان وتكمل الصفات . فبعد استمداد القوة من الله والاعانة والتماس عنايتهِ وعضده جل شأنهُ نوينا على هذا المشروع واعتمدنا برضانا واختيارنا ووقفنا لانجازه جزءًا من مالنا وصلب حالنا . وبعد حصولنا على الاذن المكتوب من غبطة بطريرك الاسكندرية بنينا بمصاريف من طرفنا خاصة في مدينة مصر القاهرة في الجوانية مدرسة معدة لتعليم الصبيان مجاناً من كل جنس وملة وسميناها : «المدرسة العبيدية» . ولما كان مقصودنا ومنانا أن نوطد هذه المدرسة على أصول مرتبة وأساسات اصيلة حررنا هذه الحجة ممضية منا لنأمن على وجودها في المستقبل وعولها وتبقى دائماً معمورة جميلة . وحيث اننا الملاك ومؤسسو الدار فلنا الحق ان نبيّن ونحدد نمط ادارتها الداخلية والخارجية والدستور الذي لا بد من الاقتداء بهِ بكل ضبط ودقة دقية ونروم ان لا يصير فيه نقض ولا ابرام على ممر الأيام . ثم نشكره ونحمده تعالى الذي أهّلنا نرى شوقنا مشفى وطلبنا مجاب موفى بتتميم هذا العمل وانجازه على أحسن حال وأجمل منوال نسألهُ جلَّ شأنهُ ان ينظر بعين العناية والرحمة والرضوان ويحفظ ويصون هذا المكان المعد الى تعليم وتأديب الصبيان ويجعلهُ سبيلاً موصلاً الى طاعة نواميسهِ السرمدية ويمنح سكانهُ بركاتهِ الأبوية ويدلهم الى أقوم طريق ويضيء عليهم أنواره الساطعة الالمعية حتى يصيروا مستحقين الكد والاهتمام المبذول في نجاحهم حافظين الوصايا القديسة . وان ينظر الى ضعف حالنا ويترأف علينا برحمتهِ القوية ويقبل منا ذلك ضحية مرضية ويؤهلنا بنعمتهِ لنوال ملكوتهِ السماوي امين .

﴿ البند الأول ﴾ نحن الأخين الشقيقين روفائل وحنانيا عبيد الواضعين اسماءنا أدناه حائزين كافة الأوصاف المعتبرة شرعاً في صحتنا وسلامتنا وطوعيتنا واختيارنا وقفنا وحبسنا المدرسة المذكورة المنفوق على تكوينها وتشييدها من مالنا وصلب حالنا وقفاً مخلداً أبديًّا لا يُباع ولا يُرهن ولا يُورث ولا يستبدل ولا يغير في نظاماتهِ وترتيباتهِ المدوَّنة في هذه الحجة . ثم وقفنا على المدرسة المذكورة جميع الملك الذي يصير تبيينهُ في حجة مخصوصة في ثلاث نسخ منها مطابقة لبعضها البعض : أحدها

يصير تسليمها الى قنصلاتو جنرال دولة روسيا بالأقطار المصرية . والثانية تحفظ في سجلات المدرسة . والثالثة تبقى تحت يدنا على أن يبدأ من غلّات الوقف المذكور وريعهِ في عمارة المدرسة المذكورة والصرف عليهامن أجر معلمين ومن كل مايلزم لتجميلها ونجاحها و براح التلامذة الدارسين فيها بتأديبهم وتهذيبهم على قدم راسخ . ولا بد من بذل الكدّ والاهتمام بغيرة مزيدة في ذلك . واليتامى وأولاد الاخوة المحتاجين يصير لهم الالتفات الخصوصي ولا يمكن أحد من المتولين ادارة المدرسة ان يمس الوقف المذكور الموقوف عليها ولا يسوغ نسخ ولا تحريف في اصول ومنطوق هذا البند أو في البنود الآتية

﴿ البند الثاني ﴾ لقد أُعدَّت هذه المدرسة ليتعلم فيها أولاد الملة الارثوذكسية الذكور ويقبل فيها أولاد ذكور من كل جنس وملة . والكل يصير تعليمهم مجاناً من دون تمييز بين الأجناس والمذاهب . ولا يسوغ للتلامذة ولا الى والديهم ولا الى أولياء أمرهم أو لاي من كان أن يتداخل في ادارة المدرسة خارجية كانت أو داخلية بل يجب عليهم الاذعان التام الى مقتضيات الترتيب السنوي الذي يصير عليهِ المعول من الوكلاء المحصور في أيديهم سياسة المدرسة

﴿ البند الثالث ﴾ اقصى مرامنا بتشييد هذه المدرسة هو تعليم اللغات اليونانية والعربية والفرنساوية . فو الحالة هذه لا علة من التعلل يمكن الاحتجاج بها لابطال تعليم ما ذكر بوجه متقون . وذلك فضلاً عمَّا يرى موافقاً لدى الوكلا من أنواع التعاليم المُضاهِحة . ولكن يُراعى في ذلك مدخول وقف المدرسة ويسلك الوكلا في ذلك حسبما تتحمّلهُ ايرادات المدرسة . وبالوكلاء المذكورين منوط تأليف قسم القانوننامه المختص بترتيب الدروس ومنهاج التعليم

﴿ البند الرابع ﴾ لكي نأمن في المستقبل على هـذه المدرسة رتبنا لادارتها وسياستها دواماً مجلساً مشتملاً على تسعة وكلا وأحدهم رئيساً على باقي الأعضاء

﴿ البند الخامس ﴾ من حيث نحن مشيدي المكان فلنا الحق في انتخاب الوجوه الذي يشتمل عليهِ الآن مجلس نظارة المدرسة ونذكرهم هنا وهم : صاحب

النيافة حضرة رئيس كهنة طور سينا السيد كيرلُّس وهو رئيس المجلس. وأما الأعضاء فحضرة الشماس جرمانوس افيثونيدي رئيس شمامسة قدسهِ . ثم أحدنا نحن الأخين الشقيقين . ثم الخواجه جرجس عرقجي . ثم باسيلي ابن يوسف فخر . ثم الخواجه جورجي كوكيلاني . ثم الخواجه انسطاسي انضوني. ثم الخواجه اسطفان كوكا. ثم الخواجه ديمتري سركيس . وقد قبل جميعهم بذلك

﴿البند السادس﴾ حضرة صاحب النيافة رئيس رهبانية طور سينا المومى اليهِ باقية عليهِ رئاستهُ على مجلس الوكلا ما دام حياً . ومنهُ تؤول الى خلفائهِ الى رئيس رهبانية سينا يكون دايماً رئيساً على المجلس المذكور

﴿البند السابع﴾ أحد رهبان السينائية القاطنين في دير القديسة كاترينا في الجوانية يكون دايماً عضواً من مجلس النظار المذكورين وحق انتخابهِ لرئيس المجلس بعد رضى وقرار باقي أعضا المجلس

﴿البند الثامن﴾ أحدنا نحن الشقيقين عبيد يكون عضواً من المجلس كما ذكر . وأما بعدنا ان كان في وصيتنا لم نبيّن ولم نعين الشخص الذي يكون عوضاً عنا فأكبر أهلنا سناً وأقربهم لنا يخلفنا في ذلك وعلى هذا المنوال يكون الاجراء في حقهِ أيضاً الى ما شاء الله

﴿البند التاسع﴾ خليفتنا المذكور وخليفتهُ بعده الى ما شاء الله يكون دايماً نائب رئيس مجلس النظارة . واذا لا سمح الله وحصل انقراض فحينئذ اعضا المجلس ينتخبون من بينهم من يكون نائباً لرئيس المجلس ولكن لا يكون لهُ حق في توريث ذلك

﴿البند العاشر﴾ بعد وفاتنا ان كان يغيب احد الوكلاء غياباً تاماً أو يتوفى فيجب على الوكلا الباقين على قيد الحيوة ان يجتمعوا حينئذ وينتخبوا عوضاً عن الغايب أو المتوفي ويكون المنتخب جديد من شيعة القديم الذي أخلفهُ . ولا بد من أن يتم الانتخاب في مدة شهر واحد من حصول نقصان عدد اعضا المجلس . وعند قبول المنتخب جديد بذلك يجتمع الوكلا جميعاً في الايوان المعد لجلساتهم في المدرسة ويطلب رئيسهم من المذكور أن يعلن أمامهم والكل وقوفاً ويقول : « انني أتعهد

بكل احتفال بين يدي الله الحي بان اجاهد بكل قوتي في نجاح هذه المدرسة العبيدية وحفظها من كل غائلة وذلك ابتغاء لوجه الله تعالى ولا أهمل جهداً في اصلاح حالها و براح عموم مصالحها وأواظب على حفظ قوانينها المرتبة »

﴿ البند الحادي عشر ﴾ لا يمكن أحداً من أعضا المجلس ان يغيب فوق مدة ثلاثة شهور فاذا امتد غيابهُ فللوكلاء ان ينتخبوا خلافهُ

﴿ البند الثاني عشر ﴾ لأجل تسهيل عملية المجلس فرئيسهُ مع عضوين ينوطوا بمباشرة داخل المدرسة فيما يخص حالتها الروحية والدروس وتحسين مسرى التلامذة وتأديبهم وترتيبهم واجراء عمل القانون للتدريس . وأما باقي الستة أعضاء فعليهم الاهتمام بنجاح المدرسة وادارتها الخارجية وقبض ايرادات الوقف الموقوف عليها اعني ادارة عمومية على الخصوصيات المادية . ولكن لا يقع قرار قط ولا يبت حكم في شيء ان كان يختص بالتنظيم الداخلي أو بمصلحة المدرسة المادية الخارجية من دون أن يصير الاعتماد على ذلك الحكم من كافة اعضاء مجلس النظار بموجب صك يتحرر في ذلك ويكون عليه امضا الاكثر من الاعضاء

﴿ البند الثالث عشر ﴾ يصير في كل سنة منشور بدروس المدرسة ويألفون ذلك معلمو المدرسة مع الثلاثة اعضاء المندوبين للادارة الداخلية . وغب عرض ذلك على باقي الاعضاء وبت الرأي بالاعتماد عليهِ يصير طبعهُ يوناني وعربي وفرنساوي وتوزيعهُ على محلات الاقتضاء

﴿ البند الرابع عشر ﴾ في بداية كل سنة من يوم تكريس المدرسة يجب على الستة اعضاء المنوط بهم الادارة المادية ان يصوروا حسبة تخمينية عن مقادير المصاريف اللازمة والايرادات عن السنة التي تكون داخلة و يعرضوا ذلك على كافة اعضاء المجلس لينظروا في ذلك

﴿ البند الخامس عشر ﴾ أما بطول مدة حياتنا فأحدنا يكون مدير المدرسة العام ومحصل ايراداتها وأمين صندوقها وينبغي عليهِ ان يراعي في ذلك بميزانيتهِ التخمينية السنوية . وأما غب وفاتنا فهذه الادارة المادية تؤول على الستة اعضاء معاً

ولا يمكن خليفتي أن يختص بهذه الادارة العمومية مثلنا . وأما أمين الصندوق فينتخبهُ الوكلاء من بينهم بعد وفاتنا

﴿ البند السادس عشر ﴾ الميزانية في أول السنة والجرد في آخر السنة الموضوع عليهم امضاء ريس المجلس وامضاء أمين الصندوق يصير نشرها في الطبع يوناني وعربي والأصل يوضع في قونصلاتو روسيا بهذا الطرف

﴿ البند السابع عشر ﴾ ان كانت الايرادات غب استوفا أقلام الميزانية السنوية تفوق عن المصاريف اللازمة فعلى الوكلاء باتحادنا أن يجعلوا ذلك رأس مال ويودعوهُ اضافة على الرأس مال الأصلي الموقوف على المدرسة . وكذلك بعدنا يكون

﴿ البند الثامن عشر ﴾ من كوننا نرغب نجاح وتقدم وتميم رونق هذا المكان المشيَّد قد جعلنا للوكلآ الحق في كونهم ينتخبوا بالاتحاد معنا من حين الى حين من التلامذة ابنآء المدرسة أنبههم وأفرسهم الذين يُلاحظ فيهم شواهد تدلُّ على استرجاهم ويصير بعثهم الى بلاد أوربا أو غيرها لأجل تميم علومهم واتقان فنونهم في أي علم أو فن تميل اليهِ قريحتهم . ولأجل انجاز هـذا المأرب نوقف بنوع منفرد عن هذا الترتيب حصة من مالنا ليُستعمل ريعها في هذا المقصد خاصة. والمبلغ الذي نعدُّه لذلك سنشهرهُ رسميًّا الى قونصلاتو جنرال دولة روسيا في الأقطار المصرية والى مجلس وكلآء المدرسة ونحرر فيه حجة مخصوصة . وأما الوكلآء فلا يمكنهم أن يستعملوا دخل المدرسة الاَّ بحسب المدوَّن بهذا الترتيب . وارسال التلامذة الى البلاد الأجنبية وعدد الذين يسير بعثهم فهذا يتبع مقدار مدخول رأس المال المعد لذلك . ومن الوجوب عند ما يعتمد الوكلاء على ارسال أحد من التلامذة أو اكثر لتميم علمهِ في الخارج كما ذكر أن يحرروا على المبعوثين حجج وعلى أبويهم وأوليا أمرهم ويأخذوا على ذلك الضمانات القوية الشرعية بصكوك مسجلة في الأحكام تلزم التلميذ ان يخدم بعد استوفا مدة غيابهِ المحددة الخدمات اللازمة في المدرسة بمدة مؤجلة باجرة مناسبة

﴿ البند التاسع عشر ﴾ يجب في كل يوم ان يزور المدرسة أحدُ الوكلاء ويباشرها ويعاين التلامذة والتدريس ويقف على حقيقة حال سيرها وما يلزم لها

﴿ البند العشرون ﴾ من حيث ان دار البطركية الارثوذكسية بهذا الطرف هي الأم الكنائسية فعلى الوكلاء لياقة أن يفيدوها من حين الى حين عما يتعلق بالتعليم الديني والأدبي في المدرسة

﴿ البند الحادي والعشرون ﴾ يجب على مجلس الوكلاء باتحادهم مع المعلمين ان يؤلّفوا القانون المختص بالدروس والادارة الداخلية ويكون ذلك بحسبما يقتضيهِ الايمان الارثوذكسي والمقصود من المدرسة

﴿ البند الثاني والعشرون ﴾ في غاية كانون الثاني في كل عام يصير عمل قداس ويقدّس رئيس مجلس نظارة المدرسة ويطلب من الله تعالى غبطة المدرسة ونجاحها ويصير ذكران موسسيها علناً مع كافة مسعفيها ومساعديها

﴿ البند الثالث والعشرون ﴾ كل من شآء فلهُ ان يوقف لجهة هذه المدرسة نقوداً أو ملكاً أيّما شاء ولهُ أن يسنّ قانوناً موافقاً بكيفية استعمال ايهابهِ ان كان ذلك معداً لعول تلامذة محتاجين من ابنآء المدرسة أو اعانة لارسال بعضهم الى بلاد اوربا أو للقيام بشفاء حاجات اخرى للمدرسة فالعطايا أو التقدمات يصير قيدها في سجل المدرسة وأسماء الموهوبين يصير ذكرانها في القداس السنوي المشار اليهِ. ولكن لا يجوز لأي من كان من الواهبين أيما كانت عطاياه ان يستدعى نسخ أو ابرام في تحريف في الاصول المدوَّنة في هذا القانون فانهُ لا يمكن أحداً من ذلك مطلقاً وعلى الله الاعتماد وحسن الختام * قدجرى ذلك وحرر بالمدرسة العبيدية في مدينة مصر المحمية في عشرة برحوا من شهر اذار سنة ١٨٦١ ألف وثمانية واحد وستون مسيحية » اه

« صورة جواب القونصلاتو الجنرالية الروسية بمصر بقبول وضع المدرسة تحت حمايتها »

« قنصلاتو جنرال روسيا بمصر تحريراً من القاهرة ١٦/٢٨ ك ٢ سنة ١٨٦٣ نمرة ٥

« الى السيد روفائيل عُبيد

« أيها السيد . لقدطلبتم في عريضتكم المؤرخة ١/٢٣ ك ٢ سنة ١٨٦١ بأن المدرسة الخصوصية التي شيَّدتموها من عهد قريب باتحادكم مع اخيكم حنانيا في حارة الجوانية

في القاهرة يصير وضعها تحت حماية دولة روسيا في ما يتعلق بمصالحها المادية فتقدم منا الأعراض عن عريضتكم المذكورة الى السفارة العاهلية في القسطنطينية . وورد لنا منها الجواب آمراً أيناً باجابة طلبكم هذا ومنطوي منطوقهُ على الثناء عليكم والتشجيع لكم عن فعل بهذا المقدار مستوجب لهُ الحمد والمديح انما بشرط ان هذه القونصلاتو جنرال لا يصادف مخالفات وصعوبات محلية . فقد بادرنا بافهامكم مضمون الجواب المرضي المحكي عنه الصادر من السفارة العاهلية ولي الحظ الجزيل بأن اوكد لكم بأن هذه القونصلاتو جنرال دواماً يبتغي من قلبهِ نجاح عمل المقدار مرضيٌ لله وبأنهُ مستعد بحسبما يتعلق بهِ أن يخدم بمقدرتهُ لنحو منفعة المصالح المادية المتعلقة بالمدرسة التي شيَّدتموها ووضعتموها تحت الحماية المسكوبية اقبلوا منا يا أيها السيد التأكيد منا عن الاعتبار السامي الذي حضرتكم حائزين عليه عندنا » اه

وقد مات حنانيا قبل ورود كتاب القنصلية الروسية هذا . ومات روفائيل سنة ١٨٦٦ فجاةً ولم يكن قد أتمّ الاجراءات الرسمية لوقف ما نوى وقفهُ للمدرسة قيل وُجدت صورة الوقفية بخط يدهِ بلا توقيع ولا تاريخ تحت وسادتهِ . وكانت الشقيقة قد ماتت ولم يبقَ لآل عبيد وريث الأكاترينا بنت الياس زوجة انضوني عبيد المتقدم ذكرها فقامت تطالب بالتركة كلها . فانبرى لها مجلس ادارة المدرسة يثبت حق المدرسة . وكان بعض أعضاء المجلس متغيباً عن مصر فطلب الرئيس من « وطنينا الكبير حبيب لطف الله باشا » أن يكون عضواً في المجلس ، وكان روفائيل عبيد عند تأسيس المجلس قد سألهُ أن يكون عضواً فيهِ فاعتذر لكثرة أشغالهِ ، أما الآن فحباً بالمحافظة على المدرسة قَبِل العضوية وبقي في مجلس الادارة ٢٤ سنة متوالية . وكان لهُ الفضل الاكبر في حفظ المدرسة وتأسيس وقفها الحالي . وعنهُ أخذت اكثر معلوماتي هذه عن آل عبيد والمدرسة . وهو يثني أطيب الثناء على جرجس عرقجي ابن اخت الاخوان عُبَيد وأحد أعضآء المجلس الأصليين ويعزي اليهِ فضلاً كبيراً في تأسيس وقف المدرسة قال : ان جرجس عرقجي هذا كان كاتباً

عند خاله روفائيل عبيد ويعرف دخائل حسابهِ فوجد في الدفاتر الخصوصية ان جرجساً أحد الاخوة الأربعة وضع قبل وفاتهِ أربعة آلاف جنيه من حصتهِ في بنك أثينا بلاد اليونان وأوصى ان تبقى مع فائظها وقفاً للمدرسة . وان حنانيا قد أوصى ببعض الأسهم من حصتهِ لحساب المدرسة . فصح للمدرسة من هاتين الوصيتين نحو ١٨,٠٠٠ جنيه م سددها مصفو التركة لمجلس ادارة المدرسة ديوناً كانت للتركة . وسدد المديونون اكثرها أطياناً زادها المجلس ممَّا توفر من الريع حتى بلغت نحو ٢٠٠٠ فدان منها ١٦٠٠ فدان من أجود الأطيان فجعلت كلها وقفاً للانفاق من ريعها على المدرسة وتلامذتها طبق القانون . وقد علمت من مطران سيناء الحالي ان متوسط دخل المدرسة من أوقافها تسعة آلاف جنيه م في السنة تنفق كلها أو معظمها على المدرسة

ويقول بعض العارفين أن المطران كيرلس مطران سيناء الأسبق الذي شيدت المدرسة في عهدهِ كان أول من حبَّذ فكرة المدرسة للاخوان عبيد . وكان لهُ معهم علاقة ودّ متينة وجوار في الجوَّانية فضلاً عن كونهم جميعاً من مذهب واحد ومشرب واحد . لذلك ولما كان لدير طور سيناء منزلة رفيعة في نفوس أبناء سوريا ومصر بالنظر لقدمهِ واشتهار رهبانهِ بالزهد وحب الخير وضع المؤسسان مجلس ادارة المدرسة على الدوام تحت رئاسة مطران سيناء * ثم ان المشهور في مصر وسوريا أن روسيا هي حامية الارثوذكس في الشرق وهذا هو السبب في وضع المدرسة تحت حمايتها

وبقيت المدرسة ومركز دير سيناء في الجوانية الى سنة ١٨٩٠ اذ كانت القاهرة قد امتدت شمالاً وغرباً وحسنت هناك أبنيتها واتسعت شوارعها . وكانت الجوانية لا تزال على حالها من ازدحام المنازل وضيق الشوارع وعدم توفر الشرائط الصحية فيها فنقل المطران السابق مركز الدير الى مكانهِ الحالي بالظاهر . وفي سنة ١٩٠٤ نقل المدرسة الى مكانها الحالي في شارع بولاق قرب الكنيسة الانكليزية وجعل البناء الأصلي ملجأ للعجزة والفقراء وفيهِ الآن منهم نحو ٣٠ نفساً من وطنيين وأروام

وقد زرت البناء الاصلي سنة ١٩١٤ فاذا بهِ بناء فخم متسع ذو طبقتين عاليتين وأمام كل طبقة رواق بقناطر ولكن ازدحمت المنازل حولهُ وضاقت الشوارع الموصلة

اليهِ حتى تظن انك داخل الى مخبإٍ لا الى مدرسة . ولهُ بوَّابة عظيمة فوق عتبتها من الخارج رخامى يونانية ملخصها :

« ان الاخوان عبيد لما رأوا شمس العلم قد تحولت من الشرق الى الغرب شادوا هذا البنآء لآلهة العلم سنة ١٦٨٠م لتعيد الى الشرق نورهُ ورونقهُ » * وفي داخل البوابة ثلاث لوحات عربية بخط فارسي : لوحة صغيرة فوق عتبة البوابة هذه قراءتها : « هذي مدرسة تاج المعارف » * ولوحتان كبيرتان عن جانبي المدخل لوحة عن اليمين ولوحة عن الشمال . أما اللوحة التي عن اليمين فهذه قراءتها :

« شرف المرء بالعلم والأدب »

« بنو عبيد أقاموا اليوم مدرسة — تُهدي الى العلم والآداب والرَّشَدِ
منارة في ضواحي مصر مشرقةً — تعيد ما قد مضى من سالف الأمدِ
قامت تشير الى الطلاب قائلةً — بُشرى لكم باحتضان الأم للولدِ
وفوق باب لدى تاريخهِ وضعت — أرَّخت يُنقش تذكاراً الى الأبدِ »

« لقد فتحت هذه المدرسة المنيفة لايجاد العلوم النافعة اللطيفة وهي تاج على مفارق المعارف ويرتاح الى ساحتها كل عارف وكانت منسياً على ارادة العبيد للاثر وقد تمت المحاسن فيها كما أمر * رقمهُ عبد الغفار بيضاي خاوري سنة ١٨٦١ » اه

وأما اللوحة التي عن الشمال فهذه قراءتها :

« رأس الحكمة مخافة الله »

« بنو عبيد بنوا للعلم مدرسة — يجلو ضياها ظلام العصر كالشُّهُبِ
قامت تنادي بأعلى الصوت قائلةً — ان الغنى باكتساب العلم لا الذهبِ
هذي خزانة أسرار بها اجتمعت — نفائس من علوم العجم والعربِ
فقيل مِمن بتاريخ أقام بها — قد فاض في مصر نيل العلم والأدبِ »

« قد تم هذه المدرسة الباهية على وضع الجميل الزاهية ببذل جود سعادة عبيد الرفلية الذي في مآثره الخير جنيد الملة * رقمهُ عبد الغفار بيضاي خاوري سنة ١٨٦١ » اه

وأما بنآء المدرسة الجديد فقد وضع في جبهة وجهتهِ رخامى كتب عليها باليونانية

والعربية هكذا: «المدرسة العبيدية». وهو على سعتهِ وملائمة مركزهِ غير وافٍ بالغرض لأنهُ بني منزلاً للسكن لا للتدريس . وقد اخبرني مطران سينآء الحالي ان مجلس ادارة المدرسة عازم قريباً على اقامة بنآء خاص للمدرسة في موقع صحي في ضواحي القاهرة . والمطران الحالي من ابنآء المدرسة العبيدية ومتربٍّ تربية علمية عالية كما قدمنا فهو يعنى بالمدرسة عناية خاصة وقد رقّى دروسها وحسَّن في بروجرامها حتى شمل أهم العلوم الرياضية والطبيعية والجغرافية والتاريخيــة وغيرها . وزاد على لغاتها المفروضة في قانونها اللغةَ الانجليزية واللغةَ اللاتينية

وفي المدرسة الآن نحو ٦٥٠ طالب جلهم أو كلهم من اليونان . وفيها ٢٥ استاذاً منهم اثنان للغة الانكليزية وثلاثة للفرنساوية وأربعة للعربية والباقون لليونانية . وناظرها الموسيو قسطندي أمَنْدُس من أدباء جزيرة صاقس . وكاتبها الموسيو جورج تريكوس من نجباء جزيرة القديس افستراتيوس

وأما دروس المدرسة فقسمان : ابتدائي ومدتهُ ست سنوات . وتجهيزي ومدتهُ خمس سنوات . وفيها قسم تجاري . فيمكن الطالب بعــد درس سنتين في القسم التجهيزي ان يدخل القسم التجاري فيقضي فيهِ ٣ سنين

وشهادة المدرسة مقبولة في جامعة أثينا ولكنها غير مقبولة في الحكومة المصرية لأنها غير سائرة على بروجرام نظارة المعارف ولأن العلوم تلقن فيها باللغة اليونانية . وقد وجهت نظر مطران سينآء الحالي الى ذلك فأكد لي أنهُ بعد اتمام البنآء المزمع اقامتهُ للمدرسة في ضواحي القاهرة سينشئ قسماً خاصاً ينطبقُ في كل الفروع على بروجرام نظارة المعارف المصرية ليكون لابنآء العرب من المدرسة نصيب

أما أعضاء مجلس ادارة المدرسة الحاليين ففيهم اثنان من السوريين وهما الخواجه ميخائيل ميداني واسكندر بك بشاره . والبــاقون يونان . ونائب الرئيس المحامي الشهير نقولا افندي عبيد ابن المرحوم جورج عبيد المار ذكره . ويتصل نسبهُ الى مؤسسي المدرسة من جهة الأم . رحم الله المؤسسين الكرام واكثر في البلاد من أمثالهم فانهم أتوا بهذا الأثر النافع المشكور مثلاً صالحاً تحبّذه الأجيال على ممر الأيام

الفصل الرابع
في
﴿ طرق سيناء ﴾

﴿ ١. طرق سيناء الخارجية ﴾

تقدم ان سيناء هي الوُصلة البرّية بين مصر وسوريا أو بين مصر والحجاز . وقد نشأ فيها منذ بدء التاريخ عدة طرق تجارية حربية أو دينية تخترقها من الشرق الى الغرب وهي طرقها الخارجية وما زال بعضها مطروقاً الى اليوم . ولها طرق داخلية كثيرة

وقد سلكتُ أكثر هذه الطرق واستقصيت من الخبرآء عما لم أسلكهُ منها ولكني لم آتِ على وصفها بالدقة لأني مهما دقّقت في الوصف فلا أغني المسافر عن خبير ماهر يصحبهُ خوف التيه . لا سيّما وان هـذه الطرق في فلوات واسعة لا تزال الرياح تسفي الرمال عليها فتمحو آثارها . وليس هناك أعلام أو سكان يُهتدَى بهم الاّ نادراً . فلم آتِ من الوصف الاّ قدر ما يكفي المسافر اللبيب للاستئناس بالطرق والاحتياط لنفسهِ مما قد يبدو من جهل الخبرآء أو خيانتهم

وقد أثبتُّ معظم المسافات بالساعة وأعني بها ساعة ركوب على هجين يسير الذميل وهي بوجه التقريب ٦ كيلومترات أو أربعة أميال الاّ ربع . وأما الساعة بسير القوافل أو الحملة فأعني بها ٤ كيلومترات أو نحو ميلين ونصف . ولنتقدم الآن الى ذكر هذه الطرق مبتدئين بالطرق الخارجية :

﴿ ١. طريق الفرما ﴾

تقدم أن طريق الفرما هي أقدم الطرق بين مصر وسوريا . وسترى انها كانت قديماً تنشأ من «زالو» في أطراف المديرية الشرقية . وأما الآن فتنشأ من القنطرة وتتجه شرقاً الى وادي أم كرش ساعة وعشر دقائق . ثم تذهب شمالاً بشرق فتسند بوادي

أم كرش وتتبع فرع النيل البليوسي الذي جفَّ الى تل هُرُبَّة ساعة وعشر دقائق . فتل الحير ساعة وعشر دقائق . فتل الفضة ساعة ونصف ساعة ومن هذا التل ترى آثار الفرما التي تسمت الطريق بها على نحو نصف ساعة منك شمالاً . ثم تنحرف الطريق من تل الفضة شرقاً الى المحمدية على شاطىء البحر المتوسط ساعة وأربعين دقيقة . ومن هنا تسير الطريق في ذراع مرتفعة من البر بين بحيرة البردويل والبحر المتوسط فتمر على الفنطاس الكبير ساعة وأربعين دقيقة . فالفنطاس الصغير ثلاث ساعات ونصف ساعة . وهذان الفنطاسان هما بقية باخرة غرقت في البحر فقذفتها الأمواج الى بر سيناء

ومن الفنطاس الصغير الى تل القلس ساعتان وفي شرقي التل فم بحيرة البردويل القديم يعبر المسافر عليهِ بقارب . ومنهُ الى بقعة فيها نبت الغرقد تدعى الكُلَيخة ٤ساعات . فبركة الجمل ساعة ونصف . فم بحيرة الزرانيق ساعة . وهنا يعبر المسافر في قارب الى البر الثابت ويتبع شاطئ البحر المتوسط ماراً ببئر المساعيد في ضواحي العريش أربع ساعات وثلث . فقبة النبي ياسر في ساحل العريش ساعة

ومن هنا اما أن ترتفع الطريق عن الشاطىء فتذهب في أرض جامدة التربة تحاذيها سلسلة من التلال الرملية على نحو ميلين من الشاطىء فتمر بالخروبة . فالمكسر فخلة الشيخ زويد الى رفح . أو تستمر بشاطئ البحر الى ميناء رفح فتمر ببئر الخروبة في ساحل الخروبة على نحو ٣ساعات من قبة النبي ياسر . فبئر المصيدة في ساحل المكسر نصف ساعة . فبئر الزعقة ساعة ونصف . فبئر ابو حنظلة في ساحل الشيخ زويد نصف ساعة وهي أعظم مورد للسواركة . فبئر عسلوج ثلاثة أرباع الساعة . فبئر أم لوف ثلث ساعة . فبئر أبو شنار ربع ساعة وهي مورد البدو الملالحة القاطنين في العجرة وعندها تل عليهِ خرائب قديمة . فالعمود الأول للحد الجديد في ساحل رفح ساعة ونصف . وطول هذه الطريق من القنطرة الى رفح نحو ٣٤ ساعة

وفي الجدول الآتي أمكنة الطريق وتجاه كل مكان المسافة التي بينهُ وبين المكان الذي قبلهُ . نكرر ذكرها على هذه الصورة ليسهل تناولها :

مسافات طريق الفرما . بشاطىء البحر

دق	ساعة	من القنطرة الى
١٠	١	أم كرش
١٠	١	تل هربة
١٠	١	تل الحير
٣٠	١	تل الفضة
٤٠	١	المحمدية
٤٠	١	القنطاس الكبير
٣٠	٣	القنطاس الصغير
	٢	تل القلس . فم البردويل
	٤	الكليخة
٣٠	١	بركة الجمل
	١	فم الزرانيق

دق	ساعة	من فم الزرانيق الى
٢٠	٤	بئر المساعيد
	١	« النبي ياسر
	٣	« الخروبة
٣٠	٠	« المصيدة
٣٠	١	« الزعقة
٣٠	٠	« الخنظلة
٤٥	٠	« عسلوج
٢٠	٠	« ام لوف
١٥	٠	« ابو شنار
٣٠	١	ميناء رفح
	٣٤	المجموع

وقد سرت في هذه الطريق من أولها الى آخرها فاذا هي مكتظة بآثار القلاع والبروج والمدن الفاخرة واكثرها من عهد اليونان البيزنتيين مما دلّ على أنها كانت مأهولة في القديم وأن أهلها كانوا على جانب عظيم من التمدن والعمران كما مرَّ

﴿ تاريخ طريق الفرما ﴾ وقد ذكر هذه الطريق العلاَّمة مسبرو مدير متحف الآثار المصرية في كتابهِ النفيس المسمَّى « جهاد الأمم » فقال ما ترجمتهُ :

« لآسيا من مصر عدة طرق لكل منها مزية تميّزها على الأخرى . وأقربها الطريق التي كانت تمرُّ بمدينة «زالو». وكان يحمي برزخ السويس قديماً حصون تمتد من خليج السويس الى الفرع البليوسي . وزاد تلك الحصون مناعة ترعة قام على ضفتها قلعة يحرسها الجند لحماية الحدود . ولم يكن يُسمح لأحد بالسفر شرقاً أو غرباً الا اذا أعلن اسمهُ ومهنتهُ والسبب الذي دعاهُ الى السفر والرسائل التي في عهدتهِ

وكان الفراعنة يخرجون بحملاتهم الى سوريا من زالو ويرجعون اليها فيستقبلهم فيها وجوه البلاد وأعيانها للاحتفاء بهم

وكان المسافر اذا خرج من زالو قاصداً سوريا يخترق أرضاً يغمرها النيل ستة أشهر ثم ينحرف شرقاً ويسير في ما بين البحر المتوسط وبحيرة سربونيوس (بحيرة

البردويل) . وقد كان السفر في هـذه القطعة من الطريق محفوفاً بالأخطار لأن بحيرة سربونيوس لا تبقى على حال واحدة فكانت اذا سدت الأفواه التي تربطها بالبحر المتوسط تبخَّر ماؤها الرقراق وبقي في الطريق عدة بُرَكٍ موحلة تسفي الرياحُ الرمالَ عليها فتغطيها وتحجب وُحولها عن نظر المسافرين فيغوصون فيها . وقد نقل مؤرخو اليونان أن جيوشاً عظيمة غرقت برمتها في تلك الوحول المخبوءة

وعند منتصف البحيرة على شاطىء البحر تل كاسيوس (القلس) الشهير . فمن ورآء هذا التل يتسع السهل الفاصل بين بحيرة البردويل والبحر المتوسط حتى يصبح سهلاً فسيحاً ينبت فيه العشب وقد حُفرت فيه آبار ماؤها غزير مَسوس . ومن ورآء ذلك السهل غابة من النخيل وسجن أسود وثلة من المنازل الحقيرة يحدها وادٍ عظيم جافّ في غالب الأحيان (وهي مدينة العريش ونخيلها وواديها)

وقد كان هذا الوادي في بعض العصور القديمة الحد بين أفريقيا وآسيا . وكانت المدينة منفى للمجرمين المحكوم عليهم ببتر أعضائهم . وقد أكَّد لنا مؤرخو اليونان أن قد سميت رينوكلورا لكثرة من نفي اليها من المجرمين المجدوعة أنوفهم

ومن هذه المدينة يتجه شاطىء البحر المتوسط الى الشمال الشرقي ويحاذيه على الشاطىء كثبان مرتفعة من الرمال تحجب نظر المسافر في الطريق عن البحر فلا يرى البحر الاَّ من بعض المواضع . وكانت القوافل تتخذ طريقها من وراء هذه الرمال . وكان في الطريق آبار تحميها الابراج حتى تصل قرية رفح الحصينة في حدود سوريا » اه

وذكر اليعقوبي هذه الطريق قال: « ومن خرج من فلسطين مغرباً يريد مصر خرج من الرملة . . . ثم الى غزة ثم الى رفح وهي آخر اعمال الشام ثم الى موضع يقال له « الشجرتين » وهي أول حد مصر ثم الى العريش وهي أول مسالح مصر وأعمالها . ويسكن العريش قوم من جذام وغيرهم وهي قرية على ساحل البحر . ومن العريش الى قرية يقال لها البقارة . ومنها الى قرية يقال لها الورادة في جبال من رمال . ومنها الى الفرما وهي أول مدن مصر وبها اخلاط من الناس بينها وبين البحر الأخضر ثلاثة أميال . » اه

وقال الهمذاني : « ومن بغداد الى مصر خمسماية وسبعون فرسخاً . » اه

﴿ ٢ . طريق العريش ﴾

طريق العريش هي أروج الطرق الآن الى سوريا من مصر . وكانت قبل فتح ترعة السويس تنشأ من الصالحية على ١٩ ميلاً غربي القنطرة . وأما الآن فتبدأ من القنطرة وتذهب شرقاً بانحراف تدريجي نحو البحر المتوسط فتحاد بحيرة البردويل من الجنوب حتى تكون على نحو ٢٤ ميلاً من شاطئ البحر . ثم تقرب من الشاطئ تدريجاً حتى تكون على نحو ميلين منهُ عند مدينة العريش وتستمر كذلك الى رفح

تمر الطريق من القنطرة بام كرش ساعة وربع كما قدمنا . فتلّ حبوة ثلث ساعة . فبئر الدويدار ساعة وثلث وهي بئر قديمة تميل ماؤها الى الملوحة وعندها ثلة من النخيل . والى جنوبها على نحو ربع ساعة من الطريق الحالية بئر القوقة وهي أقدم من الدويدار وعندها بستان نخيل وكانت الطريق تمر عليها ثم تحولت عنها الى بئر الدوَيدار . ومن هذه البئر تخترق الطريق رمل الغرابيات ، وهي سلسلة كثبان من الرمال ، الى سبخة قطية أربع ساعات وفي وسطها بئر تدعى بئر النصف عندها نخيل كثير . تسير في سبخة قطية ثلث ساعة فتأتي بئر قطية الشهيرة

ومنها تتفرع طريق الى الاسماعيلية طولها نحو عشر ساعات تمرّ ببئر أبو خُرَير فبئر عراس . فبئر أبو عروق . فالاسماعيلية . وعند كل بئر بستان من النخيل

وتسير طريق العريش من بئر قطية الى بئر الحسُون نصف ساعة وعندها نخيل

ومن هنا تتفرع طريق الى المحمديَّة على شاطئ البحر المتوسط طولها نحو أربع ساعات تذهب شمالاً بغرب فتمر بنخل الغـابة . فنخل أبو حمرا . فشرق الرُّماني وهو تل أثريّ بجانبهِ نخيل . فالمحمدية

هذا وبعد فتح ترعة السويس وقيام مدينة بور سعيد فُتحت طريق اليها من المحمدية بشاطئ البحر ٦ ساعات تمر بقلعة الطينة . فقلعة البلاَّح المتقدم ذكرها

وتسير طريق العريش من بئر الحسون الى بَرَصة نَمن وهي كثيب من الرمل الأبيض في ساعة ونصف . فبئر أبو العُفَين ساعة وثلث . فبئر العبد ساعة وهي مبنية

بالحجر المنحوت والاسمنت قبل بناها ابراهيم باشا في اثناء حملتهِ على سوريا . ثم رُممت في عهد سمو الخديوي الحالي وماؤها مسوس . فثميلة مبروكة ساعة وربع . فخشوم الادراب ساعة . سميت كذلك لأن منها تتفرع ثلاث دروب الى العريش وهي :

« الدرب السلطانية » (١) عن اليمين

« ودرب الطوايات » عن اليسار

« والدرب الوسطانية » في الوسط

أما « الدرب السلطانية » فهي أقدم الطرق وأصلحها ولكنها أطولها وهي الدرب التي يرافقها خط التلغراف الى سوريا وتحاد أقصى بحيرة البردويل من جهة الجنوب وتمر بمضحى الجنادل . فرجم البرَيج وهو برج قديم خَرِب في سفح تلة تُرى من الدروب الثلاث . فسبخة المستبق . فبئر المزار وهي بئر شهيرة على خمس ساعات من الخشوم وسبع ساعات من مدينة العريش وعندها قبر يزار للشيخ أبو جلبانة من عرب الجرارات السواركة وبهِ سميت البئر بالمزار . فغريف الجمال . فخربة العشوش وهي خرائب قرية البردويل المار ذكرها . فثميلة ناصر . فمدينة العريش

وأما « درب الطوايات » فقد كانت أسهل الطرق وأخصرها الى العريش ولكن غمرتها بحيرة البردويل منذ سنة ١٩٠٠ بعد أن جُعلت مصيداً للاسماك . يمرّ المسافر فيها من خشوم الادراب في أرض منبسطة على بَرصة النزّال . فتجاه دبة البرَيج فقناية سبخة حوّاش . فبرقة عايشة . فبئر الخوينات وهي بئر أثرية . فالخوينات المار ذكرها . فقبر الساعي . فتل أبو مزروع حيث تلتقي بالدرب الوسطانية الآتي بيانها . ومسافة هذه الطريق من الخشوم الى تل أبو مزروع نحو ست ساعات

وأما « الدرب الوسطانية » فهي الدرب التي تخترق الملاحات وكان يقصدها قديماً من يريد أخذ الملح في طريقهِ الى العريش. وهي الآن طريق البريد وطريق أكثر المسافرين . قيل فتحها الحاج عثمان البدرَين من أهل العريش الفواخرية سنة ١٩٠٤

تسير في هذه الطريق من الخشوم في سبخة ساعة ونصف الى رجم عمُّورية تجاه رجم البُرَيج المار ذكرهُ بينهما نصف ساعة . والظاهر ان عمورية والبُرَيج

---

(١) كانت الحكومة المصرية قبيل افتتاح قناة السويس تعتبر الدرب السلطاني هو الطريق الرسمي لمرور القوافل، وتعاقب القوافل التي تسير في غير هذا الطريق وتعتبرها متهربة من دفع الرسوم . صبري أحمد العدل، حركة القوافل والأشخاص عبر الحدود المصرية — الشامية خلال القرن التاسع عشر، مجلة مصر الحديثة، العدد الأول، ٢٠٠١، ص ٢٦٦ .

خرائب بلدتين قديمتين بدليل المثل المشهور عند البدو : « أهل البريج بيرزعوا (أي يرقصون رقص الرزعة) والعرس في عمورية » يضرب لمن يضع الشيء في غير محله

ثم تسير في رمال الى سبخة ابو تلول ساعة ونصف . وتسير في هذه السبخة ساعة ونصف الى سبخة المخيزن تجاه بئر المزار في الدرب السلطانية . ثم تسير في رمال نحو ساعة الى سبخة سبيكة التي يتجمد الملح فيها حتى تصبح كسبيكة الفضة ومن ذلك اسمها

تسير في هذه السبخة نحو ساعة ونصف فتلتقي درب الطوايات عند تل ابو مزروع .

تسير من تل أبي مزروع ثلاثة أرباع الساعة فتصل رجم البردويل المار ذكرهُ . ثم تسير منهُ في سهل فيَّاح جامد التربة ساعتين فتأتي بئر المساعيد . فساعة اخرى تأتي مدينة العريش حيث تتحد الدروب الثلاث .

ومن العريش الى الخروبة ساعتان ونصف . فالمكسر نصف ساعة . فسبخة الشيخ زويد ساعة وثلث . فقرية الشيخ زويد ثلث ساعة . فرفح ساعتان

مسافات طريق العريش . الدرب الوسطانية

دق	ساعة	من القنطرة الى
١٠	١	وادى أم كرش
٢٠	٠	تل حبوة
٢٠	١	بئر الدويدار
	٢	بئر النصف
	٢	سبخة قطية
٢٠	٠	بئر قطية
		من بئر قطية الى
٣٠	٠	بئر الحسون
٣٠	١	برصة معن
٢٠	١	بئر العفين
	١	بئر العبد
١٥	١	ثميلة مبروكة
٥	١	الخشوم (مفرق الطرق)
٥٠	١٣	من القنطرة الى الخشوم

دق	ساعة	من الخشوم الى
٣٠	١	رجم عمورية
٣٠	١	سبخة أبو تلول
٣٠	١	سبخة المخيزن
	١	سبخة سبيكة
٣٠	١	تل أبو مزروع
٤٥	٠	رجم البردويل
	٢	بئر المساعد
	١	مدينة العريش
٣٥	٢٤	من القنطرة الى العريش
٣٠	٢	الخروبة
٣٠	٠	المكسر
٤٠	١	الشيخ زويد
	٢	رفح
١٥	٢٩	من القنطرة الى رفح

﴿ تاريخ طريق العريش ﴾ وهذه الطريق لم تكن تعرف قبل أواخر القرن الثاني عشر للمسيح . قال المقريزي عند ذكر « ما كان عليه موضع القاهرة » :

« ولم يكن الدرب ، الذي يسلك في وقتنا من القاهرة الى العريش في الرمل ، يعرف في القديم وانما عرف بعد خراب تنيس والفرما وازاحة الفرنج عن بلاد الساحل بعد تملكهم لهُ مدة من السنين » اه * وكان خراب الفرما حوالي سنة ١١٦٥ م

وجاء في المقريزي عند « ذكر الطريق فيما بين مدينة مصر ودمشق » :

« اعلم أن البريد أول من رتب دوابهُ الملك دارا ... أحد ملوك الفرس . وأما في الاسلام فأول من أقام البريد أمير المؤمنين المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور أقامهُ فيما بين مكة والمدينة واليمن وجعلهُ بغالاً وابلاً وذلك في سنة ستة وستين ومائة (٧٨٣ م) . وأصل هذه الكلمــة بريد ذنب فان دارا أقام في سكك البريد دواب محذوفة الاذناب سميت بريد ذنب ثم عربت وحذف منها نصفها الأخير فقيل بريد . وهذا الدرب ، الذي يسلكهُ العساكر والتجار وغيرهم من القاهرة على الرمل الى مدينة غزة ، ليس هو الدرب الذي يسلك في القديم من مصر الى الشام . ولم يحدث هذا الدرب الذي يسلك فيهِ من الرمل الآن الا بعد الخمسماية من سني الهجرة (١١٠٧م) عند ما انقرضت الدولة الفاطمية . وكان الدرب أولاً قبل استيلاء الفرنج على سواحل البلاد الشامية غير هذا . قال أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداديه في كتاب المسالك والممالك وصفة الأرض والطريق من دمشق الى الكسوة اثنا عشر ميلاً. ثم الى جاسم أربعة وعشرون ميلاً. ثم الى فيق أربعة وعشرون ميلاً. ثم الى طبرية مدينة الأردن ستة أميال. ومن طبرية الى اللجون عشرون ميلاً. ثم الى القلنسوة عشرون ميلاً . ثم الى الرملة مدينة فلسطين أربعة وعشرون ميلاً. والطريق من الرملة الى ازدود اثنا عشر ميلاً. ثم الى غزة عشرون ميلاً. ثم الى العريش أربعة وعشرون ميلاً في رمل. ثم الى الورادة ثمانية عشر ميلاً . ثم الى أم العرب عشرون ميلاً. ثم الى الفرما أربعة وعشرون ميلاً. ثم الى جرير ثلاثون ميلاً. ثم الى القاصرة أربعة وعشرون ميلاً. ثم الى مسجد قضاعة ثمانية عشر ميلاً . ثم الى بلبيس

أحد وعشرون ميلاً . ثم الى الفسطاط مدينة مصر أربعة وعشرون ميلاً * فهذا كما ترى انما كان الدرب المسلوك من مصر الى دمشق على غير ما هو الآن فيسلك من بلبيس الى الفرما في البلاد التي تعرف اليوم ببلاد السباخ من الحوف ويسلك من الفرما وهي بالقرب من قطية الى أم العرب وهي بلاد خراب على البحر فيما بين قطية والورادة ويقصدها قوم من الناس ويحفرون في كيمانها فيجدون دراهم من فضة خالصة ثقيلة الوزن كبيرة المقدار . ويسلك من أم العرب الى الورادة وكانت بلدة في غير موضعها الآن قد ذكرت في هذا الكتاب . فلما خرج الفرنج من بحر القسطنطينية في سنة تسعين وأربعمائة لأخذ البلاد من أيدي المسلمين وأخذ بغدوين الشوبك وعمَّره في سنة تسع وخمسماية وكان قد خرب من تقادم السنين وأغار على العريش وهو يومئذٍ عامر ، بطل السفر حينئذٍ من مصر الى الشام وصار يسلك على طريق البر مع العرب مخافة الفرنج الى أن استنقذ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بيت المقدس من أيدي الفرنج في سنة ثلاث وثمانين وخمسماية واكثر من الايقاع بالفرنج وافتتح منهم عدة بلاد بالساحل وصار يُسلَك هذا الدرب على الرمل فسلكهُ المسافرون من حينئذٍ الى أن وُلي ملك مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد ابن العادل أبي بكر بن أيوب فأنشأ بأرض السباخ على طرف الرمل بلدة عرفت الى اليوم بالصالحية وذلك في سنة أربع وأربعين وستمائة وصار ينزل بها ويقيم فيها ونزل بها من بعده الملوك . فلما ملك مصر الملك الظاهر بيبرس البندقداري رتب البريد في سائر الطرقات حتى صار الخبر يصل من قلعة الجبل الى دمشق في أربعة أيام ويعود في مثلها فصارت أخبار الممالك ترد اليهِ في كل جمعة مرتين ويتحكم في سائر ممالكهِ بالعزل والولاية وهو مقيم بالقلعة وأنفق في ذلك مالاً عظيماً حتى تم ترتيبهُ وكان ذلك في سنة تسع وخمسين وستمائة * وما زال أمر البريد مستمراً فيما بين القاهرة ودمشق يوجد بكل مركز من مراكزه عدة من الخيول المعـدة للركوب وتعرف بخيل البريد وعندها عدة سواس وللخيل رجال يعرفون بالسواقين وأحدهم سواق يركب مع من رسم بركوبهِ خيل البريد ليسوق لهُ فرسهُ ويخدمهُ مدة مسيره

ولا يركب أحد خيل البريد الاّ بمرسوم سلطاني فتارة يمنع الناس من ركوبهِ الاّ من انتدبهُ السلطان لمهماتهِ وتارة يركبهُ من بريد السفر من الأعيان بمرسوم سلطاني. وكانت طرق الشام عامرة يوجد بهـا عند كل بريد ما يحتاج اليه المسافر من زاد وعلف وغيره. ولكثرة ما كان فيه من الأمن أدركنا المرأة تسافر من القاهرة الى الشام بمفردها راكبة أو ماشية لا تحمل زاداً ولا ماء. فلما أخذ تيمورلنك دمشق وسبى أهلها وحرقها في سنة ثلاث وثمانمائة خربت مراكز البريد واشتغل أهل الدولة بما نزل بالبلاد من المحن وما دهوا بهِ من كثرة الفتن عن اقامة البريد فاختل بانقطاعهِ طريق الشام خللاً فاحشاً والأمر على ذلك الى وقتنا هذا وهو سنة ثمان عشرة وثمانمائة» اه ١٤١٥م

وذكر أبو الفداء طريق العريش في تاريخهِ في عدة مواضع. قال في اخبار سنة ٦٩٢ ﻫ : «وفي هذه السنة في جمادى الأولى (ابريل ١٢٩٣ م) أرسل السلطان الملك الأشرف أحضر الملك المظفَّر محمود صاحب حماه وعمهُ الملك الأفضل على البريد الى الديار المصرية فتوجها من حماه وعندهما الخوف بسبب طلبهما على البريد ووصلا الى قلعة الجبل في اليوم الثامن من خروجهما من حماة» اه

وجاء في اخبار سنة ٧١٨ ﻫ ١٣١٨ م :

«وفي هذه السنة توجهت من حماة الى الديار المصرية وخرجت الخيل قدامي من حماة في نهار السبت منتصف جمادى الأولى الموافق لنصف تموز . . . وتأخرت أنا بحماة. ثم خرجت من حماة وركبت خيل البريد في نهار الاثنين الرابع والعشرين من جمادى الأولى والرابع والعشرين من تموز ولحقت خيلي وثقلي بغزة نهار الأحد غرة جمادى الآخرة وهو اليوم الثلاثون من تموز وسرت بهم جميعاً ووصلت الى قلعة الجبل وحضرت بين يدي مولانا السلطان الملك الناصر خلَّد الله ملكهُ بها في نهار الخميس ثاني عشر جمـادى الآخرة الموافق لعاشر آب الرومي. وشملتني صدقاتهُ بالتنزيل في الكبش وترتيب الرواتب الكثيرة بعد ما كان رتب لي في جميع المنازل من حماة الى الديار المصرية الرواتب الزائدة عن كفايتي وكفاية كل من هو في

صحبتي من الأغنام والخبز والسكر وحوايج الطعــام والشعير . . . وأمرني بالعود الى بلدي فخرجت من بين يديهِ من الميدان في نهار السبت ثاني عشر رجب من هذه السنة الموافق لثامن ايلول ووصلت حماة نهار الخميس مستهلّ شعبان الموافق للثامن والعشرين من أيلول واستقريت فيها » اه

وقال في اخبار سنة ٧١٩ هـ ١٣١٩م :

«وفي هذه السنة حج السلطان من الديار المصرية . ولما قرب أوان الحج ارسل جمال الدين عبد الله البريدي ورسم الى أن أحضر الى الابواب الشريفة فركبت خيل البريد وأخذت في صحبتي اربعة من مماليكي وخرجت من حماة يوم الجمعة سادس عشر شوال الموافق لسلخ تشرين الثــاني وسرت حتى وصلت الى مصر وحضرت بين يدي السلطان بقلعة الجبل نهار السبت الرابع والعشرين من شوال الموافق لثامن كانون الأول ونزلت بالقاهرة بدار القاضي كريم الدين واقمت حتى خرجت صحبة الركاب السلطاني » اه

وفي رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي المتوفي سنة ١١٤٣ هـ ١٧٣٠ م بعض بيان للطريق من العريش الى المحروسة لا بأس بسوقهِ هنا قال :

« لما دخلنا العريش نزلنا في مكان عند باب القلعة وصلّينا في الجامع داخل السور . ثم زرنا قبر الشيخ الدمياطي في جامع آخر . وهناك في تلك البلاد مكان مبارك يقال له البزّك ويقال انهُ متصل بالغار الذي في بلاد الخليل (عم) . وسرنا من العريش الى أن وصلنا « بئر المساعيد » وهناك سبيل معمر بجدران الحجر فاستقينا منهُ وملأنا الركاوي . ثم سرنا الى « قبر الساعي » وهو قبر مشهور هناك . ثم سرنا الى محل « البرقات » وهي منزلة من منازل القافلة فنزلنا هناك وصلينا الظهر . ثم سرنا بلا شر ولا حر ونزلنا في الغروب بمكان في البرية فأكلنا وأطعمنا الخيل ثم سرنا في ذلك الطريق الكثير الرمل حتى مررنا على « أم الحسن » وهو مكان فيهِ خان متهدم البنيان من قديم الزمان . ثم سرنا الى مكان يسمى « رؤوس الادراب »

وفي نصف الليل وصلنا الى « بئر العبد » وهي منزلة من منازل القافلة . قال السيد محمد كبريت في رحلتهِ :

ثم أتينا بعد بئر العبدِ   في سفح واد مالهُ من وفدِ
وماؤه مر زعاق مالح   ولم يكن فيهِ هواء صالح

ثم سرنا الى طلوع الشمس فنزلنا بالفلاة واسترحنا حصة يسيرة وسرنا حتى وصلنا الى منزلة « قطية » . ثم سرنا ومررنا على الرمل الكثير العسير المسمى « برمل الغرابي » . ثم جئنا الى بئر الدويدار وهو كبير والآن غلب عليه الرمل فردمهُ لكن حوله حفر صغار فيها ماء يغلب عليهِ الملوحة . قال السيد محمد كبريت في رحلتهِ :

« ثم الى بئر الدويدار الردي   جئنا وما أقبحهُ من موردِ »

ونزلنا هناك حصة من الزمن نحن ومن معنا وأكلنا ما تيسر من الزاد ثم ركبنا وسرنا على بركة الله ولم نزل ... سائرين الى أن مررنا على المكان المسمى « باللواوين » ... فقطعنا اللواوين ثم بتنا هناك في البرية . ثم ركبنا في نصف الليل فأشرفنا في الصباح على قرية الصالحية . ولم نزل سائرين الى أن نزلنا في مزار الولي الصالح الشيخ حسن الليفي الصامت العجمي . فقرية الخطَّارة . فالقُرَين . فكفر حماد . فبلبيس . فمصر » اه

وأهمل أمر البريد في زمن المماليك ثم عاد الى انتظامهِ في أيام المغفور له محمد علي باشا عند فتحهِ سوريا فوضع خفرآء على أهم الآبار وهي : بئر قطية . و بئر العبد . و بئر المزار . و بئر المساعيد . و بئر النبي ياسر . و بئر عطوان في العريش . و بئر الشيخ زويد * وما زال الى الآن بريد أسبوعي يسير على الهجن من رفح الى العريش ثم من العريش الى القنطرة بالدرب الوسطانية . والخفرآء تخفر هذه الآبار الى اليوم

وكانت طريق الفرما ثم طريق العريش بعدها طريق تجارية حربية وقد طالما سارت بهما الجيوش الحربية والقوافل التجارية بين النيل والأردن أو بين النيل والفرات . ولكنهما فقدتا أهميتهما التجارية بعد اتساع الملاحة في البحر المتوسط

وفتح ترعة السويس . ومع ذلك فما زال تجار الإبل والخيل والبغال والغنم من سوريا يطرقونهما الى اليوم وهم يفضلون طريق العريش صيفاً وشتآء لاختصارها وقلة رمالها ولكنهم يتخذون أحياناً طريق الفرما للطف هوائها والتخلص من ذبابة سامة تنتاب طريق العريش بين بئر العبد وقطية في أيام معينة في فصلَي الربيع والصيف كما مرّ

﴿ ٣. الدرب المصري ﴾

أما «الدرب المصري» فهي طريق تجارية محضة تربط مصر بسوريا عن طريق المقضبة . وقد بطلت بفتح ترعة السويس . وهي تنشأ من غزة أو خان يونس وتذهب جنوباً بغرب مارَّة بنقع شبانة . فصنع المنيعي . فحجر السواركة . فالجورة تحدها من الغرب والعجرة من الشرق . فالبرث فعجار السمن تحدانها من الجنوب . فالبواطي . فمقطع وادي الابيض . فالمقضبة في وادي العريش

ومن هنا طريق تذهب غرباً الى الاسماعيلية . وطريق تذهب غرباً بجنوب الى السويس فتمرّ بالغرقدة وهي مرتع للإبل لا مآء فيه . فسرُّ الحسنة . فعد الحَمّة . فشاش روض سالم . فباحة أم ضيان وهو من أولياء التياها . فعدّ الجدي . فقوز طويل الذيب في وادي الطوال . فوادي الحاج . فالنواطير . فالسويس

ومسافة هذه الطريق من خان يونس الى السويس ستة أيام بسير القوافل : فيوم الى صنع المنيعي . ويوم الى المقضبة . ويوم الى عدّ الحمة . ويوم الى باحة أم ضيَّان . ويوم الى وادي الطوال . ويوم الى السويس

وكانت هذه الطريق قبل فتح ترعة السويس تعج بالقوافل وكان تجار بلاد الشام يأتون بالصابون والزبيب والتين واللوز والبندق وقمر الدين والبضائع الحريرية ويعودون من مصر بالانسجة القطنية من صنع الفيوم

وكانت الحكومة المصرية تخفر هذه الطريق بمشايخ البلاد . قيل وكان خفير المقضبة في أيام المغفور لهُ ابراهيم باشا الشيخ سليمان الباسلي أبو عوده الباسلي شيخ الترابين الشبيتات الحالي . وكان التجار يدفعون جعلاً معلوماً للخفراء

﴿ ٤ . درب الحج المصري ﴾

الحج في الاسلام زيارة البيت الحرام مفروضاً مرة في العمر والزيادة تطوُّع . ويشترط لفرضهِ الحرية والبلوغ والعقل والصحة والقدرة على الزاد والراحلة ونفقة ذهابهِ وإيابهِ وعيالهِ الى حين عوده مع أمن الطريق . وأشهرُهُ شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة ويكره الاحرام لهُ قبلها * وقد اعتاد الحجاج بعد زيارة الكعبة في مكة أن يزوروا قبر النبي في المدينة تبركاً لا لإداء فرض

ويذهب المسلمون الى الحج افراداً وجماهير . أما جماهير الركبان فلا تخرج الا من أربع جهات : مصر . ودمشق . وبغداد . وتعزّ * وأما الحج المصري فيجمع أهل المغرب والسودان ومصر في مدينة القاهرة عاصمة مصر

وأول طريق اتخذها الحج المصري الى مكة المشرفة هي طريق عيذاب . وكان يركب الحجاج النيل من ساحل الفسطاط الى قوص بمصر العليا ثم يركبون الابل من قوص فيقطعون صحراء عيذاب الى البحر الأحمر حيث ينزلون الى جدة وهكذا يعودون الى مصر * وكانت قوافل التجار من اليمن والحبشة والهند تأتي مصر بهذه الطريق أيضاً

وبقيت طريق الحج على «عيذاب» حتى زار السلطان الملك الظاهر مكة المشرفة وكساها وعمل لها مفتاحاً وكان قد استرجع أيلة من الصليبيين سنة ٦٦٥ هـ ١٢٦٧م فذهب بطريق السويس وأيلة فصارت أيلة طريق الحج من ذلك الحين الى سنة ١٨٨٥ م فاتخذت طريق البحر على السويس وجدة وما زالت كذلك الى الآن

وممن حج قديماً من الملوك بهذه الدرب الملك الناصر بن قلاوون . قال أبو الفداء في حوادث سنة ٧١٩هـ ١٣١٩ م عند ذكر هذه الملك : « وسار على درب الحج المصري على السويس وأيلة . وسرت في صدقاتهِ حتى وصلنا رابغ » اه

وقد اعتاد ملوك مصر منذ القديم أن يرسلوا مع ركب الحج الكساء للكعبة ويرسلوا أميراً ومعهُ العساكر لحماية الحجاج في الطريق . قال أبو الفدا في حوادث

٧١٨هـ ١٣١٨م: «عند توجه الحاج من مصر أرسل السلطان الأمير بدر الدين بن التركماني ... مع الحجاج الى مكة بعسكر» اه . قيل وكان أول من نظم المحمل مع الحج المصري وأرسل الكسوة للكعبة وحماها بالعساكر: شجرة الدرّ التي حكمت مصر سنة ٦٤٨هـ ١٢٥٠م بعد انتهاء الدولة الايوبية . وما زالت هذه العادة متبعة الى اليوم

وقد عني ملوك مصر من القديم باصلاح طريق الحج هذه وتمهيد عقباتها وأنشأوا فيها الخانات والقلاع وحصنوها بالعساكر تأميناً للطريق وحفروا الآبار وبنوا البرك لسقي الحجاج وركائبهم * وأهم آثارهم على هذه الدرب في بر مصر: بركة الحاج غربي القاهرة . وقلعة عجرود غربي السويس * وفي بر سيناء: « النواطير. وقلعة نخل وآبارها وبركها . وبئر القُرَيص وبركها . وتمهيد دبة البغلة ونقب العقبة . وقلعة أيلة » وقد مر ذكرها جميعاً * وفي بر الحجاز على شاطئ البحر الأحمر الشرقي: «قلعة المويلح . فبرج ضبا. فقلعة الوجه . فقلعة ينبع» * وفي داخل بر الحجاز: قلعة رابغ

وكان خفر المحمل يؤلف من ٣٠٠ الى ٤٠٠ عسكري من المدفعية والمشاة وعليهم ضابط برتبة لوآء معهُ سلطة القتل والسجن . وكانت حكومة مصر ترسل الى القلاع التي في الطريق نجارين لترميم السواقي وملء البرك قبل وصول الركب . وترسل الزاد للعساكر والعلف لركائبهم

وكان عرب العائذ المار ذكرهم يلتزمون تقديم الإبل للمحمل المصري . فلما تحضروا التزمها سائر عرب الشرقية والقليوبية على التناوب . فسنة يلتزمها عرب القليوبية وهم: الحوَيطات. وبلي. والصوالحة. وجهينة. والمليقات. والعايدة* وسنة يلتزمها عرب الشرقية وهم: النفيعات . والسماعنة . والطميلات . والسعديين . والعقايلة . والمساعيد . والبياضيين. وأولاد علي. والأخارسة * وكان كل فريق يقدم في السنة من ٤٠٠ : ٥٠٠ جمل وكانوا يلتزمون حفظ المحمل الى العقبة ولكن جمالهم تسير مع المحمل الى مكة * وقد خصصت الحكومة مرتبات سنوية لمشايخ القبائل القاطنة في هذه الدرب للمحافظة على الامن

وكان يقام في كلٍّ من نخل والعقبة في زمن الحج سوق تباع فيها الاقمشة والمأكولات والحبوب كالدقيق والعدس والفول والأرز والشعير والبن وقمر الدين .

وكان للحويطات جُعْل يدعى «الفرْش» وهو رطل من كل ما يباع في سوقَي نخل والعقبة . وللتياها رطلان من كل ما يباع من المأكولات وربع كيلةٍ من كل صنف من الغلال في سوق نخل * وكان دليل الحج المصري من الحويطات

أما درب الحج المصري فتنشأ من مصر القاهرة وتخترق صحرآء السويس الجردآء الى أن تقطع ترعة السويس وتدخل برّ سينآء شمالي مدينة السويس

تسير من كوبري السويس في سهل رمليّ فياح مارًّا بالنواطير الثلاثة الى أن تدخل وادي الحاج فتصعد معهُ الى مفرق وادي الحاج حيث تلتقي دربُ الحج المصري الدربَ الآتية من شط السويس ببئر المرّة أو بئر مبعوق كما سيجيْ

ومن هنا يعرف وادي الحاج بوادي الحيطان كما مرَّ . تستمر السير بهذا الوادي الى رأسهِ المعروف بشَرفة الحاج ساعة ونصف من المفرق . ثم تهبط وادي صدر الحيطان فتنحدر معهُ الى سهل التيه العظيم نصف ساعة فجبيل حسن ساعة . ومن هنا يسير الوادي شمالاً بشرق الى مصبهِ بالبروك وتبقى في اتجاهك نحو الشرق فتأتي مقطع وادي الاغيدرة بساعة الاّ ربع . فوادي السحيمي بساعة الاّ عشرة . فوادي التيلة بساعة وربع . . . فوادي أبو جذل بساعتين الاّ عشرة . فالنهدان بنصف ساعة . فطلة نخل الغربية بساعة الاّ ثلث . فمقطع وادي العريش بنصف ساعة . فقلعة نخل بنصف ساعة * ومن نخل تستمر باتجاهك نحو الشرق فتقطع فروع وادي العريش الشرقية ودبَّة البغلة ثم فروع وادي الجرافي الى نقب العقبة . فالعقبة . فمكة

وقد سرت في هذه الدرب من العقبة الى شط السويس وفارقتُها من مفرق وادي الحاج * وطولها في برّ سينآء أي من ترعة السويس الى العقبة نحو ١٥٠ ميلاً كان ركب الحج المصري يقطعها ببتة أيام منها ستون ساعة سفراً هكذا : من كوبري السويس الى دبة وادي الحاج ٦ ساعات . فجبيل حسن ١٢ ساعة . فقلعة نخل ١٢ ساعة . فبئر القريص ١٢ ساعة . فمفرق العقبة ١٢ ساعة . فقلعة العقبة ٦ ساعات

وقد أصبحت هذه الطريق الآن طريق تجار الإبل والأغنام من الحجاز الى مصر . وما زال بعض الحجاج المغاربة وغيرهم يعودون بها الى اليوم

﴿ ٥ . درب الشِّمعوي ﴾

هذه أخصر الطرق من السويس الى نقب العقبة وأقدمها عهداً وأخصبها مرعًى . تسير من شط السويس في وادي الراحة الى رأسهِ مارة بام رجيم وهي خرائب محلة من حجر . فقلعة مبعوق . فالمَكُون . ثم تنحدر الى شمال قلعة الباشا المجاورة لعين سدر . وتستمر متجهة نحو الشرق جاعلة جبل المنيدرة ثم جبل بضيع عن اليمين الى مقطع وادي العريش قرب بئر أُم سعيد . فمقطع وادي أبو طريفية . فالمهجع وهو مرتع للإبل . فمقطع وادي الرواق . فمقطع وادي الفيحي . فمقطع وادي القرّيص . فبئر الثمد . فالشيخ نبعة . فجبـل الشمائر . ومنهُ تهبط وادي شعيرة ام عرقوب وتنحدر معهُ قليلاً ثم تتركهُ عن اليسار وتسير بطريق جنوبية شرقية الى جزيرة وادي طوبية . فجزيرة فرعون . أو تستمر شرقاً الى مفرق العقبة

والظاهر ان هـذه الدرب هي التي اتخذها صلاح الدين الأيوبي الى جزيرة فرعون وأيلة لمحاربة الصليبيين لأن درب الحج لم تكن قد نشأت بعد ونرى لهُ على درب الشعوي قلعة الباشا قرب عين سدر كما مرَّ ويرجح أن قلعة جزيرة فرعون وقلعة مبعوق ومحلة ام رجيم هي من آثاره أيضاً ٭ ودرب الشعوي هي الدرب التي اتخذها عرب التيه الجنوبي الى السويس منذ القديم وما زالوا يفضلونها على غيرها لأنها تغنيهم عن حمل الماء لأنفسهم والعلف لبهائمهم ٭ وهم يقطعونها في ستة أيام : فيوم الى المكون برأس وادي الراحة . ويوم الى صدر بضيع . ويوم الى المهجع . ويوم الى وادي الثمد . ويوم الى شعيرة ام عرقوب . ويوم الى رأس النقب أو جزيرة فرعون

﴿ ٦ . درب البترآء ﴾

نشأ في سينآء منذ القديم طريقان تجاريتان شهيرتان : « طريق الفرما أو العريش» في شمالها . « وطريق البترآء » في جنوبها ٭ أما طريق الفرما فهي طريق التجار والمسافرين من مصر الى سوريا فالعراق وغربي الاردن وقد مرَّ ذكرها تفصيلاً

وأما طريق البترآء فهي طريق التجار والمسافرين من مصر الى العقبة والحجاز والبترآء وشرقي الأردن * وهي تنشأ من السويس وتتجه جنوباً بشرق مرتفعة قليلاً عن شاطئ البحر فتمر بعيون موسى وتقطع وادي الإِحثا . فوادي سدر . فوادي وردان . فوادي عمارة . فوادي غرندل . فوادي وسيط . فوادي آثال حتى تأتي رأس وادي الشبيكة فتنحدر فيهِ الى وادي الحمر * ومن هنا اما أن تصعد بوادي الحمر وتذهب بطريق الرملة الى وادي الشيخ . أو تنحدر مع وادي الحمر وتذهب بطريق فيران فوادي الشيخ الى قرب الوطية فتترك وادي الشيخ صاعداً شرقاً الى طور سيناء على ١٠ أميال من الوطية وتبق في اتجاهها شمالاً بشرق الى وادي حُدرة. فوادي الغزالة . فوادي العين . فالنويبع . فالعقبة . فالبترآء

وقد سمينا هذه الطريق « طريق البترآء » لأنها الطريق التي اتخذها النبطيون أسياد البترآء ، والأدوميون من قبلهم ، في تجارتهم الى مصر كما تدلُّ الصخرات النبطية الباقية عليها الى اليوم في أودية حدرة وفيران والمكتَّب والمغارة والنَّصب والحمر وغيرها * وطول هذه الطريق بسير القوافل من السويس الى البترآء ١٨ يوماً كما سترى * وقد انقطعت التجارة بها بعد خراب البترآء وتقدم الملاحة في البحار

﴿ طريق موسى ﴾ وهذه الطريق هي التي اتخذها موسى في المشهور عند خروجهِ ببني اسرائيل من مصر الى أرض الموعد مارًّا بوادي فيران وقد عرَّج عنها من وطية وادي الشيخ الى طور سيناء فأقام فيهِ نحو سنة ثم عاد اليها كما سيجيء في باب التاريخ . وانقسمت طريق موسى هذه الى طريقين مطروقتين وهما : طريق السويس الى دير طور سيناء . وطريق الدير الى العقبة فالبترآء . وسنأتي على ذكرهما تفصيلاً فيما يلي

﴿ ٧ . درب النَّبك ﴾

هذه الدرب هي درب تجار الابل والغنم من الحجاز الى مصر في هذا العهد . حدثني حسن الالجن التاجر الحويطي الذي يتجر بالابل والغنم مع الحجاز قال : « نأتي بالإِبل والأغنام من الحجاز الى مينآء الشيخ حُمَيد ونعبر بها خليج

العقبة الصبح في مراكب فنصل ميناء النبك اذا ساعدت الريح بساعة ونصف. ثم نسير من النبك الضحى شمالاً بغرب نحو ٣ ساعات فنصل وادي الارطة فنسند معهُ حتى نلتقي وادي البدع فنبيت فيه أوّل ليلة * ثم نسند مع وادي البدع الى أن نلتقي وادي رُثامة (فرع من البدع) الظهر فنقيّل فيهِ. نستطرد السير في هذا الوادي قليلاً فنعرج عن اليمين الى وادي تقيرات فنقطعهُ ونأتي عين الكيد في وادي الكيد فنبيت ثاني ليلة * ثم نصعد في الوادي نحو ساعة ونعرّج الى اليمين فنسير بين جبلين ونقطع وادي الأملح (فرع من مدسوس). ثم نتسلّق نقباً صغيرًا ونهبط في وادي النصب فنبيت فيهِ ثالث ليلة * ثم نبرح وادي النصب ونسير عن شمالنا فيقابلنا وادي زغرة فنسند معهُ نحو ساعتين ثم نتركهُ عن شمالنا ونسير الى يميننا فنأتي علو العجرمية فنبيت فيهِ رابع ليلة * نسير في العلو حتى نأتي عين الأخضر في رأس وادي الأخضر فنستقي منها ونستطرد السير الى رأس نقب الاشيقر فنبيت فيهِ خامس ليلة * ومن نقب الاشيقر نهبط وادي الاشيقر ونتحدر معهُ الى ان نأتي وادي السيق فننحدر معهُ ساعة ثم نتركهُ وندخل الرملة ونسير فيها الى الشيخ حُبُوس فنبيت عندهُ سادس ليلة * ثم نستطرد السير في الرملة فنأتي فم وادي النصب (الغربية) الضحى فنرد الماء ونصدر عنهُ العصر فنقطع رملة القُرَي ونبيت في وادي الحمر سابع ليلة * نستطرد السير في «طريق البتراء» فنبيت في غرندل ثامن ليلة * ثم في بئر عوَّاد تاسع ليلة * ثم في عيون موسى عاشر ليلة * ثم نأتي الى محجر السويس الضحى عند كوبري السويس فنقضي فيهِ يوماً الى ثلاثة أيام فيتقاضانا وكيل الحويطات رسم الجمرك والمحجر وهو:

«٤ ½ غرش عن كل رأس ماعز. و ½ ٥ غرش عن كل رأس ضان. و٤٣ قرشاً عن كل جمل» * ثم نتخذ طريق نابليون الى بلبيس. فسوق الخانكة قرب المرج. فسوق شبين. فسوق قليوب. فسوق طنان. نبيع الإبل والاغنام ثم نعود الى الحجاز بهذه الطريق عينها فنشتري «سواقة» ثانية وهكذا» اه

هذا ويذهب من تجار الحويطات من مئة الى ثلاثمائة تاجر في السنة يذهبون جماعات تختلف من خمسة الى عشرين تاجراً وكل تاجر يذهب مرة أو مرتين أو

ثلاث في السنة . وفي كل مرة يحضر معهُ من مئة الى خمساية رأس غنم ومن عشرة جمال الى مئة جمل . واكثر تجارة الإبل في هذه الطريق من ابريل الى اوغسطوس

٨ . درب الطور الى العقبة

تنشأ هذه الطريق من مدينة الطور وتذهب شمالاً بشرق مخترقة سهل القاع حتى تأتي فم وادي حبران فتصعد فيهِ الى رأسهِ عند نقب حبران وتهبط وادي صلاف وتصعد معهُ الى عين غرباً فتنحرف عن اليسار وتقطع «حمادة الشبيحة» الى وادي الشيخ فتسند معهُ الى قرب الوطية . ومن هنالك تتخذ طريق البترآء الى العقبة فالبترآء

كانت هذه الطريق فيما يظهر طريقاً تجارية في عهد مملكة البترآء اذ نرى الى الآن صخرات نبطية في فم وادي حبران وقرية حجرية في نقب حبران كما مرّ . ولكنها انقطعت الآن بخراب البترآء وتقدم الملاحة في البحار

٩ . درب غزّة أو الشامية

هذه طريق تجارية دينية في شرق سيناء . تنشأ من العقبة وتتخذ درب الحج المصري الى مفرق نقب العقبة . فتفارق درب الحج وتتجه شمالاً فتسير في سهل فياح الى جبال الحمرة فتخترقها في طريق متعرجة الى وادي الخيلة فتنحدر معهُ جاعلة جبال الصفرآء عن اليمين الى مصب وادي المحايس الآتي من الشرق فتتركهُ وتسير في مرتفع الى رأس وادي الأغيدرة فتنحدر معهُ مارة بجبل سويقة عن اليمين الى مقطع وادي الجرافي عند مشاش الكنتلة . فمقطع وادي الغبي . فمقطع وادي الخضاخض الى رأس وادي الأحيقبة . ومن هنا تنحدر أرض التيه الشرقية شمالاً بغرب وتصب مياهها في وادي العريش بعد ان كانت تنحدر شمالا بشرق وتصب في وادي الجرافي . فتنحدر درب غزة بوادي الاحيقبة الى مقطع وادي قريّة . ثم تأتي مقطع وادي خريزة فجبل عريف الناقة تجعلهُ عن اليمين . فمقطع وادي مايين . فمقطع وادي لصان . اذ يكون جبل العُنَيقة عن اليمين وجبل البُرقة عن الشمال .

فمقطع وادي الجرور . فمقطع وادي السيسب . فمقطع وادي الجايفي اذ تكون عين قديس عن اليمين . فعين القصيمة في رأس وادي القصيمة . فمقطع وادي القديرات . فمقطع وادي الصبحة . فرأس وادي صرام فتنحدر معه الى مصبهِ بوادي بيرين . وهنا ينتهي حد سيناء ويبدأ حد سوريا . وقد سرت بهذه الطريق الى هذا الحدّ ثم سرت على حدود سيناء مارًّا بمقطع وادي العوجة . فالمربعة في العجرة . فمقطع وادي الابيض الى رفح . وهذه هي مسافة الطريق من العقبة الى رفح بالاميال :

ميل	من العقبة الى	ميل	
٣ ¾	المرشش	١٠	جبل عريق الناقة
١٠ ½	المفرق	١٤	عين القصيمة
١٧	جبل سويقة	١٤	مقطع وادي العوجة
١٧	مشاش الكتلة	١٦	المربعة في العجرة
١٤	راس وادي الأحيقبة	١٦	رفح
		١٣٢ ¼	المجموع

ولنعد الى طريق غزة : فمن مصب وادي صرام بوادي بيرين تتجه الطريق شمالاً بشرق فتجعل آبار بيرين عن اليمين وخرائب العوجة عن اليسار وتسير الى مقطع وادي الحفير . فمقطع وادي الحسنة . فمقطع وادي الأبيض ثم تجعل جبل القرن عن اليسار وخرائب الرّحيبة عن اليمين وتسير حتى تأتي بئر الصني المشهورة ومنها الى وادي الشريعة . فغزة * ومسافة هذه الطريق من العقبة الي غزة ٩ أيام بسير القوافل : فيوم الى جبال الحمرة . ويوم الى جبل سويقة . ويوم الى مشاش الكتلة . ويوم الى وادي قرَية . ويوم الى وادي الجرور . ويوم الى عين القصيمة . ويوم الى وادي الأبيض . ويوم الى بئر الصني . ويوم الى غزة * وقد جعلوا في هذه الطريق رجوماً لهداية المارة من ذلك رجمان متقابلان عن جانبي الاغيدرة يسميان «رجم الجندي»

وقد سميت هذه الطريق درب غزة لأنها تنتهي عند غزة . وسميت الشامية لأنها تؤدي الى بر الشام من الحجاز * وقد كان لها قبل انقطاع درب الحاج المصري سنة ١٨٨٥ أهمية كبيرة اذ كان قسم كبير من الحاج الشامي يأتي بها فيلاقي الحاج المصري في العقبة . وكان تجار غزة يأتون الى العقبة بأنواع الملابس والمآكل

والحبوب والفاكهة لبيعها على الحجاج في الذهاب والاياب . واما الآن فبانقطاع درب الحاج المصري عن البر فقدت تلك الأهمية اذ لم يعد يمر بها من الحجاج الشوام الا من ندر ولا يطرقها سوى بعض بدو الحجاز وشرق سيناء يأتون بها الى غزة لبيع الابل والغنم والسمن وشرآء الاقمشة والحبوب

❁ ٢ . طرق سينا الداخلية ❁

١٠ . طريق نخل من شط السويس . بئر المرّة

هذه أخصر الطرق المستعملة الآن من شط السويس الى نخل . تسير من الشط متجهاً شرقاً في سيل وادي الراحة ساعتين الأَّ ربع فتأتي بئر المرّة المار ذكرها . ومن هنا تترك وادي الراحة عن يمينك وتصعد في تلال من الرمال نحو ساعة فتأتي علو انخابير . تسير في هذا العلو ساعة وربع ساعة فتأتي رملة الشعيفة . تصعد فيها نصف ساعة فتأتي رملة النغيرَة في أعلاها ومن قمة هذه الرملة تظهر لك السويس . تنحدر منها الى مفرق مبعوق في رأس وادي المنصرف ربع ساعة من رملة النغيرة وخمس ساعات الا ربع من شط السويس * ثم تصعد فى سلسلة من التلال الرملية ثلاثة أرباع الساعة بطريق متعرجة فتأتي وادي أم إثلة . تصعد فى هذا الوادي ثلث ساعة الى رأسهِ . ومن هناك اذا التفت وراءك يظهر لك جبل أم عتاقة الذي يطل على السويس من غربيها . ثم تهبط الى «فرش» بين التلال تتجمع مياهها في زمن الامطار وتسيل في وادٍ يدعى فريشات الشيح يصب عن يمينك في وادي المشاري (أحد فروع الراحة) . تسير في هذا الفرش ساعة ثم تنحدر منهُ في وادي ينتون نحو ثلث ساعة ثم تتركهُ يسير الى مصبهِ في وادي الحاج عند فشحة الحاج وتنحرف عن يمينك فتقطع عدة فروع لهُ الى أن تأتي مفرق وادي الحاج على نحو ساعة الا عشر دقائق من مفرق أبو ينتون وثماني ساعات من الشط وهنا تلتقي درب الحاج المصري المار ذكرها فتسير بها الى نخل * ومسافة هذه الطريق من شط السويس الى نخل نحو ١٨ ساعة تقطعها القوافل بثلاثة أيام : فيوم الى الفريشات ويوم الى جبيل حسن ويوم الى نخل

مسافات طريق نخل من شط السويس · ببئر المرة

دق	ساعة	من شط السويس الى
٤٥	١	بئر المرة بوادي الراحة
	١	علو النخابير
١٥	١	رملة الشعيفة
٣٠	٠	« النفيرة
١٥	٠	مفرق مبعوق · رأس وادي المنصرف
٤٥	٤	
٤٥	٠	مقطع وادي ام أثلة
٢٠	٠	رأس وادي ام أثلة
	١	رأس وادي ابو ينتون في الفريشات
٢٠	٠	مفرق وادي ابو ينتون
٥٠	٠	« « الحاج
٠٠	٨	

دق	ساعة	من مفرق وادي الحاج الى
٣٠	١	شرفة الحاج
٣٠	١	جبيل حسن . مفرق وادي صدر الحيطان
٤٥	٠	مقطع وادي الاغيدرة
٥٠	٠	مقطع وادي السحيمي
١٥	١	مقطع وادي التتيلة · · ·
٥٠	١	وادي أبو جذل
٣٠	٠	النهدين
٤٠	٠	مطلة نخل الغربية
٣٠	٠	مقطع وادي العريش
٣٠	٠	مدينة نخل
٥٠	١٧	المجموع من شط السويس الى نخل

١١ · طريق نخل من شط السويس · ببئر مبعوق

تسير من شط السويس في سيل وادي الراحة الى ام رُجَيم ساعة فالى بئر مبعوق ساعتين . ومن هنا اما أن تتخذ طريق مختصرة في رملة شاقة صعبة المسلك الى وادي أبو علاقة ، واياك أن تفعل ذلك بلا خبير أمين ، أو أن تستطرد السير في بطن الوادي ساعة وثلث الى مصب وادي أبو علاقة . ثم تصعد بهذا الوادي الى رأسهِ في خمسين دقيقة ثم في وادي المنصرف خمس دقائق أو أقل الى مفرق مبعوق وهو على خمس ساعات وربع من الشط فتلتقي طريق المرة المار ذكرها فتتبعها الى نخل

وليس في هذه الطريق ماء الاَّ بئر مبعوق . وكذلك طريق المرة ليس فيها ماء الاَّ بئر المرة . لذلك اهتمت محافظة سيناء حديثاً بحفر بئر على الطريق قرب جُبَيل حسن فاحتفرت بئراً في وادي صدر الحيطان شمالي الجبل عمَّقتها ١٠ قامات أو اكثر ولما لم يظهر الماء ولا دليل على الماء تركتها . وهي تحفر الآن بئراً في الوادي المذكور على نصف ساعة غربي جبيل حسن بلغ عمقها ١٥ قامة ولم يظهر الماء بعد والأمل بظهورهِ لا يزال بعيداً

١٢ . طريق نخل من شط السويس . بوادي سدر

تسير من شط السويس وتتجه جنوباً الى عيون موسى فوادي الإحثا فتقطعهُ. فوادي سدر فتسند معهُ الى عين سدر . ثم تتجه شمالاً بشرق فتجد قلعة الباشا عن يسارك وتعترضك فروع وادي العريش فتقطعها واحداً بعد الآخر : وادي المليحة. فوادي الاغيدرة . فوادي السحيمي. فوادي النتيلة . فوادي أبو خبيمي. فوادي أبو كنادو . فوادي أبو طرفا . فوادي أبو جذل حيث تلتقي درب الحج المصري فتسير معها الى النهدين. فمطلة نخل الغربية. فنخل * وطول هذه الطريق نحو ٩٠ ميلاً أي ثمانية أميال الى عيون موسى . فأربعون ميلاً الى عين سدر . فاثنان وأربعون ميلاً الى نخل

١٣ . طريق الدير من السويس . بوادي فيران

قال الخبرآء : « تسير من شط السويس في طريق البترآء ساعتين الى عيون موسى. فمطخ النسر ساعة ونصف * ومن هنا تتفرع طريق تتبع شاطئ البحر الى حمام فرعون. وتستمر طريق البترآء مرتفعة عن الشاطئ فتسير الى وادي الإحثا ساعتين ونصف. فوادي سدر ساعتين وثلث . فوادي وردان ثلاث ساعات . فوادي عمارة ساعتين ونصف . فحجر الركاب فعين الهوَّارة فوادي غرندل ثلاث ساعات ونصف . فرجم حصان أبو زنّه ساعة . فخط المزراق ربع ساعة . فوادي وسيط ثلاثة أرباع الساعة . فوادي آثال ساعتين . فرجم عريّس ثمَّان عند رأس وادي الشبيكة ربع ساعة . تهبط وادي الشبيكة وتنحدر معهُ ربع ساعة فتأتي وادي الحمر

وهنا تفترق طريق الدير، كطريق البترآء، الى طريقين: طريق بوادي فيران وهي « الطريق السفلى » . وطريق تصعد بوادي الحمر فتخترق « الرملة » وهي « الطريق العليا » . أما الطريق السفلى فتنحدر مع وادي الحمر نصف ساعة فتأتي عين الطيبة . توالي الانحدار في وادي الطيبة الى ميناء ابو زنيمة ساعة ونصف . ثم تسير بشاطئ البحر حتى لقد تخوض بمائهِ الى سهل المرخا فتخترقهُ الى خشم اللقم في وادي بعبعة وهو على أربع ساعات من أبو زنيمــة . ثم تصعد بوادي بعبعة الى مصب وادي الشلال فيه عن يمينك نصف ساعة . فتسند بوادي الشلال الى رأسِ المعروف بنقب

بُذْرة ساعتين . تنزل من النقب الى وادي السدرة بنصف ساعة . وتصعد بوادي السدرة نصف ساعة فيلاقيك عن الشمال وادي اقنه أو وادي الفيروز . تسير من هناك ساعة فتأتي مصب المكتَّب حيث الصخرات النبطية . ثم تترك وادي السدرة عن شمالك وتصعد في وادي المكتب الى رأسهِ . ومن هناك تنحدر الى وادي فيران عند مصب وادي نسرين فيه على نحوِ ساعتين من مصب المكتب . تصعد في وادي فيران الى مصب الرمَّانة ساعة . فعرق رجامات البيض ثلاثة أرباع الساعة . فعرق المجرَّحين نصف ساعة . فحصي الحطاطين ساعة . فالحُسْوَة ثلاثة أرباع الساعة . فمصب وادي عليات ثلث ساعة . فقبة الشيخ أبو شبيب ربع ساعة . فنبع فيران ربع ساعة . فعلو فيران ثلث ساعة . فحجر منقذة النعجة نصف ساعة . فمصب وادي الأخضر بفيران فبويب فيران ثلث ساعة « ومن البويب فصاعداً يسمَّى الوادي وادي الشيخ كامرْ. تصعد فيهِ الى مصب صلاف ربع ساعة أو أقل . فالى مصب سهب ساعتين وثلث

ومن هنا فالقوافل التي تحمل اثقالاً تبقى مصعدة بوادي الشيخ الى الدير مارة بالوطية فالنبي صالح فالنبي هارون الى الدير مسافة تسع ساعات ونصف من مصب سهب و١٢ ساعة من البويب . واما الركب على الهجن فيأخذ طريقاً مختصرة : تصعد في وادي سهب الى رأسهِ وتنزل منهُ بوادي العُرف الى وادي صلاف ثلاث ساعات وثلث . ثم تصعد في وادي صلاف الى مصب الحطم ساعة . فالى الشيخ عواد على وادي غربا نصف ساعة . ومن هنا تترك الوادي وتذهب شرقاً في نقب الهاوية مارةً بمضرب سيف عُدَي ساعتين . فحجر القرارشة نصف ساعة . فسهل الراحة ربع ساعة . فمقام النبي هارون نصف ساعة . فالدير ربع ساعة

ومسافة هذه الطريق نحو ٥١ ساعة يقطعها السيَّاح عادة بتسعة أيام : فيوم قصير الى عيون موسى . ويوم الى وادي سدر . ويوم الى وادي غرندل . ويوم الى ميناء أبو زنيمة . ويوم الى وادي المكتَّب . ويوم الى حصي الحطـاطين بوادي فيران . ويوم راحة بواحة فيران . ويوم الى الشيخ عوَّاد . ويوم قصير الى الدير »

١٤ · طريق الدير من السويس · بالرملة

« أما طريق الرملة أو الطريق العليا فتذهب من مصب وادي الشبيكة صعداً بوادي الحمر ساعة الى مفرق المعاداة (ومن هنا طريق مختصرة الى عريّس ثمّان). فساعتان الى رأس الحمر . ومن هنا تتجه جنوباً بشرق الى رملة القرَيّ فتخترقها الى مصب النصب بوادي بعبعة ثلاث ساعات . وقد جرت عادة المسافرين أن يحطوا الرحال هنا للراحة ويذهبوا الى عد النصب مسيرة نصف ساعة في بطن الوادي فيسقون الإبل ويملأون القرب ثم يعودون الى فم الوادي . ويستطردون السير في وادي بعبعة صعداً ثم في وادي سوق الى رأسهِ ساعتين ونصف * ومن رأس سوق فان شئت زيارة سرابيت الخادم تعرج عن يمينك فتصلها في ساعة . والاّ تَسِرْ في رملة حميّر ثلث ساعة الى مَورد وادي الأحمر فتقطعهُ . ثم ربع ساعة الى وادي الخميلة فتنحدر معهُ قليلاً ثم تفارقهُ وتتجه شرقاً الى الشيخ حُميد وهو من أوليآء الجبالية على وادي المريخي ساعة ونصف. فتقطع وادي المريخي ثم وادي السيق وتأتي وادي بَرَق بنصف ساعة فتصعد معهُ نحو ساعتين الى شرَفة برَق فترى الشيخ غانم المار ذكره عن يسارك على نصف ساعة . تعرج عليهِ لأخذ الماء من بئره اذا شئت ثم تعود الى الطريق وتسير شرقاً في علو الشقيق ماراً بقبور أم سليمة نحو ساعة ونصف الى وادي اللبوة فتصعد فيهِ ساعة ونصف فتأتي رأس وادي رتامة . تهبط هذا الوادي وتنحدر معهُ نحو ساعة فتأتي قبة الشيخ ابو نجيمة من أجداد أولاد سعيد * ومن هنا تذهب الإبل المحملة أثقالاً شمالاً بشرق بطريق مرتفعة تقطع وادي الأخضر وتأتي بوادي السليف الفوقاني الى وادي الشيخ فتصعد فيهِ الى الدير . وتذهب الهجن شرقاً فتقطع وادي الأخضر وتأتي بوادي السليف التحتاني الى وادي الشيخ تجاه مصب سهب على نحو ساعة من قبة الشيخ ابو نجيمة. فتصعد في وادي سهب وتتبع الطريق المتقدم ذكرها الى الدير

ومسافة هذه الطريق نحو ٤٨ ساعة تقطع عادة بثمانية أيام : فيوم قصير الى عيون موسى . ويوم الى وادي سدر . ويوم الى وادي غرندل . ويوم الى سربو الجمل بوادي الحمر . ويوم الى رملة حمير . ويوم الى رأس وادي رتامة . ويوم الى الطرفا بوادي الشيخ . ويوم قصير الى الدير »
واعيد ذكر مسافات هذه الطريق في الجدول الآتي لتسهيل مناولتها ولو أنها تقريبية :

مسافات طريق ١٣ . الدير من السويس . بوادي فيران ونقب الهاوية

دق	ساعة	من شط السويس الى	دق	ساعة		
	٢	عيون موسى		١	مصب الرمانة	بوادي فيران
٣٠	١	مطخ النسر	٤٥		عرق رجامات البيض	« «
٣٠	٢	وادي الاحثا	٣٠	٠	عرق المجرحين	« «
٢٠	٢	وادي سدر		١	حصى الخطاطين	« «
	٣	« وردان	٤٥	٠	الحسوة	« «
٣٠	٢	« عمارة	٢٠	٠	مصب وادي عليات	« «
٣٠	٣	« غرندل	١٥	٠	الشيخ ابو شبيب	« «
	١	رجم حصان ابو زنه	١٥	٠	نبع فيران	« «
١٥	٠	خط المزراق	٢٠	٠	علو فيران	
٤٥	٠	وادي وسيط	٣٠		حجر منقذة النعجة	« «
	٢	« آثال	٢٠	٠	مصب وادي الاخضر . بويب فيران	
١٥	٠	رجم عريس ثمان . رأس الشبيكة ٢٠	١٥	٠	« « صلاف	بوادي الشيخ
١٥	٠	مصب الشبيكة بوادي الحمر	٢٠	٢	« « سهب	« « «
٣٠	٠	عين الطيبة . رأس وادي الطيبة	٢٠	٣	مصب وادي العرف بوادي صلاف	
٣٠	١	ميناء ابو زنيمة		١	« « الحطم	« «
	٤	خشم اللقم بوادي بعبعة	٣٠	٠	مقام الشيخ عواد	« «
٣٠	٠	مصب وادي الشلال بوادي بعبعة		٢	مضرب سيف عدي	بنقب الهاوية
	٢	رأس نقب بدرة رأس وادي الشلال	٣٠	٠	حجر القرارشة	« «
٣٠	٠	مهبط نقب بدرة بوادي السدرة	١٥	٠	سهل الراحة	
٣٠	٠	مصب وادي اقنه بوادي السدرة	٣٠	٠	مقام الشيخ هارون	
	١	« « المكتب بوادي السدرة	١٥	٠	الدير	
	٢	« « نسرين بوادي فيران	١٥	٥١	من شط السويس الى الدير بفيران	

مسافات ١٤ . طريق الدير من السويس . بالرملة ونقب الهاوية

دق	ساعة		دق	ساعة	
٥٠	٢١	من شط السويس الى مصب وادي الشبيكة بوادي احمر	٣٠	٠	وادي برق
				٢	شرفة برق
	١	مفرق المعاداة بوادي الحمر	٣٠	١	وادي اللبوة مخترقاً علو الشقيق
	٢	رأس وادي الحمر	٣٠	١	رأس وادي رتامة
	٣	مصب وادي النصب بوادي بعبعة		١	مقام الشيخ ابو نجيمة
٣٠	٢	رأس وادي سوق	٣٠	٠	وادي الاخضر
٢٠	٠	مورد وادي الاحمر	٣٠	٠	مصب وادي سهب بوادي الشيخ
١٥	٠	وادي الخيلة	٢٠	٨	من مصب سهب الى الدير كما مرّ
٣٠	١	الشيخ حميد في وادي المريخي	١٥	٤٨	من شط السويس الى الدير بالرملة

١٥ . طريق الدير الى العقبة فالبتراء

«تسير من الدير بوادي الشيخ الى قبة النبي صالح فتعرج من هناك شمالاً بشرق الى وادي سعال . فريضان الشكاعة . فوادي حدرة . فوادي الغزالة . فوادي العين . فالنويبع . فالعقبة * ومنها بالطريق المتقدم ذكرها بوادي العربة . فوادي ابو خشيبة الى البتراء * وطول هذه الطريق سبعة أيام الى العقبة فثلاثة أيام الى البتراء»

١٦ . طريق نخل من الطور . بنقب الراكنة

«تسير من الطور متجهاً شمالاً فتخترق سهل القاع الى الهداهد وهو مرتع قرب رأس القاع . ثم تسير الى أن تلتقي وادي فيران فتسند معهُ شمالاً بشرق الى مصب وادي نسرين فتتركهُ وتعود الى اتجاهك شمالاً الى وادي المكتب فتنحدر فيهِ الى وادي السدرة فتسند مع هذا الوادي الى مصب وادي أم جراف فتسند معهُ الى وادي الحميلة فتقطعهُ وتسير حتى تأتي رملة حمير فتخترقها وتصعد في نقب الراكنة في جبال التيه وتنزل منهُ الى عين أبو متيقنة في وادي أبو متيقنة وتسير مع الوادي الى عرقوب الراهب وبعد نزولك منهُ تجد وادي العريش آتياً عن يمينك فتسير معهُ الى مزارع البدارة . ثم تفارقهُ الى وادي أبو لقين فتقطعهُ . فنقب الهيالة . فوادي أبو عليجانة فتنحدر معهُ مدة أربع ساعات . ثم تتركهُ عن يسارك وتأتي وادي أبو طريفية فتنحدر معهُ الى نخل * ومسافة هذه الطريق ستة أيام بسير القوافل : فيوم الى الهداهد . ويوم الى عين لبن . ويوم الى رملة حمير . ويوم الى عرقوب الراهب . ويوم الى نقب الهيَّالة . ويوم الى نخل »

١٧ . طريق الدير من الطور . بوادي اسلا

«للدير من مدينة الطور طريقان شهيرتان: طريق بوادي إسلا. وطريق بوادي حبران * أما طريق إسلا فتتجه جنوباً بشرق فتخترق سهل القاع العظيم الى فم وادي إسلا فتصعد معهُ الى مصب وادي الطرفا فتصعد بوادي الطرفا الى رأسهِ. وتنزل معهُ الى وادي الرَّحَبة فتقطعهُ وتتسلَّق نقب عمران ثم تنزل منهُ الى وادي الزُّنج (فرع من وادي النصب الشرقية) فتقطعهُ وتتسلق نقب السباعية ثم تنزل منهُ الى وادي

السباعية فتنحدر مع السباعية قليلاً ثم تذهب غرباً الى جبل المناجاة وتنزل منهُ الى الدير
ومسافة هذه الطريق ثلاثة أيام للحملة : فيوم الى عين القصبَة في وادي اسلا قرب مصبهِ بالقاع . ويوم الى وادي الطرفا . ويوم الى الدير »

١٨ . طريق الدير من الدير . بوادي حبران

« أما طريق حبران فتتجه شمالاً بشرق فتخترق سهل القاع الى فم وادي حبران فتصعد فيه الى أعلاه الى نقب حبران . ومنهُ تنزل الى وادي أم صلاف فتسند معهُ الى عين غرباً ثم تقطع حمادة الشبيحة الى وادي الشيخ فتسند معهُ ساعة الى الطرفا وساعة الى الوطية وثلاث ساعات ونصف الى الدير . هذه هي أسهل الطرق من الدير الى الطور . وهي طريق ابَّالة البدو الذين ينقلون الغلال والبضائع الى الدير
وطول هذه الطريق للقوافل أربعة أيام : فيوم الى فم وادي حبران . ويوم الى مهبط الدرب بوادي صلاف . ويوم الى الطرفا بوادي الشيخ . ويوم قصير الى الدير
ولهذه الطريق طريق مختصرة من نقب حبران تنحرف عن يمين المسافر في نقب العجاوة نحو نصف ساعة الى وادي صلاف . ثم طريق مختصرة ثانية من قبر الشيخ عوَّاد . تصعد منهُ في نقب الهاوة فسهل الراحة . فالدير . وهذه هي طريق البريد والمسافرين على الهجن * وطولها يومان طويلان : يوم الى وطية حبران . ويوم الى الدير »

١٩ . طريق السويس من الطور

« كان بعض الحجاج قبل اقفال درب الحج المصري واتساع الملاحة في البحر الأحمر يأتون بالمراكب من النويبع الى الشرم أو الى مدينة الطور . ومنها يذهبون برًّا الى السويس بستة أيام : فيوم الى الهداهد عند رأس القاع الشمالي . ويوم الى مينا أبو رُدَيس . ويوم الى فم الطيبة . ويوم الى وادي عمارة . ويوم الى وادي وردان . ويوم الى السويس
وكانت محافظة سيناء ترسل بريد الطور بهذه الطريق الى سنة ١٩٠٧ اذ صارت بواخر الشركة الخديوية تمر بالطور فانقطعت طريق البر واستُغني عنها بطريق البحر »

٢٠ . طريق نخل من الدير . بنقب الراكنة

«تسير في طريق الدير العليا المؤدية الى السويس حتى تلتقي طريق نخل من مدينة الطور في رملة حميّر فتتبعها الى نخل . ومسافة هذه الطريق ستة أيام : فيوم الى وادي السليف . ويوم الى وادي برق . ويوم الى مهبط نقب الراكنة الجنوبي . ويوم الى مزارع البدارة بوادي العريش . ويوم الى وادي أبو عليجانة . ويوم الى نخل»

٢١ . طريق نخل من الدير . بنقب المريخي

«تسير في طريق الدير العليا المؤدية الى السويس حتى تأتي وادي السيق فتصعد فيهِ الى نقب المريخي وتتجه شمالاً بشرق فتأتي وادي السقي وهو فرع من وادي ابو لُقَين وفيهِ قبر وليّ يزار من التياها يدعى «الشيخ محمود» . تنحدر مع هذا الوادي الى وادي أبو لقين الى أن تلتقي درب نخل الآتية من الطور فتتبعها الى نقب الهيالة فنخل ومسافة هذه الطريق سبعة أيام : فيوم الى علو العجرمية . ويوم الى وادي السيق . ويوم الى رأس نقب المريخي . ويوم الى قبر الشيخ محمود . ويوم الى نقب الهيّالة . ويوم الى نخل»

٢٢ . طريق نخل الى غزة . بوادي المويلح

« تسير من نخل بوادي العريش على ضفتهِ اليمنى متجهاً شمالاً بشرق نحو جبل إخرم فتقطع وادي الرواق وتمر بالخفجة ثم تقطع وادي العقابة حتى تصل إخرم . فيظهر لك جبل الشريف فتتجه نحوه وتقطع وادي الفهدي ثم وادي قريّة ثم وادي الشريف . وعند وصولك الى جبل الشريف . يظهر لك جبل المويلح فتتجه نحوه وتقطع وادي الجرور ثم وادي السيسب ثم وادي الجايفي حتى تأتي وادي المويلح فتسند معهُ الى وادي الصبحة فتسند معهُ الى أن تلتقي درب غزة قرب رأس وادي صرام فتتبع الدرب المذكورة الى غزة . ومسافة هذه الطريق سبعة أيام : فيوم الى وادي العقابة . ويوم الى وادي قريّة . ويوم الى وادي الجرور . ويوم الى وادي صرام . ويوم الى وادي الرُّحيبة . ويوم الى وادي الشريعة . ويوم قصير الى غزة

وقد كانت هذه الطريق مطروقة جداً قبل انقطاع درب الحج المصري فكان كثير من تجار غزة يأتون الى نخل بتجارتهم يبيعونها للحجاج . والآن يطرق هذه الطريق أهل نخل وضواحيها يذهبون الى غزة لجلب الحبوب . ويطرقها بعض السياح الآتين من الدير * وبعضهم يذهب الى غزة بطريق نخل والعريش كما سيجيء »

٢٣ . طريق نخل الى العريش

« تسير من نخل متجهاً نحو مطلة نخل الشمالية فتقطع وادي أبو طريفية ثم وادي العريش حتى تصلها فيظهر لك جبل المنشرح في الشمال فتتجه نحوهُ وتقطع وادي البرُوك حتى تحاذي الجبل المذكور فتتركهُ وتترك جبل يلَق عن يسارك وتستمر في اتجاهك شمالاً الى أن تأتي آبار الحسنة في وادي الحسنة وتتبع وادي الحسنة الى مصبهِ في سر الحسنة . تسير في السر جاعلاً جبل الابرقين ثم جبل ألبني عن اليمين وجبل المغارة عن الشمال حتى يظهر لك جبل ريسان عنيزة فتتجه نحوه حتى تقترب منهُ وتسير فتجعلهُ عن يسارك وتمر برجم الحمضة ثم ببئر لحفن ومنهُ الى العريش * ومسافات هذه الطريق : ساعة الى مطلة نخل فاربع ساعات الى وادي البروك . فثلاث ساعات الى محاذاة المنشرح . فثلاث ساعات الى آبار الحسنة. فساعة الى سر الحسنة فساعتان الى محاذاة الابرقين . فثلاث ساعات الى محاذاة ألبني . فأربع ساعات الى رجم الحمضة فساعة الى بئر لحفن فساعتان الى العريش * ويقطعها المسافرون عادة بثلاثة أيام : فيوم الى محاذاة المنشرح . ويوم الى محاذاة ألبني . ويوم الى العريش »

٢٤ . طريق نخل الى الاسماعيلية

« تتجه هذه الطريق شمالاً بغرب الى أن تأتي « ثمادة البرُوك » في وادي البروك . وليس في هذه الطريق مآء في غير هذه الآبار . فتستمر في الاتجاه نفسهِ جاعلاً جبل يلَق عن اليمين حتى تقطع الدرب المصري بين بئر الجفجافة وبئر الجدي وتسير في سر الحقيب الى وادي أم خشيب جاعلاً جبل أم خشيب عن اليسار . ثم تخترق السهل الرملي الفياح الى الاسماعيلية . ومسافة هذه الطريق أربعة أيام :

فيوم الى وادي أبو جذل . ويوم الى سر الحقيب . ويوم الى وادي أم خشيبْ . ويوم طويل الى الاسماعيلية »

٢٥ · طريق نخل الى النويبع

«تسير من نخل متجهاً جنوباً بشرق الى وادي الغبية فتقطعهُ . ثم وادي الرواق فتقطعهُ . ثم وادي الفيحي فتقطعهُ . ثم وادي المشيش فتسند معهُ نحو ساعة الى بير المشيش . ثم تترك هذا الوادي وتستطرد السير جنوباً بشرق الى وادي قديرة فتنحدر معهُ الى وادي الشيخ عطية فتتبعهُ الى النويبع . ومسافة هذه الطريق ثلاثة أيام . فيوم الى وادي الفيحي . ويوم الى الشيخ عطية . ويوم الى النويبع »

٢٦ · طريق النويبع الى غزة بوادي المويلح

«تسير من النويبع مصعداً بوادي العين الى وادي شعيرة الدبس فتصعد فيهِ الى جبل الشعائر وتنقلب منهُ الى بئر الثمد ومنها شمالاً الى وادي المويلح فتذهب بالطريق المعتادة الى غزة * قيل وكانت هذه الطريق مطروقة كثيرًا في القديم لما كان للدير مركز قرب غزة وكان الدير يجلب حبوبهُ من تلك المدينة . بل كان زوار الدير يأتونهُ من هذه الطريق كما كانوا يأتون بطريق نخل ونقب الراكنة أيضاً . أما الآن فقلَّ من يستعملها الاَّ عرب النويبع يتخذونها لجلب الحبوب من غزة كما يتخذون « طريق البترآء » لجلب الحبوب من السويس . قالوا وطول الطريق من النويبع الى غزة كطولها من النويبع الى السويس . ولكن العربان تبحث في أي البلدتين تباع الحبوب أرخص مما في الأخرى فتذهب اليها » انتهى كلام الخبرآء في الطرق

هذه هي أشهر طرق سينآء الداخلية والخارجية . وأهمُّ ما يجب الالتفات اليهِ لتحسين حال الطرق : اقامة انصاب من حديد تبين فيها مسافات الطرق المطروقة وجهة السير . وبناء مظلات من حجر لراحة المسافرين لأنك قد تسير ساعات وأياماً في طرقها فلا ترى شجرة أو صخرة تستظل بها . وأهم من ذلك كلهِ حفر آبار بكل جهة يظن فيها وجود الماء على تلك الطرق كما تفعل محافظة سيناء الآن

الفصل الخامس

في

آثار سيناء حسب مداتها

لم يقم في سيناء في عصر من العصور مملكة أو أمة تركت لها أثراً في التاريخ. ولكن تملكها المصريون القدماء وعدّنوا فيها الفيروز والنحاس والمنغنيس منذ عهد الدولة الأولى الى الدولة العشرين. وساد بهـا النبطيون مدة. ثم تملكها اليونان فالرومان. فالبيزنتيون. فالعرب المسلمون الذين تملكوا مصر على التعاقب كما سيجيء مفصلاً في باب التاريخ * وكان سكان سيناء الأصليون العمالقة وغيرهم يسكنون في أكواخ من الحجر الغشيم والطين. فلما جاء العرب أبادوا السكان الأصليين أو أذلوهم وسكنوا في خيام من الشعر أو أغصان الشجر الى اليوم

وقد تركت كل أمة ملكت سيناء آثاراً تقدّم ذكرها ببعض الاسهاب في مواضعها في الفصول السابقة. ونعيد ذكرها هنا سرداً حسب مداتها لزيادة الايضاح وهي تجتمع تحت خمسة رؤوس كبار:

١. آثار السكان الاصليين

وهي أربعة أنواع من المساكن: « النواويس. والقصَر. والدوّارات. والمغاور »

أما « النواويس » فهي أكواخ متينة جدّاً من الحجر الغشيم والطين مبنية على شكل حلزوني وأكثرها في بلاد الطور وجبال التيه الجنوبية. وأفضل ما رأيت منها نواويس نقب حبران

وأما « القصَر » فهي أكواخ من الحجر والطين أصغر حجماً من النواويس. ولم أرَ منها الاّ في وادي الملاّحة أحد فروع حبران وقد تقدّم وصفها

وأما الدوّارات فهي دوائر أو زرائب من حجر غشيم كالدوّارات التي يصنعها

البـدو الآن من الحجر وأغصان الشجر فيسكنون فيها هم وبهائمهم . وترى بقايا دوّارات السكان الأصليين في كل جهة في الجزيرة

وأما « المغاور » فأكثرها في جبال بلاد الطور وجبال التيه . وما زال العرب يستخدمونها في زمن الامطار الى اليوم

﴿ ٢ . آثار المصريين القدماء ﴾

وأهمها هيكل لعبادة الالهة هاتور والاله سبدو في سرابيت الخادم . وصخرات هيروغليفية في سرابيت الخادم ووادي المغارة . وآثار تعدين النحاس في وادي النصب والفيروز في وادي المغارة . وخرائب مدينة الفرما وقلعتها عند فم فرع البليوسي . والتلّ الأحمر عند القنطرة

﴿ ٣ . آثار النبطيين ﴾

وهي صخرات عليها كتابات بالنبطية على الطرق التجارية وفي جوار المعادن والأماكن المقدسة . ومعظمها في بلاد الطور في أودية حبران . والنصب . والحمر . وفيران . والمكتّب . والمغارة . وضواحي جبل سيناء وجبل سربال وغيرها

﴿ ٤ . آثار اليونان والرومان والبزنتيين ﴾

وهي آثار مدائن وقلاع وآبار وأحواض وهرابات للماء وسدود في الأودية . وكنائس واديرة ومناسك في الجبال منذ القرن الثاني للمسيح أو قبلهُ الى القرن السابع

ومنها في بلاد الطور : دير طور سيناء القائم الى اليوم . وخرائب أديرة وكنائس وبروج ومناسك في جبـل سيناء وجبل سربال ووادي فيران . وخرائب دير وكنيسة في وادي الطور . وكنيسة عامرة في مدينة الطور

وفي بلاد التيه : هرابات للماء في جوار جبل الحلال . وهرابة للماء وقلعة في جبـل المغارة . وبرك مآء وسدود في أودية بيرين والقديرات والعوجا ومايين . وخرائب مدينة لخمة وقلعة وكنيسة في وادي العوجا

وفي بلاد العريش : خرائب مدينتي رفح وأم عمد وفيها أعمدة غرانيتية وآبار

وهرابات للمآء والحبوب * وخرائب قلعة وبئر في « خربة الرطيل » في الجورة شرقي العريش * وخرائب مدن عسلوج. والشيخ زويد . واليزك . والبردويل. والخوينات والفلوسيات . والقلس . والمحمدية على شاطئ البحر المتوسط بين رفح والفرما * وبئر تقع شبانة على الدرب المصري * وقلعة لحفن وبئر لحفن ورجم القبابين على وادي العريش قرب مدينة العريش

﴿ ٥ . آثار الاسلام من عرب واتراك ﴾

وهي آثار قلاع . وجوامع . وقبور أوليآء . وصخرات عربية . وأنقاب في الجبال

ومنها في بلاد الطور : جامع وخرائب قلعة في مدينة الطور . وجامع في دير طور سينآء . وجامع على طور سيناء . وخرائب قلعة في جزيرة فرعون

وفي بلاد التيه : النواطير الثلاثة وقلعة نخل . ونقب دبة البغلة ونقب العقبة . وصخرات عربية في النقبين المذكورين وقلعة العقبة . وكلها على درب الحاج المصري * وقلعة الباشا قرب عين سدر . وقلعة مبعوق وأم رُجيم في وادي الراحة

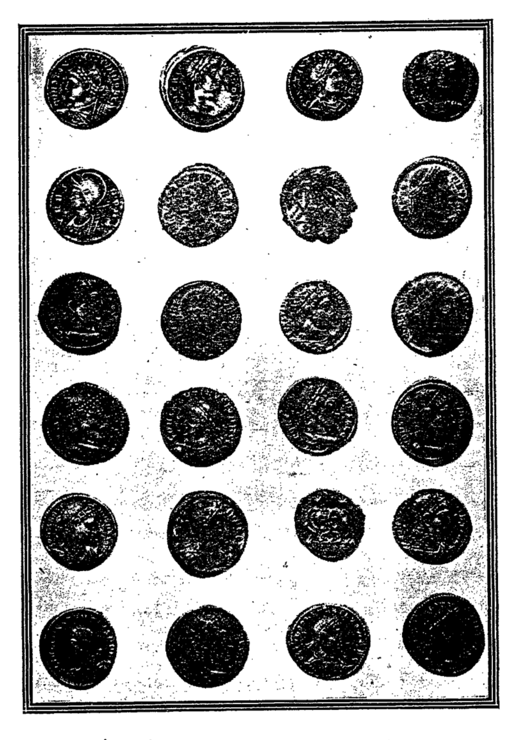
وفي بلاد العريش : جامع وقلعة في مدينة العريش . ومدينة القنطرة . وتل حبوة . وبئر الدويدار . وبئر وخرائب قلعة في قطية . وبئر العبد . وبئر المزار . وخرائب برج وبركة في الخروبة. وكلها في طريق العريش * وقلعة الطينة وقلعة البلاّح وتل هُرُبَّة . وتل الحير . وتل الفضة وتل الذهب في جوار الفرما

وقد وجد الباحثون في آثار سيناء القديمة كثيراً من أصناف النقود النحاسية والفضية والذهب من عهد الرومان البزنتيين والاسلام . وعثرت في أثناء أسفاري في سيناء من سنة ٥ : ١٩١٣ على كثير منها

وأهم الآثار التي تركها العرب المسلمون ، سكان البلاد الحاليين ، قبور وقبب أوليآء تزار تعدُّ بالعشرات في جميع الجهات . « ورجوم » (مفردها رجم) وهي حجارة أو كوم من الحجارة أو أتلام أو دوائر في الأرض للدلالة على وقائع مشهورة . وكل هذه القبور والرجوم ذكرت في مواضعها في الفصول السابقة

هذا وقد أحدثت فيها نظارة الحربية من ضروب الاصلاح ما سنبينهُ في محلهِ

وفي سنة ١٩٠٥ أرسلت نظارة الاشغال المصرية العلاّمة فلندرس بتري من علمآء الآثار الى وادي المغارة وسرابيت الخادم فنقّب في آثار الفراعنة فيهما وأحضر الى المتحف المصري ما خاف عليهِ من عيث البدو * ويحسن بمصلحة الآثار العربية ان تعنى بالصخرات العربية في درب الحاج وقلاع الباشا ونخل العريش وغيرها



شكل ٥٣ : بعض النقود التي وجدت في خرائب سيناء

الفصل السادس

في

حكومة سينآء وادارتها

١. الادارة العسكرية

يدلُّ تاريخ سيناء على أنها كانت في كل عصر قويت فيهِ مصر تابعة لمصر وللسلطة العسكرية لمصر منذ بدء التاريخ الى هذا اليوم. وقد أقام ملوك مصر القلاع والابراج على حدودها الغربية بين رأس خليج السويس وفم الفرع البليوسي واستولوا على معادن بلاد الطور منذ أيام الدولة الأولى. ثم بنوا القلاع والإبراج في داخليتها وعززوها بالعساكر تأميناً للطرق وتأييداً للسلام بين أهلها. وقد مرّ بنا ذكر القلاع والابراج في سينآء في مواضعها ثم ذكرت سرداً حسب مداتها في الفصل السابق

وأقدم تلك القلاع: الفرما والمحمدية على شاطئ البحر المتوسط عند الفرع البليوسي من عهد الفراعنة * ثم قلعة لحفن وقلعة جبل المغارة في حدود بلاد العريش الجنوبية وقلعة خربة الرطيل في حدودها الشرقية وهي في المشهور من آثار الرومان. ثم دير طور سيناء في قلب بلاد الطور شاده الملك يوستنيانوس معقلاً لرهبان سينآء حوالي ٥٤٥ م كما مرّ. وفي منشور أصدرهُ الملك العاضد لدين الله آخر ملوك الدولة الفاطمية في مارس سنة ١١٦٩م لرهبان طور سيناء سيأتي ذكرة اشارةً الى «القلاع الطورية» * ثم قلعة الباشا قرب عين سدر من بنآء صلاح الدين الايوبي سنة ١١٨٨م وقلعة مبعوق في وادي الراحة وهي في الأرجح من بنائه كقلعة الباشا بناها لحماية درب الشعوي كما قدمنا * ثم قلعة نخل وهي واحدة من سلسلة قلاع أقامها السلطان قانصوه الغوري «سنة ١٥٠١ : ١٥١٦ م في درب الحاج لحماية الحجاج * «فقلعة الطور» المنسوبة الى السلطان سليم سنة ١٥٢٠م شيدت لتأييد الإمن في بلاد الطور

وحماية الحجاج والتجار الذين كانوا يأتون مصر بطريق المويلح والطور والسويس * « فقلعة العريش » التي بناها السلطان سليمان سنة ١٥٦٠ م لحماية طريق العريش بين مصر والشام * فتل حبوة وقلعة قطية وبرج الخروبة على طريق العريش فتل هُرُبة فتل الحير فتل الفضة وتل الذهب فقلعة الطينة وقلعة البلاّح على طريق الفرما * وأكثر هذه القلاع الآن مهجورة أو خراب

ولما تسلّم المغفور لهُ محمد علي باشا زمام الاحكام في مصر سنة ١٨٠٥م لم يكن في سيناء الاّ ثلاث قلاع وهي : «قلعة الطور ؟ . وقلعة نخل . وقلعة العريش» وكان في كل منها حامية صغيرة من عساكر الباشبوزق * ولما تغلب على الوهابيين سنة ١٨١٨م استولى على الحجاز وقلاعهِ واتخذ على نفسهِ حماية الحرمين . ثم كانت الحرب بينهُ وبين تركيا في سوريا . وفي نهايتها في عهد السلطان عبد المجيد سنة ١٨٤٠ استرجع السلطان الحجاز وجعلها ولاية عثمانية . لكن بقيت العساكر المصرية تحمي درب الحاج المصري في قلاع نخل والعقبة والمويلح وضبا والوجه الى ان اهملت الدرب المذكورة سنة ١٨٨٥ (١) فقامت الدولة العلية تطالب مصر بهذه القلاع وكانت مصر اذ ذاك مشتغلة بالثورة السودانية وقد نهكتها الثورة العربية ولم يكن لها حاجة ماسة بالقلاع الحجازية بل كانت تنفق عليها على غير جدوى فسلّمت الوجه سنة ١٨٨٧م. ثم ضبا والمويلح سنة ١٨٩١ . ثم العقبة سنة ١٨٩٢ م

وكانت القلاع الحجازية الى هذا العهد تابعة في الادارة لقلم الروزنامة بالمالية فلما سُلمت العقبة للدولة العليـة سنة ١٨٩٢م (٢) سلخت بلاد التيه عن قلم الروزنامة والحقت بنظارة الحربية اداريًا وماليًا وعسكريًا وجعلت تحت ادارة مدير المخابرات بمصر القاهرة واشراف سردار الجيش المصري وناظر الحربية . وكانت بلاد الطور تابعة في الادارة لمحافظة السويس وقد تهدمت قلعتها منذ سنة ١٨٢٦ م ؟ فألحقت اداريًا ببلاد التيه (٣) بأمر صدر من نظارة الداخلية الى نظارة الحربية في ٢٣ مارس سنة ١٨٩٣ م . وجعل على بلاد التيه و بلاد الطور ضابط من ضباط الجيش المصري العظام برتبة قائمقام ولقب « قومندان جزيرة سيناء » ومركزه نخل . وجُعل في كل

---

(١) كان السبب الرئيسي في إهمال هذه القلاع راجع إلى أن المحمل المصري بات يسير عن طريق البحر الأحمر منذ عام ١٨٨٥م، ومن ثم أهمل طريق الحج البري.

(٢) صواب الجملة كما صححها المؤلف في نهاية الكتاب: فلما كانت سنة ١٨٨٥ ألحقت.

(٣) صواب الجملة كما صححها المؤلف في نهاية الكتاب: إدارياً بقومندانية القلاع الحجازية

من مدينتي نخل والطور مركز اداري فيـهِ نفر من عساكر البوليس غير النظامي وعليهم ضابط من ضباط الجيش المصري برتبة ملازم ولقب « ناظر »

وكانت السردارية بعد خروج عساكرها من العقبة قد جعلتها بضعة أشهر في وادي طابا ثم وجدت طرق المواصلات اليها شاقة فبنت قلعة في النويبع سنة ١٨٩٣[1] وجعلت فيها بضعة رجال من البوليس وألحقتها ادارياً بنخل ولا تزال كذلك الى الآن

أما بلاد العريش فانهُ بعد انسحاب ابراهيم باشا من سوريا سنة ١٨٤٣ جُرّدت قلعتها من العساكر وألحقت بالداخلية وجُعل عليها « محافظ » ملكي ومعهُ نفر من البوليس

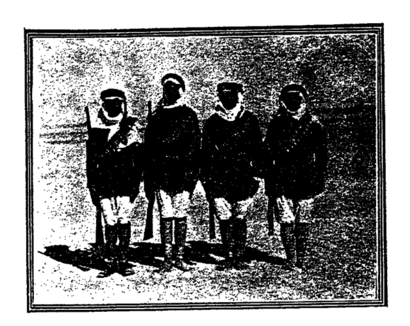
و بقي الحكم في سيناء على هذا النمط الى أن كانت حادثة الحدود سنة ١٩٠٦ فعين حد سيناء الشرقي بالتدقيق وضُمَّتْ بلاد العريش الى قومندانية نخل والطور وجعل عليها « ناظر » . فأصبحت بلاد سيناء كلها قومندانية واحدة بثلاث نظارات تحت ادارة الحربية . ثم في سنة ١٩٠٧ سميت القومندانية مديرية ولُقّب حاكمها مديراً وعين لها مدير برتبة قائمقام مركزه نخل ومفتش عام برتبة بكباشي يقيم غالباً في العريش وكلاهما من الضباط الانكليز بالجيش المصري . وفي سنة ١٩١١ أُبدل لقب مدير سيناء بلقب محافظ وسميت البلاد محافظة الى اليوم

هذا وقد قُسِم خط الحدود الشرقي بقصد خفارته الى ثلاثة أقسام وهي :

« رفح » ويمتد من ميناء رفح الى وادي الابيض . « والقصيمة » ويمتد من وادي الأبيض الى رأس وادي الأحيقبة . « ومشاش الكنتلة » ويمتد من رأس الأحيقبة الى نقب العقبة . وجعل في كل منها مركز بوليس وعليه « وكيل ناظر » من أهل البلاد . وجعل مركز للبوليس في بئر الثمد وآخر في شط السويس على كل منها « وكيل ناظر » من الاهالي . فأصبحت مراكز البوليس تسعة وهي : العريش . ورفح . ونخل . والقصيمة . ومشاش الكنتلة . والثمد . والنويبع . والشط . والطور . وجعل في كل منها نفر من البوليس الوطني غير النظامي وجلهم من أهالي نخل والعريش وعددهم الآن نحو ١٢٦ رجلاً معهم نفر من البدو خبراء للطرق . وهم فريقان:

---

(١) بلغ تعداد القوة العسكرية الموجودة بالنويبع في عام ١٨٩٣ حوالي ٢٢ فرداً ، وقلعة نخل ١٣ فرداً ، والطور ١٤ فردا ، بينما كان تعداد مركز القيادة في نخل حوالي أربعة أفراد . نظارة المالية ، ميزانية الحكومة المصرية لسنة ١٨٩٣ ، المطبعة الأميرية ، ص ٢٢٣ .



شكل ٥٤ : بعض بوليس سيناء بلباسهم الرسمي

بوليس هجانة وبوليس بيادة . ولهم لباس واحد وهو. على الرأس « عمامة » بيضاء يشدها عقال يدعونهُ مَرِيرة . وعلى الجسم سترة مسدودة من الكاكي تزرّر من على الكتف وبنطلون قطني.« وجورب » من الكاكي . وفي الرجلين نعلان كنعال البدو . ولا يفرق الهجانة من البيادة الا الحزام والسلاح فحزام الهجانة أخضر وحزام البيادة أصفر . وسلاح الهجانة قرابينة مرتين انفيلد وسلاح البيادة بندقية مرتين انفيلد . وأما الخبير فيحمل بندقية رمنتون . ومع كل منهم «فشكلك» يعلّقهُ بكتفهِ الأيمن معترضاً على صدره ويعقده بأبزيم تحت ابطهِ الأيسر

❋ ٢ . الادارة القضائية ❋

أما القضاء في سيناء فقد كان الى ما بعد دخولها تحت نظارة الحربية في أيدي قضاة البدو يحكمون بينهم بالعرف والعادة . الا بلاد العريش ومدينة الطور فانهما كانتا تابعتين في القضاء لمصر * اما مدينة الطور فقد مرّ بنا أنهُ كان فيها قديماً قاضٍ يرجع بأحكامهِ الى قاضي السويس . ثم بعد صدور لائحة ترتيب المحاكم الأهلية في القطر المصري في ١٤ يونيو سنة ١٨٨٣ أدخلت ضمن دائرة اختصاص محكمة الزقازيق بمقتضى الامر العالي الصادر في ١٤ فبراير سنة ١٩٠٤

أما محافظة العريش فانها بعد لائحة ترتيب المحاكم المشار اليها آنفاً صدر أمر عالٍ في ٢ يونيه سنة ١٨٨٤ بادخال محافظة العريش والجهات التابعة لها ضمن دائرة اختصاص محكمة المنصورة الأهلية . وفي ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٩٧ صدر أمر عال بنقل محكمة المنصورة للزقازيق . وكان قد صدر أمر عال في ١٩ مارس سنة ١٨٨٩ وفيه :

« المادة الاولى : يختصُّ محافظ العريش بالنظر والحكم نهائياً في دائرتهِ في القضايا الحقوقية التي لا تتجاوز قيمة المدعى بهِ فيها ألف وخمساية قرش . وفي الأفعال الجنائية التي تستوجب العقوبة بالحبس لغاية سبعة أيام » اه

ثم صدر أمر عال في ٢٨ ابريل سنة ١٨٩٨ وفيه :

« المادة الثانية : تشكل بالعريش محكمة مؤلفة من محافظها وقاضيها الشرعي وواحد من أعيانها ينتخبهُ ناظر الحقانية بالاتحاد مع ناظر الداخلية . وتختصُّ بالنظر والحكم نهائياً في ما يقام بين أهالي هذه المحافظة من القضايا المدنية والتجارية التي تتجاوز قيمة المدعى بهِ فيها ألف وخمساية قرش ولا تزيد عن خمسة آلاف قرش

« المادة السابعة : القضايا المدنية والتجارية والجنائية التي ليست من اختصاص محافظ العريش أو المحكمة المخصوصة المشكلة بهذه الجهة ترفع لمحكمة بور سعيد الجزئية أو لمحكمة الزقازيق الابتدائية» اه

وربما كان هذا أصلح قضاءٍ تُحكم بهِ بلاد العريش لما هي عليهِ من البداوة . ولكن بعد ضمها الى محافظة سيناء شكا أهلها من هذا التغيير وطلبوا انشاء محكمة جزئية في مدينتهم . فصدر أولاً أمر عال في ٥ يونيو سنة ١٩٠٩ وفيهِ :

« المادة الاولى : ان جميع الاختصاصات القضائية المخولة لمحافظة العريش بمقتضى الامر العالي الصادر في ٢٨ ابريل سنة ١٨٩٨ السابق الذكر تؤدى بمعرفة قاض من قضاة محكمة الزقازيق الاهلية ينتدبهُ ناظر الحقانية » اه . ثم صدر أمر عال في ١٧ ابريل سنة ١٩١٠ وفيه :

« المادة الاولى : يلغى الامر العالي الصادر في ٢٨ ابريل سنة ١٨٩٨ الخاص بالنظام القضائي في محافظة العريش . وكذلك القانون نمرة ١١ سنة ١٩٠٩ » اه

وبناءً عليه صدر قرار وزاري في ٢٦ ابريل سنة ١٩١٠ بانشاء محكمة جزئية بمدينة العريش ترجع بأحكامها الى محكمة الزقازيق الكلية وبدأت عملها في أول يونيو سنة ١٩١٠ . فأصبحت بلاد العريش تابعة في القضاء رأساً لنظارة الحقانية وفي الادارة لنظارة الحربية

وأما سائر بلاد سيناء فقد سُنَّ لها قانون جديد للأحكام مؤسس على العرف والعادة ومنطبقاً على العدالة وحال البداوة عرف « بقانون نمرة ١٥ لسنة ١٩١١» . وهذه صورتهُ كما نُشِر في عدد ٨٧ من الجريدة الرسمية في ٢ أوغسطوس سنة ١٩١١ :

﴿ قانون بشان النظام الإداري والقضائي لمحافظة سيناء ﴾

نحن خديو مصر .

بعـــد الاطلاع على قانون العقوبات . وبناءً على ما عرضهُ علينا ناظر الحربية وموافقة رأي مجلس النظار وبعد أخذ رأي مجلس شورى القوانين . أمرنا بما هو آت :

﴿ الباب الأول : في سريان القانون ﴾

﴿ المادة الأولى ﴾ تسري أحكام هذا القانون على جميع شبه جزيرة سيناء عدا ما يدخل منها في دائرة اختصاص محافظة العريش وما عدا جهتي عيون موسى والطور

﴿ الباب الثاني : في النظام الاداري ﴾

﴿ المادة الثانية ﴾ تبقى ادارة محافظة سينا تابعة لناظر الحربية دون غيره ولذلك يكون لهُ عليها من السلطة ما لكل واحد من النظار وعليهِ أن ينيط ادارتها بضابط يعينهُ لهذا الغرض ويلقب بالمحافظ

﴿ المادة الثالثة ﴾ يكون للمحافظ داخل حدود هذه المحافظة جميع الاختصاصات التي للمدير في مديريتهِ

﴿ المادة الرابعة ﴾ لناظر الحربية عدا الاختصاصات الممنوحة لهُ بمقتضى المادة الثانية أن يصدر بعد موافقة مجلس النظار قرارات لحفظ النظام والأمن العام في المحافظة المذكورة وتنشر هذه القرارات في الجريدة الرسمية ويجوز أن يجعل سريانها قاصراً على جزء من المحافظة فقط كما يجوز أن يقرر عقوبتي الحبس والغرامة لما يقع مخالفاً لأحكامهما الاَّ أنهُ لا يجوز بحال من الأحوال أن تزيد مدة الحبس عن شهر ولا أن يزيد مقدار الغرامة عن خمسة جنيهات مصرية

الباب الثالث : في النظام القضائي

١ . في المحاكم واختصاصها

﴿ المادة الخامسة ﴾ يعيّن ناظر الحربيـة من بين الموظفين المكلفين بادارة المحافظة مأمورين قضائيين يناط بهم القيام بالأعمال الآتية بعد

﴿ المادة السادسة ﴾ تشكل بمحافظة سينا ثلاثة أنواع من المحاكم وهي :

(١) محاكم جزئية يؤلف كل منها من مأمور قضائي بصفة رئيس ومن اثنين عدول

(٢) محاكم خصوصية يؤلف كل منها من المحافظ أو مأمور قضائي يندب بمعرفتهِ بصفة رئيس ومن ثلاثة عدول

(٣) محكمة عليا تؤلف من المحافظ أو مأمور قضائي يندب بمعرفتهِ بصفة رئيس ومن اثنين من المأمورين القضائيين بصفة عضوين ومن خمسة عدول

﴿ المادة السابعة ﴾ يحرر المحافظ في كل سنة كشفاً باسماء عدول يختارون من بين أعيان كل جهة ويختار العدول لكل قضية من ذلك الكشف بمعرفة المحافظ أو رئيس المحكمة ويكون ذلك الاختيار بطريق الاقتراع ويشترط أن لا يختار من قبيلة كل خصم أكثر من واحد في المحاكم الجزئية أو المحاكم الخصوصية ولا اكثر من اثنين في المحكمة العليا

﴿ المادة الثامنة ﴾ يكون للعدول رأي استشاري فقط ويجب تدوين آرائهم في محضر الجلسة ولهم في جميع الأحوال أن يوجّهوا بواسطة الرئيس أسئلة الى الشهود أو الى المتهم

﴿ المادة التاسعة ﴾ للخصوم في جميع الأحوال طلب رد واحد أو اكثر من العدول واذا رأى الرئيس قبول أسباب الرد بعد أخذ رأي أعضاء المحكمة والعدول الذين لم يطلب ردهم وجب عليهِ اختيار غير من ردوا بالطريقة المنصوص عليها في المادة السابعة

﴿ المادة العاشرة ﴾ المحاكم الجزئية غير مختصة بالنظر في الجرائم التي يعاقب عليها القانون بعقوبة جناية * والمحاكم الخصوصية غير مختصة بالنظر في الجرائم التي يعاقب عليها القانون بعقوبة الاعدام أو بعقوبة الأشغال الشاقة * وما عدا ذلك فجميع

المحاكم مختصة بدون قيد بالنظر في كل جريمة ترتكب داخل حدود محافظة سيناء وتكون واردة في قانون العقوبات أو في هذا القانون أو في القرارات التي يصدرها ناظر الحربية طبقاً للمادة الرابعة

﴿ المادة الحادية عشرة ﴾ للمحكمة أن تجازي بالعقوبة المنصوص عنها قانوناً أو بأي عقوبة أقل منها عن كل جريمة من الجرائم المختصة بالفصل فيها انما لا يجوز للمحكمة الجزئية أن تحكم بالحبس لأزيد من ثلاثة أشهر أو بغرامة تزيد عن عشرة جنيهات مصرية كما لا يجوز للمحكمة الخصوصية أن تحكم بالحبس لأزيد من سنة واحدة أو بغرامة تزيد عن ٥٠ جنيهاً مصرياً

﴿ المادة الثانية عشرة ﴾ تحكم المحاكم بناء على طلب الخصوم أو بموافقة أغلبية العدول بالعقوبات التي تقضي بها العوائد المحلية الثابتة بدلاً من العقوبات التي يجوز لها الحكم بها بمقتضى المادة السابقة اذا كان ما تقضي بهِ العوائد المذكورة غير مخالف للعدالة والآداب

٢ . في التحقيق وفي الاجراآت التي تتبع في المواد الجنائية

﴿ المادة الثالثة عشرة ﴾ اذا رأى مأمور قضائي من بلاغ قدم لهُ أو من أي طريق آخر وقوع جريمة فعليهِ أن يشرع في اجراآت التحقيق التي يرى لزومها ولهُ بنوع خاص أن يأمر بتفتيش المنازل وأن يسمع شهادة كل شخص يرى فائدة في سماع شهادتهِ ولهُ أن يحضر أمامهُ كل شخص توجد دلائل قوية على اتهامهِ ليسمع أقوالهُ

﴿ المادة الرابعة عشرة ﴾ اذا ظهر للمأمور القضائي أن ما ابداهُ المتهم من الدفاع غير مثبت لبراءتهِ جاز لهُ أن يبقيهِ محبوساً لمدة لا تزيد عن شهر واحد الاَّ بأذن من المحافظ ولا عن ثلاثة أشهر الاَّ بأذن من ناظر الحربية

﴿ المادة الخامسة عشرة ﴾ اذا رأى المأمور القضائي بعد التحقيق أن لا وجه لاقامة الدعوى وجب الافراج عن المتهم فوراً ٭ واذا وجد وجهاً لاقامتها وكانت الجريمة قليلة الاهمية وجب عليهِ أن يشرع في تقديمها للمحكمة الجزئية للحكم فيها في أقرب زمن ممكن . أما اذا كانت الجريمة ذات أهمية ورأى أن العقوبات التي يجوز للمحكمة الجزئية الحكم فيها غير كافية وجب عليهِ احالة القضية على المحافظ لتنظر

بمعرفة احدى المحكمتين العليين مع ملاحظة ما نص عنهُ في المادة العاشرة

﴿ المادة السادسة عشرة ﴾ يصدر ناظر الحربية بموافقة ناظر الحقانية قراراً شاملاً للاجرا آت التي تتبع أمام المحاكم في المواد الجنائية.

٣ . في اختصاص المحاكم في المواد المدنية

﴿ المادة السابعة عشرة ﴾ يكون للمحاكم المشكلة بمقتضى هذا القانون اختصاص في المواد المدنية والتجارية بالكيفية الآتية :

(أ) يجوز للمحكمة الجزئية أن تحكم في كل دعوى مدنية أو تجارية لا تتجاوز قيمة المدعى بهِ فيها عشرين جنيهاً

(ب) يجوز للمحكمة الخصوصية أن تحكم في كل دعوى مدنية أو تجارية لا تتجاوز قيمة المدعى بهِ فيها مائة جنيه مصري

(ج) يجوز للمحكمة العليا أن تحكم في كل دعوى مدنية أو تجارية مهما كانت قيمة المدعى بهِ فيها

ويجوز في جميع الأحوال رفع المنازعات المدنية والتجارية باتفاق الخصوم الى محكمة يكون نصاب اختصاصها أقل من قيمة المدعى بهِ واذا رفعت أمام احدى المحاكم الخصوصية أو أمام المحكمة العليا دعوى هي من اختصاص محكمة أدنى جاز للمحافظ أو من ينوب عنهُ من تلقاء نفسهِ احالة الخصوم على المحكمة الأدنى

﴿ المادة الثامنة عشرة) تحكم المحاكم في المواد المدنية والتجارية بمقتضى قواعد العدل والقانون الطبيعي مع مراعاة ما لا يخالفها من العوائد المحلية الثابتة

٤ . في الشهود

﴿ المادة التاسعة عشرة ﴾ لكل مأمور قضائي أن يكلف بالحضور الشهود الذين يرى فائدة في سماع شهادتهم سواء كان ذلك في الدعاوى الجنائية أو الدعاوى المدنية أو التجارية

﴿ المادة العشرون ﴾ يكون تكليف الشهود بالحضور على يد شخص ينتدب لذلك الغرض بمعرفة المأمور القضائي وعلى الأخص لمشايخ القبائل

وعلى كلّ شيخ كلفهُ المأمور المذكور بتكليف شاهد بالحضور أن يحضره أمامهُ في الميعاد الذي حدده لذلك فاذا أهمل جُوزي بغرامة لا تزيد عن أربعة جنيهات مصرية

﴿ المادة الحادية والعشرون ﴾ يجب على الشهود أن يحلفوا اليمين وذلك مع عدم الاخلال بما للمأمور القضائي وللمحاكم من الحق في سماع أقوال أي شخص على سبيل الاستدلال متى رأى أو رأت فائدة في ذلك

﴿ المادة الثانية والعشرون ﴾ اذا تخلف شاهد عن الحضور بعد تكليفهِ بذلك قانوناً أوحضر وامتنع عن أداء الشهادة جاز الحكم عليهِ حكماً انتهائياً لا يستأنف بغرامة لا تتجاوز أربعة جنيهات مصرية . فاذا حضر بعد ذلك وأبدى عذراً مقبولاً عُوفي من الغرامة

٥ . في طرق الطعن في الاحكام

﴿ المادة الثالثة والعشرون ﴾ يجوز للمحافظ في جميع الاحوال من تلقاء نفسهِ أو بناء على طلب أحد الخصوم أن يلغي أو يعدّل أي حكم صادر بعقوبة من محكمة جزئية . ويجوز لهُ في المواد المدنية أو التجارية بناء على طلب أحد الخصوم أن يلغي أو يعدل أي حكم صادر من محكمة جزئية . وهذا وذاك في خلال الثلاثين يوماً التالية لصدور الحكم

﴿ المادة الرابعة والعشرون ﴾ يجوز لناظر الحربيـة من تلقاء نفسهِ أو بناء على طلب المحكوم عليهِ من الخصوم أن يلغي أو يخفض الأحكام الصادرة بالعقوبة في المواد الجنائية من احدى محاكم الدرجتين العليين المشكلتين بمقتضى هذا القانون وذلك في خلال الثلاثة الأشهر التالية لصدورها ويقدم الطلب المذكور الى المحافظ وهو يبلغهُ الى الناظر ولا تصير بأي حال من الاحوال الاحكام الصادرة بعقوبات مقيدة للحرية لمدة تزيد عن سنتين نهائية الا بعد موافقة الناظر المشار اليهِ

٦ . في طلب الدعاوي

﴿ المادة الخامسة والعشرون ﴾ اذا رأى ناظر الحقانيـة أن احدى الدعاوي الجنائية يجب بسبب صفة المتهم أو المجني عليهِ فيها ومراعاة لصالح العدالة أن يكون الحكم فيهـا بمعرفة احدى المحاكم الجزئية العادية أو احدى محاكم الجنايات وجب عليهِ أحالتها على النيابة ليصير تحقيقها والحكم فيها بنفس الطريقة التي تتبع بالنسبة

للجرائم التي تقع في دائرة اختصاص أقرب محكمة جزئية . وفي هذه الحالة تعتبر جميع اجراآت التحقيق التي سبقت ذلك كأنها قد أجريت بمعرفة أحد مأموري الضبطية القضائية مندوباً من قبل النيابة .

ويجوز للمحافظ أو من ينوب عنهُ أن يحيل على ناظر الحقانية بواسطة ناظر الحربية كل قضية يرى وجوب تطبيق هذه المادة عليها . وفي هذه الحالة يجب عليهِ ايقاف الحكم فيها الى أن يصدر قرار الناظر بشأنها والاحالة واجبة اذا كان المتهم من غير سكان محافظة سينا وقدم لهُ طلباً بذلك قبل انعقاد المحكمة المرفوعة أمامها الدعوى

﴿ المادة السادسة والعشرون ﴾ لناظر الحقانيــة أيضاً أن يطلب كل دعوى مدنية أو تجارية ويحيلها على احدى المحاكم الجزئية العادية أو احدى المحاكم الكلية ويكون ذلك بناء على طلب يقدم من أحد الخصوم الى المحكمة المرفوعة أمامها الدعوى ويبلغ بمعرفة المحافظ الى الناظر ويجب أن يكون تقديم الطلب قبل المرافعة . وفي هذه الحالة يجوز للمحكمة أن تأمر باتخاذ كل الاجراآت الوقتية التي ترى لزوم اتخاذها مراعاة لصالح العدالة الى أن يصدر قرار الناظر بشأن الدعوى

٧ في الصلح في المواد الجنائية

﴿ المادة السابعة والعشرون ﴾ يجوز للمحكمة في أي حالة كانت عليها الدعوى أن تقبل الصلح في المواد الجنائية اذا رضي بهِ من أضرت بهِ الجريمة وكان من رأي أغلبية العدول أنهُ موافق للعوائد المحلية

ويجب أن يصدق على قيمة الصلح من أغلبية العدول ومن المحكمة ويجوز للخصوم أن يطلبوا تقديره بمعرفة العدول انما يجب موافقة المحكمة على هذا التقدير

﴿ المادة الثامنة والعشرون ﴾ يجوز للمحكمة في حالة قبول الصلح أن تحكم على الاثيم بعقوبة الا أنها تتخذ الصلح ظرفاً مخففاً للعقوبة . ويجوز ابقاء المتهم محبوساً الى حين القيام بجميع شروط الصلح

﴿ المــادة التاسعة والعشرون ﴾ يترتب على القيــام بشروط الصلح انقضاء الدعوى العمومية

٨ . في التنفيذ

﴿ المادة الثلاثون ﴾ يكون تنفيذ الأحكام في كل من المواد الجنائية والمواد المدنية أو التجارية بمعرفة المحافظ أو مأمور قضائي مندوب من قبله

﴿ المادة الحادية والثلاثون ﴾ يجوز الاكراه البدني لتنفيذ الأحكام الصادرة بالغرامات في المواد الجنائية ويترتب على الاكراه المذكور ابراء ذمة المحكوم عليه بواقع عشرة قروش عن كل يوم قضاه في الاكراه . ولا يجوز بحال من الاحوال أن تزيد مدة الاكراه عن تسعين يوماً

﴿ المادة الثانية والثلاثون ﴾ كل حكم بالاعدام يجب عرضهُ علينا طبقاً لاحكام المادة ٢٢٨ من قانون تحقيق الجنايات

﴿ المادة الثالثة والثلاثون ﴾ الأحكام القاضية بعقوبات مقيدة للحرية يجوز تنفيذها خارج حدود المحافظة . واذا تراءى للمحافظ تنفيذ حكم خارج حدود المحافظة وجب عليه اخبار ناظر الحربية ليتخذ الاجراآت اللازمة لذلك

﴿ المادة الرابعة والثلاثون ﴾ يصير تنفيذ الأحكام الصادرة في المواد المدنية أو التجارية بطريق الحجز على ما للخصم المحكوم عليه من الاموال المنقولة وبيعها

﴿ المادة الخامسة والثلاثون ﴾ اذا رأت المحكمة أن الخصم المحكوم عليه بالتعويضات أو بما يجب رده امتنع عن تنفيذ الحكم مع قدرته على القيام بما حكم به جاز لها مع عدم الاخلال بأحكام المادة السابقة أن تحكم عليه بالاكراه البدني الى أن يقوم بالدفع أو الرد على حسب الأحوال . ولا يجوز بحال من الاحوال ان تزيد مدة الاكراه المذكور عن ثلاثين يوماً

﴿ المادة السادسة والثلاثون ﴾ على ناظري الحقانية والحربية تنفيذ هذا القانون كل منهما فيما يخصهُ ويجب العمل به بعد ثلاثين يوماً من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية ؟

صدر بالاسكندرية في ٥ رجب سنة ١٣٢٩ — أول يوليو سنة ١٩١١

بالنيابة عن الحضرة الخديوية « محمد سعيد »

بأمر الحضرة الخديوية رئيس مجلس النظار	ناظر الحقانية بالنيابة	ناظر الحربية
« محمد سعيد »	« محمد سعيد »	« اسماعيل سري »

﴿ ٣ . الادارة المالية ﴾

﴿ ميزانية محافظة سيناء ﴾

هذا ومنذ تولَّت نظارة الحربيـة ادارة سيناء التفتت الى اصلاح حالها وحال سكانها وحكومتها ولا سيما بعد حادثة الحدود . وقد رقّت ميزانيتهـا تدريجاً من ٣٨٥٦ جنيهاً في سنة ١٩٠٦ الى ١٤،٧١١ جنيهاً في سنة ١٩١٤

﴿ رواتب مشايخ سيناء السنوية ﴾

وكانت حكومة مصر بعد فتحها درب الحاج المصري في سيناء قسمت الدرب الى « دركات » وألزمت كل قبيلة من القبائل النازلة عليها المحافظة على دركها وجعلت لمشايخها رواتب سنوية من نقود وحبوب وكساء ترسل اليهم من قلم الرزنامة بالمالية ويوزعها عليهم أمير الحاج المصري في طريقهِ الى مكة . فلما أهملت درب الحاج وسلمت مصر آخر القلاع الحجازية سنة ١٨٩٢ الى الحكومة العثمانية قطعت رواتب المشايخ القاطنين على درب الحاج في الحجاز من الوجه الى العقبة . ولكنها أبقت على رواتب مشايخ اللحيوات والتياها القاطنين سيناء كما أبقت على رواتب المشايخ القاطنين درب الحاج من الوجه الى مكة * وهذه أسماء المشايخ الذين قطعت رواتبهم من الوجه الى العقبة منذ سنة ١٨٩٣ مع راتب كل منهم تجاه اسمهِ :

مليم	جنيه		
٩٩٠	٩٨	الشيخ محمد حسين جاد	شيخ عربان العلويين
١٠٠	١٢٨	« سالم حسن محمد رشيد	من مشايخ «
١١٠	٥٧	« عواد نصار جازي	« « «
٩٧٦	١٣	« حسن سليم	شيخ عربان بني عقبة
٧٩٥	٢٥	« عليان رفيع	« « السواعدين
٢٢٥	٥٠	« خضر مقبول	« « العمران
٦٦٠	١٣	« سلامة هليل	« « العصابين
٨٥٦	٣٨٧	المجموع	
١٤٤	٢٩٢	وكان يعطى لهؤلاء المشايخ من الفول والدقيق والأرز والعدس والشعير والقمح والبقسماط عيناً ما قيمته نحو ٢٩٢ جنيهاً	
	٦٨٠	المجموع الأكبر	

وأما المشايخ الذين أبقت الحكومة على رواتبهم في سيناء فهذه أسماؤهم ورواتبهم:

مليم	جنيه		
٢٧١	٢٦	الشيخ سليمان سالم نجم	شيخ الحيوات من النجمات
١٦٥	٢٦	الشيخ قاسم الخليفي	من الخلايفة الحيوات
٨٧٥	١١	الشيخ حمد مصلح	شيخ التياها من الصقيرات

وفي سنة ١٩٠٧ قطعت راتب الشيخ قاسم الخليفي لأنهُ خرج في التحديد الأخير من حكم سيناء ودخل في حكم الحجاز[1]. وأبقت على راتب الشيخين الباقين ينقدهما اياهُ كل سنة محافظ سيناء مع زيادة قليلة جدًّا ويأخذ منهما الاقرار الآتي:

« أنا الواضع اسمي وختمي فيهِ أدناه شيخ قبيلة (كذا) أقرُّ وأعترف أنهُ حيث كان معين لنا راتب سنوي من الحكومة المصرية وقت طلوع المحمل الشريف نظير حفظ « دركنا » ودوام الأمن وملازمتنا لخدمة المحمل « طلعة رجعة » . وكون الحكومة قررت طلوع المحمل من طريق البحر ابتداء من طلعة سنة ١٣٠١ (١٨٨٤ م) وأحسنت علينا بصرف الراتب المذكور لنا ولجماعتنا رحمة منها بنا قصد استدامة قيامنا بحفظ دركنا ودوام الأمن بهِ لجميع الواردين والمترددين عليهِ ومايكون معهم من التجارة وغيرها والمحافظة على بناء القلعة من التخريب ودوام عمارتها — قد تعهدت أنا وجماعتي بقيامنا بهذه الواجبات جميعها مع الشكر لافضال الحكومة . واذا لا سمح الله حصل بدركنا ما يغاير ذلك سواء كان من جهة فقدان شيء من أربابه أو اعدام نفوس فنكون مسئولين ومدانين بكل مايحدث وقابلين كل مايترتب علينا من الجزاآت وملزمين باسترجاع كل ما يفقد بدون قبول أدنى عذر منا فضلاً عن قطع رواتب القبيلة من نقود وغيره

«وقد حررت هذا التعهد برضائي بدون اجبار . كما اني أقرُّ وأعترف بأن جماعتي أفراد القبيلة موجودون على قيد الحياة وإن رواتبهم طلعة سنة (كذا) رجعة سنة (كذا) التي قد استلمتها بتاريخهِ معراتبي فاني بحال وصولي الى جهتي أعطي كل ذي حق حقّهُ بيده واذا حصل تشكٍّ من أحدهم بعدم استلامه حقّهُ فأكون ملزماً باعطائهِ اياه من عندي في الحال واكون قابلاً ما يترتب عليَّ من الجزاء بحسب ما يتراءى للحكومة» اه

هذا ولما رأت نظارة الحربية بعد دخول بلاد الطور وبلاد التيه في ادارتها أنها

(١) كان قطع راتب قاسم الخليفي بسبب موقفه الموالي للدولة العثمانية أثناء أزمة الحدود عام ١٩٠٦، حيث تلقي هبات من الحكومة العثمانية، وقد أثر هذا الموقف علي ترسيم الحدود، وإدخال منطقة قبيلته ضمن الحدود العثمانية.

تستخدم مشايخ قبائلهما في مصالحها منحت كلا منهم راتباً سنوياً يختلف من ١٢ جنيهاً الى ٤٨ جنيهاً . ثم بعد حادثة الحدود سنة ١٩٠٦ منحت بعض مشايخ بلاد العريش رواتب سنوية حتى بلغت رواتب مشايخ سيناء سنة ١٩١٤ (٤٠٠ جنيه م)

مصلحة البريد في سيناء

﴿ بريد العريش ﴾ للعريش الى مصر بريد قديم العهد كما مرَّ[1] ولها الآن الى القنطرة بريد أسبوعي على الهجن يمرُّ بالدرب الوسطانية : يخرج من العريش الثلاثاء الظهر فيصل القنطرة الخميس العصر. يستريح يوماً في القنطرة ثم يعود الجمعة الظهر فيصل العريش الأحد العصر وهكذا . وللعريش بريد الى رفح مرتين في الاسبوع

﴿ بريد الطور ﴾ كان بريد الطور يحمل الى السويس على الهجن مرة في الشهر فلما انتظم محجر الطور سنة ١٩٠٧ كانت شركة البواخر الخديوية قد انشأت طريقاً تجارياً من السويس الى سواكن فجدة. فصارت تمرُّ بالطور مرَّة في الاسبوع وتحمل بريدها فاسبوع تحملهُ اليها من السويس وآخر تحملهُ منها الى السويس *

وفي موسم الحاج تمخر بين السويس والطور باخرة خاصة للبريد مرتين في الاسبوع

﴿ بريد نخل ﴾ كان لنخل عند أول انشآء قومندانية سيناء سنة ١٨٩٢ بريد الى السويس وآخر الى الطور يحمل على الهجن مرة في الشهر

ثم في سنة ١٩٠٣ صار يحمل الى السويس مرتين في الشهر

ثم سنة ١٩٠٦ صار يحمل الى السويس مرة في الاسبوع ولا يزال : يخرج من نخل الاثنين صباحاً فيصل السويس الاربعاء صباحاً فينتظر يوماً ثم يعود الخميس مساء فيصل نخل السبت وهكذا * وكان بريد نخل الى الطور يحمل بالبر بطريق نقب الراكنة فلما انتظم بريد السويس الى الطور بحراً صار يحمل اليها بطريق السويس

ثم ان لنخل الى العريش بريداً اسبوعياً يحمل على الهجن : يقوم من نخل السبت الظهر فيصل العريش الاثنين صباحاً . ثم يخرج من العريش الاثنين مسآء فيصل نخل العريش صباحاً وهكذا * ولنخل بريد مرتين في الشهر الى مراكز القصيمة ومشاش الكنتلة وبئر الثمد . ومرة في الشهر الى النويبع

---

(١) في عام ١٨٥٠ كان بريد العريش يرسل إلى القاهرة مرة كل ١٥ يوماً، وكان في بعض الأحيان يرسل مع بعض عرفاء القوافل المؤتمنين الذين يذهبون في رحلات منتظمة إلى القاهرة والعكس. صبري العدل، سيناء في التاريخ الحديث، ص ٧٩ .

ويحمل البريد الآن في سيناء كلها عساكر البوليس الهجانة الأ بريد العريش فيحمله هجانة مقيدون بضمانات مالية كما كان الحال في نخل قبل سنة ١٩٠٩

مصلحة التلغراف في سيناء

﴿ خط العريش ﴾ ان أول خط تلغرافي انشأته الحكومة المصرية في سيناء هو خط العريش فوصلت فيه مصر بالشام على الدرب السلطاني وطوله من القنطرة الى رفح ١١٣؛ ميلاً « اخبرني حسن مدخل أحد عمال التلغراف المصري الذي اشتغل بهذا الخط قال: وصل عمال تلغراف الشام الى رفح قبلنا بعشرة أيام وكان وصولنا نحن في آخر ذي الحجة سنة ١٢٨١ هـ ٢٦ مايو سنة ١٨٦٥ م

﴿ خط الطور ﴾ وفي سنة ١٨٩٦ أنشأت السردارية المصرية خطاً تلغرافياً من السويس الى الطور على طريق البريد القديم طوله ١٢٥ ميلاً ؟ وفتح للعموم في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٩٧ . ثم دخل بعد ذلك محجر الطور فكان رحمة للحجاج المصريين وسكان الطور معاً

مصلحة التليفون في سيناء

﴿ خط نخل الى السويس ﴾ ما أتمت محافظة سيناء تحديد التخوم الشرقية حتى شرعت في انشاء خط تليفون من نخل الى السويس بطريق بئر المرة فتم لها ذلك في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٠٦ وكان طوله من نخل الى شط السويس ١٢٠ كيلومتراً والى مركز ذئب الحربية في بورت توفيق ١٢٨ كيلومترًا

﴿ خط نخل الى الثمد فالكنتلة ﴾ ثم مدت خطاً آخر من نخل الى الثمد فالكنتلة

﴿ خط نخل الى القصيمة فالعريش فرفح ﴾ وآخر من نخل الى القصيمة ٦٨ كيلومتراً . فمن القصيمة الى العريش ٨٧ كيلومترًا . فمن العريش الى رفح ٤٥ كيلومتراً

وبذلك يمكن محافظ سيناء الآن وهو في نخل أن يخاطب جميع مراكز البوليس في سيناء كلها اما بالتلغراف أو بالتليفون الأ النويبع . وربما أنشأ اليها خطاً تليفونياً من الطور بطريق فيران والدير ليتم ربط جميع مراكز سيناء المهمة كلها بعضها ببعض . وفي ذلك من تسهيل الأشغال وترويجها في البلاد ما فيه

دخل محافظة سيناء

ان أهل سيناء من بادية وحضر معفون من القرعة العسكرية ومن جميع الضرائب والرسوم فلا ضريبة ولا رسم على أنفسهم أو عقارهم أو نخيلهم أو زرعهم أو معادنهم أو ملاحاتهم أو صيدهم البرّي والبحري الاّ بحيرة بردويل في شمال بلاد العريش فان الحكومة تؤجرها بالمزاد العلني وتربح منها الآن ألف جنيه في السنة . ونخيل قطية وقُطَيَّة فانها كانت داخلة في ضرائب المديرية الشرقية قبل فتح ترعة السويس فلما فتحت الترعة وضُمَّت قطية وقطية الى محافظة العريش بقيت الضرائب على نخيلها الى اليوم وقد بلغت قيمة عشور النخيل سنة ١٩١٣ نحو ١١٦٠ جنيهاً

وكانت الحكومة تؤجر بحيرة لزرانيق بالمزاد العلني أيضاً فتربح من ذلك نحو ١٥٠ جنيه في السنة فلما كانت سنة ١٩٠٧ تركتها للأهلين ليصيدوا فيها مجاناً وكذلك كانت الحكومة تؤجر ملاحات العريش وهي ملاحات الشيخ زويد . وسبيكة ومخيزن . وحواش . والمرقب . قيل وهي تغلّ في السنة نحو ٥٠,٠٠٠ طن من الملح فتركتها للأهلين لينتفعوا بها بلا مقابل رفقاً بهم

وليس في سيناء كلها مصلحة ذات ريع يذكر الاّ اذا حسبنا دخل تلغراف العريش والطور ومحجر الطور ومحكمة العريش وضريبة الابل والأغنام التي تمرُّ بسيناء من الحجاز وسوريا الى القنطرة والاسماعيلية والسويس . وهذا تفصيل ما دخل مصر من الابل والخيل والأغنام من بلاد الشام والحجاز في سنة ١٩٠٦ مثلاً :

الابل	البغال	الخيل	الغنم	
٩١٨٧	١٣٠٣	٤٥٧	٢٢,٤٩١	عن طريق القنطرة من الشام
١٦٧٨٧	٤٥	٣١٦	١٨,٧٢٩	عن طريق الاسماعيلية من الشام والعقبة
١٦٣٥	٣	٤	١٣,٦٤٠	عن طريق السويس من النبك والعقبة
٢٧,٦٠٩	١,٣٥١	٧٧٧	١٥٤,٨٥٠	الجملة

وحكومة مصر تتقاضى التجار ٨ في المائة من أصل الثمن . وأما اذا دخل أهل سيناء مصر بأنعامهم قصد بيعها تقاضتهم جمارك القنطرة والاسماعيلية والسويس رسماً قدره ٤ في المائة من أصل الثمن . ويقدر ثمن الكبير من ابلهم بأربعة جنيهات ونصف

والصغير بجنيه ونصف جنيه . ورأس الضان بأربعين غرشاً والماعز بعشرين غرشاً

واذا دخل أحدهم مصر بجمل لهُ أخذت منهُ مصلحة الجمارك نصف جنيه تأميناً حتى اذا عاد بجملهِ أعيد لهُ التأمين والاَّ فلا.[1]

﴿ ٤ . رجال حكومة سيناء ﴾

فمركز « محافظ سيناء » مركز عسكري قضائي اداري . ويختلف عن مركز سائر المحافظين لانهُ على الحدود ولأن أهل محافظتهِ كلهم أو جلّهم بادية

وهو يرجع بأحكامهِ عموماً الى «مدير المخابرات» بمصر القاهرة . ومدير المخابرات ينظر بنفسهِ في المسائل العسكرية والادارية مستمداً رأي ناظر الحربية وسردار الجيش المصري في المهمّ منها . ويبعث بالمسائل المالية الى «سكرتير مالي الحربية» . والهندسية الى مدير أشغال الجيش المصري . والقضائية الى ناظر الحربيـة وناظر الحقانية . ومسائل المحاجر والعربان والبوليس الى نظارة الداخلية . والمسائل الدينية والجوامع الى نظارة الأوقاف . ومسائل البريد الى مصلحة البوسطة العموميـة . والتلغراف الى مصلحة التلغرافات . ومسائل الأراضي والرخص للبحث عن المعادن الى مصلحة المعادن بادارة المساحة بنظارة المالية

وبالجملة فان حكومة سيناء منوطة بناظر الحربية . وسردار الجيش المصري . ومدير المخابرات بمصر . ومحافظ سيناء :

﴿ ناظر الحربية الحالي ﴾

أما ناظر الحربية الحالي فهو السر اسماعيل سري باشا المتولي في الوقت نفسهِ نظارة الأشغال العمومية وقد سُنّ قانون سيناء الجديد في عهـده . وهو من نوابغ هذا القطر المشهود لهم بالتفوُّق في العلوم الهندسية واستنباط المشروعات النافعة الفنية حتى ان بعض حكومات أوربا وأميركا سألتهُ زيارة بلادها وابداء رأيهِ في طرق ريّها . ولهُ مؤلفات نفيسة في الري والهندسة . وقد زان الله هذا الوزير الخطير بأحسن ما زان بهِ وزراء الملوك من خلق كريم وعلم غزير ورأي سديد ولطف ودعة وإيناس

---

(١) كان لصدور قانون ١٨٩٠ الخاص بعوائد الدخولية أثر السيئ علي سكان سيناء حيث عوملوا معاملة الأجانب والقادمين من الشام، فقبل صدور القانون كانت رسوم الدخولية لا تتعدي ١٪ من قيمة الماشية، لكن بموجب القانون صار رسم الدخولية ٨٪ مما دفع أهل سيناء إلي التهرب من تلك الإجراءات الجمركية باللجوء إلي التهريب . راجع سجلات محافظة العريش، سجل كوبيا الإدارة بمحافظة العريش، سجل ١، ص ٢٧٦ بتاريخ ١٨٩٠.

﴿ السردارون ﴾

أما السردارون الذين تولوا أمر سيناء بعد احالتها على نظارة الحربية فهم :

﴿ الجنرال السر فرنسيس غرنفيل باشا بطل طوشكي الذي تولى السردارية من سنة ١٨٨٥ الى ١١ ابريل سنة ١٨٩٢ ﴾ وفي عهده في ٢١ مايو سنة ١٨٨٥ نمرة ١٣١ قرر مجلس النظار احالة القلاع الحجازية من قلم الرزنامة بالمالية الى نظارة الحربية . ثم سُلّمت القلاع التي في الحجاز الى تركيا كما مرّ

﴿ اللواء كتشنر باشا بطل الخرطوم وهو اللورد كتشنر أوف خرطوم واسبال معتمد انكلترا السياسي في مصر حالاً الذي تولى السردارية من ١٢ ابريل سنة ١٨٩٢ الى ٢١ ديسمبر سنة ١٨٩٩ ﴾

وقد عني عناية خاصة بسيناء وأجرى فيها من الاصلاح كل ما سمحت بهِ ميزانيتها فضمّ بلاد الطور الى بلاد التيه وجعلها قومندانية واحدة سنة ١٨٩٢ . وبنى قلعة النويبع سنة ١٨٩٣ . وأنشأ خط التلغراف من السويس الى الطور سنة ١٨٩٦

وكان قبل دخولهِ الجيش المصري قد ندبتهُ الجمعية الجغرافية الانكليزية مع جماعة من كبار المهندسين لمسح بلاد فلسطين . ثم ندبتهُ من مصر في نوفمبر سنة ١٨٨٣ لمسح وادي العربة مسحاً فنيًا فسافر من السويس مخترقاً سيناء الى العقبة فالبتراء فالبحر الميت فبئر السبع . ومن هناك بالدرب المصري مارًّا بصنع المنيعي والمقضبة الى الاسماعيلية ومصر * وقد كتب في ذلك تقريراً نفيساً نُشر ملحقاً في كتاب سُمّي « جبل سعير » للاستاذ ادورد هل وطبع في لندن سنة ١٨٨٤

﴿ السردار الحالي الفريق الجنرال السر رجينولد ونجت باشا بطل جديد الذي رقي الى منصب السردارية في ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٩٩ ﴾ وقد قُلّد مع السردارية منصب حاكم السودان العام ومع ذلك يجد من وقتهِ الثمين متسعاً للنظر في اصلاح سيناء وحكومتها . وأهمُّ ما كان في سيناء في أيامهِ تعيين حدّ سيناء الشرقي وجعلها كلها محافظة واحدة . وقد عُرف السردار الحالي بحب العرب و بلاد العرب ولغة العرب وقد نال العرب في سيناء والسودان من الخير على يده ما يخلّد لهُ في تاريخ القطرين أجمل الذكرى[1]

---

(١) ما كتبه شقير من آراء في كتشنر تعبر عن وجهة نظره الشخصية ولا يمكن قبولها كحكم تاريخي على الرجل .

﴿ مديرو المخابرات بمصر ﴾

﴿ أولهم الميرالاي ونجت بك السردار الحالي ﴾ وقد بدأ خدمتهُ بالجيش المصري في ٣١ مايو سنة ١٨٨٦ . وفي ١ يناير سنة ١٨٩٤ سمي مديراً للمخابرات الحربية . ثم رقي الى وظيفة ادجوتانت جنرال في ٣١ يناير سنة ١٨٩٩ . فبقي الى ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٩٩ اذ سُمّي سرداراً للجيش المصري وحاكماً للسودان العام ولا يزال

﴿ اللواء الشريف تلبوت باشا ﴾ تولّى ادارة المخابرات الحربية بعده مُدة قصيرة

﴿ الكونت كليخن ﴾ من امراء العائلة المالكة الانكليزية تولى ادارة المخابرات ووكالة حكومة السودان بمصر من ١٧ فبراير سنة ١٩٠١ الى ١٤ اكتوبر سنة ١٩٠٣

﴿ اللورد ادورد سسل باشا ﴾ ابن اللورد سلسبري الشهير تولّى ادارة المخابرات ووكالة حكومة السودان العامة بمصر من ١٥ اوكتوبر سنة ١٩٠٣ الى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٠٥ . وهو الآن المستشار المالي للحكومة المصرية

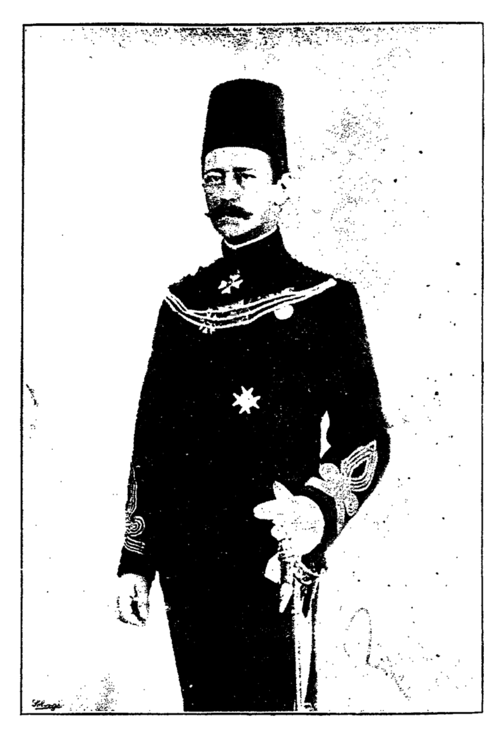
﴿ الميرالاي أوين بك ﴾ تولّى ادارة المخابرات ووكالة حكومة السودان بالنيابة ثم بالاصالة من ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٥ الى ٢٧ فبراير سنة ١٩٠٨ . وفي أيامهِ حصلت حادثة الحدود فعين رئيساً للجنة الحدود المصرية . ثم نقل مديراً الى منقلة ولا يزال

﴿ الميرالاي ستاك بك ﴾ تولّى ادارة المخابرات ووكالة حكومة السودان بمصر من ٢٨ فبراير سنة ١٩٠٨ الى اوكتوبر سنة ١٩١٣ * وهو الا ن اللواء ستاك باشا سكرتير حكومة السودان الملكي بالخرطوم

﴿ الميرالاي كليتن بك ﴾ مدير المخابرات ووكيل حكومة السودان بمصر الحالي وكان قبلاً السكرتير الخصوصي للسردار وحاكم السودان العام

ولقد خدمت ادارة المخابرات الحربية في عهد هؤلاء السردارين ومديري المخابرات جميعاً وما زلت في هذه الادارة ولي علاقة ماسة بأكثرهم الى اليوم . لذلك ألجم القلم عن امتداحهم وتقريظ أعمالهم . ولكني اغتنم هذه الفرصة وأنا في آخر عهدي في الخدمة لاصرّح بمزيد شكري مما لقيتهُ لديهم ، مدة الثلاثين سنة التي قضيتها معهم ، من المودة واللطف . وأتمنى لكل بلاد تحبها نفسي أن تحظى برجال راقين يشتغلون فيها بالغيرة والهمة والمقدرة التي اشتغل بها هؤلاء النبلاء في مصر وسيناء . والله أسأل أن يوفقنا جميعاً الى ما فيه مصلحة هذا القطر السعيد والسلام.

١ . تجاه صفحة ٣٠٤



شكل خاص ٧ : الكونت كليخن
مدير المخابرات سابقاً

٢ . تجاه صفحة ٣٠٤



شكل خاص ٨ : اللورد ادورد سسل

مستشار المالية المصرية الحالي . ومدير المخابرات سابقاً

٣ . تجاه صفحة ٣٠٤



شكل خاص ٩ : اللواء ستاك باشا

السكرتير الملكي لحكومة السودان الحالي ، ومدير المخابرات سابقاً

٤ . تجاه صفحة ٣٠٤



شكل خاص ١٠ : الكولونل كليتن

مدير المخابرات ووكيل حكومة السودان الحالي

وفي الحرب الحاضرة تولى أيضاً رئاسة أركان حرب القائد العام للجيوش البريطانية بمصر « لقسم المخابرات » . ورقي الى رتبة « بريجادير جنرال » في ١٢ أبريل سنة ١٩١٦

﴿ قومندانات سيناء ومحافظوها ﴾



شكل ٥٥ : الميرالاي سعد بك رفعت

﴿ القائمقام سعد بك رفعت من سنة ١٨٩٢ الى ٢٢ اوغسطوس سنة ١٩٠٠ ﴾

أوّل من تولّى قومندانية سيناء بعد دخولها في حوزة الحربية البكباشي سعد افندي رفعت . وكان اختيارهُ لهذا المنصب عين الحكمة لأنهُ عربي صميم وضابط باسل شهم وقد خُلِق ليحكم العرب فكان يجالسهم ويؤاكلهم كأنهُ شيخ لهم حتى انهُ تزوج منهم وكان يفصل في جميع خصوماتهم بالصلح وسلو العرب . وكان كلما أنهى لهم خصومة نصبوا لهُ «رجماً» اعترافاً بفضلهِ حسب عادتهم حتى نُصب لهُ في الجزيرة عدة رجوم. ونظموا في مدحهِ القصائد . وبقي الى أن نقل الى حكومة السودان في ٢٣ اوغسطوس سنة ١٩٠٠ . ثم احيل على المعاش برتبة ميرالاي . وخلفهُ على قوامندنية سيناء :



شكل ٥٦ : الميرالاي حامد بك مختار

﴿ القائمقام حامد بك مختار من ٢٣ اوغسطوس سنة ١٩٠٠ الى فبراير سنة ١٩٠٤ ﴾

وقد أحسن حامد بك سياسة العرب وأصلح في البوليس ولكنهُ لم يحب الخدمة في سيناء فما صدَّق أن تخلَّص منها وأحيل على المعاش برتبة ميرالاي . وأهمُّ ما كان في أيامهِ قتال جرى بين اللحيوات على بئر الثمد . وجاء بعدهُ :

﴿ القائمقام محمد بك كامل من فبراير سنة ١٩٠٤ الى ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٥ ﴾

وكان استاذاً للعلوم في المدرسة الحربية بالعباسية فقضى في هذه الوظيفة عدة سنين وكان من خيرة الاساتذة علماً واخلاقاً . وما عتمت الحربية ان رأت أن نفعهُ في المدرسة الحربية اكثر منهُ في سيناء فأعادتهُ الى المدرسة ورقتهُ الى ميرالاي ثم الى لوآء واحالتهُ على المعاش . وأهمُّ ما حصل في سيناء على عهدهِ : خلاف بين الطورة



شكل ٥٧ : اللواء محمد باشا كامل

ودير سيناء بشأن تأجير الإبل . وقتل رجلين من التياها لرجلين من أهل نخل .
وكثر غزو البدو بعضهم لبعض حتى خيف على اختلال الإمن كما سيجيء

﴿ الميرالاي سعد بك رفعت قومنداناً موقتاً . والمستر براملي مفتشاً ثم قومنداناً من ٩ يونيو سنة ١٩٠٥ الى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٠٦ ﴾ فصدر أمر السردار الى سعد بك رفعت في ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٥ بالسفر الى سيناء وتسلُّم زمام القومندانية موقتاً ففعل . وكان قد سُمّي المستر براملي مفتشاً على سيناء في ٩ يونيو سنة ١٩٠٥ وسبق الى نخل فاتحدا على العمل وسكّنا الحال . ولكن لم تنتهِ حركة القبائل حتى بدأت حادثة الحدود في أوائل سنة ١٩٠٦ فنُدب سعد بك لبعض مأمورياتها ثم أعيد الى المعاش . وبقي المستر براملي وحده مباشراً الاصلاح في الجزيرة الى ١٧ نوفمبر

سنة ١٩٠٧ اذ ندب الى وظيفة في حكومة السودان ولا يزال . وسمّي على سيناء :

﴿ القائمقام باركر بك من ١٧ نوفمبر سنة ١٩٠٦ الى ٢ فبراير سنة ١٩١٢ مديراً ثم محافظاً والبكباشي بيمش مفتشاً ﴾ وكان باركر بك قبل انتدابهِ الى سيناء مساعداً لمدير المخابرات بمصر وكان من كبار العاملين في تسوية حادثة الحدود . وفي عهدهِ ضمت محافظة العريش الى قومندانية سيناء وسميت مديرية ثم محافظة وسمي حاكمها محافظاً . وسُنَّ قانون سيناء القضائي الجديد نمرة١٥ المار ذكرهُ*وقد أحب باركر بك سيناء حبًّا جمًّا واشتغل لمصلحتها ومصلحة أهلها بكل جهدهِ. وهو من نوابغ الضباط البواسل المتحلين بالذكاء الفطري والاستعداد العلمي الراقي ومن أصحاب الرأي والحزم فسارت البلاد في عهدهِ شوطاً بعيداً نحو الاصلاح واستتب الامن والراحة في جميع انحائها . وبقي الى أن سمي مديراً لمدرسة البوليس في القاهرة بعد أن رُقي الى رتبة مير الاي فترك محافظة سيناء في ٢ فبراير سنة ١٩١٢ وخلفهُ فيها :

﴿ القائمقام بيمش بك من ٣ فبراير سنة ١٩١٢ الى ١ فبراير سنة ١٩١٣ محافظاً . والبكباشي بارلو مفتشاً ﴾ وانحرفت صحة بيمش بك فاضطر الى ترك البلاد بعد خدمة سنة . وخلفهُ عليها :

﴿ القائمقام براملي بك المحافظ الحالي ﴾ وبقي البكباشي بارلو مفتشاً . والمحافظ الحالي هو شقيق المستر براملي وهو محب لسيناء وأهلها وباذل منتهى الجهد في اطراد الاصلاح الذي تمَّ في عهد أسلافهِ ولهُ من البكباشي بارلو سند قوي خبير وفقهما الله

هذا ومن نظار المراكز الذين امتازوا في سيناء :

﴿ اليوزباشي عيسوي افندي أحمد ﴾ بدأ خدمتهُ ناظراً على مدينة الطور سنة ١٩٠٣ في عهد حامد بك مختار ثم نقل الى العريش ثم الى نخل ولا يزال . وهو من الضباط النجباء المتحلين برقة الطبع وصحة العزم وحب الحق والواجب وقد تقلَّب عليهِ ستة من الرؤساء وكلهم أثنوا عليهِ الثناء الأوفر . ولهُ منزلة رفيعة في نفوس الأهلين من بادية وحضر . ولما نقل من مركز الطور كتب لهُ أعيانها من مسلمين ونصارى كتاباً وداعيًّا بتاريخ ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٠٧ هذا نصهُ :



شكل ٥٨ : اليوزباشي عيسوي افندي احمد شكل ٥٩ : اليوزباشي ميخائيل افندي حبيب

« تذكار من أهالي الطور الى حاكمهم عيسوي افندي احمد ناظر قلعة الطور السابق »

« نحن وكلاء دير طور سيناء الشريف بمركز الطور والأهالي نظهر مزيد الأسف لمبارحتكم بلدتنا التي لا تنسى أيامكم العادلة مدى الدهر . واننا مهما بالغنا لا يمكننا حصر أعمالكم الجليلة وحسن رعايتكم باللطف والانسانية التي اظهرتموها مدة توليكم مركز الطور . ولنا العشم من حضرة الخلف أن يتبع خطوات حضرتكم بحسن الرعايا ويتمّ ما بدأتموهُ من الأعمال التي كنا نرجو أن تتم على يدكم . ونرجوكم أن تذكرونا كما سنذكركم بآثاركم الباقية . رافقتكم السلامة . واكثر الله من أمثالكم ونسأل الله أن يرقيكم ويسمعنا عنكم ما يسرّنا بمركزكم الجديد » (ويلي ذلك عشرون ختماً)

ومن الخدمات التي أتى بها عيسوي افندي في سيناء وتذكر لهُ بالشكر : الاشراف على بناء منشية عباس وجامعها في ضواحي مدينة الطور سنة ١٩٠٥ . ومساعدة مفتش

سيناء البكباشي بارلو في تسوية «مسألة الزقبة» من اعمال العريش وتقسيمها على العربان سنة ١٩١٤ بعد ان اشتد الخلاف بين العربان بسببها وامتد عدة سنين حتى ان كلاً من ناظر الحربية والسردار أرسل اليهِ ، كما أرسل الى البكباشي بارلو ، كتاباً رسمياً بقلم مدير المخابرات بمصر يشكرهُ فيه على الهمة والمقدرة اللتين أظهرها في تسوية هذه المسألة بالحكمة والسداد . وعيسوي افندي لا يزال في أوائل العقد الرابع من عمره وسيكون لهُ شأن يذكر في الحكومة اذا ساعدتهُ الأقدار

﴿ واليوزباشي ميخائيل افندي حبيب ﴾ فأنهُ خدم ناظراً في الطور ونخل والعريش وذلك من عهد قومندانية محمد بك كامل سنة ١٩٠٤ الى عهد القائمقام باركر بك . وهو من أصل لبناني ولكنهُ مولود في مصر . وقد امتاز في سيناء ، كما امتاز أبوهُ وجدُّه في لبنان ، بالبسالة واقتحام الأخطار . وكان ممن أحسنوا سياسة العرب فاحبُّوه وأسفوا على فراقهِ . وهو الآن مأمور في أحد جبال كردوفان بحكومة السودان

﴿ واحمد افندي توفيق ﴾ شقيق الفريق ابراهيم باشا فتحي مدير الغربية الحالي . كان رئيس القلم العربي بادارة المخابرات بالحربية . فلما كانت حادثة الحدود وصارت محافظة العريش تحت ادارة الحربية سُمّي احمد افندي ناظراً للعريش في ١٧ مايو سنة ١٩٠٦ فبقي فيها الى ١٣ ديسمبر سنة ١٩١٣ اذ نقل ناظراً لمدينة الطور ولا يزال . وهو من خيرة موظفي الحكومة خلقاً وآداباً وكان في كل مدة خدمتهِ في العريش كما كان في ادارة المخابرات وكما هو الآن في الطور مظهراً من مظاهر المروءة والنزاهة وحب الخير والسلام لجميع الناس حتى لقَّبهُ بعض أهل العريش « بالولي توفيق »

هذا والقلم العربي الذي خلت رئاستهُ بنقل توفيق افندي الى العريش قد ضُمَّ اليهِ فرع انكليزي وجعل برئاسة الشاعر الناثر أسعد افندي داغر من كبار اساتذة اللغة العربية في مصر والشام فكان هو — والشاعر المطبوع ولي الدين بك يكن الموظف بنظارة الحقانية . والشاعر الظريف الأصولي حفني بك ناصف المفتش الاول للغة العربية في نظارة المعارف . والكاتب الصحافي المشهور محمد افندي مسعود الموظف في قلم المطبوعات بنظارة الداخلية — من الأفراد المعدودين الذين رقوا « لغة الدواوين »

في حكومتي مصر والسودان واستحقوا من أبنآء هذه اللغة ومحبيها كل ثناء وشكران

ومن وكلآء النظار الذين امتازوا في خدمة سيناء :

« الحاج شهاب وكيل ناظر نخل » وهو من انجب أهل نخل واكثرهم خبرة بأحوال البادية وسياستها * « ومحمد آغا ابو جمعه وكيل ناظر القصيمة » من نجبآء نخل أيضاً ولهُ خبرة واسعة في سلو العرب * « وقطامش آغا عيد وكيل ناظر رفح » من أهل العريش ولهُ خدمات تشكر في مأمورية الحدود سنة ١٩٠٦

ومن الضباط المصريين الذين امتازوا في خدمة سيناء حديثاً :

﴿ اليوزباشي اسماعيل افندي المفتي ﴾ من ضباط قسم الهندسة الممتازين بالجيش المصري . ندب سنة ١٩٠٦ مع ضابطين آخرين من النجباء وهما الملازم الأول والان يوزباشي غالي افندي زكي . والملازم أول والآن يوزباشي علي افندي حلمي لبنآء العُمد التي أقرَّت لجنة الحدود أقامتها على حدّ سيناء الشرقي فقاموا بذلك أحسن قيام كما سيجيءُ . وكانت محافظة سينآء قد أضافت الى ميزانيتها سنة ١٩٠٦ مركز ضابط للأعمال الهندسية من بنآء وترميم وحفر آبار في الجزيرة فلما أتمَّ اسماعيل افندي بنآء العمد سمّتهُ لهذا المركز فأجرى بادارة المحافظ الأسبق والذي قبلهُ من الاصلاح ما يذكر لهُ بأجمل الثنآء . وقد اكتشف حجارة جيرية وطبقات جبسية على وجه الأرض في جهات نخل . والثمد . والقصيّمة . والحسَنة . واكتشف حجارة جيرية في جبل لِحفن وقمينة قديمة لباني قلعتهِ فصنع الجير في القمينة واستخدمهُ لبنآء مركز رفح وترميم قلعة العريش * وفي سنة ١٩١٣ نُقِل الى مركز حسن للبوليس في القاهرة . وسمي في مكانهِ الآن الملازم أول محمد افندي امين سرور

وللحربية مندوب سام في السويس وهو « المستر فلكونر » ينوب تارة عن مدير المخابرات وتارة عن محافظ سينآء في قضآء مصالح سينآء في السويس وفي فض المشاكل التي قد تقع بين بدو سيناء والمسافرين اليها أو بين بعض عربان سيناء وبعض

ولمحافظة سيناء مندوب في القنطرة وهو الأديب أسعد افندي عرفات المتقدم ذكرهُ . سمي في سنة ١٩٠٦ لمساعدة موظفي سيناء على تسهيل أسباب السفر الى العريش وقضآء مصالح المحافظة والحربية في القنطرة

وفي ادارة المخابرات بمصر الآن قلمان يختصان بادارة سيناء : قلم انكليزي برئسهُ المستر أفنس . وقلم عربي برئسهُ يوسف افندي غنوم وكلاهما من خيرة رؤسآء الأقلام

﴿ ٥ . الاصلاح في سيناء ﴾

وأما الأصلاح الذي تمَّ في سيناء منذ خُصَّت ادارتها بنظارة الحربية الى الآن فهي:

١ . جعل سيناء كلها محافظة واحدة

٢ . تعيين حدّها الشرقي بحدود ثابتة بين رفح ورأس طابا

٣ . وضع نظام اداري قضائي لضبط أحكامها ومنع الفوضى بين عربانها

٤ . انشآء بوليس منظم فيها وبنآء مراكز للبوليس في الطور . والشط . والنويبع ونخل . والعريش . ورفح . والقصيمة . ومشاش الكنتلة . والثمد

٥ . بنآء منزل لمأمور الحربية في القنطرة ومحل استراحة للمسافرين الى العريش

٦ . بنآء منشية عباس في ضواحي مدينة الطور

٧ . تعيين مرتبات سنوية لمشايخ العربان في الجزيرة

٨ . ترميم قلعتي نخل والعريش

٩ . مدّ خط تلغراف من السويس الى الطور

١٠ . مدّ خطوط تليفونية بين نخل والسويس . وبين نخل والثمد فالكنتلة . وبين نخل والقصيمة فالعريش فرفح

١١ . حفر آبار جديدة في رفح ونخل والكنتلة . والطور * وترميم آبار رفيح . وخربة الرطيل . وبعض آبار العريش . وبئر القريّص . وبئر مبعوق

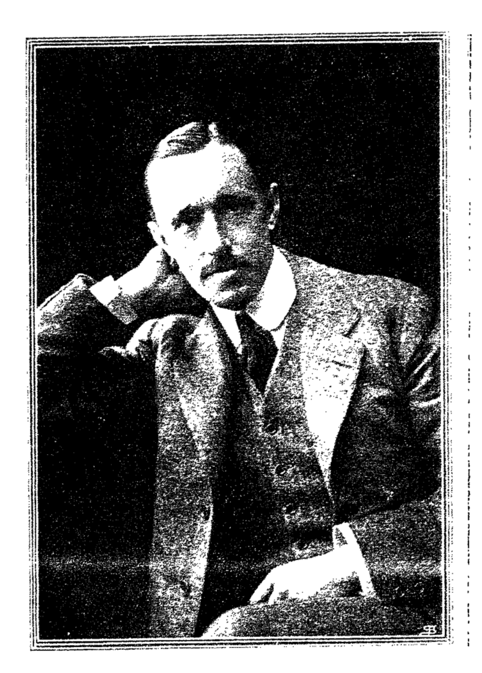
١٢ . بنآء سدّ زراعي في وادي العريش قرب نخل وانشآء حديقة متسعة في نخل وغير ذلك . ولا تزال الهمة مبذولة في اطراد الاصلاح في جميع مرافق البلاد

١ . تجاه صفحة ٣١٢



شكل ١١ : المستر جنِنس براملي
مفتش ثم مدير سيناء سابقاً

٢ . تجاه صفحة ٣١٢



شكل ١٢ : القائمقام باركر بك
محافظ سيناء سابقاً

٣ . تجاه صفحة ٣١٢



شكل ١٣ : القائمقام بيمش بك
محافظ سيناء سابقاً

٤ . تجاه صفحة ٣١٢



شكل ١٤ : القائمقام براملي بك
محافظ سيناء الحالي

الفصل السابع
في
أُجر الإِبل في سيناء وقسمة المنافع بين قبائلها

١ . في بلاد الطور

أهمُّ ما ينتفع بهِ قبائل سيناء تأجير إِبلهم للسياح والحجاج وزوار الدير ورهبانهِ ورجال الحكومة والتجار الذين يجتابون بلادهم . وهم يقتسمون أُجر الإِبل وغيرها من المنافع فيما بينهم بالنسبة الى قوى القبائل وقدمها في البلاد . ولكل قبيلة حقٌّ معين لا تتعداه الى غيره من حقوق القبائل الأُخرى في البلاد الواحدة . كما ان لقبائل كل بلاد حقوقاً معيَّنة منذ القديم فلا تتعداها الى غيرها من حقوق البلاد الاخرى

أما في بلاد الطور فقد تقدم أن الصوالحة والعليقات اقتسموا منافع البلاد بينهم بالسوية . فكان لفريق الصوالحة وهم العوارمة وأولاد سعيد والقرارشة (ومعهم بقية بني واصل وبني سليمان) النصف * ولفريق العليقات وهم العليقات (ومعهم النفيعات والسواعدة وبقية الحماضة) ومزينة النصف

ثم ان فريق الصوالحة يقتسمون نصيبهم في اكثر المنافع على النسبة الآتية : لأولاد سعيد الثلث . وللقرارشة ثلث الثلثين . وللعوارمة ، الذين هم الأصل في الصوالحة ، الباقي . أي يكون لأولاد سعيد $\frac{3}{9}$. وللقرارشة $\frac{2}{9}$. وللعوارمة $\frac{4}{9}$ كما سيجيءُ

وأما فريق العليقات فانهم يقتسمون نصيبهم بالنسبة الآتية : للعليقات النصف ولمزينة النصف في جميع منافع البلاد الاَّ « منافع الدير » — أي نقل الرهبان وأمتعتهم وحبوبهم ونقل حجاج الدير من المسكوب وغيرهم من السويس أو الطور الى الدير — فان مزينة لم يكن لهم فيها نصيب فكان العليقات والصوالحة ينتفعون

بها وحدهم . ثم حدث في عهد أجداد الجيل الحاضر ان عليقياً قطع ذراع مزيني فهبَّ مزينة لأخذ الثار وهم اكثر عدداً من العليقات فخشي العليقات العاقبة وعقدوا صلحاً مع مزينة على أن يعطوهم خمس نصيبهم من بعض منافع الدير أي من نقل الحبوب من السويس أو الطور الى الدير ومن نقل السياح الافرنج الذين يزورون الدير ما عدا الدليل فانهم لم يشركوهم فيهِ . واجرة الدليل مع جملهِ ٢٠ غرشاً صاغاً في اليوم بدلاً من ١٦ غرشاً صاغاً لغير الدليل . ولهُ فوق اجرتهِ في كل سفرة جنيهان يأخذهما من السياح باسم « كسوة »

وفي ذلك العهد لم يكن يدخل الجزيرة من الافرنج الاَّ زوار الدير فلما كثر تردد الافرنج الى الجزيرة قصد النزهة والصيد والتنقيب على المعادن اشرك العليقات مزينة في النصف في نقل الافرنج الذين لا يزورون الدير وادَّعوا أنهم لم يشركوهم في الدليل . فشكى مزينة من ذلك الى محافظ سيناء الأسبق وطلبوا منهُ حقهم في الدليل فحكم لهم بالنصف كالعليقات . فشكى العليقات الى محافظ سيناء السابق فأحالهم على مجلس عرفي فحكم للعليقات ولكن المجلس بنى حكمهُ على شهادة رجل عُلَيقي قيل ان بعض مزينة الذين حضروا المجلس رضوا بشهادتهِ . فلما دَرت قبيلة مزينة بذلك هبَّت طالبة نقض الحكم العرفي من المحافظ الحالي فعقد مجلساً في نخل في يوليو سنة ١٩١٣ حضره جميع مشايخ الطورة . ونُدِب كاتب هذه السطور لحضورهِ من مصر . وبعد أن درس المحافظ الحالي القضية درساً مدققاً أيَّد حكم المحافظ الأسبق على قاعدة « أن الحكومة تضع القبائل كلها في مستوى واحد فلا تميز قبيلة عن اخرى في المنفعة العامة » فضلاً عن أن العليقات عجزوا عن أن يأتوا بدليل واحد خطّي أو شاهد واحد من غير قبيلتهم على انهُ ليس لمزينة حق في الدليل

هذا في قسمة المنافع بين فريقي الصوالحة والعليقات . وأما « الجبالية » خفراء الدير المار ذكرهم فانهُ لم يكن لهم نصيب في منافع البلاد الاَّ في ما يأتي عن طريق الدير كنقل حبوب الدير وامتعتهِ ورهبانهِ وحجاج المسكوب والسياح الذين يزورونهُ

فانهم يشتركون في ذلك كلهِ مع العليقات والعوارمة وأولاد سعيد لكل منهم الربع . أما الجبالية فلا يشاركون أحداً في ربعهم هذا . وأما القبائل الثلاث الأخرى فانهم يشاركون سائر قبائل الطورة على نسبة معينة يأتي ذكرها

ثم لما كثر تردُّد السياح الافرنج الى الجزيرة قصد النزهة والصيد أو التنقيب عن الآثار أو المعادن طلب الجبالية من سائر قبائل الطورة أن يكون لهم نصيب من تأجير الابل للسياح فأبوا جرياً على قاعدة « ترك القديم على قدمهِ » فنصر الدير الجبالية ورفع الأمر رسمياً الى السردار سنة ١٩٠٥ . وشكى العربان من قلة الأجور التي يدفعها الدير لنقل أمتعتهِ وحبوبهِ فأصدر السردار أمرهُ الى الميرالاي سعد بك رفعت وكاتب هذه السطور بالتوجه الى بلاد الطور وفصل الخلاف فزرنا الدير وعقدنا فيهِ مجلساً حضره مطران الدير ومجلس شوراه وجميع مشايخ الطورة ثم عدنا الى مدينة الطور وعقدنا اتفاقين : اتفاقاً بين قبائل الطور والحكومة وآخر بين قبائل الطور والدير بشأن تأجير الابل أثبتنا فيهما الأجر والشروط القديمة المكتوبة وغير المكتوبة وفصلنا فيهما حقوق كل قبيلة ولكنا أحدثنا تحويراً في أجر الابل فاننا أقنعنا الرهبان فرفعوا أجرة نقل الحبوب والأمتعة قليلاً بالنظر لارتفاع أسعار الأشياء . وأقنعنا القبائل فأعطوا الجبالية قيراطين من حقهم في نقل السياح الذين لا يدخلون الدير . و بذلك رضي الفريقان وصدق السردار الاتفاقين في ٢٦ مارس سنة ١٩٠٥ . فأصبحا مرعيين من ذلك الحين لمدة ثلاث سنوات

وبعد مضي هذه المدة كان القائمقام باركر بك قد سُمي مديراً على سيناء فعقد اجتماعاً في السويس حضرهُ أقلوم الدير ومشايخ القبائل . وحضرهُ كاتب هذه السطور بالنيابة عن مدير المخابرات . فأثبتنا الشروط الأولى مع تحوير طفيف

ثم اجتمع المدير المذكور ونواب الدير ومشايخ الطورة في مدينة الطور سنة ١٩٠٦ فحوروا الاتفاقين تحويراً طفيفاً ووقعوا الشروط الآتية التي لا تزال مرعية الى اليوم :

﴿ اتفاق ﴾

« بين دير طور سيناء الشريف ومشايخ عرب الطور بشأن تأجير الجمال لنقل رهبانهِ وحجاجهِ وزائريهِ من السياح ونقل حبوبهِ وأمتعتهِ وجميع لوازمهِ من الطور الى الدير وبالعكس ومن السويس الى الدير وبالعكس »

« انهُ في يوم الجمعة الواقع أول يناير سنة ١٩٠٩ الموافق ٨ الحجة سنة ١٣٢٦ قد حصل الاتفاق بين سيادة بورفيريوس الثاني مطران دير طور سيناء ومشايخ عربان الطور بحضور جناب القائمقام باركر بك مدير سيناء بشأن تأجير الجمال للآتي ذكرهم وهم:

(أ) حجاج المسكوب والأروام وغيرهم الذين يزورون الدير زيارة دينية

(ب) السياح الذين يزورون الدير * (ج) رهبان الدير وحبوبهُ وامتعتهُ وجميع لوازمهِ

أما بشأن (١) حجاج المسكوب والأروام وغيرهم الذين يزورون الدير زيارة دينية فقد تم الاتفاق على ما يأتي:

(أولاً) أجرة الجمل الواحد لركوب حجاج الدير المذكورين أو لنقل أمتعتهم من الطور الى الدير ثلاثون غرشاً صاغاً

(ثانياً) أجرة الجمل الواحد لركوب حجاج الدير المذكورين أو لنقل أمتعتهم من الدير الى الطور نصف بنتو

(ثالثاً) أجرة الجمل الواحد لركوب حجاج الدير المذكورين أو لنقل أمتعتهم من السويس الى الدير وبالعكس أي من الدير الى السويس جنيه افرنجي

(رابعاً) أن القبائل الأربع الأساسية المسؤولة عن تقديم الجمال اللازمة للحجاج المذكورين هم العليقات . والعوارمة . وأولاد سعيد . والجبالية

(خامساً) هؤلاء القبائل يقدمون الجمال بالسوية أي كل قبيلة منهم تقدم ربع العدد المطلوب . الا أن العوارمة يشركون القرارشة في الخمس أي أنهم يأخذون من القرارشة خمس ما يصيبهم من الجمال لنقل الحجاج ويعطونهم خمس ما يصيبهم من الأجرة أي خمس الربع . وأما باقي القبائل فلا يشركون أحداً في نصيبهم

واما بشأن (ب) السياح الافرنج وغيرهم الذين يزورون الدير فقد تم الاتفاق على ما يأتي:

(أولاً) أجرة الجمل الواحد للسياح المذكورين وأمتعتهم من مصر الى الدير ثلاثة جنيهات أفرنجية . ومن السويس الى الدير جنيهان افرنجيان ونصف جنيه . الا جمل الدليل فأجرتهُ أربعة جنيهات افرنجية ونصف جنيه أي جنيهان ونصف أجرة جملهِ وجنيهان باسم « كسوة » لهُ

(ثانياً) أجرة الجمل الواحد للسياح المذكورين وأمتعتهم من الدير الى السويس أو من الدير الى نخل أو من الدير الى العقبة (بما فيه جمل الدليل) جنيهان أفرنجيان

(ثالثاً) اجرة الجمل الواحد للسياح المذكورين وأمتعتهم من الطور الى الدير أو بالعكس أي من الدير الى الطور ١٢٠ غرشاً صاغاً هذا اذا كان السفر بطريق اسلا و بطريق حبران . أما اذا كان السفر بطريق فيران فأجرة الجمل ١٥٠ غرشاً صاغاً

(رابعاً) ان القبائل الأربع الأساسية المسؤولة عن تقديم الجمال اللازمة للسياح المذكورين وأمتعتهم هم قبائل العليقات . والعوارمة . وأولاد سعيد . والجبالية فهم يقدمون الجمال اللازمة بالسوية ويقسمون الأجرة بينهم بالسوية أي لكل قبيلة منهم الربع . الاَّ أن العليقات يشركون قبيلة مزينة في الخمس من نصيبهم وذلك في نقل السياح وأمتعتهم فقط لا في الدليل . والعوارمة يشركون القرارشة في الثلث من نصيبهم في نقل السياح والأمتعة وبالسدس في الدليل . وأما أولاد سعيد والجبالية فلا يشركون أحداً في ذلك كلهِ . فيكون نصيب هذه القبائل في تقديم الجمال وقسمة الأجرة في هذا الشأن كما يأتي: أولاد سعيد الربع. والجبالية الربع. والعليقات الخمس. ومزينه خمس الربع يأخذونهُ من نصيب العليقات (ماعدا الدليل) . والعوارمة السدس. والقرارشة ثلث الربع (يأخذونهُ من نصيب العوارمة) والسدس في الدليل مع العوارمة أي كلما قدم العوارمة الدليل خمس نوبات قدم القرارشة الدليل سادس نوبة

« تنبيه : الجمال التي تؤجر باليومية من الدير تؤخذ من القبائل الأربع حسب هذا البند . انظر بند (٣) فصل (ا) من اتفاق الحكومة »

(خامساً) للجبالية وحدهم الحق في مرافقة السياح الى الأماكن المجاورة للدير مثل جبل سيدنا موسى وجبل الصفصافة وجبل القديسة كاترينا وغيرها من محلات الزيارة

وأما بشأن (ج) نقل رهبان الدير وحبوبهِ وأمتعتهِ وجميع لوازمهِ فشروطهُ :

(أولاً) أجرة الجمل الواحد لركوب الراهب أو لنقل عفشهِ ومؤونتهِ من الطور الى الدير أو بالعكس أي من الدير الى الطور ٢٥ غرشاً صاغاً

(ثانياً) أجرة الجمل لركوب الراهب أو لنقل عفشهِ أو مؤونتهِ من السويس الى الدير أو بالعكس أي من الدير الى السويس خمسون غرشاً صاغاً

(ثالثاً) أجرة الجمل الواحد لنقل أردب غلة أو ما يوازي الأردب أو ١٢٠ أقة من أمتعة ومهمات ونحوها سواء كانت في صناديق أو براميل أو أكياس من الطور الى الدير او بالعكس أي من الدير الى الطور ٢٥ غرشاً صاغاً

(رابعاً) أجرة الجمل الواحد لنقل ١٢٠ اقة من الخشب والحديد والقرميد من ميناء الطور أو من ميناء وادي فيران الى الدير ثلاثون غرشاً صاغاً

(خامساً) ثمن القنطار الواحد من حجر البناء والبلاط وحجر الجير المستخرج من جبال القنّـه واصلاً للدير أربعة غروش صاغ . وثمن قنطار الجبس المستخرج من الجبال المذكورة واصلاً للدير خمسة غروش صاغ

(سادساً) ان القبائل الأربع الأساسية المسؤولة في تقديم الجمال اللازمة للدير لنقل رهبانهِ وأمتعتهِ ومهماتهِ وسائر لوازمهِ هم العليقات . والعوارمة . وأولاد سعيد . والجبالية . فهم يقدمون الجمال المطلوبة للدير بالسوية وتقسم الأجرة بينهم بالسوية . أي لكل قبيلة منهم الربع . الاّ أن العليقات يشركون قبيلة مزينة في الخمس من نصيبهم في نقل الحبوب فقط أي أنهم يأخذون من مزينة خمس ما يصيبهم من الجمال لنقل الحبوب ويعطونهم خمس ما يصيبهم من الاجرة أي خمس الربع . ثم ان العوارمة يشركون القرارشة أيضاً في الخمس من جميع مطالب الدير أي أنهم يأخذون من القرارشة خمس ما يطلب منهم من الجمال في جميع مطالب الدير ويعطونهم خمس نصيبهم من الاجرة أي خمس الربع . وأما أولاد سعيد والجبالية فلا يشركون أحداً من القبائل في أي طلب من مطالب الدير

(سابعاً) اذا احتاج الدير الى جملين فقط يطلبهما من الزهيرات وهم بدنة من قبيلة

أولاد سعيد الاّ اذا كان الطلب مستعجلاً فلهُ أن يطلبهما من أية قبيلة أقرب منها اليهِ

وفي هذه الشؤون الثلاثة تراعى الشروط الآتية :

(أولاً) اذا احتاج الدير الى ثلاثة جمال فصاعداً يبعث برسول الى مراكز القبائل الأربع الأساسية المذكورة ويعلنهم بالمطلوب. فمركز الجبالية في الدير. ومركز أولاد سعيد في وادي صلاف أو وادي الشيخ . ومركز العوارمة في وادي السدرة . ومركز العليقات في وادي النصب . فان كان الطلب الى الدير يذهب الرسول رأساً الى وادي النصب لاعلان العليقات بالطلب ثم الى السدرة لاعلان العوارمة ثم الى وادي صلاف أو وادي الشيخ لاعلان أولاد سعيد . ولا يجوز لهُ الانحراف عن هذه الطريق الاّ اذا صادف أولاد سعيد في طريقهِ الى النصب فيعلنهم ويستطرد السير الى النصب . أما اذا كان الطلب الى الطور فيعلن العليقات والعوارمة الذين في الطور ثم يذهب الى الدير بطريق حبران ليعلن أولاد سعيد في وادي صلاف أو وادي الشيخ والجبالية في الدير وأية قبيلة صادفها في طريقهِ من القبائل المذكورة

وأما الميعاد المحدد لحضور الجمال بعد وصول الرسول فان كان الطلب الى السويس فثمانية أيام . وان كان الطلب الى الدير فأربعة أيام . وان كان الى الطور فأربعة أيام أيضاً الاّ اذا كان الطلب لنقل الحبوب فخمسة عشر يوماً . ثم ان الميعاد المحدد لنقل الحبوب كلها من الطور الى الدير ثلاثون يوماً من يوم وصول الجمال الى الطور . والميعاد المحدد لنقل الحمل الواحد من الطور الى الدير ثلاثة أيام أو أربعة . ومن تأخر عن هذه المواعيد كان مسؤولاً عن العطل والضرر

(ثانياً) يكون على كل جمل الى ثلاثة جمال جمّال واحد على الأقل . وصاحب الجمل مسؤول عن سلامة المنقول على جملهِ سواء كان راكباً أو حملاً فاذا حصل عطل أو ضرر من تقصير صاحب الجمل لا بالقضاء والقدر فهو مسؤول عنهُ . وللدير الحق في فرز الجمال ورفض المريض أو الضعيف منها الذي لا يصلح للنقل

(ثالثاً) يدفع الدير الاجرة الى القبائل في المكان الذي ينتهي اليهِ النقل

سواء كان في الدير أو في الطور أو في السويس ويعطي الدير قسائم فيما ينقلونهُ من حبوب وغيرها . فبعد وصولها الى محلها تكال أو توزن فاذا ظهر نقص في الكيل من قدح فأكثر أو في الوزن من ثلاث أقات فصاعداً في حمل الجمل الواحد يحق للدير أن يخصم قيمة النقص من أصل الاجرة

(رابعاً) حيث أن المشايخ المعينين من قبل الحكومة قد يشتغلون بمطالب الحكومة في الوقت الذي يحتاجهم الدير لمطالبهِ فعلى كل قبيلة ان تعين معتمداً عنها برضاه الدير ويصدقهُ جناب مدير الجزيرة يدعى «شيخ الدير» وذلك للقيام بمطالب الدير فيما يخص قبيلتهُ ويكون هو المسؤول عنها . ولشيخ الدير ٢٠ غرشاً صاغاً عن كل جمل يؤجر من جمال قبيلتهِ الى السياح وذلك نظير اتعابهِ يأخذه من نصيب القبيلة قبل قسمة الأجرة على أصحابها

(خامساً) اذا قصرت قبيلة من القبائل الأساسية عن تقديم ما عليها من الجمال في الميعاد كلهِ أو بعضهِ في أي حال كان فان كان لها شريكة فشريكتها تقوم مقامها في سد النقص كلهِ . والاَّ قامت القبائل الأساسية الاخرى بتوزيعهِ عليها بالسوية . أي اذا كان التقصير من الجبالية أو من أولاد سعيد فالمطلوب من القبيلة المقصرة يوزع على القبائل الأخرى بالسوية . وأما اذا قصر العوارمة فشركاؤهم القرارشة يقومون بالمطلوب كلهِ . وكذلك اذا قصر العليقات فشركاؤهم مزينة يقومون بالمطلوب كلهِ

ثمَّ أن القبيلة المقصرة في تقديم الجمال عند الطلب تتعرض لأن تدفع للقبيلة التي سدت مسدها غرامة قدرها ٢٥ غرشاً صاغاً عن كل جمل قصرت بهِ في نقل الحبوب والتبن والأمتعة السهلة الحمل . و ٥٠ غرشاً صاغاً عن كل جمل قصرت بهِ في نقل الأخشاب والحديد . فاذا أبت دفع الغرامة حق للدير فسخ هذا الاتفاق معها وحذف اسمها من القبائل الأساسية وفي هذه الحالة ان كان لها شريكة تعطى حصتها الى شريكتها والاَّ توزع على القبائل الأساسية الأخرى بالسوية * هذا اذا كان التقصير من جميع بدنات القبيلة وأما اذا كان التقصير من بعض بدنات القبيلة دون البعض الآخر فلباقي البدنات الحق في تقديم المطلوب كلهِ من الجمال ودفع الغرامة عن قبيلتهم .

فاذا عجزوا عن القيام بالمطلوب كلهِ قاموا بما استطاعوا وما بقي فان كان للقبيلة شريكة قامت بهِ والاّ قسم على القبائل الأساسية الأخرى بالسوية وطولبت البدنات المقصرة بدفع الغرامة للقبيلة أو القبائل التي سدت مسدها من غير قبيلتها فاذا أبت حق للدير فسخ هذا الاتفاق معها وأعطاء نصيبها لباقي بدنات قبيلتها فاذا عجزوا عن القيام بهِ وحدهم قاموا بما استطاعوا وما بقي فان كان للقبيلة شريكة قامت بهِ والاّ وزع على القبائل الأساسية الأخرى بالسوية

(سادساً) يعمل بهذه الشروط لمدة ثلاث سنوات من تاريخهِ وعند تمام هذه المدة فاذا لم يطلب أحد الفريقين تغييرها فيسري مفعولها لمدة ثلاث سنوات أخرى وهكذا حتى يطلب أحد الفريقين تغييرها فتغير بما يناسب الفريقين

(سابعاً) لا يسري مفعول هذه الشروط الاّ اذا أمضاها كل من سيادة مطران الدير أو وكيلهِ بالنيابة عنهُ وكل من مشايخ القبائل الست ومشايخ الدير أصحاب الشأن وشيخ مشايخ عرب الطور بعد موافقة جناب مدير سيناء وتصديق سعادة السردار أو جناب مدير المخابرات بالنيابة عن سعادتهِ

(ثامناً) يعطى من هذا الاتفاق نسخة للدير ونسخة الى كل من المشايخ الذين وقعوا عليهِ ونسخة الى جناب مدير سيناء والنسخة الأصلية تحفظ في ادارة المخابرات بمصر

شيخ قبيلة العوارمة	شيخ قبيلة اولاد سعيد	شيخ قبيلة القرارشة
سليمان غنيم	صالح بن علي	موسى بن نصير
شيخ قبيلة العليقات	شيخ قبيلة مزينة	شيخ الدير عن الجبالية
خضر عامر فرحات	مدخل سليمان	عطيه أبو غنيمان
شيخ الدير عن العوارمة	شيخ الدير عن اولاد سعيد	شيخ الدير عن العليقات
عوض عتيق	ربيع بن زهير	زيدان مدخل
شيخ مشايخ عربان الطور	مطران دير طور سيناء	مدير جزيرة سيناء
موسى بن نصير	بورفيريوس الثاني	« باركر »

كتب في الطور في اول ابريل سنة ١٩٠٩ الموافق ١٠ ربيع أول سنة ١٣٢٧

مصر في ٢٣ مايو سنة ١٩٠٩ مدير المخابرات ، عن سردار الجيش المصري

« ستاك »

﴿ اتفاق ﴾

« بين جناب مدير سيناء و بين مشايخ عرب الطور بشأن تأجير الجمال الى موظفي الحكومة والسياح الذين يتجولون فى الجزيرة باذن الحكومة »

« انهُ في يوم الجمعة الواقع أول يناير سنة ١٩٠٩ الموافق ٨ الحجة سنة ١٣٢٦ صار الاتفاق بين جناب مدير سيناء ومشايخ عرب الطور بشأن تأجير الجمال كما يأتي :

(أ) السياح الافرنج وغيرهم الذين يتجولون في الجزيرة للصيد أو للسياحة في بلاد الطور باذن الحكومة * * * (ب) موظفو الحكومة

اما بشأن (أ) السياح الافرنج وغيرهم الذين يتجولون في الجزيرة للصيد أو للسياحة في بلاد الطور باذن الحكومة أي بتصريح من حضرة مدير المخابرات بمصر فقد تمَّ الاتفاق على ما يأتي :

﴿ أولاً ﴾ أجرة الجمل الواحد للسياح المذكورين أو أمتعتهم في اليوم ستة عشر غرشاً صاغاً الاَّ جمل الدليل فأجرتهُ في اليوم عشرون غرشاً صاغاً

﴿ ثانياً ﴾ أن القبائل المسؤولة عن تقديم الجمال اللازمة للسياح المذكورين هم العليقات والعوارمة يشركون بها مزينة . وأولاد سعيد . والقرارشة . والجبالية على النسبة الآتية : للجبالية قيراطان من أربعة وعشرين قيراطاً . والعليقات ومزينة احدى عشر قيراطاً لكل منهما خمسة قراريط ونصف . والعوارمة وأولاد سعيد والقرارشة الاحدى عشر قيراطاً الباقية يقسمونها هكذا : لأولاد سعيد ثلثها والثلثين الباقيين يأخذ القرارشة ثلثها وما بقي للعوارمة . أي يكون للجبالية ١/١٢ وللعليقات ١١/٤٨ ولمزينة ١١/٤٨ وللعوارمة ١١/٥٤ ولأولاد سعيد ١١/٧٢ وللقرارشة ١١/١٠٨ . فاذا جعل نصيب الكل ٤٣٢ جزءًا كان نصيب الجبالية ٣٦ والعليقات ٩٩ ومزينة ٩٩ والعوارمة ٨٨ وأولاد سعيد ٦٦ والقرارشة ٤٤

﴿ ثالثاً ﴾ اذا زار هؤلاء السياح الدير بعد تجولهم في الجزيرة فان كان مرادهم

الذهاب رأساً من الدير الى خارج برية الطور أي الى مدينة الطور أو الى السويس أو نخل أو العقبة فتستلمهم من الدير القبائل المسؤولة عن السياح الزائرين كما في حرف (ب) من الاتفـاق بين الدير ومشايخ الطورة . والا فاذا عادوا الى تجولهم تحسب سبعة الايام الأولى منـذ خروجهم من الدير على أجرة السياح الزائرين ثم تعود القبائل الى أجرة السياح المتجولين المنصوص عليهم في البند السابق * ثم أن السياح بعد تجولهم في الجزيرة اذا أرادوا الدخول الى الدير أو الصعود الى الجبال المحيطة بهِ كجبل موسى وجبل القديسة كاترينا وجبل الصفصافة وغيرها يلزم أن يأخذوا كتاب توصية من وكالة الدير بمصر. ومتى دخلوا الدير أو صعدوا الى الجبال المذكورة تجري عليهم الشروط المبينة في حرف (ب) من الاتفاق المعقود بين الدير ومشايخ عرب الطور

أما بشأن (ب) موظفي الحكومة الذين يذهبون الى الجزيرة لأشغال رسمية فقد تمَّ الاتفاق على ما يأتي :

(أولاً) اجرة الجمل الواحد لموظف الحكومة عشرة غروش صاغ في اليوم للتجول

(ثانياً) اجرة الجمل الواحد لموظف الحكومة من الطور الى السويس مئة وعشرون غرشاً صاغاً وكذلك الأجرة من السويس الى الطور

(ثالثاً) اجرة الجمل الواحد لموظف الحكومة من الطور الى النويبع أو من النويبع الى الطور مئة وعشرون غرشاً صاغاً

(رابعاً) اجرة الجمل الواحد لموظف الحكومة من الطور الى نخل أو من نخل الى الطور مئة وعشرون غرشاً صاغاً

(خامساً) ان القبائل الأساسية المسؤولة عن تقديم الجمال لموظفي الحكومة وامتعتهم هم العليقات والعوارمة يشركون فيهِ مزينة وأولاد سعيد والقرارشة على هذه النسبة : للعليقات مع مزينة النصف يقسمونهُ بالسوية أي لكل منهما الربع . وللعوارمة النصف البـاقي يشركون فيه أولاد سعيد في الثلث . والثلثين الباقين يشركون القرارشة بثلثهما والباقي لهم فتكون أنصبة هذه القبائل في هذا الشأن كما يأتي :

للعليقات الربع ولمزينة الربع وللعوارمة التسعين ولأولاد سعيد السدس وللقرارشة التسع

وفي جميع هذه الشؤون تراعى الشروط الآتية وهي :

(أولاً) ان الميعاد المحدد لحضور الجمال بعد وصول الرسول ثمانية أيام اذا كان الطلب الى السويس . وأربعة أيام اذا كان الطلب الى الطور

(ثانياً) يكون على كل جمل الى ثلاثة جمال جمّال واحد على الأقل وصاحب الجمل مسؤول عن سلامة جملهِ سواء كان عليهِ راكب أو متاع واذا حصل عطل أو ضرر من تقصير صاحب الجمل فصاحب الجمل مسؤول لدى الحكومة عن العطل والضرر. وللحكومة أو وكيلها الحق في فرز الجمال ورفض المريض أو الضعيف منها الذي لا يصلح للنقل * * (ثالثاً) تدفع الاجرة في المكان الذي ينتهي اليهِ النقل

(رابعاً) حيث ان المشايخ المعينين من قبل الحكومة قد يشتغلون في مطالب الحكومة في وقت حاجة السياح اليهم فعلى مشايخ الدير النظر في مطالب السياح فيما يخص قبائلهم . ولشيخ الدير عشرون غرشاً صاغاً عن كل جمل يؤجر من جمال قبيلتهِ الى السياح وذلك في نظير اتعابهِ يأخذه من نصيب القبيلة قبل قسمة الأجرة على أفرادها

(خامساً) اذا قصرت قبيلة من القبائل الأساسية عن تقديم ما عليها من الجمال في الميعاد كلهِ أو بعضهِ في أي شأن كان فان كان لها شريكة فشريكتها تقوم مقامها في سد العجز والاّ قامت بهِ القبائل الأساسية الأخرى بتوزيعهِ عليها بالسوية

ثم ان القبيلة المقصرة في تقديم الجمال عند الطلب تتعرض لان تدفع للقبيلة أو القبائل التي سدت مسدها غرامة قدرها خمسة وعشرون غرشاً صاغاً عن كل جمل قصرت بهِ فان أبت دفع الغرامة حق للحكومة فسخ هذا الاتفاق معها وحذف اسمها من القبائل الأساسية . وفي هذه الحالة فان كان لها شريكة تعطى حصتها الى شريكتها والاّ توزع على القبائل الأساسية الاخرى بالسوية

هذا اذا كان التقصير من جميع بدنات القبيلة . وأما اذا كان التقصير من بعض بدنات القبيلة دون البعض الآخر فلباقي البدنات الحق في تقديم المطلوب من الجمال

كلهِ ورفع الغرامة عن قبيلتهم فاذا عجزوا عن القيام بالمطلوب كلهِ قاموا بما استطاعوا وما بقي فان كان للقبيلة شريكة قامت بهِ . والا وزع على القبائل الأساسية الأخرى بالسوية وطولبت البدنات المقصرة بدفع الغرامة للقبيلة أو القبائل التي سدت مسدها من غير قبيلتها . فاذا أبت حق للحكومة فسخ هذا الاتفاق معها واعطاء نصيبها لباقي بدنات قبيلتها فاذا عجزوا عن القيام بهِ وحدهم قاموا بما استطاعوا وما بقي فان كان للقبيلة شريكة قامت بهِ والاّ وزع على القبائل الأساسية الأخرى بالسوية

(سادساً) يعمل بهذه الشروط لمدة ثلاث سنين من تاريخهِ . وفي آخر هذه المدة فاذا لم يطلب أحد الفريقين تغييرها يسري مفعولها لمدة ثلاث سنين أخرى وهكذا

(سابعاً) لا يسرى مفعول هذه الشروط الا اذا وقّع عليها جناب مدير سيناآء وكل من مشايخ القبائل ومشايخ الدير صاحبة الشأن وشيخ مشايخ الطورة وصدقها سعادة سردار الجيش المصري أو جناب مدير المخابرات بالنيابة عنهُ

(ثامناً) يجعل من هذا الاتفاق نسخ فيعطى منها نسخة الى حضرة مدير جزيرة سيناآء والى كل من مشايخ القبائل الذين وقّعوا عليه للعمل بهِ ونسخة الى الدير للعلم بهِ والنسخة الأصلية تحفظ في ادارة المخابرات في مصر القاهرة

(تاسعاً) يكون للحكومة الحق ان تلغي هذا الاتفاق في أي وقت شاءت بعد ان تعلن المشايخ بذلك قبل الغائهِ بشهر م ؟

شيخ قبيلة العوارمة	شيخ قبيلة أولاد سعيد	شيخ قبيلة مزينة
سليمان غنيم	صالح بن علي	خضر عامر فرحان
شيخ قبيلة العليقات	شيخ قبيلة القرارشة	شيخ الدير عن الجبالية
مدخل سليمان	موسى بن نصير	عطيه ابو غنيمان
شيخ الدير عن العليقات	شيخ الدير عن العوارمة	شيخ الدير عن اولاد سعيد
زيدان مدخل	عوض عتيق	ربيع بن زهير
شيخ مشايخ عربان الطور	مدير سيناآء	
موسى بن نصير	«باركر»	

كتب في الطور في أول ابريل سنة ١٩٠٩ الموافق ١٠ ربيع أول سنة ١٣٢٧

مصر في ٢٣ مايو سنة ١٩٠٩ مدير المخابرات عن سردار الجيش المصري

« ستاك »

على أن الناقد لهذه الشروط يرى ان الأجرة المضروبة على السياح الذين يزورون الدير اعظم منها على الذين لايزورونهُ . والسبب في ذلك أن رهبان الدير كانوا قديماً في حاجة الى مداراة العربان وترغيبهم في الدير فرفعوا الاجرة على السياح الذين يدخلون ديرهم ارضاءً للعربان . وصار من الصعب جداً خفض هذه الاجرة الآن لأنهُ لا شيءَ يكدّر العربي ويعظم شكواه مثل حمْلهِ على تغيير عادة جرى عليها السنين الطوال خصوصاً اذا كان في ذلك التغيير خسارة مالية عليهِ . وعربان الطور الآن في غاية الفقر وأسباب المعايش عندهم ضيقة جداً لا سيما بعد انقطاع درب الحاج عنهم . وقد ارتفعت أسعار الاشياء في بلادهم كما ارتفعت في مصر والشام فليس من الحكمة أن تخفض الأجر المفروضة على السياح دفعة واحدة . ولكن لا بدَّ من تحيُّن الفرصة لخفض هذه الأجر أو رفع الأجر الأخرى لتكون كلها على وتيرة واحدة

هذا ولما كان السياح الذين ينوون زيارة الدير لابدَّ لهم من أخذ الأذن بذلك من مطران سيناء المقيم غالباً في مركز الدير بمصر ، وكانت القبائل تتناوب نقل السياح وكان الدير حافظاً لنوب القبائل ، كان تراجمة السياح يكتبون الشروط بينهم وبين أدلّة القبائل في مركز دير سيناء في مصر أو السويس. وقد أصدر الدير صورة الشروط التي يوقعها كل من الترجمان والدليل وتنطبق على الاتفاقين السابق ذكرهما وهي :

﴿ شروط ﴾

« بين حضرة الخواجه . . . التابع لـ . . . ومقيم بـ . . . ترجمان الخواجات . . . التابعين لدولة . . . القاصدين السياحة في جزيرة سيناء فريق أول

وبين الشيخ . . . الدليل من قبيلة . . . التابعة لدير طور سيناء الشريف فريق ثانٍ . قد حصل الرضا والاتفاق على ما هو آت :

(أولاً) على الشيخ الدليل المذكور أن يحضر في يوم . . . — . . . جمال لركوب السياح والترجمان المشار اليهم ونقــل امتعتهم وجميع لوازمهم من مؤونة وخلافها . على أن تكون الجمال خالية من الأمراض كالجرب وغيرهِ ولائقة للسفر الى الجهات المرغوب السفر اليها

(ثانياً) ميعاد سفر السياح والترجمان واتباعهم من . . . الى الدير بالبر عن طريق . . . تحدد بوم . . . فاذا حصل أدنى تأخير أو تقصير من الشيخ الدليل فيكون هو المسؤول عن العطل والضرر

(ثالثاً) حمل الجمل الواحد لا يزيد عن ثلاثة قناطير مصرية ، ويمكن للترجمان بأن يضع على كل جمل من جمال الخدم أمتعة خفيفة لا يزيد وزنها عن الخمسين أقة

(رابعاً) أجرة الجمل الواحد للسياح والترجمان وأمتعتهم من مصر الى الدير بالبر ثلاثة جنيهات افرنجية . ومن السويس الى الدير بالبر جنيهان افرنجيان ونصف . وأما من الدير الى السويس أو الى نخل أو الى العقبة فأجرة الجمل الواحد جنيهان افرنجيان

(خامساً) أجرة الشيخ الدليل من مصر الى الدير بالبر ثلاثة جنيهات افرنجية . ومن السويس الى الدير بالبر جنيهان افرنجيان ونصف جنيه . واما من الدير الى السويس أو الى نخل أو الى العقبة فجنيهان افرنجيان . ولهُ علاوة على ذلك جنيهان افرنجيان باسم « كسوة »

(سادساً) أجرة الجمل الواحد بما فيهِ أجرة جمل الشيخ الدليل من الطور الى الدير عن طريق حبران أو إسلا مائة وعشرون غرشاً صاغاً . وعن طريق وادي فيران مائة وخمسون غرشاً صاغاً . وبالعكس أي في الاياب من الدير الى الطور تسري على السياح والترجمان هذه الأجرة نفسها

(سابعاً) لمشايخ دير طور سيناء الحق بأن يستولوا على عشرين غرشاً صاغاً من المائة وعشرون غرشاً أو المائة وخمسين المبينة آنفاً والباقي يكون حقاً للجمَّال وهذا في الذهاب من الطور الى الدير . أما في الاياب من الدير الى الطور فالعشرون غرشاً صاغاً من المائة وعشرون غرشاً صاغاً والمائة وخمسون غرشاً فيستولي عليها الدير والباقي يكون حقاً للجمَّال

(ثامناً) على الترجمان أن يدفع لوكيل الدير بمصر مقدماً « رسم » الدير المقرر وقدره خمسة جنيهات افرنجيـة عن كل سائح . وأجرة جميع الجمال المذكورة في البند الأول . وثمن كسوة الدليل المذكورة في البند الخامس . أما أجرة الجمال التي

يحتمل اضافتها على العدد المقرر في البند الأول فالترجمان يدفعها لوكيل الدير بالسويس بواقع الجمل الواحد جنيهان افرنجيان ونصف جنيه . وهذا كلهُ اذا كان بدء السفر من مصر أو السويس . اما اذا كان السفر من الطور فالذي يدفعهُ الترجمان لوكيل الدير بمصر مقدماً هو رسم الدير فقط . وأما اجر الجمال المطلوبة أو التي ستطلب فان الترجمان يدفعها لوكيل الدير بالطور مقدماً أيضاً طبقاً للأجر المبينة في البند السادس

« تنبيه : بعد وصول السياح الى محلاتهم سالمين يوزع الدير هذه الاجر فيحفظ منها نصف جنيه عن كل جمل لمشايخ الدير وللنفقات التي يتحملها . ويدفع الباقي لاصحاب الابل »

(تاسعاً) اجرة الجمل الواحد من نخل الى السويس جنيهان افرنجيان . ومن العقبة الى السويس اربعة جنيهات افرنجية يدفعها الترجمان للشيخ الدليل مقدماً

(عاشراً) اجرة الدليل المذكور من نخل الى السويس جنيهان افرنجيان. ومن العقبة الى السويس اربعة جنيهات افرنجية يدفعها لهُ الترجمان مقدماً

(حادي عشر) مدة السفر من مصر الى السويس أربعة أيام. ومن السويس الى الدير بالبر ثمانية أيام اذا كان السفر بطريق الرملة أو سرابيط الخادم . اما اذا كان بطريق وادي فيران فتسعة أيام . ومن الطور الى الدير عن طريق أسلا أو حبران ثلاثة أيام . وعن طريق وادي فيران خمسة أيام . ومن الدير الى نخل أو العقبة سبعة أيام . ومن الدير الى السويس ثمانية أيام

(ثاني عشر) في أثناء السفر أيام الآحاد هي تحت تصرف السياح والترجمان فهم مخيرون اما أن يستريحوا فيها فلا يدفعون عنها شيئاً للدليل والجمالة من أجر وغيرها . أو أن يفضلوا استطراد السفر فتحسب أيام الآحاد من الأيام المقررة للسفر

(ثالث عشر) بعد سفر السياح والترجمان من مصر الى السويس فالدير بطريق فيران يجب على الدليل والجمّالة أتباعهُ انتظارهم يوماً واحداً في السويس ويوماً في فيران وثلاثة أيام في الدير بلا مقابل . وكذلك في اياب السياح والترجمان من الدير فاذا سافروا الى نخل ثم الى العقبة ينتظرونهم يوماً واحداً في كل مكان بلا مقابل

(رابع عشر) اذا أراد السياح والترجمان التجول في الجزيرة في أثناء السفر

بقصد الصيد أو السياحة فعلى الترجمان أن يدفع للشيخ الدليل عن كل يوم يزيد عن الأيام المقررة بالبند الحادي عشر عشرين غرشاً صاغاً عن كل جمل وعشرين غرشاً صاغاً اجرتهُ الشخصية . ثم في اثناء اقامتهم في الدير اذا أرادوا الصيد فعلى الدليل ان يحضر الجمال التي تطلب منهُ بهذه الأجرة عينها . اما اذا اراد السياح والترجمان الاقامة في الدير مدة طويلة للمطالعة في مكتبتهِ واستغنوا عن الجمال بعد مضي ثلاثة الأيام المقرّرة للانتظار فعلى الدليل البقاء تحت أوامر السياح والترجمان مقابل أجرة خمسة غروش صاغ في اليوم يدفعها لهُ الترجمان

(خامس عشر) اذا رأى الترجمان في اثناء السفر أن بعض الجمال أو كلها غير صالح للسفر بسبب مرض او ضعف طرأ عليهِ فعلى الدليل احضار جمال اخرى من غير ان يزيد على الأجرة المتفق عليها في هذه الشروط

(سادس عشر) اذا أراد السياح والترجمان بعد وصولهم الى نخل أو العقبة التوجه الى غزَّة أو الى وادي موسى (البترآء) واتفق عدم وجود جمال عند عربان تلك الجهات يكون لهم الحق أن يأخذوا معهم الدليل واتباعهُ ولكن على الترجمان بعد اتفاقهِ مع مشايخ الجهات المشار اليها ودفع الرسوم المقرّرة لهم ان يدفع للدليل مقدماً أجرة ما يلزمهُ من الجمال على مقتضى الشروط الجارية بالجهات المذكورة . وهذا كلهُ اذا كانت الحكومة تأذن لهم في المرور

(سابع عشر) ان الدليل واتباعهُ مسؤولون على التضامن بينهم عما يفقد من أمتعة السياح والترجمان في اثناء السفر . ويجب عليهم أن يخدموهم خدمة تامة ويحافظوا على راحتهم باجتناب المشاجرات والضوضاء . فاذا قصروا عن أداء واجباتهم وحصل عطل للجمال أو حدث عن تقصيرهم (لا بالقضاء والقدر) حادث أقلق راحة السياح والترجمان فيكونون جميعهم مسؤولين عن العطل والضرر

(ثامن عشر) على السياح والترجمان أن يحترموا قوانين مكتبة الدير ونظامهُ الداخلي

كتبت هذه الشروط على نسختين وأخذ كل من المتعاقدين نسخة للعمل بموجبها عند الاقتضاء ؟

في . . . سنة ١٩   الترجمان   الدليل   كفيل الدليل

٢ . في بلاد التيه

هذا في أجر الابل وتقسيم المنافع بين القبائل في بلاد الطور . أما في بلاد التيه فقد جرت العادة من قديم الزمان أن الطورة ينقلون السياح على إبلهم من السويس الى نخل أو من الدير الى نخل . وهناك يسلمونهم الى الصقيرات التياها . فاذا انتظر الطورة ٢٤ ساعة ولم يحضر التياها الإبل اللازمة للسياح حق للطورة البقاء بخدمة السياح مع إبلهم على جُعْل يدفعهُ السياح للتياها يدعى « التخريج » قدره نصف جنيه أفرنجي عن كل جمل . وآخر يدعى « أرضية » قدره ريال مصري عن كل جمل يدفعونهُ لشيخ التياها خاصة

وأكثر السياح الذين يأتون نخل أو كلهم يذهبون الى غزة بطريق المويلح أو بطريق العريش . وأجرة الجمل الواحد في كلتا الطريقين جنيهان افرنجيان[1]. فاذا بقي الطورة في خدمتهم دفعوا لهم هـذه الأجرة بعد دفع « التخريج » للتياها « والارضية » لشيخهم . وأما اذا أحضر التياها الإبل المطلوبة في الميعاد عاد الطورة الى بلادهم ودخل التياها في خدمة السياح واذ ذاك يدفع السياح للشيخ الارضية وللتياها أجرة الجمـل الواحد جنيهين افرنجيين ونصف جنيه . فعلى كلتا الحالين يدفع السياح أجرة الجمل الواحد من نخل الى غزة جنيهين افرنجيين ونصف جنيه وريالاً

وليس لغير التياها الصقيرات حق في تأجير الإبل للسياح في جميع بلاد التيه . ومن أقوال العرب المأثورة في سيناء : « منافع السياح في الجزيرة بين ابن نصير . وابن عامر . وابن جاد » فيكنى بابن نصير عن الطورة وآخر حدّهم شمالاً نخـل وشرقاً « حجر علوي » قرب وادي طابا . ويكنى بابن عامر عن الصقيرات التياها وآخر حدهم غزة . وبابن جاد عن حويطات العقبـة وآخر حدهم شمالاً خرائب البترآء وشرقاً على درب الحج المصري رجم الدرك في نقب العقبة . وعلى خليج العقبة حجر علوي المار ذكره

هذا في ما خص الإبل التي تلزم السياح في بلاد التيه . وأما الإبل التي تلزم

---

(١) كان أصحاب الجمال كثيرا ما يشتكون من تدني أجور الجمال المؤجرة للحكومة مقارنة بما يحصلون عليه من التجار والمسافرين، فأجرة الجمل في المسافة من العريش إلى القاهرة عام ١٨٤٨ كانت حوالي ٣٩ قرشا، ومن القاهرة للعريش ٥٩ قرشا . راجع سجلات صادر تحريرات العريش، سجل ١٢، ص ١٢/وثيقة ١ بتاريخ ١٢٥٦هـ/١٨٤٨م، وسجل ٤١، ص٦/وثيقة ٣ بتاريخ ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م .

رجال الحكومة فتؤخذ من جميع القبائل على السوآء باجرة معلومة . وكانت أجرة الجمل الواحد لموظف الحكومة ١٠ غروش صاغ في اليوم . ثم زيدت الى ١١ غرشاً لجمل الحملة و ١٦ غرشاً للهجين كما سيجيء

﴿ ٣ . في بلاد العريش ﴾

أما في بلاد العريش فالذين يتولون أمر تاجير الابل للسياح والتجار وموظفي الحكومة هم على الخصوص أهل مدينة العريش . وقد تقدم لنا ذكر النسبة التي بها يقتسمون المنافع بينهم في الكلام عن مدينة العريش

وكانت أجرة الجمل الواحد في اليوم لموظف الحكومة ٨ غروش صاغ وأجرة الجمل للسفرة من العريش الى القنطرة أو بالعكس ٥٠ غرشاً صاغاً . فلما دخلت بلاد العريش تحت ادارة الحربية وكثرت الحاجة الى الإبل لكثرة مشروعات الاصلاح في الجزيرة رأى محافظ سيناء الأسبق أن معاملة العربان حسب سلوهم القديم متعب لهُ ومؤخر للعمل فعرض تأجير الابل في بلاد العريش و بلاد التيه للمناقصة فوقعت على الشيخ احمد ابو زكري من أهل العريش ولهُ شريك من أهل نخل . وانتهت مدة الشروط وجددت مراراً فرست على الشيخ احمد ابو زكري نفسهِ . وهذه هي الأجر التي صار الاتفاق عليها بينهُ وبين محافظ سيناء الحالي القائمقام براملي بك وصدقتها مالية الحربية في ١١ فبراير سنة ١٩١٤ :

﴿ اجرة الجمل الواحد ﴾

مليم	جنيه	من نخل	مليم	جنيه	من العريش
٥٢٠		الى الشط وبالعكس	١٨٠		الى رفح وبالعكس
٥٠٠		« العريش «	٤٦٠		« القصيمة «
٤٠٠		« القصيمة «	٣٣٠		« غزة «
٥٠٠		« الكنتلة «	٥٢٠		« القنطرة «
٣٠٠		« الثمد «	٥٠٠		« بورسعيد «
٢٥٠		« الحسنة «	٢٥٠		« الحسنة «
٤٠٠		« عجرود «	١٠٠		« لحفن «
٢٠٠	١	« النويبع «	١٤٠		« المقضبة «
٨٠٠	١	« « ذهاباً واياباً	٥٠٠		« الاسماعيلية «
٢٠٠	١	« الطور وبالعكس	١٨٠		من رفح الى غزة
٨٠٠	١	« « ذهابا واياباً			

مليم	جنيه	
١٢		اجرة نقل القنطاس المملوّ ماءً من نخل الى كوشة الجير بعجرة الشيّ
٥٠		اجرة نقل متر الحجر المكعب الى قلعة نخل والعمارات المجاورة لها
٢٠٠		اجرة نقل متر الجير أو الجبس من عجرة الشيّ الى قلعة نخل والعمارات المجاورة لها
٥٠٠	٢	ثمن ونقل الحطب الكافي لحريق كوشة جير بعجرة الشيّ (وتكسير الحطب على المحافظة)
٣٠٠	١	ثمن ونقل الحطب الكافي لحريق كوشة جبس بعجرة الشيّ (وتكسير الحطب على المحافظة)
٣٠		ثمن ونقل قنطار الحطب الى قشلاق القسم العسكري بنخل

مليم	جنيه	
١٠٠		اجرة نقل متر الحجر المكعب من شاطئ البحر بالعريش او النبي ياسر الى قلعة العريش والعمارات المجاورة لها (والعبوة من المحافظة)
٣٠٠		اجرة نقل متر مكعب من الجير أو الجبس من جبل لحفن الى قلعة العريش والعمارات المجاورة لها (والعبوة من المحافظة)
١٦٠		اجرة هجين الركوب في اليوم بدائرة المحافظة
١١٠		اجرة جمل الحملة في اليوم في بلاد التيه
١٠٠		اجرة جمل الحملة في اليوم في بلاد العريش

تنبيه ١ . الحد الفاصل المتفق عليه بهذه الشروط بين بلاد العريش وبلاد التيه يمتد من الاسماعيلية الى جبل المغارة فشمال جبل الحلال

تنبيه ٢ . تؤخذ اجرة يوم كامل عن أربع نقلات من الوقود اللازم لحرق كوشة جير بلحفن وزن كل نقلة اربعة قناطير



شكل ٦٠ : الخبير زيدان اللحيوي ولسان حاله ينادي : « هيا بنا الى سيناء »

الفصل الثامن

في

﴿ السفر الى سيناء ولوازمهِ ﴾

﴿ فصل السفر ﴾ تقدم ان سيناء وعلى الأخص بلاد الطور من أفضل البلاد للسياحة والنزهة . وأن أجمل الفصول التي يحسن السفر فيها الى سيناء هو الربيع من أواسط فبراير الى أوائل مايو . وأول الشتاء من أوائل اكتوبر الى أواسط نوفمبر وفي غير هذين الفصلين فالهواء اما حارٌّ جدًّا أو باردٌ جدًّا

﴿ منافع السفر ﴾ وقد نصحت للمتعبين من كثرة الأشغال وجلبة المدن أن يفسحوا لأنفسهم ردحاً من الزمان يتنزهون بهِ في سيناء . والآن فاني أعيد النصح للقرآء الكرام وأخصُّ منهم اخواني المصريين أصحاب سيناء فانهم يملكون قرب بلادهم بلاداً واسعة الأطراف وهم قلما يزورونها أو يعلمون شيئاً من أمرها . مع أن الأفرنج يدخلونها أفواجاً كل سنة قصد الصيد والنزهة وزيارة الدير أو البحث عن المعادن أو التنقيب عن الآثار أو السير في طريق موسى وتطبيقها على رواية التوراة أو غير ذلك . فاذا لم يستهونا غرض من هذه الأغراض لزيارة سيناء فلنزرها قصد الراحة والصحة لا سيما وأنها بلاد عربية محضة يعيش الانسان فيها على الفطرة كأنهُ معاصر لابراهيم وموسى ولهُ عقل الشيوخ وقلب الأطفال . بلاد تتجلّى فيها الطبيعة بأبهى مظاهرها حتى انهُ لا يمكن العاقل السليم الشعور أن يقف على قمة نقب حبران أو قمة جبل سربال أو جبل موسى أو سرابيت الخادم أو نقب الراكنة أو جبل الحلال أو جبل لحفن ويرى ما تمثلهُ الطبيعة هناك من المناظر البهجة الفسيحة في ذلك الجو الصافي الجاف حيث الهوآء يدلُّ دائماً على الربيع والشمس على الصيف الأ وينشرح صدره مما يراه ويسمو بفكره الى السمآء ويقول مع داود النبي :

« ما أعجب أعمالك يا الله كلها بحكمةٍ صنعت » . فالى سيناء الى سيناء بالصفاء والهناء . واليكم ارشاد من خبير يسهل لكم الأسباب

﴿ إذن الدخول ﴾ أوّل ما يجب على طالب السفر الى سيناء الحصول على اذن الدخول اليها من مدير المخابرات في نظارة الحربية بمصر القاهرة

فان كان مصريًّا فليقدم الطلب رأساً الى مدير المخابرات ويبين فيهِ اسمهُ وعنوانهُ في مصر مع ذكر الجهة التي ينوي السفر اليها والطريق التي يسير فيها والغرض الذي يسافر لأجلهِ . وان كان معهُ أسلحة فليبين نوعها ومقدار الطلقات التي تصحبها . ثم انهُ لا بدَّ لهُ من ذكر أسماء الرفاق وعدد الخدم

وان كان الطالب أجنبيًّا فليقدم ذلك عن يد قنصلهِ أو يد شركة من شركات التسفير المعروفة في مصر الاَّ اذا كان معروفاً لادارة المخابرات فيقدم اليها الطلب رأساً

وبعد الحصول على اذن الدخول الى سيناء من ادارة المخابرات فان كان غرضهُ زيارة دير سيناء فليستأذن في الدخول مطران الدير أو وكيلهُ في مصر أو السويس والاَّ منعهُ الاقاوم هناك عن الدخول

وان كان غرضهُ تعدي الحدود الى سوريا لزيارة العقبة أو البتراء أو القدس الشريف فلا بدَّ لهُ من الحصول على الاذن في ذلك من السفارة العثمانية في القاهرة والاَّ منعهُ الضباط العثمانيون على الحدود من استمرار السفر

وان كان مرادهُ البحث عن المعادن فليأخذ الاذن في ذلك من قلم المعادن التابع لقلم المساحة بالجيزة . أو كان مرادهُ التنقيب عن الآثار فليستأذن مصلحة الآثار بمصر

هذا واكثر السياح والمسافرين الى سيناء يستخدمون التراجمة أو شركة كوك أو غيرها من شركات التسفير لتدبر لهم ما يلزمهم من إبل وخيام ومأكل ومشرب وغيرها باجرة معينة في اليوم * ومنهم من يعتني بذلك كلهِ ويدبرهُ لنفسهِ

﴿ الدليل ﴾ وأول ما يجب الاهتمام بهِ قبل الشروع في السفر انتقاء الدليل الذي يعرف طرق الجزيرة وامكنة مياهها حق المعرفة لخطر السير فيها بلا دليل خبير كما بيّنا في باب الطرق

﴿ ابل الحملة وهجن الركوب ﴾ ثم يجب الاعتناء التام بانتقاء الهجن للركوب والجمال لحمل الأمتعة ولوازم السفر . فيجب على المسافر أن يتفقدها بنفسهِ ويتحقق انها سليمة من المرض أو الجروح وان سروجها وأحزمتها متينة وان هجن الركوب لينة الظهر سهلة المراس . والاّ فان هجيناً قاسي الظهر صعب المراس أو جملاً ضعيفاً أو سرجاً غير محكم يؤخر المسافر في مسيره ويسلب راحتهُ

وأما الخيل فلا تصلح للسفر في بادية سيناء لقلة مياهها وطول مسافاتها وعدم صبر الخيل على العطش والحر بخلاف الإبل فانها تصبر على العطش أياماً كما مرّ

ولا بدَّ في تدبير الدليل والإبل اللازمة للسفر من الاسترشاد بادارة المخابرات في مصر . أو وكالة الدير في مصر أو السويس . أو وكيل الحربية في السويس أو القنطرة لأنهم يعرفون نوب القبائل وأدلّة الطرق وغير ذلك مما يلزم لراحة المسافر . حتى أن تراجمة السياح لا يعقدون الشروط مع أصحاب الإبل الاَّ بحضور وكيل الدير في مصر أو السويس . وقد تقدم ذكر تلك الشروط مع أجر الإبل في جميع بلاد سيناء بالاسهاب في الفصل السابق

﴿ الخيام والأثاث ﴾ هذا ولا بد للمسافر من خيمة يتقي فيها حرّ الشمس في النهار والبرد في الليل فليس في طرق سيناء أشجار أو صخور يستظلُّ بها الاَّ نادراً

وأصلح الخيام وأخفها للسفر الخيام المنسوبة للضباط المصريين ولا بدَّ لمن أحب الترفّه في السفر من أربع خيام : خيمة لمنامهِ . وخيمة لأكلهِ وشربهِ وجلوسهِ في النهار . وخيمة لمطبخهِ وخدمهِ . وخيمة صغيرة للمستراح

ومما يلزمهُ من الاثاث : أبسطة يفرشها في خيمة النوم وسرير سفري وفرشة وحرامات أغطية . وكراسيّ سفرية وفيها كرسي طويل يستريح عليهِ في النهار . وطاولة للمائدة . ومغسلة . وكلها من الأثاث الذي يمكن طيّهُ ويسهل حملهُ . وصحون وملاعق وشوك . وصناديق ذات طبقات وعيون مختلفة الحجم لحفظ الآنية الزجاجية والصيني يجعل لها حلق ليسهل حملها . وخيش لحزم الخيم والصناديق الجلدية لأجل صيانتها من العطب في السفر

﴿ الملبس ﴾ وأما الثياب فليس من الحكمة اختيار الثياب الدقيقة لأن الشمس تخترقها الى الجسم فيشعر صاحبها بالحرّ اكثر مما لو لبس الثياب المتوسطة في ثخانتها .

ويحسن بالمسافر لبس برنس أبيض يقيه حرّ الشمس والعفار . وأحسن منهُ عباءة من وبر الإبل فانها تقيه حرّ النهار كما تقيه برد الليل

ولا بدّ للمسافر في جبال سيناء وسهولها من جزم متينة تتحمل أنياب الحجارة الغرانيتية ورمال الصحراء * ومن أحسن الجزم التي جرَّبتها في سيناء وظهرت جودتها في التجربة جزم « مخزن نيويورك » لأصحابهِ « شحاده اخوان » في شارع المناخ قرب الاوبرا الخديوية بالقاهرة

أما لبس الرأس « فالكوفية والعقال » . أو « العرقية والعمامة » . أو برنيطة فلين خفيفة واسعة يجعل لها « زناق » يعقد تحت الذقن لئلاّ ينسفها الريح . ويحسن ربط « شاشة » حول البرنيطة يتدلى منها عذبة على مؤخر الرأس . ويحسن فوق هذا كلهِ حمل مظلة زيادة في التحوط * وأما الطربوش فلا يصلح لبسهُ الاَّ في المساء فان لبسهُ في الحرّ قد يسبب ضربة شمس أو ضربة حرّ . ولا بدّ من قص الشعر قصيراً قبل السفر لأنهُ ليس هناك من يحسن قص الشعر الاّ في المدن وذلك نادر

﴿ المآكل ﴾ يتيسر للمسافر شراء بعض أنواع الفاكهة والخضر كالبطيخ والرمان والعنب واللوز والبلح والبامية والملوخية والبصل في مدن الطور ونخل والعريش في فصولها . وقد يتيسر لهُ في هذه المدن شرآء البيض والفراخ واللحم والبن والشاي والسكر وبعض اللحوم والفواكه والخضر المحفوظة بالعلب . ولكن الأفضل أن يتزود المسافر مؤونتـــهُ من مصر حتى البيض والفراخ والفاكهة والخضر . ويمكنهُ حفظ البيض أسابيع بوضعهِ في الملح على ما هو مشهور . وأفضل فاكهة يتزودها من مصر ويستعذبها جدًّا في السفر البرتقال والليمون والتفاح ويمكن حفظها في السفر بوضعها في أقفاص من الجريد والاعتناء بتحميلها . واذا طال مكث المسافر في سينآء فلا بدّ من تعيين هجَّان يذهب الى الطور أو السويس أو القنطرة ويأتيهِ برسائلهِ وما يلزمهُ من فاكهة وخضر ومؤونة . وتروج في سينآء كلها النقود المصرية على أنواعها.

وفي العريش تروج النقود الشامية والمصرية . وأما عملة الورق فغير معروفة عندهم

﴿ المشرب ﴾ ثم ان اكبر صعوبة يجدها المسافر في سينآء «المآء» فان المسافة بين مآء وآخر تختلف من يوم الى ثلاثة أيام أو خمسة . ومتى وصل المآء وجده آسناً أو مسُوساً الاَّ في بلاد الطور الغرانيتية فان هناك ينابيع صالحة للشرب . وبكل حال يحسن بالمسافر أن يصحب معهُ مرشح باستور لترشيح الماء قبل شربهِ أو استخدامهِ للطبخ واذا أحب زيادة التحوُّط فليشرب المياه المعدنية وأفضلها ماء اڤيان وماء ابوليناريس . وقد يستغنى عن المياه المعدنية باغلاء مياه سينآء بعد ترشيحها ومزجها بشاي خفيف مع السكر والحامض

هذا ومن أهم ما يجب على المسافر في بادية سيناء الاحتفاظ بالماء وذلك بوضعهِ في براميل من خشب أو فناطيس من حديد محكمة السدّ والاعتناء بتحميلهِ وجعلهِ بعناية رجل مسؤول لا ينفق منهُ الاّ بمقدار ما يكفي الركب للوصول الى مآء جديد. ويلذ في بادية سينآء شرب الماء مبرّداً وأفضل وسيلة لتبريده وضعهُ في قِرَب نظيفة لا رائحة لها . وأما المياه المعدنية فتبرّد بوضع زجاجاتها في أدلٍ من جلد أو صفيح ملآنة ماء وتعريضها لمجرى الهوآء في الظلّ

﴿ الأدوية ﴾ وأما الأدوية فقلما يحتاج اليها المسافر في برية نقية الهوآء صافية الجوّ كبرية سينآء . ولكن لابدّ من أخذ مجموعة من الأدوية المركبة أقراصاً أو حبوباً تختار بارشاد الطبيب وتحفظ في صندوق خصوصي من حديد فاذا لم يحتج اليها المسافر فربما احتاج اليها رجال حملتهِ أو البدو الذين يلتقيهم في طريقهِ . وأهمُّ الادوية التي تلزم :

الكينا للحمى . وحبوب خلاصة الكسكارة لمنع الامساك . وزيت الخروع أو عرق الذهب أو ملح انكليزي للدوسنطاريا وتنظيف المعدة . ومسحوق دوڤر والكلورودين أو سلسيلات البزموت لمنع الاسهال ووجع المعدة . وكلورات البوتاس لالتهاب الحلق . وفناستين للتعريق ووجع الرأس . والسليماني لغسل الجروح . ومسحوق البوريك وحمام للعين لغسل العيون . وروح النشادر للسع العقرب . وعصير الليمون لمنع الاسقربوط . والكونياك في زجاجة بغلاف من قش لمنع المغص . وحزام صوف

لتدفئة المعدة والامعاء . ونفتالين لوقاية الثياب والكتب من العث . وترمومتر طبي . ومقص ونسالة وقطن وأربطة اضمد الجروح

وقد رأيت في مخزن الأدوية لنجيب افندي غنّاجه صناديق صغيرة خاصة للسفر رخيصة الثمن في كل منها مجوعة مما يلزم المسافر من الأدوية والأدوات الطبية . ورأيت لهُ قطرة دعاها « قطر الندى » أعلنها بهذين البيتين :

« لغنّاجة الفضل طول المدى   على صنع قطرة « قطر الندى »
« فقد كان فيها الشفآء لعيني   وفي غيرها عالجوني سدى »

﴿ معدات شتى ﴾ ومن المعدات التي تلزم المسافر : ساعة معصم . ونظّارة مكبرة لتقريب الابعاد ونظّارة ملوّنة لتوقي الغبار . و بوصلة لمعرفة جهة السير . وترمومتر لمعرفة حرارة الجوّ . وبارومتر لمعرفة علو الجبال . وسنارة لصيد الأسماك . و بندقية لصيد الطير والحجل . وأخرى لصيد التيتل والغزال . على أن صيد التيتل سيكون مقيداً بشروط بعد الآن فان نظارة الحربية شارعة في اصدار قانون لحمايتهِ حتى لا يصاد منهُ الاّ عدد معلوم في السنة منعاً لانقراضهِ

ومما لا غنى للمسافر عنهُ : ابر وخيطان وأزرار ودبابيس تجعل في محفظة من قماش . ودفاتر مفكرات . وحبر وأقلام حبر أميركية . وأوراق ومغلفات . و بعض الكتب التي لا تحتاج الى كدّ الفكر ككتب السياحات ولا سيما ما يتعلق بسيناء .

ومن أشهر المكاتب التي تبيع هـذه الكتب والأدوات في مصر القاهرة : مكتبة المعارف لصاحبها وصاحب مطبعة المعارف الشهيرة « نجيب افندي متري » بأول شارع الفجالة . ومكتبة الهلال المنسوبة الى مجلة الهلال الغراء بجانبها . ومكتبة هندية بشارع الموسكي

ومن المعدات التي تلزم المسافر على هجينهِ : كيس صغير يضع فيه شيئاً من الطعام الناشف . وزمزمية مآء . وخرج يضع فيهِ بعض الكتب والأوراق والاغراض التي تهمهُ وفوق الخرج عباءة أو حرام ومخدة صغيرة حتى اذا ما انقطع عن الركب برهة من الزمن كان عنده شيء من الطعام والشراب وما يلزم لراحتهِ حتى يجتمع بالركب



في

بداوة سيناء

الباب الأول

في

﴿ لغة بدو سيناء ودياناتهم ومعارفهم وزراعتهم وصناعتهم وتجارتهم ﴾

الفصل الاول

في

﴿ لغتهم ﴾

﴿ ١ . ألفاظهم الغريبة ﴾

لغة أهل سيناء العربية يتكلمونها بلهجة حسنة تقرب من لهجة بادية الشام . ويلفظون الثاء ثاء والذال ذالاً والجيم جيماً والضاد ضاداً كلفظ قُرَيش ولكنهم يلفظون القاف معطشة كالجيم المصرية

ثم ان بدو التيه أفصح لساناً وأعرق في البداوة من بدو الطور والعريش . وكلهم يستحبُّون لفظ التصغير ويكثرون في كلامهم من استعماله ومن استعمال جمع المؤنث السالم ونون النسوة ونون التوكيد الخفيفة والثقيلة كما سترى

ويستعملون ألفاظاً كثيرة غير مألوفة في مصر والشام ومنها :

إرجب	انتظر
أنرج في الوادي	سار فيهِ نزلاً
أسند أو سنَّد في الوادي	سار فيهِ مصعداً
أضوى	حضر قبيل الغروب
أرْغْ	انظر . تطلع
البلاد	الارض
البطران	الغني
حبَّ على يده	قبَّلها . والحَبَّة القبلة
حرْد	بجانب
الحَمادة ج . الحماد	الأرض المرتفعة
خرَّف	تحدَّث
الخرَّاف	الحديث
الدَّبْش	الضأن والمعزى . والطرش الابل
الدلّة	كوز ماء
الدوَّار ج . دواوير	مخيم البدو
رِجم	حجر أو حجارة موضوعة في طريق المارة للدلالة على واقعة مهمة
رش	اصبر . اسكت
ريض	استرح . انتظر
رَماده عليهم	تباً لهم
زمالة ج . الزمل أو الزوامل	بعير أو جمل
الزَّلَّة	الرجل
زين	طيب
سخيف	دقيق
سِلْو العرب	عاداتهم وتقاليدهم
الشفقان	العاشق
شين	بطال . ردي
صدَّر	عكس ورد
الضنى ج . الضنيات	الولد (الصغير)
الضعوف	الأولاد الصغار
الطَّرْش	الابل . والدَّبْش الغنم والمعزى
الطنيب	الجار
طوَّحهُ في البلاد	رماه في الأرض
الغريب	السائمة من الابل والغنم اذا باتت في غير مراحها
عقّد	ذهب . انصرف
فكّر	انظر

قيَّل	استراح نصف النهار في القايلة. وفي اللغة سقى في القايلة	كيف	مِثل : يخجل كيف الشاة أي مثل الشاة
قوطر	ذهب : قوطب طب مصر — سافر نزل مصر	لقّي	ذهب . انصرف
		لِلاَّ	لا لا
كود	ربما : « كود يجينا ضيف » أي ربما يأتينا ضيف. « وكود يواتي » أي ربما يناسب . وتأتي بمعنى عسى : « كود وادي العريش يسيل » أي عسى يسيل . وتأتي بمعنى اما . أو: هات لي ركوبة كود فرس كود جمل	المَقْوي	من بات بلا عشآء
		المريوق	من لم يذق طعام الصبح
		مرَّح	بيَّت ليلاً
		ناجم	ناجح
		نهاز القربة	ملئها تحت جامها
		هَ الحين	هذا الحين
		الهَرْج	الكلام . هرَّج — تكلم
		يَمّ	تمام

﴿ ٢ . أمثالهم ﴾

وهم يكثرون في كلامهم من ايراد الأمثال . وأفضل ما سمعت من أمثالهم : —

احفظ قديمك ولو كان الجديد أغناك

اللي ما بيعرف الصقر يشويه

الأولاد اما تجارة أو عوض أو خسارة

بارك الله في المرأة المطيعة والفرس السريعة والدار الوسيعة

بشر القاتل بالقتل . والزاني بالفقر

البياع طماع . والشاري حرامي

البيع عازة مش عادة

بين الغطاس والميلاد لا تسافر يا هذا . وان سافرت خذ تحتك سجادة

الحي يشوف الحي

خيراً تعمل شرًّا تلقى

خذ بنت السبع ولو بارت . ودر مع الدرب ولو دارت . وفوت بنت الانذال ولو زينها غاطي جبينها

دار خير من دار . وجار خير من جار

الدم ما يسوّس
الدقن اللي يقطعها الحق تطلع خَصاب
ذقن الشاكي مبلولة (يقولهُ من يحب يأخذ حقهُ بيده)
الرأس ما يسع طربوشين .
الرأس ما يشيل مريرتين
راعي النية الطيبة يرزق
الرفيق لزَم ما منهُ منهزم . والطلاق عدم . والجيرة كرم
رغَّاية الإبل ودعاية النسا أبرك الايام يوم بزيحها
الشمس لا يغطيها الرغيف
طير المربى غالِ
الطويلة بتمشي هزّ . والقصيرة حب الرزّ
عوضك من الجمل قيده
العيشه شعير والمَيّه من البير
عمار البر من شامه لدامه
قال وايش يعني يارسول الله قال اللي ما صار
الكبر عبر
كذب مرصوص ولا صدق مبعزق

الكل ريقة في فه حلو
الكفل يموّت الطلابة
الكفال جبال لا تنشال ولا تنهال
اللص زاده في الكيس . ومراحهُ عند ابليس
الليل رزقه ضيق
المركب اللي ما فيها شيء لله تغرق
المقاعد ملازم
مشيك في المعزَّة أربعين يوم ولا في المذلة ألف عام
ما بيجي أبو خناق الا أبو فرَّاج يباريه
من أخذ أمي صار عمي
من رمي سلاحه حرم قتله
مطرح ما تأمن خف
المغرم من النار
ما على الأجواد عقب الاجهاد لايم
المال اللي يجَمع بالحلال يأخذ ابليس نصفه
والمال اللي يُجمع بالحرام ابليس يأخذ صاحبه
النار جبار
النار سوت غدانا ودفت عضانا (أعضاءنا)
الولد خال ومن أخذ من قوم على ناره قعود

لا بد للعدود من الورود ولابد للحَماد من الكِتام (الزوابع)

والله لأعلمك ماني عليك جاحد من صاحب اثنين كذَّب على واحد

﴿ ٣ . الشعر والغناء والرقص وآلات الطرب ﴾

﴿ آلات الطرب ﴾ ليس في جزيرة سيناء من الآت الطرب سوى ثلاث :

« الربابة » وهي تشبه الربابة المستعملة في السودان

« والشبَّابة » المعروفة في مصر بالصفارة وفي الشام بالمنجيرة

« والمقرون » المعروف في مصر بالزّمارة وفي الشام بالزمور

واختص الله العرب بأربع: «العمائم تيجانها . والجنن حيطانها . والسيوف سيجانها . والشعر ديوانها . وسمي الشعر ديوان العرب لأنهم كانوا يرجعون اليهِ عند اختلافهم في الانساب والحروب واجراء الأرزاق من بيت المال كما يرجع أهل الديوان الى ديوانهم عند اشتباه شيء عليهم أو لأنهُ مستودع علومهم وحافظ آدابهم ومعدن أخبارهم»

وعرب سيناء على فقرهم وقلتهم لم يخرجوا عن حد هذا القول فانهُ قلما يحدث حادث مهم أو يقع قتال في صحرائهم الاَّ نظم فيهِ شعراءهم وحفظوه جيلاً بعد جيل على نحو ما كان يفعل أجدادهم . وقد أخذت كثيراً من أخبار حروبهم الحديثة عن أشعارهم كما سيجيء

﴿ الشعر والغناء والرقص ﴾ كل شعر في سيناء يغنى . والشعر والغناء عندهم أربعة أنواع: القصيد . والمواليا . وحداء الابل . وغناء الرقص وهو ثلاثة أنواع : الدحيّة . والسامر . والمشرقية . والشعر في هذه الأنواع الثلاثة يرتجل كالقرادة والمعنّى في لبنان . والزجل في مصر . ولغة الشعر عندهم على أنواعهِ اللغة العامية

﴿ القصيد ﴾ أما القصيد فينشد على الربابة ويشمل باب المدح . ومما سمعتهُ قصيداً قالهُ سلامة بن عودة في الميرالاي سعد بك رفعت قومندان سيناء المار ذكره ومنهُ :

والبك نور البداوة وصاحب واي	يحيّي بضيف الله يوم يلقيه
والبك نور البداوة وصاحب راي	قاعد على المصطبه يازين هرجه وحكاويه
والبك نور البداوة وصاحب راي	يلدّش الكذّاب يوم يحاكيه
والبك سبع في وسط النمارة	يانعمين يوم تلفيه
والبك نور لو سرهد الليل	والّلي يشوف الضوء لازم يقديه

وسمعت قصيداً قالهُ المحسحس بن صالح بن أخ الشيخ موسى نصير في غرق الوابور ياروودال سنة ١٨٩٠ في جهة راية جنوبي مدينة الطور ومنهُ :

صلُّوا على النبي يا غانمين   صلوا على النبي واقروا الجواب
جا وابور من عند النصارى   هذا خنون فيه ستين باب
طوَّح حملته في طول راية   وصار الناس عنده كالذباب
فيه بالات مطويه بحديد   فيهن جوخ وفيه عال السباب
فيهن تيل وفيهن دبلان   وفيهن بفت من عال الثياب
وفيه قماش يقولوا لهُ خيم   وفيه ملكان زي ورق الكتاب
وفيهِ احرم وفيهِ مشمعات   وفيه شيلان ما لهنَّ حساب
خيط الشيت يسوّوا لهُ دروب   غير الموت معيِّ هَ الكلاب !

ونظم بعض البدو شعراً في سلك التلغراف فقال :

يا راكب اللي ما هي مطيَّة   وأسرع من اللي على القاع يمشون
عبدين مع حُرّين ربع النشامى   وبأرض الخلا ما يذلُّون
ومن طول عمره خادم العسكرية   وكل الوزّر لقوله يصنُّون

﴿ المواليا ﴾ أما المواليا فهو الغناء على ظهور الإبل على مدى الصوت ومن ذلك :

ياكم بُنيَّة نوبة   قيَّلت أنا وياها
والجذلة عشب ثريا   قبل العرب ترعاها

حفْيَن مواطي رجلي   من بعدكم يا أهيلي
والريق زيّ الحنظل   والزاد ما يحلو لي

شوقي طلبني الجنَّة   ومن الجهل عيَّيتهُ
بحسب زماني مُطوَّل   واغدي حليلة بيته

ولد يا راعي الشقرا   ومن ايدها حفيانه
يمَّك على عربنا   يا مداوي الوجمانه

راعي القعود الأشقر　　طيري وليف طيرك
قلبي صندوق الفضة　　ما ينفتح لغـيرك
الحمـد لكَ يا ربي　　عقب الضنا سرّاحه
اللون لون القطنه　　والنهد زِ التفـاحة

(حدآء الابل) وأما حداء الابل فهو الغناء للابل وهي تشرب أو تسير. قيل لأنها تستعذب الشرب وتستحب السير على صوت الحدآء. ومما حُكي في تأثير الحداء على الابل أن اميراً مرَّ بشيخ عرب فرأى عبداً مقيداً بالحديد فقال الأمير ما الذي جناه هذا العبد حتى استحق هذا الجزاء فقال الشيخ اتبعني وأخذه الى مُراح الابل فرأى الابل متعبة منهوكة لا تستطيع حراكا. فقال للعبد غنِّ لها فغنى فنهضت لساعتها متحمسة كأن لم يكن بها شيء. فقال الشيخ هذ العبد أتى بالابل من مكان بعيد وهي تحمل أثقالاً وأخذ يغني لهـا حتى ضاعفت سيرها فصارت الى هذه الحال

هذا ولكل قبيلة الحان ومقاطيع في الحداء تختلف فيهـا عن الأخرى. وقد رأيت التياها على بئر نخل ينشدون الحداء لابلهم وهم يمقونها وكانوا ينشلون الماء اثنين اثنين بادلٍ من جلد. ومما سمعتهُ منهم :

يا مرحبا يابلنـا　　حين ما روينا شلنا
يا مرحبا وارحابي　　وتسوق فيها ركابي
ياو اردين على البيْ　　عنيق المهايا سلمي
يا رحسن طلي وشوفي　　زين الخيال وقوفِ
عشيركِ يا ريَّه　　على الركايب عيَّـا
فاطري وأنا لهـا　　يا لبنهـا لي عشا
ذودٌ بلا حيرانِ　　عسكر بلا ديوانِ
أبشري بالروا　　ما زال الخمسه سوا

أبشري بالروي ما دام أنا قوي
عليّ ري الفاطر لما يطيب الخاطر
عليَّ ما روّيها وازرع جمايل فيها
لبنها اللي شربناه على آلمِي ودها ياه
واللي يرنّ سوارها نحلب لها الخوّاره
يا بو خديّد أبيض رَيّض على آلمي رَيَّض
والحرص يا خيّاله من نومة القيّاله
وآيش تشتهي وتذوقي مشمش على برقوقِ
ام حُنَيك المنقوشِ انكس لها الطربوشِ
يا بو شنيّف فضّه والهرج عنُّه غَضّه
ما هدّني وأضناني غير أنت يا الفيداني
يا أم شنّيف لاويته ليش النذل مهاويته
يا بو قُنَيع محجّر والزين توه صدّر
يا بو قرون طوالِ لا تعاشر البطال
وان كان ودك خدي تعال والصق حديّ
يا رب سلّمها لي من كل فجّ خالِ
والشايب القبّاني عن ملعبي عدّاني
يا بير يا مليانِ يا ملعب الصبيانِ
طيّبه يا طابه غضيان جوها صحابها

ومن مقاطيع الحويطات التي سمعتهم يغنونها على بئر نخل :
تعا هِل * تعا يا دلو * عطشان وطالب ريّه * يكررونها مراراً

ومن قبيل الحدآء ما ينشدونهُ وهم يحصدون الزرع :

رن حجل البدوِّية　　رنّ واعجبني دوِّية

يا جميل الصالحية　　وين بت البارحية

بت في حِنّه ورنّه　　والعطور الفايحية

﴿ الدَّحيَّة ﴾ أما الدحية فهي أعظم تسلية للبدو في باديتهم . فاذا اجتمع البدو للدحية وقف المغنون صفًّا واحداً وبينهم شاعر أو اكثر يعرف « بالبدَّاع » يرتجل الشعر . وأمامهم غادة ترقص بالسيف تُدعى « الحاشية » . فيبدأ المغنون بقولهم « الدحية الدحية » يكررونها مراراً وهم يصفقون بأيديهم ويهزون رؤوسهم . ثم يبدأ البداع بالقول فكلما بدع شطراً من الشعر كرَّر الكل « الردَّه » وهي « رايحين تقول الريده » يكررونها وهم يصفقون بأيديهم ويهزون رؤوسهم وأعطافهم يميناً ويساراً ويتقدمون نحو الحاشية والحاشية تتقهقر أمامهم وهي ترقص رقصهم حتى يصلوا الى منتهى ساحة اللعب فيقعدون القرفصاء فتقعد الحاشية مثلهم ويغنون برهة . ثم يتقهقر الرجال الى الورآء رويداً والحاشية تتبعهم مواجهـة لهم حتى يعودوا الى حيث وقفوا أولاً فيعودون الى الرقص كما بدأوا . والبداع يبدع القول وهم يكررون الرده . وقد يكون بينهم اكثر من بداع واحد فيتناوبون القول الى انتهاء اللعب

ثم قد يرقص لهم راقصتان أو ثلاث يد الواحدة في يد الأخرى فاذا رقص اثنتان حملت السيف الواقفة عن اليمين . واذا رقص ثلاث حملتهُ الواقفة في الوسط

قالوا : حضر بداع ظريف دحية فرقصت فيها حاشية رشيقة القد والحركة فعلق بها قلبهُ فأنشد : —

« أنا مجيرك يا الغـالي　　مـدّ آيدك سلم عليَّ »

فمدَّت يدها وسلمت عليهِ فقال :

« انا مجيرك يا الغـالي　　تلعب باركان الدحية »

فتحمست ورقصت رقصاً بديعاً فقال :

« وان كنت مطيّع من زمان　　رد الركبة مثنيـة »

فركمت على ركبة ونصف فقال :

« هيـدي بروك المخاليف ودّي بروك المطيـة »

فركمت على الركبتين فقال :

« انا قصدتك يا الحـاشي ودّي أشوف العطيـة »

فناولتهُ السيف التي كانت ترقص بهِ فقال :

« الحاشية أعطاني السيف والسيف يقطع يدسـيّ
أنا ودّي شنـاف الفضـة شرع قبـال الكلية »

فنزعت شنافها من أنفها وناولتهُ اياهُ فقال :

« أنا ودي خاتم الفضـة وحطه بأيدي اليمنيـة »

فنزعت خاتمها الفضة وناولتهُ اياهُ فأرجعهُ اليها ومعهُ قطعة من الفضة وقال :

« هذي عطيتك بالحاشيـة وهي حرام عليَّ
واختم كلامي بمحمد يا مصلين على النبيّ
محمد يا نور الشرق والسيّد نور الغربيـة »

ومن مقاطيع الدحية :

يا معـلاّني هاوَشني من شان طايّن غدّيته
ومالكِ يا نهاز القربة للأجواد مسقّيتـــــــه
وان جاني الخيّر عطشان عـ الميّ ماني معيّيتـه
وان جاني الخيّر جيعان مِـن غـداي مغدّيتـه
وان جاني الخيّر زعلان بالخرّاف مسليتـــــــه
وان جاني الخيّر بردان بطرف القُنْعة مغطّيتـه
وان طلب مني الحبّـة والله ماني معطيتـه !

ومنها : يا حلالي خرّاف الحيب مثل السكر عـَ الحليب

ومنها : الطويلة بتمشي هزّ والقصيرة حب الرز

ومنها : الشايب العـــــايب عن الزينات مش تايب

﴿ السامر ﴾ أما السامر فنوعان : « الخوجار » ويبدع فيه النسآء . « والرّزعة » ويبدع فيهِ الرجال . وفي الرّزعة يقف الرجال فريقين في صف منحنٍ على شكل هلال مقطوع من الوسط ويقف مع كل فريق بدّاع وأمامهُ امرأة ترقص بالسيف تدعى حاشية أو بعير فيبدأ بداع الفرقة الأولى فيبدع بيتاً من الشعر وكلما قال شطراً كرره أصحابهُ من بعدهِ وكلا الفريقين يصفقون ويهزون رؤوسهم ويتقدمون نحو الحاشية كما يفعلون في الدحية . ثم يبدأ بدّاع الفريق الآخر فيبدعُ بيتاً من الشعر ويكررهُ أصحابهُ بعدهُ وهم يصفقون على نحو ما فعل الفريق الأول وهكذا الى منتهى اللعب

وأما « الخوجار » فهو على نحو الرّزعة لكن النساء فيهِ يقفن بين صفي الرجال وفيهنّ شاعرتان تغني كل منهما لفريق من فريقي الرجال ولا يتحركن من أماكنهن الى انتهاء اللعب * ومن مقاطيع السامر :

يا طالعين البراري في سموم ورياح	لا القلب ساكن هنا ولا شوقكم مرتاح
على الله يا حلو لو انك من بني عمي	لاذبح جمل صاحبي واثنين من زملي
يا طالعين الجبل والصيد في الوادي	ومنقرشات الحنك بنـات الأجوادِ
يا ريتني ما وردت المـاء ولا جيته	صدّرت عطشان حتى القلب خليته
يا قلب وايش متعبك ياقلب وايش مشقيك	يا قلب اللي سقى عود القنـا يسقيك
أصفر شبه البلح شبك الرفَق منّـه	يا ناس من طال ريقه وجاب لي منّه
سايق عليك النبي والحي واللي مات	يا حلو ردّ الغنم تقعـد أنا وياك
يا ساكنين الصحارى وبلادكم مظماه	قاعد على دربكم والحلو ما بلقـاه
يا أهل المحنّات يا أهل النـاقة الزرقا	ما يجرح القلب غير الموت والفرقه
لا كتب مكاتيب وأرسلهم معك يا طير	في ضيّة المـال مسّي صاحبي بالخير
مسيك بالخير يا اللي جيت متعنّي	في ايدك خواتم ذهب والكف متحني

أبيض من الشاش والين من حرير هندي　　غَ اليوم يا حلو لو انك في المنام عندي

عَ اليوم يا حلو تربط عَ الرفَق وتدوم　　لاغزّ رايات وابني عَ الطريق رجوم

عاهدتني في الخلا ما عنـدنا واحد　　ويا خاينين العهد من أين أجيب شاهد

نريدكم تسلموا ويعيش غاليكم　　ويعيش حتى الطنيب اللي يواليكم

حنّ يا تور لمـا ينجرح زورك　　واصبر على فرقتـك لما يجي دورك

﴿ المشرقية ﴾ وأما المشرقية فهي على نحو لعب الرّزعة بكل تفاصيلها الا أن الشعراء ينشدون فيها أبياتاً أطول من أبيات الرّزعة ويغنّى بها بلحنٍ يختلف قليلاً عن لحن السامر وغالب اللعب في بلاد التيه الدحية والمشرقية. وفي بلاد الطور السامر. وفي بلاد العريش الرّزعة والدحية والمشرقية . وقد دخلت الدحية حديثاً الى سيناء من الشرق فلم يكن معروفاً فيها غير السامر والمشرقية * ومن مقاطيع المشرقية :

جوّزوني وأنا طفله وما دريت　　طلّقوني من النـذل والا جلَيت

ويا أهلي لئن مت وفارقت الحياة　　اقبروني على العدّ دُرَيب البنات

يا رويع يا البكرة هَ النـايفة　　خاطري عشرتك ومن أُهَيلي خايفة

اطلع تنزّه ليـالي العزّ ما دامت　　يا اكحل العين ما احلى دقّة وشامك

﴿ اللدّة ﴾ قالوا وفي الرميلات في شرق بلاد العريش عادة تعرف « باللذة » وهي انهم بعد فراغهم من السامر يأخذ كل شاب شابة من الحضور فيوصلها الى منزلها ثم يعود الى منزله

﴿ الخلاط ﴾ هذا وفي بلاد التيه عادة تدعى « الخلاط » يجتمع فيها الشبان والشابات ليلاً في موعد معين قرب مخيّمهم وذلك بغير علم أهلهم فيأخذون الطعام والشراب : الشبان يأتون بالخروف والدقيق والمـاء . والبنات يأتين بالسمن واللبن فيذبحون ويأكلون ويتآنسون سوية ثم ينصرفون الى خيامهم بدون أن تمس أعراضهم واذا مسّ شاب عرض شابة في الخلاط وظهر ذلك ألزموهُ بزواجها أو قتلوه

الفصل الثاني

في

﴿ دياناتهم ﴾

يعترف بدو سيناء بالاسلام ديناً لهم ولكن ليس فيهم من يعرف قواعد الاسلام بل ليس فيهم من يعرف قواعد الصلاة . وقد مازجتهم عدة سنين فلم أرَ منهم من يصلي الاّ نفر يعدون على الأصابع ممن يخالطون المدن وهؤلآء لا يصلون الأوقات الخمسة على الترتيب بل يصلون كلما خطر ببالهم أن يصلوا . ولولا احتفال بدو سيناء بعيد الضحية وذكرهم النبي وحلفهم بهِ والصلاة عليهِ لما علمت أنهم مسلمون

﴿ ١ • الاولياء الصالحون ﴾

ولكن لهم في باديتهم قبور أولياء يعدون بالعشرات يحترمونهم الاحترام الديني ويحلفون بهم وينذرون لهم النذور ويزورونهم كل سنة في المواسم وعند زيارتهم ينيرون قبورهم ويذبحون للأنبياء منهم جملاً ولسائر الاولياء رأس ضان أو ماعز . أما الاولياء الأنبياء فهم[1] : النبي هارون والنبي صالح والنبي أبو طالب ومناجاة النبي موسى وكلهم في وسط بلاد الطور

ومن الغريب أن بدو سيناء مع شدة اعتقادهم بأوليائهم تراهم لا يعرفون لهم أصلاً ولا فصلاً الاّ القليل منهم الذين دفنوا في هذا الجيل والذي قبلهُ فان أصولهم معروفة لأن بدو سيناء ما زالوا كلما مات لهم شيخ يعتقدون صلاحهُ بنوا لهُ ضريحاً وبنوا فوق الضريح قبة أو مقاماً وجعلوا للضريح قفصاً من الخشب مجللاً بنسيج قطني ملون وجعلوا للقفص رأساً معمماً أو تركوا الضريح عطلاً من البناء والقفص . وقد مرَّ ذكر الأولياء جميعاً في الفصول السابقة وستأتي سرداً في فهرس المواضيع في آخر الكتاب فلا داع لذكرها هنا

---

[1] يطلق بدو سيناء علي أوليائهم لقب النبي، فهناك النبي ياسر الذي كان يقع مقامه علي شاطئ البحر بالقرب من العريش، والنبي هارون، والنبي صالح. راجع، صبري العدل، سيناء . . ، ص ٩٩ حاشية ٢١٨ .

وقد عرَّفنا ضريح الولي الذي فوقهُ قبة بالقبة . والذي فوقهُ كوخ بالمقام . والذي ليس فوقهُ شيء بالقبر

وهم يدفنون موتاهم بجانب أوليائهم ويزورونهم في المواسم عند زيارة الأولياء ويذبحون الذبائح فداء عنهم ويقولون عند الذبح : « الله اكبر منك واليك وثوابها لفلان المتوفى » . واكثر مدافنهم أوكلها بقرب الماء

وترى بجانب أضرحة اكثر الأولياء « عريشة » فيها حلة للطبخ . وبكرج للقهوة . وجرة للماء . « وباطية » لعجن الدقيق . وأخرى لوضع الطعام فيها . وغير ذلك من الآنية التي تلزم الزوار لتحضير الطعام والشراب عند قدومهم لتقديم الذبيحة

﴿ الشيخ الفالوجي ﴾ ولا يقتصر بدو سيناء على تكريم أوليائهم بل يكرمون أولياء جيرانهم . ففي اعتقاد بدو العريش أن الشيخ الفالوجي المدفون على نصف يوم شرقي غزة من الأولياء الكبار أصحاب الكرامات وأن من يحلف بهِ زوراً لا بدَّ أن يلقى مغبة كذبه في نفسهِ أو مالهِ أو عيالهِ

وفي مدة اقامتي برفح سنة ١٩٠٦ حضر بدويان يتقاضيان في مبلغ من الدراهم ادّعى أحدهما أنهُ نقدهُ لوالد الآخر المتوفى ولم يأخذ فيهِ وصلاً . فطلب المدعى عليهِ اليمين من المدعي على الفالوجي ولم يرضَ بالشيخ زويد ولا بالحلف المعتاد عند البدو . ولكن توفقت الى فض الخلاف بينهما بطريق الصلح فأخذ المدّعي قسماً من المبلغ المدّعى بهِ وسامح بالباقي

﴿ ٢ . الاولياء المفسودون ﴾

هذا ولبدو سيناء أولياء مفسودون يصبون عليهم الشتائم ويرمون قبورهم بالحجارة كما أن لهم أولياء صالحين يقدمون لهم الذبائح . وقد مرّ بنا ذكر اثنين منهما : « مصبّح » الولي المفسود على درب الحج المصري في وادي المشيتي . « وعمري » الولي المفسود في أعلى وادي الأبيض على ١٠ أميال من خرائب العوجاء على درب غزة

﴿ ٣ . زيارة البحر ﴾

وعند السواركة والبياضيين والأخارسة من بادية العريش عادة قديمة جداً في تقديم الذبائح للبحر تشبه أن تكون وثنية . وذلك أنهم في كل سنة بعد الربيع يزورون البحر بخيامهم ومعهم خيلهم وإبلهم وغنمهم فيغسلونها بالبحر ثم يذبحون الذبائح ويرمون رؤوس الذبائح وأرجلها وجلودها في البحر ويقولون عند رميها « هذا عشاك يا بحر » ويطبخون باقي اللحم فيأكلون منهُ ويطعمون المارة .[1]

أما السواركة فيتمون هذه الزيارة بلا احتفال ولا أبهة في يوم واحد من المغرب الى صباح اليوم التالي . ويذبحون في أي مكان على شاطئ البحر بين رفح والعريش ٭ وأما البياضيين والأخارسة من سكان قطية فانهم ينزلون على شاطئ البحر عند المحمدية المار ذكرها قرب الفرما ويحتفلون بذلك احتفالاً عظيماً فيتسابقون على الخيل والهجن والنساء تزغرد لهم وذلك مدة ثلاثة أيام

﴿ ٤ . زيارة الشجر ﴾

وعلى نصف ساعة جنوبي بئر رفح شجرتا سدر الواحـدة بجانب الأخرى تدعيان « المقرونتين » ويقال لكل منهما الفقيرة . وللغربية منهمـا غصن مجوف ينحني حتى يمس الأرض وجدت في تجويفهِ قطعاً صغيرة من النقود القديمة والحديثة ومسامير وخرز وحب عدس وقد عُلق في أغصان الشجرتين أباريق الزيت فسألتهم في ذلك فقالوا ان نساء البدو يكرمن هاتين الشجرتين وينذرن لهما النذور ومتى جئنَ للزيارة وضعنَ شيئاً من آثارهنَّ فيهما وأنرنهما بسرج الزيت كما يفعل البدو كافة عند زيارة الأولياء

وعلى نحو نصف ساعة من العريش في طريق لحفن غابة صغيرة من شجر الطرفاء تُدعى الفقيرة تزورها العرب للتبرك بها وهم ينيرونها ويودعون عندها حبالهم وأشياءهم وفي صحن قلعة نخل شجرة سدر قديمة العهد كان الأهلون يعتقدون أنها ولية

---

(١) لا تزال عادة زيارة البحر من العادات التي يحتفل بها سكان العريش حتي اليوم ، حيث يعتقدون أن النزول إلي البحر في يوم معين يحقق الشفاء من جميع الأمراض إقتداء بنبي الله أيوب عليه السلام .

وينيرونها بالسرج الى عهد قريب . ولا عجب في ذلك فان شجرة ظلّيلة في صحاري سيناء المحرقة لمن أكبر النعم على أهلها

﴿ ٥ . روحهم الديني ﴾

هذا والروح الديني في بدو سيناء لا يزال على الفطرة فاذا وقع أحدهم في ضيق ثم فرّج عنهُ قبّل الأرض بيده وقال « يوم ما نطول سماه نقبّل وطاه »

وكنت اكلم الشيخ سليمان معيوف من الرميلات في العمل الطيب فقال اني اصلي الى الله في خلاي أن يميتني قبل ان أظلم أحداً وأن يبعد عني الظالم فاني طالب دار الآخرة والعمل الطيب الذي يلقاهُ الانسان بعد الموت . قلت وأين تذهب الروح بعد الموت قال العرب تعتقد أن الأرواح تجتمع في بير القدس الى يوم الحساب فيذهب الصالحون الى الجنة والأشرار الى النار . وقال قيل لبدوية فجعت بابنها ان روحهُ في بئر القدس فذهبت الى البئر ووقفت عند فمها ونادت ابنها باسمهِ فأجابها الصدى فلما سمعت الصوت ظنت أن ابنها يجيبها فرمت بنفسها في البئر وماتت ! ومن ذلك الوقت وضعوا شبكة من الحديد على فم البئر . وهذه البئر هي بئر الورقة في هيكل سليمان الذي حوّلهُ الأمبراطور يوستينيانوس الى كنيسة وحولهُ الاسلام الى الجامع المعروف الآن بالجامع الأقصى

الفصل الثالث

في

﴿ معارفهم ﴾

أن بدو سيناء أميّون لا يقرأون ولا يكتبون وليس فيهم طبيب واحد بل الدجّال فيهم قليل . وأما المدارس المتقدم ذكرها في مدن الطور ونخل والعريش فندر من يتعلم فيها من أهل البادية

وهم يعبرون عن الأعداد بأصابع اليدين فكل أصبع مرفوعة بواحد والعشرة برفع أصابع اليدين كلها وضربها في الهواء مرة والعشرون بضربها في الهواء مرتين وهكذا الى التسعين . ويعبرون عن المئة بضم أطراف أصابع اليدين وضرب أطراف أصابع اليد الواحدة بأطراف أصابع اليد الأخرى مرة واحدة حاسبين كل أصبع عشرة . وعن المئتين بضربها مرتين وهكذا

وأسماء الجهات الأربع عندهم : الشمال أو البحري . القبلي . الشرق . الغرب

وأسماء الفصول : الشتاء. الربيع. الصيف أو القيظ الخريف أو السجيج أو الخوبة

وأوقات النهار : الفجر . طلعة الشمس . الضحى القايلة أو الظهر . العصر . الغروب

وأيام الأسبوع معروفة عند الخاصة وأما العامة فأكثرهم لا يعرفونها ولا حاجة لهم بها فانهم اذا أعطوا ميعاداً جعلوا أول القمر أو الهلال مبدأ لميعادهم . وليس عندهم حساب غير القمر ولكن لم أجد أحداً منهم استطاع أن يعد الأشهر القمرية حسب اصطلاحنا . وقد عدّها لي بعضهم هكذا :

عاشوراء أي محرم . صفر . ربيع أول . ربيع ثاني جماد أول . جماد ثاني . الغرّة أي رجب . القصيّر أي شعبان . رمضان . الفطر الأول أي شوال . الفطر الثاني أو شهر الحج وهو القعدة . والضحية وهو شهر الحجة

والانجم المشهورة عندهم ماعدا الشمس والقمر : الثريا. ونُجَيدح وهو الدَّبران . والجوزاء أو الميزان . والبربارة وهي الشّعرى . والسماكان والمرزم وهما السماك الرامح والسماك الاعزل . وسهيل . والشّعالة أي نجمة الصبح أو الزهرة . والعقرب

قالوا تطلع الثريا أولاً أول الصيف قبل الفجر . وبعد ذلك بأربع عشرة ليلة تطلع ويطلع نجيدح وراءها . فخمس وعشرون ليلة أخرى تطلع الجوزاء فاربع عشرة ليلة أخرى تطلع البربارة فخمس وعشرون ليلة أخرى يطلع السماكان والمرزم : تطلع كلها من الشرق في صف واحد الواحد وراء الآخر * وبعد طلوع البربارة باربع عشرة ليلة أي في أول الخريف يطلع سهيل من الجنوب * وتدوم هذه الأنجم في الفلك عشرة أشهر قمرية وعشرين يوماً الى أواخر الربيع * ثم تبدأ في الغياب الواحد

بعد الآخر فتغيب ٤٠ يوماً ثم تعود الى الظهور الثريا في المقدمة وهكذا

أما العقرب عندهم فسبعة أقسام تعرف بأسمائها وهي من الغرب الى الشرق : التربيعة . اليدان . خشم العقرب . القلب . ذيل العقرب . الشولة وهي آخر الذيل محنياً . سعد الذابح

ففي اثناء سير القمر في فلكهِ لا بدَّ لهُ من نزول العقرب سبع ليالٍ متوالية في كل شهر أي ينزل ليلة بكل قسم من أقسام العقرب . ويدعى نزولهُ بالقران . ينزل أول ليلة التربيعة . وثاني ليلة اليدين . وثالث ليلة خشم العقرب . ورابع ليلة القلب . وخامس ليلة ذيل العقرب . وسادس ليلة الشولة . وسابع ليلة سعد الذابح . ثم لا يكون قران الى الشهر التالي فينزل التربيعة أول ليلة وهكذا

قالوا وفي أول الخريف عند مطلع سهيل ينزل القمر العقرب وهو ابن ليلة فيسمى القران قُرَيّن ليلة . وفي الشهر التالي ينزلها وهو ابن ثلاث فيدعى قرين ثلاث . وفي الشهر الثالث ينزلها وهو ابن خمس فيدعى قرَين خمس . وفي الشهر الرابع ينزلها وهو ابن سبع فيدعى قرين سبع وهو أول الشتاء . وفي الشهر الخامس ينزلها وهو ابن تسع فيدعى قرين تسع . وفي الشهر السادس ينزلها وهو ابن اثنتي عشرة ليلة فيدعى قرين ١٢ . وفي الشهر السابع يعود الى دوره الأول فينزل العقرب وهو ابن ليلة فيدعى قرين ليلة ويخرج منها وهو ابن ثمان وهكذا

وفي ليالي القران السبع من كل شهر لا يسافر البدو ولا يغزون ولا يباشرون عملاً جديداً الا مضطرين فانها في اعتقادهم ليال شؤم خصوصاً الليلة السادسة اذ يكون القمر في الشولة ومن ذلك قول شاعرهم :

« أحثك من العقرب وشولتها ولو فاتك من الرزق كل مطلوب
سيفي هرب على عرقوب ناقتي وخلّى دماها عَ الحماد كبوب

وأما الليالي التي لا يكون بها قران فلا يتشاءمون منها ومن ذلك قولهم :

ليالي عشار الصيد وليالي ولاده ليالي سعايد ما بهنّ قران

ويعنون بالصيد التيتل والغزال فانهُ يعشّر في أول الخريف بين قرين ليلة

وقرين ثلاث ويولد بعد ذلك بخمسة أشهر أي بين قرين ١٢ وقرين ليلة . وذلك في الربيع وهي حكمة طبيعية لوجود الخضر والأعشاب للأمهات في ذلك الفصل

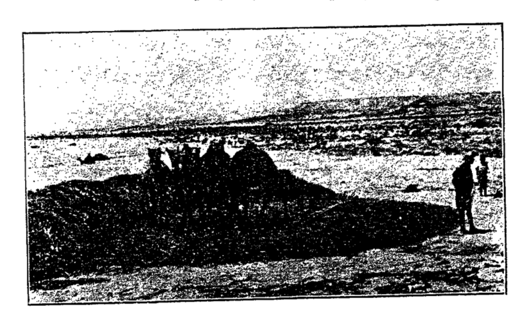
الفصل الرابع

في

﴿ زراعتهم ﴾

﴿ الفصول الزراعية ﴾ زراعة أهل سيناء كلها على المطر فاذا لم يقع مطر كافٍ حُرموا الزرع وقلّ الكلأ واشتد الكرب وهاجر الكثير منهم الى سوريا ومصر . واذا هطلت الأمطار غزيراً وسالت الأودية زرعوا القمح والشعير والذرة والدخان توًّا بعد المطر وزرعوا البطيخ في الصيف

واكثر المطر يقع في بلاد العريش واكثر الزراعة في جهاتها الشرقية وهي هناك بيد السواركة والترابين . واكثر زراعة أهل التيه في وادي العريش بيد التياها . وأما بلاد الطور فالزراعة فيها قليلة لقلة أراضيها الزراعية



شكل ٦١ : الابل تدرس الحنطة

﴿ الآلات الزراعية ﴾ وهم يفلحون الأرض بمحاريث كالمحاريث المصرية والشامية الأ أنها أصغر وأقصر يحرثون بها على الإبل . ويحصدون الزرع ويجمعونهُ في البيادر ويدرسونهُ بالنوارج وهذا قليل أو بالإبل وهو الغالب وذلك بأن يربطوا عدداً من الإبل بعضها برقاب بعض ويدورون بها على السنابل فتفعل فعل النوارج

وفي شمال بلاد العريش يستخدمون الحمير والبقر لدرس السنابل وقد رأيت رجلاً في جهة رفح يدرس الحنطة على جمل وحمار وبقرة مربوطة بعضها برقاب بعض في حبل واحد * وهم يذرون الحبوب المدروسة بالمذراة «ام خمس أصابع» كالمذراة المصرية

﴿ المطامير القمري والكور ﴾ ويخزنون حبوبهم في مطامير وهي حفر في الأرض على هيئة الجرة المصرية أي أنها تضيق عند فوهتها وتتسع كلما اتجهت الى الأسفل . ويجعلون اكداس التبن بجانب فم المطمورة للدلالة عليها ويغطونها بتراب المطمورة . أو يبنون أكواخاً من الحجر الغشيم والطين تدعى قرى م . قرية يخزنون فيها التبن والمحاريث والخيام والفِرَد ونحوها أو يخزنونها في حفر مربعة تحت الأرض على عمق قامة او اكثر . يجعلون لها في أحد جوانبها سلماً من الأرض ويسقفونها بأغصان الشجر والتراب تدعى كور م . كر

﴿ الاقيسة الزراعية ﴾ وأهم الاقيسة المستعملة في مسح أراضيهم الزراعية :

« المعناه » (ج . معاني) طولها في بلاد التيه ٥٠ خطوة بطول الوادي وفي بلاد العريش ٤٠ خطوة أو ٤٠ مترًا

« المارس » (ج . مُرس) وهو قطعة صغيرة من الوادي صالحة للزراعة تخترق الوادي من الجانب الواحد الى الجانب الآخر . واذا كان المارس كبيرًا سمي «المَزْرع»

﴿ حجج الأراضي ﴾ هذا وكل قطعة أرض صالحة للزراعة في سيناء لها مالك من أهلها ملكها بوضع اليد أو بالوراثة . ولكن ندر من بيده حجة مكتوبة في أرضهِ . لذلك فالبدو في خلاف مستمرّ بشأن حدود أراضيهم وملكيتها وقد طالما جرَّ الخلاف بينهم الى حرب . وقد بدأت الحكومة الحاضرة تسجل كل ما جدَّ من بيع أو شراء في الأراضي والعقار منعاً للمشاكل

وهذه صورة حجة من حججهم القديمة : « أنهُ في يوم الثلاثاء ٢٤ القعدة سنة ١٣١٩ أنا الواضع اسمي وختمي فيـهِ أدناه مصلح بن عودة بن حسين من عربان التياها العقفان قد بعت بيعاً شرعياً وأنا بالأوصاف المعتبرة شرعاً قطعة الارض التي برأس عودة « بالخفجة » بوادي العريش وقدرها ثلاث معاني ونصف اعني ١٧٥ خطوة بالوادي اتراج . وحدودها الأربعة من جهة الغرب وادي العريش ومن جهة الشرق الحمادة ومن القبلي اعني من فوق علي احمد ابو سلامة ومن الشمال أعني من تحت حسن حسين الجندي . وصارت قطعة الارض المبينة حدودها ملكاً الى محمد بن جمعة القاطن بنخل يتصرَّف فيها كيف يشاء وأنا قد استلمت ثمنها عدًّا ونقداً وقدره خمسة عشر جنيهاً مصريًّا بالوفا والتمام . والضامن على البيع ابراهيم بن حسن من عربان التياها . وقد أذنت لمن يشهد علي بذلك والله تعالى خير الشاهدين » ويليها امضاء البايع وستة شهود

الفصل الخامس
في
﴿ صناعتهم ﴾

أما الصناعة فيعرفون منها ما هو خليق بلوازمهم وأهمها :

﴿ غزل الصوف ﴾ وهو خاصّ بالنساء وقد تضع المرأة الصوف على رأسها والمغزل في يدها وتغزل وهي ماشية

﴿ الحياكة ﴾. وهي خاصة بالنساء فهنّ يحكن بيوت الشعر . والأغطية . والفرش . والغفور . والغراير أو الفراد . والاخراج . والمزاود . والمخالي . والمراير وغير ذلك من لوازم الخيام والأثاث والملبس . يحكنها من شعر المعزى وصوف الضأن ووبر الإبل . وقد رأيت بعض النسآء يحكن بيوت الشعر بأنوال بسيطة الى الغاية والنول عبارة عن عارضتين من خشب متقابلتين ومرفوعتين قليلاً عن الأرض بينهما « مدة »

نسيج من الصوف داخلة في « مشط » من التيل فتجلس المرأة الحائكة في طرف المدة وفي يدها قرن غزال تُدخل بهِ « اللّحمة » . والحياكة بهذا النول بطيئة جداً حتى ان المرأة تشتغل النهار بطولهِ فلا تحيك اكثر من مترين



شكل ٦٢ : بدوية تحيك على نولها والى يمينها بدوية على حضنها طفل

﴿ الصباغة ﴾ وهي من شغل نسائهم يصبغن خيوط الصوف التي تدخل في حياكة الأخراج ألواناً حمراً وخضراً وصفراً بمواد يستخرجنها من بعض الأعشاب البرية . وأمهر بدو سيناء في حياكة الأخراج نسآء التياها . وثمن الخرج جنيه أو اكثر

﴿ الخياطة والتطريز ﴾ ولا كثر نسائهم مهارة خاصة فيهما

﴿ عمل البارود ﴾ قالوا يأتون بالصفصاف من وادي العربة وبملح البارود من جهة حَسْما على يوم شرقي العقبة . ويشترون الكبريت من مصر او الشام . ويصنعون البارود على نسبة رطل من ملح البارود لأقة صفصاف وأوقية كبريت . وقد سألت خبيراً منهم عن كيفية صنعهِ فقال : تذيب ملح البارود بالماء بنسبة فنجان ملح لخمسة فناجين مآء . ثم تغليهِ على النار حتى يتبخر الماء كلهُ فتتركهُ الي أن ينشف . ثم تحرق

خشب الصفصاف في حفرة حتى يصير فحماً وتغطيهِ بالصاج ثم تجعل مزيجاً من ملح البارود المغلى وفحم الصفصاف على نسبة اثنين من الملح الى واحد من فحم الصفصاف . وتضيف الى المزيج من الكبريت سدس كمية فحم الصفصاف أو ثلث كمية ملح البارود . وتدق المزيج في جرن من خشب بيد من حجر حتى يتم مزجهُ فتجربهُ بتقريب شيء منهُ الى النار فاذا التهب فاعلم انهُ « طاب » والاّ فعد الى دقّهِ حتى يطيب . ثم تسقيهُ ماء وانت تدقهُ حتى يصير رطباً فتضعهُ على غربال وتدحرجهُ عليهِ ثم تضعهُ في قصعة وتشمسهُ حتى ينشف فاذا بهِ البارود الذي نستعملهُ

﴿ عمل الرصاص ﴾ وهم يشترون الرصاص من السويس ويسبكونهُ بقوالب عندهم

﴿ عمل الفحم ﴾ ويصنعون الفحم من خشب السيال والرَّتم والطرفا ويدخلونهُ في المتجر.[1] وأفضلهُ فحم السيال . ثم فحم الرَّتم . ثم فحم الطرفا . فحمل الجمل من فحم السيال بعشرين غرشاً صاغاً ومن الطرفا بعشرة غروش صاغ

﴿ الحراثة ﴾ وهم يحرثون الأرض على الابل بمحاريث كالمحاريث المصرية كما مرّ



شكل ٦٣ : الحراثة على الابل

﴿ البناء والنجارة واصلاح السلاح ﴾ ولأهل مدن سيناء معرفة في صناعة البناء والنجارة . ولبعضهم مهارة في اصلاح السيوف والبنادق يشتغلون بها في المدن والبادية

(١) كان الفحم يشكل مصدراً أساسيا لبدو وسط وجنوب سيناء، ويحصلون عليه من خلال قطع الأشجار الجبلية كأشجار نبات الآثل وغيره، وكانوا يتاجرون فيه ويستبدلونه في أسواق السويس بما يحتاجونه من سلع وحبوب. راجع، عباس عمار، المرجع السابق ص١٤١.

﴿ حجارة الرحى ﴾ ويصنعون في باديتهم حجارة الرحى فيأخذون منها كفايتهم ويدخلون ما يفيض عنهم في المتجر. ويستخرجون « القلي » من نبته ويتجرون بهِ

﴿ الصيد ﴾ ولبعض البدو مهارة في صيد التيتل والغزال والأرنب يصيدونها لأجل لحمها وجلدها وقرونها ويجعلون صيدها صناعة لهم. كذلك صيد الطير في بلاد العريش كما مرَّ. وكثيرون من أهل المدن والشطوط البحرية يصيدون السمك. وبعض سكان شواطي خليج العقبة يغوصون على اللؤلؤ. ولبعضهم معرفة في عمل الشباك

﴿ قص الأثر ﴾ هذا ولبدو سيناء مهارة عجيبة في قص الأثر. من ذلك أن « مصريًّا بن نابغ القراشي » حضر الى السويس بتجارة من الفيروز سنة ١٩٠٠ فباعها وقفل راجعاً بالثمن الى بلادهِ. وكان يرقبهُ في السويس سلام أبو سعيد من فرنجة مزينة فسبقهُ وكمن لهُ عند مطخّ النسر جنوبي عيون موسى حتى أقبل على هجينهِ فرماهُ برصاصة أصابت رأسهُ فخر قتيلاً. فجرهُ الى شاطئ البحر واعتقل هجينهُ بجانبهِ وتركهُ. فتفقدهُ قومهُ فوجدوهُ ميتاً بعد ستة أيام من الحادثة وجملهُ لا يزال معتقلاً بجانبهِ. فاقتفوا آثار أقدام القاتل فحكموا أنها آثار أقدام رجل من فرنجة مزينة فذهبوا الى الفرنجة وقالوا احضروا غريمنا لنثأر منهُ والاَّ فما بيننا الاَّ الحرب فأنكروا الجريمة أولاً ثم اعترف القاتل بها فقتلوهُ رمياً بالرصاص على رأسهِ كما قتل رجلهم وانطفأ الشر

الفصل السادس

في

﴿ تجارتهم ﴾

﴿ الابل والخيل والغنم ﴾ يعتني أهل سيناء بتربية الابل والخيل والغنم ويستولدونها ويتجرون بمواليدها الذكور. أما الخيل فلا يقتنيها الاَّ الرميلات والترابين في شرق بلاد العريش. وأما الابل والغنم فقنيــة أهل سيناء كلهم من بادية وحضر كما مرَّ. واكثر ابل سيناء في بلاد التيه عند التياها واللحيوات

وفي كل سنة يذهب تجار الحويطات من مصر الى بلاد التيه فيشترون مايفيض عن حاجة البدو أو يذهب البدو بهِ الى مصر ويبيعونهُ . وقد تقدم في فصل سابق ذكر الابل والخيل والغنم التي تمر بسيناء من سوريا والحجاز عن طرق العريش ونخل والنبك . واكثر التجار الذين يأتون بطريق نخل الى السويس أو الاسماعيلية هم عرب الوجه وضبا والمويلح والعقبة ومعان والكرك . والذين يأتون بطريق العريش الى القنطرة هم عرب عقيل . والذين يأتون بطريق النبك الى السويس هم حويطات مصر

﴿ الفيروز ﴾ ثم ان أعظم تجارة للبدو بعد الانعام « الفيروز » ولكن هذه التجارة يتفرَّد بها الطورة وحدهم لوجود معدن الفيروز في بلادهم . وكان يعدّنهُ قديماً « الحماضة » سادة البلاد الأصليون . ثم عدّنهُ سائر الطورة . ويبلغ عدد المشتغلين بهِ الآن نحو ٢٠٠ رجل ودخلهم نحو ٢٠٠٠ جنيه في السنة كما مرّ

وأغنى أهل سيناء تجار الفيروز القرارشة . وكان أغناهم المرحوم الشيخ موسى أبو نصير . قُدّرت ثروتهُ ب ٢٠٠٠ جنيه و ٣٠ ناقة حلوبة و ٢٠٠ رأس غنم . ويأتي بعده في الغنى ربيع بن جمعه وأخواه بُنيَّة وحمدان من القرارشة

﴿ حجارة الرَّحى ﴾ هذا وكانت تجارة حجارة الرَّحى قبل استعمال مصر لوابورات الطحن البخارية تجارة متسعة في سيناء وكان يشتغل بها على الأخص عرب مزينة في بلاد الطور وعرب البدارة في جنوب بلاد التيه . أما البدارة فيبيعونها في بلاد غزة الى اليوم . وأما مزينة فكانوا يبيعونها في مصر يحمّلونها على الإبل كل أربعة على جمل ويبيعونها الحجر بريال . وكانوا يبيعون ميئات من الأحمال في مديرية الشرقية ومصر القاهرة . وأما الآن فلايطلبها الاَّ تجار المغاربة يشترونها من السويس بكميات قليلة . وبذلك انقطع عن عرب مزينة رزق واسع

﴿ المَنّ ﴾ وأهل الطور يجمعون المنّ من شجر الطرفاء ويجعلونهُ في أحقاق صغيرة من صفيح ويبيعونهُ للسياح في السويس ومصر وللحجاج المسكوب في دير سيناء

﴿ العجوة ﴾ وفي أيام الصيف في موسم البلح يستخرجون النوى من البلح ويجعلون في مكانها قلوب اللوز ثم يجعلونها في أجربة صغيرة من جلد يسع الجراب

الواحد منها رطلاً أو نصف رطل ويبيعونها في السويس أو مصر القاهرة وغيرها

﴿ الغاب ﴾ ويجمعون الغاب أو القصب الذي ينبت لنفسهِ في أوديتهم ويبيعونهُ في مدينة الطور المانية بخمسة غروش صاغ

﴿ السمار ﴾ ويجمعون السمار الذي ينبت على العيون ويبيعونهُ في المدن لنسج الحصر

﴿ الحنظل ﴾ هذا وبعض بدو العريش يتجرون بالحنظل يجمعونهُ من صحاريهم المرملة ويبيعونهُ للصيادلة في المدن لإدخالهِ في المواد الطبية

ومما تقدم ترى أن أهم «موارد الرزق» لبدو سيناء هي: من تأجير الإبل للسياح والحجاج ورجال الحكومة وغيرهم . ومن صيد الأسماك والطير والتيتل والغزال ومن بيع الإبل والغنم والمعزى والصوف والسمن . ومن بيع الفيروز. وحجارة الرحي والفحم. والسمار. والغاب . والمن . والعجوة . والقلو. والحنظل. ومما يفيض عنهم من الفاكهة ومن الأنسجة الصوفية كالفراد والأخراج والمزاود والمخالي والمراير وغيرها

هذا وأهم ما يتطلبهُ بدو سيناء من مواد التجارة : الحبوب . والأقمشة القطنية . والأسلحة يشترونهـا من مدنهم أو من مدن مصر أو سوريا القريبة منهم كغزَّة والسويس والاسماعيلية والقنطرة وبور سعيد * وفي موسم الحصاد من مايو الى يوليو يذهب بعض تجـار العريش ببضائعهم وخيامهم ويسكنون بين العرب فيقايضون بضائعهم بالشعير والقمح والذرة والغنم والسمن * وآخر ما تصل اليه خيام العرايشية لجهة الجنوب جبل إخرم والمنبطح . والى جهة الشرق الجورة ورفح * وقد رأيت في اثناء سفري مع لجنة الحدود سنة ١٩٠٦ خياماً للعرائشية في وادي الجايفي. ووادي الصبحة. وبيرين . والمربَّعة . ورفح . ورأيت في خيامهم من الملبس والمأكل ما يأتي:

دفافي (م . دَفيَّة) وهي العباءة . ودبلان . وخام أبيض ومصبوغ . وخرز. وسبح. وأمشاط . ومرايات. ودخان. وغلايين. وقيود جمال من حديد . وصفن (ج . صفانة). وبراقع بيض وحمر . ومراير . وعمـائم . ووقايات لرؤوس النساء . وغرابيل . وزمامير. وسكاكين . وأمشاط . وبيوت للطبنجات. وصابون. وزيت وعسل. وتين . وعجوة . وسكر. وبن . وقمر الدين . وزبيب . وملبَّس وغيرها

الباب الثاني

في

﴿ أخلاق البدو وعاداتهم وخرافاتهم ﴾

الفصل الاول

في

﴿ أوصافهم الخَلقية ﴾

أشهر أوصاف البدو الخَلقية رشاقة القد وخفة الحركة وذكاء العيون وسمرة اللون وقلة شعر العارضين وقنا الانف . وبدو سيناء لا يخرجون عن هذه الأوصاف . والجمال في نسائهم قليل ولكنهُ يؤيد قول المتنبي :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية — وفي البداوة حسن غير مجلوب

الاَّ ان البدويات مولعن بوشم الشفاه ويعدُّونهُ من الجمال . وقد وصف الشيخ ضيف الله سالم شيخ الخناطلة اللحيوات الجمال في عرفهم فقال :

يا بنت ياللي هالعـة باللثـامِ — ياللي تحطي عَ الحنك حبر ووشام
يا للي تقولوا وصفنـا مطر شاني — حبّ البرد بيض الثنـايا ولو قام
مسهًى برمش العين رقد الحمام — وتقول موجوعاً على نعاس لو نام
وشعور مكفيّات عرجون زامِ — على الصدر مرخيَّات والصلب بحزام
ونهود رويانات والخد باني — وتقول فينـار يضوي بالظلام
وزراع زِ الصابونة واحسن مـداني — وسوار فضّه ما تشفوه غريان

وختوم مرصوصات والذبل باني	والصدر نوار الضحى يوم نديان
لاهي من البيض ولا مخضراني	وصف المعاني بالروا يوم عطشان
ولاهي مربوعة ولا في الطوالِ	قليلة الوصف بدو وحضران
لو سمتها بالمال تشري بغالِ	وان صبَّحت ما قلت يا حيف ندمان
لو هِفت لها بالعين ما قلت ثانِ	نجيب مطلوبك على فكر الاذهان
شمع العسل لو شمَّخنها رناني	قطف الزهر ما قلَّبها كل شفقان

وقال بعض شعرائهم في رقص الدحية :

يا عيونها اللي بدت لي	يا شبه غدير الصفيه
يا قرونها اللي بدت لي	يا حبال البيت العوديَّه
يا خشيمها اللي بدا لي	يا ضيق الخاتم وشويَّه
يا نهيدها اللي بدا لي	بيض الحمام الرقديَّه
يا صليبها اللي بدا لي	فتلة حرير ومطويَّه
يا ساقها اللي بدا لي	يلمع لميع الشبريَّه

الفصل الثاني

في

﴿ اخلاقهم ﴾

اشتهر البدو في كل زمان ومكان بحب الضيافة . والكرم . والغزو . والنجدة . والأخذ بالثار . ومراعاة الجار . وتعظيم الجميل . وتكريم الإبل . واحترام العرض . والوفاء بالعهود . والافتخار بالنسب . والشجاعة . وعلو الهمة . وبذل المعروف . والأنفة . وعزة النفس . وعدم احتمال الضيم . وكره التقيد بنظام . والجراءة في طلب الحق . والأريحية . وحب المساواة والحرية . والشورى في الشؤون العمومية

وترى أثر هذه الاخلاق كلها في بدو سيناء لكنِ ضعف حالهم وقلة عددهم

يفقدانهم رونق هذه الأخلاق فلا تراها رائعة متأصّلة فيهم كما في بدو مصر والشام وبدو التيه أعرق في البداوة من بدو الطور والعريش لكنهم ليسوا أكرم اخلاقاً ولا أطيب اعراقاً منهم ولست أذكر اخلاقهم هنا خلقاً خلقاً ولكني اذكر ما خبرتهُ بنفسي من تلك الاخلاق

﴿ الضيافة ﴾ وأول خلق رأيتهُ فيهم حب الضيافة فاذا أقبل الضيف انزلوهُ على الرحب والسعة وأضافوهُ بالتناوب الاّ اذا كان عزيزاً لديهم جميعاً فانهم لا يراعون النوبة ويتسابقون الى ضيافتهِ . فاذا اختلفوا في من يضيفهُ رفعوا الأمر الى كبير القوم وهو يسمّي المضيف وحكمهُ نافذ . وقد اتفق لنا في رجوعنا من دير طور سيناء في يناير سنة ١٩٠٥ اننا مررنا على مخيم الشيخ صالح شيخ قبيلة أولاد سعيد فاستقبلنا أهل المخيم واختلفوا في من يضيفنا وكان الشيخ موسى ابو نصير كبير مشايخ الطورة معنا . فرفعوا الأمر اليهِ فقضى بأن نكون ضيوف الشيخ صالح لأنهُ حضر معنا من الدير فذبح خروفاً وسلقهُ وطبخ بمرقهِ أرزاً وجعل الأرز في قصاع من خشب وجعل في كل قصعة بضع قطع من اللحم وفي قصاع أخرى أرغفة من الخبز . وكان قد حضر الى خيمة الضيوف جميع رجال المخيم فجلسوا حول القصاع فئاتٍ كل فئة حول قصعة . فأكل الجميع الا المضيف فانهُ بقي على خدمة الموائد الى أن فرغ الجميع فأكل ووزع ما بقي من الطعام على النساء فأكلن في خيامهن . والعادة ان كبير الضيوف يرسل من قصعتهِ نصيباً من اللحم الى راعية البيت اذ النساء لا يأكلن الا فضلات الرجال. ومما يذكر ان اليدين والرجلين ولحم الرقبة ولحم البطن لا تقدم على موائد الرجال بل تحفظ للنساء قالوا ويعدّ تقديمها على موائد الرجال اهانة لهم . وبعض العرب لا يحتفلون بالذبيحة الاّ اذا رأوا رأسها على المنسف ومنهم عربان ضبا والمويلح ولكن عربان سيناء يتركون الرأس للنساء ويجعلون الكبد على المناسف بدل الرأس

﴿ العداية ﴾ ومما يذكر عنهم في هذا الصدد ما يعرف « بالعداية » وهي ما يأخذهُ المضيف من غنم جاره لاكرام ضيفهِ . فاذا فاجأ البدوي ضيف ولم يكن عندهُ ما يضيفهُ بهِ فلهُ أن يأخذ رأساً من قطيع جارهِ سواء كان من قبيلتهِ أو من غير قبيلتهِ

ليذبحهُ للضيف . بل لهُ أن يعدو على قطيع جارهِ ولو كان الضان والمعزى ملء داره . بل لا يشترط أن تكون الذبيحة التي أخذها من قطيع جاره أليق للذبح مما عندهُ ولكن يشترط ردّ مثل الذبيحة في مدة أربعة عشر يوماً . ومن أمثالهم « الكرم سدّاد » . فاذا لم يرد المضيف العداية في هذه المدة حق للجار الوثاقة عليهِ أي الاغارة على غنمهِ وحجز ما أمكنهُ منها حتى يسترد العداية

ومن عادة المضيف أن يلطخ رقبة جمل ضيفهِ بدم الذبيحة حتى اذا ما جاء أحد يطلب الوثاقة منهُ لا يقرَب هذا الجمل احتراماً للضيافة

﴿ الاباء والحرية ﴾ ومن أجمل ما رأيت في أخلاقهم الاباء والحرية في القول والعمل : رأيت في بلدة نخل رجلاً من عامة البنيَّات التياها يدعى سلاَّم ابو عكيرش كان يخاطب حاكماً أعجبهُ حكمهُ فقال « أنت كبيري أنت راجل حق تخاف منك العرب . العرب جبابرة . الهيّن ما يحكمهم » . وخاطب حاكماً لم يعجبهُ حكمهُ فقال « أنا عارفك وكل الناس تقول أنك لا تصلح للحكم ووكيلك خير منك »

وحُكي عن هذا الرجل نفسهِ أنهُ استأجره بعض العسكر لجلب بعير لهُ من مرعى على عشرة أميال من نخل بأجرة ريال واحد فذهب في أثر للبعير فلقيهُ على نحو خمسة أميال من البلدة فأتى بهِ الى صاحبهِ وقال لهُ انهُ لقيهُ بمحل كذا فما استحق غير نصف الأجرة التي اشترطها لنفسهِ وأبى أن يأخذ الاَّ نصف الأجرة

واستأجره رجل من نخل لينظف لهُ أرضاً يريد زرعها على أن يدفع لهُ ريالاً مصريًّا فلما نظف الأرض وجد أن الشغل أيسر مما ظنهُ فقال لصاحب الأرض ان الشغل في أرضك لا يستحق ريالاً فخمسة عشر غرشاً تكفيهِ وأبى أخذ الزيادة

وترى البدوي يخاطب شيخهُ ويعاملهُ كأنهُ مثيل لهُ بلا تهيُّب ولا مداراة

﴿ الفروسية ﴾ وهم يعظمون الفارس الشجاع ويسقون أطفالهم من ريقهِ وذلك بأن يأخذ الفارس ريقهُ بحد السيف ويلقمهُ الولد أو يلقم الولدَ الريقَ رأساً في فمهِ

وهم يغنون في سيرهم الى القتال الاناشيد الحماسية ومن ذلك قولهم :

اللي يموت خليه يموت . خليه يزور المقبرة . يا بيض لا تحدّن عليه * وقولهم :

عيب على اللي ما يحضر المنايا ويشتري في سوقها ويبيع
والعز في ظهور الصفايا والعمر عند الله وديع

﴿ قتالهم ﴾ واذا أرادوا الغزو ركبوا الهجن وقصدوا العدو حتى يصلوا الى مقربة منهُ فيأتون خوراً أو منخفضاً من الأرض ويبرّكون الإبل ويعقلونها ويجعلون عندها بعضهم لحمايتها . ثم يتقدمون صفاً واحداً حتى اذا مارأوا العدو أطلقوا عليهِ نيرانهم فاذا فرغت النيران حملوا بالسيوف حملة صادقة فلا يعودون الاّ ظافرين أو منكسرين

وفارسهم في ساحة القتال يتكنى باسم اختهِ أو بنتهِ فيقول أنا أخو فلانة وأنا أبو فلانة وينادي « الذبح ! الذبح ! »

﴿ احترام العرض ﴾ وقصاص الزاني عندهم القتل. وأما زينه والتياها فيقبلون الفدية

﴿ الأخذ بالثار ﴾ وأهم ما اشتهر بهِ البدو وتحققتهُ في بادية سيناء الأخذ بالثار فما يموت لبدوي ثار مهما قلّ شأنهُ أو مهما طال عليهِ العهد . واذا مات قبل أن يثأر من خصمهِ خلّف الثار لابنهِ ولنسلهِ من بعدهِ . لكنهُ قد يعرف حقهُ ويتركهُ

حدثني القائمقام محمد بك كامل قومندان جزيرة سيناء سابقاً قال: اختصم موسى ابن نصار من عرب أولاد سعيد مع عيد بن محمد من عرب العليقات سنة ١٩٠٥ على جمالٍ ورفعا الأمر اليَّ فدافع موسى عن حقهِ بكل حماسة وشدة واقسم أن لا يرجع عن خصمهِ حتى يثبت حقهُ فلما قال الخصم لك عندي هذا الحق يا أبا فلان خمدت ناره وسكن جاشهُ وأجابهُ على الفور لقد تركتهُ لك

﴿ النجدة ﴾ ومن اكبر المعايب عندهم أن يفر الرجل من القتال أو يجبن عن نجدة رفيقهِ أو يسرق مطمورة جاره فمن فعل هذه الجرائم كلها أو واحدة منها احتقر ورذل ورفضت البنات زواجهُ . قالوا واذا دخل مجلساً ووُزّعت القهوة على الجلوس مدَّ الساقي يدهُ بالفنجان موهماً انهُ يقدم لهُ القهوة حتى اذا ما مدّ يده لتناول الفنجان كبّهُ الساقي في الأرض استخفافاً بهِ واحتقاراً لشأنهِ فينصرف من المجلس من غير أن ينبس ببنت شفة وفي غالب الأحيان يرحل الى بلاد لا يعرف أحد فيها بجنايتهِ

ومما يدل على مروءتهم وحبهم النجدة ما حكاه لي الشيخ ابراهيم أبو الجدائل

المار ذكره قال : « ان رجلاً من القرارشة يدعى حسن أبو نميرة استدان مني ١٢ بنتو فطالبتهُ مراراً فلم يفِها وفي كل مرة يعتذر بالعدم . فلما كانت سنة ١٩٠٠ ذهبت الى غوطة فيران في موسم البلح لتحصيل ديوني من العربان فوجدت حسن أبو نميرة هناك فطالبتهُ بالدين فاعتذر بالعدم كعادتهِ . فسألت قومهُ عن حالهِ فأقسموا أنهُ لا يملك شيئاً غير الثوب الذي عليهِ . فقلت لهم اذاً أنتم أهلهُ تفون دينهُ لاني أنا لم أقرضهُ مالاً الاَّ لقرابتهِ بكم . فقالوا ولكنا نحن لم نكفل لك دينهُ ولا سألناك أن تقرضهُ . قلت اذاً فاحسبوني واحداً منكم وتحمّلوا الخسارة معي . قالوا « المفرط أولى بالخسارة » . فلما ضاقت بي الحيل قلت أريد منكم شيئاً بدل مالي وهي أن تربطوا عِمَّتي هذه في رقبتهِ فأقوده بها من أول فيران الى آخره . قالوا ولأي شيء تفعل ذلك ؟ قلت أريد أن أقوده الى العوارمة لعلهم يفتدونهُ بوفاء دينهِ . فقالوا أنسمح بابن عمنا أن يُجرَّ كالخروف الى قبيلة أخرى ثم قام واحد منهم وقال عليَّ باثنين بنتو من دينهِ . فقام الحاج موسى أبو خشني وقال عليَّ بالدين كلهِ يا أبا الجدايل ووفَّاهُ عن آخره ! »

هـذا ومع تغلب هذه الأخلاق العالية في البدو فانك قد تجد فيهم الكذب والخداع والغدر والخيانة والجبن كسائر الناس خصوصاً اذا اختلطوا بالحضر !

ومن وصايا البدو التي تدل على أخلاقهم : —

احفظ وصـاتي يا ولد يوم بوصيك	وان شلتها تصبح كثير الربوحِ
أوصيك عن جارك وضيفك واللي يعانيك	تدرّ عليهم درّ حمرا مَسوحِ
أوصيك عن بنت اللاش لو كان تهنيك	يطلع ولدها مثـل طير شنوحِ
أوصيك خذ بنت سبع ولو كان يعاديك	يطلع ولدها مثـل صقر اللموحِ
ان غلَّقت البيبان يفتح ويعطيك	وان قضّيته حسب ما يروحِ

ومن وصاياهم : —

أوصيـك يا ولدي مبـارك	وحياة اللي كبيره غاب عنهُ
أوصيك عن واجب طنيبك	وسُّور الطُّمون يفـارقْنه
أوصيك عن سنّك سلاحك	تجيك أوقات ما تقـدر تسنّه

أوصيك عن حزب المخالف　　وسيُّور الديون يخلصنُّه
أبعد عن عدوك يوم يعاديك　　وان تابعك اضرب ه ضرب مافيه كنُّه

ومن أقوالهم في تكريم النسب :

إنسب وليدك إنسبه　　والنار من مقباسها
والعزّ في اوراك النسا　　اللي بعيد ساسها
والجري في رِبع النِضا (الإبل)　　والخيل في أسداسها

الفصل الثالث

في

﴿ عاداتهم ﴾

﴿ ١ . خيامهم وعرائشهم ﴾

﴿ الخيام ﴾ يسكن البدو في خيام من الشعر تحيكها النسآء ويبنونها على شكل ظهر الثور جاعلين أبوابها الى الشرق . وللخيمة المستوفاة تسعة أعمدة ثلاثة في الوسط وثلاثة في كل من الجنبين . أما عمد الوسط فهي « المِقدَم » في صدر الخيمة في الشرق . « والواسط » وهو أعلى العمد في الوسط . « والزافرة » في الغرب . وأما عمد كل من الجنبين فهي : « اليد والعامر والرِّجل »

هذا هو هيكل الخيمة يكبّرونهُ أو يصغّرونهُ حسب الاقتضآء . ثم يضعون فوق هذه الأعمدة السقف مولفاً من « شقاق » يحيكونها من شعر الماعز . ثم الاجناب وتدعى « الرواق » تحاك من وبر الإبل وصوف الغنم واكثرها من الصوف . ويجعلون في وسط الخيمة ستاراً يدعى « المَند » يمد من المِقدم الى الزافرة فيقسم الخيمة قسمين قسماً للنساء وقسماً للرجال ويحاك من الصوف او الوبر واكثرهُ من الصوف * وأما باب الخيمة فهو الوجه الشرقي كلهُ يترك مفتوحاً الاّ في أيام المطر

والبرد فانهُ يقفل * وتثبَّت جوانب الخيمة في الأرض بالاوتاد والحبال يشترونها من المدن او يجدلونها في باديتهم من نبت السمار



شكل ٦٤ : بعض الطورة في خيمة لهم

﴿ العرائش ﴾ وهم لا يسكنون الخيام الاَّ في الشتاء والربيع اتقآء المطر والبرد فاذا ارتفع المطر وزال البرد خبأوا خيامهم في « القرى » . وبنوا لأنفسهم اكواخاً من القش واغصان الشجر اتقاء الحرّ والرياح تدعى « عرائش ».[1]

﴿ ٢ . اثاثهم ﴾

وأهم أثاث خيامهم وعرائشهم :

« المنسف » وهو طبق مستدير واسع من الخشب يقدمون عليهِ الطعام للضيوف

« والباطية » وهي منسف صغير يستعملها رب العائلة الكبيرة

« والكرمية » أو الزَّلَفة أصغر من الباطية وتستعمل لعجن الدقيق وتقديم الطعام

« والهنابة » أصغر من الكرمية وأعمق جوفاً منها وتستعمل استعمال الكرمية

---

(١) كانت عرائش البدو تصنع من الحطب والجريد والخشب، وأدوات المنزل تتكون من قصعة وحصيرة وإبريق وجرة ماء وطاحون وحلة ومنخل وغربال وماجور للعجين، راجع، محكمة العريش، سجل ٣٢ أحكام، ١، وثيقة ١ بتاريخ ١٨٩٩ .

« والقدح » وهي آنية من خشب في شكل مربع مستطيل ولهـا يد وفم تستعمل لحلب الإبل وشرب الماء

« وحجارة الرّحى » يستعملونها لطحن الدقيق ويتجرون بها كما مر

« والغرابيل » لغربلة الحبوب وتنظيف الدقيق يشترونها من المدن

« والصاجات » من الحديد للخبز وعمل الارغفة

« والحلل النحاسية » للطبخ يشترونها بلا أغطية

« وعدة القهوة » وهي مؤلفة من : « المحماصة » وهي طاسة من الحديد يحمصون بها البن . « والهون » وهو هاون من الحجر أو الخشب أو الفخار يستخدمونهُ لسحن البن ومعهُ يد من خشب تعرف «بالسحّانة» . « والبكرج » وهو ابريق من نحاس لغلي القهوة . « والفناجين » وهي من الصيني الثخين واسعة الفم يشترونها من المدن ويستعملونها بلا صحون . «والصينية» من نحاس يشترونها من المدن أو من خشب وتصنع عندهم بيد من أصل الخشب

« والأغطية » ينسجونها من الوبر أو الصوف ويستعملونها كالألحفة

« والغُفور » (م . غَفرة) ينسجونهـا من الصوف المصبوغ أحمر وأخضر ويستعملونها أغطية أو يطوونها و يستعملونها وسائد

« والفُرُش » (م . فراش) يستعملونها كالبسط والسجاد

« والغرائر » (م . غرارة) أو « الفراد » (م . فِردة) وهي أكياس من الوبر أو الصوف أو الشعر لحفظ الحبوب وحملها

« والاخراج » وهي أهمّ أثاثهم ولا بد لهم منها في أسفارهم . يصنعونها من الصوف الابيض والملوّن أخضر وأصفر وأحمر و يصنعون لها شراريب من الصوف والشعر

« والمزاود » (م . مزوادة) تشبه فردة الخرج وتصنع مما يصنع منهُ الخرج وتستخدم في السفر لحمل الدقيق

« والمخالي » للخيل تصنع من الصوف أو الوبر

وكل هذه الانسجة الصوفية تحاك عندهم « بأنوال » بسيطة تقدم لنا وصفها

« والقرب » وهي آنية الماء المشهورة وتصنع من جلود المعزى وهي أفضل الآنية لتبريد المآء . واما في بلاد العريش الشرقية فيستخدمون اجرار الفخار السود بدل القرب يشترونها من غزة واستخدامهم للقرب قليل

«والمجارب»(م . مِجرابة) وهي اكياس للدخان تصنع من جلود الغزلان وجِداء المعز

« والغلايين » لشرب الدخان . أما عودها فيصنع من شجر الإِثل أو شجر الكرز يشترونهُ من السويس . وأما حجرها فيستخرجونهُ من جبل كتيفة بجوار يلك . أو من جبل العرف شرقي العقبة . وهم يعلقون في الغليون سلسلة وفيها مبرد يدعى « الابرة » لتنظيف الحجر . وملقط صغير يدعى « الماشة » لالتقاط الجمر

« وأسرجة الابل والخيل والحمير » ويعرف سرج الحمار عندهم بالبردعة . وسرج الفرس بالسرج . وسرج جمل الحمل « بالوتر أو الحويَّة » وسرج جمل الركوب « بالغبيط أو الشَّداد » . وللغبيط حزامان من الشعر وهما « البُطان » ويحزم مقدم بطن الجمل . « والحقَب » ويحزم موخر بطنهِ

وقد ورد في القرآن الكريم وصف مساكن البدو وأثاثهم وأمتعتهم بعبارة في منتهى الرقة والجزالة وهي : « وجعل لكم من جلود الانعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً لكم ومتاعاً الى حين »

﴿ ٣ . لبسهم وسلاحهم ﴾

﴿ لبس الرجال ﴾ ولبس البدو قميص قصيرة فوقها قميص طويلة من الخام أو البفتا تدعى «الثوب أبو اردان». سميت بذلك لطول ردنيها فان لابسها لو وقف وألقى يديهِ الى جنبيهِ يكاد ردنا ثوبهِ يمسان الأرض ولكنهما في الغالب يُعقَدان وراء الظهر

وقد يلبسون فوق الثوب ابو اردان « الكِبِر » وهو ثوب من البفتا كالقفطان . ويلبسون فوق الكل عباءة سودآء تدعى « دفّية » وهم يستعملونها لاغراض شتى .

وفي الشتاء يتردّون « بالفري » او « الجعدان » . أما الجعدان فمفردها الجاعد وهو جلد من الضان غير مدبوغ يلبس فوق الثوب مقلوباً حتى يكون صوفهُ لجهة الظهر

ويؤتي بطرف منهُ فوق الكتف الأيمن والطرف الآخر من تحت الأبط الايسر ويعقد الطرفان فوق الصدر . وأما الفري فهي الجعــدان مفصلة تفصيل السترة الافرنجية باكمام وأزرار

ثم ان اكثر الطورة يلبسون السراويل وأما سائر بدو الجزيرة فلبسهم للسراويل نادر

وكلهم يلبسون في أرجلهم « النعال » من جلد الحيوان ويلبس كبارهم الجزم أو البلغ المصرية يشترونها من غزة أو السويس

ويلبسون على رؤوسهم « العمامة والمريرة » فوق عراقية من وبر الإبل . الا بدو الطورة وأهل مدينة العريش فانهم يلبسون الطربوش المغربي فوق العراقية وعلى الطربوش عمامة من الشاش أو الحرير الملوّن . غير ان كثيرين من بادية العليقات ومزينة يلبسون العمامة والمريرة كبادية التيه والعريش أما العمامة فهي منديل أبيض من قطن. وأما المريرة فهي العقال من صوف الضان أو وبر الابل . وقد يلبسون فوق العمامة « كوفية » من حرير ملوّن او « شال » من الصوف الابيض ويعقدون الاثنين بالمريرة

﴿ سلاحهم ﴾ وكلهم يتحزمون بكُمُر يجعلون فيها نقودهم . أو بسيور من جلد ومنهم من يعلق بحزامهِ سكينة محدبة ذات حدين تدعى « الشِبْرِيَّة » يخيط قرابها بالحزام

﴿ سيوفهم ﴾ ولا بدَّ لكل منهم من سيف يحملهُ تحت ابطهِ الايسر . واكثر سيوفهم محدبة محلاة أغمادها بالفضة . وهي أنواع :

« العجميَّة » وهي سيوف مستقيمة ذات حدَّين كسيوف عرب السودان وهي من صنع العجم . وقد رأيت سيفاً من هذا النوع مع الحاج حمدان الزيت من القرارشة عليهِ كتابة هذا نصها : « لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . نصر من الله وفتح قريب »

« والدمشقيَّة او الشاكرية » وهي سيوف محدبة ذات حدين تأتي من الشام . وهي اجود الانواع

« والسليميَّة » واكثر سيوف بدو سيناء من هذا النوع وهي سيوف مستقيمة محنية من رأسها وهي اردأ الانواع واكثر سيوف بدو سيناء منها . قيل وتنسب الى السلطان سليم الفاتح العثماني

﴿ بنادقهم ﴾ ثم ان أكثر بدو سيناء يحملون البنادق مع السيوف. و بنادقهم أنواع:
« بنادق بالفتيلة » وهي أقدم الانواع يولعون الفتيلة قبل ارادة اطلاقها بقليل ويستخدمونها لصيد التيتل والنمر وغيره من الحيوانات الكاسرة
« و بنادق بالشطفة » اي بالقداحة والصوانة . وهي تلي البنادق بالفتيلة قدمية
« و بنادق بالكبسول » مفردة أو متومة ويقال للمتومة « بنادق بروحين »
« و بنادق رمنتون » ويقال ان في الجزيرة نحو ألف بندقية منها . التقطها البدو من ارض مصر بعد الثورة العرابية ولكنهم لا يحملونها في البنادر

و بعضهم يحمل « طبنجات » بالشطفة من الطرز القديم . او المسدسات المعروفة « بالريفلفر » * وهم يعلقون « الذخيرة » على الكتف اليسرى مدلاة من تحت الابط الايمن . «والصفن» على الكتف اليسرى مدلى من تحت الابط الايسر. اما الذخيرة فهي سير من جلد يشدون اليه مكاحل من قصب الغاب ملأى بالبارود وقرناً فيهِ المستحفظ من البارود . وأما الصفن فهو كيس مربع من جلد يجعلون فيهِ الدراهم والموسى والسكين والزناد والقداحة ورصاص البنادق وغيرها . وقد يحملون للرصاص صفناً خاصاً * واذا ساروا حملوا « الغلايين » بأيديهم « والمجارب » أو أكياس الدخان في أرساغهم . واذا ركبوا الإبل حملوا « المحاجن » (م . مِحْجَن) وهو قضيب معقوف الرأس. واذا ركبوا الخيل حملوا « الرماح » الطويلة كما مرّ
ويحمل رعاة الإبل « الدبوس » وهو عصاة قصيرة في رأسها كتلة

هذا في لبس أهل البادية وسلاحهم . وأما الحضر في مدنهم الثلاث فيلبسون القفاطين القطنية والحريرية والستر الافرنجية والطرابيش المغربية أو الاسلامبولية والأحذية الحمرآء والسودآء كعامة مدن مصر

وكلهم من عرب وحضر يحلقون شعور رؤوسهم ويدوّرون لحاهم ويهذّبون شواربهم . و بعضهم يتركون خصلة في قمة الرأس فيضفرونها ضفيرة واحدة أو أكثر تتدلّى تحت العراقي . وأكثر الطورة يحفون شواربهم من تحت الأنف

وكلهم يتختمون بخواتم من الفضة بفصوص من العقيق أو الفيروز أو حجر

الدم ويفضلون العقيق على الفيروز لأنهم يعتقدون أنهُ مانع للرعاف . وقد يتختمون بمحابس من النحاس . ولبسهم للذهب نادر

﴿ لبس النسآء ﴾ هذا في لبس الرجال . وأما النسآء فانهنَّ لا يلبسن الاَّ الثوب أبو اردان يشترونهُ مصبوغاً أزرق ثم يغمّقون لونهُ بصبغة من جزور النبات . ويتحزمن بحزام من شعر أسود أو أبيض يلففنهُ حول الخصر ثلاث لفاتٍ ويحكنهُ في البادية. وقد يلبسن فوقهُ حزاماً أحمر يسمى «السفيفة» تتدلّى منهُ شراريب عن الجنب الأيمن الى حد الركبة . ويلبسنَ في أرجلهنَّ النعال أو الأحذية الحمراء ولبسهنَّ للأحذية قليل

ونسآء بادية التيه والعريش يضفرن شعورهنَّ ضفائر يرخينها على الكتفين . وأما نسآء الطورة فانهنّ يضفرنَ شعور رؤوسهنّ ضفيرة واحدة بارزة فوق جباههنَّ وتدعى عندهم « بالقبلة » (انظر شكل٦٢) . وقد يعلقن في رأس القبلة خرزة زرقآء لرد العين الشريرة ويرخين على الصدر ضفيرة من كل صدغ وفي ذلك تغنّى شاعرهم فقال:

حَبّةَ عشيري سُكَّر ومنقّعـــــه بالكدلّه
والجدلة حوف الراية على النهـد منهلَّه
قِبلة عشيري سمرا بين الحواجب ظِلَّه

﴿ البرقع ﴾ وهنَّ يتبرقعنَ ببرقع كثيف يغطي الوجه كلهُ فلا يبقى ظاهراً منهُ الاّ العينان . وهو مؤلف من « ١ . الوقاة » وهي قطعة من نسيج قطني أسود اللون مطرزة بخيوط حريرية مختلفة الألوان تغطي الرأس والاذنين وتعقد بشريطتين تحت الذقن. «٢ . والبرقع بالذات» وهو قطعة مربعة مستطيلة من كريشة حمرآء أو صفرآء أو بيضاء مطرزة بخيوط حريرية ومزّينة بقطع صغيرة من النحاس أو الفضة أو الذهب مرصوصة صفوفاً عن جانبيهِ وأسفلهِ. يغطي الوجه من الأنف الى ما تحت الذقن وقد يصل الى الحزام. «٣ . والجبهة» وهي قطعة من نسيج البرقع تلبس على الجبهة فتغطيها وقد جعل لها حلقتان من الجنبين في كل جنب حلقة يتدلى منهما على الصدغين والكتف سلاسل من قطع النقود القديمة أو الودع تدعى الواحدة منها « شكة » . ثم يعقد بكل حلقة شريطتان شريطة تتدلى الى أسفل تربطها بالبرقع وشريطة تُرَدُّ الى

الورآء وتشدّ برفيقتها في مؤخر الرأس فتثبّت البرقع والوقاة معاً . ويتدلّى من وسط الجبهة شريطة أخرى تجيء فوق الأنف فتشد البرقع من الوسط . وبذلك أشبه برقع البدويات الشجرة التي تعلق بها الخرق تبركاً . ولعلهُ أقبح لبس للرأس استنبطهُ البشر الى اليوم . والظاهر ان القصد الأول من اختياره على هذا الشكل هو وقاية الوجه من لذع الشمس . ثم اضيفت اليهِ سلاسل الخرز والنقود للزينة

﴿ القُنعة ﴾ وتلبس النساء فوق البرقع وشاحاً أسود اللون يدعى « القنعة » يغطي الرأس والظهر . ويتلثمن بهِ عند مقابلة الرجال

﴿ الحُلَى ﴾ وهنَّ يعلقنَ في أعناقهنّ عقوداً من الخرز والسوميت والفضة . ويتختمن كالرجال بخواتم ضخمة من الفضة أو القصدير . ويلبسنَ أساور الفضة في أرساغهن وأساور الزجاج في زنودهن وحجول الفضة في أرجلهن. وهن لا يثقبن اذانهن بل يثقبن أنوفهن من جهة واحدة ويلبسنَ فيها الأشناف من فضة أو ذهب . أما نساء المدن فانهن يثقبن آذانهن ويلبسنَ فيها الأقراط كنساء الحضر

﴿ الوشم ﴾ وجميع نساء سيناء مغرمات بالوشم فيشمن الشفة السفلى وظاهر اليدين من ظهر الكف الى المعصم الى الكوع وقد يشمن الخد بدقة كرجل الطير . ورجال البادية تحب الوشم وتتغزل بهِ . التقى فارس بدوي ببدوية فعلق بها قلبهُ فانشدتهُ :

ولد يا راعي الشقرا   بتتلفت عـلامك
ان كان تريد الضيفة   أرْع العرب قدامك

فاجابها : والله ما اريد الضيفة   ودّي خضار وشامك

﴿ لبس الأولاد ﴾ أما الأولاد فانهم يُلبسونهم قميصاً مفتوح الصدر ويكحلون أعينهم ويتركونهم حفاة عراة الرأس الى أن يبلغوا سن الرشد

ومما يستحق الذكر أن لبس الرجال في بادية سيناء أبيض ما عدا العباءة . ولبس النساء مصبوغ أزرق . وأن لبس الأحجبة غير معروف عندهم . وهم يغسلون الثياب يبلها بالماء وضربها على حجر أملس أو يغسلونها بالقلو . وكثيرًا ما يغسلون أيديهم بورق القلو أو ورق الطرفاء . ولكن بدو سيناء في الغالب لا يعتنون بالنظافة وقد

يلبس البدوي الثوب جديداً فلا يغسلهُ بل قد لا يخلعهُ حتى يتهرَّأ . ومن أمثال النساء :

« جبت سبع صبيان وبنيَّة والميّ ما طاحت عليَّ »

ولكن هذا القول قد يصدق على الذين يعزُّ الماء في بلادهم

٤ . طعامهم

﴿ حبوب الطعام ﴾ وطعامهم الشعير والذرة والقمح والأرز والعدس والبلح . وأفخر الحبوب عندهم الأرز يشترونهُ من مصر ولكن اكثر أكلهم الشعير ثم الذرة ثم القمح ثم الأرز ثم البلح . وكثير منهم يأكل دقيق الشعير مخلوطاً بدقيق الذرة أو بدقيق القمح أو بكليهما ويسمونهُ « البغت »

﴿ الأرغفة والاقراص ﴾ وهم يطحنون الحبوب بالرّحى ويعجنون الدقيق بالباطية ويخبزونهُ فطيراً على الصاج أرغفة رقاقاً . أو يخبزونهُ على الجمر أقراصاً وهو أكلهم في السفر . وقد طالما رأيتهم في البادية يطحنون الحب بهاون من خشب لعدم وجود الرّحى ثم يعجنونهُ بقصعة صغيرة ويجعلونهُ قرصاً ثخيناً ويوقدون الحطب على الارض حتى يصير جمراً فيزيلون الجمر عن الرماد ويطمرون القرص في الرماد ثم يردُّون الجمر عليهِ الى أن يجفّ وجههُ الأوّل فيكشفونهُ ويقلبونهُ ويعيدون الرماد ثم الجمر عليهِ حتى يجفّ وجههُ الثاني فيقسمونهُ كسراً صغيرة ويأكلونهُ . وما يستغرق عمل القرص بهذه الطريقة اكثر من ساعة ويدعى « قرص الملّة »

﴿ الآدام ﴾ وهم يأكلون خبزهم بلا آدام أو بآدام من قمر الدين أو اللبن الحليب أو السمن أو الزيت أو الكِشك أو اللحم أو السمك . وكثيراً ما رأيت العرايشية في السفر جالسين حلقة حول قصعة من الطعام يأكلون بأيديهم الفتة من عيش الذرة وعليها من الآدام الكشك والزيت والبصل والثوم والفلفل . وأهل نخل يأكلون قرص الملّة بغموس من قمر الدين

﴿ أنواع الأطعمة ﴾ وللبدو في مخيماتهم أطعمة بسيطة الى الغاية متشابهة تركيباً وطبخاً وقوامها كلها أو اكثرها الحليب والسمن والدقيق والخبز وأشهرها :

« الجريشة » يجرشون القمح بحجر الرّحى حتى يصير برغلاً خشناً و يسلقونهُ جيداً ثم يسكبونهُ في قصاع و يصبون عليــهِ من الآدام اللبن أو السمن أو الزيت

« والعصيدة » يغلون الماَء في حلّة ويصبون عليهِ الدقيق شيئاً فشيئاً وهم يحركونهُ حتى يكون لهُ قوام فيصبونهُ في القصاع و يأكلونهُ أو يغلون اللبن الحليب بدل الماء وهو « التلبانة »

« والمطبوخة » يضعون فتات قرص الملة في الحليب و يغلونها في حلة حتى تنضج فيسكبونها في القصاع و يأكلونها بآدام من السمن الحار أو بلا آدام . وعلى نحو ذلك « البازينة . وأم جلة . والفطيرة . والمردودة »

« والدفينة » وهي فتة من الخبز أو مسلوق الارز بمرقة اللحم واللحم منثوراً قطعاً فوقها . واكثر اكل البدو القرص والعصيدة والجريشة . ومن أطعمة مدن سيناَء :

« الكُشَري » وهو طعام من الأرز والعدس مطبوخاً بالسمن أو الزيت

« والمفروكة » وهي نوع من الشعيرية تؤكل بالسمن والسكر

« الشوية » وللبدو طريقة حسنة في شواَء الضان أو الماعز وذلك انهم يبنون زرباً من الحجارة على هيئة كوخ صغير لهُ باب و يوقدون فيهِ الحطب حتى يصير جمراً . و يذبحون جدي الضان أو الماعز و يسلخون جلدهُ . ثم يبقرون بطنهُ و يستخرجون منهُ الامعاَء والكرش . ثم ينظفون الكرش و يلفّون بهِ الذبيحة و يضعونها في الزرب و يطمرونها بالجمر ثم يسدون باب الزرب و يتركونهُ نحو ساعة ويخرجونهُ فاذا بهِ شواَء لذيذ شهي للغاية

والبدو يستخدمون الملح ولكنهم لا يستخدمون البهارات في أطعمتهم . وأكلهم للخضر والفاكهة قليــل وكذلك اكلهم اللحم والسمك . وفي أيام الربيع ينبت في صحاريهم كثير من الاعشاب التي يأكلونها كما مرّ . وهم يأخذون أغصان الزقّوح والعليجان . والرُّبيّان . والشيح . والجرجير . والقرّيص . والزعتر و ينشفونها و يطحنونها بحجر الرحى و يمزجونها و يغمسون قرص الملة بها و يأكلونها « كالدقة »

﴿ ٥ . شرابهم ﴾

﴿ الماء واللبن ﴾ وشرابهم الماء ولبن الإبل والضأن والمعزى . ومن فضائلهم أن ليس لهم مسكر من أي نوع كان . وأكثر شربهم من ماء الآبار أو الينابيع ولكنهم لا يعتنون بنظافتها . واذا نزل المطر وجرى السيل شربوا من ماء الغدران

وهم يحفظون ماءهم بالقرب الاّ في بلاد العريش الشرقية فانهم يحفظونها في اجرار سوداء يشترونها من غزة . ويشربونها بالأقداح الخشبية أو من أفواه القرب والاجرار

﴿ الدخان ﴾ وكلهم مولعون بشرب الدخان يزرعونهُ في أرضهم أو يشترونهُ من الخارج ويُدخّنون بغلايين طويلة تبلغ نحو ٣٠ قيراطاً ولا يمضغون التبغ مضغاً كما في السودان . واذا عدم البدوي الدخان وعنَّ لهُ شربهُ تناول بعرة يابسة من بعر الابل وجعلها في غليونهِ ودخنها

﴿ القهوة ﴾ ثم أن ولعهم بالقهوة ليس بأقل من ولعهم بالدخان ولا يشربون القهوة الاّ مصنوعة في وقتها فتراهم أينما نزلوا أوقدوا النار وجلسوا حولها حلقة يدخّنون التبغ بغلايينهم وأتوا بعدة القهوة فحمصوا البن بالمحماصة ثم سحقوه بالهاون وعملوا القهوة وسكبوها في الفناجين ووزعوها على الحضور دوراً أو دورين أو اكثر على الترتيب مبتدئين من اليمين . وهم يشربونها صرفاً الاّ في الأفراح فانهم يشربونها بالسكر وربما مزجوها بحبهان أو قرنفل أو زنجبيل . وليس لهم عادة شرب الشاي لكن اذا قدم لهم شربوهُ واستعذبوهُ

ولعرب سيناء صبر على الجوع والعطش واذا جاع أحدهم ولم يجد طعاماً شد حجراً مستطيلاً على معدتهِ واحتمل الجوع بصبر غريب واكتفى بأكل العشب

ومن بات بلا عشا سمي «المَقْوي» . ومن لم يأكل طعام الصبح سمي «المَرْيوق»

قال شاعر لهم: ياكم ليلة بتنا مقاوي وصبّح غزير الحزام بدين

وقال آخر: والله لاعلمك ماني عليك جاحد اليوم مريوق والبارح رغيف واحد

٦ . سلامهم ومجالسهم



شكل ٦٥ : بدوية تسلم على بدوي من أقاربها

اذا التقى بدوي ببدوية من أقاربهِ أحنى لها رأسهُ فتقبلهُ في جبينهِ وتصافحهُ

واذا دخل بدوي على صديق لهُ في مجلس وقف لهُ وصافحهُ ثم أدنى رأسهُ من رأسهِ حتى يمس حاجبهُ الأيمن حاجب صديقهِ الأيمن ويشرع يقبلهُ في الهواء . ثم يجلسان في الأرض ويدور بينهما السلام الآتي أو نحوه :

سلامات يا فلان	الله يسلمك
سلامات	الله يبقيك
كيف أنت عساك طيب	واللهِ نحمد الله طيب بخير
كيف عيالك	طيبين بخير في أمان الله
كيف الربيع	نحمد الله زينه
الزرع كيفنه	خصاب الحمدلله . يعوّض بذاره . شراقي بطال

واذا التقى صديقان في الطريق دار بينهما السلام الآتي أو نحوه :

السلام عليك	مرحباً
الله يمسيك بالخير	الله يمسيك بالخير والرضى
العوافي يا فلان	الله يعافيك
القوة يا فلان	الله يقويك . الله يزيدك قوة

وعند الوداع يقول لهُ : أودعتك الله . فيجيبهُ في عقد الله . الله يسهل عليك . فالك حسن

ومن أغرب ما رأيت من عاداتهم أنهم اذا قابلوا حاكماً أو كبيراً لا يعرفونهُ رفع الواحد منهم يده مبسوطة وضربها في الهواء مرتين اشارة الى السلام

واذا اجتمع البدو في مجلس قعدوا مربعين على الأرض أو على الفرش . وقد يجلسون ركعاً على الركب كركوعهم للصلاة أو يجلسون على ركبة واحدة

أما النساء فلا يجلسن في مجالس الرجال ولا يعقدن مجالس بينهنَّ كالرجال بل تزور البدوية جارتها وقتاً قصيراً ثم تعود الى خيمتها

واذا كانت المرأة راكبة ومرت بمجلس رجال ترجلت ومشت على قدميها . وهي اذا ركبت الإبل لا تركب على الغبيط بل تركب على صلب الجمل وأما اذا ركبت الحمير ركبت ركوب الرجال

﴿ ٧ . البدوي في مخيمه ﴾

يطلب العرب المرعى في أيام القيظ بيتين بيتين أو ثلاثة ثلاثة . فمتى جاء الربيع اجتمعوا أفخاذاً في الجهات التي يكثر فيها الكلأ وجعل كل فخذ منهم مخيمهُ صفاً واحداً وفتحوا أبواب خيامهم للشرق وجعلوا أمامها أنعامهم . وقد وصف لي أحد مشائخهم معيشتهُ في مخيمهِ قال :

« نقوم كل يوم عند مطلع الشمس فيذهب الرعاة بالإبل والأغنام الى المراعي: الشبان لرعي الإبل والشابات والفتيان لرعي الاغنام وتبقى النساء في البيت لتحضير

١ . تجاه صفحة ٣٨٤

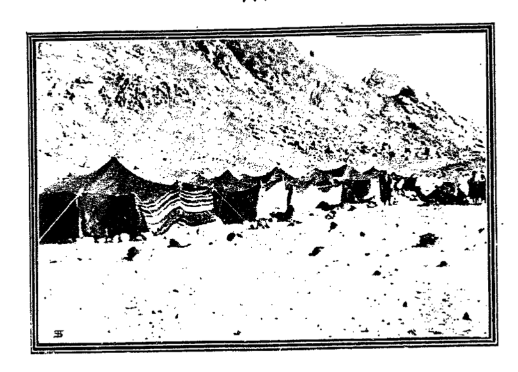


شكل خاص ٥ : الجنرال السير رجينولد ونجت باشا
سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام الحالي . ومدير المخابرات سابقاً

٢ . تجاه صفحة ٣٨٤



شكل خاص ٦ : السير اسماعيل سري باشا
وزير الحربية والبحرية و الأشغال الحالي



شكل ٦٦ : مخيم بعض معدني الفيروز في وادي المغارة

الطعام . ويجتمع باقي رجال المخيم في خيمتي يأتون من الصبح ومع كل منهم حفنة من البن فنوقد النار ونصنع قرص الملة ونأكله . ثم نعمل القهوة ونشربها معاً ونجلس نتحدث في شؤوننا الخاصة وأكثرها عن الإبل والغزوات السابقة واللاحقة . أو نلعب السيجة المعروفة في مصر وليس عندنا من الألعاب غيرها . أو نغني على الربابة ونشرب الدخان الى الضحى. فينصرف كل منا الى خيامه فيجد طعام الظهر قد أعد له فيتغدى ويرجع الى المجلس فنتحدث أو ننام أو نلعب السيجة الى العصر فنصنع القهوة ونشربها ونعود الى التحدث أو اللعب الى الغروب اذ تعود الابل والأغنام من مراعيها ويكون طعام العشاء قد أعد فيذهب كل منا الى خيامه فيشاهد ماله ويتعشى ثم يعود الى المجلس فيبقى الى وقت العشا ثم ينصرف كل منا الى منامه . الاّ اذا كان عندنا فرح فنلعب الدحية أو السامر الى نصف الليل أو أكثر وهكذا . فنحن نأكل ثلاث وجبات في النهـــار : « الفطور » عند طلوع الشمس . « والغذاء » عند الظهر . « والعشاء » عند الغروب » أما الرعاة فيأكلون وجبتين : « الفطور » قبل قيامهم للمرعى. « والعشاء » في الغروب بعد رجوعهم بالسائمة . وقد يضطر الراعى في بعض

الاحايين أن يبيت وحده في الخلا فيأكل قرص الملة ويشرب من لبن الإبل . ومن ذلك قولنا فيهِ :

« يا واكل قرص الملة . يا شارب ابن أم قردان . يابايت في الخلا وحده »

هذه حالنا في الربيع . وأما في الشتاء فاذا نزل المطر وارتوت الأودية اهتم الناس بالزرع ثم بالحصاد . وبعد حصد الزرع يكون النخيل قد نضج ثمره وآن وقت جمعهِ فيذهب كل من كان لهُ نخيل الى الطور أو فيران أو قطية أو العريش فيبقون هناك الى أن يجمعوا التمر ثم يتفرقون الى مصالحهم »

وقد دعاني الشيخ سليمان معيوف شيخ الرميلات الى مخيمهِ شرقي الشيخ زويد في ربيع سنة ١٩٠٦ فقبلت الدعوة لأزداد علماً بأحوال البدو فاستقبلني مع جماعة من فرسانهِ في ظاهر المخيم ثم أخذني الى خيمة قد فرشت بالبسط وجعلت فيها الغفور كالمساند وكان الوقت قرب الغروب وقد اجتمع من العربان نحو مئة رجل فيهم ٢٠ فارساً فأخذ الفرسان يتسابقون على الخيل أمام الخيمة والنساء يزغردنَ لهم نحو نصف ساعة . ثم أوقدوا النار وعملوا القهوة وقدموها للحاضرين

ثم قُدِّم الطعام في منسفين كبيرين : منسف فيهِ الأرز مسلوقاً يسع ١٢ شخصاً وآخر فيهِ الخبز وقطع اللحم . فأخذ المضيف يقسم اللحم والخبز على الحضور ويدعوهم الى منسف الأرز فدعا أولاً ١٢ شخصاً من كبارهم فأكلوا ثم قاموا وأتى ١٢ شخصاً غيرهم حتى أكل الكل . فقعد المضيف هو وأولاده وأكلوا ما بقي

وكان بين الحاضرين شاعران من الرميلات وهما: سلاّم سليمان من السنئة وفرج أبو سليمان عبد لعيد بن عبيدالله من البُسوم فما انتهوا من الطعام حتى بدأوا الرقص والغناء فلعبوا السامر والمشرقية والدحية وارتجل الشاعران في ذلك أقوالاً ذكر بعضها في باب الشعر والغناء . وكان كلما سر الجمع قول شاعر رماهُ واحد منهم بكوفيتهِ وتركها لهُ هبة حسب عادتهم

﴿ ٨. البدوي في السفر ﴾

أحبُّ شيءٍ الى البدوي الغزو والسفر على حدّ قولهم :

أَشرطُ البداوةِ كل يومٍ مغزًى   وعزُّ البداوةِ كل يوم رحيل

واذا عزم البدوي على السفر أحضر الجمل والماء والدقيق والدخان والقهوة . فاذا نزل في مكان عقل جملهُ وتركهُ يرعى ثم أوقد النار وشرب الدخان والقهوة وعمل قرص الملة . وقد بعثنا مرة رسولاً على قدميهِ فحمل مخلاة من الدقيق على ظهرهِ وقربة ماء في يده وسار ماشياً ولسان حالهِ ينادي :

يا أكحل العين وبلادك نويناها   الزاد مطحون والقربة مليناها

﴿ ٩. أفراحهم ﴾

﴿ الزَّواج بين الأقارب ﴾ وبدو سيناء كسائر البدو يحبون الزواج الباكر والزواج بين الاقارب . وسن الزواج عندهم سن البلوغ . وأقرب قريبات الرجل التي يحل لهُ زواجها بنت العم . فاذا بلغ الرجل تخيَّر واحدة من بنات عمهِ أو من بنات قبيلتهِ وقلما مال الى غيرهنَّ . واذا مال تخير من الانساب كفوءًا لهُ فان احترام البدو للنسب عظيم

والرجل يخطب البنت من أبيها أو وليها رأساً بلا واسطة أو بواسطة أبيهِ . وأما البنت فاذا كانت بكراً فلا يؤخذ رأيها في خاطبها بل لا بد لها من الرضى بمن رضيَ بهِ أبوها أو وليها . واذا كانت ثيّباً فلا بد من سؤالها ورضاها بمن تقدم لها

﴿ المهر ﴾ ومهر بنت العم من جمل الى خمسة جمال . ومهر الأجنبية من خمسة جمال الى عشرين جملاً . ومهر بنت العم في اصطلاح النجمات اللحيوات : « لِبني ومربوط وجنيهان »

﴿ القصَلة ﴾ واذا رضي أب البنت أو وليها بالخاطب أخذ غصناً أخضر وناولهُ اياهُ وقال : « هذه قصلة فلانة بسنّة الله ورسولهِ . إثمها وخطيتها في رقبتك من

الجوع والعري ومن أي شيء نفسها فيهِ وأنت تقدر عليهِ » . فيتناول الخاطب القصلة ويقول « قبلتها زوجة لي بسنّة الله ورسولهِ »[1] .

﴿ البرْزة ﴾ ومتى أخذ الخاطب قصلة عروسهِ نصب لهُ أهلهُ خيمة على نحو ٥٠ متراً من خيامهم تدعى « البرْزة » وزفوا اليها العروسة بالغنآء والزراغيد . ومن غنائهنَّ في هذا المقام للعروس : « عروس مباركة . وكعيبها أخضر » . وللعريس : « طبنجاته باذنجان وسيفهُ عجُّره محنية »

واذا كان مخيم أهل العريس بعيداً عن مخيم أهل العروس ذهب العريس مع بعض أهلهِ واحضروا العروسة الى مخيمهم وأدخلوها « البرْزة » . وأدخلوا معها أقرب قريباتها . وأما سائر النسآء فيجلسن خارج البرزة مع الرجال

﴿ النقوط ﴾ وأقارب العريس يقدمون لهُ الهدايا من الغنم والقمح والدراهم على سبيل « النقوط » . وهي دين عليهِ لا بد لهُ من وفائهِ فاذا لم يفهِ من نفسهِ طولب بهِ

﴿ الذبائح ﴾ ويذبح أهل العريس الذبائح من الغنم لأهل الفرح عند باب البرْزة على زراغيد النسآء . ثم يطبخون أصناف الاطعمة المحبوبة عندهم فيأكلون ويشربون القهوة . ثم يبعدون قليلاً عن البرْزة ويلعبون الدحية والسامر الى ما بعد نصف الليل .

﴿ شهر العسل ﴾ وفي اثناء اللعب تخرج النسآء من البرْزة فيدخل العريس على عروسهِ ويمكث معها في البرْزة من يوم الى ثلاثة أيام . والعادة عندهم ان العروس تفر من البرْزة قبل مضي ثلاثة الايام الاولى ويتبعها العريس ويقيم معها في الخلآء بعيداً عن مخيم قومهِ ، وأهلهُ يرسلون لهما الطعام مدة أسبوع الى شهر . وفي أثنآء ذلك ينصبون لهما خيمة بجانب خيامهم ويفرشونها بالفرش والنغفور وغيرها ثم يذهب احدهم ويأتي بهما الى منزلهما الجديد

والمرأة لا تأكل مع زوجها على مائدة واحدة حياء ولا تناديهِ باسمهِ بل تكنيه باسم ولدهِ البكر ذكراً كان أو أنثى فتقول «يا أبا فلان أو يا أبا فلانة» . واذا لم يكن لهُ ولد كنّتهُ باسم أبيهِ . وتحلف المرأة برأس أبيها لا برأس زوجها وبذراع ولدها فتقول: « من رأس أبي » أو « من ذراع ولدي » أو تقول « وحياة ضعوفي » أي أولادي

(١) كانت هذه العادة تسبب مشكلات اجتماعية يظهر أثرها في الوثائق، حيث يتفق ولي أمر البنت مع الخاطب بدون علمها في أكثر الأحيان، وتفاجئ البنت بمن يطلبها لاصطحابه إلى بيت الزوجية. راجع، سجلات محكمة العريش، سجل ٧ جـ٢ سندات شرعية، ص١، وثيقة١ بتاريخ ١٨٨٤، وصبري العدل، المرجع السابق، ص٣٢٤.

﴿الصبي والبنت﴾ وأهل البادية كأهل الحضر يفرحون للصبي ويتكدرون للبنت . وليس عندهم مولّدات بل المرأة تولّد نفسها أو تولّدها أقرب قريباتها. وقد تلد البدوية وهي سائرة في الطريق ولا رفيق معها فتلف ولدها « بمِزْفرٍ » وتستطرد السير الى أن تصل أهلها

أما « المِزْفر » فهو خرقة مربعة مستطيلة من شعر يشدّ الى كل من طرفيها « عودٌ » ويعقد الطرفان بحبل فاذا سارت الوالدة جعلت ولدها بالمزفر وعلقتهُ برأسها

اخبرني محمد النخلاوي قال : « إنهُ كان في قلعة النويبع ومعهُ امرأتهُ البدوية واثنتان من قريباتهِ وكانت امرأتهُ حاملاً فخرجت ليلة الى شاطئ البحر ولم تغب نصف ساعة حتى عادت والولد في كمها ودخلت البيت فنامت الى صباح اليوم التالي فقامت ووضعت الولد في المزفر وسرحت في غنمها »

﴿تسمية الأولاد﴾ وهم يختنون الأولاد ويسمونهم قبل ختانهم

﴿البدوية والحضر﴾ على أن بنات البدو يأنفن التزوج بالحضر حبًّا بالبداوة وحريتها . اخبرني حضريٌّ تزوج ببدوية من بنات اللحيوات وبنى لها عليّة في نخل فكانت تملّ من الاقامة في الحضر وتقول لهُ « بحياة والدك يا أبا محمد تطلقني أسرح في الخلا » فتذهب الى أهلها وتقيم عندهم أياماً ثم تعود اليهِ . ولكن اكثر رجال نخل الذين يتزوجون من بنات البدو يتركونهنّ في البادية لرعي أغنامهم

ومن البدويات من لا يمكن اقناعهن بالتزوج بالحضر في أي حال كان : أعطى سلامة جمعة من اللحيوات الخناطلة قصلة بنتهِ البكر الى شمس اسماعيل من أهالي نخل وأخذ مهرها منهُ بدون أن يسألها على عادة الأب في تزويج بنتهِ البكر . فلما جاءوا يزفونها اليهِ فرّت منهم ولم تدخل البرزة فالحقوها وحملوها على جمل وأدخلوها البرزة بالرغم عنها فأُغمي عليها . ولما أفاقت قالت لو قُطّعت ارباً ما اتزوج حضريًّا. ثم غافلتهم وفرت الى الجبال وكان ذلك سنة ١٩٠٥ . وفي شرع العرب أنهُ اذا بقيت البنت مصرَّة على رفض زوجها سنة بطولها حلَّ للقاضي طلاقها . فما زالت هذه البنت تفر من جبل الى جبل حتى مضت السنة . وسمعت بأن مدير المخابرات المشرف على حكومة

سيناء في رفح فجاءت اليهِ متظلمة وقالت: « ان كان الحضري قد تزوجني بسنَّة العرب فقد مضى على زواجي بهِ السنة وأنا لا اريده فوجب عليـهِ طلاقي بشرع العرب . وان كان قد تزوجني بالشرع الشريف فكان الواجب على أبي أن يسألني قبل أن يرضى بهِ وأبي لم يسألني وعليهِ فأنا طالقة منهُ على الحالين » قلتُ لها « أراكِ قد نفرتِ من الرجل قبل اختباره فلربما لو خبرتهِ كان أصلح لك من كل بدوي خصوصاً وأنهُ يحبك حبًّا جمًّا وهو رجل ذو يسار يريحك من رعي الأغنام وشظف العيش في البادية . فأجابتني بنحو ما أجابت بهِ أختها البدوية منذ أجيال :

« لبيت تخفق الأرياح فيهِ أحب اليَّ من قصر منيف »

وقد علمت من بعض ذويها أنها علقت بحب ابن عمّ لها فبعثها مدير المخابرات بكتاب الى قاضي نخل لتحقيق أمرها وعدم اجبارها على الزواج بمن لا تحب. فحكم القاضي بطلاقها وتزوجت بابن عمها

﴿ واجبات الزوجين ﴾ ولكل من الزوجين واجبات قررتها العادات والتقاليد أما الزوجة فعليها غزل الشعر والصوف . وحياكة الخيام والأخراج والغرائر والفُرش . وجلب الماء من الآبار والعيون والحطب من الأودية . وطحن الحبوب . والعجن . والخبز . وحلب الإبل والأغنام . والخض (استخراج الزبدة من اللبن) ورعي الأغنام عند الاقتضاء

وأما واجب الزوج فهو رعي الإبل وجلب الغلال والغنم وأحجار الرحى والفحم والغربال والصاج والحمار . ومن الثياب على قدر الطاقة . فاذا قصَّر أحدهما بشيءٍ من واجباتهِ نحو رفيقهِ ألزمهُ « العقبي » بهِ كما سيجيءُ

قالوا وأحبُّ خصال المرأة عند البدو الخصال التي اشتهرت بها وضحة زوجة نمر بن عدوان من قبيلة العدوان ببر الحجاز وهي :

«انها لم تكن تنام قبل رجوع زوجها الى منزله . ولم تكن توليهِ ظهرها ما دامت في حضرتهِ بل كانت اذا أحبت الانصراف تولّيهِ وجهها وترجع القهقرى . ولم تكن تقترض شيئاً من جارتها مهما اشتدت حاجتها اليـهِ . ولم تكن تحضر السامر ولا

الدحية . وما قالت لزوجها « لا » طول عمرها بل كانت تطيعهُ بكل أمر . وما زارت أهلهـا قط الا برأيهِ وارادتهِ . وما استطاع أحد من الطائشين أن يراودها » . قالوا وكان زوجها يحبها حبًّا جمًّا فلما ماتت شقَّ عليهِ دفنها في التراب فأنشد يقول : —

كيف العزاء والصبر ياحج يا سليم	في الصاحب اللي ما مشى في نكدها
الله ما اصبرني صبرت أمس واليوم	والصبر مرمرني وريقي عقـدها
ولئن خيروني بين بدو وحضران	لاختـار وضحة نور عيني وحدهـا
لئن جئت زعلان انّها تسلّيك	مثـل الشفوق اللي تلاله ولدهـا
وان سمعت السمّار ما بين فريقين	ما شقّت الفرقان تذرع بيـدها
ولا عمرهـا رافقت كل شمشول	ولا عمر أبو العملات كبَّر جهدهـا
سايق عليـك الله يا حافر الأساس	لو انك توسع لهـا في لحدهـا

﴿ حكاية قوت وفُهَيد ﴾ وعند نزولنا في عرب أولاد سعيد سنة ١٩٠٥ طلبتُ من أحدهم أن يقص علينا حكاية من حكاياتهم فقصَّ علينا رواية « قوت وفهيد » قال : كان في احدى قبائل نجد فارس مشهور بالشهامة والاقدام يدعى « فهيداً » . وكان في قبيلة أخرى تجاورها غادة مشهورة بالفصاحة والجمال تدعى « قوتاً » فكان كلما التقى فهيد برجل وجرى ذكر النساء يقول لهُ لا يصلح لك زوجة غير قوت . وكذلك كلما إلتقت قوت بامرأة وجرى ذكر الرجال تقول لها لا يصلح لك زوج غير فهيد . ولم تكن قوت تعرف فهيداً ولا فهيد يعرفها . فتولد في قلب كل منهما حبٌّ للآخر وشوقٌ لرؤيتهِ . «والأذن تعشق قبل العين أحياناً »

وكان لقوت جارية تعرف مورد فهيد فأخذت جاريتها وأتت بها اليهِ . فاتفق ان فهيداً لم يرد الماء في ذلك اليوم ولكن وردها أخوه وهو فتىً صغير فتقدمت اليهِ قوت وقالت لهُ أأنت شقيق فهيد الفارس المشهور قال نعم فدنت منهُ وقبّلتهُ قبلة وقالت : «هذه لك» . ثم قبلتهُ قبلة ثانية وقالت: «هذه لأخيك فهيد » وعادت الى قبيلتها . فذهب الولد وأخبر أخاه بما كان فاشتعل اذ ذاك فهيد حبًّا وأخذ يسعى الى رؤية قوت والاجتماع بها فلبس لبس راعٍ ودخل قبيلة قوت وقال فقدت «ناقة» لي

وجئتُ أفتش عليها بين نياقكم. فقالوا هذه إبلنا ففتش على ناقتك بينها . فدخل فهيد بين الإبل وكانت قوت هناك فلما رآها لم يشك انها هي لفرط جمالها ورشاقة قدها. فتقدم اليها وحيّاها بأبيات جميلة فعرفت انهُ فهيد فردت عليهِ التحية شعراً أحسن رد. وخاف فهيد اذا أطال المكث ان ينكشف سرُّهُ فودعها مرغماً و بعث يخطبها من أبيها بأي مهر شاء . وكان لقوت ابن عم لها يريد الاقتران بها وكان أبوها راضياً بهِ فرفض طلب فهيد ولكنهُ خاف بطشهُ فنقض خيانهُ وسار راحلاً الى أرض بعيدة . فركب فهيد فرسهُ ولحق بالقوم وأخذ منهم قوت عنوةً وهي في هودج على جملها وسار بها قاصداً قومهُ . وفي الطريق قالت قوت أخاف يا فهيد اذا تزوجتني على الرغم من أهلي أن يعير العرب اولادنا بأنهم أولاد « قلاعة ». فالرأي أن تردني الى أهلي وتسوق « الجاهة » الى أبي فيزوجك برضاه وأنا أعدك وعد حب صادق اني لن أرضى بأحد غيرك قريناً لي . فاقتنع بوجاهة رأيها وردها الى أهلها . فلما دخل الظعن رماه عمها وطفان برمحهِ غدراً فقتلهُ . فحزنت عليهِ قوت حزناً شديداً ثم أخذت تندبهُ وترثيهِ بالأشعار وقد انقطعت عن الطعام والشراب الى ان ماتت . ومن قولها فيهِ :

يا طيور حومه يا طوال الصناقير	اوصيكم عن فهيد لا تنقدنّه
يا كم عودة طوّح لها الرمح تطويح	واعطى اللحم لعشوشكم تنقلنّه

ومنهُ :

يا عمي يا وطفان ما بي خلافِ	وابكي صبيًّا يدفق السمن يمناه
يا عمي يا وطفان ما بي خلافِ	وابكي صبيًّا يذعر الخيل طرياه
يا ونّتي ونّة ثلاث الهراسف	اللي جلود حيرانهم مبوّاه
يا ونتي ونة عجوز كبيرة	وشافت ولدها سُبّق الخيل تنحاه
يا ونتي ونة شايب على الدار	والبدو شايل عنهُ وخلّاه
يا ونّتي ونّ طير الخلا لو آنطاح	والدم من كل الجوال يبراه
يا ونّتي ونّ الظمايا على البير	وحيضان يُبّس وصفيهن تلاظاه
بالله تجيبوا مفرشي واللحاف	وهاتوا هُوَيه الزّمل مشيه مداناه

﴿ ٩ . ختان الأولاد ﴾

وهم يختنون أولادهم صبياناً وبناتاً : البنات في سن الثامنة الى العاشرة . والصبيان في سن السادسة الى الثانية عشرة . أما البنات فختان السُنَّة (لا ختان فرعون) ويختنهن أمهاتهن أو قريباتهنّ أو نساء الغجر الماهرات بهذه الصناعة وذلك على انفراد بلا احتفال . وأما الصبيان فيحتفل بختانهم احتفالاً اعظم من الاحتفال بزواجهم . ويحتفل في الغالب بختان جماعة من الصبيان في وقت واحد . فانهُ اذا أراد أحدهم ختان ابنهِ أعلن أهل قبيلتهِ عن المكان والزمان اللذين ينوي الختان فيهما فيجتمع افراد قبيلتهِ في الميعاد وتضرب الخيام وكل من أراد ختان ابنهِ رفع راية بيضاء فوق خيمتهِ . ثم تُضرَب خيمة شرقي الخيم تدعى « خيمة الطهور » ترفع فوقها راية بيضاء . وتقام الأفراح من يوم الى سبعة أيام يتسابق الرجال فيها على الخيل أو الإبل نهاراً ويرقصون الدحية والسامر ليلاً . وفي عشية يوم الختان يذبح أهل الصبيان المراد ختانهم الذبائح من الإبل أو الضأن أو الماعز ويطبخون أنواع الأطعمة ويوزعونها على الخيام وتغني النساء في كرم صاحب الوليمة ومن ذلك قولهنَّ :

« الشيخ « فلان » ملأ البكرج   واللي ما شرب يشرب »

وفي صباح يوم الختان يتسابق الرجال سباقاً عاماً على الخيل أو الهجن وفي الضحى يُركبون الصبيان المراد ختنهم على الإبل ويطوفون بهم حول الخيام والنساء وراءهم يزغردن لهم ويغنين . ومن غنائهن :

« من دوَّر البيضا لزوم يلقاها   يستاهل البيضا غلام جابها »

ومنهُ :   إحمرّ حجر داركم من كثر ردَّاتي   من كثر ماأمشي وأرجع بحسراتي

ثم يدخلون الصبيان الى « خيمة الطهور » ويأتي الشلبية (م . شلبي) المنوط بهم الختن ويبدأون في الختن الظهر . واذ ذاك يقف الرجال امام باب الخيمة والنساء من ورائهم . وكل امرأة يختن ولدها تجعل على ظهرها حجر الرحى والسيف في يدها تضرب بقفاه الخيمة دفعاً للعين الشريرة . فعند ما يقطع الشلبي غلفة ولدها يناديها ولدها « لعينك يا أماه أرمي حجر الرحى عنكِ ولكِ ناقتي » فتزغرد لهُ . ثم يلتفت الى

عمهِ ويقول « لعينك يا عماه » فان كان لعمهِ بنت تناسبهُ علم أن الولد يخطب بنتهُ فيجيبهُ : «مرحباً بك بفلانة جاءتك عطاء» . وان لم يكن لهُ بنت أجابهُ : « مرحباً بك لك الناقة الفلانية أو لك رأس معز أو ضأن » هدية أو تقوطاً

وبعد ختن الأولاد يعلقون رؤوس الذبائح في أوتاد على بعد ٤٠ الى ١٠٠ خطوة حسب قوة بنادقهم ويتبارون في رميها بالرصاص . ويبدأ بالرمي أهل الفرح ثم الحضور وكل منهم يطلق رصاصة واحدة فأيٌّ من أصاب رأساً أخذه وأخذ معهُ فخذاً من اللحم . وكذلك يفعلون في ذبائح الأفراح . ويسمى هذا الكسب عندهم « طعمة البارودة » . وتغني النساء للفائز فيهِ بقولهنَّ :

« قرم رمى شارته البيض مختارتهُ »

ومن غنائهنَّ في السامر بعد الطعام :

الشيخة ما هي بالجوخه ولا بكبر العبايه يا بنيَّه
الشيخة كب القهاوي زي العيون الرويَّه
الشيخة جرّ المناسف في السنين الرديَّه

✻ ١٠ . امراضهم واطباؤهم ✻

تقدم أن جفاف هواء سيناء ونقاوتهُ يمنعان تفشّي الأمراض بين اهلها وهم أنفسهم يتحصَّنون من الأمراض بمحافظتهم على العرض واهتمامهم بالزواج الباكر . ولو راعوا النظافة وسائر شرائط الصحة لعاشوا بلا مرض وعمَّروا طويلاً

وفيهم آل خبرة في الطب من النساء والرجال . ورأس الدواء عندهم « الكي » . قالوا « لما غضب لقمان الحكيم من الدواء رماه في النار » . فهم يستعملون الكي لوجع الرأس والمعدة والظهر وسائر الأمراض الباطنية . وعندهم عدد ليس بقليل من الأعشاب الطبية يداوون بها مرضاهم وقد تقدم ذكرها

وفيهم الجراحون يعالجون الجراح التي كثيراً ما يصابون بها في غزواتهم . فهم يخيطونها ويغسلونها كل يوم بمستحلب بعر الحمير مدة أربعة أيام . ويغلون البصل بالماء ويصفّونهُ ويغسلون بهِ الجرح ويسقون العليل منهُ لمنع تعفّن الجرح ودفع أذى

الرائحة . ثم يغلون المرّ بالسمن ويجعلونهُ دهاناً فيدهنون بهِ الجرح أربعين يوماً حتى يبرأ

ومن الأمراض التي تتنابهم بالعدوى من الحضر: الجدري والحمى (الوخم) . وهم لا يعرفون لهما علاجاً ولكن يبخرون المصاب بهما بشعر الضبع او بجلد القنفد . واما الكوليرا فغير معروفة في سيناء . وقد أصيب بها السواركة مرة في شرق بلاد العريش جاءتهم من برّ الشام ففتكت بهم حيناً ثم فارقتهم

وجرت عادة النساء ان يحرقن صغار العقارب ويسحَقنها بهاون ويرششن منها على حلمات اثديتهن عند ارضاع اطفالهن تطعيماً لهم حتى لا يؤذيهم اسم العقارب

ويعتني بالمريض امهُ واختهُ وزوجتهُ وعمتهُ وخالتهُ ويعودهُ اهل قبيلتهِ فيقولون « عساك طيب . يزول الشر » فيجيب « يزول ان شاء الله »

١١ . مآتمهم

يبكي الميت أمهُ واختهُ وزوجتهُ وعمتهُ وخالتهُ وبنت عمهِ . وهن يحللن شعورهن ويحثين التراب على رؤوسهن ويندبنهُ بقولهنّ : « يا ويلي يا حزني يا ولدي يا سبع »

وأما الرجال فلا يبكون الميت ولا يندبونهُ الا نادراً ويقولون « الميت لمّا مات عشاك أفيد منهُ » . ويقولون في التعزية « الله يرحمهُ والله سوّى اللي عليهِ ابو حمَده » اي قرى الضيف وأنجد الرفيق . وهم يغسلون الميت ويكفنونهُ ويصلون عليهِ قبل دفنهِ

ولكل قبيلة تربة او ترب خاصة بهم . وغالب تربهم قرب الماء وذلك لأجل غسل الميت قبل دفنهِ . واذا مات أحدهم بعيداً عن الماء جعلوهُ في غرارة وحملوهُ على جمل في الجنب الواحد وجعلوا ما يوازنهُ حجارةً في الجنب الآخر وأتوا بهِ الى الماء وغسلوهُ وكفَّنوه . واذا تعذر عليهم جلب الماء والمصلي دفنوهُ بلا غسيل ولا صلاة . وهم يفضلون دفن موتاهم في الترب المدفونة فيها اولياؤهم كما مرّ

والقبر عندهم حفرة واسعة في احد جانبيها حفرة ضيقة . يضعون الميت في الحفرة الضيقة على جنبهِ الأيمن متجهاً نحو الكعبة ويسدُّونها بالحجارة ثم يردمون الحفرة الواسعة ردماً محدباً كسنام البعير . ويدلُّ على القبر حجر فوق رأس الميت وحجر فوق قدميهِ او فرشة من الحصى فوق القبر كلهِ

وهم يجعلون بدلة من ثياب الميت فوق قبرهِ فتبقى حتى تبلى او يأخذها عابر سبيل . وفي بلاد الطور يعلقون بدلة من ثياب الميت في شجرة او يضعونها على صخرة قرب التربة . ويقولون عند الدفن: «يا رحيم يا رحيم ارحم القبر المقيم» يكرّرون ذلك مراراً . ويقفون عند رأس الميت ويقولون : « شجرة الدر عمتك وامك النخلة »

اما « الحداد » على الميت فالرجال لا نصيب لهم فيهِ . واما النساء فيحددن من اربعين يوماً الى سنة كاملة لا يلبسن فيها الحلى ولا جديد الثياب . ويخلعنَ البراقع فيتلثَّمن بخرقةٍ سوداء او يغشين البرقع كلهُ بالسواد وينقطعنَ عن الأفراح والمآدب. ثم في ليلة جمعة من شهر رمضان يذهب اهل الميت نساآءً ورجالاً الى القبر ويذبحون ذبيحة جملاً او رأس معز تصدقاً عن نفس الميت . يجعلون اللحم عند القبر ويقولون: «هذا عشاك ودع فلان وفلان (من الذين ماتوا قبلهُ او بعدهُ) يأ كل معك » . وكذلك يقدمون في نهاية السنة ذبيحة ناقة او راس معز ويتصدقون بها على الفقراء

الفصل الرابع

في

﴿ خرافاتهم ﴾

مصدر الخرافات الجهل. ولذلك فخرافات البدو كثيرة ، منها : اعتقادهم «الإِصابة بالعين » . وهم يعلقون الخرز الزرق في أعناق اطفالهم وابلهم وخيلهم العزيزة عندهم لدرء العين الشريرة . ورأيت بعض شبانهم يعلقون الخرز الزرق في مرائرهم لدرء العين

وهم يتشاءمون من رغاء الإِبل ومن عواء الكلب من بطنهِ ومن صياح الأجرود. ويتفاءلون بفلج الأسنان والسفر يوم الجمعة او الاثنين . ويتشاءمون من السفر او الغزو يوم الاربعاء اذا اتفق انهُ آخر اربعاء في الشهر . ويوم الخميس اذا اتفق انهُ الخامس في الشهر . ومن السفر أو الغزو اذا كان القمر في القران مع العقرب كما مرَّ

وفي العَمْر في شرق بلاد التيه رجل من الترابين يدعى عامر ابو روّاع يعتقد

أهل سيناء أن لهُ معرفة بعلم النجوم ونحسها وسعدها فاذا نهاهم عن سفر أو غزو انتهوا واذا بشرهم صدّقوه

وعند رؤية الهلال يقولون « يا اللي سلّمتنا في اللي زلّ سلّمنا في اللي هلّ . يا الله حلوبة يا الله جلوبة يا الله دعوات أولاد الحلال» . ويهنئون بعضهم بعضاً بظهوره فيقول الواحد « مبارك شهركم » فيجيبهُ الآخر « لنا ولكم »

وهم يرقون الحية والذئب والضبع والنمر لئلاّ تؤذي أغنامهم . فرقية الذئب والضبع والنمر واحدة وهي : «معزانا كورة كورة . عليهم قطيفة النبي منشورة . اذا جاء من الوادي لجامه هادي . واذا جاء من العدوة لجامه هدهه . واذا جاء من البطين (رأس الجبل) لجامه شريط . في آذانه فاس وفي خشمه فاس وفي يديه فاس وفي رجليه فاس نرميه في البحر الدوّاس بيننا و بينه الخله وسبع جمال محملة غلة »



شكل ٦٧ : الجلوس – محمد خواص . الحاج شهاب . شمس اسماعيل . محمد ابو جمعة

الباب الثالث

في

﴿ قضاة البدو ومحاكمهم وشرائعهم ﴾

الفصل الاول

في

﴿ قضاة البدو ﴾

أما القضاء في جزيرة سيناء فموكول الى قضاة من خواصّ رجالهم يحكمون بينهم بالعرف والعادة وهم أنواع : —

﴿ كبار عرب ﴾ وهم بمثابة « رجال الصلح » ترفع اليهم جميع المسائل الهامة التي لا يمكن صرفها الاّ بالصلح لعدم توفر الشهود فيها أو لجسامة ما ينجم عنها من الاضرار والاخطار اذا لم يُتلافَ أمرها كقضايا القتل والسلم والحرب والتعدي على العرض والمال. وهم ينتخبون من بين المشايخ والكبراء الذين بيدهم زمام الأمور وعليهم يتوقف السلم أو الحرب.(١)

﴿ المنشد ﴾ ويعرف بالمسعودي لأن أهم قضاتهِ من قبيلة المساعيد التابعة لمحافظة العريش. وهو يحكم في المسائل الشخصية الخطيرة كقطع الوجه والتسويد ومسّ الشرف والاهانة الشخصية .

﴿ والقصّاص ﴾ وهو قاضي العقوبات أو قاضي الجروح يعين الجزاء الذي يستحقهُ كل جرح حسب طول الجرح وعرضهِ وموضعهِ . واكثر القصاصين في بلاد نخل من السلالمة الحويطات . وفي بلاد العريش من عرب بلي . وفي بلاد الطور من القرارشة ومزينة

---

(١) من أشهر كبار بدو سيناء في القرن التاسع عشر هو الشيخ سلامة بن إبراهيم شديد الذي تعاون في القبض علي قتلة البرفيسور بالمر الانجليزي أبان الثورة الثورة العرابية ١٨٨٢ ، والشيخ موسي بن نصير وكان شيخا نافذ الكلمة علي كل بدو سيناء .

﴿ والعقبي ﴾ وهو قاضي النساء يحكم في المسائل المتعلقة بهنّ من طلاق ومهر وتعدّ على العرض . وقد سمي بالعقبي لأن أكثر قضاة هذا النوع من بني عقبة

﴿ والزِيادي ﴾ وهو قاضي الإبل يقضي في أمور سرقتها ووثاقها وكل ما يتعلق بها

﴿ والضَّرَيبي ﴾ وهو قاضي الاحالة . فاذا اختلف اثنان في القاضي الذي يحكم بينهما رفعا الأمر الى الضُرَيبي وهو يعيّن القاضي الذي من شأنهِ فصل دعواهما ويختار الضريبي في الغالب من الحويطات

﴿ المُبَشّع ﴾ وهو قاضي الجرائم المنكورة التي لا شهود لها وذلك باختبار المتهم بالنار او بالماء او بالرؤيا . اما اختبارهُ بالنار فذلك ان المُبشّع يحمي إناء نحاس كطاسة البن على النار ويمسحها بكفهِ ثلاث مرات ثم يأمر المتهم فيغسل لسانهُ بالماء ويريهِ شاهدين. ثم يتناول الطاس المحماة من المبشع فيلحسها ثلاث مرات بلسانهِ ثم يغسلهُ بالماء ويريهِ المبشع والشاهدين . فاذا رأوا أثر النار على لسانهِ حكم المبشع بدعوى خصمهِ والا حكم لهُ : وقالوا في تعليل ذلك ان المتهم ان كان مجرماً جفَّ ريقهُ وأثَّرت النار في لسانهِ والا فلا

وأما اختبار المتهم بالماء فهي ان المبشع يأخذ إبريقاً من نحاس ويجعل الحضور ومعهم المتهم في حلقة . ثم يشرع في التعزيم على الإناء . قالوا فيتحرك الإناء من نفسهِ ! فان كان المتهم مجرماً وقف الاناء عندهُ وان كان بريئاً وقف عند المبشع !

وأما اختبارهُ بالرؤيا فهو ان المبشع يفكر في المتهم ثم ينام فيظهر لهُ الجاني في الحلم وعندما يصحو يحكم عليهِ

وليس في الجزيرة كلها الاّ مبشع واحد وهو « الشيخ عامر عياد » من قبيلة العيايدة أخذها عن أبيهِ عياد وعمهِ عوَيمر . وقد رأيتهُ في رفح سنة ١٩٠٦ فأخذت عنهُ ما أثبتُّهُ هنا في البشعة

ويدخل في حكم القضاة عندهم آل الخبرة وهم : —

﴿ المَسْوَق ﴾ وهو الخبير بالإبل وأسنانها فتسلَّم على يدهِ غرامات الإبل

﴿ وأهل القطاعات ﴾ وهم آل الخبرة بالزرع والأراضي الزراعية . ويحكمون في القضايا التي تتعلق بهذه الأراضي

﴿ وأهل العرائش ﴾ وهم آل الخبرة بالنخيل ويحكمون في القضايا التي تختص بالنخيل

﴿ قصاصو الأثر ﴾ وهم آل خبرة في قص الأثر . وهم في بلاد الطور مزينة والقرارشة . وفي بلاد نخل الحويطات السلالمة . وفي بلاد العريش عرب بلي

﴿ لحاسة الختوم ﴾ وهم المشايخ المعينون من قبل الحكومة ويتناولون رواتبها ولهم القضاء في المسائل التي تتعلق بالحكومة ورجالها خصوصاً في ما يتعلق بأجر الجمال وحقوق القبائل فيها ونحو ذلك . قالوا وقد سُمّوا لحاسة الختوم لان من عادتهم لحس اختامهم عند ختم وصولات رواتبهم

﴿ الحسباء او نقّالة العلوم ﴾ وهم آل الخبرة في المسائل التي تتعلق بتقاليد العرب والعهود المقررة بينهم فاذا نقض أحدهم عهداً لقبيلة عُدَّ انهُ قطع وجه الحسيب لتلك القبيلة ووجب على الحسيب المطالبة بالحق الضائع وردهِ الى صاحبهِ. ومن أمثالهم: « ما يرد المرازيم (الإبل) غير حق الملازيم »

الفصل الثاني

في

﴿ محاكمهم ﴾

﴿ درجات القضاء ﴾ ثم ان درجات القضاء عندهم ثلاث لكل درجة قاضٍ . فثلاثة من كبار عرب وثلاثة من المنشد وثلاثة من القصّاص وثلاثة من العقبي وثلاثة من الزيادي وثلاثة من الضريبي الاَّ المبشع فانهُ واحد

فالأول منهم بمنزلة المحكمة الابتدائية . والثاني بمنزلة محكمة الاستئناف . والثالث بمنزلة النقض والابرام . فيرفع المتقاضيان أمرهما الى الاول بحضور القاضيين الآخرين أو بغيابهما فاذا لم يرضيا بحكمهِ رفعا الأمر الى الثاني واذا لم يرضيا بالثاني رفعا الأمر الى الثالث وحكمهُ نهائي نافذ الاَّ اذا كان حكم الثاني كالأول فلا ترفع الدعوى الى الثالث بل ينفذ الحكم على علاتهِ . ومن أقوالهم « حكم اثنين يأكل حق واحد »

﴿ الكفيل ﴾ والحق في تسمية القضاة للمدّعي . ولكن لا بد من رضاء المدعى عليهِ بهم . وبعد الاتفاق على القضاة يسمّي المدعى عليهِ « كفيل وفا » أي كفيلاً يفي الحق الذي يحكم بهِ القاضي . والمدعي « كفيل دفا » أي كفيلاً يضمن التعدي على المدعى عليهِ في أثناء الدعوى

﴿ الضمانة ﴾ ويشترط في الكفيل أو الضامن : الصدق والوفاء . والرجل الصادق الوفي لا يُطلب منهُ ضامن ولا كفيل بل يؤمنهُ البدو على مالهم بلا شاهد

﴿ الرِّزقة ﴾ واذا مَثُلَ المتداعيان أمام القاضي جعل كل منهما عنده رهناً لرسم الدعوى المعروف «بالرزقة» وذلك بأن يضع سيفهُ أو بندقيتهُ أو جملهُ أو يسمي كفيلاً يضمن وفاء الرزقة فمن خسر الدعوى قام بدفع الرزقة . وتختلف « رزقة » القاضي بحسب أهمية الدعوى من نعجة الى ثمانية جمال واكبرها الرزقة التي تؤخذ في القضايا الخاصة بالنساء « وقطع الوجه »

﴿ الشهادة ﴾ وشاهد واحد يكفي عندهم لاثبات الدعوى . لكن يشترط في الشاهد أن يكون « التقي النقي اللي تدوّر على عيبه ما تلتقي » . ولا تقبل شهادة رجل أتى أمراً منكراً كأن يكون أتى امرأة جارهِ أو فرَّ من القتال أو ترك نجدة رفيقهِ أو نحو ذلك . ولكن تقبل شهادة اللص على اللص . وشهادة المرأة وشهادة الولد البالغ كشهادة الرجل * واذا أراد أحدهم أن يُشهد أحداً على شيء وقع بحضوره عقد لهُ عمامتهُ وقال : « هذه شهادة معك تضوي وياك في المراح وتمشي في المسراح توكلةً وأمانة » . وللشاهد أجرة ينقده اياها الطالب قبل تأدية الشهادة تعرف «بالاَكال » وهي في قضايا الابل خمسة « بنتو »

﴿ الحلف أو اليمين ﴾ ولا بد للشاهد من حلف اليمين قبل تأدية الشهادة . واليمين عندهم أنواع :

« الخطة والدين » وهي دائرة ترسم على الأرض برأس السيف ويرسم في وسطها صليب فيقف الشاهد في مركز الدائرة ووجههُ الى الكعبة ويحلف « بست

كلمات أولها الله وآخرها الله» ثم ينطق بالشهادة . وهذا الحلف خاص بقضايا الابل وغيرها من القضايا الهامة

« والحلف بالرأس » وهو أن يضع المدعي يده على رأس المدعى عليهِ ويحلّفهُ « بثلاث كلمات أولها الله وآخرها الله » ثم يسألهُ أن يقول الحق

« والحلف بالحزام » وذلك بأن يضع المدعي يدهُ في حزام المدعى عليهِ ويحلفهُ « بثلاث كلمات أولها الله وآخرها الله » . ثم يسألهُ أن يقول الحق

« والحلف بالعود » وهو عند القصّاص : يأخذ الشاهد عوداً في يده ويقول : « وحياة هذا العود والرب المعبود ومن أخضره وأيبسه رأيت كذا »

﴿ الحلف بالرّدن ﴾ هذا وفي الجر برات السواركة الآن رجل يدعى جرَير يعتقد بهِ أهل الجزيرة أنهُ من أهل الكشف والصلاح فيأتون اليهِ من كل الجهات ويحلفون بردنهِ . وكثيراً ما يأتي الخصوم ويتقاضون عنده . وهو يتفرس في المتهم فاذا توسم البرآءة في وجههِ اذن لهُ في أن يأخذ ردنهُ ويحلف بهِ بقولهِ « بالله العظيم (ثلاث مرات) وحياة ردن الشيخ جرير اني بريء » .[1]

وظهر بين السواركة حديثــاً رجل آخر يدعى « أبو نجر » يدّعي الكشف والصلاح فتبعهُ الناس وصاروا يحلفون بردنهِ كما يحلفون بردن أبي جرير

﴿ التفويل ﴾ واذا كان أحد المتقاضيين قاصراً فلوليهِ أو لوصيهِ رفض الحكم وطلب اعادة الدعوى بقولهِ « أضربهُ على زوره وأردّه عن شوره واني مفوّل » ويعرف ذلك عندهم « بالتفويل »

﴿ الفلَج ﴾ هذا واذا اتفق خصمان على ميعاد يحضران بهِ للقضاء وغاب أحدهما حق للقاضي الحكم غيابيًّا الاّ اذا ظهر بعد ذلك أنهُ غاب لعذر شرعي مقبول فينقض الحكم . ويعرف نقض الحكم عندهم « بالفلَج » .

﴿ الغُرْم بالمال ﴾ ومادة الأحكام عند جميع قضاتهم الغرْم بالمال فليس عندهم حبس ولا ضرب ولا قتل لا في القضايا الجنائية ولا الماليــة . وهذا خلل كبير في شريعتهم كما سيجيء

---

(١) يضيف جارفس حلفا آخر يستخدمه البدو وهو الحلف بالطلاق ثلاثا، وهذا الحلف يحترمه البدو كثيرا، ولا يتم اللجوء إليه كثيرا حيث يقول الشاهد ثلاث مرات "إمرأتي طالق" ثم يؤدي الشهادة، فإذا أعطي شهادة زور، وقع الطلاق، راجع، .Jarvis,Major, op.cit, p.40 .

الفصل الثالث

في

﴿ شرائعهم وأحكامهم ﴾

ليس للبدو شريعة مكتوبة بل يحكم قضاتهم بالعرف والعادة كما مرّ . وأهم جرائمهم : القتل . والسرقة . والشتم . وخطف البنات . وحرق زرع الغير . والاعتداء على أرضهِ . وردم آباره . وعدم وفاء دينهِ . وشن الغارة بعضهم على بعض ونحو ذلك . وأما شريعة البدو فيمكن حصرها تحت الرؤوس الآتية وهي :

١ . روابط القبائل ٢ . شريعة القتل ٣ . شريعة الجروح

٤ . شريعة النساء ٥ . شريعة الابل ٦ . شرائع أخرى

﴿ ١ . روابط القبائل ﴾

﴿ حفظ النسب والعصبية ﴾ وبدو سيناء كسائر البدو يعنون بحفظ انسابهم ويتفاخرون بها ويبالغون في استقصائها حتى يردّوها الى الآباء الأولين . وأقرب أسباب العصبية عندهم الأبوّة والاخوّة والعمومة ومنها تتألف العائلة . ومن العائلات تتألف الفصيلة . ومن الفصائل يتألف الفخذ . ومن الافخاذ يتألف البطن. ومن البطون تتألف العمارة . ومن العمائر تتألف القبيلة . ومن القبائل يتألف الشعب وهو النسب الأبعد

ثم ان القبائل يتعصب بعضها لبعض حسب ارتباطها في العصبية . فتجتمع القبائل أو فروعها الأقرب فالأقرب على الأبعد فالأبعد أي تجتمع الفصائل من الفخذ الواحد على فخذ آخر ولو كانوا جميعاً من بطن واحد . والافخاذ من العمارة الواحدة على عمارة أخرى ولو كانوا جميعاً من قبيلة واحدة وهكذا

٢ . ﴿ سِمات القبائل ﴾ ولكل قبيلة من قبائل البدو سمة خاصة تسم بها

ابلها وحميرها وغنمها أي تضع عليها علامة ما بميسم كيًّا بالنار وذلك في الرقبة أو الرأس أو الصلب . وأما الخيل والبقر فتترك بلا وسم

٣ . ﴿ حدود القبائل ﴾ ولكل قبيلة جهة محدودة من الجهات الأربع معروفة عندهم بعلامات طبيعية بارزة[1]. وفي الجهات التي ليس فيها علامات بارزة يضعون رجوماً من الحجارة للدلالة على الحدود

٤ . ﴿ المراعي والمياه ﴾ ولكل قبيلة مراعٍ ومياهٌ وأراضٍ زراعية معروفة . أما المراعي والمياه فمشاع لجميع القبائل فلا تمنع قبيلة قبيلة أخرى عن مراعيها ومياهها الاّ في زمن الحرب . وأما الأراضي الزراعية فهي ملك لافراد القبائل فلا يتعرض أحدهم لأرض غيرهِ ولا يزرعها الاّ باذنهِ

وفي عرفهم انهُ اذا اكتشف أحدهم ماء لم يكن معروفاً أو احتفرهُ في مكان لم يكن فيهِ من قبل أصبح الماء ملكاً لهُ وأقام بجانبهِ رجماً ووسمهُ بوسمهِ. وان كان بقرب الماء أرض صالحة للزراعة استولى عليها وزرعها لنفسهِ . هذا اذا كان الماء في أرض قبيلتهِ والاّ فاذا كان في أرض أجنبية حق لهُ الانتفاع بهِ كغيرهِ من ابناء القبيلة التي وجد الماء في أرضها ولم يكن لهُ حق بالارض التي حولهُ

﴿ الحِلْف والقَلَد ﴾ وكل قبيلة من قبائل سيناء مرتبطة بسائر القبائل بحلف أو قلد . ولها «حسيب» حافظ لعهودها مع القبائل ويعرف بالعقيد أو بنقّال الاقلاد أو نقال العلوم . أما « الحلف » فهو المحالفة بعينها وهو معاهدة دفاعية هجومية . وأما « القلد » فهو معاهدة سلمية لمنع الحرب أو الغزو وحفظ السلام بين القبائل

وفي عقد الحلف بين قبيلة وأخرى يجتمع حسيبا القبيلتين وكبارهما في بيت وجيه من قبيلة ثالثة فيجعل الحسيب الواحد يدهُ في يد الآخر ويعيد كل منهم القسم الآتي:
« الله الله محمد رسول الله نحن واياكم الحوض واحد والروض واحد الذي يضرّكم يضرّنا والذي يسرّكم يسرّنا . بيننا وبينكم عهد الله لا يصير بيننا غزو ولا حرب . اعداء من عاداكم واصدقاء من صادقكم ما دام البحر بحر والكف ما ينبت شعر » *
وأما قسم القلد فهو : «الله الله محمد رسول الله ما بيننا عهد الله ما يتعدى أحد على أحد»

---

(١) كانت الحدود بين مناطق سكني القبائل مثارا للنزاع بينهم فقد كان هناك نزاعا بين الأحيوات التياها في عصر محمد علي انتهي باتفاق تم فيه تعيين الحدود بينهما ، للمزيد حول النزاعات بين القبائل علي حدود سكني القبيلة راجع، Stewart, Frank Henderson, Bedoun Bounderies in Central Sinai and Southern Negev, Otto Harrassowitz Wesdbaden, 1986, pp.3-5.

ويشترط في من يُعقَد عندهُ الحلف أو القلد أن يكون « مشهور مذكور وسيع المراح راعي مال وعيال » . ويدعى « راعي البيت » وبيتهُ « بيت العمارة » . وهو الشاهد الحكم بين المتعاهدين ويورث علمهُ هذا للأرشد من أولادهِ

وهذه حال الحلف والقلد بين قبائل سيناء في وقتنا الحاضر :

بين الحويطات واللحيوات والترابين والطورة حلف قديم * وبين كل من هذه القبائل والتياها قلد . وقد تمَّ حديثاً بين التياها شياخة حمد مصلح وبين الترابين حلف جديد * ثم ان بين السواركة والعيايدة من جهة وبين الترابين من جهة ثانية قلد * وبين السواركة وكل من التياها واللحيوات قلد * وبين البياضيين والسماعنه حلف

قيل وهذه العهود ترجع الى قسمة قديمة العهد بين البدو كافة فهم بوجه الاجمال شطران : شطر « سعد » وشطر « حرام » وقد اختلفوا في تعليل ذلك فمنهم من قال ان انقسامهم هذا يرجع الى مقتل الحسين فالذين غلبوا في تلك الواقعة قالوا « اليوم حرمنا النصر » فكانوا شطر حرام . والذين فازوا قال « اليوم سعدنا » فكانوا شطر سعد . وقال آخرون ان «سعد وحرام» شقيقان عشقا في ما مضى من الزمان بنت أمير عرب فانقسمت العرب بهما قسمين قسم انحاز الى سعد وآخر الى حرام وحصلت حرب عامة بين البدو بسببهما . فسمي كل قسم بالأمير الذي انتمى اليهِ

وأما عرب سيناء فالذين هم في شق سعد: التياها والسواركة . والرميلات. والعيايدة . والسماعنة . والأخارسة . وأولاد علي . والبياضين * والذين في شق حرام : الطورة . والحويطات . واللحيوات. والترابين. والعقليين . وأما حسباء قبائل سيناء الآن فهم :

الشيخ نصير بن موسى بن نصير	حسيب الطورة
« عودة بن بنية أبو طقيقة	« الحويطات
« سلاَّم البرعصي	« التياها
« سليمان القصير بن نجم	« اللحيوات
« فريج سلاَّم أبو صفيح	« الصفايحة اللحيوات
« سلامة بن جازي	« الترابين الحسابلة

فالقبائل التي يربطها القلد لا ترفع خصوماتها الى الزيادي رأساً بل الى الحسيب . فاذا اعتدت قبيلة منها على جمال الأخرى ذهب صاحب الإبل الى الحسيب وهو يرد لهُ الإبل مع غرامة جنيهين عن كل جمل. وأما القبائل التي يربطها الحلف فترفع خصوماتها الى الزيادي بعد رفعها الى الحسيب . فاذا سرق أحدهم جمالاً من قبيلة مرتبطة مع قبيلتهِ بحلف ذهب صاحب الجمال الى حسيب قبيلة السارق فيردّ لهُ الجمال المسلوبة ويجرّ السارق الى الزيادي فيغرمهُ غرامة شديدة

﴿ النّفاض ﴾ واذا أراد قليد «نفض» العهد مع قليدهِ لسبب من الأسباب بعث لهُ برسول من قبيلة ثالثة على هجين لهُ فيقول الرسول « جايب لك النفاض من فلان وهذا حد العهد بينك وبينهُ والعرض من العرض أبيض » (أي أنهُ حذره ولم يغدر بهِ) ومعك ثلاثون يوماً تلم بها أطرافك وبعد هذا الميعاد حرب. عليك النقا بذبح الرجال وشلّ المال» . ثم تدور رحى الحرب بينهم فاما أن يغزو بعضهم بعضاً وتنهب كل قبيلة من جمال الأخرى وتقتل من رجالها ما تصادفهُ في طريقها أو يلتقي رجال القبيلتين في معركة دموية فاصلة يستخدمون بها الأسلحة النارية والأسلحة البيضاء . ومتى استعرت حرب بين قبيلتين استنجدت كل قبيلة بالقبائل المرتبطة معها بحلف فتنجدها

﴿ العطْوة ﴾ وقد يطلب أحد الفريقين هدنة وتعرف عنـدهم « بالعطوة » فيعقدانها ثم يعودان الى الحرب . ومدة الهدنة عندهم من ٣ أيام الى سنة وشهرين ومن خان رفيقهُ أثناء العطوة اقتُصّ منهُ ضعفين

﴿ الصلح ﴾ ومتى أرادت القبيلتان الصلح اجتمع حسيباهما وكبارهما وهدروا كل دم لم يعلم قاتلهُ . وأما الرجل المعروف قاتلهُ فديتهُ ألف غرش تعريفة أي خمس جنيهات مصرية . وأما المال المنهوب فلا يرد . ثم يعقد الصلح بحلف أو قلد

﴿ الأخوّة أو الطلوع ﴾ وقد تضعف قبيلة أصيلة في حرب مع قبيلة أخرى فتنضم الى قبيلة ثالثة بالأخوّة المحافظة على كيانها . فيجتمع شيخ القبيلة اللاجئة بشيخ القبيلة الملجؤ اليها في مجلس خاصّ ويقول لهُ : « أنا طالع معك وأخوك من كتاب الله العزيز . دمي يسد عن دمك ومالي يسد عن مالك ورجالي تسد عن

رجالك وابني يسد محل ابنك وبنتي تسد محل بنتــك . أطرد مطرادك وأشرد مشرادك . وفي الخير إخوان وعلى الشر أعوان عهدالله بيننا . والقلب صافي. هل قبلتني »

فيقول الثاني : « قبلتك على الرحب والسعة » . فتصبح القبيلتان من ذلك الحين كأنهما قبيلة واحدة مقعدهم واحد وحربهم واحد وفزعهم واحد وقولهم واحد . ويعرف ذلك عندهم «بالطلوع». ومن ذلك طلوع الرميلات مع السواركة . والخلايفة اللحيوات مع الشوَّافين . ومزينة مع العليقات في جزيرة سيناء

وقد « يطلع » نفر من البدو من شياخة فخذ الى شياخة فخذ آخر في القبيلة الواحدة كما فعــل هُوَيشل بن سليم فانهُ طلع من شياخة الصفايحة اللحيوات الى شياخة الخناطلة اللحيوات

﴿ الخاوة ﴾ وأما التجاء قبائل هتيم الى القبائل الأصيلة فيعرف بالخاوة كما مرَّ

﴿ الطنَب ﴾ واذا جار شيخ قبيلة على جماعة من رجال قبيلتهِ وأحس هؤلاء من أنفسهم القدرة على مقاومتهِ قاوموهُ والاّ اطنبوا على شيخ قبيلة أخرى بأن ينصبوا خيامهم في حذاء مخيّمهِ ويطلبوا اليهِ أن ينصفهم من شيخهم ففي الغالب يرحّب بهم ويذبح لهم الذبائح ثم يذهب معهم الى شيخهم ويصلحهم . ويعرف ذلك عندهم «بالطنب»

﴿ الوثاقة ﴾ ومما اعتادهُ أهل البادية وأصبح عندهم شريعة : « الوثاقة » وهي رهائن من الإبل تؤخذ خلسة للحصول على حق ممطول . فاذا ادّعى رجل على آخر بحق ولم يذعن المدعى عليه للحق ولا سمى قاضياً للفصل في الدعوى أشهد عليهِ بذلك وأصبح لهُ الحق بأخذ الوثاقة من ابلهِ أو ابل عشيرتهِ . واذا كان خصمهُ من قبيلتهِ أشهد عليهِ بذلك أربع مرات متوالية في أربع جلسات والشمس طالعة قبل أن يشرع بأخذ الوثاقة الاّ في رمضان فانهُ يجوز لهُ أن يُشهد على خصمهِ ليلاً

ويشترط لصحة الوثاقة أن تناخ الجمال الموثوقة عند بيت رجل مهوب وأن يقال لرب البيت « اني أضع هذه الوثاقة عندك في حقي عند فلان » . فان أدرك صاحب الإبل الموثوقة ابلهُ قبل ادخالها في بيت الرجل المهوب قاتل أحدهما الآخر. وأكثر شرور البدو في سيناء وغيرها تنجم من الوثاقة

وفي عرفهم أن الهجن الأصيلة لا توثق ما دام يوجد غيرها . ومن أمثالهم « الهجن منذرة الطلب » فاذا أخذت بالوثاقة جر صاحبها الواثق الى الزيادي وحاكمهُ وحكم عليهِ . ومن الهجن التي لا توثق هجن الضيوف كما مرّ . « ومن امثالهم الضيف من المحصنات »

﴿ الرجم ﴾ الرجم حجر أبيض أو مجموع من الحجارة البيضاء تقام على ماء شهير أو درب جهير اعترافاً بجميل أو ردًّا لشرفٍ أو تخليداً لأثرٍ * فاذا فعل رجل مع آخر جميلاً بأن أنقذه من خطرٍ أو نشلهُ من فقر نصب لهُ رجماً على درب جهير أو ماء شهير وجعل عليهِ وسم قبيلتهِ اشهاراً لجميلهِ * واذا عاب بعضهم شخصاً حكم المنشد عليهِ باقامة رجم المعتدى عليهِ على درب جهير أو ماء شهير ردًّا لشرفهِ . واذا ثقل عليهِ اقامة الرجم افتداهُ بجميل ظهير * ثم اذا وقعت واقعة عندهم تستحق الذكر أقاموا في مكان الواقعة رجماً من الحجارة تخليداً لها وقد يخطون بدل الرجم دوائر أو حفراً وثلماً في الأرض لا يزالون يحيونها كلما طمرت * وهذه العادة هي من أجمل عاداتهم خصوصاً وأن ليس عندهم كتبٌ يدوّنون بها أخبارهم . وقد اهتديت بها الى كثير من وقائعهم وحروبهم

أما عادة نصب الرجوم في البادية تخليداً للحوادث الخطيرة فعادة قديمة العهد جدًّا نرى شواهدها في التوراة . فقد جاء في سفر يشوع ص ٤ عدد ٧ :

« فدعا يشوع الاثني عشر رجلاً الذين عيّنهم من بني اسرائيل رجلاً واحداً من كل سبط . وقال لهم يشوع اعبروا أمام تابوت الرب الهكم الى وسط الأردن وارفعوا كلّ رجل حجراً واحداً على كتفهِ حسب عدد اسباط بني اسرائيل لكي تكون هذه علامة في وسطكم اذا سأل غداً بنوكم قائلين مالكم وهذه الحجارة تقولون لهم ان مياه الأردن قد انفلقت أمام تابوت عهد الرب . عند عبوره الاردن انفلقت مياه الاردن . فتكون هذه الحجارة تذكاراً لبني اسرائيل الى الدهر »

ويستدل من التوراة انهُ كان من عادة البدو قديماً نصب الرجوم عهداً بين فريقين فهي بمثابة الرجوم التي تنصب الآن لصانعي السلام بين قبيلتين او شخصين

جآء في سفر التكوين ص ٣١ عد ٤٣ الخ : « فأجاب لابان وقال ليعقوب . . . هلم نقطع عهداً أنا وأنت فيكون شاهداً بيني وبينك . فأخذ يعقوب حجراً وأوقفهُ عموداً . وقال يعقوب لاخوتهِ التقطوا حجارة . فأخذوا حجارة وعملوا رجمة وأكلوا هناك على الرجمة . . . وقال لابان ليعقوب . . . شاهدة هذه الرجمة وشاهد العمود اني لا أتجاوز هذه الرجمة اليك وانك لا تتجاوز هذه الرجمة وهذا العمود اليَّ للشر »

وجآء في سفر يشوع ص ٢٤ عد ٢٥ الخ : « وقطع يشوع عهداً للشعب في ذلك اليوم وجعل لهم فريضة وحكماً في شكيم . . . وأخذ حجراً كبيراً ونصبهُ هناك تحت البلُّوطة التي عند مقدس الرب . ثم قال يشوع للشعب ان هذا الحجر يكون شاهداً علينا لأنهُ قد سمع كل كلام الرب الذي كلَّمنا بهِ فيكون شاهداً عليكم لئلاَّ تجحدوا الهكم »

﴿ التبييض والتسويد ﴾ التبييض نصب راية بيضاء على ماء شهير أو درب جهير اشهاراً لفضلٍ أو اشعاراً بجميل فهو كالرجم الاَّ أن الرجم من حجر وهذا من قماش * وضده التسويد وهو نصب راية سوداء على ماء شهير أو درب جهير تشهيراً لقبيح أو للتقصير في وفاء دين أو غرامة . فاذا كفل رجل آخر في سداد حق لثالث ولم يفِ بكفالتهِ نشر المكفول لهُ عباءتهُ كعلم في ملاٍ من الناس وقال هذه راية فلان فانهُ نكث بوعده وقصَّر في كفالتهِ ونحو ذلك من العبارات التي تسوّد وجه الكفيل. فان كان المكفول لهُ محقاً سكت الكفيل والاَّ طلبهُ للمنشد وغرَّمهُ غرامة شديدة

أخبرني قومندان سيناء أن المنشد حكم لبعضهم سنة ١٩٠٤ برباع ورباعية وجنيهين لأن خصمهُ سوَّد عليهِ بلا سبب موجب . وقال المنشد لو كان التسويد قد حضرهُ اهدبان شائبان معتبران فلصاحب الوجه فوق ذلك أربعون جملاً . فطلب أحد الحضور من صاحب الوجه التنازل عن الجنيهين وطلب القومندان التنازل عن الرباعية فبقي لصاحب الوجه رباع واحد فأخذه وانصرف

﴿ رمي الوجه ﴾ وهو الاستنجاد برجل وجيه مهوب لمنع شر أو خصومة . فاذا هب رجلان أو قبيلتان للقتـال وقال أحد الحضور « رميت وجهي أو وجه فلان

بينكما » كف الفريقان عن القتال في الحال . فانّ « للوجه » حرمة عظيمة عندهم فلا يمتهنهُ الأكل فظّ مجازف . فاذا استمر أحد الفريقين على القتال بعد رمي الوجه قال صاحب الوجه « فلان قطع وجهي » ودعاه الى المنشد . فاذا أبى اشهد عليهِ أربعة شهود وشرع في أخذ الوثاقة من ابلهِ حتى يذعن للمنشد . ولا بدَّ للمنشد من الحكم عليهِ بعقوبة تختلف من جملين رباعيين الى أربعين جملاً (حسب درجة الوجيه المقطوع الوجه) ونصب رجم لمقطوع الوجه على ماء شهير أو درب جهير فاذا لم ينصب الرجم في مدة ٣ أيام اضطر أن يعوض عنهُ بجمل ظهير . وقد يحكم المنشد عليه بقطع قيراطين من لسانهِ فيفتدي ذلك بعدد من الإبل

﴿ الجاهة ﴾ واذا كان قاطع الوجه المحكوم عليهِ بالغرامة فقيراً لا طاقة لهُ على دفع الغرامة كلها أو بعضها قام بما استطاع القيام بهِ « وساق الجاهة » بما بقي من الغرامة على صاحب الوجه . فيأخذ نساءهُ ونساء جيرانهِ وذبيحة وكيس دقيق وشيئاً من البن ويأتي مخيم صاحب الوجه وينصب خيمتهُ بجانبهِ . ثم يولم وليمة ويدعو اليها صاحب الوجه ويسترحمهُ للتنازل عما بقي من المغرم فيتنازل عنهُ كرماً وشهامةً . واذا أبى التنازل عنهُ بعد الاسترحام عُدَّ بخيلاً عديم المروءة

﴿ الأخذ بالثار ﴾ أما الأخذ بالثار فمشروع عندهم . فلاحرج على آخذ الثار ولا ملام : فالعين بالعين والسن بالسن والنفس بالنفس . واذا تخاصم اثنان وجرح أحدهما الاخر وذهبا الى القصّاص فان تساوى الجرحان حكم ببراءة الاثنين واذا زاد جرح الواحد جرح الآخر قدّر القصّاص الغرامة بقدر الزيادة . واذا مات صاحب الثار قبل أن يثأر لنفسهِ من خصمهِ ورّث الثار لأولادهِ من بعده كما قدمنا

﴿ الحَسَنة ﴾ وكما ان البدوي لا ينسى السيئة فهو لا ينسى الحسنة فاذا فعل أحد معهُ جميلاً « شال لهُ الحسنة » أي حفظ لهُ هذا الجميل وأورث الجميل لأبنائهِ من بعدهِ الى انقراض الذرية ولا فرق ان كان صاحب الجميل بدويًّا أو حضريًّا أما أهل العريش فيحرصون على حسناتهم مع البدو ويدوّنونها في كتبهم . وأما أهل البادية فيحفظونها في صدورهم

وقد رأيت عند طائفة العرايشية دفترًا قديمًا دوَّنوا فيه الحسنات التي فعلوها مع عرب باديتهم وهذا بعض ما وجد في الدفتر بحرفهِ :

« يوم تاريخهِ فكينا سعد بن حسن الزريعي من تحت سيف درويش باشا وقعد هو وأبوهُ بحسنة دم الى جميع العرايشية » (والتاريخ غير ظاهر)

« فكينا سلامة بن عيسى المسعودي من حبس درويش باشا من غزة بحضور أخيه سليم وقعد لنا بحسنة الى جميع العرايشية بشهادة كثيرين من العرب سنة ١٢٠٢هـ

« يوم تاريخه المبارك انحبس سلامة بن السعدي في مصر عند محمد بك الألفي وفكهُ الحاج قاسم جربجي وخسر عنهُ دراهم . وقام الحاج هزاع وأخوه سلامه الى أولاد خليل جربجي بحسنة هم وتوابعهم من اليوم لآخر يوم الزرية في العرايشية . غرة جماد أول سنة ١٢٠٤ هـ »

« عند يونس بن محيسن الترباني من الرميحات حسنة يوم أخذ منا شربة السَّعَر يوم دق فيهِ الكَلَب وطاب »

« نهار تاريخهِ جاب لنا حسانينا النبعات ابن ابو الرمان لحيوي مقتول قتلوهُ النصارى الفرنسيس ودفناه بحسنة بشهادة النبعات . في رجب سنة ١٩١٢ »

« عند أبو زغيبي حسنة يوم طاحوا في المطارة وطلعناهم وكسينا الاثنين الطيبين ودفنا الموتى » * * « عند أهديب بن عرادة يوم فكيناه من درويش باشا من تحت السيف وهو بحسنة دم »

« عند محمد بن سلمان ابو عمرة العرادي حسنة يوم غرق ابنهُ في العريش وطلعناه »

« عند شنيبات الترباني من النبعات حسنة فكوه يوم كان معلقاً على المدفع »

« عند عودة الزريقي الترباني حسنة يوم فكوه من الحبس »

« يوم شنق حميد العرنز لناه من المشنقة ودفنَّاهُ وقاموا أولاد عمه مساعد وعوده بحسنة »

وفائدة العرايشية من هذه الحسنات في البادية عظيمة جداً . فانهُ اذا فقد لأحدهم بعير فتش « الحسانى » عليهِ حتى يجدوهُ . واذا ضاع لهُ حق عند أحد البدو ساعدوه

على رده . واذا كان لهُ حاجة في البادية وأضافهم اكرموهُ وقضوا لهُ حاجتهُ . واذا اختصم اثنان من الحساني على ضيافتـهِ حُكم بالضيافة لصاحب الحسنة الأهمّ لأن الحسنات درجات في الأهمية . واذا حصلت حرب بين قبيلة المحسن وقبيلة المحسن اليهِ فالمحسن اليهِ لا يحارب المحسن ولا يقربهُ بسوء

ومما سمعتـهُ من أهل العريش بشأن الحسنات أن اللحيوات قتلوا رجلاً من أولاد سليمان فاصطلحوا معهم على الدية أربعين جملاً فدفع اللحيوات نصف الدية وأبقوا النصف الآخر أي عشرين جملاً بصفة حسنة فدوَّن أولاد سليمان ذلك في دفتر الحسنات

وأخبرني الشيخ سليمان القصير شيخ اللحيوات الأسبق بشأن الحسنات بين العرب بعضهم وبعض : أن التياها قتلوا أخاهُ حسيناً في جهة الطور منذ نحو أربعين سنة وتركوه في مكانهِ . فمر بهِ الزميلي شيخ العليقات في ذلك الحين فحملهُ على جمل ودفنهُ في تربة لهم في جهة الرملة فأتيت الى الشيخ الزميلي وشكرت لهُ جميلهُ ونقلت لهُ الحُسنى وقلت « ناقل لك الحسنى عدَ الخمسة (أي خمسة جدود) لا هاملة ولا مرعية». وانا لازلت احفظ لهُ هذا الجميل وسأورثهُ لأولادي من بعدي لخامس جد »

﴿ الشريك ﴾ هذا وكان حضر الطور وحضر السويس من المسلمين يشترون «حسانيهم» من البدو بالمال فكل تاجر لهُ مصلحة في البادية يختار لهُ «شريكاً» أو حُسْنى من البدو فيجعل لهُ مرتباً من القماش والغلة يدفعهُ لهُ كل سنة على شرط أن يقضي لهُ مصالحهُ مع أهل البادية

حكى لي الشيخ ابراهيم أبو الجدايل قال : ان ابراهيم بك جريدان من أعيان تجار السويس كان لهُ « حسنى » من العوارمة يدعى نصار بن حسن . وكان لنصار مرتب من أرز وقمح وثياب ونحوها يأخذه من ابراهيم بك كل سنة وكان تجار السويس قديماً يرسلون نقودهم صرًّا مع البريد الى مصر فحدث في نحو سنة ١٨٦٠ ان بدوياً قابل البريد وسلب منهُ الصرّ وكان فيه صرَّة ابراهيم بك جريدان . فلما حضر نصار بن حسن الى السويس رفع له ابراهيم بك راية سوداء فسألهُ في ذلك فقال كيف

تكون «حسناي» ويُسرق صري من البريد فقال أنزل هذا الراية واعطني كيلين غلة زاد الطريق ففعل . فذهب نصار بن حسن وما زال يفتش عن الجاني حتى وجده فقال لهُ يا فلان ان حسناي رفع لي راية سوداء بسببك فاما أن ترد لي صرّتهُ أو بيني وبينك الحرب فناولهُ الصرة بذاتها فحملها وأتي بها الى ابراهيم بك في السويس وأما باقي الصرر فما زالت مخفيّة الى الآن

﴿ الخفير ﴾ هذا ما كان بين البدو ومسلمي الحضر وأما نصارى الحضر في الطور فقد كان للبدو عليهم خفارة فكل عائلة من نصارى الحضر كان لها عائلة من البدو تخفرها وتحافظ عليها وعلى مالها . قيل وكان للدير قديماً ٢٥ خفيراً . وكان من سنَّة البدو ان الخفير يرث مخفوره اذا لم يترك وارثاً

واتفق انهُ منذ نحو ٣٥ سنة مات ناصر المسيحي في الطور عن كرم في وادي الحمام ولم يكن لهُ وريث غير أختهِ زوجة الخواجا قسطندي عنصرة فاستولت على الكرم . وكان خفراء ناصر قديماً النفيعات فلما دروا بموتهِ قاموا يطالبون بالكرم مع ان النفيعات تركوا سيناء من زمان ولم يبقَ منهم الاّ شرذمة قليلة كما مرّ . فرفع العناصرة الأمر للداخلية ولما رأى النفيعات ان الداخلية لا تنصرهم سألوا عن خفراء العناصرة من البدو فوجدوا ان خفراءهم أولاد سعيد فأغاروا على جمال أولاد سعيد وأخذوا منها جملين بطريق الوثاقة وقالوا لهم « انكم خفراء العناصرة فانتم مسئولون لنا عن حقنا منهم » . ثم دخل الشيخ موسى أبو نصير شيخ مشايخ الطورة في الصلح فأعطى النفيعات ٢٠ جنيهاً فوق الجملين وحسم النزاع

﴿ ٢ . شريعة القتل ﴾

اذا وقعت حادثة قتل في البادية فأهل القتيل الأقربون من الأب والجد فصاعداً الى الدرجة الخامسة . ومن الابن وابن الابن والأخ وابن الأخ والعم وابن العم فنازلاً الى الدرجة الخامسة يطاردون القاتل وأهلهُ الأقربين الى الدرجة الخامسة صاعداً أو نازلاً طلباً للثار . فاذا فازوا بثارهم وقتلوا القاتل أو أحداً من أهلهِ الأقربين

انتهى الأمر . والاّ فاذا فاز القاتل وأهلهُ بالانجلاء عن بلادهم واحتموا بقبيلة أخرى قبل أن يلحقهم أهل الثار توسَّط لهم عقلاء القبيلة التي احتموا بها عند أهل الثار

﴿ المَدَّة ﴾ فاذا رضوا بالصلح نقلوا لهم « الجيرة » وهي جمل رباع . وقدموا « كفيل وفا » وأخذوا منهم « كفيل دفا » . وامتنع أهل القتيل من ذلك الوقت عن مطالبة أهل القاتل . وجعلوا الميعاد بينهم بيت رجل مشهور مذكور يأتون اليهِ بالدية وتعرف عندهم « بالمَدّة » وهي اربعون جملاً وناقة هجين تعرف بالطلبة . والأربعون جملاً أولها ذلول اي (هجين صافٍ) وآخرها دحور (اي فيها لبن) والثمانية والثلاثون الباقون منها ١٤ رباع بما فيها (الجيرة) الموضوعة قبلاً و ١٢ جذعة و ١٢ حق . وأما الطُّلبة فاذا لم توجد ففداؤها خمسون ريالاً مجيدياً

﴿ الغرة ﴾ هذا في دية القتيل اذا كان من قبيلة غير قبيلة القاتل . أما اذا كان القتيل والقاتل من قبيلة واحدة وجب على أهل القاتل ان يقدموا فوق الدية المعتادة « غرة » أي بنت بكر يأخذها أحد أقارب القتيل بلا مهر بصفة زوجة وتبقى عندهُ حتى تلد ولداً فيصير لها الخيار بين ان تعود الى أهلها حرة وبين ان تجدّد زواجها وتبقى مع أبي ولدها بعد أخذ مهرها . ويراد « بالغرة » اعادة الروابط العائلية الى ما كانت عليهِ قبل القتل . على ان البنات الابكار يأنفن من هذه العادة لما فيها من المعرّة عليهنّ . ولذلك جوزوا فداء الغرة بخمس رباعيات والغالب الفدآء

﴿ الدّليخة ﴾ ومن قتل غدراً واختلاساً في مكان منقطع وانكر ثم ثبت عليهِ القتل عُدَّت فعلتهُ دَليخة وطولب بأربع ديات . فاذا أخذ أهل القتيل بالثار من واحد ودخل العقلآء بالصلح حكم القصاص على أهل القاتل بثلاث ديات فيأخذ أهل القتيل دية واحدة ويتصدقون بواحدة ويسامحون بواحدة . وكذلك من قتل طفلاً عُدَّ قتلهُ دليخة ووجب عليهِ أربع ديات . واما من قتل امرأة فقد وجبت عليه ثماني ديات

وتدفع الدية في الغالب اقساطاً مؤجلة من قسط الى اربعة في ميعاد شهر الى سنة ولكنها في بعض الأحيان تدفع كلها فوراً دفعة واحدة . وهي توزع بين أقارب المقتول الذكور الذين يطاردون بدمهِ ومن أمثالهم « من طارد في الدم اخذ فيه »

ويكفي لوجوب الدية ومنع المطاردة للدم رضى واحد من اقارب القتيل الاخصاء فاذا رضي واحد اضطر الكل الى الرضى برضاه على نحو ما هو مشروع في الاسلام

واذا لم يكن عند القاتل قيمة دية ولم ترضَ قبيلتهُ دفع الدية عنهُ علق «الجيرة» وأخذ ميعاداً طويلاً من أصحاب الدم وطاف في القبائل يستعطي الدية حتى يستوفيها

﴿ ٣ . شريعة الجروح ﴾

أما جزآء الجروح فبحسب مقدارها ونوعها وموضعها . فاذا كان الجرح ظاهراً للعيان كأن يكون في الوجه وشوَّه الوجه كان قصاصهُ أعظم من الجرح الذي لا يظهر للعيان . يقيس القصَّاص الجرح بأصابعهِ وهي لاصقة بعضها ببعض ويجعل غرامتهُ كل أصبع بجمل أو أقلّ . وأما الجرح الظاهر للعيان فاما أن يقيسهُ كما قاس الجرح غير الظاهر ويضعّف الغرامة أو أن يضع فيهِ ورقة بيضاء ويتقهقر الى الورآء وهو ينظر الى الورقة فكل خطوة يخطوها الى الورآء بجمل كبير أو صغير أو بنتو أو نصف بنتو حسب أهمية الجرح حتى تغيب الورقة عن نظره فيقف ويجمع خطاه ويوجب على الجاني بعددها ابلاً أو بنتوات

أما كسر الساق أو الذراع أو اتلاف العين أو أي عضو من الأعضاء الرئيسية في الجسم فغرامتها نصف الدية . وغرامة قطع الإصبع الشاهد خمسة بعران . والخنصر بعير . وكسر السن بعير

واذا اطلق أحدهم بندقية على رجل فلم تصبهُ حوكم عند كبار العرب وحكموا للمدّعي بالبندقية « وطيبة خاطر » أو يلزمون المدعى عليهِ باليمين انهُ لم يكن يقصده

أما الضربة التي لا تسبب جرحاً فغرامتها من ١٠٠ الى ٢٠٠ غرش الاّ اذا كان الضرب بالكف أو بالعصا أو بالغليون أو بطاسة البن فان الضرب بها عندهم أعظم من الضرب بالسيف اذ يقولون أن الضرب بهذه الأدوات فيه امتهان للمضروب. والغرامة المعتادة على ضرب الكف جمل « مفرود » . ولكن كثير منهم لا يرضى بالقصَّاص في مثل هذه الجنايات بل يطلب الجاني الى المنشد ويطلب منهُ ردّ شرفهِ

﴿ ٤ . شريعة النساء ﴾

﴿ الشرود بالبنات ﴾ تقدم ان القاعدة عند البدو الزواج بين الأقارب فقلما يطلب شاب التزوج يذت من غير قبيلتهِ وكذلك الشابة قلما ترضى التزوج بشاب من غير قبيلتها ولكن سلطان الحب الذي لا يخضع لسلطان قد يستولى على شاب وشابة بكر أو ثيب من قبيلة واحدة بينهما قرابة بعيدة . أو من قبيلتين مختلفتين ويكون للشابة خاطبٌ من أهلها تكرههُ فتتبع هواها وتشرد مع محبها الى بلاد بعيدة فتقوم قيامة أهل الشابة على أهل الشاب

فاذا شرد شاب بشابة بكر من غير قبيلتهِ . اجتمع أهل الشابة وأخذوا جملاً لأهل الشاب بصفة « جيرة » ورموا وجه أحد الكبار بينهم وبين أقارب البنت منعاً للشر ثم فزعوا وراء الشابين وردوا الشابة الى أهلها وجروا الشاب الى المنشد فيحكم عليهِ بخمسة جمال الى خمسة عشر جملاً وفيها جمل أوضح « شيال حمل الفام» أي حمل التركي فان التركي مشهور عندهم بتحميل الجمل جهد طاقتهِ . ويبقى لأهل البنت الخيار فاما أن يزوجوه اياها ويأخذوا منهُ مهرها أو يفصلوها عنهُ . الاّ اذا حملت منهُ فانهم يأخذون منهُ مهرها ويزوجونهُ اياها اضطراراً

وأما اذا كان الشاب والشابة من قبيلة واحدة كانت غرامة الشاب أخفّ كثيراً أي جملاً واحداً . الا اذا حملت منهُ فيضطر أهلها ان يزوجوه اياها ويلزموه بدفع مهرها على التمام أي خمسة جمال

﴿ الشرود بالزوجات ﴾ واذا شرد أحدهم بزوجة رجل من قبيلتهِ أو من غير قبيلتهِ أسرع أهل الشارد الى نقل « الجيرة » لأحد أقارب الزوجة دفعاً لشر أهل الزوجة. وكل ما يفعلهُ أهل الزوجة قبل قبول الجيرة من ضرب رجال أو شلّ مال يذهب هدراً لأنهُ مباح عندهم . ثم ان أهل الشارد والشاردة يحضرونهما الى العقبي فيحكم « بأربعين جمل وقوف أو غلام مكتوف » ويراد بالغلام المكتوف المعتدي بعينهِ مكتوفاً مقدماً للقتل . فيتوسط الحضور بالصلح فترسو الغرامة على عشرة جمال

﴿ اغتصاب البنات ﴾ واذا اغتصب أحدهم بنتاً بكراً من غير قبيلتهِ تذهب البنت لبعض الجيران من غير أهلها وتقول لهم « أنا شاكية » فيصل الخبر الى أبيها فيرمي أحد المصلحين « وجهاً » بين أهل البنت وأهل الشاب . ثم يطلب الأبُ الجانيَ الى المنشد فيحكم عليهِ بثمانية جمال

واذا اغتصب بنتاً بكراً من قبيلتهِ يُحكم عليهِ بستة جمال

واذا اغتصب ثيباً من غير قبيلتهِ يُحكم عليهِ بأربعة جمال

واذا اغتصب ثيباً من قبيلتهِ يُحكم عليهِ بجملين . هذا اذا شكت الثيب في الحال والاَّ فيحكم عليهِ بجمل صغير

﴿ العدل بين النساء ﴾ وغالب البدو يتزوج بامرأة واحدة . ولكن الكثير منهم يتزوج بامرأتين . وأما المتزوج بثلاث أو أربع فقليل

ومن تزوج بأكثر من واحدة لا بد لهُ من العدل بين نسائهِ بأن يجعل لكل منهنَّ خيمة ويأتيها ليلة . فاذا أهمل دور احداهنَّ أخذت خيطاً وعقدتهُ عقدةً . ثم كلما أهمل ليلة عقدت عقدةً اخرى حتى يفرغ صبرها فتأخذ الخيط المعقّد وتذهب بهِ الى ذويها فيأخذونها الى العقبي فيحكم لها بناقة رباعية عن كل ليلة تخلى زوجها عنها

﴿ ضرب النساء ﴾ واذا ضرب رجل زوجتهُ بكفهِ ولم يسبب الضرب جرحاً كانت « رضاوتها » غرشاً واحداً عن كل كفٍّ . واذا سبَّب الضرب جرحاً وكان خفيفاً كانت رضاوتها نعجةً رباعيةً أو جنيهاً واحداً . وأما اذا كان الجرح بليغاً ساقتهُ الى القصَّاص وغرمهُ غرامة كبيرة . واذا طلبت منهُ طلاقها ساعدها عليهِ

وقد سألتُ بعض قضاتهم عن السبب في جعل رضاوة المرأة في ضربة الكف زهيداً الى هذا الحد قال : « لكي تبقى المرأة مكسورة الجناح ويبقى الرجل قيماً عليها »

﴿ الطلاق ﴾ وقلما يطلب الرجل عندهم الطلاق . فأكثر الطلاق يكون من جانب المرأة . فاذا أراد الرجل الطلاق ذهب بامرأتهِ الى أحد الناس وقال لها في حضرتهِ « انتِ طالقة وهذا كفيل طلاقك » فيأخذها الكفيل الى بيت أبيها * واذا أرادت المرأة الطلاق من زوجها ذهبت الى أحد أقاربها ، لا الى أبيها ، واستنجدتهُ للخلاص

من زوجها فيأتي بها الى العقبي فيأخذ العقبي في تطييب خاطرها وردّها عن عزمها وتهوين الأمر عليها ويحكم على الزوج في الغالب بأن يأتيها بيضع نعجات وحلة «ورحاية» وغربال وحمار تجلب عليهِ الماء وان يجعل خيمتها بين خيمتين من خيام أقاربها . فاذا فعل الزوج ذلك وبقيت الزوجة كارهة لهُ مصرة على طلاقهِ طلقها العقبي منهُ

وعدة الطلاق عندهم تسعون يوماً . فاذا ظهر أنها غير حامل جاز لها أن تتزوج بغيرهِ . واذا ظهر أنها حامل بقيت بلا زواج حتى تلد وتفطم ولدها . وفي هذه الحالة فان كان الطلاق من الرجل يعود في الغالب فيستردها لأنهُ يكون قد اشترط هذا عند الطلاق . وان كان الطلاق من المرأة لزمهُ كسوتها وطعامها الى أن تلد الولد وتفطمهُ . أما الكسوة فبدلتان وأما الطعام فأربعة أرادب غلة في السنة

ويجوز للبدوي أن يردّ امرأتهُ بعد طلاقها بمهر زهيد. الاَّ اذا طلقها ثلاثاً فتحرم عليهِ حتى تتزوج بآخر كما سنَّ الشرع . ويجوز لمن توفيت امرأتهُ ان يتزوج اختها بمهر زهيد

﴿ ٥ . شريعة الابل ﴾

أما شريعة الإبل فصارمة جدًّا والدليل على صرامتها ان الإبل تُترك في المراعي وحدها فلا يجسر أحد أن يمسّها . ولكن هناك ظروفاً خاصة تُسوّغ للبدوي استعمال غير إبلهِ فللملسوع أو العطشان أو الفارّ من خطر ان يركب أية ناقة وجدها في طريقهِ بلا حرج عليهِ . ولكنهُ اذا ركب ناقة غيرهِ لأنهُ تعب فهو مسؤول

واجرة الراعي لثلة من الإبل من الخمسين فصاعداً « مفرود » في السنة . ومن خمسين فنازلاً « مباري » . ومن أقوالهم : « يا راعي الزودين كرالك مفرودين » . ومنها : الراعي « ركبه عشاه وجلده غطاه » فلا تمنع عنهُ أجرتهُ بأي حال كان

﴿ ٦ . شرائع اخرى ﴾

﴿ الحوالة ﴾ والحوالة عندهم مقبولة وجائزة

﴿ الرهن ﴾ وهم يرهنون أراضيهم الزراعية على مالٍ يستدينونهُ لسنين معلومة. فيزرع المرتهن الأرض ويستغلها بفائدة مالهِ . واذا لم يفهِ الراهن حقهُ في الميعاد بقيت

الأرض بيدهِ يستغلها الى أن يسترد مالهُ . ومن أمثالهم « دار الرهن عمار » . ولكن في أكثر الأحيان يبيع الراهن أرضهُ للمرتهن سداداً للمال

﴿ الشفعة ﴾ والشفعة مرعية عندهم لسابع جار على الترتيب . فسابع جار أحق بالشراء من الاجنبي وشهادتهُ في الأرض أقوى وأقبل. ويعرف الجار عندهم «بالحديد». واذا كان للأرض حديدان وأراد صاحبها بيعها فلكل منهما حق بشراء جزء منها

« قانون الوراثة » ويرث البكر عندهم وظيفة أبيهِ من شيخ قبيلة أو قاضٍ أو حسيب أو عقيد الاّ اذا كان غير صالح لها فيختار قومهُ للوظيفة الأصلح في العائلة الأقرب فالاقرب * وليس للبنت عندهم ميراث معيّن بل اذا مات أب عن بنات وبنين ومال قسم البنون المال والبنات فيما بينهم . واذا لم يكن للمتوفَّى ذكور تولى مالهُ وبناتهُ أقرب الذكور اليـــهِ * فاذا مات رجل عن زوجة وبنت ورث مالهُ أقرب الذكور اليهِ من أهلهِ فيعطي الزوجة جمــلاً ويُدخل البنت في كنفهِ وهو يزوجها ويأخذ مهرها أو يبقيها في بيتهِ وينفق عليها * وعند زواج البنت فأخوها أو وليها يأخذ مهرها لنفسهِ ويعطيها عنزة أو عنزتين ثم متى زارتهُ في السنــة التالية لزواجها أعطاها عنزة أو عنزتين . « وكان الله يحب المحسنين »

﴿ امثلة من احكام قضاة البدو ﴾

١ . حكم كبار العرب في قضية أرض زراعية

في نحو سنة ١٩٠٠ لما كان عثمان بك فريد محافظاً في العريش اختلف حمَّاد القديري وعلي بن خلف وكلاهما من السواركة على ملكية أرض في القرَيعي فاتفقا أمام المحافظ أن يحلف علي بن خلف اليمين على الأرض ويأخذها . فذهبا الى الأرض وذهب معهما بعض هجانة المحافظة وجماعة من العربان . فمشى علي بن خلف على حد الأرض التي يدَّعيها ثم نادى حماد القديري ووضع يده في حزامهِ ونطق بالقسم الآتي :

« واللهِ واللهِ واللهِ وفي ولدي الفالح ومالي السارح هـذا هو حد الأرض التي ورثتها عن أبي وجدي » . فأصدرت المحافظة أمرها لعلي بن خلف بملكية الأرض

٢ . حكم قصاص في قضية جرح

اتفق أنهُ مدة وجودي بنخل سنة ١٩٠٥ حضر اليها العوارمة والحويطات يتقاضون عند القصَّاص سلامة الشويكي من البنيَّات التياها في قضية جرح وكان المجروح عودة الحويطي وجرحهُ بليغ في ظهره . فقاس الشويكي الجرح وحكم لهُ بسبعة وعشرين جملاً و١٣ بنتو . فشكا العوارمة من ثقل الغرامة وطلبوا من الحويطات تخفيضها فخفضوها جملاً واحداً فبقي على العوارمة ٢٦ جملاً بين رباع وجذع ولبني و١٣ بنتو تقدم أقساطاً ثلاثة في ١٨٠ يوماً بين القسط الواحد والآخر ٦٠ يوماً وذلك عن يد المَشوق في نخل ابتداءً من ٢٧ مايو سنة ١٩٠٥ . ونفذ الحكم

٣ . المبشع والمنشد في قضية ردّ شرف

ومنذ بضع سنين عقد العوارمة والقرارشة شركة لاستخراج الفيروز من وادي المغارة فجمعوا صرة كبيرة وجعلوها في «قرية» حسن بن فيض القرَّاشي . وبعد أيام افتقدوها فلم يجدوها فأتهم العوارمة بها رجلاً من القرارشة يدعى خليل بن أخي الشيخ موسى بن نصير وأخذوه الى المبشع في بلاد الحجاز فألحسهُ الطاس المحماة ولما لم تترك أثراً على لسانهِ أصدر المبشع حكمهُ ببراءتهِ . فعاد القرارشة على العوارمة بردّ شرف المتهم وطلبوهم الى المنشد ولما أبوا «ردوا عليهم النقا» وأعطوهم ميعاداً ٣٥ يوماً . فوصل الخبر الى سعد بك رفعت قومندان سيناء في ذلك الحين فرمى وجههُ على الفريقين وأرسل في طلب المشايخ الى نخل فحضروا وأقام منشداً في نخل فحكم على العوارمة بأربعين جملاً يؤدونها للقرارشة وغزّ رجم لهم في وادي فيران لردّ شرفهم . وبذلك انطفأ الشر وأقام الفريقان رجماً لسعد بك على ربع ساعة من نخل في طريق الطور إعلاناً لفضلهِ واعترافاً بجميلهِ

٤ . حكم المنشد في قضية خطف بنت

خطف شاب من الصفايحة(١) بنتاً من التياها سنة ١٨٩٩ وشرد بها الى معان فأشهر أهلها الحرب على الصفايحة فأسرع سعد بك قومندان سيناء ورمى وجههُ عليهم لمنع

(١) الصفايحة هم فرع من الأحيوات يسمون الأحيوات الصفايحة .

التياها عنهم. ثم أمر مشائخ الصفايحة باحضار الشاردَين اليهِ فلم يمضِ ١٥ يوماً حتى كانا في قلعـة نخل فعقد سعد بك مجلساً من مشائخ التياها والصفايحة وأقام فيهم منشداً للفصل في المسألة فحكم على الصفايحة بأربعين جملاً يؤدونها لأهل البنت فتوسط الحضور مع التياها وخفضوا الغرامة الى ثمانية جمال. وأقام الفريقان رجماً لسعد بك رفعت عند عجيرة الشَّي قرب الخفجة اعترافاً بفضلهِ

وأخذ رجل من الصفايحة منديلاً أبيض فعقدهُ الى رأس عصا وطاف في البلدة ينادي: «هذه راية البيك بيَّض الله وجههُ وشكر فضلهُ وأعلى شأنهُ وستر عرضهُ»

٥٠ الزيادي في قضية سرقة ناقة

أخبرني محمد اغا ابو جمعه ضابط هجانة نخل قال: سُرق لي ناقة سنة ١٩٠٠ فوجدتها عند الشيخ حماد الصوفي كبير الترابين في بلاد غزة وحلف لي أنهُ اشتراها بعشرة جنيهات من رجل لا يعرفهُ. والعادة في مثل هذه الحالة أن الشاري وصاحب المال يتقاسمان الخسارة بينهمـا مناصفة والخيار لصاحب المال فان شاء دفع نصف الثمن للمشتري وأخذ مالهُ أو أخذ نصف الثمن وتركهُ للمشتري. فخيرني الشيخ حماد بين اتباع العادة أو التفتيش عن السارق فقلت افتش عن السارق أولاً فاذا لم أجده أعود فأنقدك نصف الثمن وآخذ ناقتي. فرضي بذلك وأصحبني برجل يعرف ملامح السارق فبقيت أبحثُ عنهُ حتى وجدتهُ عند نهر الشريعة وهو رجل من التياها يدعى سلمان سليم. فقال استر عليَّ يا محمد وخذ ما تريد فقلت اطلب أولاً ليرتين فرنساويتين أجرة الدليل الذي هداني اليك وثمن الناقة ثم أطلبك الى الزيادي تأديباً لك على السرقة. فنقدني أجرة الدليل وثمن الناقة وتوسل اليَّ أن اعفو عنهُ وأنجيهُ من الزيادي فأبيت ودعوتهُ الى نخل فحضر. ولما كان حق تسمية الزيادي لي لأني المدعي سمّيت القضاة الثلاثة: الشيخ سليمان العوارمة من كبار التياها واثنين آخرين. وبعد ان دفع المدعي عليـهِ «الرزقة» (وهي من ٤ جنيه الى ٨ جنيه) واصطف الناس نصف حلقة حول الزيادي قلت:

«ايش عندك يا زيادي أول ما أجيك بهدي وأثنّي عليك بقضي ولا تنقضي

الحاجات الا بالصلاة على النبي . ايش عندك في رفيقي هذا اللي من عماه وقلة هداه وابليس غواه ومشى لناقتي وخانها وأخذها من فلاها ووداها مهفاها وباعها وقبض ثمنها وهي بطنها باع وسمنتها ذراع ملحقة الطلب مندرة العرب . والله ومشيت وراه لما استقصيت عليهِ وجبتهُ وبرَّكته ركبته مثنية قدام جماعة محنية . اني أجرّمه وأغرّمه وألحقهُ بالمهافي والمسافي وأنا داخل على الله وعليك على حق بيّن لك وغبي علي »

فقال المتهم : — « وايش عندك يا زيادي في ناقة رفيقي هذا اللي زليت فيها زلة . وان شاء الله أقول من عندك هذه الزلة لا تلحقني فيها غرامة ولا جرامة . والله أخذتها في الليل وأحسبها من الطير الأجنبي وهذا الذي جسرني على أخذها والله على بالي لما اخذتها لا غاويني شيطان وما جرَّبني الرحمن وانها غنيمة باردة . وهذا عقاب حجَّة البليم عند القاضي الفهيم »

فقال الزيادي « انا من عندي ان الناقة اللي وسمها على خشمها ويخونها حديدها اللي الحوض واحد والروض واحد . أنا من عندي انها مربّعة (اي يغرم سارقها بأربع نياق) . ومن عندي حقها من خلاها لما وصلها مهفاها كل خطوة بجنيه يدفعها لصاحب الناقة» . فصاح المتهم من ثقل الغرامة وطلب مني هو وجميع الحضور تخفيفها فسامحتهُ بالخطوات اكراماً للجمهور وأخذت منهُ غرامة الاربع نياق. ومن ذلك الحين لم يعد يجسر أحد من البَرَزة ان يعتدي على إبل العساكر الى هذا اليوم » اه

الفصل الرابع

في

﴿ نقد شريعة البدو وحكومتهم وطرق اصلاحهم ﴾

هذه هي خلاصة شريعة البدو في سيناء وحكومتهم كما أخذتها عن قضاتهم واكابر ثقاتهم . وهي وان كانت ترمي الى العدل والمساواة الاّ ان في مبادئها الاساسية من أسباب الخلل ما يستحيل معهُ استتباب الأمن وتعميم السلام في البادية . وقد كانت

ولا تزال علة الفوضى التي اشتهر بها البدو في كل زمان ومكان . وأهم تلك الاسباب .

حصر العقوبات كلها في المـال . واجازة البشعة . والوثاقة . والأخذ بالثار : والاجحاف بحقوق النسآء

أما « العقوبة في المال » فقد رأيت أن كل عقوبة في شريعتهم مهما كان سببها من قتل او ضرب او سرقة او غيرها انما هي في المال ليس الا . ومعلوم ان الغرم في المال ليس بالوازع الذي يزجر المرء عن المفاسد بل ربما كان باعثاً على زيادة المفاسد لاستسهال الغرم في جانب الحصول على الغرض فيبقى القوم فوضى مستطيلة أيدي بعضهم على بعض فلا يستقيم لهم عمران ولا يقرّون على أمان . وعليهِ فلا بدَّ من ادخال بعض العقوبات البدنية في الاحكام كالقتل والسجن والأشغال الشاقة لتكون الوازع الكافي للصغير والكبير، المعدم والميسر، الضعيف والقوي

واما « البشعة » فقد رأيت مما تقدم بطلانها و بعدها عن العدالة و يجب منعها بتاتاً من البادية والضرب على يد المبشع حتى لا يعود الى هذه الصناعة الكاذبة

واما « الوثاقة والاخذ بالثار » فانهما يبطلان من طبيعتهما متى وثق البدو من حزم الحاكم واهتمامهِ في تحصيل حقوقهم والاخذ بثارهم . لان البدوي الذي يكف عن الوثاقة والاخذ بالثار لمجرد رمي وجه كبير من كبار البادية عليه لحريٌّ بأن يكفَّ عنهما اذا رُمي عليه وجه الحاكم وكان الحاكم هو الناصر لهُ على خصمهِ في الحق . اما سلو البدو في أخذ الثار من الجاني وأهلهِ الاقربين لخامس جد صعداً او نزلاً لمن اعظم الكبائر التي يرتكبها البدو في باديتهم ولا بدَّ من حملهم على تركها في اي حال

واما « أجحافهم بحقوق النسآء » فظاهر من حرمان المرأة نصيبها في الوراثة وتزويج البنت البكر البالغ من أي رجل اختارهُ لها أبوها او وليها بدون أخذ رأيها . وهذا الغض من حقوق النسآء ، الذي لم يقتصر على البادية بل تعدَّاها الى الحضر ، لمن اكبر الأدلّة على ميل النفس الفطري الى الاستبداد وهضم القوي حق الضعيف

هذه هي أهم الاسباب التي تدعو الى دوام الفوضى في البادية ولا يصلح حال البدو ويستتب الأمن في باديتهم الا بازالة هذه الاسباب من شريعتهم . ورجال

الحربية المسؤولون الآن عن حكومة سيناء قد تلافوا هذه الاسباب بالقانون القضائي الاداري الذي استصدروهُ من الجناب العالي حديثاً وبهِ تُحكَم بادية سيناء في وقتنا الحاضر وقد تقدم ذكره برمَّتهِ . فهو يجوّز العقوبات البدنية ويقضي على البشعة والوثاقة والاخذ بالثار ويبقي لقضاة البادية العارفين بأحوالها صفة استشارية

على ان القانون وحدهُ مهما صلح حالهُ لا يكفي لاصلاح قوم ما زالوا على البداوة . فلا بدَّ للبدو من الحاكم العادل الحكيم الذي يمزج الرهبة بالرغبة ويتخيَّر اسلوب الحكم الذي يناسب حالهم وتتقبلهُ نفوسهم الأبية المنطبعة على الشورى والحرية

ولعل أفضل سياسة لحاكم البدو ان يكون الرئيس الناصح المرشد لهم لا الحاكم الشديد الصارم عليهم المتحجب عنهم . بل ان يكون بمثابة كبير مشائخهم فيعمر مجلسهُ بأفاضلهم ويوصل خيرهُ الى اكابرهم وأصاغرهم ويشجّع الشريف من طباعهم وعاداتهم ويكون الرقيب على اعمالهم ورغباتهم فكلما بدت هفوة منهم عالجها بما يصلحها برفق وتؤدة لا بعنف وشدة

هذا وقد تقدم ان كل قبيلة من قبائل البادية دولة مستقلة بذاتها وان قبائل سيناء مرتبطة بعضها ببعض بحلفٍ او قلَدٍ حفظاً للسلام . ولكن ربط الوفاق في البادية واهنة الى الغاية فأقل سبب يزيلها ويوقع الشر بين قبائلها . فمتى تولاّها الحاكم العارف بعاداتها واساليبها الراغب في اصلاح حالها متّن رُبط الوفاق بين قبائلها وحسم اسباب الخلاف بين افرادها فتصبح كلها كأنها قبيلة واحدة هو رئيسها الاعظم وشيخها الأرشد . وهذا الذي تراعيهِ نظارة الحربية الآن عند اختيارها محافظي سيناء ولذلك فقد خطت بالبلاد خطوات واسعة نحو الاصلاح كما بيَّنَّاه في محلهِ

واذا رفقت السياسة بسيناء، وقُدّر لها أن تكون همزة وصل لا همزة قطع، رأينا فيها سكة حديد تربط القطرين الشقيقين (قريباً ان شاء الله) وكان من ذلك خير كبير للقطرين وسيناء معاً . وفي كل حال فان النية معقودة على اضطراد الاصلاح في سيناء الى ما شاء الله



فى

تاريخ سيناء

القديم والحديث

الباب الأوّل

في

« تاريخ سيناء القديم »

تمهيـــد

في

« اسم سيناء القديم وسكانها الأصليين »

عُرفت سيناء على الآثار المصرية باسم «توشويت» أي أرض الجدب والعرآء . وعرف أهلها في الشمال باسم « هيروشايتو » أي أسياد الرمال ونسبوا الى جنس « الآمو » المعروف عندنا بالجنس السامي . وعرف أهلها في الجنوب باسم «مونيتو »

وكان المونيتو والهيروشايتو متشابهين في الهيئات والملابس والعيشة البدوية . وقد دلت صورهم الباقية على الآثار الى اليوم ان هيئاتهم في تلك العصور الخالية تقرب جدًّا من هيئات بدو سينآء في هذه الايام . وكانوا يمشون حفاة ويشدون أوساطهم بالأحزمة ويتردُّون بالأعبئة . وسلاحهم القوس والنبل والحربة والنبوت والسكين والفاس والترس * وكانوا يقتنون قطعاناً من الأغنام . أما الجمل والحصان فلم يكونا معروفين عندهم كما انهما لم يكونا معروفين في مصر * وكان معظم طعامهم ألبان المواشي وأثمار النخيل * ويشتغل بعضهم بالزراعة فيسكنون جوار الينابيع والآبار ويزرعون ما خصب من الأرض على قلتهِ وينشئون الحدائق من النخيل والتين والزيتون والكرم * ولم يكن يكفيهم محصول أرضهم فكانوا ينتابون أسواق شرق مصر وجنوب سوريا يبيعون فيها العسل والصوف والصمغ والمنّ والفحم من

محصول صحرائهم ويأتون منها بما أعوزهم من الحبوب والملابس على نحو ما يفعل بدو هذه الأيام . « والتاريخ يعيد نفسهُ »

وفي أخبار المصريين القدماء ان اولئك الأقوام كان يغرّهم خِصب مصر فكانوا كلما سنحت لهم فرصة غزوا أطرافها الشرقية فنهبوا وسلبوا وعادوا الى صحرائهم . وذلك منذ بدء التاريخ حتى قيل ان الآلهة كانت تحتاط لنفسها من غزواتهم

وكان يحول بينهم وبين مصر خليج السويس من الجنوب وبحيرة الطينة من الشمال . فلم يكن لهم منفذ الى مصر الا ثغرة بين هذين التخمين تؤدي الى الوادي المعروف الآن بوادي الطميلات . وكان المصريون يحصّنون تلك الثغرة بصف من القلاع والابراج كالتي نرى خرائبها الى اليوم على ضفتي النيل . وقيل انهم في زمن من الازمان حصّنوها بسور منيع امتد من رأس خليج السويس الى الطينة

وكان حرّاس الابراج والقلاع يولُّون وجوههم جهة الصحراء حتى اذا ما أحسوا بغزاة البدو أيقظوا الحامية وانقضُّوا عليهم كالنسور . فكان البدو يترقبون غفلة من الحراس فيخترقون خط القلاع متوارين بحُزون الأرض فينزلون على بلدة او اكثر يختطفون كل ما وصلت اليهِ ايديهم من نسآء وأولاد ومتاع وينقلبون راجعين الى الصحراء

وكان الفراعنة كلما كثر عيث البدو وجَّهوا حاكم الشرقية او ذهبوا هم أنفسهم بجيش صغير وانتقموا منهم . وأوّل من اشتهر بغزوهم من الفراعنة الملك سنفرو من ملوك الدولة الثالثة . وقد بنى وجدّد القلاع والابراج في الثغرة الشرقية زيادة في التحصن منهم . ولكن غزاهم قبلهُ ملوك مصر منذ عهد الدولة الاولى كما سيجيءُ

وكان البدو يمتنعون في معاقل الجبال ومنعطفات الاودية فيبنون فيها ابراجاً من الحجر الغشيم اسطوانية الشكل او بيضيَّة بأقراص مخروطية كقفير النحل وهي المعروفة عند بدو هذه الايام « بالنواويس » وكانوا يدافعون فيها بثبات وصبر على رجآء ان مهاجميهم يعوزهم الماء والزاد فيرتدُّون عنهم

وكانت منازل اولئك البدو اكواخاً من الحجر الغشيم يجعلونها صفاً في دائرة فيسكنون فيها هم وعيالهم ويجعلون مواشيهم في الوسط . ثم يحيطون دائرة الاكواخ

بزرب متين من الحجر وأغصان الشجر « كدوَّارات » البدو في هذه الايام



شكل ٦٨ : مثال من نواويس سكان سيناء الاصليين في وادي البيار

وما زالت آثار أبراجهم ومنازلهم باقية في سيناء الى اليوم كما قدمنا . ولكن تلك الأبراج والمنازل وان كانت منيعة على البدو لم تكن لتثبت طويلاً في وجه الغزاة المصريين المجهَّزين بجميع معدات الهجوم . وكثيراً ما كان المصريون يدكُّونها الى الأساس ويعيثون بأرض البدو فيقطعون أشجارهم المثمرة ويحرقون زرعهم ويعودون الى مصر . فكانت الحملة الواحدة في أيام معدودة تصد البدو عن مصر عدة سنين (اه ملخصاً بتصرف عن فجر العمران للأثري الشهير مَـبرو)

وذكر العلامة هسكنز الأميركي في كتابهِ النفيس « من النيل الى نبو » : « أن قد وجد حديثاً في « سوسه » في خرائب مملكة بابل نصب تاريخي دلّت ترجمتهُ التي نشرت سنة ١٩٠٧ ان سيناء كانت تسمى قديماً أرض « مجان » . وان « نرام سين » غزا مجان سنة ٣٧٥٠ ق . م فقهر صاحبها « مانيوم » وحمل الى عاصمتهِ « عقادى » قطعاً من حجرها المعروف بحجر الحية (Green Diorite) فصنع منها تماثيل لنفسهِ ونقش على قاعدة أحدها خبر هذه الغزوة » .

قلت ولعلَّ مَدْين ، الاسم الذي عرفت بهِ سيناء عند مؤرخي العرب ، محرَّف عن اسم « مجان » المذكور في هذا الأثر البابلي

الفصل الاول

في

﴿ تاريخ سينآء في عهد الدول العشرين الأُولى المصرية ﴾

﴿ من سنة ٥٢٩١ الى سنة ١١٥٦ ق٠م ﴾

﴿ ١ . تعدين الدول العشرين الاولى للفيروز والنحاس في بلاد الطور ﴾

اكتشف المونيتو سكان بلاد الطور الاصليين ، منذ بدء التاريخ ، طبقات معدنية في الشمال الغربي من بلادهم استخرجوا منها الفيروز والنحاس والمنغنيس والحديد . وكانوا يأخذونها الى الدلتا ويبيعونها للمصريين كما يفعل بدو هذه الأيام بالفيروز. وكان الفيروز من الجواهر المستحبة عند المصريين . فحرك ذلك اطماع ملوكهم فأرسلوا الحملات الى بلاد المونيتو ففتحوها عنوة واستثمروا معادنها ولا سيما الفيروز

وقد عدَّنوا الفيروز أولاً في وادي المغارة منذ عهد الدولة الأولى . ثم بعد ذلك بأجيال عدَّنوه أيضاً في سرابيت الخادم . وعدَّنوا النحاس في وادي النصب الغربية . والمنغنيس والحديد في غيرهِ كما سيجيء

وقد أطلقوا على البلاد التي عدَّنوا فيها الفيروز اسم « مفكة » فجعل بعض علمآء التوارة هذا الاسم أصلاً « لدفقة » المذكورة في طريق الاسرائيلين في سيناء لا سيما وان محل دفقة في الطريق ينطبق على وادي المغارة أحد معادن الفيروز

على ان المونيتو لم يرضخوا لاغتصاب أملاكهم بالسهل فكان المصريون يشترون سكوتهم بمال ينقدونهم اياه قبل التعدين . أو يعدُّون قوة من العساكر لدفع هجماتهم في أثناء التعدين

وقد دوَّن المصريون خبر غزواتهم وحملات التعدين على صخرات وانصاب في جوار المعادن فظهر مما دوَّنوه على انصاب سرابيت الخادم وغيرها أنهم كانوا كلما ارادوا

التعدين أرسلوا العمال ومعهم الجند والكتاب والبنائين والنقاشين والنحاتين وآل الخبرة في التعدين والامناء لحفظ ما يُجمَع من المعدن والمفتشين والاطباء وغيرهم

وكان أكثر العمال من اسرى الحرب وأرباب الجنايات وعليهم المقدمون وعلى كل عشرة مقدمين شيخ . وكان يساعدهم في التعدين « الآمو » وعليهم نظار . « والرَّتنو » وعليهم مشايخ . أما الآمو فيظن أنهم من سكان سوريا وأما الرتنو فمن سكان سيناء وجنوب فلسطين وكلاهما من الجنس السامي

وقد جاء في أخبار حملة لأحد ملوك الدولة الخامسة أن قد رافقها ثلاثة تراجمة فدل ذلك على أن الرتنو والآمو لم يكونوا يفهمون لغة المصريين وان رجال الطبقة العليا من المصريين لم يتكلموا اللغة السامية

أما عدد رجال الحملات فكان يختلف باختلاف عدد اسرى الحرب والمجرمين في مصر . وقد ذكر على بعض الصخرات الهيروغليفية في وادي المغارة ان ٧٣٤ رجلاً أتوهُ ثلة واحدة للتعدين فيهِ

وكانوا يستخدمون المراكب في البحر والحمير في البر لنقل المؤن والمياه . وقد ورد في خبر بعض الحملات ذكر ٥٠٠ حمار عليهم ٤٣ حمَاراً من الفلاحين

وكان رجال الحملة يجتمعون أولاً عند رأس خليج السويس ومعهم ماؤهم وزادهم فيسيرون بالمراكب في البحر وينزلون ميناء أبو زنيمة اذا كانت وجهتهم سرابيت الخادم. وميناء أبو رديس اذا كانت وجهتهم وادي المغارة . ويسير الحمَّارة بقرب الماء في البر حتى اذا ما وصلوا الميناء المقصود حملوا الزاد والماء على الحمير الى المعدن

وهناك كان يشتغل البعض بالبناء والبعض بتدوين أخبار الحملة وذكر رجالها على الصخور والانصاب ولكن أكثرهم كان يشتغل بالتعدين

وكانوا الى أيام الدولة الثانية عشرة يستخدمون للتعدين أزاميل من الصوان بنُصُب من خشب يقطعون بها الحجارة من جبل الفيروز ويفتتونها بحجارة كبيرة من الرخام الأسود (Basalt) . ثم استعملوا معها أزاميل النحاس ومطارق الحديد كالازاميل والمطارق التي يستعملها بدو هذه الأيام

وقد عثر العلاَّمة بتري استاذ فن الآثار المصرية في كلية لندن على بقايا أزاميل الصوان والمطارق الحجرية وبعض أزاميل النحاس في وادي المغارة وسرابيت الخادم

وكانت حملات التعدين تذهب من مصر مرة كل سنة أو سنتين أو عدة سنين. وموعد قيامها من مصر فصل الشتاء في شهري نوفمبر وديسمبر فتبقى في سيناء الى أن يشتد الحرّ في شهر مايو فتنقلب راجعة بما استخرجتهُ من المعدن الى مصر بعد أن تترك لها أثراً في محل التعدين. وقد ترك المصريون بجانب المعادن، في وادي المغارة وسرابيت الخادم ووادي النصب الغربية وغيرها، من الآثار ما دلّ بأجلى بيان على أنهم غزوا الجزيرة وعدّنوا الفيروز والنحاس والمنغنيس والحديد فيها من عهد الدولة الأولى الى الدولة العشرين. وأهمُّ تلك الآثار هي لملوك الدولة الأولى الى الدولة السادسة. ثم للثانية عشرة. ثم للثامنة عشرة الى العشرين. وبعد الدولة العشرين بطلت حملات التعدين الى اليوم. ولعلَّ السبب في ذلك ان غلة التعدين لم تعد تفي بنفقاته



شكل ٦٩ : بدوي يشوّه صخرة هيروغليفية في وادي المغارة

ومن الغريب أن تلك الآثار ثبتت على الدهر آلافاً من السنين حتى قام طلاب الفيروز في الجيل الحاضر فأخذوا يعيثون فيها ويشوّهون الصخرات الهيروغليفية نفسها طمعاً باستخراج الفيروز منها

وكان علماء القرن الغابر قد اكتشفوا تلك الآثار وعرفوا أهميتها ولكن لم يهتم أحد بالمحافظة عليها حتى ذهب الأثري الشهير العلامة فلندرس بتري المار ذكرهُ الى سيناء لدرس آثارها ورأى عيث طلاب الفيروز في آثار وادي المغارة فرفع الأمر الى حكومة مصر ونصح بوجوب نقل تلك الآثار الى مصر. ففعلت الحكومة بنصحهِ وعهدت الى المستر كورلي من رجال نظارة الاشغال بهذه المهمة فقام بها خير قيام ونقل كل ما امكن نقلهُ من تلك النفائس الى المتحف المصري بالقاهرة. وكان محبو الآثار الذين زاروا تلك الجهات قد نقلوا بعض النفائس الى المتحف البريطاني بلندن أوغيره من متاحف أوروبا فلم يبق هناك من آثار الفراعنة الاَّ ما لا أهمية لهُ أو ما لا خوف عليهِ من عيث البدو وطلاب الفيروز

وقد نقَّب العلاَّمة بتري في آثار المصريين في وادي المغارة وسرابيت الخادم ودرسها درساً فنيًّا وافياً. وفي سنة ١٩٠٦ أصدر كتابهُ « مباحث في سيناء » زينهُ بكثير من الرسوم والخرط وضمنهُ وصف تلك الآثار وصفاً دقيقاً. واستخلص منها أراء جديدة في تاريخ مصر وسيناء والخروج فلخصت من كتابهِ هذا كلما يدخل بموضوعنا ويهمُّ الجمهور معرفتهُ

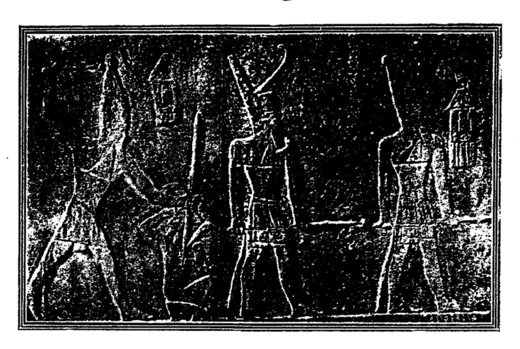
﴿ ٢. آثار الفراعنة في وادي المغارة ﴾

ان أهمّ الآثار التي تركها الفراعنة في وادي المغارة هي: الصخرات الهيروغليفية. ومغاور الفيروز. ومساكن المعدّنين. وسد في الوادي. وأهمها جميعاً:

﴿ الصخرات الهيروغليفية ﴾ وقد كان منها فوق الثلاثين صخرة فعبثت بها أيدي طلاب الفيروز فأتلفوا أكثرها أو شوهوها كما قدمنا وبقي الى يومنا هذا:—

﴿ صخرة سمرخت — ٥٢٩١ : ٥٢٧٣ ق. م— سابع ملوك الدولة الأولى ﴾ عليها رسم هذا الملك في ثلاث هيئات: الأولى في هيئة ملك مصر العليا وعلى رأسهِ تاج مصر السفلى. والثانية في هيئة ملك مصر السفلى. والثالثة في هيئة مصر العليا غير متوج. وقد قبض بيسراه ناصية بدوي جاث أمامهُ وبيمناه نبوتاً قد رفعهُ ليضرب

بهِ البدوي اشارة الى اخضاعهِ سيناء قوة واقتداراً . وعلى طرف الصخرة قائد جيشهِ واقفاً وهو غير ظاهر في الشكل المنقول هنا . وهذه الصخرة هي أقدم أثر للفراعنة في سيناء . وقيل هي أقدم أثر من نوعهِ في العالم كلهِ . وقد تُركت في الجبل لأنها في مكان حصين يعلو ٤٠٠ قدم عن سطح الوادي و بعيد عن طريق المارة



شكل ٧٠ : صخرة سمرخت سابع ملوك الدولة الأولى . أقدم أثر في سيناء

﴿ وصخرتا سانخت — ٤٩٤٥ : ٤٩١٧ ق . م — مؤسس الدولة الثالثة ﴾ احداهما فوق مغارة للفيروز مشوهة قليلاً وعليها صورة هذا الملك تدل سيماؤها على أصل أيثيوبي فتبين من ذلك أن الدولة الثالثة المصرية قد اختلطت بدم أيثيوبي . وقد نُقلت هذه الصخرة الى المتحف المصري بالقاهرة . والصخرة الثانية مشوهة كثيراً ولم يبقَ منها الاّ قطعة صغيرة نُقلت الى المتحف البريطاني بلندن

﴿ وصخرة زَسر — ٤٩١٧ : ٤٨٨٨ ق . م — من ملوك الدولة الثالثة ﴾ وعليها رسم هذه الملك في هيئة غازٍ يضرب بدوياً

﴿ وصخرتا سنَفْرو — ٤٧٨٧ : ٤٧٥٧ ق . م — من ملوك الدولة الثالثة ﴾ على احداهما صورتهُ وقد قبض بيسراه ناصية بدويّ جاث أمامهُ وبيمناه هراوة

لضربه. وحول الصورة كتابة بالهيروغليفية مفادها : «سنفرو الاله العظيم فاتح البلدان وواهب القوة والثبات والصحة والحياة وراحة البال الى الأبد» * وعلى الأخرى صورتهُ في ثلاث هيئات لابساً تاج مصر السفلى وتاج مصر العليا وقد قبض يمناه على عصا لضرب بدوي. وكلا الصخرتين الآن في المتحف المصري تحت رقمَي ١١١و١١٢ . ويظنّ أن الملك سنفرو هو أول من عدَّن الفيروز في سرابيت الخادم . وقد كان تعدين الفيروز قبلهُ محصوراً في وادي المغارة

{ وصخرة ساحورة — ٤٤٢٦ : ٤٤١٣ ق . م — من ملوك الدولة الخامسة } وهي صخرة كبيرة مشوهة قد ذهب منها ثلثها وأُتي ببقيتها الى المتحف المصري فوضعت تحت رقم ١١٣

{ وصخرة رنوسر من ملوك الدولة الخامسة } مساحتها مئة قيراط وقيراطان في ثلاثة وستين قيراطاً . وهي أكبر الصخرات التي وجدت في وادي المغارة ولكنها ليست اتقنها صنعاً . وعليها رسم هذا الملك وخبر تغلبهِ على بدو سيناء . وقد نُقلت الى المتحف المصري بالقاهرة وجعلت تحت رقم ٨٧

{ وصخرة منكوهر — ٤٢٩٢ : ٤٢٨٣ ق . م من ملوك الدولة الخامسة } وهي صخرة صغيرة عليها اسمهُ وليس عليها رسمهُ وقد نقلت الى المتحف المصري بالقاهرة

{ وصخرة امنمحت الثالث — ٣٣٠٣ : ٣٢٥٩ ق . م — من ملوك الدولة الثانية عشرة } وهي صخرة كبيرة عليها كتابة هيروغليفية تدل على تعدين ذلك الملك للفيروز في وادي المغارة * وقد وجد بتري قطعاً من صخرات كسرها المعدّنون المحدثون :

للملك خوفو — ٤٧٠٢ : ٤٦٣٩ ق . م من ملوك الدولة الرابعة

وللملك اسًا — ٤٢٨٣ : ٤٢٣٩ ق . م من ملوك الدولة الخامسة

وللملك پيبي الاول — ٤١٦٧ : ٤١١٤ ق.م من ملوك الدولة السادسة . ولغيرهم

{ مغاور الفيروز } أما مغاور الفيروز التي تركها الفراعنة في وادي المغارة فكلها في طبقة من الجبل تعلو نحو ١٧٠ قدماً عن سطح الوادي و ١١٧٠ قدماً عن سطح البحر . وأهمها مغارة سانخت المار ذكرهُ طولها ٢٠ قدماً وعلوها ٥ أقدام

ولا يزال البدو يعدنون الفيروز فيها وفي غيرها من مغاور القدماء ويوسّعونها الى اليوم

﴿ مساكن المعدّنين القدماء ﴾ هذا وكان المعدنون القدماء في وادي المغارة يسكنون اكواخاً من الحجر قرب مغاور الفيروز . وترى الى الآن على اكة منفردة تجاه المغاور انقاض منازل تسع نحو ٢٠٠ رجل وكلها مبنية من الحجر الغشيم بلا طين بعضها مستدير الشكل وبعضها مربع مستطيل . ولها أبواب ضيقة جداً حتى لا يدخلها السمين من الرجال الاّ بالجهد

﴿ السدّ ﴾ والظاهر ان مياه عين وادي اقنه في جوار المعدن وعين وادي لبن على نحو ساعتين شرقيهُ لم تكن تكفيهم فأقاموا سدّاً منيعاً من الحجارة في سيل وادي المغارة وصل الاكة التي كانوا يسكنونها بالاكة التي كانوا يعدّنون فيها فنشأ من ذلك بحيرة عظيمة من مياه الأمطار كانوا يصيدون فيها السمك . ولا يزال أثر هذا السد ظاهراً هناك الى اليوم

﴿ ٣ . هيكل سرابيت الخادم وآثار الفراعنة فيه ﴾

أما سرابيت الخادم فجبل صغير مستطيل الشكل مسطح الرأس في شمال بلاد الطور يعلو نحو ٢٦٥٠ ؟ قدماً عن سطح البحر ويبعد نحو يومين بسير القوافل عن ميناء أبو زنيمة . وهو يطل من الشمال على سهل الرملة الفسيح ونقب الراكنة العظيم

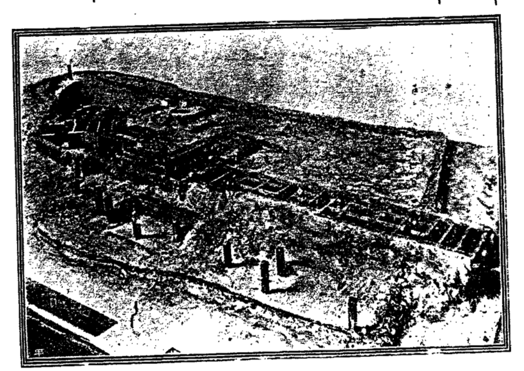
في ذلك الجبل عدَّن الفراعنة الفيروز منذ عهد الدولة الثالثة الى الدولة العشرين وتركوا فيه عدة مغاور كلها في الطبقة العليا من الجبل وهي تعلو نحو ١١٥٠ قدماً عن طبقة الفيروز في وادي المغارة * ولكن أهمّ ما تركهُ الفراعنة في ذلك الجبل :

« هيكل سرابيت الخادم » فقد دلّت مباحث العلامة بتري أن هذا الهيكل هو من الأهمية التاريخية بمكان عظيم، لا لأنهُ حوى من الآثار الهيروغيلفية ما أزال كثيراً من الشكوك في تاريخ مصر فقط ، بل لأنهُ زاد على تاريخ مصر بل على تاريخ العالم صفحتين جديدتين :

الاولى : أن المصريين مارسوا في هذا الهيكل الطقوس السامية لا المصرية .

وان هذا الهيكل هو أقدم هيكل معروف آستخدمت فيهِ هذه الطقوس

الثانية : أن العمال الساميين الذين ساعدوا المصريين في التعدين في سرابيت الخادم كان لهم كتابة خاصة لا تزال مجهولة عند علماء الآثار الى اليوم



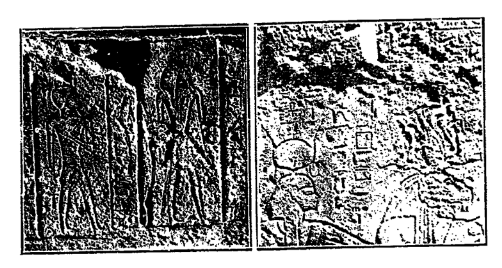
شكل ٧١ : مثال هيكل سرابيت الخادم

﴿ كهف الالهة هاتور ﴾ وكان هذا الهيكل في أوَّل نشأتهِ كهفاً صغيراً منحوتاً في سفح اكمة صغيرة على سطح الجبل ولهُ باب صغير الى الغرب . وقد أُقيم لعبادة هاتور الهة الشمس أو النور الملقبة بسيدة الفيروز . وهي معبودة سكان البلاد الأصليين ولعلها عشتروت معبودة الفينيقيين المشهورة . فلما جاء المصريون لتعدين الفيروز في سرابيت الخادم عبدوا هذه الالهة بالطقوس التي كان يعبدها بها أهلها على عادة تلك الاعصار من عبادة الاجنبي آلهة البلاد التي ينزلها وممارستهِ طقوس أهلها

وأما قِدَم هذا الكهف فيرجع الى عهد الملك سنفرو (٤٧٥٠ ق . م) المار ذكره . وقد وُجد فيه شعارهُ وهو تمثال صقر . فكان هذا التمثال أقدم أثر للمصريين في ذلك الهيكل

﴿ كهف الاله سوبدو ﴾ ثم بعد أن عبد المصريون هذه الالهة وحدها زهاء

ثلاثة آلاف سنة أقاموا معها عبادة سوبدو اله الشرق وهو من أشهر آلهتهم فنحتوا لهُ كهفاً في أصل الصخر بجانب كهف الالهة هاتور ومارسوا في عبادتهِ أيضاً الطقوس السامية . وهذا الكهف هو في الأرجح من آثار الملكة هتشبسوت سنة ١٥٠٣ : ١٤٨١ ق . م من ملوك الدولة الثامنة عشرة



شكل ٧٢ : الالهة هاتور   شكل ٧٣ : الاله سوبدو والملك امنمحت الثالث فى معبد الملوك

﴿ غرف الهيكل ﴾ وظاهر من بناء الهيكل ومما عليهِ من الآثار الهيروغليفية أنهُ امتدَّ تدريجاً من هذين الكهفين نحو الغرب في صف واحد من الغرف والأروقة حتى أصبح طولهُ ٢٣٠ قدماً وعرضهُ من ١٥ الى ٤٥ قدماً . ولهُ سور من الحجارة غير المنحوتة طولهُ ٨٠ متراً وعرضهُ ٣٥ متراً وثخن حائطهِ ٢٦ سنتيمتراً

وأقدم غرف الهيكل وأقربها الى كهف هاتور هي للملك اوسرتسن الأول سنة ٣٤٣٩ : ٣٣٩٥ ق . م من ملوك الدولة الثانية عشرة . ثم أخذ بعده ملوك هذه الدولة ثم ملوك الدولة الثامنة عشرة الى العشرين يبنون الغرف والأروقة تباعاً الى أن بلغ الحدّ المذكور

﴿ الأنصاب ﴾ وكان كلما بنى ملك غرفة في الهيكل جعل أمامها نصبين يدلاَّن على مدخل الهيكل . وكان الخلف يُبقي على النصبين فيبني غرفة متصلة بهما ويجعل أمام الغرفة نصبَين آخرين يدلان على مدخل الهيكل الجديد وهكذا

ويدلُّ على الهيكل من بعيد نصَب لساتي الأول سنة ١٣٢٦ : ١٣٠٠ ق م من ملوك الدولة التاسعة عشرة قائم فوق كهف هاتور . ونصب آخر جنوبيهُ

وفي الهيكل داخل السور تسعة انصاب وخارج السور ، في طريق الهيكل من الغرب ، ١٢ نصباً يحيط بكل نصب دائرة من الحجارة غير المنحوتة قطرها من ١٠ أقدام الى ١٥ قدماً . وعلو الانصاب من ٥ أقدام الى ١٢ قدماً قد نقش على جانبيها أوعلى جانب واحدٍ منها بالهيروغيلفية أخبار الحملات التي أرسلها الفراعنة لتعدين الفيروز في تلكِ الجهة . وقد استخرج العلاّمة بتري من تلك الانصاب خبر ١٥ حملة وفيها أسماء القوّاد ورؤساء العمال مذكورة بالترتيب حسب رتبهم وأسماء الملوك الذين أمروا بالحملات ونظام سير الحملات وعدد رجالها ونحو ذلك

وأقدم الانصاب في الهيكل نصب لاوسرتسن الأول (٣٤٠٠ ق . م) المار ذكرهُ وبين الانصاب التي خارج السور نصب موظف من رجال الدولة الثانية عشرة يقول فيهِ: « انهُ جمع من الفيروز اكثر من كل من عدَّنهُ قبلهُ من عهد الملك سنفرو»

ومن الانصاب التي في الهيكل نصب لامنمحت الثالث سنة ٣٣٠٣ : ٣٢٥٩ ق . م من ملوك الدولة الثانية عشرة أقيم فوق مذبح من الحجر (شكل ٧٤) وقراءتهُ : «قربان ملكي يقدَّم الى هاتور سيدة الفيروز من أجل «كا» رئيس حُجَّاب سبكرهب (امنمحت الثالث) ومن أجل « كا » حامل الختم وكيل مراقب حملة الاختام « كناع » المولود من « كاهوتب » اه



شكل ٧٤ : نصب امنمحت الثالث

واحدث الانصاب نصبان في مدخلهِ الحالي : الأول للملك رعمسيس الثاني سنة ١٣٠٠ : ١٢٣٤ ق . م . والثاني للملك ستنخت سنة ١٢٠٣:١٢٠٢ ق . م . وكلاهما من ملوك الدولة التاسعة عشرة *

وأحدث أثر في الهيكل كتابة على عمودَي احدى الغرف للملك رعمسيس السادس سنة ١١٦١ : ١١٥٦ ق . م من ملوك الدولة العشرين

وجميع ما في الهيكل من بناء وانصاب مأخوذة حجارتهُ من مقالع رملي قرب الهيكل

قلت وقد سمّي هذا الجبل سرابيت الخادم نسبة الى هذه الانصاب لأن «السربوت» في عرف أهل سينآء الصخرة الكبيرة القائمة بنفسها وجمعهُ سرابيت. والخادم عندهم الجارية السودآء فلعلهم نسبوا هذه السرابيت الى الخادم لان الصوَر التي في الهيكل تشبه الخدم السود . والله أعلم

﴿ معبد الملوك ﴾ هذا والى شمالي الهيكل من داخل السور انقاض «معبد الملوك» وهو بنآء فخم من آثار الملكة هتشبسوت المار ذكرها ومما على جدرانهِ من الرسوم : الملكة هتشبسوت تقدم القرابين للالهة هاتور والاله سوبدو والاكرام للملك سنفرو

﴿ تلة الرماد ﴾ والى جنوب الهيكل خارج السور تلة مرتفعة عليها اكداس من الرماد . وفي غرف الهيكل أيضاً رماد . وقد قدر العلامة بتري ما بقي للآن على التلة وفي الهيكل من الرماد بخمسين طناً

﴿ الطقوس السامية ﴾ فهذا الرماد والانصاب وأشياء أخرى في الهيكل بل كيفية بنآء غرف الهيكل هي التي دلّت العلامة بتري على ان المصريين لم يستخدموا في عبادتهم الطقوس المصرية بل استخدموا الطقوس السامية كما قدمنا

أما غرف الهيكل فقد كان المعدنون يناموِن فيها على رجاء ان ربة الهيكل وسيدة الفيروز تهديهم في الحلم الى المحل الذي يكثر فيهِ الفيروز : وقد كانت عادة الساميين انهُ اذا طلب أحدهم الاستشفاء من مرض أو أحب الاهتدآء الى سبيل ينقذه من شر أو يوصلهُ الى خير ذهب الى الهيكل ونام فيهِ او في جواره ليرى في الحلم وحياً يوصلهُ الى الغرض . ولا تزال هذه العادة متبعة عند نصارى الشرق الى اليوم

ثم ان الانصاب ومن حولها دوائر الحجر داخل سور الهيكل وخارجهُ تشبه المراقد التي كان اليهود يسمّونها قديماً « بيت ايل » أي مقام الاله . جاء في سفر التكوين ص ٢٨ عدد ١٦ الخ عند خروج يعقوب من بئر سبع فراراً من أخيه عيسو :

« فاستيقظ يعقوب من نومهِ وقال حقاً ان الرب في هذا المكان . . . وأخذ الحجر الذي وضعهُ تحت رأسهِ وأقامهُ عموداً وصبَّ زيتاً على رأسهِ ودعا اسم المكان بيت إيل »

والظاهر ان المعدنين في سرابيت الخادم كانوا اولاً يقيمون انصاباً من الحجارة قرب كهف سيدة الفيروز ويحيطونها بدوائر من الحجارة ينامون فيها ثم تدرجوا الى بناء الغرف أمام الكهف . ولعل الغرف كانت لرؤوس الحملة وكبار العمال ودوائر الحجارة حول الانصاب أو الزرائب لسائر العمال

ومما وجده العلامة بتري ودلَّ على استعمال المصريين الطقوس السامية في الهيكل : «أربعة احواض» للوضو أمام كهف سوبدو كان لا بدّ للمتعبد أن يمر بها قبل دخولهِ الكهف . وقد كان الوضو عادة دينية عند اليهود كما نرى في سفر الخروج ص ٤٠ عد ٣٠ و ٣١ : « ووضع المرحضة بين خيمة الاجتماع والمذبح . وجعل فيها ماء للاغتسال . ليغسل منها موسى وهرون وبنوه أيديهم وأرجلهم »

ومما وجده بتري في الهيكل : « عدة مذابح » صغيرة من حجر لحرق البخور . وجدها في الكهف نفسهِ . وحرق البخور في الهياكل عادة دينية مشهورة عند اليهود

ثم ان الرماد الذي على التلة المار ذكرها دلّ على أن المتعبدين في هذا الهيكل كانوا يذبحون ويوقدون على تلك التلة وهذه العادة اي عادة حرق الذبائح على المرتفعات عادة قديمة عند الساميين اقتبسها اليهود عنهم : جاء في سفر الملوك الأول ص ٣ عد ٣ : « وأحب سليمان الرب سائراً في فرائض داود أبيهِ . الاّ انهُ كان يذبح ويوقد في المرتفعات . وذهب الملك الى جبعون ليذبح هناك لأنها هي المرتفعة العظمى . وأصعد سليمان ألف محرقة على ذلك المذبح » . وجاء في سفر الملوك الثاني ص ١٢ عد ٣ : « الا ان المرتفعات لم تنتزع بل كان الشعب لا يزالون يذبحون ويوقدون على المرتفعات » * وفي السفر نفسهِ ص ١٦ عد ٤ في الكلام عن آحاز ملك يهوذا (٧٤١ ق . م) : « وذبح وأوقد على المرتفعات وعلى التلال . . . »

وفي السفر نفسهِ ص ١٧ عدد ٩ : « وعمل بنو اسرائيل سرًّا ضد الرب الههم اموراً ليست بمستقيمة وبنوا لأنفسهم مرتفعات في جميع مدنهم من برج النواطير الى

المدينة المحصنة وأقاموا لانفسهم انصاباً وسواري على كل تلّ عالٍ وتحت كل شجرة خضراء » * قلت وأما اقامة الانصاب تحت كل شجرة خضراء فلا نزال نرى آثارها الى اليوم في برية سيناء كما قدمنا

وبقيت هذه العادة بين اليهود حتى أبطلها حزقيا ملك يهوذا (٧٢٦ ق م): جاء في سفر الملوك الثاني ص ١٨ عد ٤: «هو ازال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السواري وسحق حية النحاس التي عملها موسى لأن بني اسرائيل كانوا الى تلك الايام يوقدون لها»

وفي السفر نفسهِ ص ٢٣ عد ١٣ - ١٥ : « والمرتفعات التي قبالة اورشليم التي عن يمين جبل الهلاك التي بناها سليمان ملك اسرائيل لعشتورت رجاسة الصيدونيين ولكموش رجاسة الموابيين ولملكوم كراهة بني عمون نجسها الملك وكسر التماثيل وقطع السواري وملأ مكانها من عظام الناس. وكذلك المذبح الذي في بيت إيل في المرتفعة التي عملها يربعام بن نباط الذي جعل اسرائيل يخطئ فذانك المذبح والمرتفعة هدمهما وأحرق المرتفعة وسحقها حتى صارت غباراً وأحرق السارية »

هذا وقد وجد العلاّمة بتري بين انقاض الهيكل كثيراً من الدّمى والتماثيل والآنية الزجاجية والتمائم والاسورة والحجول والخواتم والكؤوس والآنية الفخارية عليها اسماء بعض الفراعنة وقضبان العاج ونحوها مما كان يقدمهُ المتعبدون هدايا لسيدة الفيروز. وقد وجد في كهف سوبدو حجرين من الحجارة الرملية المخروطية الشكل التي اعتاد الساميون تقديمها لآلهتهم. فأخذ احدهما الى المتحف البريطاني بلندن

﴿ لغة مجهولة ﴾ ومن أهم ماوجدهُ العلامة بتري في انقاض هذا الهيكل تماثيل غير مصرية هي أقل اتقاناً من التماثيل المصرية وعليها كتابة مجهولة غير هيروغليفية وكذلك وجد هذه الكتابة على انصاب الهيكل المار ذكرها. كأنَّ العمال غير المصريين كانوا بعد ذهاب المصريين من المعدن يضعون أسماءهم وبعض أخبارهم على حواشي تلك الانصاب الخالية من الكتابة. وقد رجح بتري أن هذه الكتابة المجهولة هي لغة سامية. واستدل من ذلك أن اليهود عند خروجهم من مصر كان لهم كتابة خاصة بهم





شكل ٧٥ : تمثال غريب عليه كتابة مجهولة　　شكل ٧٦ : تمثال غريب غير مصري

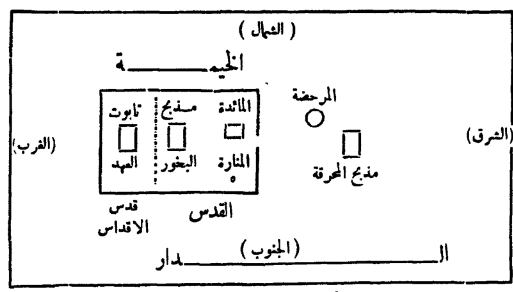
هذا ما لخصتهُ عن كتاب مباحث في سيناء بتصرُّف كثير . وقد زرت هيكل سرابيت سنة ١٩١٠ بعد ان نقّب فيهِ بتري وأعوانهُ فلم أجد فيهِ أثراً يستحق الذكر سوى الكهفين وتلة الرماد وبعض الانصاب والأعمدة

﴿ خيمة الاجتماع وهيكل سرابيت ﴾ على ان روؤية هذا الهيكل، بعد الوصف الذي أتى بهِ العلامة بتري، ذكّرتني بخيمة الاجتماع أو خيمة الشهادة التي صنعها موسى في جبل سيناء سنة ١٤٩٢ ق. م عند خروجهِ بالاسرائيليين من أرض مصر كما سيجيءُ. فان وجه الشبه بينهما قريب جدًّا حتى انهُ من المحتمل أن يكون موسى قد اتخذ هيكل سرابيت الخادم قاعدة لبناء خيمتهِ

أما خيمة الاجتماع فكانت هيكلاً نقالاً من خشب السنط وعمد النحاس ونسيج الشعر وغيره من الأنسجة الثمينة. طولها ٣٠ ذراعاً عبرانية (والذراع العبرانية ⅚ الذراع السلطانية) وعرضها ١٠ أذرع وعلوها ١٠ أذرع . ولها باب واحد في احد جنبيها من العرض يفتح الى الشرق . وكانت مقسومة قسمين غير متساويين :

«قدس الأقداس» وهو الاصغر . «والقدس» وهو الاكبر . بينهما حجاب من نسيج

وللخيمة دار يحيط بها سور مربع مستطيل من العمد والسجف طولهُ ١٠٠ ذراع



شكل ٧٧ : مثال خيمة الاجتماع

عبرانية وعرضهُ ٥٠ ذراعاً . ولهُ باب يفتح الى الشرق تجاه باب الخيمة * وكانت الخيمة داخل السور أقرب الى جانبهِ الغربي منها الى جانبهِ الشرقي الذي فيه الباب

أما القدس فما كان يحلُّ لأحد أن يدخل اليهِ الاّ الكهنة وفيهِ مذبح البخور والمائدة والمنارة * وأما قدس الأقداس فما كان يجوز أن يدخل اليهِ الاَّ عظيم الكهنة مرة في السنة . وفيهِ تابوت الشهادة أو تابوت العهد وهو صندوق من خشب السنط مصفح بالذهب من الداخل والخارج طولهُ ذراعان ونصف وعرضهُ ذراع ونصف وارتفاعهُ كذلك . وقد وضع فيهِ لوحا العهد * وأما الدار فقد كان فيها ، بين بابها وباب الخيمة : المرحضة للاغتسال قبل الدخول الى الخيمة . ومذبح المحرقة . وكان جميع العبرانيين (الاسرائيليين) يقدمون قرابينهم ونذورهم وصلواتهم في هذه الدار

فوجه الشبه بين خيمة الاجتماع وهيكل سرابيت الخادم ظاهر للعيان. فان قدس الأقداس في خيمة الاجتماع يقابلهُ الكهف في هيكل سرابيت . والقدس يقـابلهُ الهيكل . ودار الخيمة يقابلها دار الهيكل . ثم أن في الخيمة مذبح البخور والمرحضة ومذبح المحرقة كما في هيكل سرابيت

ومعلوم أن موسى على رواية التوراة عاش في أرض مَدْين ٤٠ سنة . وسيناء هي جزء من أرض مدين . وهيكل سرابيت الخادم كان في ذلك العهد الهيكل الوحيد في

قلب الجزيرة كدير طور سيناء في هذا العهد . فلا يُعقل أن موسى ، وهو ربيب بنت فرعون ، يعيش في سيناء أو جوارها أربعين سنة ولا يزور هيكلها الوحيد . بل من المحتمل المعقول أن يكون قد زاره مراراً وعرفهُ كما هو وانهُ لما جاء ليصنع معبداً لشعبهِ جعل هيكل سرابيت الخادم قاعدة للعمل * وهذا لا ينفي قول الكتاب أن موسى صنع الخيمة كما أمرهُ الرب لأن الغرض الأساسي من بناء الخيمة هو منع الاسرائيليين من عبادة الأوثان وتعليمهم عبـادة الاله غير المنظور . وقد تمَّ هذا الغرض بخلو الخيمة من كل صنم أو تمثال . كما خلت الشريعة من كل مايدعو الى الوثنية أو يقرب منها

واختار موسى لشعبهِ بعض الطقوس التي كانت مستعملة في هيكل سرابيت الخادم لأنها طقوس سامية وشعبهُ يألفها وليس فيها ما يضرُّ بعبادة الخالق . وقد جعل باب خيمتهِ الى الشرق لا الى الغرب كما هو باب هيكل سرابيت لأن الشرق كان وجهتهُ أو لان ذلك كان عادة البدو في تلك الايام كما هو عادتهم في هذه الأيام

ومعلوم أن هيكل سليمان الذي بُني بعد خيمة الاجتماع بنحو أربع مائة وثمانين سنة قد بني على مثال هذه الخيمة فاذا صح أن موسى صنع خيمتهُ على مثال هيكل سرابيت فيكون لهيكل سليمان أصل في هيكل سرابيت . والله أعلم

❋ ٤ . آثار الفراعنة في وادي النصب الغربية ❋

عدَّن الفراعنة النحاس في وادي النَّصْب كما عدَّنوا الفيروز في وادي المغارة وسرابيت الخـادم ولا يزال الى الآن في ذلك الوادي مسابك لسبك النحاس واكداس عظيمة من الزرالة المتخلّفة من اذابة النحاس * وفي تلة فوق الوادي صخرة بالهيروغليفية قد تهرأ ما عليها من الكتابة مع الزمان لكن ما بقي منها يدل أن تاريخها في السنة العشرين من ملك امنمحت الثالث من ملوك الدولة الثانية عشرة المار ذكره

هذا وقد استخرج المصريون القدماء « اكسيد النحاس والمنغنيس » في وادي النصب وغيرها من أودية سيناء فاستخدموهما في عمل المين الزرق الجميلة التي كانوا يجلّونها كثيراً . وكان المعدّنون يأتون معهم من سيناء بصخور من « الغرانيت أو حجر الحية » لعمل التوابيت والتماثيل

الفصل الثاني

في

تاريخ سيناء مدة تغرب بني اسرائيل فيها
مع ذكر تاريخ بني اسرائيل منذ نشأتهم الى دخولهم أرض الميعاد
من سنة ١٩٢١ الى ١٤٥٠ ق . م

ان أهم انباء هذه البلاد قديماً تغرب بني اسرائيل فيها مدة أربعين سنة على ما نراهُ مفصلاً في أسفار موسى الخمسة وخلاصتهُ :

« انهُ بعد الطوفان ببرهة من الزمان عزم نسل نوح على بناء برج بابل فبلبل الله ألسنتهم حتى لم يعد أحدهم يفهم لغة الآخر فتبددوا في الأرض وعبدوا الأوثان . فشاء الله ان يختار لهُ شعباً يحفظ بهِ الدين الحقيقي فدعا ابراهيم من أور الكلدنيين (ام قير) وأمره بترك بلادهِ والذهاب الى أرض كنعان (فلسطين) ونشر الدين الحقيقي فيها ووعده بتكثير نسلهِ ومجيء المسيح من ذريتهِ

وكانت دعوة ابراهيم في نحو سنة ١٩٢١ ق . م فسار الى أرض كنعان ومعهُ امرأتهُ ولوط بن أخيهِ وحاشيتهُ وخدمهُ ومواشيهِ (مارًّا بدمشق الشام في الأرجح) حتى أتى شكيم المعروفة الآن بنابلس وهي من أهم مدن أرض كنعان . وهناك تجلى لهُ الرب وجدَّد وعدهُ لهُ بأن تكون هذه الارض لنسلهِ

وفي نحو سنة ١٩٢٠ ق . م حصل قحط في أرض كنعان فشخص ابرهيم الى مصر وأقام فيها نحو سنة ثم عاد الى أرض كنعان فسكن جهة حبرون المعروفة الآن بالخليل وهناك ظهر لهُ الرب في الرؤيا ووعدهُ بأن يعطي نسلهُ الارض بعد ان يُستعبَدوا في أرض غريبة ٤٠٠ سنة وان الارض التي يعطيهم اياها تمتد من نيل مصر الى نهر الفرات (تك ص ١٥) . وعاش ابرهيم بالعز والمنعة الى أن مات سنة ١٨٢٠ ق . م وهو ابن ١٧٥ سنة ودفن في حبرون في مغارة مكفيلة وقبرهُ ظاهر الى اليوم

وكان لابرهيم زوجة تدعى سارة توفيت قبلهُ وجارية تدعى هاجر . فولدت الجارية ولداً سمتهُ اسماعيل وكان أباً للعرب . وأما سارة فلم تلد ولداً حتى بلغ عمر

ابرهيم المئة سنة فولدت اسحق واسحق ولد يعقوب الملقب اسرائيل. وخلّف يعقوب أثني عشر ولداً صاروا رؤساء اسباط بني اسرائيل الاثني عشر. وكان يوسف أحد اولاد يعقوب أنجب اخوتهِ وأحبهم لدى أبيهِ فحسدهُ اخوتهُ وأبغضوه وباعوه للاسماعيليين سنة ١٧٢٨ ق . م فأنزلهُ هؤلاء الى مصر وباعوهُ عبداً فدخل في خدمة فرعون ملك مصر . ولم يمكث الاّ القليل حتى بدا من نجابتهِ وسمو مداركهِ وحسن تدبيرهِ ما رفعهُ في عين فرعون فرقّاهُ الى منصب الوزارة

وحدث في تلك الاثناء جوع في أرض كنعان فجاء يعقوب وأولاده الى مصر فراراً من الجوع فعرف بهم يوسف وعرفهم بنفسهِ وأنزلهم على الرحب والسعة واسكنهم أرض جاسان (في أطراف المديرية الشرقية) وكان عدد ذكورهم سبعين . فأقاموا بمصر على معيشتهم البدوية وعبادة الاله الحق فنموا وتكاثروا وعاشوا أجيالاً وليس ما يكدر صفاءهم حتى مات يعقوب ويوسف « وقام على مصر ملك لا يعرف يوسف » فظلم الاسرائيليين وأذلهم وأمر بالقاء كل مولود ذكر لهم في النيل قصد ابادتهم

وفي هذه الاثناء ولد موسى (سنة ١٥٧١ ق . م) فخبأتهُ أمهُ ثلاثة أشهر . ولما لم يعد يمكنها اخفاؤه عن أعين الرقباء صنعت لهُ سفطاً من البردي جعلتهُ فيهِ ووضعتهُ على شاطىء النيل في طريق ابنة فرعون . فلما رأتهُ ابنة فرعون رقّت لهُ وأخذتهُ الى منزلها وأحضرت لهُ أمهُ لترضعهُ. فنشأ ربيباً لها مصريّ التربية اسرائيلي العواطف. فرأى ذات يوم مصرياً يضرب اسرائيلياً فهاج الدم في رأسهِ فضرب المصري فأصابت الضربة مقتلاً ففرّ الى أرض مدين وكان لهُ من العمر اربعون سنة . وهناك تزوج بنت يثرون كاهن مدين وأقام مع حميهِ أربعين سنة . وفيما هو يرعى غنم حميهِ عند جبل سيناء ظهر لهُ الرب في عليقة مشتعلة وأمرهُ بالذهاب الى مصر لانقاذ بني اسرائيل من الذل. وقد حضر لهُ أخوهُ هرون الى جبل حوريب بأمر الرب فسارا معاً وطلبا من فرعون ملك مصر الاذن في اخراج بني اسرائيل من أرضهِ فأبى . فضرب الله مصر عشر ضربات حتى أذن فرعون للاسرائيليين في الخروج من بلادهِ . فخرجوا في سنة ١٤٩١ ق . م وساروا من مدينة رعمسيس الى سكوت فإيثام فثم

الحيروث على بحر سوف (البحر الاحمر) . ثم ندم فرعون على اطلاقهم فسار بخيلهِ ورجلهِ ومركباتهِ وراءهم « فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق المآء فدخل بنو اسرائيل في وسط البحر على اليابسة والمآء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم وتبعهم المصريون . . . فرجع المآء وغطّى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون . . . ولم يبق منهم ولا واحد » (خر ١٤: ٢١)

وأنشد بنو اسرائيل لنجاتهم بهذه الاعجوبة أنشودة بتسبيح الله (خر ص ١٥) تعدُّ من أبدع آثار الشعر العبراني القديم . وساروا في برية شور ثلاثة أيام حتى وصلوا مآء يُدعى « مارَّة » وكان الماء مرًّا فتذمر الاسرائيليون على موسى فأراهُ الرب شجرة فطرحها بالمآء فصار عذباً . ثم جاءوا الى « ايليم » فوجدوا فيها ١٢ عيناً و ٧٠ نخلة . ثم الى برية « سين » بين ايليم وسينآء ، حيث أنزل الله عليهم المن والسلوى طعاماً . أما المن فقد كان طعامهم الى ان دخلوا أرض الموعد . واما طائر السلوى فقد أُنزل عليهم أيضاً في حضيروت . ثم ارتحلوا الى « دفقه » . فألوش . فرفيديم وكان يسكن تلك البريَّة العمالقة فوقفوا في طريق الاسرائيليين ومنعوهم المآء فعطشوا وتذمروا على موسى فضرب الصخرة بأمر الرب فانفجرت منها المياه وشربوا

وأمر موسى كبير قوادهِ يشوع بن نون فانتقى الاشدآء من قومهِ وحارب العمالقة . وصعد موسى الى تلة تشرف على محل الواقعة ويداهُ مرتفعتان الى السمآء يدعو بنصر قومهِ على الاعدآء فنصرهم الله وامتلكوا المآء

وفي الشهر الثالث من خروجهم من مصر ارتحلوا من رفيديم وجاؤوا برية سينا مقابل الجبل وهناك أنزل الله على موسى الوصايا العشر المدرجة في سفر الخروج ص ٢٠ القاضية بوحدة الله والجامعة لأسس الآداب . ثم أنزل عليـهِ الشرائع السياسية ثم الطقسية التي لا تزال أساساً لأحكام الاسرائيليين الى هذا العهد

«وفي اليوم الاول من الشهر الاول من السنة الثانية لخروج بني اسرائيل من مصر أي سنة ١٤٩٠ أقام موسى بأمر الرب خيمة الشهادة أو خيمة الاجتماع المار ذكرها وبعد ان أقام موسى في ذلك الجبل سنة الاَّ بضعة أيام خرج بقومهِ قاصداً أرض

الموعد فساروا بطريق حُضَيروت . . . فعصيون جابر . فبرية صين وهي قادش .
ومن هناك أرسل موسى رجلاً من كل سبط من أسباط اسرائيل الاثني عشر وفيهم يشوع بن نون من سبط افرايم وكالب بن يَفُنَّة من سبط يهوذا فذهبوا وتجسسوا الأرض الى « مدخل حماة » وعادوا الى قومهم في قادش وقالوا « حقاً ان الأرض تفيض لبناً وعسلاً غير أن الشعب الساكن في الأرض معتزٌّ والمدن حصينة عظيمة يسكنها العمالقة في الجنوب والحثيون واليبوسيون والأموريون في الجبل والكنعانيون على البحر وجانب الأردن وليس لنا طاقة على حربهم » . أما يشوع بن نون وكالب بن يَفُنَّة فانهما قالا لا بل في طاقتنا حربهم . فمال الشعب لقول الأكثرية وجبنوا عن التقدم . وكان الرب قد أمرهم بالتقدم فغضب عليهم وقضى بتيههم في البرية الى تمام الأربعين سنة من خروجهم من مصر حتى يموت كل ذلك الجيل ما عدا كالب ويشوع
وفي نهاية الأربعين سنة أرسل موسى رسلاً من قادش الى ملك ادوم يستأذنهُ في المرور بارضهِ قائلاً « اذا شربنا أنا ومواشيّ من مائك أدفع ثمنهُ . . . أمرُّ برجلي فقط . فقال لا تمر » ونها الرب بني اسرائيل عن حربهِ فتحولوا عنهُ . وارتحلوا من قادش الى جبل هور في طرف أرض أدوم وهناك مات هرون ودفن سنة ١٤٥٢ ق.م
ثم ارتحلوا من جبل هور في طريق بحر سوف فساروا بوادي العربة الى أيلة وعصيون جابر وساروا في شرق بلاد أدوم حتى وصلوا أرض مواب وقطعوا نهر أرنون الى بلاد الأموريين فسألوا ملكهم سيحون المرور بأرضهِ فأبى وخرج لمحاربتهم فهزموا جيشهُ وقتلوهُ واستولوا على أرضهِ . ثم تقدموا شمالاً الى أرض باشان وتمتد الى جبال حرمون وكان يسكنها بنو عمون وعليهم ملك يدعى عوج فضربوهُ وأخذوا أرضهُ . وبذلك استولى الاسرائيليون على جميع البلاد الواقعة شرقي الأردن والبحر الميت (بحر لوط) من نهر أرنون جنوباً الى جبل حرمون شمالاً . فاقطعها موسى سبطَيْ رأوبين وجاد ونصف سبط منسى . ثم صعد الى جبل نبو حيث كان معبد آلهة مواب ورأى منهُ أرض الميعاد وهناك مات «ودفنهُ الله ولم يعرف أحد قبرهُ» . وكانت وفاتهُ سنة ١٤٥١ ق . م عن ١٢٠ عاماً .

﴿ يشوع بن نون ﴾ وخلف موسى على قيادة الاسرائيليين يشوع بن نون فعبر بقومه الاردن الى أرض كنعان سنة ١٤٥٠ ق. م. وفتحها بعد حرب عوان ووزعها على سائر أسباط بني اسرائيل . فتمَّ لهم بذلك وعد الرب » اه

هـذه هي خلاصة ما جاء في أسفار موسى الخمسة وسفر يشوع عن أصل بني اسرائيل وتغربهم في مصر وعن تيههم في جزيرة سيناء الى أن دخلوا أرض الميعاد فأسسوا فيها مشيخة ثم ملكاً وامتدت مملكتهم من جبل لبنان الى وادي العريش شمالاً وجنوباً ومن صحراء بلاد العرب الى سواحل البحر المتوسط شرقاً وغرباً فكان طولها نحو ١٥٠ ميلاً وعرضها نحو ٥٠ ميلاً . وكان لهم شأن مع مصر في كل العصور الى أن دالت دولتهم وتشتتوا في الأرض كما سنبينهُ بالتفصيل . وقد عُرفوا قديماً في سوريا « بالعبرانيين » قيل لأنهم أتوا من عبر الفرات . ثم عرفوا باليهود نسبة الى مملكة يهوذا الآتي ذكرها وهو الاسم المعروفون بهِ الآن

﴿ مباحث الخروج ﴾ ولنعد الى الخروج فان هذا الحادث العجيب على عظم أهميتهِ لا نعلم عنهُ شيئاً صريحاً الاَّ عن طريق التوراة والقرآن ولم يُعثر بعد على أثر من الآثار المصرية أو السورية يشير اليهِ صريحاً ويُرَجَّح عدم وجود أثر لهُ في مصر لأن ملوكها لم يحيوا من الحوادث الاَّ ما خلَّد لهم الفخر وطيب الذكر لا الخيبة والفشل كحادث الخروج

هذا وقد باد سكان سينا الاصليُّون وبادت لغتهم وتغيرت اسماء الامكنة التي مرَّ بها الاسرائيليون عند اختراقهم سيناء حتى أنهُ لم يكد يبقى مكان معروف باسمهِ القديم . لذلك اختلف الباحثون في تفاصيل خبر الخروج : في الملك الذي خرج الاسرائيليون في عهدهِ . والمكان الذي خرجوا منهُ من مصر . والمكان الذي عبروا منهُ البحر الاحمر . والطريق التي ساروا بها في سيناء . والمكان الذي حاربهم فيهِ العمالقة . والجبل الذي نزلت عليهِ الشريعة . والبلاد التي تاه بها الاسرائيليون . وعدد الاسرائيليين الذين خرجوا من مصر . وحقيقة المن والسلوى وغير ذلك من مباحث الخروج

ولعلماء التوراة والمؤرخين المحققين في هذه المباحث آراء شتى وتخمينات كثيرة ألمعنا الى بعضها في باب الجغرافية . وأظهر تلك الآراء :

ان الاسرائيليين خرجوا من مصر في عهد منفتاح بن رعمسيس الثاني من ملوك الدولة التاسعة عشرة * وان مدينة رعمسيس التي خرجوا منها هي الخرائب المعروفة الآن بتل المسخوطة في مديرية الشرقية * وأنهم عبروا البحر الاحمر بالقرب من مدينة السويس * وان شق البحر الاحمر بريح عاصفة عند عبور بني اسرائيل ورجوعه عند مرور مركبات فرعون يُعللان بالمدّ والجزر المشاهدين الى الآن في رأس البحر الاحمر * وأنهم بعد دخولهم سيناء ساروا « بطريق البتراء » فأتوا عيون موسى فعين الهوَّارة (مارَّة) . فعين غرندل (ايليم) . فسهل المرخا (برية سين) . فوادي فيران (رفيديم) * وان العمالقة حاربوهم في هذا الوادي قرب العين في المكان المعروف الآن « بحصى الخطاطين » * وأنهم ساروا من هذا الوادي الى جبل موسى * وان جبل الصفصافة هو الجبل الذي وقف عليهِ موسى لتلقي الوصايا العشر * وان سهل الراحة تجاهه هو السهل الذي وقف فيهِ الاسرائيليون وتلقوا الشريعة من فم موسى . وأنهم بعد أن قضوا نحو سنة عند جبل موسى عادوا الى طريق البتراء فمروا بعين حُذَرة (حضيروت) وهبطوا شاطئ خليج العقبة عند النويبع وساروا الى عصيون جابر وأيلة على رأس الخليج . ومن هناك ساروا بوادي العربة (أو بوادي طابا أو بوادي العين) الى أن أتوا وادي الجرافي ثم ساروا منهُ شمالاً الى برية عين قديس فقضوا فيها بقية الأربعين سنة * ثم عادوا الى عصيون جابر وأيلة وداروا حول بلاد أدوم من الشرق فذهبوا بوادي اليُتم الى أن أتوا طريق دمشق الشام فساروا فيها الى شرق الأردن ثم عبروا هذا النهر الى أرض الميعاد * وان المن الذي كان طعامهم كل مدة تغرّبهم في سيناء ليس صمغ الطرفاء الذي قال بهِ البعض لأن هذا لا يظهر الاّ عند اشتداد الحر في شهري يونيو ويوليو وكلّ ما يمكن جمعهُ منهُ في السنة لا يكفي شخصا واحداً ستة أشهر بل هو حب عجيب كان ينزل لهم مع الندى ويقول الكتاب انهُ « كبزر الكزبرة أبيض وطعمهُ كرقاق بعسل » * وان طائر السلوى الذي نزل

عليهم في برية سين ثم في عين حضيروت هو طائر السمان أو طائر الجراد

وقد نشر الافرنج عدة كتب في هذه المباحث كلها . ومن أنفسها وأحدثها كتاب « من النيل الى نبو » للعلاّمة الدكتور هسكنز من كبار المرسلين الاميركان في بيروت نشره في أميركا سنة ١٩١١ وبسط فيه آراءه وأهم آراء الباحثين في جميع المواضيع المشار اليها . ولست أقصد في كتابي هذا بسط تلك الآراء وابداء رأيٍ فيها كلها لأنه لا يسع الكاتب أن يبدي رأياً مسموعاً في مثل هذه المباحث الهامة الغامضة الاّ اذا سار في طريق الخروج من أولها الى آخرها وكان له الإلمام التام بجغرافية مصر وتاريخها القديم والحديث وفي تاريخ الكتاب المقدس وتفسيره كالدكتور هسكنز ، ولكن لما كان موضوع كتابي هذا يقضي عليَّ بطرق هذه المواضيع وكنت قد زرت اكثر الأمكنة الواقع الخلاف عليها لم أرَ بدًّا من القاء دلوي في الدلاء وأن أقول كلمتي في الأمور الآتية وهي :

١ — طريق موسى أو طريق الاسرائيليين في سيناء

٢ — عدد الاسرائيليين الذين خرجوا من مصر بطريق سيناء

٣ — الجبل الذي نزلت عليه الوصايا العشر

٤ — البلاد التي تاه بها بنو اسرائيل

﴿ طريق موسى ﴾ أما « بشأن طريق الاسرائيليين في سيناء » فقد بينت في باب الطرق أن لسوريا وبلاد العرب من مصر سبع طرق لا ثامن لها وهي من الشمال : طريق الفرما . وطريق العريش . والدرب المصري . ودرب الحج المصري ودرب الشعوي . وطريق النبك . وطريق البتراء . وأنهُ لم يكن في عهد موسى الاّ طريقان مشهورتان وهما طريق الفرما وطريق البتراء . وأما سائر الطرق فانها كلها أو اكثرها طرق مستحدثة انشئت او اشتهرت بعد الخروج بأزمان بل لو وجدت في زمن موسى ما اختار واحدة منها لصعوبتها وقلة مياهها . ثم لو خُيّر موسى في ذلك العهد بين طريق الفرما وطريق البتراء ولم يكن ثمت محذور في اتباع أحد الطريقين لاختار طريق الفرما بلا تردُّد لأنها أخصرهما وأسهلهما ولكن طريق الفرما

كانت محمية بحصون المصريين من جهة ومؤدية الى بلاد الفلسطينيين الاشداء المناثين للمصريين من جهة أخرى * هذا وفي سفر الخروج (ص ١ عدد ١٣: ١٨) نص صريح على السبب الذي أوجب ترك طريق الفرما وهو :

« وكان لما أطلق فرعون الشعب ان الله لم يَهدِهم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة . لأن الله قال لئلا يندم الشعب اذا رأوا حرباً ويرجعوا الى مصر فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف » اه وهي طريق البتراء المتقدم وصفها

ولكن مع وجود هذا النصّ الصريح في التوارة وشهادة الطبيعة والتاريخ انهُ لم يكن لسوريا في ذالك العهد غير الطريقين المذكورتين وانطباق طريق البتراء على رواية التوراة فانك ترى جماعة من علماء التوراة يرتابون في كون طريق الاسرائيليين هي طريق البتراء وظن البعض انها درب الحج المصري

على أن القائلين بهذا الرأي لا يعرفون سيناء الاّ على الخارطة ولو أتوها وجالوا في طرقاتها والتوارة في أيديهم لم يروا أمامهم الاّ رأياً من رأيين « إما لا خروج البتة وإمّا خروج بطريق البتراء » !

﴿ عدد الاسرائيليين ﴾ وأما « عدد الاسرائيليين الذين خرجوا من مصر بقيادة موسى » فظاهر عبارة الكتاب أنهم كانوا « ست مئة ألف ماشٍ من الرجال ما عدا الأولاد » (خر ١٢ : ٣٧) . واذا حسبنا النساء والأولاد كان عددهم نحو ثلاثة ملايين نفس ما عدا البهائم . وليس في قواد البشر قائد يستطيع جمع جيش هذا مقداره والفرار بهِ من وجه ملك قويّ شديد البطش كفرعون مصر . وان وُجد هذا القائد فانهُ يستحيل عليهِ أن يعدّ لجيش كهذا الماء والزاد والركائب في برية مجدبة كبرية سيناء كانت منذ الخليقة ولا تزال الى اليوم قليلة المياه قليلة النبت والزرع والضرع والسكان * وقد تقدم لنا أن سكان سيناء من حضر وبادية لا يزيد عدهم عن خمسين ألف نسمة وأن سكان بلاد الطور التي اخترقها الاسرائيليون لا يزيدون عن احد عشر ألف نسمة . ولا نعلم ان عدد سكان سيناء كان في أي عصر من عصور التاريخ يزيد كثيراً عما هو الآن . ولا ان طبيعة جوّ سيناء كانت غير ما هي الآن

اذاً يستحيل تسيير جيش هذا مقداره في برية سيناء الاّ بتقدير سلسلة متصلة من العجائب الالهية كل مدة بقائهم في سيناء وهذا مما لا تتطلبهُ رواية الكتاب

وفوق ذلك فاننا نرى من رواية الكتاب أن العمالقة عند محاربتهم الاسرائيليين في رفيديم وقفوا في وجههم النهار بطوله الى مغيب الشمس . وقد قدمنا ان سكان بلاد الطور ما كانوا في عصر من العصور اكثر كثيراً من ١١ ألف نسمة أو نحو ٣٠٠٠ مقاتل فلو كان عدد مقاتلة الاسرائيليين ستمائة ألف كما هو ظاهر عبارة الكتاب ما أمكن العمالقة الوقوف في وجههم كل تلك المدة بل ما كانوا وقفوا في وجههم البتة

وعليهِ فلا بدَّ ان يكون المراد من عبارة الكتاب غير ظاهرها . وهذا هو رأي اكثر المحققين الذين درسوا الموضوع في أرضهِ ومن هؤلاء العلامة بتري المار ذكره وقد أتى في كتابهِ « مباحث في سيناء » على تفسير لهذا المعمَّى فقال ان لفظة « ألف » تطلق في التوراة على العدد المعروف كما تطلق على عائلة أو خيمة

وتناول هذا التفسير الدكتور هسكنز في كتابهِ المشار اليهِ آنفاً فأتى بعدة أدلَّة من الكتاب على صحة رأي بتري في كلمة ألف ثم طبق رواية التوارة عليهِ فكان عدد الاسرائيليين الذين خرجوا من مصر نحو «مئة ألف نسمة»* وهذا العدد أيضاً في رأيي اكثر مما تتحمله حال سيناء وتقتضيهِ رواية التوارة . وعليهِ فلا بدَّ لعلماء التوراة من استئناف البحث في هذا الموضوع وايجاد تفسير جديد للأرقام الواردة في الكتاب يحلُّ هذا المعمى تمام الحل حتى لا يزيد عدد الاسرائيليين الذين اجتازوا سيناء عن ستة آلاف مقاتل او عشرين ألف نسمة على أعظم تقدير والله اعلم

﴿ جبل الشريعة ﴾ أما « بشأن الجبل الذي نزلت عليهِ الشريعة » فقد انقسم الباحثون فيهِ الى فريقين: فريق يقول انهُ جبل سربال . وفريق انهُ جبل الصفصافة احد قمم جبل موسى . ولكل من الفريقين أدلة و براهين يؤيد بها رأيهُ على ان المتنصرين لسربال لم يأتوا لنا الى الآن في كل ما كتبوه بتفسير معقول لما جاء في سفر الخروج ص ١٩ عدد ١ : ١٢ وهذا هو بنصهِ :

« في الشهر الثالث بعد خروج بني اسرائيل من أرض مصر في ذلك اليوم

جاؤا الى برية سيناء . ارتحلوا من رفيديم الى برية سيناء فنزلوا في البرية . هناك نزل اسرائيل مقابل الجبل ... فقال الرب لموسى ها أنا آتٍ اليك في ظلام السحاب لكي يسمع الشعب حينما أتكلم معك .. اذهب الى الشعب وقدّسهم اليوم وغداً . وليغسلوا ثيابهم . ويكونوا مستعدين لليوم الثالث . لأنهُ في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء . وتقيم للشعب حدوداً من كل ناحية قائلاً احترزوا من ان تصعدوا الى الجبل أو تمسوا طرفه كل من يمس الجبل يُقتل قتلاً ... »

فهذا النصّ يخصّ جبل الشريعة بثلاث حالات : الأولى انه يطلُّ على برية أو سهل يسع جمهور الاسرائيليين والثانية انهُ قائم كسور على ذلك السهل حتى يمكن الواقف في السهل أن يمسَّهُ بيدهِ . والثالثة ان كل من في السهل يستطيع ان يرى مَن على رأس الجبل ويسمع صوتهُ . وهذه الحالات الثلاث ليست في جبل سربال وهي متوافرة كل التوافر في جبل الصفصافة

أما جبل سربال فانهُ فضلاً عن كونهِ متحدراً تحدراً عظيماً ورأسهُ يبعد عن سفحهِ بعداً سحيقاً ليس في سفحهِ سهل كبير او صغير (انظر شكل ٧)

وأما جبل الصفصافة فانهُ قائم كسور على سهل الراحة ولا يعلو عنهُ سوى ١٧٦٠ قدماً ومساحة ذلك السهل ميل مربع او يزيد كما قدمنا (انظر شكل ٦)

وفوق ذلك فان انصار « سربال » لا يمكنهم تعيين المكان الذي عسكر فيهِ جيش اسرائيل مدة السنة التي أقاموها في جبل سيناء سواء كان ذلك الجيش ثلاثة ملايين نفس أو مئة ألف نفس أو عشرين ألف نفس . فقد قدمنا أنهُ ليس في سفح جبل سربال سهل كبير أو صغير وليس هناك الاَّ وادي فيران وفرعهُ وادي عليات الآتي من جبل سربال . وكلا الواديين ضيق حتى أنهُ ليصعب ايجاد ساحة لعشر خيام منصوبة بعضها بجانب بعض فضلاً عن آلاف الخيام التي لزمت جيش اسرائيل . زد عليهِ ان وادي فيران عند النبع لا يصلح للسكنى ليس لضيقهِ فقط بل لكثرة بعوضهِ وقد رأيت ان الحماضة سكان فيران الأصليين كانوا يرحلون ليلاً من عند النبع الى رجامات البيض على نحو ٣ ساعات غرباً هرباً من البعوض

والحميّات . ثم ان بدو هذه الايام الذين يجتمعون في الواحة في موسم البلح يتركون ابلهم وأغنامهم خارجاً عن الواحة فيمكثون ريثما يجنون الثمر ثم يرحلون عنها فلا يبقى فيها الاّ أفراد قليلون من سكانها الاصليين يذكّرون نخيلها ويزرعون القليل الصالح للزرع من أرضها . ثم ان النساك الذين سكنوا هذا الوادي في صدر النصرانية اتخذوا المغاور ورؤوس الجبال سكناً لهم وجعلوا كنائسهم على رؤوس التلال لعدم صلاحية الوادي للسكنى خصوصاً في الشتاء فان الوادي لشدة ضيقهِ يختنقهُ السيل ويرتفع الماء فيهِ الى حدّ عالٍ عن جانبيهِ

هذا والمفهوم من عبارة التوراة المتقدم ذكرها ان الاسرائيليين قطعوا المسافة من رفيديم الى جبل سيناء في مرحلة واحدة فحار الفريقان ، انصار سربال وانصار جبل موسى ، في تعليل ذلك اذ المسافة من عين فيران الى سفح سربال لا تزيد عن خمسة أميال ومنها الى جبل موسى نحو ٣٠ ميلاً بطريق نقب الهاوية و ٣٧ ميلاً بطريق الوطية فهي اذاً أقلّ من مرحلة . الى جبل سربال . وأكثر من مرحلة الى جبل سيناء * على أن لانصار جبل موسى مخرجاً من هذه الحيرة فقد قدَّمنا في باب الجغرافية ان هذا الوادي المعروف الآن باسمين : « وادي الشيخ » من منشاءِهِ من جبل موسى الى بويب فيران . « ووادي فيران » من البويب الى مصبه فى البحر الأحمر ، لم يكن معروفاً في القديم الاّ باسم واحد وهو رفيديم وان القسم الأعلى منهُ لم يسمَّ بوادي الشيخ الاّ بعد دفن الشيخ صالح عليه بعد الخروج بأزمان . فقول الكتاب ان الاسرائيليين رحلوا من رفيديم لا يوجب أنهم كانوا كلهم متجمعين عند عين فيران حين ارتحالهم فضلاً عن أنهُ ليس هناك محل يسعهم كما مرّ . فلا بدَّ أنهم كانوا منتشرين من العين صعداً في الوادي في القسم المعروف الآن بوادي الشيخ وان مقدمتهم لم تكن أبعد من مرحلة عن جبل موسى والله أعلم

وفوق ذلك كلهِ فان جبل الصفصافة بما لهُ من الضواحي ينطبق على رواية التوراة كل الانطباق فعلى هذا الجبل وقف موسى لتلقي الوصايا العشر . وفي السهل غربيهُ وقف الاسرائيليون لتلقي تلك الوصايا . وعلى الجبل شرقي الدير المعروف الآن

بجبل المناجاة الذي يطل على سهل الراحة جعل موسى خيمة الشهادة . وعلى التل الذي في طرف السهل الشمالي الشرقي (حيث مقام النبي هارون الآن) عَبَدَ الاسرائيليون العجل الذهبي الذي صنعهُ لهم هارون في غياب موسى في رأس الجبل (خر ٣٢) . واما الجبل المعروف الآن بجبل موسى فهو الجبل الذي كان يختلي بهِ موسى عن شعبهِ

وقد طرق الدكتور هسكنز في كتابهِ المشار اليهِ هذا البحث فكان من انصار جبل الصفصافة ولكنهُ اراد التوفيق بين القائلين بجبل الصفصافة والقائلين بجبل سربال فأتى برأي جديد غريب في بابهِ وهو ان معظم الاسرائيلين عسكروا في سفح جبل سربال وكبار الاسرائيليين ومعهم خيمة الشهادة في سفح جبل الصفصافة . وان الذين شهدوا موسى على جبل الشريعــة هم الفريق الذي كان عند جبل الصفصافة لا الاسرائيليون كلهم. والذي حملهُ على اتخاذ هذا الرأي وجود النبع الغزير في واحة فيران قرب سربال . على ان نصّ التوراة صريح بأن الاسرائيليين « ارتحلوا من رفيديم ونزلوا في برية سيناء » . « وان الرب نزل امام عيون « جميع » الشعب على جبل سيناء » . وفوق ذلك فانهُ لا يحتمل ان موسى وهو قائد عظيم ينشر جيشهُ اشهراً من جبل موسى الى جبل سربال مسافة ٣٧ ميلاً في بلاد غريبة تحاطهُ فيها الأعداء من كل الجهات لا سيما وان الماء وهو الأصل في هذا الرأي متوافر في جبل موسى فان فيهِ من الينابيع الصافية الغزيرة (وقد تقدم وصفها في باب الجغرافية) ما يكفي جيش اسرائيل ويزيد . وهذه الينابيع تروي الآن عدة بساتين متسعة للدير فيها انواع الفاكهة والثمر وقد قيل في كرمة سيناء :

« بطور سيناء كرم ما مررت بهِ الا تعجبت ممن يشرب الماء »

﴿ التيه ﴾ أما « البلاد التي تاه بها بنو اسرائيل » فاذا صحّ ان عين قديس هي بقيــة اسم قادش برنيع فلا بدّ ان تكون قادش شملت جميع البلاد الواقعة بين وادي صرام ووادي الأحيقبة شمالاً وجنوباً وبين جبل خراشه وجبل الحلال شرقاً وغرباً لأن هذه البلاد تكوّن بلاداً واحدة مستقلّة عما يجاورها تنحدر فيها السيول

من الشرق الى الغرب فتفيض في وادي العريش العظيم وفيها أراضٍ زراعية متسعة وعيون وآبار شهيرة غزيرة أهمها آبار مايين وعين قديس وعين القديرات وفرعاها عين القصيّمة وعين المويلح . وربما كان مخيمهم الأكبر عند عين القديرات الغزيرة وكان سهل التيه العظيم الذي يخترقهُ وادي العريش مسرحهم العام ومن ذلك اسمهُ . والله أعلم

﴿ آثار الخروج ﴾ هذا وفي سيناء الآن كثير من الأسماء التي تشير الى مرور بني اسرائيل فيها بقيادة موسى وتيههم في برّيتها ومن ذلك :

اسم « سيناء » المعروفة بهِ البلاد في التوراة والقرآن

« وعيون موسى » قرب السويس . « وحمام موسى » قرب الطور

« وجبل موسى في وسط الجزيرة . « وجبل المناجاة » أحد قمم جبل موسى

« وعليقة موسى » « وبئر موسى » في دير طور سيناء

« وصخرة موسى » . « وجبل مناجاة موسى » في وادي فيران

« وحمام فرعون » على البحر الأحمر عند فم وادي وسيط

« وعين قديس » في شرق الجزيرة

« وبلاد التيه » في وسط الجزيرة والتقاليد التي يحفظها سكانها الحاليون في سبب تسميتها بالتيه وقد مرّ ذكرها

« وعين حدرة » في شرق الجزيرة في طريق البتراء

« ومدينة ايلة » على رأس خليج العقبة

« ووادي موسى » . « وقبر النبي هارون » شرقي وادي العربة

« وسمك موسى » المسمى في سوريا « المرّ » وعند الافرنج « Sole » وهو سمك مسطح البطن كأنَّ واحدهُ شطر سمكة قسمت نصفين . وفي تقاليد أقباط مصر ان موسى لما عبر البحر الأحمر وأنشق الماء أمامهُ انشقّ السمك مع الماء شطرين فكان كل شطر في جهة فسمي « سمك موسى » ! ! !

الفصل الثالث

في

تاريخ سيناء من بعد الدول العشرين الأولى المصرية الى الفتح الاسلامي لمصر
من سنة ١١٥٦ ق . م الى سنة ٦٤٠ م

لا نرى للمصريين أثراً يُذكر في سيناء بعد الدولة العشرين الى الدولة الحادية والثلاثين لأن هذه الدول لم تهتمّ بالتعدين في سيناء كما اهتمّ اسلافها ولكنها اشتغلت كما اشتغل اسلافها بالحروب في سوريا وبلاد العراق وجزيرة العرب كما سنبينهُ فيما بعد

ثم تملك اليونان مصر وسوريا على يد الاسكندر المكدوني سنة ٣٣٢ ق . م فقام خلفاؤه البطالسة في مصر والسلوقيون في سوريا وما زالوا في حروب مستمرة يأتي ذكرها الى أن تغلب الرومانُ عليهم جميعاً فملكوا سوريا سنة ٦٤ ق . م ومصر سنة ٣٠ ق . م ودام ملك الرومان على القطرين الى أن قام الاسلام في جزيرة العرب فانتزعوا منهم سوريا سنة ٦٣٨ م . ثم مصر سنة ٦٤٠ م

وقد ترك اليونان والرومان في سيناء ولا سيما القسم الشمالي منها وفي حدودها الغربية كثيراً من الآثار النفيسة التي تقدم وصف أكثرها في باب الجغرافية

وأهم آثار الرومان « البيزنتيين » دير طور سيناء الشهير المار ذكرهُ تفصيلاً وقد أفردنا لتاريخهِ فصلاً خاصاً في ما يلي

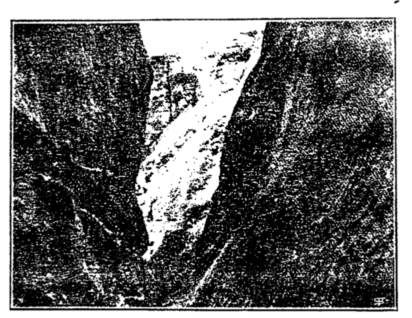
هذا وبينما كان البطالسة في مصر يتطاحنون بالحروب هم والسلوقيون في سوريا نرى النبط خلفاء الادوميين في البتراء قد شادوا ملكاً امتدّ غرباً الى البحر الأحمر فشمل جزيرة سيناء كلها . لذلك أفردنا لهم في هــذا التاريخ فصلاً خاصاً وهو الفصل التالي :

الفصل الرابع

في

﴿ تاريخ مملكة النبط في البترآء وعلاقتها بسيناء قديماً وحديثاً ﴾

﴿ مدينة البترآء ﴾ البتراء « Petra » مدينة حجرية حصينة فخمة للنبط في وادي موسى أحد فروع العربة وهي الآن خراب . ومدخل المدينة من الشرق في مضيق يعرف بالسيق يرتفع عندهُ جانبا الوادي عمودياً كسور بن عظيمين . طوله نحو ميلين وعرضهُ من عشر أقدام الى ثلاثين قدماً حتى أنهُ لا يسع الفرسان المرور بهِ الاَّ إثنين إثنين وهو سرُّ حصانتهِ



شكل ٧٨ : السيق في وادي موسى

وفي نهاية هذا السيق ينفرج الوادي عن الجانبين نحو كيلومتر وفي هذا المنفرج معظم أبنيـة البتراء ثم يعود الوادي فيجري في مضيق آخر صعب المسلك جداً يعرف بالسيق الغربي الى أن ينتهي في وادي العربة



شكل ٧٩ : مدينة البترآء

وفي رأس الوادي نبع ماء غزير يجري فيهِ فيرويهِ وهو حياتهُ وأصل وجود المدينة في القديم . وقد كان مجرى الماء قديماً مسقوفاً بالحجر . ونقر النبطيون في قلب الصخر عند مدخل المدينة نفقاً عرضهُ نحو ١٧ قدماً وعلوه نحو ٢٠ قدماً وطولهُ ٣٣٠ قدماً

واكثر منازل المدينة وهيا كلها وقبورها منحوتة في الصخر لذلك سماها اليونان « بترا » أي الحجر وسمُّوا البلاد التابعة لها « ارابيا بترا » أي العربية الحجرية تمييزًا لها عن « أرابيا فيلكس » أي العربية السعيدة وهي بلاد اليمن

ولا يُعلم بالتأكيد الاسم الذي أطلقهُ مؤرخو العرب على هذه المدينة لاننا لا نرى لها ذكراً في كتبهم . وارتأى البعض أنها « الرقيم التي ذكرها المقدسي في كتاب أحسن التقاسيم قال: « الرقيم قرية على فرسخ من عمان على تخوم البادية » . والتي ذكرها الاصطخري في قولهِ : « الرقيم مدينة بقرب البلقآء وهي صغيرة منحوتة بيوتها وجدرانها في صخر كأنها حجر واحد » اه . ولكن « بترا » هذه هي على

نحو ١٢ فرسخاً من عمان و بعيدة جداً عن البلقاء . وفوق ذلك فان في تلك الجهات كثيراً من الأماكن غير « بترا » منحوتة بيوتها في الصخر . وعلى كل حال فاننا نعني « بالبتراء » المدينة التي عرفها اليونان قديماً باسم « بترا »

وأول من ذكر البتراء في التاريخ ديودورس الصقلي المتوفى في القرن الأول قبل الميلاد فقال: « انها بلاد صخرية وفيها ينابيع قليلة ويصعب جداً الوصول اليها »

وقال سترابو المؤرخ الروماني المتوفى سنة ٢٤ م: «البتراء مدينة صخرية قائمة في منبسط من الأرض تحيط بهِ الصخور كالسور المنيع وليس وراءها غير الصحراء المجدبة»

وقال بليني النباتي الروماني الذي عاش في القرن الأول بعد المسيح عند ذكر النبط : « انهم يسكنون مدينة تدعى البتراء في مجوّف من الأرض يقلُّ محيطهُ عن ميلين تكتنفهُ الجبال من كل الجهات . ولها نبع يجري في وسطها »

﴿ مملكة أدوم ﴾

وظاهر من موقع هذه المدينة واجمال حالها أنها عاصمة مملكة أدوم القديمة المشهورة في التوارة . وقد سمّاها اليهود « سالع » أي الحجر وسمي الجبل الذي يخترقهُ واديها جبل « سعير » . وكان أول من سكنها الحوريون سكان الكهوف ثم طردهم منها الأدوميون ذرية أدوم وهو عيسو بن اسحق . جاء في سفر التثنية ص ٢ : ١٢ : « وفي سعير سكن قبلاً الحوريون فطردهم بنو عيسو وأبادوهم من قدامهم وسكنوا مكانهم » . وقد تقووا مع الأيام حتى صاروا مملكة يُرهب جانبها امتدت من البحر الميت الى البحر الأحمر وكان لهم مدينة على رأس خليج العقبة اشتهرت في التاريخ تدعى أيلة وقد مر ذكرها تفصيلاً

وقد أبنا في الفصل السابق ما كان من منع الأدوميين لموسى عن العبور بأرضهم الى نهر الأردن حتى اضطر أن يدور حول بلادهم ويمر بوادي اليتم . والظاهر أن الاسرائيليين لم ينسوا هذا المنع من الأدوميين، مع أنهم كانوا من جهة النسب اخواناً لهم ، بل كانت سبباً لعداوة استمرت بين الشعبين الى انقضاء ملك الادوميين .

فاننا نرى في تاريخ مملكة اليهود ان داود النبي (سنة ١٠٥٥ : ١٠١٥ ق . م) أخضعهم لسلطانهِ (صموئيل الثاني ص ٨ : ١٤) ؛ ثم عصوا في أيام سليمان (١٠١٥ : ٩٧٥ ق . م) فأعادهم الى الطاعة وبنى في بلادهم ميناء عصيون جابر قرب مدينة أيلة. ثم عادوا فنقضوا فأذلهم يهوشافاط ملك يهوذا (سنة ٩١٤ : ٨٩٨ ق . م) ثم عادوا الى الاستقلال فتغلب عليهم أيضاً أمصيا ملك يهوذا (سنة ٨٣٨ : ٨١٠ ق . م) انظر أخبار الأيام الثاني ص ٢٥ : ١١ وملوك الثاني ص ١٤ : ٧. ثم نراهم في أيام أحاز ملك يهوذا (سنة ٧٤١ : ٧٢٦) قد غزوا اليهودية واكتسحوها وأخذوا من أهلها أسرى . ثم لما حاصر نبوخذنصر أورشليم وسبى اليهود الى بابل سنة ٥٨٧ ق . م اشترك الأدوميون في حصر المدينة وسلبها وأخذوا قسماً من اليهودية

﴿ مملكة النبط ﴾

ثم نرى النبط بعد ذلك قد حلوا محلّ الأدوميين وأسسوا مملكة في البتراء امتدت من دمشق الشام الى وادي القرى قرب « المدينة » شمالاً وجنوباً ومن بادية الشام الى خليج السويس شرقاً وغرباً. فشملت شمال غرب جزيرة العرب وجزيرة سيناء . ووجدت آثارهم في الحِجْر (مدائن صالح للثموديين) وحوران ودمشق الشام وجزيرة سيناء

وأما آثارهم في سيناء فهي صخرات كتابية في طريق القوافل من البتراء الى السويس . وفي طريق العقبة الى مدينة الطور . وفي الأماكن المقدسة في جبل موسى ووادي فيران . وفي معادن الفيروز والنحاس في وادي المغارة ووادي النصب الغربية . وفي غيرها من الأماكن في بلاد الطور كما بيّناه في باب الجغرافية . وقد دلّ ذلك على أن النبط استخدموا طرق التجارة في سيناء وعدّنوا الفيروز في وادي المغارة والنحاس في وادي النصب وكانوا يزورون أماكنها المقدسة في جبل موسى وجبل سربال . وسنرى في تاريخ الدير ان رهباناً من البتراء سكنوا سيناء في صدر النصرانية وان ابرشية فيران كانت قبل بناء الدير تابعة لأبرشية البتراء

وأول من ذكر النبط في التاريخ ديودورس الصقلي وخلاصة قوله : « ان النبط يعيشون في بادية جرداء لا نهر فيها ولاسيول . ومن أمهات قوانينهم منع بناء المنازل أو زراعة الحبوب أو استثمار الأشجار وتحريم الخمر مع التشديد في العمل بذلك

« ويقتات بعضهم بلحوم الإبل وألبانها والبعض الآخر بالماشية أو الغنم ويشربون الماء المحلّى بالمن . ومنهم قبائل عديدة تقيم في البادية ولكن النبطيين أغنى تلك القبائل . وثروتهم من الاتجار بالاطياب والمرّ وغيرها من العطور يحملونها من اليمن وغيرها الى مصر وشواطىء البحر المتوسط . ولم تكن تمرّ تجارة في أيامهم بين الشرق والغرب الاّ على يدهم . ويحملون الى مصر القار لأجل التحنيط . وهم حريصون على حريتهم فاذا داهمهم عدو يخافون بطشهُ فرُّوا الى الصحراء وهي أمنع حصن لهم لأنها خالية من الماء فلم يدخلها سواهم الاَّ مات عطشاً » اه

وقد ذكرهم ديودورس في كلامهِ عند اغارة انتيغونس سيّد آسيا الصغرى على البتراء سنة ٣١٢ ق. م وارتداده عنها بالفشل قال : « ان النبطيين خلفوا الادوميين في بلادهم . وانهم عشرة آلاف مقاتل لا شبيه لهم في قبائل البـدو . وان بلادهم الوعر القاحل ساعدهم على التمتع بالحرية والاستقلال لأنهم كانوا يستغنون عن سائر العالم بصهاريج سرّية مربعة الشكل منقورة في الصخور تحت الأرض يخزنون فيها الماء . ولكل منها فوهة ضيقة وباطن واسع اتساعه ثلاثون متراً مربعاً يملاونها بماء المطر في الشتاء ويحكمون سدّها بحيث يخفى مكانها على غير العارف ولها على فوهاتها علامات ترشدهم اليها لا يعرفها غيرهم » اه . قلت وهي « كالهرابات » التي لا يزال يستعملها بدو سيناء الى اليوم

﴿ غزوة انتيغونس للنبط في البتراء سنة ٣١٢ ق . م ﴾ أما غزوة انتيغونس للنبط المشار اليها فخلاصتها مما رواه المؤرخ شارب الانكليزي في تاريخ مصر القديم :

« ان انتيغونس كان ينوي غزو مصر ونزعها من يد بطليموس الأول وكان بطليموس قد استرجع عساكره من سوريا الجنوبية وترك الصحراء بينهُ وبين انتيغونس ولم يكن عند انتيغونس مراكب تحمي جيشه البرّي وتساعده على اختراق الصحراء

فرأى أن يخضع النبط أو يكتسب صداقتهم ليهاجم مصر بطريق البتراء لأن هذه الطريق أغزر ماء من طريق الفرما ولأن مصر لم تكن محصنة من جهة السويس كما كانت من جهة الفرما وكان النبط اذ ذاك يتجرون مع سوريا ومصر ففضلوا البقاء على الحياد فاستاء انتيغونس منهم ونوى اذلالهم فبلغهُ يوماً انهم خرجوا من معقلهم لسوق قريبة، ربما ليلاقوا قافلة آتية من الجنوب ويقايضوا بضائع صور الصوفية بعطور اليمن، وانهُ لم يبقَ في المدينة منهم الاّ نفر قليل فانتقى أربعة آلاف من المشاة وست مئة فارس فدخلوا المدينة عنوة وامتلكوها . فلما بلغ النبط ما كان عادوا ليلاً ونزلوا على اليونانيين من طرق شاقة لا يعرفها غيرهم وأعملوا فيهم السيف والحربة حتى انهُ لم يبقَ منهم سوى ٥٠ رجلاً تمكنوا من الفرار وأخبروا انتيغونس بما كان . وأرسل النبط يلومون انتيغونس لغزوه بلادهم بعد ان أمَّنهم . وكان انتيغونس عند مجيء رسل النبط يتميز من الغيظ لما حلَّ بجيشه ولكنه لجأ الى المخادعة فكظم غيظهُ وأظهر للرسل أنه مستنكر هذه الغزوة وان قائدهُ انما فعل ذلك بغير علمهِ، ووعدهم بالأمان . وفي الوقت عينهِ أرسل ابنهُ ديمتريوس بأربعة آلاف من المشاة وأربعة آلاف من الفرسان لينتقموا للجيش الأول ويفتحوا المدينة . وكان العرب هذه المرَّة متيقظين وكانت حصانة موقعهم تساعدهم على الدفاع لذلك عجز جيش ديمتريوس هذا وهو زهرة جيش ابيه عن دخول المدينة وعاد بالخيبة . واضطر انتيغونس الى مصالحة بطليموس والعودة الى آسيا الصغرى كما سيجيء

ملوك النبط

واستفحل أمر النبط بعد هذا النصر واتسع سلطانهم لاسيما في أثناء انحطاط مملكة البطالسة في مصر والسلوقيين في سوريا في أواخر القرن الثاني قبل المسيح فانشأوا دولة منظَّمة تولاَّها ملوك ضربوا النقود بأسمائهم واستوزروا الوزراء . وهذه هي أسماء ملوك النبط الذين اتصلت بنا أخبارهم الى الآن مع سني حكمهم بوجه التقريب :

﴿ الحارث الأول سنة ١٦٩ ق . م ﴾ وهو أول ملك عرف من ملوك النبط ذكر في سفر المكابيين الثاني ص ٥ : ٨

٢ . ﴿ زيد ايل سنة ١٤٦ ق . م ﴾ ذكر في سفر المكابيين الثاني
٣ . ﴿ الحارث الثاني الملقب ايروتيمس سنة ١١٠ : ٩٦ ق . م ﴾ .
٤ . ﴿ عبادة الأول سنة ٩٠ ق . م ﴾ * ٥ . ﴿ ريبال الأول ابنهُ سنة ٨٧ ق . م ﴾
٦ . ﴿ الحارث الثالث الملقب فيلهلن ابنهُ سنة ٨٧ : ٦٢ ق . م ﴾ كان لهذا الملك شأن عظيم في تاريخ هذه الدولة وكان السلوقيون في سوريا قد ضعف أمرهم لانشقاقهم بعضهم على بعض فدعاه الدمشقيون ليتولى أمرهم فتولاهم سنة ٨٥ ق . م ولقبوه « فيلهلن » أي محب اليونان * وهو أول مَن ضرب النقود مِن الأنباط اقتبس ذلك من السلوقيين في أثناء سلطانهِ على دمشق . ثم توالى بعده الملوك فضربوا النقود بأسمائهم الاَّ الأخير فانهُ لم يوجد نقود باسمهِ . وكان لملوك النبط سكة خاصة تدل على اكرامهم زوجاتهم ترى فيها رأس الملك على وجه من النقود ورأس الملكة على الوجه الآخر . وهذه العادة غير معروفة في غير نقود النبط

وفي آخر أيام الحارث حصل أول قتال بين النبط والرومان فانهُ تدخَّل في النزاع الذي وقع بين الأميرين المكابيين هركانوس وأخيه أرستو بولس . وكانت سوريا في ذلك العهد قد آلت الى الرومانيين فنصروا أرستو بولس ورفعوا الحصار عن المدينة . قالوا ولحق أرستو بولس أخاهُ هركانوس والحارث وواقعهما في مكان يدعى مابيرون فقتل من جيشيهما ٦٠٠٠ رجل وكان ذلك سنة ٦٤ ق . م

وفي هذه السنة قدم بمبيوس صاحب رومية وأقام في دمشق فوفد عليهِ الشقيقان هركانوس وأرستو بولس بالهدايا ورفع كل منهما دعواه بالملك فلم يحكم لأحدهما بل أمرهما أن ينتظرا الى أن يفرغ من محاربة العرب وشرع في ذلك سنة ٦٣ ق . م . قالوا وسار الى البتراء وأخذها وقبض على الحارث ملكها ثم أخلى سبيلهُ لقبولهِ الشروط التي اقترحها عليهِ وعاد الى دمشق

٧ . ﴿ عبادة الثاني ابنهُ سنة ٦٢ : ٤٧ ق . م ﴾
٨ . ﴿ مالك الأول ابنهُ سنة ٤٧ : ٣٠ ق . م ﴾ كان معاصراً لهيرودس الكبير قالوا وكانت بينهما حروب طويلة كان النصر فيها تارةً لهُ وتارةً لهيرودس . وانهُ

تدخّل في المنازعات التي كانت بين القواد الرومانيين طلباً لمصلحتهِ ومنعاً لمطامعهم

وقد وجد ده فوكوى خطًّا نبطيًّا في بصرى حوران منقوشاً على مذبح قيل فيهِ :

« أقام هذا المذبح نترال بن نترال للإله كاسيوس في السنة الحادية عشرة لمالك الملك »

٩ . ﴿ عبادة الثالث ابنهُ سنة ٣٠ : ٩ ق.م ﴾ وفي أيامهِ كانت حملة أليوس غالوس القائد الروماني على بلاد العرب وقد استعان فيها بالنبط. وكان سترابو المؤرخ معاصراً وصديقاً لهذا القائد وقد ذكر خبر هذه الحملة قال : « انهُ في سنة ١٨ ق.م جرَّد أوغسطوس قيصر حملة بقيادة أليوس غالوس عاملهِ على مصر لفتح جزيرة العرب واستنصر النبطيين فأظهروا رغبتهم في نصرتهِ على يد وزير لهم يومئذٍ يسمى سيلوس ولكن هذا الوزير خدعهُ فذهب بهِ في طرق وعرة أعجزه المرور فيها فقضى مع جيشهِ أياماً قاسوا بها العذاب ألواناً . وأقصى مكان بلغهُ بعد ذلك العذاب مدينة الرحمانية وعليها ملك يدعى اليسارس فحاصرها ستة أيام لكن العطش اضطرهُ الى رفع الحصار والرجوع نحو مصر . وبعد تسعة أيام من رجوعهِ وصل الى نجران ومرَّ بالجوف الجنوبي وما زال ينتقل من بلد الى بلد حتى وصل الحِجر وسار منها الى البحر الأحمر ومنهُ الى مصر بعد أن قضى في هذه الحملة ستين يوماً » اه

قلت ويرى أهل النقد ان سترابو نسب الفشل في هذه الحملة الى خيانة سيلوس وزير النبط تبرئة لصديقهِ أليوس غالوس

١٠ . ﴿ الحارث الرابع الملقب فيلومتر شقيقهُ سنة ٩ ق.م: ٤٠ ب . م ﴾ وهو حمو هيرودس انتيباس رئيس ربع في الجليل . وأراد هيرودس أن يتزوَّج بهيروديا امرأة أخيه فيليب وذلك سنة ٢٧ م فشق ذلك على ابنة الحارث فرجعت الى منزل أبيها وانتشبت حرب بين الحارث وهيرودس كان الظفر فيها للحارث . فاستنجد هيرودس بطيباريوس أمبراطور رومية فبعث الى فيتالس قائده في سوريا أن يرسل اليهِ الحارث مكبَّلاً بالحديد واذا قتل في الحرب فليرسل اليهِ رأسهُ . فشرع فيتالس في الاستعداد للحملة على البتراء ولكنهُ تأخر في أورشليم لحضور الفصح . وفي أثناء ذلك مات طيباريوس سنة ٣٧ م وخلفهُ على رومية الأمبراطور غاليغولا فرضي عن الحارث ووسَّع

تخوم مملكتهِ وأعطاهُ دمشق الشام . وفي سنة ٣٩.م نرى على دمشق والياً يحكمها من قِبل الحارث وقد أراد الوالي أن يلقي القبض على بولس الرسول ولكن بولس أفلت من يده (كورنثوس ص ١١ : ٣٢)

وعزا ده فوكوى الى الحارث هذا خطًّا وُجد في صيدا على صفيحة من رخام جاء فيها : هذه « الصفيحة قدمها . . . الحاكم بن زويلا للآلهة دوزارا (ربّة كان يعبدها العرب في حِجر وأذرع وبصرى وغيرها) في شهر . . . سنة ٣٢ للحارث »

ووجد منقوشاً على قبر في الحِجر كتابة بالنبطيَّة تاريخها حوالي الميلاد هذه ترجمتها: « هذا القبر الذي بنتهُ قمقم بنت وائلة بنت حرم وكلبية ابنتها لهما ولذريتهما في شهر طبية من السنة التاسعة للحارث ملك النبطيين محب شعبه . فعسى ذو الشرى . . . واللات وعمند ومنوت وقيس ان تلعن من يبيع هذا القبر أو يشتريهِ أو يرهنهُ أو يخرج منهُ جثة أو عضواً أو يدفن فيهِ أحداً غير قمقم وابنتها وذريتهما . ومن يخالف ما كتب عليهِ فيلعنهُ ذوالشرى وهبل ومنوت خمس لعنات ويغرم الفاعل (؟) غرامة مقدارها الف درهم حارثي الاَّ من كان بيدهِ تصريح من يد قمقم أو كلبية ابنتها . . . صنع ذلك وهب اللات بن عبد عبادة »

١١ . ﴿ مالك الثاني ابنهُ سنة ٤٠ : ٧٥ م ﴾ حكم مع امرأتهِ صقيلة . ويظهر أنهُ ابن الحارث من خطٍّ ذكر ده فوكوى أنهُ وُجد مكتوباً على صفيحة فوق باب كنيسة صرخد حوران . قيل فيــهِ : « هذا الأثر أقامهُ رواهد بن ماتابو . . . للاَّت ربتهم المستقرَّة في صرخد . . . في شهر آب سنة ١٧ لمالك ملك النبط بن الحارث ملك النبط المحب لشعبهِ » * قالوا وهو الذي أتى بجيش لنجدة فسباسيان القائد الروماني في حربهِ مع اليهود سنة ٦٧ م

١٢ . ﴿ ربال الثاني الملقب سوتر ابنهُ سنة ٧٥ : ١٠١ م ﴾ وكانت أمهُ صقيلة وصية عليهِ ثم أشرك معهُ في الحكم امرأتهُ جميلة . ذكر في خط وجده ده فوكوى فوق شبابيك كنيسة صرخد قيل فيهِ : « أقامهُ قصيو بن أُذَينة . . . لامرأتهِ وغدة في السنة الخامسة والعشرين للملك ربال »

١٣ . ﴿ مالك الثالث سنة ١٠١ : ١٠٦م ﴾ وهو آخر ملوك النبط فان الرومان بعد استيلائهم على سوريا ومصر ما زالوا يناوئون هذه المملكة قصد إدخالها تحت سلطتهم حتى فازوا بالغرض سنة ١٠٦ م في عهد الأمبراطور تراجان . وقد ضربوا نقوداً خاصة بذلك الفتح على سبيل التذكار

﴿ البترآء ولاية رومانية ﴾ وأصبحت البترآء بعد ذلك الفتح ولاية رومانية ولم يقم للانباط بعدهُ قائمة * * ومع هذا نرى البترآء سنة ٣٥٨ م ولاية قائمة بذاتها باسم « فلسطينا ترتيا » وفيها أبرشية للنصارى وعليها مطران . والمشهور أن أبرشية فيران في قلب سينا كانت في ذلك الحين تابعة لها

وقد بقيت البترآء تحرسها حامية من الجند الروماني الى عهد الأمبراطور فالنس (سنة ٣٦٥ : ٣٧٨ م) . ثم هجرت وخمد ذكرها حتى أنهُ في عهد النبي محمد لم يكن لها شيء من الأهمية حتى أن مؤرخي العرب لم يذكروها في فتوحات الإسلام وقد ذكروا أيلة على ما مرَّ

﴿ الصليبيون في البترآء ﴾ هذا ولما جاء الصليبيون الى سوريا استولوا عليها وبنوا فيها قلعة وبنوا قلعة في الشوبك وأخرى في الكرك في طريق القوافل الى الشام من مكة . ولكن ما زال العرب المسلمون يجاهدون حتى أخرجوهم من تلك القلاع في عهد صلاح الدين الأيوبي (سنة ١١٧١ : ١١٩٣م) ولكنهم لم يعمّروا البترآء فخربت وصارت مرتعاً لعرب البادية . ويسكن واديها الآن عند النبع عرب اللياثنة يدلُّون السياح على خرائبها كما مرَّ . وقد ضمَّها السلطان عبد الحميد الثاني الى أملاكهِ الخاصة

﴿ آثار البترآء ﴾ وبقيت خرائب البترآء محجوبة عن العالم المتمدن أجيالاً عديدة حتى أحيا ذكرها في هذا العصر الرحالة الشهير بورخارت دخلها عن طريق الشام في ٢٢ أوغسطوس سنة ١٨١٢ ومن ذلك الوقت أمَّها كثير من السياح الأفرنج من دمشق والقدس وسيناء وكتبوا فيها المجلدات ووصفوا آثارها وصفاً يشوّق القارئ الى زيارتها . وهي تدلُّ على عظمة المدينة وغنى أهلها في القديم وأنها زهت كثيراً في عهد الرومان . وأهمُّ تلك الآثار :



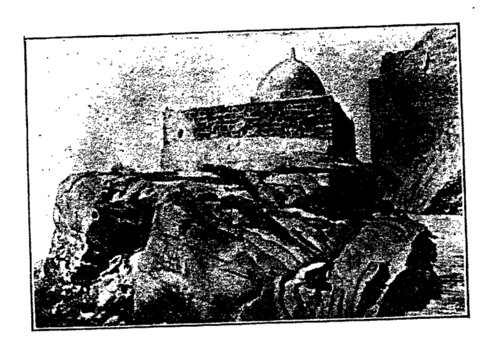
شكل ٨٠ : خزنة فرعون فى البتراء

١ً « خزنة فرعون » في منتصف السيق الشرقي الذي يُدخل منـهُ الى المدينـة وهو هيكل عظيم فخم ورديّ اللون منقور في الصخر أقامهُ في الأرجح الامبراطور هدريان الروماني للمعبود ايسس اذ زار المدينة سنة ١٣١ م .

٢ً « المرسح » وهو ملعب عظيم منحوت في الصخر في شكل نصف دائرة مؤلف من ٣٣ صفاً من المقاعد بعضها فوق بعض بهيئة درَج تسع نحو ٣٠٠٠ شخصاً وموقع المرسح في آخر السيق الشرقي على نحو ٢٠ دقيقة من خزنة فرعون ومنهُ تنفرج الوادي حتى ان الجالس على مقاعد المرسح يرى قسماً كبيراً من المدينة

٣ً « قصر فرعون » وهو هيكل جميل في غرب المدينة بقرب مدخل السيق الغربي . وبقربهِ « البوابة المثلثة » وهي في الأرجح مدخل الهيكل الخارجي

٤ً « الدير » على نحو ساعة من قصر فرعون الى الشمال الغربي منهُ وهو هيكل فخم على ارتفاع نحو ٧٠٠ قدم من بطن الوادي وهو يطلّ على جبل هارون ووادي العربة * أما جبل هارون فهو على يسار القادم الى البتراء من العقبة في رأس وادي خشيبة علوه نحو ٤٦٠٠ قدم عن سطح البحر وعليهِ مقام النبي هارون المشهور



شكل ٨١ : مقام النبي هارون قرب البتراء

٥ً « المذابح » على المرتفعات في جوار الهياكل . وأهمها المذبح الذي على تلّ النجر قرب خزنة فرعون * ٦ً «القلاع» وفيها قلعة للصليبيين وسور حول المدينة

٧ً « القبور » ومنها ما ينيف على ٧٥٠ قبراً كلها منحوتة في الجبل في جميع انحاء المدينة . وأفخم تلك القبور هي التي حول المرسح وأقدمها القبور التي على تلّ النجر وقبر على تل عند وادي التركمانية على « واجهتهِ » كتابة بالنبطية

﴿ تجارة النبط ﴾ وكان النبط شعباً تجارياً وقد ساعدهم موقع عاصمتهم وحصانتها ووجود النبع الغزير فيها على جعلها محطة للقوافل البرّية التي كانت تتردد بين البحر الهندي والبحر المتوسط . فكانت بضاعة الهند تُنقل الى بلاد اليمن عن طريق عدن . وكان أهل اليمن ينقلونها مع محصولاتهم الى الحجاز . وكان

النبط ينقلونها من الحجاز الى البتراء . ومن هناك تتفرع الى مصر «بطريق البتراء» والى فلسطين وفينيقية بطريق بئر سبع والى شمالي سوريا بطريق دمشق الشام

وأما «الطريق من عدن الى البتراء فالشام» فما زالت مطروقة للآن مع تقدم الملاحة في البحار لأنها طريق الحجاج الى مكة المكرمة . تمر الطريق من عدن الى لحج فتعز فزبيد فمكة * وقد حجَّ الشاعر الصوفي الشيخ عبدالرحيم بن أحمد البرعي اليمني من اهل القرن الخامس للهجرة فنظم قصيدة صوفية ذكر فيها المدن والأودية والآبار التي مرَّ بها في طريقهِ من جبل بُرَع باليمن الى مكة قال وضمير المؤنث راجع الى الابل :

« فَلَعْسَانٌ» «فسَرْدُد» ثم «مُوْرٌ» « فَحيْزَان » لهنَّ بهِ رسيمُ

الى «حرَض» الى « خُلَبٍ » ترآءت الى « جيزان » جازت وهي هيمُ

ومرَّت في رُبى «ضَمَدٍ» «وصَبْيَا» « ولؤلؤة » « وغوَّان » تهيمُ

«وذهبانٍ» وفي « عُمُق » « وحَلْيٍ » تساورها المفـاوز والرسومُ

وفي « يَبَتٍ » وفي كنفي « قِنُونا» سرت والليل منعكر بهيمُ

« فدُوقة » « فالرياضة » فاستمرت بجنب « الحَفْر » يطربها النسيمُ

الى « الميقـات » ظلَّت خائضات « غمارَ الآل » يلفحها السمومُ

وباتت عند ما وردت « إداما » تحنُّ فلا تنـام ولا تنيمُ

وفي « أم القرى » قرت عيون عشيَّـة لاح زمزم والحطيمُ

ومن مكة تتبع الطريق طريق الحج الشامي المشهورة مارَّة بالمدينة فوادي القرى فتبوك فمعان قرب البتراء فدمشق الشام . وفي سنة ١٩٠٦ مُدَّت سكة حديد من دمشق الى المدينة متبعة طريق الحج الشامي عرفت « بسكة حديد الحجاز » * وأما طريق القوافل القديمة من البتراء الى دمشق فكانت تمرّ بالشوبك فطفيلة فالكرك فضبَّان لحسبان فعمَّان فجرَش فالمزيريب فدمشق * وذكر القاضي شهاب الدين العُمري الذي عاش في القرن الثامن للهجرة في كتابهِ « التعريف بالمصطلح الشريف » مراكز الطريق من دمشق الى الكرك في ايامهِ وهي حسب تعريفهِ :

«طفس فالقنية فالبرج الابيض فحسبان فديباج فاكريه فالكرك» . وقد أصلح الرومان قديماً طريق القوافل من البتراء الى دمشق كما أصلحوها من البتراء الى أيلة

وظلت مدينة البتراء مركزاً تجارياً بين الشرق والغرب الى أوائل القرن الثالث للمسيح اذ قامت مملكة الفرس في الشرق ومملكة تدمر في الشمال وفاز الفرس بتحويل تجارة الهند واليمن عن طريقها القديم وصرفها الى خليج العجم والفرات

وفي ذلك العهد كانت الاسكندرية قد صارت مركزاً عظيماً للتجارة بين الشرق والغرب وأخذت مركز صور فكانت بضاعة الهند وجزيرة العرب تجيء ميناء بيرنيس على البحر الأحمر فتنقلها القوافل المصرية الى قفط . وتُنقل من قفط بالنيل الى الاسكندرية. فكان تحويل التجارة عن البتراء أكبر ضربة منيت بها بل كانت الضربة القاضية عليها

﴿ أصل النبط ﴾ هذا وقد اختلف المؤرخون في أصل النبط فقال فريق انهم أراميون وآخر انهم عرب . أما القائلون انهم أراميون فحجتهم ان لغة النبط أرامية وان لفظ النبط عند العرب يطلق على أهل العراق * قالوا لما تغلَّب نبوخذ نصر الثاني على أورشليم وأزال مملكة يهوذا سنة ٥٨٧ ق . م زحف على مملكة أدوم فأخضعها وجعل في عاصمتها حامية من الجند . وسكن مع الحامية قوم من التجار الأراميين فاشتغلوا بالتجارة وساعدهم مركز البلاد فقووا مع الأيام وأسسوا ملكاً !

وأما القائلون انهم عرب فحجتهم : أولاً . ان مؤرخي اليونان واليهود الذين كتبوا عنهم سموهم عرباً * ثانياً . ان النبط استعملوا أداة التعريف « ال » * ثالثاً . ان أسماء ملوكهم كلها عربية محضة كالحارث وعبادة وربيال ومالك وجميلة *

ويؤخذ من تاريخ مصر للمؤرخ شارب الانكليزي المار ذكره انهم هم الأدوميون انفسهم قال : « كان النبط قبلاً يسمون ادوميين ثم فقدوا هذا الاسم بعد أخذهم القسم الجنوبي من اليهودية (كامر) المعروف باسم « ادوميا » اذ اليهود لما استرجعوا « ادوميا » سموا ادوميي الصحراء نباووث أو « النبط » اه

وفي التعريفات « النبط جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين قيل سمُّوا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء . هذا أصلهُ ثم استعمل في اخلاط الناس »

وأما قول الفريق الاول إن النبط تجار إراميون سكنوا مع الحامية التي وضعها نبوخذ نصر بعد أخذه أورشليم سنة ٥٨٧ ق . م فقول تخميني لم يثبتهُ مؤرخ ثقة . ثم لا يعقل أن تجاراً مستضعفين وحامية صغيرة من الجند كلهم أجانب بعيدين بعداً سحيقاً عن مركز سلطانهم يؤسسون ملكاً قويًّا في وسط بلاد عربية محضة كالملك الذي أسسهُ النبط في البتراء بل لو أسسوا ملكاً لنسب الى سلطانهم وزال بزوالهِ

﴿ القلم النبطي وبحث في اللغات والاقلام الشرقية ﴾

وأما كون النبط قد كتبوا باللغة الارامية فليس بدليل على أنهم أراميون اذ لغة التدوين عند قوم لا تدل دائماً على جنسهم أو لغتهم . فان جميع المتكلمين باللغة العربية الآن على اختلاف لهجاتهم وأجناسهم يكتبون باللغة الفصحى التي هي لغة قُريش وليست قريش الاَّ فرعاً صغيراً منهم بل ان كثيراً من متكلمي العربية الآن أعاجم أصلاً وفرعاً * ثم ان اللغة اللاتينية التي هي لغة الدولة الرومانية ظلَّت لغة العلم والنقش على الآثار في أوربا كلها أجيالاً بعد ذهاب دولتها

وأما اختيار النبط اللغة الارامية فيحتاج الى تمهيد تطيلي : يقول العارفون باللغات الشرقية ان اللغات الكلدانية والسريانية والعبرانية (التي غدت الآن لغات طقسية) والعربية والحبشية (اللتين لا تزالان حيتين) اخوات لأُم واحدة أو فروع لأصل واحد تنوَّعت بتنوّع المكان والزمان . وبعبارة أخرى ان في ألفاظ هذه اللغات واشتقاقاتها وتراكيبها وصرفها ونحوها من التشابه والتقارب ما لا يترك أقل ريب في أن أصلها البعيد واحد . وقد عرَّفوه «بالأصل السامي» نسبة الى سام بن نوح . ثم ان اللغتين الكلدانية والسريانية هما في الحقيقة لغة واحدة وانما تختلفان في قاعدة الكتابة واللهجة . وأما اختلافهما في اللهجة فهو كاختلاف اللهجات العربية في مصر والشام والعراق وتونس . والفصل الأعظم المميز لكل منهما اختلافهما في لفظ الألف فان الكلدان ينطقون بها صريحة فيقولون في لفظ « اله » مثلاً « إلاهَا » والسريان ينحون بها الى الواو فيقولون « ألوهو » وهذه الألف كثيرة في لسانهم ولهذا كان الفرق بيّناً في كلامهم . فاللغة المكتوبة واحدة تماماً في صرفها ونحوها وبيانها في

السريانية والكلدانية وانما تختلف قليلاً في كتابتها وقراءتها فكل فريق يكتبها على قاعدتهِ ويقرأها على لهجتهِ

قالوا وهذه اللغة عينها هي المعروفة « باللغة الارامية » نسبة الى ارام بن سام . وقد كانت لغة مملكة الكلدان الأولى أو مملكة بابل. فمملكة أشور. فمملكة الكلدان الثانية في العراق والجزيرة كما كانت لغة مملكة ارام في دمشق الشام . ولكنها تحولت عن أصلها القديم وتطوَّرت على ألسنة متكلميها في تلك الممالك مع الأيام شأن جميع اللغات حتى صارت الى ما هي عليهِ الآن في فرعيها القريبين الكلدانية والسريانية

وقد كُتبت قديماً بالقلم المسماري أو السفيني ، سمي بذلك لأن حروفهُ تشبه المسمار أو السفين ، ثم لما اخترع أجدادنا الفينيقيون النجباء الحروف الهجائية وعمَّت العالم المتمدن لسهولتها اختارها الأراميون وكتبوا بها لغتهم وانتسخ القلم المسماري

أما اللغة الفينيقية فقالوا انما هي لهجة من لهجات اللغة العبرانية . وقد صدَّق ما قلتِ في السريانية والكلدانية العلامة المطران يوسف دريان الماروني السرياني والخوري بطرس عابد الكلداني في مصر وهما من الثقات باللغات الشرقية

ومن الثابت المؤكَّد الآن انهُ في القرون الأخيرة قبل الميلاد والقرون الأولى بعده كانت اللغة الارامية لغة المخابرات السياسية والتجارية ولغة التدوين في جميع بلاد العراق وسوريا وشمال جزيرة العرب كما كانت اللغة اليونانية في ذلك العهد وتلك البلاد لغة العلوم والآداب * قالوا وكان العرب في شمال الجزيرة يخالطون الأراميين بالتجارة والسياسة ولم يكن لهم قلم يكتبون بهِ فاضطروا الى تعلم اللغة الارامية واستخدام قلمها . وتفرع القلم الارامي بذلك الى بضعة فروع منها القلم السامري في السامرة (وفيهِ كتبت التوراة السامرية) والقلم التدمري في تدمر والقلم النبطي في البتراء

وبقي العرب يستخدمون القلم الارامي الى أن قام الاسلام في جزيرة العرب ودوَّنوا البلدان فدوَّنوا لغتهم وأصبحت اللغة العربية لغة المخابرات السياسية والتجارية والتدوين بدل اللغة الارامية في جزيرة العرب كلها وفي جميع البلاد التي افتتحها العرب المسلمون في سوريا ومصر والعراق وتونس وغيرها

هذا وقد كان المشهور الى هذا العهد أن لغة المصريين القدماء حامية غير سامية ولكن العلامة احمد بك كمال المتضلع في اللغة الهيروغليفية يؤكد أن اللغة المصرية القديمة واللغة العربية هما من أصل واحد وأن كثيرًا من الفاظ اللغتين ومبانيهما واحد فاليد في لفظهم يد والعين عين والأصبع صُباع ونحو ذلك . وهو الآن يؤلف معجماً للغة المصرية القديمة لاثبات هذا القول

وقال في «القلم الهيروغليفي»: ان المصريين القدماء في الدور المعروف بالدور المجهول أو دور الكهنة سكنوا بين الشلال الأول ومنف عند مفترق النيل وشرعوا في تدوين لغتهم فجعلوا لكل اسم أو فعل صورتهُ للدلالة عليهِ فرسموا الشمس للدلالة على الشمس والقمر للدلالة على القمر واليد تحمل سوطاً للدلالة على الحدَث ونحو ذلك . ثم وجدوا أن الصور وحدها لا تفي بالمراد اذ لا يُعلم منها الفاظ اللغة فاتخذوا من الصور حروفاً تعبّر عن النطق وكتبوا بها الألفاظ وجعلوا رسم كل اسم أو فعل بعد لفظهِ تأييداً لهُ . وهذا هو « القلم الهيروغليفي » في أصله * وفي حوالي الدولة الحادية عشرة اختزلوا هذا القلم لصعوبة التدوين بهِ وسمّوه « القلم الهيراطيقي » * ثم في حوالي الدولة الحادية والعشرين اختزلوا هذا القلم وسمّوه « القلم الديموطيقي » * ثم لما تولى اليونان مصر كتبوا اللغة المصرية بالحروف اليونانية المأخوذة عن الحروف الفينيقية وزادوا عليها بعض الحروف التي تنقص اليونانية للتعبير عن جميع الفاظ اللغة المصرية فكان من ذلك « القلم القبطي » الذي أصبح الآن قلماً طقسيًّا كنسيًّا . وأما الأقباط فانهم الآن يكتبون ويتكلمون اللغة العربية الاّ من ندر

ويقول العارفون بالخطوط العربية ان العرب قديماً كانوا في بلاد سبا واليمن يكتبون بالقلم الحميري أو المسند واما في الحجاز فلم يكن لهم قلم يكتبون به حتى نزل حرب بن أمية القرشي جد معاوية بن أبي سفيان الحيرة فرأى أهلها يكتبون العربية بالقلم الأرامي النبطي فنقل هذا القلم الى الحجاز وذلك قبل ظهور الاسلام بقليل . ولما ظهر الاسلام لم يكن من يحسن الخط في مكة والمدينة الاّ نفر معدود * ثم بنيت الكوفة وزهت في صدر الاسلام فاشتهر القلم العربي باسم القلم الكوفي وانتشر في البلاد

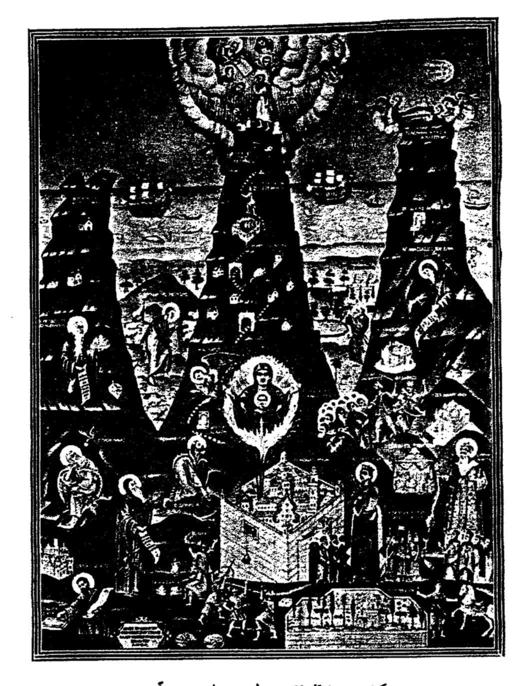
الاسلامية كلها لشهرة أهل الكوفة اذ ذاك بالعلوم والآداب . وقد تنوع هذا القلم بحسب الزمان والمكان حتى صارت قواعده تعدّ بالعشرات وفي أثناء ذلك قام في الإسلام بعض الكتاب فابتكروا قواعد في الخط أسهل وأوضح من القاعدة الكوفية فأهملت هذه القاعدة تدريجاً حتى انقرضت في نحو سنة ٩٣٠ هـ ١٥٢٤ م

وأشهر الكتّاب المبتكرين في القلم العربي : ابن مقلة البغدادي المتوفى سنة ٣٢٨ هـ وابن البوّاب المتوفى سنة ٤١٣ هـ . وابن عبد الملك المتوفى سنة ٦٩٨ هـ . وابن الشيخ الذي عاش في القرن الثامن للهجرة . ثم كانت الدولة العثمانية فاشتهر فيها القاعدة الفارسية والرقعة * وأشهر القواعد المستعملة الآن في مصر وسوريا والعراق هي : النسخ والرقعة والثُلُث والفارسي * ثم ان لكل من عرب اليمن . والحجاز . والمغرب . والسودان قاعدة خاصة يكتبون بها نميّزها عن غيرها

وهذا مثال من الحروف النبطية ، التي قيل انها أصل الحروف العربية ، مما رأيته في اسفاري في سيناء



شكل ٨٢ : صخرة نبطية في وادي المكتب . وبجانبها كتابة نبطية على صخرة في وادي فيران



شكل ٨٣ : تاريخ دير طور سيناء مصوّراً

«بيان» — هذا رسم ايقونة في الدير عليها صورة الدير وحديقته . وقد خرج من هيكل كنيسة الدير مريم العذراء وعلى حضنها المسيح الطفل * والى يمين الدير موسى يخلع نعليه عند اقترابه من العليقة . والى يسار الدير مطران الدير يستقبله الرهبان عند قدومه من مصر . أمامه العربان يتهددون رهبان الدير فيدلون لهم الطعام بسلة من الشباك المعلق * ومن وراء الدير طور سيناء وعلى قته موسى يتلقى الوصايا العشر . ورسم الطريق الذي يصعد به الى القمة من الدير . وعن يمينه جبل المناجاة . وعن يساره جبل كاترينا وقد حملت الملائكة جثة القديسة كاترينا الى قته * ومن وراء الجبال بعيداً عنها البحر الأحمر تمخر فيه المراكب الشراعية . وغير ذلك من الحوادث الشهيرة في تاريخ الدير * وهي من صنع راهب سينائي يدعى الاب ثيودوسيوس عاش في أواسط القرن الثامن عشر . وقد طبع من هذه الصورة آلاف من النسخ وهي توزع على زوار الدير من المسكوب وغيرهم تذكاراً لزيارتهم

الفصل الخامس

في

﴿ تاريخ دير طور سيناء القديم والحديث ﴾

النساك في سيناء واضطهاد أهل البادية لهم

يظهر أن النساك بدأوا بالمهاجرة الى جزيرة سيناء والاقامة في أماكنها المقدسة منذ القرن الثاني للمسيح على أثر الاضطهادات التي أثارها الوثنيون ضد المسيحيين في مصر وسوريا * وأهم الأماكن التي نزل بها النساك والرهبان : جبل موسى . ووادي فيران . ووادي الحمام شمالي مدينة الطور المسمّاة قديماً « رَيثو » أو « راية »

ومما لا ريب فيه ان هذه الأماكن كانت في أوائل القرن الرابع للمسيح غاصة بالنساك والرهبان . وقد هرب أولئك المساكين من اضطهاد أهل الحضر ليقعوا في اضطهاد أهل البادية . فقد أبنّا في الفصل السابق ان الأنباط الذين كانوا يتجرون مع مصر بطريق سيناء ، وقد أمّنوا هذه الطريق ، دالت دولتهم بعد استيلاء الرومان على عاصمتهم سنة ١٠٦ م وأصبح أهل البادية من نهر الأردن الى البحر الأحمر لا وازع لهم يعيشون على الغزو والنهب . وقد طالما غزوا رهبان سيناء ونهبوهم ونكلوا بهم وزادوا الشقاء الذي جلبوه على أنفسهم شقاء

وأول من كتب عن رهبان طور سيناء والاضطهادات التي أصابتهم ديونيسيوس البطريرك الاسكندري سنة ٢٠٥ م

وفي تقاليد الكنيسة ان القديسة هيلانة أم قسطنطين الكبير (سنة ٣٢٣ : ٣٣٧ م) بَنَتْ لهم برجين في المكان الذي بني عليه الدير الحالي لحمايتهم من غارة البدو وذلك بالقرب من كنيسة العليقة التقليدية التي كلّم الله عندها موسى النبي. ولعل القديسة هيلانة هي التي بَنَتْ أيضاً كنيسة العليقة الباقية داخل سور الدير الى الآن

ولكن بناء هذين البرجين لم يمنع اضطهاد العربان لهم . ثم ان الاضطهاد لم يكن

من بادية العرب وحدهم بل كان يعبر اليهم من العدوة الغربية للبحر الأحمر أقوام من البجاة فيكتسحون بلادهم وينكلون بهم. وقد روى الراهب أمونيوس الاسكندري الذي زار سيناء عن طريق القدس سنة ٣٧٣م أنهُ في أثناء زيارتهِ غزا العرب رهبان طورسيناء فقتلوا أربعين راهباً منهم وغزا البجاة رهبان راية فقتلوا منهم أربعين راهباً أيضاً . وقد دوَّن الراهب المذكور خبر هذه الغزوة عند رجوعه الى الاسكندرية بالقبطية . وبقي حتى عثر عليهِ راهب يوناني يدعى يوحنا يجيد القبطية فترجمهُ الى اليونانية . والظاهر ان راهباً عربياً من رهبان الدير يحسن اليونانية نقله الى العربية . وعند زيارتي الدير سنة ١٩٠٥ اطلعتُ على الترجمة العربية فاذا هي مكتوبة بأسلوب كنائسي بسيط يدلُّ أتم الدلالة على حال الرهبنة والرهبان في تلك الأعصر الغابرة فرأيت ان أثبتها هنا كما هي بعد تنقيح عبارتها قليلاً اتماماً للفائدة :

خبر الراهب أمونيوس عن الآباء القديسين الذين قتلهم البربر في «طورسيناء وراية»

« كنتُ جالساً يوماً في قلايتي الصغيرة قرب الاسكندرية في الموضع المدعو قانوبوس فخطر لي أن أسافر الى فلسطين : أولاً لأني لم أعد أطيق رؤية المصائب والتعديات الواقعة كل يوم على المؤمنين من عداة الناموس المردة . وكان أبونا الزائد قدسهُ بطرس بطريركنا يفرّ متنكراً من مكان الى مكان غير متمكن من أن يرعى رعيتهُ الجليلة براحة ومجاهرة . وثانياً لأني اشتهيت أن أعاين الأماكن المقدسة وأسجد لقيامة ربنا يسوع المسيح المحيية الطاهرة وللأماكن المقدسة التي جال فيها مكملاً أسراره الرهيبة. فمضيت الى تلك الأماكن وسجدت لها وسررت بكل صنائع الله . ثم أحببت أن أشاهد الجبل الاقدس العليّ (طورسيناء) فسرتُ في البرية وصادفت رفاقاً محبين للمسيح ذاهبين الى ذلك الجبل فوصلنا اليـهِ بمعونة الله بعد ثمانية عشر يوماً . فأقمتُ هناك أياماً قليلة متمتعاً بالآباء القديسين وكنتُ أزورهم في قلاليهم كل يوم قصد المنفعة لأنهم كانوا يجلسون سكوتاً كل الاسبوع الى عشية السبت اذ كانوا يجتمعون كلهم في موضع واحد ويقيمون الصلوات الليلية وفي صباح الأحد يأخذون أسرار المسيح الطاهرة ويعود كل منهم الى موضعهِ . وكانت سيرتهم

ملائكية ووجوههم مصفرّة وأجسامهم ذائبة من شدة النسك والحمية حتى كانوا كأنهم بلا أجسام لأنهم ما اقتنوا شيئاً مما يتنعم الانسان بهِ لا خمراً ولا زيتاً ولا خبزاً الاّ يسراً قليلاً كانوا يقتاتون بهِ و بأطراف الشجر حفظاً لأجسادهم . وكان رئيس المكان يحفظ عنده خبزات يسيرة لاضافة الغرباء الواردين الى هناك للصلاة

فلما مضت عليَّ هناك بضعة أيام اذ وفد بغتـة جمهور من العرب ، فقتلوا جميع من وجدوهم في المساكن التي حول الدير . ولما أحسَّ الذين كانوا مقيمين بقرب البرج بالشغب والجلبـة لجأوا الى كنف الأب القديس ذولاس الرئيس الذي كان بالحقيقة عبد المسيح لأنهُ كانت ذا وداعة وطول اناة لم تكن لغيرهِ حتى كان كثيرون يسمونهُ موسى الثانى . و بعد أن قتل العرب من وجدوه فى المكان المسمَّى تتراقن (؟) وفي حوريب وقيدار؟ وغيرهما من الأماكن المجاورة للجبل المقدَّس وصلوا الينا وقد كادوا يقتلوننا لولا لطف الله بنا فان الله يمد يده الى المستغيثين بهِ فقد أمر أن يظهر لهيب عظيم في أعلى الجبل وعاينا الجبل كلهُ دخان والنـار صاعدة الى السماء فخفنا كلنا وانحلت قوانا من رهبة المنظر وخررنا على وجوهنا ساجدين للرب وتضرعنا اليهِ أن يفرجنا من هذه الشدة التي دهتنا . ولما عاين البربر ذلك المنظر المخيف ارتعدوا كلهم وركبوا جمالهم وفرُّوا هاربين فشكرنا الله لأنهُ أراحنا منهم . ثم نزلنا من البرج وفتشنا المواضع التي قتل فيها الآباء فوجدنا ثمانية وثلاثين نفساً قتلى وجريحين وهما شعيا وسابا وكان من القتلى في تتراقن وحدها ١٢ نفساً وكلهم بحال تفتت الأكباد فمنهم من كان رأسهُ لا يزال معلقاً بجسده يمسكه الجلد وآخر مقطوع من وسطهِ وآخر قد بترت يداه ورجلاه وانطرح كعود يابس * فدفنـا القتلى بنوح عظيم واهتممنا بالجريحين . أما شعيا فانهُ توفي بعد ليلة واحدة . وأما سابا فقد كان يؤمل لهُ الشفاء لأن الضربة التي أصابتهُ لم تكن خطرة فجعل يشكر الله على الأشياء التي عرضت لهُ . ولكنهُ استعظم الأمر لأنهُ لم يُؤهل لمرافقة القديسين . وقائلاً « ويلي أنا الخاطي ويلي أنا غير المستحق لمصاف الآباء القديسين الذين قتلوا من أجل المسيح ويحي أنا المطروح عند الساعة الحادية عشرة الذي رأى ميناء الملك وما دخل اليهِ» . وقال «أيها

الملك الضابط الكل يا من أرسل ابنهُ الوحيد لتخليص الجنس البشري أيها الصالح والمحب للبشر لا تفرقني من الآباء القديسين الذي سلفت وفاتهم وليتم بي عدد عبيدك الاربعين » . قال هذا وأسلم الروح في اليوم الرابع من وفاة القديسين

وفيما نحن نائحون والحزن ملءُ قلوبنا والدموع في عيوننا من أجل القديسين وافانا رجل اسماعيلي فقال ان النساك الساكنين في البرّية الجوانية المسماة « راية » قتلهم السودان . والمكان المذكور على مسيرة يومين منا على شاطئ البحر الأحمر . وبعد أيام قليلة جاءنا ناسك نجا من الواقعة فرحَّب بهِ الرئيس ذولاس وسأله أن يحدثهُ عما جرى للآباء القديسين والفضائل التي اتصفوا بها وكيف كانت نجاته هو فقال:

أما أنا فقد سكنت في ذلك الموضع منذ نحو عشرين سنة وأما الرهبان الآخرون فقد سكنوهُ منذ عهد بعيد البعض منذ أربعين سنة والبعض منذ خمسين سنة والبعض منذ ستين . والمكان سهل فسيح جدًّا يمتد الى الجهة القبلية وعرضهُ من جهة الشرق اثنا عشر ميلاً تحيط بهِ الجبال كسور وهي وعرة جداً يتعذر سلوكها على من لا يعرفها . ويحدهُ من جهة الغرب البحر الأحمر . وفوق هذا البحر جبل تخرج منهُ اثنتا عشرة عيناً تسقي أكثر النخل . وعلى أقلّ من فرسخ منهُ آبار أخرى وشجر نخل ليس بقليل . في منحدر هذا الجبل كان مسكن كثيرين من المتوحدين يقيمون في المغاور والكهوف . ولم تكن كنيستهم على الجبل نفسهِ بل بقرب الجبل . وكانوا أناساً سماويين يشبهون الملائكة وقد اقتنوا سيرتهم بأتعابهم ونسكهم وزهدهم في هذا العالم متهاونين بأجسادهم كأنها غريبة عنهم . ولا يمكني أن أصف جهادهم والمحن التي كانوا يقاسونها كلها فأذكر سيرة اثنين منهم على سبيل المثال :

« كان بينهم راهب اسمهُ موسى ترهب من صغره وسكن ذلك الموضع وكان أصله من فاران عاش هذا في السيرة الملائكية ثلاثاً وسبعين سنة مقيماً في الجبل في مغارة ليست بعيدة عن الكنيسة وكان ثاني ايليا النبي في سيرتهِ لان كل الطلبات التي كان يطلبها من الله كان يمنحهُ اياها وقد أعطاه سلطاناً على الأرواح النجسة حتى أنهُ شفا كثيرين منها وطردها بصلاتهِ من المصابين وقد شابه الرسل القديسين لأنهُ

(٦١)

جعل أكثر الاسماعيليين القاطنين في تخوم فاران مسيحيين فان هؤلاء لما عاينوا تلك الايات التي صنعها الله على يديه آمنوا بالرب وأقبلوا الى الكنيسة الجامعة طالبين المعمودية المقدسة. وهذا البار منذ نسك في مغارته ما ذاق خبزاً البتة لان رجال الموضع كانوا يجلبون حنطةً من مصر فوق ما كانوا يأكلونهُ من تمر النخل. وأما هو فقد كان غذاؤه بسراً قليلاً وشرابهُ من الماء الذي عنده ولباسهُ من الليف. وكان يحب الصمت جداً ويستقبل من يقصده بنشاط وله أجوبة مقنعة معزّية وينام بعد الصلوات الليلية قليلاً ثم يقضي ليله ساهراً. وفي صوم الأربعين المقدس كان يقفل باب قلايتهِ ولا يفتحهُ الاّ يوم الخميس الكبير. وما كان يدع عنده شيئاً لغذائهِ كل تلك المدة سوى عشرين تمرة وقسط واحد من الماء. هذا ما حدثنا بهِ التلميذ الذي كان يخدمه. وفي أحد هذه الايام الأربعين المقدسة قدم اليهِ رجل يسمى افاديانوس فيه روح نجس جاءه مستشفياً فلما أصبح على نحو غلوة من قلاية الشيخ طرحه الروح النجس وصرخ صوتاً عظيماً قائلاً يا للغضب أما أمكنني أن أصرف الشيخ عن « قانونه ». واذ قال هذا خرج من الرجل وبرئ الرجل للحال فعاد الى منزله معافًى ممجداً الله. وقد آمن بالمسيح هو وكثيرون غيره * ثم ان هذا الولي تلمذ رجلاً يسمى بسويس في نواحي الصعيد كان يسكن فوق قلايتهِ وقد أقام معهُ ستاً وأربعين سنة لم يُنقِص من قانونهِ شيئاً بل كان مقتفياً أثره ومثالهُ. وكنت أنا قد أقمت معهُ عند أول وصولي الى هناك ثم فارقتهُ لأني لم أطق الصبر على تقشفهِ ونسكهِ

« وكان بين هؤلاء الرهبان راهب آخر اسمهُ يوسف إلياوي الجنس يعني من أهل أيلة يسكن في تلك البقعة على ميلين من الماء وقد بنى مسكنهُ بيده وكان رجلاً بارًّا متمماً لجميع وصايا المسيح وقد أقام فى ذلك المكان أكثر من ثلثين سنة فقصده يوماً أخ ليسألهُ عن أمرٍ فقرع بابهُ فلم ينل جواباً فنظر اليهِ من المدخل فرآهُ كلهُ من رأسه الى قدمهِ قائماً كلهيب نار فارتعد من هذا المنظر وخارت قواه فسقط على الأرض كميت وبقي على ذلك ساعة واحدة ثم نهض وجلس قدام الباب. أما الشيخ فلاشتغالهِ بالمشهد الرُّوحي لم يعلم ما جرى وبعد مضي ثلاث ساعات ظهر كعادتهِ وفتح الباب

وأدخل ذلك الأخ وأجلسهُ معــهُ ثم سأله متى جاء فأجابهُ اني جئت منذ أربع ساعات لكني لم أقرع الباب لكي لا أزعجك . فعرف الشيخ ان الله قــد عرَّفه بأمورهِ . فأجابهُ عن جميع المسائل التي سألهُ اياها وصرفهُ بسلام . ثم اختفى عن عيون الناس فلم يعــد يظهر لهم لأنهُ خشي مجد الناس . وكان لهُ تلميذ يدعى أباجلاسيوس يسكن بالقرب منهُ فجاءهُ فلم يجده فأقام مكانهُ في قلايتهِ مغموماً . وبعد مضي ست سنين عند الساعة التاسعة قُرع باب القلاَّية فخرج أبو جلاسيوس فاذا بمعلمهِ واقف عند الباب فدُهِشَ من رؤيتهِ ولكنهُ لم يخف بل قال لهُ صلِّ أيها الأب واذ صلى قبَّلهُ القبلة المقدَّسة مسروراً . فقال له الأب ما أحسن ما فعلت يا ولدي اذ التمست الصلاة أولاً لأن فخاخ العدو كثيرة فقال التلميذ أيها الأب الكريم ماذا رأيت في مفارقتك إياي وتركي يتيماً مغموماً لأجلك . فقال له أما السبب في أني لم أظهر فالله يعلمهُ . ومع ذلك فاني لم أبعد عن هذا المكان ولا مرَّ يوم لم أتناول فيهِ أسرار المسيح المقدَّسة معكم كلكم . فتعجب ذلك التلميذ من معلمهِ كيف كان يدخل الى الكنيسة مع الاخوة ولم يبصرهُ أحد ! ثم سأله لأي شيء جئت الآن الى عبدك فأجابهُ اني اليوم أسافر الى الرب وأخرج من هذا الجسد الشقي فجئت أتركه عندك لتدفنهُ كما تشاء وحدَّثهُ كثيراً عن النفس والسعادة المقبلة ثم بسط يديهِ ورجليهِ ورقد بسلام . وجاء الأخ وأعلمنا بذلك فمضينا للحال بالسعف والترتيلات وحملنا جسدهُ المقدس وكان وجههُ مشرقاً ووضعناه مع الآباء السالف رقادهم ! وأحدثكم الآن عن مجيء البربر وفعالهم :

« كان الآباء القديسون المذكورون نامين بكل فضيلة راضين بالمسكنة وعدم القنية من أجل الرب مصابرين التعب والشقاء مشتغلين بالصلوات والطلبات عابدين المسيح الإله . وكان عددنا كلنا ثلثة وأربعين ناسكاً . وفيما نحن كذلك اذ جاءنا جماعة من الأماكن التي على البحر وقالوا ان طائفة كبيرة من البجاة قد عبروا اللجج على أطواف من خشب من جهة الحبشة وهم الان محاصرون مركباً راسياً عند الشاطئ فيهِ ركاب من أهل أيلة يريدون المضي الى القلزم (السويس) في البحر فأمسكوا المركب وقالوا لنا خذونا الى القلزم فما نقتلكم فوعدناهم بذلك وتظاهرنا اننــا نترقب

هبوب الريح القبلية حتى دخل الليل ففررنا منهم وجئنا نخبركم لتأخذوا حذركم لئلاً يرسوا في هذا الموضع ويقتلوكم. وعددهم ثلثمائة رجل. فلما سمعنا هذا احتطنا لأنفسنا وأقمنا حراساً عند البحر حتى اذا ما أبصروا المركب يخبروننا . وصلينا الى الله أن يفعل بنا ما يوافق نفوسنا. وبعد ليلة واحدة شوهد المركب مقلعاً ومقبلاً نحونا. وكان الفارانيون الموجودون في ذلك المكان قد صمموا على محاربة البربر (البجاة) من أجل نسائهم وأولادهم وقطارات جمالهم فاصطفوا فوق النخيل وكان عددهم مئتين عدا النساء والأولاد . وأما نحن فقد هربنا الى كنيستنا التي كان يحيط بها حجارة كبيرة ارتفاعها قامتان . ثم ان البربر بلغوا الميناء الذي أرشدهم اليهِ النوتية وأقاموا تلك الليلة في جانب الجبل من ناحية المغرب عند العيون فلما أصبحوا أوثقوا النوتية وتركوهم في ذلك الموضع وتركوا في المركب رجلاً يحفظهُ ووضعوا واحداً منهم برقبهُ لئلاً يقلع بهِ. ثم أقبلوا نحو العيون فالتقاهم الفارانيون للحرب وانتشبت واقعة قرب العيون بين الجبال وكان رشق النشاب من الفريقين غزيراً كالمطر . ولما كان البربر أكثر عدداً من الفارانيين ومرتاضين على القتال غلبوا الفارانيين وقتلوا منهم مئة وسبعة وأربعين رجلاً وفرَّ من بقي منهم الى الجبال واختبأ بعضهم بين الشجر . وأسر البربر النساء والاولاد وجعلوهم عند العيون. ثم أقبلوا علينا عدواً كالوحوش الضارية الى الموضع المدعو « القصر » ظانين أنهم يجدون عندنا أموالاً جزيلة مخبوءة فطافوا بالسور وجلبوا وصاحوا بأصوات بربرية فحصل لنا كآبة عظيمة وحرنا في ما نعمل فرفعنا عيوننا الى الله وبكينا بقلب موجع وهتفنا كلنا بصوت واحد يا رب ارحم . ثم نهض أبونا القديس بولس من أهل « بتراء » ووقف في وسط الكنيسة وقال: « أيها الآباء والأخوة اسمعوا مني أنا الخاطي الصغير فيكم أنتم تعلمون أننا من أجل سيدنا وربنا يسوع المسيح اجتمعنا في هذا المكان وأننا من أجل محبتهِ فصلنا أنفسنا عن هذا العالم الباطل وقصدنا هذه البرية المقفرة متحملين الجوع والعطش ونهاية الفقر لنؤهل نحن الخطاة غير المستحقين ان نصير شركاءه في ملكهِ . والآن فما يقع علينا شيء بغير علمهِ وهو لا يعرض عنا في هذه الساعة فان

شاء أن يعتقنا من هذه الحياة الباطلة الزائلة لنكون معهُ فسبيلنا أن نبتهج ونفرح ونشكرهُ ولا نحزن البتة لأنهُ لا شيء أشهى وأحلى من معاينة وجهِ المحبوب ومجده . اذكروا يا أخوتي كيف كنا نطوب القديسين ونشتهي أن نكون معهم فها أن مشتهانا قد تمَّ وآن أن نكون معهم الى الأبد . فلا تحزنوا ولا تجبنوا ولا تأتوا أمراً يشينكم بل انشطوا وصابروا الموت فيقبلكم الله فى ملكه بفرح ومحبة » .

فأجابوا كلهم قائلين : « أيها الأب الكريم كما قلت لنا نصنع لأنهُ بماذا نكافئ الرب عن كل ما صنع لنا نأخذ كأس الخلاص ونستغيث باسم الرب » . ثم دار أبونا وجههُ الى الشرق ورفع يديه الى السماء وقال « أيها الرب يسوع المسيح الهنا القابض الكل رجاؤنا ومعونتنا لا تنسَ عبيدك لكن اذكر مسكنتنا وأيّدنا في ساعة الشدة هذه واقبل أرواحنا ذبيحة مرضية نسيماً طيباً فانهُ بك يليق الاكرام والمجد الآن والى الدهر . واذ قلنا آمين خرج صوت من المذبح سمعناه كلنا يقول « تعالوا اليَّ أيها المتعبون والثقيلو الأحمال وأنا أريحكم » . فأحاط بنا الخوف والجزع عند سماع ذلك الصوت وانحلت قوانا لأنهُ كما قال الرب « الروح نشيط ولكن الجسد ضعيف »

أما البربر فاذ لم يكن أحد يقاومهم أحضروا أخشاباً طويلة وصعدوا بها الى داخل السور وفتحوا الباب ودخلوا الينا كذئاب بريّة وسيوفهم مجردة بأيديهم فصادفوا أولاً راهباً اسمهُ أرميا كان جالساً على باب الكنيسة فسألوه ، وكان أحد النوتية يترجم لهم « أين رئيسكم » . فقال بكل شهامة أنا لا أخاف منكم ولا أدلكم على من تطلبون لأنكم أعداء الله . فاغتاظ البربر من جرأة ذلك الراهب واحتقاره لهم وربطوا يديهِ ورجليهِ وأقاموه مجرداً ورشقوه بالنشاب حتى أنهُ لم يبق في جسمهِ موضع الاّ أصابته سهامهم فلما رأى أبونا بولس هذه الأمور تقدم اليهم وقال أنا هو الذي تطلبونهُ مشيراً بأصبعه الى نفسهِ فقبضوا عليهِ وسألوه « أين أموالك فأجابهم بكلام لين ووداعة كجاري عادتهِ صدقوني يا أولادي أني لم أقتنِ في عمري كلهِ سوى هذين الثوبين الشعريين العتيقين اللذين تعاينونهما على جسدي فشرعوا يضربون عنقهُ بحجارة ويخزون وجههُ بمزاريقهم قائلين له هات أموالك . وبعد أن عذبوه

ساعة واستهزأوا بهِ ولم يجدِهم ذلك نفعاً ضربوهُ بالسيف على رأسهِ فانشق ذلك الرأس المقدَّس فلقتين وتدلى على كتفيهِ من الجانبين وطعنوهُ طعنات أخرى في بدنهِ وهو طريح عند رجلي الأب الذي قُتل قبلهُ

أما أنا الشقي فاني لما رأيت هذه الأهوال ورأيت دماء القديسين منسكبة وامعاءهم مطروحة على الأرض استولى عليَّ الخوف والجزع والتمست موضعاً أهرب اليهِ لانجو من القتل . وكان في زاوية البيت سعف نخل قليل وكان البربر مشتغلين ببولس الريس خارج البيت فاختبأت تحت سعف النخل على أن يصير أحد أمرين اما أن لا يلحظني البربر فأنجو واما ان يعثروا بي فلا أصبر على اكثر مما كنت أصبر عليه لو لم اختبىء . ثم ان البربر بعد قتل الراهبين خارج الكنيسة دخلوا الى الكنيسة وهم يصيحون ضاربين الهواء بسيوفهم ثم أعملوها في الرهبان بصور تقشعر منها الأبدان»

كان الراهب يحدثنا بهذه الأمور وهو يبكي بكاءً مرًّا وقد حركنا نحن أيضاً الى البكاء . ثم قال كيف أصف الأهوال التي رأتها عيناي : كان بين الرهبان فتى حسن الوجه قد ترهب وسنه خمس عشرة سنة فلما أبصرهُ البربر أرادوا أن يستبقوه عبداً لهم فاجتذبهُ أحدهم الى خارج الكنيسة بيده فلما رأى الأخ أنهُ لم يؤهل للموت مع الأخوة وأنهُ يستعبد لقوم جفاة متوحشين بكى وولول ثم رأى أنهُ لم ينتفع بالبكاء فتشدد واستبسل واختطف سيفاً من أحد البربر وضرب بهِ كتفهُ وقد قصد بذلك أن يستفزهم لقتلهِ فكان كما أراد فانهم انقضوا عليهِ بسيوفهم وقطعوه أرباً

ثم ان البربر لما قتلوا جميع الرهبان فتشوا كل مكان في الكنيسة ظانين أنهم يجدون أمتعة وأموالاً ولم يعلم هؤلاء الذين لا اله لهم ان الشهداء لم يكن لهم شيء على الأرض بل كانت قنيتهم كلها في السماء . وكان البربر لما شرعوا في التفتيش انقطع قلبي من الخوف لأني قلت لا بدَّ أنْ يفتشوا سعف النخل الذي اختبأت بهِ فيقتلونني شر قتلة وكنت أتضرع الى الله أن يعمي قلوبهم عني فجاوًا اليَّ ونظروا الى الحوض فاحتقروه وانصرفوا عنهُ ثم عادوا الى العيون وفي عزمهم أن يتموا طريقهم الى القلزم . فلما ذهبوا الى الشاطئ وجدوا المركب مكسراً لانَّ الرجل الذي أقاموه على حراستهِ

كان مسيحيًّا فقتل البربري الذي تُرِك معهُ وقطع حبال المركب وفرَّ هارباً الى الجبال وقد قذفت الأمواج بالمركب الى الصخور فحطمتهُ فاغتاظ البربر وحاروا فيما يعملونهُ لأنهُ لم يعد لهم سبيل للعودة الى بلادهم ومن شدة غيظهم بدأوا بقتل الذين استبقوهم من النساء والاولاد وكانوا كثاراً ثم أوقدوا ناراً عظيمة وشرعوا في حرق النخيل بلا رحمة . وبينما هم مشتغلون بهذا اذا بست مئة رجل من الاسماعيليين أهل فاران كلهم مسيحيون ورماة بالقوس والنشاب قد أقبلوا مهاجمين فلما شعر البربر بهم استعدوا للحرب وانتشبت بينهم حرب عند شروق الشمس في بسيط من الأرض وتراموا بالنشاب مدة طويلة . وأما البربر فاذ لم يكن لهم سبيل الى الفرار حاربوا مستقتلين الى الساعة التاسعة من النهار وقد قتلوا من أهل فاران في ذلك اليوم ٧٤ رجلاً وجرحوا كثيرين . ولكن الفارانيين غلبوهم بكثرة العدد وظلوا يقاتلونهم حتى قتلوهم عن آخرهم

هذا ولما كان البربر مشتغلين بالحرب مع أهل فاران حصلت لي جرأة يسيرة فخرجت من مخبإي وتفقدت أجساد القديسين فوجدتهم كلهم قد قضوا نحبهم الا ثلاثة منهم وهم دمنُس واندراوس وأوريانُس . أما دمنس فانهُ كان طريحاً يتألم من جراحه لأنهُ كان في جنبهِ ضربة قتالة . وأما اندراوس فقد كانت فيهِ جراحات ليست بالغة فشفي منها . وأما أوريانس فانهُ لم يمس بسوء لأن بربريًّا ضربهُ بالسيف فوقعت ضربتهُ في ثوبه الشعري فمزقت ثوبهُ ولم تمس جسده فظن البربري أنهُ قتلهُ فتركهُ وطرح أوريانس نفسهُ بين جثث الشهداء متظاهراً بالموت . هذا قام معي فتفقدنا أجساد القديسين ونحن ننتحب ونبكي من هذه الأهوال

ثم ان أهل فاران بعد ان قتلوا البربر تركوا جثثهم على شاطئ البحر مأكلاً للوحوش وطير السماء وجمعوا أجساد أهلهم المقتولين في هذه الوقعـة والتي قبلها وأقاموا عليهم مناحة عظيمة ودفنوهم في مغاور في سفح الجبل بقرب العيون ثم جاؤا الينا مع رئيسهم أفاذيانوس وساعدوا في دفن أجساد القديسين . وكان البربر قد مثلوا بهم تمثيلاً فكان أحدهم قد أصابتهُ ضربة قطعتهُ من كتفهِ الى صرتهِ وآخر قد شطر شطرين وآخر قد قطعت الضربة رأسهُ الى عنقهِ وآخر نصف امعائهِ في جوفه والنصف

الاخر متدلٍّ الى الأرض . . . ولما جمعنا أجسادهم كلهم جاء افاذيانوس و باقي رؤساء فاران وقدموا ثياباً بيضاء واكفاناً ثمينة وكفنوا أجساد القديسين وكان عددهم تسعة وثلاثين لأن دمنس الرومي لم يكن قد توفي بعد . وحمل جميع الحضور سعف النخل وجاؤا لاستقبال القديسين فحملوا أجسادهم المقدسة بقراءات وفرح عظيم . ودفناهم كلهم في مكان واحد شرقي القصر . أما دمنس فانه أسلم الروح عند المساء فحملناهُ ودفناهُ في موضع منفرد لاننا لم نشأ أن نفتح القبر لندفنهُ معهم . وكان قتل هؤلاء الشهداء في الرابع عشر من شهر كانون الثاني في الساعة التاسعة من النهار . وأما اندراوس واور يانُس فانهما أقاما هناك ورأيهما منقسم في الاقامة في ذلك الموضع أو الانصراف عنهُ . وأما أنا فلما كنت لم أطق الصبر على البقاء في ذلك الموضع بعد خرابهِ على تلك الصورة جئت اليكم . وقد تملقني المحب لله افاذيانوس كثيراً لأبقى هناك ووعد بأن يتعهدنا دائماً ويخدمنا بنشاط فلم أذعن له للأسباب التي تقدمت» اه

ثم سألنا الناسك أن نحدثهُ بما جرى لنا فحدثناه وكان عدد المقتولين هنا وهناك متساوياً فصار البكاء والنحيب على الفريقين . ثم قام الأب ذولاس الرئيس وقال : « أما أولئك الاخوان فقد أهلوا للفرح العظيم والملك الدائم بعد تلك الجهادات والأحزان ولبسوا تاج الشهداء . فلنهتمّ نحن الآن بأنفسنا ونتضرع اليهم أن يتشفعوا بنا الى الرب ليكون لنا حظ معهم ونخدم الله بكل قوانا ونشكرهُ لأنهُ نجانا من أيدي الاشرار»

وأما أنا الخاطي امونيوس فقد عدت الى مصر وسطَّرت هذه الأخبار كلها في كتاب . وما سكنت الموضع القديم المدعو قانوبوس بل سكنت بقرب منف في مسكن جميل بقيت فيهِ باكياً ذاكراً للصديقين شهداء المسيح وآلامهم ممجداً الآله الضابط الكل مع الابن الوحيد والروح القدس . الآن والى أبد الدهور آمين » اه

هذه الأخبار وجدتها أنا يوحنا الراهب بتوفيق الله عند راهب متوحد مكتوبة باللغة القبطية وكنت أجيد هذه اللغة فنقلتها الى اليونانية لمجد الله ومديح الشهداء القديسين . وكانت شهادة هؤلاء الأبرار القديسين في عهد ديوقلتيانوس ؟ الملك الكافر فصلواتهم تحفظنا أجمعين آمين ! » اه

هذه هي رواية أمونيوس الراهب عن غزوة البجاة والعرب لرهبان سيناء في أواخر القرن الرابع كما وصلت الينا . وأما قول المترجم اليوناني ان ذلك كان في عهد الامبراطور ديوقلتيانوس (٢٤٨ : ٣١٣ م) فالراجح خطأهُ . نعم انه كان في عهد هذا الامبراطور بطرك على الاسكندرية يسمى بطرس (٣٠٠ : ٣١١ م) ولكن زيارة أمونيوس لسيناء كانت على الأرجح في عهد بطرس الثاني (٣٧٣ : ٣٨٠ م) لأنَّ روايتهُ تنبئ ان رهبان طور سيناء لما هاجمهم العرب لجأوا الى برج كان لهم هناك قرب مكان العليقة وهذا البرج في المشهور هو من بناء القديسة هيلانة أم قسطنطين الكبير (٣٢٣ : ٣٣٧ م) كما مرَّ أي بعد عهد ديوقلتيانوس و بطرس الأول بسنين . وفوق ذلك فقد رأيت ان أمونيوس حجَّ الى القدس ثم ذهب منها مع جماعة من الحجاج الى طور سيناء . والمشهور ان طرق الحجاج النصارى لم تؤمَّن الا في عهد قسطنطين الكبير الذي اعتنق النصرانية ونصرها وأمَّن طرقها . بل المشهور أنهُ لم تكن للنصارى عادة الزيارة الى القدس وطور سيناء الاَّ بعد أن زارت أم قسطنطين القدس باحتفال ملكي عظيم و بنت فيها كنيسة القيامة سنة ٣٣٦ م وأمرت ببناء برجين وكنيسة العليقة عند طور سيناء فأصبح الحج الى القدس وسيناء عادة للنصارى الى هذا العهد والله أعلم

خبر نيلس الراهب

هذا وممن كتب عن غزو العرب لرهبان طور سيناء نيلس الراهب من أعيان القسطنطينية . جاء في سيرة هذا الراهب انه كان محافظاً لمدينة القسطنطينية وقد تزوج فيها فولد لهُ صبي و بنت . وكان معاصراً ليوحنا فم الذهب وقد تتلمذ عنده واشتهر منذ صغره بالصلاح والتقوى وزهد الدنيا . فلما بلغ نحو الأربعين سنة من العمر تمكن زهد الدنيا في قلبهِ فصمم على ترك وظيفتهِ وهجر عائلتهِ و بلاده والتنسك في طور سيناء حيث كلم الله موسى . فترك ماله كلهُ لامرأتهِ و بنتهِ وأخذ ابنهُ واسمه عبد الله وذهب بهِ الى طور سيناء وذلك في نحو سنة ٣٩٥ م وأقام هناك قرب مغارة ايليا النبي في الأرجح الى أن مات في نحو سنة ٤١١ م . وقد كتب عدة رسائل ونسكيَّات روحية مشهورة . وكتب عن غزوة غزاها العرب لرهبان سيناء في عهده

فنقل لي المطران بورفيريوس الثاني مطران سينا الحالي خلاصة ما كتبهُ عن هذه الغزوة قال :—روى نيلس :

«انهُ في ليلة الأحد الواقع في١١ يناير سنة ٤٠٠ م نزلت أنا وابني من الجبل الى كنيسة العليقة حيث اجتمع الرهبان للصلاة وبقينا نصلي الى الصباح اذ هجم علينا جماعة من العرب فقتلوا منا الكاهن ثيوذولس والراهبين بولس وحنا وأخذوا ابني عبدالله أسيراً . وكان بين شيخ العرب وشيخ فيران عهد صلح لتأمين طريق التجارة فذهبت ليلاً الى شيخ فيران وأخبرتهُ بما كان من غدر العرب وأسر ابني . فأرسل وفداً الى شيخ العرب في طلب الترضية وعدت الى الجبل فوجدت العرب قد قتلوا سبعة رهبان آخرين في ضواحي العليقة . وعاد الوفد الى فيران بعد أربعة أيام وقال ان شيخ العرب أظهر مزيد الأسف مما جرى وتعهد بكل ما يرضي الفارانيين وأما ابني فقال انهُ لا يزال حياً ولكنهُ لا يعلم أين هو . فلما رجع الوفد الى شيخ العرب بمطالب الفارانيين صحبتهُ للتفتيش عن ابني . وفي الطريق التقيت بدوياً أخبرني أن ابني في الخلَصة قرب بئر السبع فأخذت دليلاً وجئت الخلصة فوجدت ابني في كنيستها فوقعت عليهِ أقبلهُ وسألتهُ عما جرى لهُ مع العرب فقال :

« كان العرب الغزاة قد أسروا معي عبداً لأهل فيران فسمعهم في الطريق يقولون انهم سيقدمونني أنا واياه ذبيحة «لنجمة الصبح» التي كانوا يعبدونها . فلما نزلوا المبيت فرَّ العبد وبقيت أنا وحدي أبكي الليل كلهُ وأصلي الى الله لينقذني من أيدي أولئك القساة . وكانوا قد سكروا تلك الليلة فناموا الى ما بعد شروق الشمس أي بعد فوات وقت الذبيحة فأخذوني الى سوق وباعوني عبداً لبعض التجار فافتداني مطران الخلَصة منهُ وجعلني في هذه الكنيسة خادماً » . قال نيلس فشكرت المطران وشكرت الله على نعمهِ وعدت بابني الى طور سيناء مسروراً » اه

هذا وكان نيلس يفاخر اليهود بقولهِ : « أنهُ بالرغم عن النكبات والاضطهادات التي كانت تحلُّ بالرهبان فانهم قضوا أيامهم راضين فرحين في نفس الصحراء التي لم يستطع شعب الله الخاص أن يمرَّ بها مروراً بلا شكوى ولا تذمُّر » اه

ابرشية فيران

والواقع انهُ على رغم غزوات العرب وتعدياتهم نرى لرهبان سينــاء في بدء القرن السادس للمسيح أبرشية في وادي فيران فيها عدة أديرة وكنائس حتى ان المجمع الذي عُقـد في القسطنطينية في أيام بطريركها « مينا » سنة ٥٣٦ م ضد الهرطوقيين أنتيموس وسافيروس حضره الكاهن ثيوناس نائباً عن أبرشية فيران وأمضى اسمهُ في جلسات المجمع هكذا : « أنا ثيوناس الكاهن بنعمــة الله النائب عن رهبان طور سيناء وراية وأبرشية فيران المقدسة »

وكانت أبرشية فيران قبل هذا العهد تابعة لأبرشية البتراء كما مرّ الى أن خمد ذكر البتراء في آخر عهد الامبراطور فالنس الروماني (٣٦٥ : ٣٧٨م) فغدت أبرشية قائمة بذاتها

خبر أنطونيوس الشهيد

وزار أنطونيوس الشهيد سيناء في القرن السادس للمسيح بعد بناء الدير بقليل وكتب رحلتهُ اليها فقال «انهُ رأى كثيراً من مغاور النسَّاك عند جبل سيناء وجبل حوريب . وأن عرب البادية أقاموا على جبل حوريب صنماً من الرخام الأبيض كان يتغيَّر لونهُ في أثناء احتفالهم بتكريم القمر ! وانهُ رأى المنّ الذي كان يهبط من السماء في الوادي بين جبل حوريب وجبل سيناء وذكر كيف كان الرهبان يجمعونهُ ويأتون بهِ الى الدير وهناك يضعونهُ في علب صغيرة ويقدمونهُ للزوَّار بركةً ، وقد أعطوا منهُ شيئاً لأنطونيوس وصنعوا منهُ شراباً وقدموه له فشرب منهُ

ثم ذكر أنطونيوس سفره من جبل حوريب الى جبل سيناء وقال انهُ عند ما اقترب من جبل سيناء استقبلهُ عدد لا يحصى من الرهبان يحملون الصليب وينشدون المزامير ولما وصلوه انطرحوا على الأرض وكذلك فعل أنطونيوس ورفاقه وبكوا جميعاً

ثم دخل أنطونيوس الدير فأراه الرهبان النبع الذي رأى موسى عنده العليقة . وكان للدير ثلاثة رؤساء رئيس يعرف اللاتينية وآخر اليونانية وثالث مصري

ثم صعد أنطونيوس الى قمة جبل سيناء في سلَّم عظيم لهُ ستة آلاف درجة فلما وصل وسط الطريق رأى غار إيليا النبي . وفي قمة الجبل رأى كنيسة صغيرة مساحتها

٦ أقدام مربعة . قال ولم يكن أحد يجسر أن يقيم هناك ولكن كان من عادة الرهبان أن يتسلقوا القمة عند الفجر ويصلون . وكان من عادة الزوّار أن يحلقوا شعور رؤوسهم ولحاهم فحلق أنطونيوس شعر رأسه ولحيته »

﴿ خبر بناء الدير ورجال حاميته المعروفين بالجبالية ﴾

بقي رهبان سيناء يقاسون الشدائد من اعتداء البدو عليهم الى عهد الأمبراطور يوستنيانوس الروماني الذى حكم في القسطنطينية من أول أفريل سنة ٥٢٧ الى سنة ٥٦٦ م فسمعوا بغيرته على الدين وأهله فأرسلوا اليه وفداً يسألونهُ أن يبني لهم حصناً يقيهم هجمات البدو . وكان الرومان قد هجروا حصن البتراء من عهد الأمبراطور فالنس وبطلت طريق البتراء التجارية الى مصر بسبب تحويل التجارة من خليج فارس الى تدمر كما مرّ وأصبح البدو من البحر الميت الى البحر الأحمر يعيثون وينهبون بلا وازع . فرأى الأمبراطور يوستنيانوس وجوب حماية الرهبان وتأمين طريق مصر من العقبة فأجاب طلب الرهبان وارسل مهندساً وبنّائين فبنوا الدير الحالي وكان الفراغ من بنائهِ نحو سنة ٥٤٥ م كما قدمنا في باب الجغرافية

وبعد بناء الدير أرسل الملك يوستنيانوس مئتي رجل بعائلاتهم حامية لهُ أي مئة رجل من بلاد الروم ومئة رجل من مصر وأمر بمرتب من الحبوب يرسل اليهم سنوياً من مصر لقوتهم . فسكنوا محلة بنوها لأنفسهم في جوار الدير . وكانوا كلهم يدينون بالنصرانية

ثم كان الإسلام في جزيرة العرب سنة ٦٢٢ م وفتح العرب المسلمون مصر سنة ٦٤٠ م وانقطع الزاد الذي كان يرسل الى الحامية من مصر ولم يكن للدير طاقة على امدادها بالقوت ولا في طاقتها حماية الدير بعد ذهاب دولتها فاضطر رجالها الى ترك محلتهم عند الدير وسكنوا البادية حول الدير ودخلوا في الإسلام وذلك من عهد بعيد . ولكنهم ما زالوا يعيشون في جوار الدير ويخدمون الرهبان باجرتهم والرهبان يحسنون اليهم ويأخذون بناصرهم الى اليوم . وقد عرفوا بالجبالية نسبة الى جبل موسى . ويعرفون أيضاً بصبيان الدير لأنهم في خدمتهِ

واطلعت في الدير على خبر وضعهُ الرهبان عن بناء الدير والجبالية في دفتر صغير « منقول عن الدفتر الكبير عن سنة ٥٣٠ م » فآثرت اثباتهُ هنا زيادة في التبيان وهذا هو بنصهِ بعد ضبط عبارتهِ :

« تقول نحن القسوس والرهبان القاطنين في طور سيناء إننا لم نعد نستطيع احتمال اضطهاد العربان الغرباء الذين كانوا يأتوننا من البحر الأحمر والحبشة ومن كل ناحية ينهبوننا ويذبحوننا ويفعلون بناكل الشرور التي يلهمهم بها الشيطان . وقد نصحنا الزوار الذين كانوا يأتون من كل الجهات لزيارة الأماكن المقدسة أن نرسل وفداً الى الملك يوستنيانوس في القسطنطينية ليبني لنا حصناً يقينا هجمات العرب لذلك اجتمعنا يوماً ما في جبل الله الذي كلم عليهِ سيدنا موسى واخترنا أُناساً منا يذهبون الى الملك ويلتمسون منهُ بناء الحصن وهم الشيخ المتوحد ثاوضوسيوس وبروكو بيوس وبخوميوس وانطونيوس وسابا فسافروا بحراً الى القسطنطينية ودخلوا على الملك وقدموا له الدعاء والصلوات المرسلة من الآباء وخرُّوا أمامهُ ساجدين وبكوا بكاء مرًّا وأخبروه بجميع الشرور التي يأتيها البربر ضدنا من النهب والذبح فرحَّب الملك بهم وبالغ في اكرامهم وأجابهم الى طلبهم . فأرسل كبير أراخنتهِ جاورجيوس وأرسل معهُ كتاباً بختم يدهِ الى نائبهِ في مصر ثاودورس يأمره بأن يجهز جاورجيوس بما يلزم من المال والمعلمين والأدوات لبناء الحصن ففعل ثاودورس بأمر الملك ووصل الأرخن جاورجيوس الينا ومعهُ كل ما يلزم الحصن من بنائين وأدوات وأموال . وبحث في كل الجهات فلم يجد مكاناً يبني عليهِ الحصن أفضل من مكان العليقة لأنهُ في بسيط من الأرض وفيهِ الماء وهو موضع مقدس فبني عليهِ الحصن وهو الدير الحالي

«على أن هذا الحصن لم يقِ الرهبان وزواره من اعتداء البدو لأن هؤلاء كانوا يختبئون في المغاور والجبال وكلما وجدوا زائراً أو راهباً منفرداً انقضُّوا عليهِ وقتلوه وسلبوه ماله . فلما بلغت هذه الأخبار الملك يوستنيانوس أحضر من بلاد الفلاخ جهة البحر الاسود مئة رجل بعائلاتهم وأرسلهم الى سيناء وكتب الى ثاودورس نائبه في مصر فأرسل اليها أيضاً مئة رجل بعائلاتهم فبني الجميع لهم محلة وراء الجبل الشرقي

على نحو ثمانية أميال من الدير وسكنوا فيها وأقاموا هناك في حراسة الدير وخدمة الرهبان . وأمر الملك يوستنيانوس أن يكونوا عبيداً للدير وفي طاعة الرهبان هم وأولادهم الى أن يرث الله الأرض وما عليها. ومن أخطأ منهم فللرهبان الاذن في تأديبه ومجازاته

«ولما كان القفر يابساً لا يخرج معاشاً أصدر الملك أمره الى ثاودورس والي مصر أن يجعل للدير راتباً مستديماً قدحاً من كل أردب من كل الحبوب كالقمح والشعير والعدس وغيرها لأجل مؤونة الرهبان وخدمة الدير وقد أقرَّ هذه العطية الملوكية بعد ذلك الرسول محمد أول ملوك الإسلام كما هو مثبت في العهدة التي أعطاها للرهبان ؟

«وبقي الصبيان محافظين على دينهم وأمانتهم في طاعة الدير الى أن قدم السلطان سليم مصر فاتحاً ؛ وذهب عربان البر من كل جنس الى مصر لتقديم الطاعة له فذهب صبيان الدير معهم وقالوا للسلطان جئنا اليك لندخل في دين الإسلام ونخرج من خدمة الدير فأجابهم السلطان أما أن تدخلوا في دين الإسلام فحسناً تفعلون وأما أن تخرجوا من خدمـة الدير فلا لأن أوامر الملوك لا تُنقض لأني ان أنا نقضت امر الملك يوستنيانوس يأتي غيري بعدي فينقض أمري . ثم أمر فدخلوا في دين الإسلام وبقوا في خدمة الدير وقد ثبَّت جميع الهبات التي وهبها الملك يوستنيانوس لرهبان الدير وكتبها النبي محمد في عهدته » اه

واطلعت في الدير على رواية أخرى لبناء الدير والجبالية مكتوبة على رق سعتهُ شبران وقبضة في نحو شبرين وهي تختلف عن هذه الرواية في التعبير وتتفق في المبنى . ومما جاء فيهـا ولم يكن في الرواية الأولى : « ان المهندس بنى أولاً كنيسة مار اثناسيوس ودير راية وكنيسة على رأس جبل المناجاة ثم بنى دير طور سيناء . وانهُ أراد أولاً أن يبني هذا الدير فوق جبل سيناء ثم لما لم يجد ماء فوق الجبل بناه في مكانهِ الحالي وهو في وادٍ ضيق بين جبلين يكشفهُ الجبل الشرقي فاذا صعد أحد الى هذا الجبل ورمى حجراً وقع في الدير . فلما عاد المهندس الى الملك يوستنيانوس ووصف له موضع الدير غضب من بنائهِ في موضع مكشوف للعدو وأمر بضرب عنقهِ»

« وان السلطان سليماً فرض على الجبالية نقل تسعين حمل جمل كل سنة من

شون مصر الى الحرمين اكراماً لفقراء الحرمين فبقوا على ذلك مئة سنة ونيفاً حتى ضجُّوا من هذه السخرة والتمسوا من الرهبان مساعدتهم على الخلاص منها فبذل الرهبان مالاً جزيلاً وأراحوهم منها منذ تسعين سنة » اه

وقد وقَّع هذا الخبر « الرئيس جرمانوس . والأقلوم رومانوس . والراهب توما الشامي . وغيرهم من القسس والرهبان ومشايخ العرب وعدد الكل ١٢ رجلاً »

ويؤخذ من حواشي معلقة على بعض كتب الدير : « ان الصبيان قديماً اقتتلوا فيما بينهم فقتل البعض وفرَّ البعض الى بلاد الشام والذين بقوا عجزوا عن حماية أنفسهم من العربان فضلاً عن حماية الدير فعقد الرهبان مجلساً في جامع الدير حضره بعض مشايخ الزهيرات (من أولاد سعيد) والعوارمة وجعلوا الصبيان في حمى المحاسنة (فرع من العوارمة) وأعطى الرهبانُ المحاسنةَ مقابل حمايتهم للصبيان بستاناً لهم في جبل الفُرَيع يستغلونهُ ولكن المحاسنة استملكوه ولا يزال في حوزتهم الى اليوم »

العهدة النبوية

تقدم في باب الجغرافية ان في دير طور سيناء صورة «عهد» قديم منسوب الى محمد نبي الاسلام يعرف « بالعهدة النبوية » . وفي تقاليد رهبان هذا الدير أن النبي محمد كتب لهم هذا العهد في السنة الثانية للهجرة أماناً لهم وللنصارى كافة على أرواحهم وأموالهم وبيعهم وان السلطان سليم العثماني عند فتحهِ مصر سنة ١٥١٧ م أخذه منهم وحملهُ الى الأستانة وترك لهم صورة مع ترجمتها في التركية

وقد رأيت في دير طور سيناء وفي وكالتهِ في مصر القاهرة عدة صوَر لهذه العهدة بالعربية والتركية بعضها منسوخ في كتاب صغير وبعضها على رق غزال وكل صورة من هذه الصور تختلف عن الاخرى قليلاً وفي كل منها أغلاط تدل على أن النساخ الذين نسخوها كانوا أعاجم أو عرباً يجهلون قواعد اللغة العربية . وأصح هذه النسخ وأقدمها ثلاث مكتوبة في ٣ كراريس صغيرة بالعربية والتركية ومحفوظة في وكالة الدير بمصر القاهرة . وقد وسمت بالأحرف الافرنجية .A. B. C حسب قدميتها. وأقدمها الموسومة بحرف «A» . وهذه صورتها مع تصحيح اغلاط النسخ في الحاشية:

«بسم الله الرحمن الرحيم وبهِ العون * نسخة سجلّ العهد * كتبهُ محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى كافة النصارى

«هذا كتاب كتبهُ محمدبن عبد الله الى كافة الناس أجمعين بشيراً ونذيراً ومؤتمناً على وديعة الله في خلقهِ لئلاَّ يكونَ للناس على الله حجة بعد الرُّسل وكان الله عزيزاً حكيماً . كتبهُ لأهل ملتهِ ولجميع من ينتحل دين النصرانية من مشارق الأرض ومغاربها قريبها وبعيدها ، فصيحها وعجميها ، معروفها ومجهولها ، كتاباً جعلهُ لهم عهداً فمن نكث العهد الذي فيهِ وخالفهُ الى غيره وتعدى ما أمره كان لعهد الله نا كثاً ولميثاقهِ ناقضاً وبدينهِ مستهزئاً . وللَّعنة مستوجباً ، سلطاناً كان أم غيره من المسلمين المؤمنين . وان احتمى براهب[1] أو سايح في جبلٍ أو وادٍ أو مغارة أو عمران أو سهل أو رمل أو ردنةٍ أو بيعـة فأنا اكون من ورائهم ذابًّا عنهم من كل عدةٍ لهم بنفسي وأعواني وأهل ملتي واتباعي لأنهم رعيتي وأهل ذمتي . وأنا اعزل عنهم الأذى في المؤن التي يحمل اهل العهد من القيام بالخراج إلاَّ ما طابت بهِ نفوسهم وليس عليهم جبر ولا اكراه على شيء من ذلك . ولا يغير أسقف من أسقفيتهِ ولا راهب من رهبانيتهِ ولا حبيس من صومعتهِ ولا سايح من سياحتهِ . ولا يهدم بيت من بيوت كنايسهم وبيعهم ولا يدخل شيء من بناء[2] كنايسهم في بناء مسجد ولا في منازل المسلمين . فمن فعل شيئاً من ذلك فقد نكث عهد الله وخالف رسوله . ولا يحمل على الرهبان والأساقفة ولا من يتعبد جزيةً ولا غرامة وأنا أحفظ ذمتهم أين ما كانوا من برٍ أو بحرٍ في المشرق والمغرب والشمال والجنوب . وهم في ذمتي وميثاقي وأماني من كل مكروه . وكذلك من يتفرد بالعبادة في الجبال والمواضع المباركة لا يلزمهم مما يزرعوه ولا[3] خراج ولا عشر ولا يشاطرون لكونهِ برسم أفواههم . ويعاونوا عند ادراك الغلة باطلاق قدح واحد من كل أردب برسم أفواههم . ولا يلزموا بخروج في حرب ولا قيام بجزيةٍ ولا من أصحاب الخراج وذوي الأموال والعقارات والتجارات مما اكثر من اثنا[4] عشر درهم بالجمجمة في كل عام ولا يكلف احداً

صوابه كما في بعض النسخ الأخرى أو كلها : (١) راهب (٢) مال (٣) لا (٤) اثني

منهم شططاً . ولا يجادلوا الاَّ بالتي هي أحسن . ويحفظ[1] لهم جناح الرحمة ويكف عنهم أذى المكروه حيث ما كانوا وحيث ما حلوا . وان صارت النصرانية عند المسلمين فعليه[2] برضاها وتمكينها من الصلوة في بِيَعها ولا يحيل[3] بينها و بين هوى دينها . ومن خالف عهد الله واعتمد بضده[4] من ذلك فقد عصى ميثاقهُ ورسولهُ. ويعاونوا على مَرَمَّة بيعهم وصوامعهم ويكون ذلك معونة لهم على دينهم وفعالهم بالعهد . ولا يلزم أحداً منهم بنقل سلاح بل المسلمين يذبوا عنهم ولا يخالفوا هذا العهد أبداً الى حين تقوم الساعة وتنقضي الدنيا . وشهد بهذا العهد — الذي كتبهُ محمد ابن عبد الله رسول الله صلى عليهِ وسلم لجميع النصارى والوفاء بجميع ما شرط لهم عليهِ — من أثبت اسمهُ وشهادتهُ آخره :

علي بن أبي طالب	ابو بكر بن ابي قحافه	عمر بن الخطاب
عثمان بن عفان	ابو الدرداء * ابو هريرة	عبد الله بن مسعود
العباس بن عبد المطلب	فضيل[5] بن عباس	الزبير بن العوام
طلحة بن عبد الله	سعيد بن معاذ	سعيد[6] بن عبادة
ثابت بن نفيس	زيد بن ثابت	ابو حنيفه بن عبيه[7]
هاشم بن عبيه[8]	معظم بن قرشي	حارث بن ثابت
عبد العظيم بن حسن	عبد الله بن عمرو العاص	غاز بن ياسين[9]

«وكتب علي بن ابي طالب هذا العهد بخطهِ في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بتاريخ الثالث من المحرم ثاني سني الهجرة واودعت نسختهُ في خزانة السلطان وختم بخاتم النبي . وهو مكتوب في جلد ادم[10] طايفي . فطوبى لمن عمل بهِ وبشروطهِ ثم طوباه وهو عند الله من الراجين عفو ربهِ والسلام» .

« نقلت هذه النسخة من النسخة التي نقلت من النسخة المنقولة الكائنة[11] بخط امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرَّم الله وجههُ بالأمر الشريف السلطاني لا زال نافذاً

صوابه كما في بعض النسخ الأخرى أو كلها : (١) « ويخفض » (٢) « فعليهم » (٣) يُحَل (٤) « بالضد » صوابه : (٥) « الفضل » (٦) سعد (٧) ابو حذيفة بن عتبة (٨) «هاشم بن عتبة» (٩) عامر بن ياسر (١٠) «أديم» (١١) «من النسخة الكاينة»

بعون المعين السبحاني ووضعت في ايدي طايفة الرهبان القاطنين بجبل طورسيناء لكون النسخة المنقولة من النسخة الكائنة بخط امير المؤمنين «ضائعة» وليكون سنداً على مايشهد بهِ المراسيم السلطانية والمربعات والسجلاّت التي في ايادي الطايفة المزبورة » اه

وهذه النسخة مذيلة بختم المولى بمصر المحروسة وتصديقه بخطه غير المنقوط هكذا :

« حُرّر بأمري وقُرّر بمعرفتي راجي العفو الى العلي العلام محمد بن عبد القادر المولى بالمحروسه مصر حميت عن البلية والاحن عفي عنهما »

(الختم) « الواثق بالملك القادر محمدبن عبد القادر » اه

ويقول بعض العارفين ان هذا المولى قام على مصر في عهد السلطان سليمان الثاني سنة ٩٢٦ : ٩٧٤ هـ ١٥٢٠ : ١٥٦٦ م

وأما النسخة الثانية التي في وكالة الدير الموسومة بحرف " B " فقد ذيلت بما يأتي :

«صورة نقلت عن الأصل بدون الفصل والوصل . نمّقهُ أضعف عباد الباري نوح بن أحمد الانصاري القاضي بمصر المحروسة عفي عنهما » (الختم) اه

وقد سعيت لدى المحكمة الشرعية بمصر لمعرفة مدة هذا القاضي فلم أوفق الى ذلك

وفي الدير نسخة عرفت بالنسخة الطورية تختم بعد قوله « عفو ربه والسلام » بالعبارة الآتية :

«وفي الأصل المنقول منهُ هذه النسخة المتوجة بالنشان الشريف السلطاني ما صورتهُ:

« نقلت هذه النسخة من النسخة التي نقلت من النسخة المنقولة من النسخة الكاينة بخط امير المؤمنين علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه بالأمر الشريف السلطاني لا زال نافذاً بعون المعين السبحاني . ووضعت في ايدي طايفة الرهبان القاطنين بجبل طور سيناء لكون النسخة المنقولة من النسخة الكاينة بخط أمير المؤمنين «باقية» وليكون سنداً على ما تشهد به المراسيم السلطانية والمربعات والسجلات التي في أيدي الطايفة المزبورة »

«تمت وسطرت هذه النسخة في ثاني رجب المرجب سنة ٩٦٨ (١٩ مارس ١٥٦١ م)

«ما تضمنتهُ هذه العهد نامة المنسوبة الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب في حق طايفة القسيسين والرهبان على وفق الشروط والله اعلم بالصواب (الختم) طه بن محمد سعد اه

هذه صورة العهدة المحفوظة في الدير الى اليوم . ولا سبيل لنا الى الأصل الذي يقال انهُ صدر عن النبي بل لا سبيل لنا الى الصورة الأصلية التي قيل انها أُعطيت الى الرهبان عوضاً عن الأصل لكثرة النسخ التي في أيدي الرهبان واختلاف بعضها عن بعض وعدم الاهتداء الى تاريخ لكل منها . لذلك أنكر بعض الباحثين ، وفي جملتهم البحَّاثة احمد زكي باشا سكرتير مجلس النظار ، صحة هذه العهدة وصدورها عن النبي وقالوا ان رهبان سينا اختلقوها للاستعانة بها على دفع ظلم الحكام والغوغاء . وقد أيَّدوا قولهم هذا بثلاثة أسباب مهمة وهي :

١ — أن لغة العهدة تختلف عن لغة عصر النبي ففيها من التراكيب والألفاظ ما لم يكن مألوفاً في ذلك العصر

٢ — انها مؤرخة في السنة الثانية للهجرة مع أن الهجرة لم يؤرَّخ لها إلاَّ في السنة الثامنة عشرة أي بعد وفاة النبي بسبع سنين . فضلاً عن أن بعض الشهود المذكورين في ذيل هذه العهدة كأبي هريرة وأبي الدرداء لم يكونوا قد أسلموا في السنة الثانية للهجرة

٣ — ان مؤرخي الإسلام الذين أحصوا كل قول أو أثر للنبي لم يذكروا هذه العهدة ولا أتوا بأقل اشارة تدل عليها * * ودفعاً لهذه الأسباب نقول :

١ — ان الرهبان لا يدعون ان هذه العهدة هي الأصل الذي صدر عن النبي ولا صورة طبق الأصل بل هي الصورة التي أعطيت لهم بعد أخذ « العهد » منهم

٢ — ان ثاني سني الهجرة ليس هو تاريخ الأصل بل أن العهدة التي بأيدينا تذكر أن الأصل أعطي في ثاني سني الهجرة . والظاهر أنهُ ثامن لا ثاني سني الهجرة حرفهُ النساخ ، ومثل هذا التحريف كثير الاحتمال جداً لاسيما من النساخ الأعاجم

٣ — ان عدم ذكر أحد المؤرخين للأصل لا يطعن بصحتهِ لأنهُ لا يمكن أن يكون المؤرخون قد احصوا كل أثر للنبي . وقد حُفظ هذا العهد في الدير الى أن أُخذ منهم فكان يشار اليهِ في كل فرمان أو منشور أعطي للرهبان الى اليوم كما سيجيءُ اذاً فالأسباب التي يقدمها المنكرون على أهميتها لا تنفي أصل العهدة وصدورها

عن النبي . ومن المحتمل جدًّا أن يكون النبي قد أعطى رهبان سيناء عهداً بقي معهم الى أن أخذهُ منهم أحد السلاطين السالفين ، وعوضهم عنهُ عهداً بروح العهد النبوي ولغة ذلك العصر مع تفصيل اقتضاه الزمان والحال وهو العهدة التي بيد الرهبان . وتأييداً لذلك نقول : —

من المعلوم أن دير طور سيناء هو في طريق بلاد العرب الى مصر . وقد تبيَّن من أخبار نيلس الراهب قبل بناء الدير أنهُ كان بين شيخ فاران في الجزيرة وشيخ العرب شرقيها عهد لتأمين الطريق . وبعد بناء الدير سنة ٥٤٥ م وانتقال أبرشية فيران الى طور سيناء أصبح النظر في عقد العهد مع العرب من خصائص رهبان الدير. ولما قام النبي محمد في جزيرة العرب سنة ٦٢٢م أصبح هو المرجع الأعلى للعرب كافة

ويدلُّ تاريخ الإسلام أنهُ في السنة السابعة للهجرة سنة ٦٢٨ — ٦٢٩ م أرسل النبي محمد كتبهُ الى الملوك والأمراء مثل كسرى وقيصر والمقوقس نائب الرومان في مصر يدعوهم الى الإسلام. وأن المقوقس أكرم رسول النبي وزوَّدهُ بالهدايا الى النبي . وليس لرسول النبي طريق الى مصر أخصر من طريق سيناء المارّ بالدير . فمن المعقول جدًّا أن يكون الرسول قد مرَّ بدير سيناء ذهاباً واياباً وأن رهبان سيناء قد احتاطوا لأنفسهم وأرسلوا معهُ وفداً يطلع النبي على حال ديرهم ويطلب منهُ العهد تأميناً للطريق وصيانةً لديرهم ومصالحهم . هذا من جهة الرهبان ، وأما النبي محمد فيحتمل جدًّا أن يكون قد أعطاهم العهد وأمَّنهم وأوصى بهم خيراً للأسباب الآتية :

أولاً — ان دير طور سيناء هو في طريق مصر من بلاد العرب ومن مصلحة العرب كما هو من مصلحة الرهبان تأمين الطريق الى مصر

* ثانياً — ان التاريخ يدلُّنا أن النبي قد حُبِّب اليهِ النسك والزهد وكان كثيراً ما يذهب الى غار حراء قرب مكة ليتعبد ويذكر الله فيهِ حتى بُعث للناس بشيراً ونذيراً . لذلك كان يميل الى الرهبان والنساك ويوصي بهم خيراً . جاء في سورة المائدة :

« لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهودَ والذين أشركوا . ولتجدنَّ أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنَّا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورُهباناً

وانهم لا يستكبرون » * وقد ورَّث النبيُّ هذا الميل لخلفائهِ من بعده . خطب أبو بكر الصديق في جيشهِ عند ارسالهِ لفتح سوريا فقال :

« اذا لقيتم العدو فقاتلوه مستبسلين والموت أولى بكم من القهقرى . واذا انتصرتم فلا تقتلوا الشيوخ ولا النساء ولا الأطفال ولا تقطعوا النخيل ولا تحرقوا الزرع ولا تذبحوا من الماشية الاَّ ما كنتم في حاجة اليهِ لقوتكم . وأمّنوا من ذلَّ لكم ورغب في إداء الجزية . ولا تخلفوا وعدكم ولو لأعدائكم . « وسترون في طريقكم رجالاً متوحدين ناسكين فاحتفظوا بهم ولا تمسوا أديارهم بضرر » . واهلكوا اليهود الاَّ أن يسلموا »

ثالثاً — لقد جرت عادة النبي ، وخلفائهِ من بعده ، اعطاء العهود للنصارى ومعاملتهم بروح التسامح من ذلك : أ — عهد النبي لأهل ايلة وقد مرَّ ذكره برُمَّتهِ ب — عهد النبي لأهل اذرح ومقنا ج — عهد خالد بن الوليد لأهل القدس د — عهد أبي عبيدة لأهل بعلبك ه — عهد عبد الله بن سعد لعظيم النوبة

رابعاً — ان رهبان طور سيناء قد سكنوا أرضاً يقدسها اليهود والنصارى والمسلمون والوثنيون على السواء . وفي تقاليد بدو سيناء والرهبان ان النبي زار طور سيناء بنفسهِ وترك فيهِ أثراً كما مرّ . وقد ذكر النبي طور سيناء مراراً في القرآن الكريم ودلَّ على انهُ يقدسهُ كما سيجيء فيبعد جدًّا انهُ يخيب طلب سكانهِ ولا سيما الرهبان والنسَّاك الذين كان من طبعهِ الميل اليهم مع انهُ أعطى العهد لجيرانهم أهل أيلة كما قدمنا

خامساً — ان سلاطين المسلمين منذ القديم أقرُّوا هذه الامتيازات المبينة في العهدة التي بين أيدينا وذكروها في فرماناتهم ومنشوراتهم لمطارنة الدير . بل ذكروا انهم انما أعطوهم هذه الامتيازات بناءً على العهد الذي أخذوه عن النبي وأيَّده الخلفاء الراشدون * وأقدم ما وصل الينا من تلك المنشورات منشور الامام العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله آخر الخلفاء الفاطميين (٥٥٦ : ٥٦٧ ه ١١٦٠ : ١١٧١ م). وهذا المنشور يشير الى « مرسوم » أخذه الرهبان من الأيام الحاكمية أي الحاكم بأمر الله (٣٨٦ : ٤١١ ه ٩٩٦ : ١٠٢١ م) . وعليهِ جرى جميع السلاطين المسلمين الذين أتوا بعدهما الى زمان المطران الحالي . بل نرى ان نابوليون بونابرت وقواده عند دخولهم

مصر منحوا الرهبان نفس الامتيازات التي منحهم اياها السلاطين المسلمون كما سيجيء

• سادساً — انهُ لا يعقل ان قوماً مستضعفين كرهبان سيناء يقدمون في وسط بلاد اسلامية على اختلاق عهد عن لسان نبي الاسلام لا أصل لهُ البتة ويطلبون فيهِ من السلاطين المسلمين الامتيازات الجمة. بل لو أقدم رهبان سيناء على مثل هذا العمل فلا يُعقل ان سلاطين الاسلام من عهد الخلفاء الراشدين أو من عهد الحاكم بأمر الله الى هذا العهد يقرّون رهبان سيناء على ما اختلقوه ويمنحونهم من الامتيازات ما فيهِ خسارة لبيت المال بدون تثبُّت أو تحقيق عن الأصل * والأقرب الى العقل أن يكون لهذه العهدة أصل تاريخي. فاذا لم يكن رهبان سيناء قد نالوا عهداً كأهل أيلة فلا يبعد أن يكون العهد الذي أخذه أهل أيلة قد شمل رهبان طور سيناء أيضاً لأن أيلة كانت في ذلك العهد بعد انحطاط البتراء الملجأ الأكبر للنصارى في تلك الجهات، وان هذا العهد حُفظ في الدير الى أن أخذ منهم وعُوضوا عنهُ العهدة التي بين أيديهم والله أعلم

ولنذكر الآن بعضاً من الآيات القرآنية التي ذكر فيهـا جبل الطور وسيناء والمنشورات السلطانية المشار اليها آنفاً تأييداً للعهد النبوي :

الآيات التي ذكر فيها جبل الطور وسيناء في القرآن الكريم

عن سورة البقرة : « واذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوَّة واذكروا ما فيهِ لعلكم تتقون »

عن سورة مريم : « وناديناه من جانب الطور الأيمن وقرَّبناه نجيًّا »

عن سورة طه : «يا بني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزَّلنا عليكم المنَّ والسَّلوى . كلوا من طيّبات ما رزقناكم ولا تَطغَوا فيهِ فيحلَّ عليكم غضبي » . . . « وهل أتاك حديث موسى اذ رأى ناراً فقال لأهلهِ امكثوا اني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقَبَس أو أجد على النار هُدًى . فلما أتاها نودي يا موسى اني أنا ربُّك فاخلع نعليك إِنك بالوادي المقدس طُوًى وأنا اخترتك فاستمع لما يُوحى إِنني أنا الله لا إِله إِلاَّ أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري »

عن سورة القصص : « وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمةً من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون »

عن سورة الطور : « والطورِ وكتابٍ مسطورٍ في رقٍّ منشورٍ والبيتِ المعمورِ والسقف المرفوع والبحر المسجور انَّ عذابَ ربك لواقع ما لهُ من دافع »

عن سورة التين : « بسم الله الرحمن الرحيم . والتينِ والزيتونِ وطور سينين وهذا البلدِ الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم »

عن سورة المؤمنون : « فأنشأنا لكم بهِ جناتٍ من نخيل وأعنابٍ لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون . وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين »

« مقتطفات من منشور الامام العاضد لدين الله أبي محمد عبدالله . كما نقلته سنة ١٩١٣ عن درج في وكالة دير طورسيناء بمصر يبلغ طوله نحو عشرة أمتار »

« الحمد لله رب العالمين . بسم الله الرحمن الرحيم . منشور . . . مولانا وسيدنا الإمام العاضد لدين الله أمير المؤمنين . . . صلوات الله عليهِ وعلى آبائهِ الطاهرين وأبنائهِ الأكرمين ... »

« ولما عرضت بحضرتنا رقعة مترجمة باسم مقام أسقف دير طور سيناء ورهبانهِ ضمَّنوها انقطاعهم للعبادة وجريهم فيها على رسم مألوف لهم وعادة . وان لهم رسوماً مقررة من الأيام الحاكمية وبأيديهم سجلات شرفوا بها من هذه الدول العالية العلوية . وسألوا تجديد ما بأيديهم . خرج أمرنا بايداع هذا المنشور ما رسمناه من الوصية بهم والبعث على رعاية جانبهم وتسهيل مطالبهم وحملهم على عاداتهم وانالتهم من الاحتفاء بهم غاية ؟ ادارتهم وأعانتهم على ما يعود باصلاح أمورهم ويوجب انبساط آمالهم وشرح صدورهم ورعايتهم حيث كانوا من البلاد وانتخابهم بما يجمع لهم من الطرايف من الخيرات والبلاد ؟ وحملهم على مضمون ما بأيديهم من اعفائهم مما أحدثهُ الولاة بالحصون الطورية عليهم من الرسوم لأنفسهم التي يعتنون في طلبها فينفقون ؟ بسببها وان يعفى آثارها . . . ويمنع العربان من الدخول عليهم في دياراتهم واختطاف ؟ ما يحصلونهُ من أقواتهم ويدخرونهُ لقرى المجتازين بهم وضيافاتهم . ويحملوا في المساحات

بالحقوق والرسوم والاحكار والمقاسمات والأعشار والمقاطعات على ما تضمنتهُ السجلات النبوية التي بأيديهم والمنع من التطرق اليها بتبديل وسد الطريق الى التأويل ؟ في شيء منها وقطع السبيل ورعاية كافة أصحابهم والمتصرفين في سبلهم والمستخدمين في جباية اجرا أحباسهم وحماية اجرايهم في تحصيل المستغلات وايناسهم وكف الضرر عمن . . . يقدم عليهم . . . وقصر الأيدي المتطاولة الى أذى من يتوجه اليهم من الأعمال المصرية ومن يؤمنونهُ لتحصيل أقواتهم من البلاد القريبة والقصيةً ونهي الحاضرة عن إعناتهم والبادية وقصرهم بابطال الرسوم المحدثة وقصر الأيدي العادية. فمن قرأه أو قرئ عليهِ من كافة الأمراء وولاة الحرب بالشرقية أدام الله تأييدهم وولاة الحصون الطورية أدام الله عزهم وجميع المشارفين النواب والحماة والشاكين والمتصرفين أجمعين . فليعمل الممثل فيهِ ولينتبه الى ما يوجبهُ حكمهُ ويقتضيهِ وليحذر من تجاوزه وتعديهِ بعد ثبوتهِ بالدواوين بالحضرة المطهرة صلوات الله عليها واقراره بأيديهم بعد العمل بمقتضاه والانتهاء الى مضمونهِ وفحواه ان شاء الله تعالى »

« حرر في جمادى الآخرة من سنة أربع وستين وخمسماية » اه (مارس ١١٦٩م)

—•—

ترجمة فرمان السلطان مصطفى الأول بن محمد الى المطران غفريل الرابع سنة ١٦١٨م

«الى اكابر قضاة بلاد الروملي والأناضول والقطر المصري ومصر المحروسة. والى أعاظم قضاة ولاية دمشق الشام التي يفوح عبيرها كنفح الجنان . ومدينة بغداد التي تحاكي الفردوس . والى نخبة قضاة سائر الأقطار الإسلامية قادة قضاة الإسلام . . . والى القضاة ونوابهم . . . والى جباة الأموال والمأمورين العسكريين ومديري الجمارك والمواني . ونظار بيت الأمانة وسائر رجال السلطة ... زادهم الله اقتداراً

«عند وصول فرماني الملوكي هذا ليكن معلوماً بأن القسيس غفريل مطران دير طور سيناء القائمة أساساتهُ على ذلك الجبل المبارك من قديم الزمن قد رفع الى سدتنا الملوكية التماساً مختوماً منهُ مستعطفاً استصدار فرمان مقدّس طبقاً للصكوك التي بيد رهبان دير طور سيناء وكنص العهد المقدس المنعم بهِ على أولئك الرهبان من

سيد الأنبياء (محمد) يوم قاموا للقائهِ ورضوا بالحال التي قرَّ عليهـا الأقوام غير المسلمين ؟ عند ما كان قاصداً البرية المقدسة وزار قبر كليم الله (موسى) عليهِ السلام ثم وصل بركابهِ الشريفة الى طور سيناء . وعلى مقتضى الاوامر الكريمة الممنوحة لهم من الخلفاء صلوات الله عليهم جميعاً ، ومن السلاطين السابقين حماة الدين . . . . وبالجملة فمن فحوى هذه الصكوك وسجلاّتها وشروحاتهـا المحفوظة في الدفترخانة الملوكية . . . وبموجب معاهدة مقدسة احتفظ بها رهبان الديرين القائمين على جبل موسى عليهِ السلام في طور سيناء ... منذ العصور الجاهلية — لا يجوز لأحد من المأمورين العسكريين ولا من رجال السلطة أن يتصدوا لرهبان أو قسوس أو مستوطني الديرين المذكورين حال سفرهم أو زيارتهم لبلاد الروملي والأناضول ومصر ودمشق وجهات البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود وسائر المدن والبلاد والقرى التي في الولايات الاسلامية ، أو عند تأدية طقوسهم الدينية ، وعند جبي الصدقات من النصارى لأجل قوت وكساء الفقراء القاطنين في الديرين المذكورين، ولأجل قوت الأعراب الذين يحجون الى ديرهم . ولا يكلف رهبان ذينك الديرين في أي صقع من الاصقاع بدفع عوائد شخصية أو ضريبة ، ولا تضرب عوائد أو رسوم جمركية على بضائعهم

ثم عند حصول وفاة أحدهم لا يجوز لمقسمي المواريث أو نظار بيت الأمانة أو أي موظف آخر التدخل في الممتلكات أو الأمتعة المخلفة عن المتوفى لأن ممتلكات الرهبان المتوفين تصبح ملكاً للرهبان الأحياء . . . * كما وان رهبان هذين الديرين لهم حق الامتلاك بطريق الوقف في أديرتهم وكنائسهم ومزارعهم وفنادقهم وبيوتهم وحقولهم وكرومهم وبساتينهم وسائر ممتلكاتهم من أراضٍ ومراعٍ شتوية ببلاد الروملي والأناضول ومن كنائس وبساتين النخيل على شاطىء البحر (في مدينة الطور) . ومن أديرة وأملاك موقوفة بحي الجوانية بباب النصر بعاصمة القطر المصري. ومن جنائن وأراضٍ ومراعٍ شتوية بالاسكندرية ورشيد وبسائر المواني والاقاليم والمديريات والمدن والبلاد والقرى * ولهم حق الامتلاك في الأملاك والأراضي الملحقة التي ابتاعوها وفي الأملاك والأراضي الموقوفة أو الموهوبة لهم من المسيحيين

بدون معارضة لهم في التصرف فيها من أيٍّ كان وبدون أن تضرب عليهم ضرائب * وأن لا توضع عليهم مغارم بأي وجهٍ من الوجوه لا من مديري المديريات ولا الحكمداريين ولا وكلاء المديريات ولا نظار الأوقاف السلطانيــة ولا الجباة ولا مأموري الايرادات ولا وكلاء بيت الأمانة ولا محصلي الجزية الشخصية ولا مفتشي الضرائب ولا من سائر الموظفين الحربيين والملكيين ووكلائهم . . . »

ولا حق لأي بطريرك أو مطران أو أسقف بأي اقليم أو أية مديرية أن يتدخل في شؤونهم أو يستبد بهم لأن هذا من اختصاص الأسقف المعين رئيساً عليهم في الجبل المذكور . ولا يجوز لأيٍّ كان أن يكدر صفوهم أو يعاملهم بما يخالف نصوص المعاهدة المقدسة وفرمانات السلاطين السالفين الممنوحة لهم . . . »

« وقد أصدرت أمري لكم حتى تسيروا بمقتضى الأوامر السامية الصادرة من سلفائي الأجلاء وطبقاً لأمري الرفيع القدر مع الاجتناب الكلي لما عساه يكون مخالفاً له . . . فعوا ذلك وثقوا برسومي المقدس »

«تحريراً في اليوم الحادي عشر من شهر صفر سنة ألف وسبعة وعشرين هجرية» اه الموافق ٧ فبراير سنة ١٦١٨

ترجمة فرمان السلطان عبدالحميد الى المطران پورفيريوس الثاني مطران سيناء الحالي سنة ١٩٠٤

الطغرآء العثمانية : « الغازي عبد الحميد بن عبد المجيد خان دام نصرهُ »

«عرضت الينا الخديوية المصرية أن پورفيريورس افندي رئيس اساقفة دير طور سيناء استعفى لشيخوختهِ ومرضهِ وان جماعة رهبان الدير وخوارنتهُ اجتمعوا وانتخبوا في مكانهِ الارشمندريت پورفيريورس بوغوتيس افندي . والتمست منا اصدار براءتنا السلطانية بقبول هذا الانتخاب وتعيين الموما اليهِ رئيساً مع درج الشروط القديمة . وقد روجعت القيود فوُجِد ان انتخابهم رئيساً هو من جملة حقوقهم الممنوحة لهم . فلذلك تعلقت ارادتنا السنية باصدار براءتنا هذه السلطانية بتعيين الارشمندريت پورفيريورس بوغوتيس افندي الموما اليهِ رئيساً لأساقفة دير طور سيناء

وقد أمرنا بأن لا يتعرض لهم أحد في ديرهم وكنائسهم وجنائنهم التي في جبل موسى المقدس وطور سيناء . ولا في كنيستهم وجنينة النخيل والزيتون التى على البحر (في مدينة الطور) . ولا في ديرهم في حارة الجوَّانية بباب النصر في مصر المحروسة . ولا في الوكالتين اللتين لهم عن يمين الحارة المذكورة وشمالها . ولا في المعبد الواقع بجهة كاترينه . ولا في عبادتهم وصلواتهم . ولا في منازلهم ووكالاتهم وغيرها من الأوقاف التي لهم في مصر القاهرة * وأن لا يدخل محلاتهم ولا يتعرض لهم أحد من خفراء المدينة المذكورة

وان لا يؤخذ منهم رسم ما على بساتينهم وكرومهم وفواكههم ونخيلهم وزيتونهم وجميع حقوقهم ورسومهم واحكارهم وأعشارهم في بلاد الطور والشام ومصر * وان لا يتعرض لهم أحد في حريرهم وأطلسهم الأسود وأوقافهم وكرومهم ومزارعهم التي لهم في جزيرة قبرص * وان لا يكلفوا دفع رسوم جمارك أو دخولية في مواني البحر المالح والبحر الغربي في الاسكندرية ورشيد ودمياط وقبرص ودمشق الشام ونديس وحوران وقسطه وغزة وبيروت وصيدا وطرابلس الشام واللاذقيَّة وغيرها من المواني * وان لا تُؤخذ الرسوم الجمركية على الصابون والزيت والحبوب والنذور والصدقات الواردة لهم من الثغور الاسلامية

وان لهم ان يزوروا قمامتهم في دمشق الشام حسب عادتهم القديمة * وان لا يتعرض لهم أحد في دفن موتاهم ولا يتعرض لقبورهم

وان يحصل لهم الحكام فوراً كل حق يثبت لهم على تمامهِ ويمنعوا الناس من التعرض لهم في ذلك بدون وجه حق * وان لا يتعرض لهم في أمورهم أحد من القضاة والميرميرانات والميرلواءت والملتزمين والأمناء والعمال

وان لا يتعرض لهم بطرك الاسكندرية أو غيره من بطاركة الايالات الأخرى بسوء ولا ان يتدخّلوا في أمورهم بأي وجه من الوجوه فانهم مستقلون تحت سيادة رئيسهم

وحيث ان سيدنا محمداً رسول الله عليهِ أفضل الصلاة واكمل التحية أعطاهم عهداً مباركاً ، واتبع مثالهُ الشريف الخلفاء الراشدون والسلاطين السالفون وتعظيماً

للعهد النبوي ومحافظته على الأحكام الشرعية بأن الطائفة المذكورة تقيم في الجبل المنوَّه بهِ بتمام الأمان والاطمئنان ، وعملاً بموجب العهد النبوي المذكور والبراءات الشريفة والأوامر المنيفة الواجبة الاتباع بأن لا يتعدى عليهم أحد من الناس ولا يتعرض لهم بسوء ، ومن خالف ذلك العهد والأوامر استحق العقاب الشديد والجزاء الصارم — لذلك أعطيت براءتي هذه السلطانية لهم للعمل بموجبها »

« تحريراً في اليوم الخامس عشر من شهر رمضان المبارك سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف » اهـ ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٤ م

ترجمة المنشور الذي أصدره نابليون بونابرت لرهبان طور سيناء

الجمهورية الفرنساوية . حرية ومساواة . مركز رئاسة الجيش

مصر المحروسة في ٢٩ فريمير من السنة السابعة للجمهورية الفرنساوية المتحدة غير المنفصمة (٢٠ ديسمبر سنة ١٧٩٩ م)

انا بونابرت أحد أعضاء الجمعية العلمية الوطنية والقائد العام :

١ . حبًّا بإِسداء الجميل الى دير طور سيناء لينقلوا خبر فتحنا الى الأجيال المقبلة

٢ . واحتراماً لموسى والأمة الاسرائيلية التي يرجع تاريخها الى أقدم الأجيال

٣ . ولأن دير طور سيناء مأهول بطبقة من الرجال المتنوّرين والمتهذبين الذين يعيشون وسط سكان البادية الهمج — أمرتُ بما هو آتٍ :

١ً . لا يجوز لأعراب البادية المتحاربين أن يمتنعوا أو يحتموا داخل أسوار دير طورسيناء ولا أن يأخذوا زاداً أو شيئاً آخر منهُ مهما كان الحزب الذي ينتمون اليهِ

٢ً . يُعيّن ضابط في الجهة التي يسكن فيها الرهبان لأجل حمايتهم . وعلى الحكومة أن تزيل كل عائق يقف في سبيل ممارسة فرائضهم الدينية

٣ً . يعفى الرهبان من دفع الرسوم الجمركية على البضائع وخلافها الصادرة والواردة التي تستعمل في الدير وخصوصاً ما كان له علاقة بتجارة الحرير الذي لهم وأيضاً محصولات أراضي معاهدهم الدينية . . . وجميع أملاكهم في جزيرتي ساقص وقبرص

٤ً . يجب اعفاؤهم من دفع الضرائب والجزية السنوية كالسابق بموجب الحقوق العديدة التي ما زالوا يتمتعون بها

٥ً . يبقون متمتعين بسلام بالامتيازات الممنوحة لهم في أنحاء عديدة من سوريا ومصر سواء كان فيما يختص بأراضيهم أو بمحصولات تلك الأراضي

٦ً . في حالة التقاضي يُعفَون من رسوم المحاكم أو الغرامات التي يفرضها القضاة

٧ً . لا يجوز مطلقاً منعهم عن تصدير أو مشترى الغلال اللازمة لمؤونة الدير

٨ً . لا يجوز لأي بطرك أو أسقف أو أي رئيس من الأكليروس الخارج عن رهبتهم أن يتسلط عليهم أو على ديرهم اذ هذه السلطة تنحصر في يد مطرانهم ومجلس الرهبان في دير طور سيناء

٩ً . على كل من السلطتين الملكية والعسكرية أن يمنعوا كل عائق يحول دون تمتع رهبان طور سيناء بحقوقهم وامتيازاتهم المذكورة آنفاً (الإمضاء) بونابرت

ترجمة منشور القائد « داماس » الفرنساوي يخوّل فيه الرهبان سلطة حبس المعتدين على الدير من العربان . عن الاصل المحفوظ في دير طور سيناء الى اليوم

« الجمهورية الفرنساوية . الحرية والمساواة . جيش الشرق

عن مركز القيادة العام في اليوم العاشر من شهر بريمير من السنة الثامنة للجمهورية الفرنساوية المتحدة غير المنفصمة (١ نوفمبر سنة ١٨٠٠ م)

«من داماس قائد الفيلق ونائب القائد العام : «ان الجنرال كليبر القائد العام — رغبة منهُ في تأييد الحماية الممنوحة من الجنرال بونابارت الى رهبان دير طورسيناء حفظاً لأملاكهم وعقاراتهم وصيانة لحقهم في التمتع بها — قد خوَّلهم السلطة بالقاء القبض على العربان الذي يتجرأون على انتهاك حرمتهم في ديرهم ونهب فواكههم وغلالهم ووضعهم في السجن . ولكن أوجب عليهم أن يبلّغوا دائماً القائد العام أسماء الذين يوقّعون عليهم الجزاء مع أسماء القبائل التي ينتمون اليها (الامضاء) داماس

بعد الاطلاع قد فوَّضنا تنفيذ المرقوم أعلاه

(الامضاء) قائد اللواء في جيش القائد العام : لكرنج

جامع الدير

انهُ على رغم وجود العهدة النبوية مع الرهبان والتسامح الذي يوجبه الإسلام على الحكام المسلمين في معاملة النصارى عموماً والرهبان خصوصاً فان رهبان طورسيناء اضطروا منذ عهد بعيد أن يشيدوا جامعاً في وسط ديرهم الى جانب كنيستهِ الكبرى لا يزال قائماً فيه الى اليوم كما بيّنا تفصيلاً في باب الجغرافية . وقد عُرف هذا الجامع في بعض أوراق الدير بالجامع العمري حتى ظنَّ بعضهم ان بانيهُ عمرو بن العاص فاتح مصر سنة ٦٤٠ م . ولكن بناء الدير لا يدل على هذه القدمية ولا بدَّ أن يكون لفظ العمري محرفاً عن الآمري فان الكتابة على « كرسي الجامع » المتقدم ذكرها تصرّح ان باني الجامع هو « الأمير الموفق المنتخب منير الدولة وفارسها أبو المنصور أنو شتكين الآمري » . كما صرَّحت الكتابة على « منبر الجامع » ان منشئ ذلك المنبر هو « أبو القاسم شاهنشاه » . وزير « أبي علي المنصور الامام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين سنة ٥٠٠ » ه . وهذان الأثران لا يزالان في الدير الى اليوم وقد دلاّ ان الجامع بُني وأُثث في عهد الآمر بأحكام الله الفاطمي (سنة ٤٩٥:٥٢٤ه — ١١٠١:١١٣٠م)

ولكن تقاليد الرهبان المحفوظة خطّاً في الدير تصرّح ان هذا الجامع بُني في عهد الحاكم بأمر الله (سنة ٣٨٦ : ٤١١ ه ٩٩٦ : ١٠٢١ م) قالوا :

« انهُ في نحو سنة ١٠٠٨م قام على مصر حاكم ظالم غشوم يكره النصرانية يدعى الحاكم فأمر بهدم جميع الأديرة في مصر وفلسطين حتى كان ما هُدم في فلسطين وحدها نحو ٤٠٠ دير . وسمع بدير طور سيناء فأرسل سرية من الجند يصحبها شيخ عرب سيناء لهدمهِ . فلما علم الرهبان بخبر السرية فكّروا في الحيلة التي تنجيهم فبنوا جامعاً بالطوب النيء والحجر الغشيم على عجل . وكان بينهم راهب مصري ذو دهاء وحيلة يحسن العربية يدعى سليمان فجمع كنوز الدير وذهب ومعهُ ثلاثة من شيوخ الدير لملاقاة الجند فالتقاهم على مرحلة من الدير وسألهم عن الغرض من قدومهم الى سيناء فقالوا اننا آتون بأمر الحاكم لهدم الدير. فقال ان كان القصد من ذلك الاستيلاء على كنوز الدير فها هي كنوزهُ كلها بين ايديكم . وان كان القصد الرهبان فعندنا عهد

من نبي الاسلام يحمينا ويحمي ديرنا . وفوق ذلك ففي الدير الآن جامع تقام فيهِ الصلاة فيحرَّم عليكم هدمهُ ديناً . فأخذ الجند الكنوز وتقدموا الى الدير فرأوا الجامع قائماً بجانب كنيستهِ الكبرى فعادوا الى مصر وأخبروا ملكهم بما كان فاكتفى بهِ » اه

ذكر هذا الخبر المطران نكتاريوس (سنة ١٦٥٨م) نقلاً عن خبر قديم مدوَّن بالعربية في بعض كتب الدير والظاهر ان المؤرّخ العربي خلط بين الحاكم بأمر الله والآمر بأحكام الله . وفي كل حال فان بناء الجامع من الطوب النيء والحجر الغشيم يدلُّ على ان بناءه كان على عجل وان بانيهُ لم يكن ذو اقتدار وحنكة في البناء

وقد ظنَّ البعض ان ليس بناء الجامع فقط بل أخذ العهد النبوي من الرهبان واسلام الجبالية كانا أيضاً في عهد الامر بأحكام الله في مبدإ الحروب الصليبيّة والله أعلم

هذا وفي الدير محرَّرات كثيرة بالعربية والتركية رسمية وغير رسمية تدل على اضطهاد حكام الطور والعربان للرهبان منذ تأسيس الجامع . ومحررات أخرى تدلُّ على انتصارهم لهم . وها أنا أذكر مثلاً من كل منها :

مثال من المحررات الدالة على اضطهاد حكام الطور لرهبان دير طور سيناء

«عرضحال الى حضرة مولانا الوزير صاحب الدولة حفظه الله تعالى وحرسه من كل سوء بمحمد وآله وصحبه أجمعين آمين

«وبعد فالمعروض لحضرتكم العلية ان جماعة من الرهبان الذميين قاطنون بدير مبني كالحصار في جبل الطور . وبالدير كنيسة لكفرهم وضرب الناقوس كالكهنة السابقة . وفي وسط الدير المذكور مسجد ومنارة لصلاة المسلمين واقامة شعائر الاسلام وكان للمسجد باب متصل لخارج الدير لا يحجب المسلمين عن الصلاة في المسجد فجعل الرهبان المذكورون الباب المتصل بالمسجد باباً لديرهم وصار المسجد لا يصل اليهِ أحد من المسلمين الاّ باذنهم والذي يريدونهُ بالمسجد يفعلونهُ من شرب خمر وغيره . وفي كل عام يأتي الى الدير المذكور من بلاد النصارى جماعة يتبركون بكفرهم ويأتون معهم بشيء كثير من المال . ففي هذا العام المبارك جمعة تاريخهِ حضر جماعة من الكفار من بلاد النصارى الى الدير المذكور فمات منهم رجل ودفنوه وأخذوا مالهُ

فمن بعض ما بلغنا انهم وجدوا معهُ من النقود الفين أحمر سكة غير الذي خفي . . . ولهم في ذلك المحل حكام وبيت مال

فان كان حضرة مولانا صاحب الدولة يرضي بذلك الفعل في الإسلام فلاحول ولا قوّة الاّ بالله العلي العظيم . . . والكفار تفعل مرادها من غير جزية يدفعونها. . . وللرهبان المذكورين بمصر المحروسة وكالتان تسميان بالجوانية وأملاك كثيرة غير ذلك . ولهم في بندر الطور غيط نخيل فوق العشرة آلاف نخلة يجمعون ثمره في كل عام ويعملونه خمراً وذلك كله من غير خراج عليهِ . ولهم بالبندر المذكور أنطوش وهو حوش فيهِ طاحون كانوا يطحنون فيهِ للمسلمين بأجرة وقد أبطلوا ذلك الطاحون من غير علة ولا سبب وطلعوا الى الدير المذكور يفعلون بمرادهم وكل شيء لا يرضي الله تعالى ولا رسولهُ . فها نحن عرفناكم بذلك كلهِ والأمر لكم. والله تعالى يديم عزكم وينصر مولانا السلطان وعساكرهُ بمحمد وآله وصحبهِ أجمعين

« جرى ذلك كله وحرّر في السادس والعشرين من شهر جمادى الأخرة سنة ١١٠٣ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام (٢٥ مارس ١٦٩٢م)

الامضاآت : الفقير الى الله تعالى محمد أغا وزدار قلعة الطور حالاً . الفقير شرف الدين نائب الشرع الشريف امام بالقلعة حالاً. الفقير ابراهيم مراد طوبجي باشي بالقلعة حالاً. الفقير علي جوربجي بالقلعة حالاً . الفقير أحمد محمد طوبجي حالاً. الفقير بيرم محمد سنجق حالاً. الفقير علي رمضان حسن. الفقير عمر محمد سنجق بالقلعة حالاً » اه

﴿ مثال من المحررات التي تدل على نصرة حكام الطور لرهبان دير طور سيناء ﴾

« امضاه الفقير الى الله سبحانه وتعالى عبد الله القاضي بمصر المحروسة غفر له « ختمه »

« الحمد لله وحده . الأمر كما ذكر والله أعلم . كتبه الفقير ابراهيم بن المرحوم سليمان الأزهري نايب الشرع الشريف بالطور عفي عنهُ « ختمه »

« شهد بذلك: علي جوربجي كتخدا بالطور « ختم » * محمد اغا الطور سابقاً « ختم » صفر أغا بالطور حالاً عفي عنه « ختم » * محمد اغا « ختم »

« . . . ينهون ان جماعة من الرهبان المساكين قاطنون في دير جبل مناجاة سيدنا موسى كليم الله عليهِ أفضل الصلاة والسلام من قديم الزمان من عهد الصحابة والتابعين ومن زمن خلافة سيدنا عمرو بن العاص ومن قبل دولة الجراكسة وغيرهم . وان الدير المذكور معمور بالرهبان . ومن داخل الدير مسجد يزورهُ المسلمون ويصلون فيهِ وهو مكمل بالفرش والقناديل قايم الشعاير . وان رهبان الدير المذكور يجمعون الصدقة من جميع الأطراف والأكناف ويطعمون فقراء المسلمين والنصارى والقصَّاد والزوَّار وأبناء السبيل والغرباء والمترددين والمنقطعين من طريق الحاج وغيرهم . وان الدير المذكور يطمئن اليهِ الحزين ويأوي اليهِ الخائف ويشبع منهُ الجائع ويكتسي منهُ العريان وهو مورد لجميع من يقصدهُ من المسلمين وغيرهم اذا جازوا عليهِ . وان أهل هذا الدير يطعمون ما ينوف عن مائتين نفس من المسلمين وغيرهم في كل يوم . وان نفعهُ على الخاص والعام الحاضر والبادي . . . »

« والحال يا صاحب الدولة الشريفة ان بطرك القدس حالاً المسمى دوسيثيوس توجه الآن الى اسطنبول وحرَّم على النصارى اعطاء رهبان الدير المذكور صدقة أو شيئاً ما . وان هذا الدير ما لهُ صدقة الاّ من النصارى وغيرهم من أهل الخير . والآن لما تنقطع الصدقة يرحل الرهبان ويتشتتون ويخرب الدير ويخلى فتخلى البلاد ويصير بسبب ذلك خوف عظيم من عدم الرهبان وهياج العربان والعصاة في البلاد فتنقطع الطرق على المراكب وغيرها وينزح العربان القاطنون في البلاد ويصير ضرر عظيم في بندر السلطان نصرهُ الله تعالى ولا يبقى أمان في البلاد وتحصل متعبة عظيمة للناس خصوصاً بخراب الطاحون . . . »

« فالمسؤول من صدقاتكم العميمة وعواطفكم الرحيمة الأخذ بيد الفقراء الرهبان ومنع من يتعرض لهم والاهتمام بمصالح الفقراء جعلكم الله من سعداء الدارين وختم لكم بصالح الأعمال وأرشدكم الى الطريق المستقيم ووقاكم شر الأعداء والحاسدين وأوجب لكم شفاعة سيد المرسلين وأدام الله تعالى أيامكم الزاهرة وجمع لكم بين خيري الدنيا والآخرة بجاه سيدنا محمد صلى الله عليهِ وسلم وما تفعلوا من خير فان الله بهِ عليم » اه

ويلي ذلك ٢٧ امضاء من موظفي قلعة الطور وغيرهم * ذكرَ بعض المؤرخين انه كان لهذا الكتاب تأثير عظيم في الاستانة حتى ان البطرك دوسيثيوس وهو من بطاركة القرن السابع عشر؟ اضطرَّ أن يتخفى بثياب النساء لينجو بنفسهِ من اضطهاد الأتراك

خفر الدير

كان رهبان الدير قديماً يدفعون جعلاً معلوماً لكل قبيلة من قبائل سيناء القوية القاطنة في جوار الدير أو في طريقهِ من مصر أو سوريا لأجل حمايتهم في السفر والاقامة وحماية القوافل التي تنقل لهم الزاد والمؤنة من الخارج وكانت تسمى هذه القبائل « خفراء الدير » . وبقي عرب السواركة يطالبون الدير بمرتب الخفر الى سنة ١٨٧٠ كما مرّ * أخبرني المرحوم الشيخ موسى أبو نصير شيخ مشايخ الطورة المار ذكرهُ قال : « كنت أسمع انهُ كان للدير ٣٥ خفيراً »

وكان للدير قديماً وكالة في فلسطين قرب غزة ثم انتقلت الى الجوّانية بمصر كما مرَّ . وكان الرهبان يعقدون شروطهم مع القبائل الخفراء فيصدّقها حاكم مصر أو شيخ عرب العايد في مصر ويضمن انفاذها . وهذه صورة اتفاق عُقِد بين العربان الخفراء والرهبان وأقرَّهُ المولى بمصر المحروسة سنة ١٥٤٠ م :

«الأمر كما ذكر من عبد ربهِ الفقير حمد بن سعيد الحنفي المولى بالقاهرة المحروسة» « بالمحكمة الشرعيـــة بالجامع الحاكمي عمَّرهُ الله تعالى بذكره بين يدي سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى الشيخ الإمام العالم العلامة العمدة نور الدين حمزة الرومي الحنفي خليفة الحكم العزيز بالديار المصرية وقاضي المحكمة المذكورة أعلاه أيَّد الله تعالى أحكامهُ . . . أشهد على من يُذكر فيهِ — بعد ان أقسموا بالله العظيم وبنعمة مولانا السلطان الأعظم والخاقان المكرم مالك رقاب الأمم سلطان العرب والعجم إمام الأسلام والمسلمين قامع الكفرة والمشركين السلطان ابن السلطان الى تاسع جد فأكثر مولانا «سليمان بن عثمان» خلَّد الله ملكه وثبَّت قواعد دولتهِ ونصرهُ نصراً عزيزاً وفتح لهُ فتحاً مبيناً وجدَّد لهُ في كل يوم نصراً وملّكهُ بساط الأرض برّاً وبحراً وأعز أنصارهُ ونصر جيوشهُ وأعوانهُ بمحمد وآلهِ — وهم حميد بن سالم بن رحمه

عرف بجدّه. ومحمد بن أحمد بن مسلم. وسليمان بن سلام بن ابراهيم عرف بوالده. وسالم بن موسى بن خريش عرف بجدّه. ونصير بن سويعد بن مسعود عرف بالقرارشي الجميع من الصوالحة ومن عرب الطور — الاشهاد الشرعي أنهم من يوم تاريخهِ يحفظون دركَ دير طور سيناء وجميع رهبانهِ القاطنين بهِ والمترددين اليهِ وجميع تعلقاتهم ومواشيهم وما لهم من الكنائس والبساتين والنخيل بالجبل وبوادي فاران وبساحل الطور بأنفسهم وبمن يستعينون بهِ ليلاً ونهاراً صباحاً ومساء وردع من يتعرض اليهم بسوء وتشويش من العربان ورفقتهم ويذبون عن الدير المذكور ورهبانهِ وتعلقاتهِ

«واذا حضر أحد من الزوّار لا يدخل أحد من العربان معهم الى الدير المذكور ولا ينزل أحد بالقرب منهُ الا مسافة يوم. ولا يحضرون بخيول الى الدير ولا يدخلونهُ بالجملة الكافية * ولا يتعرضون للقوافل الواردة اليهِ من مصر وغيرها وعليهم حفظ القوافل المذكورة وكف أسباب الأذى والضرر عنهم وعن الدير المذكور وعن رهبانهِ والقوافل المترددين اليهِ من المسلمين والنصارى

« ويدخلون تحت شروط الدير المذكور الجاري بهِ العادة من قديم الزمان والى تاريخهِ وهو انهُ متى مدَّ أحد يده من العربان الى راهب أو أخذ منهُ شيئاً أو شوَّش عليهِ في طريق أو غيره أو دخل الى كرم من الكروم المتعلقة بهم أو كسر باب الكرم أو هدم حائطاً أو قطع حبل الدوار أو حرق باب الدير أو عارضهم في طرقاتهم كان عليهِ «دأسيه» يأخذ شيخ العرب جملهُ. واذا قُتل أحد من الرهبان أو من الزوّار المسلمين أو النصارى كان عليهم احضار الجاني ويكون عليهم القيام لديوان الذخيرة الشريف بألف دينار ذهباً سلطانياً جديداً حسبما التزموا بذلك على جاري عاداتهم التزاماً مقبولاً وشهد بالتوكيل مرسوم الحكم في ثالث عشر صفر سنة سبع وأربعين وتسعماية » (١٩ يونيو سنة ١٥٤٠ م)

« شهد عليهم بذلك : محمد محمد الدميري * محمد دنين ؟ » اه

واطلعت في الدير على اتفاقية تُعرف « بالشورة » عُقدت بين الرهبان في عهد « الأسقف كيرياصف » وبين مشايخ الصوالحة وأولاد سعيد والعليقات « في منزل

شيخ العَرب منصور بن المرحوم الشيخ صيام العائدي في البرقوقة (العباسية الآن) في يوم السبت ٢٤ شعبان سنة ١٠٥٣ هـ الموافق ٢١ أكتوبر سنة ٧١٥٢ لآدم » ٨ نوفمبر سنة ١٦٤٣ للمسيح

وقد ذكر فيها أسماء المتعاقدين وهم الأسقف و١٢ راهباً و١٦ شيخاً. وأمضاها وتعهد بانفاذها « منصور صيام » المذكور وحدهُ. وهي تتفق معنىً ومبنىً مع الاتفاق السالف الذكر لكنها مفصلة تفصيلاً تامًّا حتى انها لم تترك حالة كان من الممكن وقوعها في ذلك العهد بين العربان والرهبان الاّ ذكرتها وعينت الجزاء عليها. ومما ذكر فيها من التفصيل ولم يُذكر في الاتفاق السالف الذكر:

« ... وأشهد جماعة العربان على أنفسهم ان كل من دخل منهم بين الصبيان و بين الرهبان في خلاص حقوقهم يكون عليهِ جمل. وأن لا يعارضوا الصبيان ولا المتسببين اذا حضروا للبيع على الرهبان من فاران وغيره وكل من عارضهم كان عليهِ جمل. ولا أحد يغصب الرهبان بأن يشتروا منهُ عنباً أو غيره فكل من فعل ذلك كان عليهِ جمل لشيخ العرب وكل من عارض بني واصل الذين يجلبون الحوت والسمك أو الملح ومنعهم من البيع والشراء على الرهبان كان عليهِ لشيخ العرب جمل. وليس لأحد من العربان أن يجيء الدير ويطلب طبيخ أو شيئاً من الأكل أو أداماً سوى نصف القدح والملح لا غير ولا يطلب لأبيهِ ولا لابنهِ ولا لأخيهِ. وكل من يقول أنا ما أخذت البارحة أو يطلب لثاني يوم عيشهِ أو طلب غير نصف القدح المعلوم كان عليه جمل لشيخ العرب. ولا يطلب أحد من الرهبان دراهم قرضاً أو قمحاً أو نبيذاً أو فراشاً أو غطاءً وكل مَن أغصبهم في شيء من هذا كان عليهِ جمل لشيخ العرب. ولا ينام أحد في الدير ولا في أنطوش الدير جملة كافية. وكل من كان في الدير ولا يرضى يخرج بل ينام فيهِ كان عليهِ جمل لشيخ العرب ... » اه

وما زالت هذه الشروط تتغير وتتبدل وتزيد أو تنقص حسب الحال والزمان حتى صارت الى الصورة التي أثبتناها تفصيلاً في باب الجغرافية وأصبحت وزارة الحربية المصرية نفسها ضامنة تنفيذها واقرار الأمن والسلام في الجزيرة كلها كما مرّ

﴿ رؤساء رهبان طور سيناء ومطارنة الدير وفيران ﴾

(١) عن كتاب « التاريخ المقدس القديم والحديث من موسى النبي الى السلطان سليم » باليونانية للمطران نكتاريوس سنة ١٦٥٨ م . وقد أخذ اكثر معلوماته عن كتاب عربي قديم في الدير يدعى « تاريخ السنين في أخبار الرهبان والقديسين » مفقود الآن وعن كتب أخرى عربية ويونانية في الدير

(٢) عن « تاريخ دير طور سيناء المقدس » باليونانية لكير باراكليس غراغوريادس أستاذ الفلسفة في كلية أثينا سنة ١٨٧٥ م

(٣) عن مطران الدير الحالي ورهبانه ومكتبته

﴿ مطارنة أبرشية فيران ﴾

تقدم أنهُ قام في سيناء قبل بناء الدير أبرشية عظيمة للنصارى ولها مطران يقيم في فيران . وقد اشتهر من مطارنتها ثلاثة وهم :

﴿ ١ . المطران موسى سنة ٣٢٠ : ٣٦٠م ؟ ﴾ ويظن أنهُ أول مطران قام على فيران وأنهُ هو الذي حوَّل أهل فيران عن عبادة الأوثان وأدخلهم في النصرانية

﴿ ٢ . المطران نَيتره سنة ٤٦٥ م ؟ ﴾ قالوا أنهُ كان تلميذ سلفانوس رئيس رهبان طور سيناء الآتي ذكرهُ

﴿ ٣ . المطران ثيودورس سنة ٦٤٩ م ؟ ﴾ وهو آخر مطران لفيران . وكان من القائلين بأن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة فحرمهُ مجمع الاستانة سنة ٦٤٩ م ؟ والظاهر انهُ بعد هذا الحادث انتقل مركز الأبرشية رسميًّا الى طور سيناء

﴿ رؤساء رهبان طور سيناء ﴾

كان للرهبان المقيمين في طور سيناء رئيس وكانوا تابعين لأبرشية فيران الى أن انتقل مركز الأبرشية الى طور سيناء واشتهر من رؤساء طور سيناء الى ذلك العهد أربعة وهم :

﴿ ١ . الرئيس ذولاس سنة ٣٧٣ م ﴾ وهو أول رئيس ذكره التاريخ لرهبان طور سيناء . وفي أيامهِ غزا البجاةُ رهبانَ راية عند مدينة الطور وعربُ الشرقِ رهبانَ طور سيناء كما مرَّ في خبر أمونيوس الراهب

﴿ ٢ . الرئيس سلفانوس سنة ٤٦٥ م ﴾ قالوا انهُ أتى طور سيناء من القدس الشريف زائراً فاختاره الرهبان رئيساً عليهم . وقد اشتهر بالحكمة واصالة الرأي . ومما يروى عنهُ أن قد أتى الدير زائر من مصر وهو يشتغل مع الرهبان في حقل لهم هناك فقال الزائر كنا نظن أنكم معاشر الرهبان طلبتم النسك للتفرغ لعبادة الخالق وترك مهام الجسد . فأراد الرئيس أن يعطيه درساً نافعاً في ان الشغل ضروري حتى للرهبان فأدخلهُ غرفةً وأعطاهُ كتاباً وسألهُ أن يطالعهُ الى أن ينتهي من الشغل فيتفرغ لمحادثتهِ . فبقي الزائر يطالع في الكتاب ساعات حتى عضهُ الجوع بنابهِ وكان الرهبان قد فرغوا من الشغل وأكلوا ولم يدعوه لتناول الطعام معهم . فلما استحكم بهِ الجوع خرج من غرفتهِ وصاح بالرهبان قائلاً لقد خرت جوعاً أفلا تأكلون أنتم معاشر الرهبان هنا . فقال الرئيس عفواً أيها الزائر الكريم لقد حسبناك ملاكاً لا تحتاج الى طعام أو شراب أما وقد شعرت بالحاجة الى القوت فنرجو أن تعذرنا بعد الآن اذا كنا نكرس بعض ساعات النهار للشغل لتحصيل قوتنا . فاعتذر الزائر اذ ذاك ثم قُدّم له الطعام فأكل وشكر الرئيس على الدرس النافع الذي ألقاه عليهِ

﴿ ٣ . الرئيس لونجينوس سنة ٥٣٠ م ﴾ وفي أيامهِ أرسل الرهبان وفداً منهم الى الملك يوستنيانوس وبُني الدير بدليل وجود صورته في قبة هيكل الكنيسة الكبرى كما مرّ

﴿ ٤ . يوحنا الملقب اقليمقوس سنة ٥٨٠ : ٦٠٣ م ﴾ قالوا ان يوحنا هذا كان شماساً للرئيس لونجينوس فلما مات خلفهُ في الرئاسة . وقد كتب للرهبان كتاباً سماه الاقليمقوس فلقب بهِ . ومعنى الاقليمقوس سلَّم فسمي بالعربية «سلَّم الفضائل» وفيهِ آداب الرهبنة وواجب الرهبان نحو أنفسهم وخالقهم والناس وهو يُقرأ في أيام الصوم الكبير في دير سيناء وفي كثير من الأديرة النصرانية الى هذا العهد .

هذا ورأيت في الدير في صدر عظة موضوعها تجلّي المسيح لتلاميذه الأطهار بطرس الصفا ويعقوب ويوحنا في جبل طابور ما نصهُ : « هذا قول الأب القديس نسكاسيوس رئيس طور سيناء » ؟ ولكني لم أقف على تاريخ قيام هذا الرئيس

مطارنة دير طور سيناء

قد يستدل من تاريخ الدير ان رهبان طور سيناء لم يسكنوا الحصن إلذي بناهُ لهم الملك يوستنيانوس توًّا بعد بنائهِ بل بقوا يسكنون المغاور والكهوف حول الحصن الى ان انتقل مركز الأبرشية من فيران الى طور سيناء بعد سنة ٦٤٩ م ؟ وكان الاسلام قد امتدّ الى الشام ومصر واشتد الحال على الرهبان فهجروا المغاور والكهوف وسكنوا الحصن فجعلوهُ ديراً ومركزاً لابرشية سيناء وأصبح رئيس الدير مطراناً للأبرشية ولقبهُ «مطران دير طور سيناء وفيران وراية» وما زال كذلك الى اليوم. ودير طور سيناء هو الدير الوحيد الذي يلقب رئيسهُ مطراناً وبالافرنجية archevêque, archbishop . وقد اتصل بنا خبر ٥٣ مطراناً من مطارنة دير طور سيناء وهم :

﴿ ١ . المطران مرقس سنة ٨٦٩ م ﴾ وهو أول مطران معروف للدير ذُكِر في كتاب « تاريخ السنين » المار ذكرهُ

﴿ ٢ . المطران قسطنطين ؟ ﴾ وقيل انهُ هو أول مطران للدير ومرقس الثاني

﴿ ٣ . المطران سليمان ﴾ عن كتابة في هيكل كنيسة العليقة هذا نصها : «كان الفراغ من هذا العمل (الفسيفساء) في أيام المطران سليمان » . ويتبين من حالة الفسيفساء أنهُ من أقدم ما في الهيكل

﴿ ٤ . المطران غبريل أُر بسارو ﴾ عن كتابة على مذبح كنيسة العليقة هذا نصها « اذكر يا رب عبدك الفقير غبريل أُر بسارو يعني مطران طور سيناء » . ويظهر من الشغل ان المذبح بُني بعد الفسيفساء

﴿ ٥ . المطران أيوب الفلسفي ﴾ عن كتابة فوق باب الكنيسة الكبرى هذا نصها : « أيوب الفلسفي رُسم مطراناً »

﴿ ٦ . المطران يوحنا سنة ١٠٩١ م ﴾ وهو من أهل أثينا قيل وهو الذي قتله عساكر مصر . ورواية الخبر المأثور في تاريخ نكتاريوس أنه في عهد هذا المطران اعتدى العربان على قافلة من الحجاج كانت ذاهبة الى مكة فأرسل صاحب مصر جنداً لتأديب العربان ودخل الجند الدير فسألوا أين الرئيس فبرز الرئيس لهم .

وقال أنا هو فقالوا أين مال الدير فقال لا مال للدير فقتلوهُ . والله أعلم بالصواب

﴿ ٧ . المطران زخريا سنة ١١٠٣ م ﴾ قيل وهذا التاريخ مأخوذ عن فرمانهِ المفقود الآن . وهذا المطران تقع مدتهُ في مدة الآمر بأحكام الله الفاطمي

﴿ ٨ . المطران جرجس سنة ١١٣٣م ﴾ قيل وهذا التاريخ أخذ عن فرمانهِ المفقود أيضاً وهو يقع في مدة الحافظ لدين الله الفاطمي خلف الآمر بأحكام الله

﴿ ٩ . المطران غبريل الثاني سنة ١١٤٦ م ﴾ عن فرمانهِ المفقود وهو يقع في مدة الحافظ لدين الله . قالوا وكان عالماً بالعربية وقد كتب فيها كتاب « تعليم مسيحي » موجود الآن في الدير

﴿ ١٠ . المطران يوحنا الثاني سنة ١١٦٤م ﴾ ولهُ رسالة بالعربية الى رهبان الطور

﴿ ١١ . المطران سمعان سنة ١٢٠٣م ﴾ جال مدة في أوربا يجمع الاحسان للدير ثم استعفى

﴿ ١٢ . المطران افتيموس سنة ١٢٢٣ م ﴾

﴿ ١٣ . المطران مكاريوس سنة ١٢٢٤ م ﴾

﴿ ١٤ . المطران جرمانوس الأول سنة ١٢٢٨ م ﴾

﴿ ١٥ . المطران ثيودوسيوس سنة ١٢٢٩ م ﴾

﴿ ١٦ . المطران سمعان سنة ١٢٥٨ م ﴾ خدم مدة ثم استعفى

﴿ ١٧ . المطران يوحنا الثالث سنة ١٢٦٥ م ﴾

وهذه المطارنة الثمانية الأخيرة ذكرت في كتاب « تاريخ السنين » المار ذكره

﴿ ١٨ . المطران ارسانيوس سنة ١٢٩٠ م ﴾

﴿ ١٩ . المطران سمعان الثالث سنة ١٣٠٦ م ﴾

﴿ ٢٠ . المطران دوروثيوس سنة ١٣٢٤ م ﴾ عن فرمانه المفقود . وهو يقع في مدة السلطان الناصر محمد بن قلاوون من المماليك البحرية صاحب مصر والشام

جاء في كتاب « تاريخ السنين » : « يوم الاثنين الواقع في ٣٠ ابريل سنة ١٣١٢م عند الغروب حصلت زلزلة . وفي نصف الليل زلزلة . وفي صباح الثلثاء اول

مارس حصلت زلزلة عظيمـة حتى ظُنَّ أن القيامة قامت وانهدم حائط سور الدير الشرقي والحائط الغربي والبرجان وهدمت منازل الرهبان بعضها للأرض وبعضها هدمت سقوفها فخاف الرهبان خوفاً شديداً وخرجوا الى الجنينة . ودامت الزلازل خمسة أيام ، وفي اليوم السادس نظر الرهبان الى سهل الراحة فاذا بخيالة وجمالة مقبلين نحوهم فذهبوا لاستقبالهم فاذا هم بناؤون ومعهم زاد كثير فسألوهم عن قصدهم فقالوا ان « غفريل » رئيس أساقفة بتراء علم أن الدير قد تهدم فأرسلنا اليكم لنعيد بناءه فساعدهم الرهبان وأعادوا بناء ما تهدم من الدير وعادوا الى بلادهم » اه

﴿ ٢١ . المطران جرمانوس الثاني سنة ١٣٣٣م ﴾ وقد مرَّ بنا انهُ كان في جملة من وقَّع الخبر بشأن اسلام الجبالية « الرئيس جرمانوس » . فان كان جرمانوس الأول (سنة ١٢٢٩م) وأخرجنا من تاريخ ولايتهِ ٩٠ سنة كان تاريخ الخبر وخلاص الجبالية من السخرة سنة ١١٣٨م . ثم اذا أخرجنا مئة سنة ونيفاً قل ١١٨ سنة المدة التي سخر بها الجبالية كان اسلامهم سنة ١٠٢٠ م وهو يقع في مدة الحاكم بأمر الله * وان كان الرئيس الذي وقَّع الخبر جرمانوس الثاني هذا كان اسلام الجبالية في عهد الآمر بأحكام الله كما ظنَّ بعضهم . وفي أي الحالين يكون اسلامهم بموجب ذلك الخبر في عهد الفاطميين لا في عهد السلطان سليم العثماني كما في تقاليد الرهبان والله أعلم

﴿ ٢٢ . المطران مرقص الثاني سنة ١٣٥٨ م ﴾

﴿ ٢٣ . المطارنة : اثناسيوس * ٢٤ سابا * ٢٥ ابراهيم * ٢٦ غفريل الثالث * ٢٧ ميخائيل * ٢٨ سلفانوس * ٢٩ كيرلس * ٣٠ لازاروس * ٣١ مرقص الثالث ﴾

ويستدل من بعض كتب في وكالة الدير بمصر ان مدة المطرانين الأخرين إمتدت من سنة ١٤٨٦ : ١٥١٠ م . أما مرقص الثالث فقد رقي بطريركاً على القدس الشريف سنة ١٥١٠ م ويقي الدير بعدهُ بلا مطران مدة ٣٠ سنة . وفي أثنائها فتح السلطان سليم مصر وأصبحت ولاية عثمانية

﴿ ٣٢ . المطران سفرونيوس سنة ١٥٤٠ م ﴾ وفي أيامهِ عقد الرهبان اتفاقاً مع الرهبان الخفراء وصدَّقهُ المولى بالمحروسة كما مرَّ

﴿ ٣٣ . المطران مكاريوس الثاني القبرسي سنة ١٥٤٥ م ﴾ كان رجلاً سيء السيرة مبذراً فرفع الرهبان أمرهُ الى البطاركة الثلاثة فحرموه سنة ١٥٤٧ م وبقي الدير بلا مطران مدة لأن البطاركة قرروا عدم لزوم مطران كما ذكر في كتاب « تاريخ السنين » . ثم رأى الرهبان أن حالهم لا تصلح بلا مطران فرفعوا الأمر لأرميا الثاني بطريرك الاستانة سنة ١٥٦٧ ؟ فسمى عليهم

﴿ ٣٤ . المطران أفيانيوس سنة ١٥٦٧ : ١٥٨٣ م ﴾ وخلفهُ

﴿ ٣٥ . المطران انسطاسيوس سنة ١٥٨٣ : ١٥٩٢ م ﴾

رأيت في بعض كتب الدير « ان القديس انسطاسيوس رئيس جبل طور سيناء المقدس صار مطراناً على البتراء » .

﴿ ٣٦ . المطران لفرنديوس سنة ١٥٩٢ : ١٦١٧ م ﴾

﴿ ٣٧ . المطران غفريل الرابع سنة ١٦١٨ ﴾ عن فرمانهِ المار ذكره

﴿ ٣٨ . المطران يواصف الرودسي سنة ١٦١٨ : ١٦٥٨ م ﴾ وفي أيامهِ كتبت « الشورى » المار ذكرها بين خفراء الدير والرهبان سنة ١٦٤٣ م

﴿ ٣٩ . المطران نكتاريوس سنة ١٦٥٨ م ﴾ هو راهب سيناءي ذهب الى القدس الشريف ليُرسمَ مطراناً على سيناء ولم يكن في القدس بطركاً فرسموه بطركاً عليها . وهو صاحب « التاريخ المقدَّس » باليونانية المار ذكرهُ

﴿ ٤٠ . المطران حنانيا البيزنطي سنة ١٦٥٨ : ١٦٦٨ م ﴾ بقي مطراناً للدير عشر سنوات ثم استعفى . وقد سعى أن يكون بطريركاً للاستانة فلم يفلح

﴿ ٤١ . المطران ايوانيكيوس سنة ١٦٦٨ : ١٧٠٣ م ﴾ ترى على وُجهة مذبح كنيسة الدير الكبرى كتابة باليونانية مؤداها أن هذا المذبح جُدِّد في عهد المطران ايوانيكيوس سنة ١٦٧٥ . وفي أيامهِ سنة ١٦٩١ أهدي الى الدير صندوق من الفضة عليهِ رسم القديسة كاترينا كما مرَّ

﴿ ٤٢ . المطران كوزماس من الاستانة سنة ١٧٠٤م ﴾ وقيل سمّي سنة ١٧٠٥م وبعد سنة سمّي بطريركاً على الاستانة ثم على الاسكندرية

﴿ ٤٣ . المطران أثناسيوس فارباسيوس سنة ١٧٠٦ : ١٧١٨ م ﴾ وفي عهده سنة ١٧١٥ جُدِّد بلاط كنيسة الدير الكبرى كما مرَّ

﴿ ٤٤ . المطران ابوانيكيوس الثاني من جزيرة مدلين سنة ١٧١٨ : ١٧٢٩ م ﴾ كُتِبَ على نسخة من « سُلَّم الفضائل » : « صارت زلزلة في شهر حزيران سنة ١٧٢٨ م

﴿ ٤٥ . المطران نيكوفورس مارثالس من كريت سنة ١٧٢٩ : ١٧٤٩ م ﴾ أقام مطراناً على الدير ٢٠ سنة ثم استعفى ومات في بلده . وقد رأيت في « كتاب الأم » المار ذكره كتابة بالرومية بخط هذا المطران مفادها « ان قد تمَّ ببندر الطور اتفاق بين أقلوم الدير نكيفورس وكاتب الدير جرجس تاحمي من جهة وبين جمّاع أبو هديب وموسى ولد علي وغيرهما من جهة أخرى بشأن انارة الجامع وتنظيفه سنة ١١٥٧ هـ ١٧٤٤ م

﴿ ٤٦ . المطران قسطنديوس من كريت سنة ١٧٤٩ : ١٧٥٩ م ﴾ أقام مطراناً على الدير عشر سنين ثم استعفى وذهب الى الاستانة فمات في الطريق

﴿ ٤٧ . المطران كيرلس الأول سنة ١٧٥٩ : ١٧٩٠ م ﴾ أقام مطراناً على الدير ٣٠ سنة و٣ أشهر ومات في بلاد بلاخيته في ١٢ يناير سنة ١٧٩٠ . وفي أيامهِ سنة ١٧٦٥ رمِّمت كنيسة الدير وجعل فوق بابها رخامي نقش عليها باليونانية تاريخ ترميمها واسم مرمّمها . وفي سنة ١٧٨٧ أهدي الى الكنيسة الكبرى منبر من الرخام جميل الصنع يصعد اليهِ بسلّم يرى عن يسار الداخل

﴿ ٤٨ . المطران دوروثيوس من الاستانة سنة ١٧٩٤ : ١٧٩٧ م ﴾

رأيت على كتاب « معنى الحياة أو المركب السائر في مياه النجاة » هذه الحواشي :

« نظر في هذا الكتاب المبارك العبد الحقير في المسيحيين فيلوثاوس من قرية شحرور قرب ثغر بيروت وهو بالزيّ راهب سنة ١٧٩٨ م » * وبخطّه : « في سنة ١٧٩٧ جاء جراد كثير وأ كل الأشجار والأثمار وما فضل خضرة في هذا البرّ جميعهُ »

« وفي ١٨ كانون أول صار مطر ثقيل دام أربع وعشرين ساعة ومنهُ انهدم حايط الدير الشمالي من الزاوية الشرقية الى كنيسة القديس جاورجيوس »

« وفي شهر حزيران سنة ١٧٩٨ جاء الأفرنج وفي عشرة أيام أخذوا مصر »

قلت وقد رمَّم حائط الدير المتهدّم الجنرال كليبر الفرنساوي سنة ١٨٠١ م كما مرّ

﴿ ٤٩ . المطران قسطنديوس الثاني سنة ١٨٠٤ : ١٨٥٩ م ﴾ كان بطرك الاستانة ومطران الدير * وقد اطلعت في بعض أوراق الدير على هذه العبارة : «في ٢٥ أوغسطوس سنة ١٨٤٤ حضر الراهب جناديوس من قبل رهبان دير طور سيناء المقيمين بالجوانية (بالقاهرة) لجمع أثمار كرم النخيل بالطور فرأى ثمر الكرم ضامراً بسبب عدم تلقيحهِ فالزم المواطرة بالخسارة »

﴿ ٥٠ . المطران كيرلس الثاني من ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٥٩ : ١٨٦٧ م ﴾ سيم مطراناً على الدير في الاستانة . وفي أيامهِ بُنيت بوابة حوش الدير . وأسست المدرسة العبيدية سنة ١٨٦٠ . وفي هذه السنة عينها أهدت الحكومة اليونانية تابوتاً من الفضة وعلى غطائهِ صورة القديسة كاترينا وقد رصعت بالحجارة الكريمة كما مرَّ

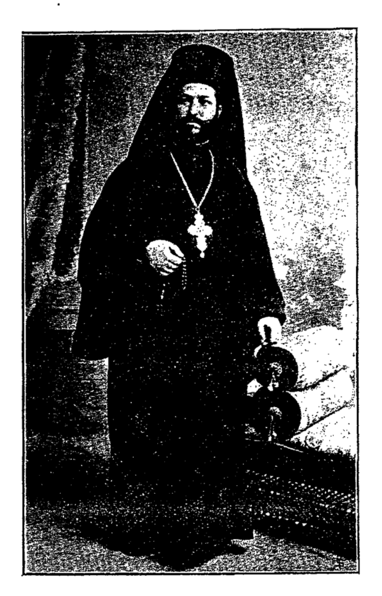
﴿ ٥١ . المطران كاليستراتس من أزمير سنة ١٨٦٧:١٨٨٥م ﴾ مات في مدينة الطور . وفي أيامهِ سنة ١٨٧٠ جعل للكنيسة قبَّة وعلّق فيها أجراس مختلفة كما مرَّ

﴿ ٩٢ . المطران پورفيريوس الأول من جانتا سنة ١٨٨٥ م ﴾ مرض واستعفى سنة ١٩٠٤ وأقام في جزيرة صاقس الى أن توفي فيها في ١٥ يوليو سنة ١٩٠٩ م . ثم نقلت رفاته الى معرض الجماجم في الدير ولا تزال هناك مع رفات مطارنة آخرين كما مرّ

﴿ ٥٣ . المطران پورفيريوس الثاني مطران دير طورسينا الحالي . سيم مطراناً على سيناء بعد استعفاء سلفهِ في ٢٣ أفريل سنة ١٩٠٤ . وقد تقدم لنا ذكر لمع من سيرته المجيدة عند الكلام عن جغرافية الدير

وقد ذهبت الى الدير في ٢٧ يناير سنة ١٩٠٥ مندوباً من قبل سعادة السردار لعقد اتفاق بين رهبان الدير وعرب الطور بشأن تأجير جمال لنقل الرهبان وأمتعتهم من مدينة الطور والسويس الى الدير وبالعكس فقضيت في الدير أربعة أيام الى أن تمَّ الاتفاق بين الفريقين وقد ذكر برمّتهِ في باب الجغرافية . وكان في الدير وضواحيهِ اذ ذاك نحو عشرين راهباً وفي الجهات التابعة للدير خارج سينا نحو ٤٠ راهباً . وعليهم السيد الكريم پورفيريوس رئيساً ومطراناً . والأب پوليكرپوس وهو شيخ جليل خزانداراً.

والأب افيانيوس أقلوماً أي مديراً عاماً للدير وجميع الأديرة التابعة لهُ في مصر والشام وأوربا. والأب بنيامين، وهو من القدس ولكنهُ متربٍ تربية يونانية ، أقلوماً خاصاً للدير



شكل ٨٤ الارشمندريت ثيودوسيوس الوكيل العام الحالي لدير طور سيناص ٢٣٣
وهو من أسلم رهبان الدير قلباً وأسدهم رأياً وأشدهم غيرة

ثم ذهبت بمأمورية خاصة الى جبل الفيروز فزرت الدير ثانية ومكثت فيهِ من ١٣ : ١٧ أفريل سنة ١٩٠٧ أطالع في مكتبتهِ العربية فاطلعت فيها على كثير من حقائق تاريخ الدير التي ضمها هذا الكتاب . وقد لقيت من الرهبان في زيارتي الأولى والثانية من العناية والحفاوة واللطف وخصوصاً من سيادة مطرانهِ بورفيريوس الثاني وأقلومهِ الأب بنيامين ما أودُّ ان أسجلهُ هنا بمداد الشكر والثناء

عود الى المدرسة العبيدية

قدمنا في باب الجغرافية عند ذكر المدرسة العبيدية التي يرئس مجلسها مطران سيناء « أن الأروام استأثروا بالمدرسة حتى لم يعد فيها تلميذ واحد من ابناء العرب . واني وجهت نظر مطران سيناء الحالي الى ذلك فأكد لي أنهُ بعد اتمام البناء المزمع اقامتهُ للمدرسة قريباً في ضواحي القاهرة سينشيءُ قسماً خاصاً ينطبق في كل الفروع على بروجرام وزارة المعارف المصرية ليكون لأبناء العرب من المدرسة نصيب» * وكان أبناء العرب من الروم الأرثوذكس قد تنبهوا الى أجحاف مجلس المدرسة بحقوقهم وهبُّوا للمطالبة بها فأعلمتهم بما وعد المطران فلم يكتفوا بهِ فعقدوا اجتماعاً عاماً في نادي الاتحاد السوري بالقاهرة في ٣١ مايو سنة ١٩١٤ وعينوا لجنة مؤلفة من ثمانية من الأعيان للدفاع عن حقوقهم المهضومة فأرسلت اللجنة الى مطران سيناء بصفتهِ رئيساً لمجلس المدرسة كتاباً بسطت فيهِ كيفية حرمان ابناء العرب من المدرسة بجعل اللغة اليونانية اللغة الاساسية للتدريس وطلبت اليهِ « تدريس العلوم بالعربية التي هي لغة البلاد أو بالفرنساوية التي هي لغة عامة حيَّة يستفيد منها الطلبة من جميع الأجناس على السواء . وطلبت اليهِ أيضاً تعيين عضو سوري ثالث في محل خال من مجلس المدرسة طبقاً للوقفية . . . » * فأجابها المطران بما معناه :

« ان المادة الثانية من قانون الواقف لا تسمح لأحد بالتدخُّل في أعمال المجلس وادارة المدرسة . وان المدرسة لم تقفل أبوابها قط في وجه ابناء العرب »

فردت اللجنة عليه بما مفاده : « ان المادة الثانية التي تشيرون اليها تقضي بعدم تدخل أحد «في ادارة المدرسة . . . والترتيب السنوي الذي يصير عليهِ المعوَّل من الوكلاء المحصور في أيديهم سياسة المدرسة » وأما نحن فلم نتعرَّض « لادارة المدرسة والترتيب السنوي » ولا هو المراد من كتابنا وانما مرادنا توجيه نظر المجلس لعدم مخالفة ارادة الواقف وروح الوقفية « في تلك الادارة وذلك الترتيب » . وهذا حق لكل وطني وقفت المدرسة لفائدتهِ . وأما قولكم ان المدرسة لم تقفل أبوابها في وجه الطلاَّب أبناء العرب فنجيب عنهُ بأن بروجرام المدرسة القاضي بجعل اللغة

اليونانية اللغة الاساسية لتدريس العلوم فيها هو الذي أقفل المدرسة في وجه ابناء العرب لأنهُ لا فائدة لأبناء البلاد من التضلع باللغة اليونانية». فلم يجب اللجنة عن جوابها هذا

وقد قدمنا في باب الجغرافية أن قنصلية روسيا بمصر جعلت المدرسة تحت حمايتها. ونزيد عليهِ هنا أنهُ لما أقرّت الدولة الروسية على المحاكم المختلطة في مصر قد استثنت منها قضايا المدرسة العبيدية واشترطت أن يبقى الفصل فيها لمحاكم القنصلية الروسية . وهذه هي صورة المادة القاضية بذلك من اتفاق المحاكم المختلطة المؤرخ في ٩ أكتوبر سنة ١٨٧٥ م عن كتاب المرحوم جلاد بك الجزء الثالث :

« المادة الرابعة : المدرسة المؤسسة في مصر من المرحوم روفائيل عُبَيد الروسي الحائزة على الحماية الروسية لا تحاكم أمام المحاكم الجديدة وتستمر كما في الماضي تابعة للمحاكم القنصلية الروسية عدا عن الدعاوي المتعلقة بالعقارات ملكها . وأنهُ لمن المفهوم ان اخراج المدرسة المذكورة من دائرة اختصاص المحاكم الجديدة هو بصفتها طائفة (شخص أدبي) . وبناء على ذلك الكاهن والاساتذة وكل من كان تابعاً للمدرسة المذكورة يقبون تابعين لجهة القضاء المقررة في مصر للجنسية التابعين لها»
(الامضاء) (ده لكس) وكيل قنصل جنرال الروسيا * (رياض) ناظر الحقانية» اه

فلما رأت اللجنة من المطران عدم التلبية لمطالبها التجأت الى جناب الموسيو سميرنوف قنصل روسيا الجنرال في مصر وطلبت اليهِ انصافها بصفتهِ حامي المدرسة والقاضي الفصل بمشاكلها . وكانت تطلعهُ على ما يجرى بينها وبين المطران في حينهِ . ففاوض المطران في مطالب اللجنة فأنكر عليهِ التدخل في أمر المدرسة كما أنكره على اللجنة وأصرّ على رأيهِ أو يُعفى من رئاسة المجلس . فأمر القنصل الجنرال باعفائهِ موْقتاً وسمى الوجيه ميشال بك لطف الله عضو السوريين في الجمعية التشريعية وأحد أعضاء لجنة الدفاع ، عضواً في مجلس المدرسة . وسمى الوكيل الميتر نقولا عبيد رئيساً موْقتاً للمجلس

وفى ١٨ يونيو سنة ١٩١٥ بحث المجلس الجديد في مطالب اللجنة فأصدر القرار الآتي : « تقرر تشكيل فصل سنة أولى مبتديان للقسم العربي » . قالوا وفي النية أن

يتدرج هذا القسم في الصفوف حتى يصبح مساوياً للقسم اليوناني وهو يتبع في الوقت نفسهِ بروجرام المدارس الأميرية مع ما فيهِ من الصفوف الانكليزية ليتمكن الطالب بهِ من نيل شهادة الكفاءة ثم شهادة البكلوريا . فاستحق المجلس على هذا القرار وهذه النية كل ثناء وشكران * نعم ان في قسمة صفوف المدرسة الى قسمين عربي ويوناني زيادة في النفقات لِمَا تتطلبهُ هذه القسمة من زيادة الغرف والمعلمين . الاّ أنهُ يمكن تلافي هذه الزيادة بتقليل عدد الطلبة أو بجعل الصفوف كلها قسماً واحداً تُدرّس فيهِ العلوم بالفرنساوية مع تدريس العربية واليونانية اللغتين الاخريين المشروطتين في الوقفية في صفوف خاصة والزام كل فريق اتقان لغتهِ مع درس مبادئ لغة الفريق الآخر

إلاّ أن في إنشاء القسم العربي على ما ينويهِ المجلس مزايا قد تربو فائدتها على جعل الصفوف كلها قسماً واحداً لأن القسم العربي يوجب اتقان اللغة العربية التي هي لغة البلاد واتقان اللغة الانكليزية التي هي لغة حماة القطر والتي لا بدَّ من اتقانها لطلاب وظائف البلاد الأميرية والتجارية . وهو في الوقت نفسه لا يحرم طلاّبه تعلُّم اللغة الفرنساوية ومبادئ اللغة اليونانية المشروط تعلُّمهما في الوقفية

وقبل اقفال هذا الموضوع لا بدَّ لي من إبداء أشدّ الأسف من وقوع الأزمة الحاضرة وإعفاء مطران سيناء ولو موقتاً من رئاسة المجلس . فقد قضيت في صحبة هذا السيّد الجليل عشر سنوات متوالية وخبرتهُ في كثير من الأعمال الرسمية والخصوصية فلم أرَ منهُ إلاَّ كل خلق كريم وقلب سليم مع عزَّة في النفس وشرف في المبدإِ وزهد في الدنيا . ولربما كان معذوراً لتمسكهِ برأيهِ في ما يتعلق بنظام المدرسة لأن أروع خلق فيهِ تناهيه في الغيرة على أبناء جنسهِ . وهذه الغيرة المتناهية مع سكوت أبناء العرب عن نصيبهم في المدرسة سنين طويلة حملاهُ على التدرُّج الى النظام الحالي فأصبح من الصعب جدًّا الرجوع عنهُ دفعة واحدةً والتنازل عن نصف منافع المدرسة للغير بعد ان كانت كلها لأبناء جنسهِ . وفي كل حال فاني أرجو انهُ يعود الى رئاسة المجلس قريباً ويأخذ أبناء العرب حقهم من المدرسة على يديه وتتفق جميع الآراء على ما فيهِ مصلحة الطلبة والمدرسة والبلاد والسلام العام

الباب الثاني

في

﴿ تاريخ سيناء الحديث ﴾

الفصل الاول

في

﴿ تاريخ سيناء منذ الفتح الاسلامي لمصر الى عهد الأسرة المحمدية العلوية ﴾

سنة ٦٤٠ : ١٨٠٥ م

﴿ ١ . عصر النبي محمد صلعم سنة ١ : ١١ هـ ٦٢٢ : ٦٣٢ م ﴾

كان أول آثار الاسلام وأنفسها في سيناء العهد الذي أعطاه النبي محمد لأهل ايلة . ثم العهد الذي قيل انهُ أعطاه لرهبان سيناء . وفي تقاليد بدو سيناء ورهبانها ان النبي محمد زار طور سيناء على جمل فترك الجمل أثر قدمهِ على قمة الطور كما مرّ

﴿ ٢ . عصر الخلفاء الراشدين سنة ١١ : ٤١ هـ ٦٣٢ : ٦٦١ م ﴾

ثم كان الفتح الاسلامي لمصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب على يد عمرو بن العاص وقد دخل مصر بطريق الفرما مارًّا برفح والعريش كما قدّمنا . وكان أول موضع قوتل فيهِ الفرما . قاومهُ الروم فيها مقاومة ضعيفة فاستولى عليها في أواخر سنة ٦٣٩ م بعد قتال شهرين . ثم تقدم الى بلبيس ففتحها وأخذ يفتح مصر بلداً بلداً حتى فتحها كلها وآخر بلد فتحها الاسكندرية سلمت لهُ يوم الخميس غرة محرم سنة ٢٠ هـ ٢١ ديسمبر سنة ٦٤٠ م

وكان العرب المسلمون قد أتموا فتح الشام سنة ٦٣٨ م وملكوا جزيرة العرب

كلها والعراق فأصبحت سيناء محاطة بالمسلمين من كل الجهات . وهاجر كثير من العرب المسلمين جزيرتهم الى مصر وسوريا فتخلّف بعضهم في سيناء وأخضعوا أهلها وأدخلوهم في دين الاسلام أو أجلوهم عنها واستوطنوها الى اليوم

٣ . الدولة الأموية سنة ٤١ : ١٣٢ هـ ٦٦١ : ٧٥٠ م

٤ . الدولة العباسية سنة ١٣٢ : ٦٥٦ هـ ٧٥٠ : ١٢٥٨ م

وبعد الخلفاء الراشدين قام على الاسلام الدولة الأموية فجعلت مركزها دمشق الشام . ثم الدولة العباسية فجعلت مركزها بغداد. وقام على مصر في عهد هذه الدولة دولتان اغتصبتا الملك من العباسيين وهما :

٥ . الدولة الطولونية ٢٥٤ : ٢٩٣ هـ ٨٦٨ : ٩٠٥ م

٦ . والدولة الاخشيدية ٣٢٤ : ٣٥٨ هـ ٩٣٥ : ٩٦٩ م

ولم يكن لملوك هذه الدول الأربع على شهرتها آثار تذكر في سيناء الآ ان سيناء كانت طريق سراياهم وسابلتهم . وقد أوقعوا بعض وقائعهم فيها

ذُكر في تاريخ خمارويه أحد ملوك الدولة الطولونية انهُ زوّج ابنتهُ «قطر النّدى» للخليفة المعتضد فجهّزها جهازاً يضرب بهِ المثل . من ذلك ٤٠٠٠ منطقة مرصعة وعشرة صناديق مملوءة جواهر وألف هاون من الذهب . ولما فرغ من جهازها أمر فبُني لها قصر على رأس كل مرحلة تنزل بها فيما بين مصر وبغداد وجعل في كل قصر من أسباب الراحة والترف ما يصلح لمثلها في حال الاقامة .

﴿ وقعة في العريش سنة ٩٠٥ م ﴾ وكان ببلدة العريش وقعة بين ابرهيم الخليجي الخارجي وعساكر المكتفي بالله في سنة ٩٠٥ م . وحاصل ذلك على ما نقل في دائرة المعارف لابن الوردي: « ان الخليجي الخارجي واسمه ابرهيم كان أحد قواد بني طولون وكان في نواحي مصر ، تخلف عن محمد بن سليمن من قوادهم أيضاً وذلك لما ولّى المكتفي عيسى بن محمد النوشري على مصر سنة مائتين واثنين وتسعين ، فكتب عيسى الى المكتفي بالخبر وكثرت جموع الخليجي وزحف الى مصر وخرج النوشري هارباً الى الاسكندرية وملك الخليجي مصر وبعث المكتفي العساكر مع

فاتك مولى أبيه المعتضد وبدر الحامي وعلى مقدمتهم احمد بن كيغلغ في جماعة من القواد ولقيهم الخليجي على العريش في صفر سنة مائتين وثلاث وتسعين (ديسمبر سنة ٩٠٥م) فهزمهم ثم تراجعوا وزحفوا عليه وكانت بينهم حروب فني فيها أكثر أصحاب الخليجي وانهزم الباقون فظفر عسكر بغداد ونجا الخليجي الى فسطاط مصر واختفى به ودخل قواد المكتفي المدينة وأخذوا الخليجي وحبسوه فأخبر المكتفي بذلك فكتب بحمله الى بغداد فبعث به فاتك فحُبس ببغداد » اه

﴿ وقعة في العريش سنة ٩٣٩ ﴾ « وفي سنة ٣٢٨ هـ (٩٣٩ م) أعطى الخليفة الراضي بالله لقب أمير الأمراء لمحمد بن رائق حكمدار فلسطين وكان مستقلاً بالحكم عنهُ . فلاح لهُ أن يغزو سوريا وكان عليها الأمير بدر من قبل محمد الأخشيد (والي مصر) لحاربه فهرب بدر فنهض محمد الأخشيد لانجاده مستخلفاً في مصر أخاهُ الحسن وعسكر في الفرما وكانت جيوش محمد بن رائق قد بلغت تلك البلد فتدخل بعض الأمراء فتصالحا وعاد محمد الأخشيد الى الفسطاط . وما بلغها حتى جاءه الخبر أن محمد بن رائق برح دمشق وفي نيته مهاجمة مصر فأسرع الأخشيد لملاقاته فالتقى مقدمة جيش ابن رائق في العريش فأوقع فيهم وهزمهم وأسر خمسماية رجل منهم ...» اه

٧ . الدولة الفاطمية سنة ٣٥٨ : ٥٦٧ هـ ٩٦٩ : ١١٧١ م

ثم كانت الدولة الفاطمية على مصر فكان من آثارها في سيناء الجامع الذي بناه الامر بأحكام الله ، عاشر خلفائها ، في وسط الدير كما مرّ

﴿ الحروب الصليبية ٤٨٩ : ٦٦٩ هـ ١٠٩٦ : ١٢٧٠ م ﴾ وفي عهد المستعلي ابن المستنصر سلف الآمر بدأت الحروب الصليبية الشهيرة التي أثارتها أوربا على الشرق . وكان السبب الأعظم الذي استفزّ أوربا لها « ظلم الأتراك السلجوقيين » لنصارى الشام وحجاج بيت المقدس[1]. وكان الممثل الأكبر لهذا الظلم في أوربا راهب فرنسي يدعى « بطرس الناسك » . وقد دامت هذه الحروب ٢٠٠ سنة ونيفاً غزا الاوربيون في أثنائها الشرق ثماني مرات وكان بينهم وبين مصر والشام والعراق وقائع شتى لا نذكر منها هنا الاَّ ما كان لهُ علاقة بتاريخ سيناء

(١) الواقع أن هذا السبب لم يكن سوى ذريعة، لكن تبقى الأسباب الحقيقة وراء الحروب الصليبية محل خلاف بين المؤرخين، لكن الوضع الاقتصادي المتردي في أوربا قبيل الحروب الصليبية كان من أهم الأسباب التي دفعت الجموع الفقيرة للانخراط في هذه الحرب.

﴿ حرق الفرما ﴾ « وفي أواخر سنة ٥١١ هـ ١١١٧م خرج بلدوين ملك الصليبيين من بيت المقدس لافتتاح مصر بجيش جرار فوصل الفرما فاستولى عليها[1] وذبح أهلها وأحرق جوامعها وهمّ أن يدخل مصر فداهمهُ مرض اضطره الى العود حالاً فعاد قاصداً بيت المقدس فمات قبل ان ادرك العريش بقليل فنزعوا احشاءه ودفنوها على تلة في الطريق وأقاموا على قبره حجراً كبيراً ولا يزال ذلك المكان معروفاً الى أيامنا هذه باسم بردويل كما مرَّ في باب الجغرافية * أما جثتهُ فحملوها الى بيت المقدس ودفنوها هناك بجانب جثة أخيهِ فردريك »

﴿ نهب الفرما ﴾ « وفي سنة ٥٤٨ هـ ١١٥٣م جدَّد الصليبيون هجماتهم على سوريا ومصر ونزلت العمارة السيسيلية على سواحل مصر وأحرقت مدينة تنيس في منتصف بحيرة المنزلة ونهبت الفرما الاَّ أنها لم تتقدم اكثر من ذلك فأخذت ما أمكنها حمله من الغنائم وعادت من حيث أتت »

« وفي سنة ٥٦٢ هـ ١١٦٧ م هاجم الصليبيون مصر عن طريق العريش وبلبيس ودخلوا القاهرة ثم انسحبوا الى سوريا بغنيمة »

٨ . الدولة الأيوبية ٥٦٧ : ٦٤٨ هـ ١١٧١ : ١٢٥٠ م

وفي زوال الدولة الفاطميــة قام على مصر صلاح الدين الأيوبي رأس الدولة الأيوبية وهو من أعظم رجال التاريخ واكبر ملوك الإسلام وأعرضهم جاهاً وأعلاهم قدراً واكرمهم خلقاً . وكان قائداً عظيماً وسياسيًّا محنكاً

﴿ فتح أيلة ١١٧٠ م ﴾ وكان لهُ شأن كبير مع الصليبيين في أيلة ومصر وسوريا . أما شأنهُ معهم في أيلة فقد تقدم ذكره في الكلام على أيلة عن وزيره القاضي الفاضل وخلاصته « انهُ في سنة ١١٧٠ م سار من مصر بعصابة من رجاله الاشداء ومعهُ مراكب مفككة حملها على الإبل ولما وصل عند أيلة (جزيرة فرعون) ركَّب تلك المراكب وأنزلها البحر ونازل أيلة برًّا وبحراً وما زال حتى فتحها في ٢٠ ربيع آخر سنة ٥٦٦ هـ ٣١ ديسمبر سنة ١١٧٠ م وجعل فيها جماعة من ثقاته وقوَّاهم بما يحتاجون اليهِ من سلاح وميرة وعاد الى مصر في آخر جمادى الأولى »

---

(١) كان بلدوين قد تمكن في بداية عام ١١١٧م من السيطرة على الطرق المؤدية إلى سيناء، وبنى قلعة في وادي موسى، لكن حملته في نهاية العام قد فشلت بسبب وفاته، راجع، حسن عبد الوهاب حسين، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٧، ص١٩٦.

١ . تجاه صفحة ٥٣٢



شكل خاص : ١٥ :

الملك المنصور السلطان يوسف صلاح الدين بن نجم الدين ايوب بن شادي

ولد بمدنية تكريت سنة ٥٣٢ ه ٧ — ١١٣٨ م وتوفي يوم الاربعاء ٢٧ صفرسنة ٥٨٩ ه ٤ مارس سنة ١١٩٣م ودفن بمدينة دمشق الشام . اما ابوهُ نجم الدين ايوب فتوفي ودفن بمصر يوم الثلاث ٢٧ الحجة سنة ٥٦٨ ه . وبعد سنتين نقلت جثتهُ الى المدينة المنورة مع جثة أخيه أسد الدين بامر صلاح الدين ودفنا في قبر جمال الدين الاصفهاني بالمدينة المنورة . اماالملك الافضل علي نور الدين اكبر أولاد صلاح الدين فتوفي ودفن بمدينة سميساط سنة ٦٢٠ ه .

٢ . تجاه صفحة ٥٣٢

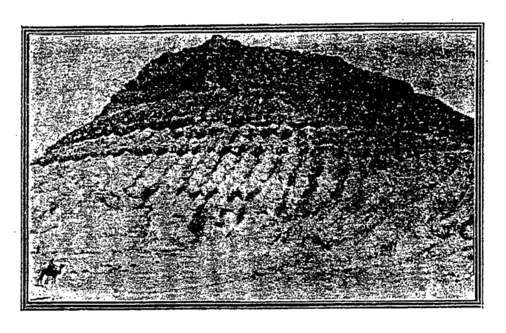


شكل خاص : ١٦ :

حفيد صلاح الدين الايوبي محمد علي علوي

ابن محمد علي علوي بك . بن علي . بن محمود . بن اسحق . بن ابراهيم . بن علي .
بن يوسف . بن مصطفى . بن محمد . بن البشير . بن مصطفى . بن علي . بن ابراهيم . بن محمد .
بن يوسف عثمان . بن علي . بن يوسف . بن الملك الافضل علي نور الدين ملك دمشق الشام
اكبر اولاد الملك المنصور السلطان يوسف صلاح الدين الايوبي

والظاهر أنهُ هو أوَّل من أنشأ « طريق العريش » بعد خراب تنيس والفرما حوالي سنة ١١٦٥ . وأنهُ في محاربة الصليبيين في أيلة طرق « درب الشعوي » . وقد أقام على هذه الطريق بقرب عين سدر قلعة حصينة تعرف بقلعة الجندي . وكل القرائن تدلّ أنهُ هو باني قلعة مبعوق بوادي الراحة وقلعة فرعون في جزيرة فرعون كما مرّ



شكل ٨٥ : قلعة الجندي وتعرف أيضاً بقلعة الباشا

﴿ قلعة الجندي ﴾ أما قلعة الجندي فانها قائمة على رأس أكمة مرتفعة على نحو ميل شمالي عين سدر .. وهذه الأكمة تنفصل عن جبال الراحة الى الشرق وتكشف سهولاً وأودية وجبالاً شتى الى كل الجهات . وقد مررت بهذه القلعة في رجوعي من نخل سنة ١٩٠٥ فقضيت نصف ساعة في تسلّق أكمتها الى أن وصلتها فاذا هي متهدّمة ولكن انقاضها تدل على أنها كانت من الحصانة والفخامة والاتقان على جانب عظيم . ولها باب كبير في الجهة الشمالية الغربية وفوق عتبة الباب حجر تاريخي عربي كبير مربع الشكل نُقش عليهِ بحروف ناتئة اسم باني القلعة وتاريخها وهذه صورتهُ :

« بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على محمد . خلد الله ملك مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين الملك يوسف بن . . . العادل الناصري في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وخمسماية هـ » (اوغسطوس ١١٨٧م)

وفي الجهة الجنوبية من القلعة جامعان متجاوران أحدهما الكبير ما زالت جدرانهُ قائمة تدلُّ على ما كان عليهِ في الأصل من جمال الصنعة والاتقان وعلى بابهِ حجر تاريخي عليهِ كتابة متآكلة لم يبقَ منها الاَّ اسم الجلالة : « الله » . وفي محرابهِ كتابة متآكلة أيضاً باقٍ منها هذه العبارة : « بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم صلِّ على محمد »

وتحت هذا الجامع صهريج ماء كبير كالصهاريج التي في قلعة جزيرة فرعون . ولهُ باب في سقفهِ في صحن الجامع وباب من الخارج في أسفل حائط الجامع الشرقي يُنزَل منهُ الى الصهريج بسلّم . ولهذا الباب سدّ من حجرٍ نقش عليه هذه العبارة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . صلّى الله على سيدنا محمد . خلّد الله ملك مولانا الناصر صلاح الدنيا والدين ملك الاسلام والمسلمين خليفة أمير المؤمنين . عمّر هذا الصهريج والجامع الملك علي بن محمد بن الناصري العادل المظفر . . . الملك . وكان فراغهُ شهر شعبان سنة تسعين وخمسمائة » ه (١١٩٣ م)

وأما الجامع الثاني الصغير الى الشمال منهُ فقد أدركهُ الخراب . ولم يبقَ منهُ الاَّ أساس محرابهِ . وقد قرأت على حجارته التي كانت مبعثرة بجانبهِ هذه الكتابة :

« مما استعملهُ الملك الناصر صلاح الدنيا والدين الملك العادل سيف الدين . وتولّى عمارتهُ الأمير صلاح الدين عبد القادر (؟) وكان فراغهُ في ذي القعدة سنة ثمان وتسعين وخمساية » ه (١٢٠١ م)

ومات صلاح الدين ودفن في دمشق الشام سنة ٥٨٩ ه ١١٩٣م ولكن ذكره لن يموت . وفي الشام ومصر والعراق عدة بيوت تنتسب اليه . ومنهم في مصر القاهرة محمد علي علاوي بك وهو ينتسب الى الملك الأفضل أكبر أولاد صلاح الدين من جهة أبيه والى النبي محمد صلعم من جهة أمهِ . وقد رأيت عمودَي النسب اللذين يحفظهما من جهة أبيه وأمه وأثبتُّ الأول منهما هنا . بل لو غاب عنا أصلهُ لدلّتنا عليه الأخلاق النبيلة التي انطبعت على جبينهِ وتجلّت في أقوالهِ وأفعالهِ . وأروع تلك الأخلاق : الشمم والمروءة والنجدة وعلو الهمة وسلامة القلب وشرف القصد والجرأة في الحق . ورأيت عندهُ فرماناً سلطانياً بالتركية تاريخهُ ١٤ صفر سنة ١٣٢١ه قال : « بهذا

الفرمان أملك حصة في خدمة الحرم النبوي الشريف فى المدينة قدرها نصف قيراط. ومرتبها في السنة من الوقف ست ليرات عثمانية يتناولها وكيلنا في المدينة الريس علي عبيد الويشي المؤذن بالحرم الشريف لإدائه الخدمة بالنيابة عنّا. ونصف القيراط هذا أملك نصفهُ لأني من سلالة صلاح الدين الأيوبي والنصف الآخر يملكهُ أكبر أولادي احمد فؤاد لأنهُ الوارث لوالدتي فاطمة التي هي من سلالة النبي (صلعم). ولقد كان عندي من آثار جدّي صلاح الدين سيفهُ وسبحتهُ . أما السيف فقد استفزّني عباس باشا الخديوي السابق وأنا صغير السن فأهديتهُ اليهِ في ٢٥ يناير سنة ١٩٠١م. وأما السبحة فقد أرسلتهـا هدية الى مولاي عبد العزيز سلطان مراكش على يد وزيره المنبّهي لما جاء الى مصر سنة ١٩٠٦ ولكن هذا الوزير لم يوصلها الى صاحبها بل أهداها الى الشريف عون الرفيق أمير مكة الاسبق رحمه الله» اه

قلت ولمحمد علي علوي بك نجل يسمى باسمهِ لهُ ملامح الرسم الذي قيل انهُ رسم صلاح الدين كما ترى من مقابلة الرسمين هنا

٩ · دولة المماليك البحرية ٦٤٨ : ٧٨٤ هـ ١٢٥٠ : ١٣٨٢ م

وبعد الدولة الأيوبية قام على مصر دولة المماليك البحرية وأعظم ملك قام فيها السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري (٦٥٨ : ٦٧٦ هـ ١٢٦٠ ١٢٧٧م) . وقد حارب الصليبيين نحو عشر سنوات من سنة ١٢٦١ : ١٢٧١ وكانوا قد عادوا الى أيلة فاسترجعها منهم سنة ٦٦٥ هـ ١٢٦٧م . وكانت طريق الحج المصري الى هذا العهد تمرّ بعيذاب في الصحراء الشرقية فلما فتح الملك الظاهر ايلة زار مكة بطريق السويس وأيلة سنة ٦٦٧ هـ ١٢٢٩م . وصارت هذه الطريق طريق الحج المصري من ذلك الحين الى سنة ١٨٨٤ اذ اتخذت طريق البحر الى جدة كما مرّ

واشتهر من ملوك هذه الدولة : السلطان منصور قلاوون (٦٧٨ : ٦٨٩م ١٢٧٩ : ١٢٩٠ م) وكان من آثاره في سيناء انهُ مهّد نقب العقبة فى درب الحج المصري كما مرّ * والملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ : ٧٤١ هـ ١٢٩٣ : ١٣٤٠ م) وقد حج الى مكة على درب الحج المصري على السويس وأيلة سنة ٧١٩ هـ ١٣١٩ م

١٠ . دولة المماليك الشراكسة ٧٨٤ : ٩٢٢ هـ ١٣٨٢ : ١٥١٦ م

ثم قامت دولة المماليك الشراكسة فكان أشهرها السلطان قانصوه الغوري ٩٠٦ : ٩٢٢ هـ ١٥٠١ : ١٥١٦ م وهو أكثر سلاطين مصر المسلمين آثاراً في سيناء فانهُ بنى القلاع على درب الحج المصري ومنها قلعة نخل وقلعة العقبة . ومهّد دبّة البغلة ونقب العقبة كما مرَّ في باب الجغرافية

١١ . الدولة العثمانية ٩٢٣ : ١٢١٣ هـ ١٥١٧ : ١٧٩٨ م

ثم كان الفتح العثماني لمصر على يد السلطان سليم الفاتح (٩١٨ : ٩٢٦ هـ ١٥١٢ : ١٥٢٠ م) وذلك أنهُ قام بينهُ وبين السلطان قانصوه الغوري صاحب مصر خلاف أدّى الى الحرب وكان قانصوه الغوري قد زحف بجيوشهِ من مصر فالتقى السلطان سليم في مرج دابق قرب حلبَ سنة ١٥١٦م فقُتل في الواقعة وانهزم جيشهُ . وسار السلطان سليم فافتتح غزة والعريش وقطية . ثم تقدم الى الصالحية فالقاهرة ففتحها عنوة وقبض على الملك الأشرف طومان باي آخر سلاطين المماليك على مصر وشنقهُ على باب زويلة سنة ١٥١٧ م * ومن ذلك الحين بقيت مصر تحت سلطة الاتراك أو سيادتهم الى أن قامت الحرب الحاضرة سنة ١٩١٤ فخرجت من سيادتهم كما سيجيء

وقد كان للسلطان سليم شأن مع رهبان طور سيناء والمشهور أنهُ هو باني قلعة الطور التي خربت من أساسها ولم يبقَ من آثارها الاَّ سجل « الأم » كما مرّ

وقد قدَّمنا أن السلطان سليمان (٩٢٦ : ٩٧٤ هـ ١٥٢٠ : ١٥٦٦ م) هو باني قلعة العريش ومرمم قلعة نخل * وان السلطان مراد الثالث (٩٨٢ : ١٠٠٣ هـ ١٥٧٤ : ١٥٩٤ م) رمَّم قلعة نخل ووسعها ورمم قلعة العقبة * وان السلطان أحمد الثالث ابن السلطان محمد الرابع رمم قلعة نخل سنة ١١١٧ هـ ١٧٠٥ م(١)

١٢ . الاحتلال الفرنساوي لمصر سنة ١٢١٣ : ١٢١٦ هـ ١٨٩٨ : ١٨٠١ م

ثم كان الاحتلال الفرنساوي لمصر على يد نابوليون بونابرت الشهير سنة ١٧٩٨ . وكان من آثاره في سيناء أنه أقرَّ امتيازات الدير ورمم قائده كليبر سور الدير كما مرّ. وكان لهُ مع الاتراك والانكليز شأن في قلعة العريش ومصر وتفصيل ذلك :

---

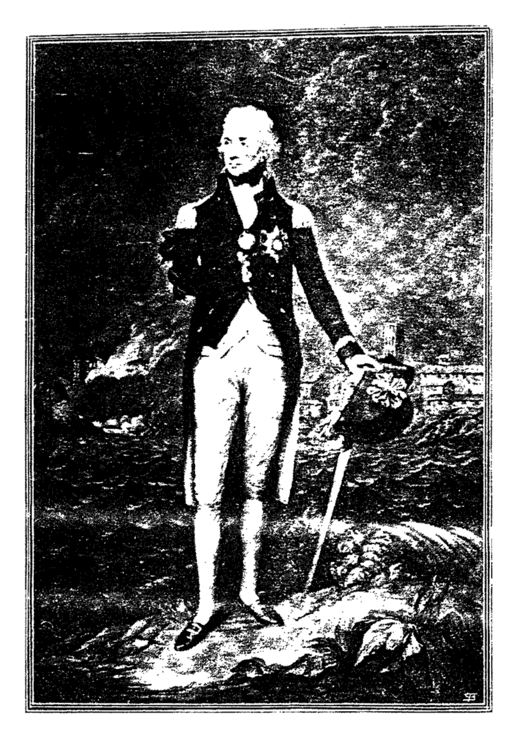
(١) ساعد الاستقرار والهدوء الذى عاشته سيناء طوال العصر العثمانى على سكان سيناء حيث كان لرواج حركة التجارة بين مصر والشام أثره على هؤلاء السكان الذين قاموا بنقل التجارة بين البلدين . وان كان هذا الهدوء والاستقرار تقطعه فترات الجفاف والحروب القبلية التي كانت تؤثر على اقتصاديات السكان .

١ . تجاه صفحة ٥٣٦



شكل خاص ١٩ : نابوليون بونابارت الكبير

٢ . تجاه صفحة ٥٣٦



شكل خاص ٢٠ : اللورد نلسون الشهير

انهُ لما قام بونابرت في فرنسا كانت مصر تتعثَّر بيد المماليك تحت سلطة الاتراك وكان العداء مستحكماً بين فرنسا وانكلترا . فخطر لبونابرت احتلال مصر طمعاً بثروتها وأملاً بعرقلة تجارة الانكليز في الهند . فسار اليها بجيش مؤلف من نحو ٤٠ الف مقاتل و ١٢٢ رجلاً من العلماء وأرباب الفنون تقلّهُ ٧٠٠ سفينة وتصحبهُ عمارة بحرية مؤلفة من نحو ١٠٠ مركب حربي كبير وصغير أكبرها مركب « الشرق » بقيادة الأميرال بُرويس فنزل الاسكندرية في ٢ يوليو سنة ١٧٩٨ وافتتحها عنوة . ثم تقدم الى مصر القاهرة فالتقاهُ مراد بك بنحو ٦٠٫٠٠٠ مقاتل عند امبابه قرب الاهرام في ٢١ يوليو فصف جنودهُ للقتال وخطب بهم قائلاً جملتهُ المأثورة : « أيها الجند ان أربعين قرناً تنظر اليكم اليوم من أعلى هذه الأهرام » ثم أمرهم بالهجوم فأوقعوا بعساكر مراد بك موقعة هائلة كان النصر فيها لهم وملك بونابرت مصر

على أن دخول بونابرت مصر أثار عليهِ الاتراك والانكليز معاً فاتحدوا على اخراجهِ منها فأرسل الانكليز الى مصر عمارة معقودة اللواء للاميرال نلسن فأدرك العمارة الفرنساوية في أبي قير في أول أغسطوس فدمَّرها كلها تقريباً وقتل أميرالها بُرويس وبذلك قطع على الفرنساويين المواصلة مع أوربا وترك للانكليز السيادة المطلقة في البحر فأخذوا يجهزون جيشاً لإنزالهِ مصر * وأصدر السلطان سليم الثالث منشوراً أعلن فيهِ الحرب على الفرنساويين وشرع يحشد جيشاً كبيراً في رودس وآخر في دمشق الشام لاجلاء بونابرت عن مصر وأمر أحمد باشا الجزَّار والي عكا فأنفذ جيشاً احتل العريش . فبعث اليهِ بونابرت أن يخلي المدينة لأنها ضمن حدود مصر فأبى

وكان نابليون عالماً بما يعدُّه الاتراك والانكليز من الجيوش لمقاومته فرأى أن لا بدَّ لهُ لقمعهم وتثبيت قدمهِ في الشرق من فتح سوريا فأعدَّ لذلك حملة مؤلفة من ١٣ ألف مقاتل من المشاة والطوبجية . وقد عهد في قيادة القاهرة والاسكندرية والصعيد الى ثلاثة من قوادهِ وحصَّن رشيد ودمياط . وفي ١ فبراير سنة ١٧٩٩ أمر الجنرال كليبر والجنرال رينير فسارا في مقدمة الجيش الى العريش. وارسل المثقلات وادوات الحصار سرًّا في البحر. وفي ١٠ فبراير سار برًّا ببقية الجند وأخذ العريش في ١٩ فبراير سنة ١٧٩٩

﴿ فتح نابليون العريش ﴾ وجاء في تاريخ الجبرتي من حوادث سنة ألف ومائتين وثلاث عشرة (١٧٩٨م): «ان بونابرت سرّ عسكر الفرنساوية استولى على مدينة العريش في توجهه الى الشام وكان فيها جملة من المماليك ونحو ألف عسكري من المغاربة والأرنووط فحضر اليهم الفرنسيس الذين كانوا في المقدمة في آخر شعبان (٥ فبراير ١٧٩٩ م) وأحاطوا بالقلعة ووقع القتال بين الفريقين واستمر من بالقلعة يدافعون عن أنفسهم الى أن حضر بونابرت بجيوشهِ بعد أيام فاشتد الحصار فأرسل من بالعريش الى غزة يستنصرون بهم فأرسلوا لهم نحو السبعماية عسكري وعليهم قاسم بك أمير البحرين فلم يتمكنوا من الوصول الى القلعة لتحلق الفرنساوية بها وأحاطتهم حولها فنزلوا قريباً من القلعة فكبسهم عسكر الفرنسيس بالليل فاستشهد قاسم بك وجماعتهُ وانهزم الباقون . ولم يزل أهل القلعة يحاربون الى ان فرغ منهم البارود والذخيرة فطلبوا عند ذلك الأمان فأمنوهم وذلك بعد حصار أربعة عشر يوماً . فلما نزلوا على أمانهم أرسلوا المماليك والكشاف الى مصر مع الوصية بهم وتخلية سبيلهم فحضروا مصر في الخامس والعشرين من رمضان (٢ مارس سنة ١٧٩٩) وأخذوا سلاحهم وخلُّوا سبيلهم . واما باقي العسكر الذين كانوا بقلعة العريش فبعضهم انضاف الى الفرنساوية فأعطوهم جامكية وعلوفة وجعلوهم بالقلعة مع عسكرهم والبعض لم يرضوا بذلك فأخذوا سلاحهم وأطلقوهم» . . . «ثم سار بونابرت الى الشام قصد فتحها فأخذ غزة بلا قتال . ثم أخذ يافا وتقدم الى عكا فحصرها وكان الانكليز قد حضروا لنجدة الترك (بعمارة حربية يقودها السر سدني سمث) فاضطر نابليون أن يرفع الحصار عن عكا ويرجع الى مصر . وفي ٢ يونيه وصل الفرنساويون العريش فأمر نابليون بتحصينها وكان ماؤها كثير العلق فقاسى الفرنساويون كثيراً منها . واستمروا راجعين الى مصر فوصلوها (٢١مايو) بعد أن قاسوا المشاق بها من حرّ الصحراء وفتك الطاعون» اه

ولم يكادوا يستريحون من مشاق هذه الحملة حتى وصل مصر الجيش الذي أعده السلطان في رودس وكان يبلغ نحو ١٨٠٠٠ مقاتل فنزلوا في أبي قير بقيادة مصطفى باشا وقامت على حمايتهم في البحر العمارة الانكليزية بقيادة السر سدني سمث وكانت

هناك حامية فرنساوية فهزموها فأسرع بونابرت اليهم بنحو ٦٠٠٠ مقاتل واشتد القتال بينهُ وبينهم ففاز نابليون وأخذ مصطفى باشا أسيراً (٢٥ يوليو) . وكان بين المقاتلين في صفوف العثمانيين « محمد علي » الذي كان لهُ الشأن الأكبر في تاريخ مصر الحديث

وحدث في فرنسا اذ ذاك ما استوجب رجوع نابليون اليها فبرح مصر سرًّا في ٢٣ أغسطوس سنة ١٧٩٩ وأناب عنهُ في مصر الجنرال كليبر . ولم يكن من رأي هذا القائد الحكيم احتلال مصر احتلالاً دائماً لعدة أسباب : ١ . اختلاف هوائها عن هواء بلادهِ ٢ . اختلاف أهلها عن أهلهِ في العادات والأخلاق ٣ . نفرة الأهلين من الفرنساويين بسبب الاختلاف الديني ٤ . لان الفرنساويين في احتلالهم مصر كان لا بدَّ لهم من محاربة دولتين عظيمتين وهما انكلترا وتركيا

هذا ولم يكن لدى كليبر اذ ذاك من الجنود والذخائر ما يكفيه للقيام بما يستوجبهُ احتلال مصر والدفاع عنها زمناً طويلاً ولم تكن هناك عمارة تعزز مركزه بحراً أو تمدُّهُ بنجدة عند الحاجة وكان الجيش الفرنساوي قد نقص عدده والجيش العظيم الذي كان يعدُّه السلطان في دمشق الشام قد زحف قاصداً مصر بقيادة الصدر الأعظم يوسف باشا وقد وصل يافا . لذلك عقد كليبر النية على اخلاء القطر المصري بأول فرصة . فأخذ يفاوض السر سدني سمث أميرال العمارة الانكليزية في الاسكندرية والصدر الأعظم يوسف باشا في أمر وفاق يوقفون فيه هذه الحرب فانتهت المفاوضة بمؤتمر عُقد في العريش مؤلف من الصدر الأعظم من العثمانيين والجنرال ديزه والموسيو بوسيلك من الفرنساويين وأقرُّوا على معاهدة صلح أُمضيت في ٣ ديسمبر سنة ١٧٩٩

﴿ استرجاع العريش ﴾ لكن هذه المعاهدة لم تطل مدتها فان العثمانيين خرقوها وهاجموا العريش وأخذوها عنوة في ٣٠ ديسمبر ١٧٩٩ ؟ * قال الجبرتي : « وفي شهر رجب سنة ١٢١٤ هـ وصل الوزير الأعظم يوسف باشا وصحبتهُ نصوح باشا الى العريش وحاصروها وبعد قليل استولوا عليها في تاسع عشر الشهر وقتلوا من بها من الفرنساوية واستحوزوا على ما كان فيها من الذخيرة والجبه خانة وآلات الحرب . وصعد مصطفى باشا الذي باشر الاستيلاء على القلعة مع جملة من العسكر وبعض

الأجناد المصرية الى داخل القلعة فاتفق أن وقعت نار على مكان بجبخانة البارود المخزون هناك فاشتعلت وطارت القلعة بما فيها واحترقوا وماتوا وفيهم الباشا المذكور ومات كثير ممن كان خارجاً عنها و بقربها بما نزل عليهم من النار والأحجار » اه

ولما اتصل خبر سقوط العريش بالجنرال كليبر استشاط غضباً ولكنهُ كان عالماً بعجزهِ فعاد الي المفاوضة بشأن الصلح . وعُقِـد مؤتمر ثانٍ في العريش في ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ ممَّن عقدوا المؤتمر الأول وعثماني آخر وأقروا على معاهدة عرفت « بمعاهدة العريش » مآلها أن يخرج الجيش الفرنساوي حرًّا من مصر وأن تُقِلَّهُ المراكب الانكليزية على نفقتها الى فرنسا دون أن يُنزَع منهُ سلاحهُ . ولكن انكلترا أبت الموافقة على هذه المعاهدة وطلبت من « كليبر » التسليمَ والجلاءَ بلا شرط . فعدَّ طلبها هذا اهانة . وكان يوسف باشا قد وصل بجيشهِ الكبير (نحو ٧٠ الفاً) الى المطرية ولم يكن مع كليبر من الجنود إلَّا ١٠ آلاف فهاجمهُ في ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠م وهزمهُ شر انهزام

وفي ١٤ يونيو سنة ١٨٠٠ هجم على « كليبر » وهو يتمشى في القاهرة شرير مأجور يُدعى سليمان الحلبي وطعنهُ بخنجر طعنات قضت عليهِ حالاً . فخلفهُ الجنرال « مينو »

وفي ٨ مارس سنة ١٨٠١ أنزل الإنكليز الى البر في أبي قير جيشاً (نحو ١٤ الفاً) بقيادة السر رَالف أبركرومبي على رغم حامية الاسكندرية وانتهى الخبر الى « مينو » فترك في القاهرة ٥٠٠٠ مقاتل بقيادة « بليارد » وسار لملاقاة الانكليز فقابلهم قرب الاسكندرية في ٢١ مارس فغُلِب وانهزم الى الاسكندرية . وجُرِح القائد الانكليزي ابركرومبي في هذه المعركة ومات لثمانية أيام من نصره فخلفهُ على الجيش الانكليزي الجنرال هتشنسون. وقد أمكن تركيا في هذه الأثناء أن تمدهُ بنجدة جديدة ضاعفت قوتهُ فأرسل ١٢٠٠٠ مقاتل ففتح رشيد (١٩ ابريل) وزحف بجيشهِ على القاهرة . ثم لحق بهِ يوسف باشا الصدر الأعظم بعد ان فتح دمياط فاجتمع الجيشان تحت أسوار القاهرة فقاومهما « بليارد » حيناً ثم اضطر الى مفاوضتهما في الصلح على شروط معاهدة العريش وسلم القاهرة في ٢٦ يونيو سنة ١٨٠١ . وفي ٧ أوغسطوس نقلتهُ المراكب الانكليزية هو وعساكره الى فرنسا

ولما علم « مينو » بتسليم « بليارد » اغتمَّ جدًّا وصمَّم على الدفاع حتى النفَس الأخير

تجاه صفحة ٥٤١



شكل خاص ١٧ : محمد علي باشا الكبير

وكان الانكليز قد أرسلوا نجدة من الهند ٦٤٠٠ مقاتل من الانكليز والهنود بقيادة الجنرال بيرد فأتت بطريق القصير وقنا ووصلت القاهرة في ١٠ أوغسطوس. فسار هتشنسون بجيوشهِ الى الاسكندرية وحصرها برًّا وبحرًا من كل الجهات فاضطر «مينو» الى التسليم في ٢ سبتمبر بالشروط التي سلَّم بها «بليارد». وتم جلاء الفرنساويين عن مصر في منتصف أوكتوبر سنة ١٨٠١ وقد فقدوا عمارتهم وفوق العشرة آلاف من جندهم

وهكذا عادت مصر الى تركيا بمعونة انكلترا. ولكن ما ولّى الانكليز ظهورهم مصر حتى وقع نزاع شديد على السلطة فيها بين الألبانيين والمماليك فتغلب حزب الألبانيين واختار المصريون «محمد علي باشا» حاكمًا عليهم فثبتهُ الباب العالي فكان رأس الاسرة المحمدية العلوية الكريمة التي مازالت حاكمة في مصر وسيناء الى هذا العهد

الفصل الثاني

في

﴿ تاريخ سيناء في عهد الأسرة المحمدية العلوية ﴾

سنة ١٨٠٥ : ١٩١٤ م

١ · محمد علي باشا مؤسس الأسرة سنة ١٨٠٥ : ١٨٤٨ م

لما تولّى محمد علي باشا مصر كانت سيناء في جملة ما دخل في حوزتهِ من أملاك مصر. وكان عرب سيناء يحكمهم قضاة منهم بحسب عرفهم وعاداتهم. وكانت مدينة الطور تابعة في الإدارة لمحافظة السويس. وقلعة نخل وغيرها من القلاع الحجازية ملحقة بقلم الرزمانة بالمالية المصرية. ونظارة العريش تابعة رأسًا لنظارة الداخلية.[1]

﴿ الثورة الوهابية سنة ١٨١١ : ١٨١٨ م ﴾ ولما كانت الثورة الوهابية في نجد والحجاز سنة ١٨١١م عهد السلطان محمود الثاني بأمر اخمادها الى محمد علي باشا ففكر في الطريق التي يسلكها بجيوشهِ فرأى أنهُ اذا سار بطريق سيناء فان قلة الماء توقعهُ

---

(١) الواقع أن محمد على أنشأ منذ عام ١٨١٠ نظاما إداريا صارت بمقتضاه العريش ومنطقة سيناء الشمالية محافظة إدارية بينما كانت منطقة جنوب سيناء تابعة لمحافظة السويس، ونخل والعقبة وقلاع شمال الحجاز مثلث وحدة إدارية أطلق عليها القلاع الحجازية كانت تابعة لديوان الروزنامة .

في الفشل فآثر طريق البحر الأحمر الى ينبع . ولم يكن عندهُ عمارة بحرية تقل جيشهُ اليها فأسس دار الصناعة في بولاق وبني السفن قطعاً وحملها الى السويس فركبت فيها سفناً كاملة الأدوات والعدد وسيَّر بها جيشاً مؤلفاً من ٨ آلاف مقاتل بقيادة ابنهِ الثاني طوسون باشا فسار الى ينبع واتخذها قاعدة لأعماله الحربية وأرسل بعض مهماتهِ العسكرية بطريق سيناء . وزحف طوسون باشا من ينبع ففتح المدينة ومكة بعد مواقع دموية . وفي سنة ١٢٢٩ هـ ١٨١٤ م سار محمد علي باشا لنجدتهِ وأدَّى فريضة الحج ثم عاد الى مصر قبل أن يجهز على الوهابيين . وتبعهُ طوسون باشا فأصابهُ صرع شديد قضى عليهِ ولم يمهلهُ الاَّ بضع ساعات

وفي سنة ١٨١٦ سير محمد علي باشا جيشاً جديداً بقيادة ابنهِ الاكبر ابراهيم باشا فسار الى ينبع بطريق قنا والقصير وزحف على نجد بطريق المدينة فأجهز على الوهابيين وخرَّب عاصمتهم درعية وأسر زعيمهم عبد الله وأرسله الى مصر ومنها الى الاستانة حيث احتزّ رأسهُ سنة ١٨١٨ . فكافأ السلطان ابراهيم باشا بلقب «والي مكة» وكافأ محمد علي بلقب « خان » وأعطاهُ طشيوز ملكاً لهُ لقربها من قَولَه مسقط رأسهِ فوقف محمد علي ريعها على ما أنشأه في قولَه من المدارس والتكايا وما زال وقفهُ نافذاً للآن

﴿ الحملة على سوريا سنة ١٨٣١ : ١٨٤١ ﴾ هذا وكانت بلاد اليونان في هذا العهد تعمل على خلع سلطة الاتراك واستعادة استقلالها فهبّت للثورة سنة ١٨٢١ وأيدتها أوربا . فطلب السلطان نجدة من محمد علي ، وكان قد فرغ من فتح السودان ، فأنجده بعمارة تقل ١٧ ألف مقاتل تحت قيادة ابنهِ ابراهيم باشا سنة ١٨٢٤ ففتح في بلاد اليونان مدناً وحصوناً وكاد يخضعها كلها لولا أن انكلترا وفرنسا وروسيا أرسلت مراكبها الحربية فشتتت العمارة التركية والعمارة المصرية في موقعة نفارين الشهيرة في ٢٠ اوكتوبر سنة ١٨٢٧ م فسلمت تركيا باستقلال اليونان وعاد ابراهيم باشا الى مصر. وتنازل السلطان عن جزيرة كريت لمحمد علي لقاء ما خسرتهُ مصر من المال والرجال . قيل وكان محمد علي يرمي الى امتلاك البلاد العربية كلها وقد أمَّل أن ينال سوريا من السلطان فلما لم ينلها أخذ يتحين الفرص لضمها الى مصر بالقوة

وفي سنة ١٨٣١ وقع بينهُ وبين عبد الله باشا والي عكا خلاف فاتخذ ذلك حجة لاحتلال سوريا فجرد حملة في البر والبحر بقيادة ابنهِ ابراهيم باشا فسيَّر هذا في البر بطريق العريش (١ نوفمبر سنة ١٨٣١) ٢٤ ألفاً من المشاة معهم ٨٠ مدفعاً ونيفاً وسار هو في البحر الى يافا ومنها الى عكا فحصرها بحراً وبرًّا نحو ستة أشهر وأخذها عنوة في ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢. ثم توغل في البلاد فملك دمشق الشام واشتهر ملكه بالعدل

ولما علم السلطان محمود بما كان من محمد علي في سوريا أصدر فرماناً بعزلهِ وتجريده من ألقابهِ وأنفذ الى سوريا الشمالية ٣٥ ألف مقاتل بقيادة محمد باشا والي طرابلس لمقاومة ابراهيم باشا فالتقاهُ بقرب حمص في ٩ يوليو سنة ١٨٣٢؛ ففاز ابراهيم باشا عليهِ وهزمه وتقدم الى حلب فسلمت لهُ في ٢١ سبتمبر فترك فيها حامية وتابع مطاردة جيش حمص فأدركه في مضيق بيلان في جبل اللكام وهزمهُ مرة ثانية وغنم كثيراً من مدافعهِ. وجرّد السلطان محمود جيشاً آخر فكان نصيبهُ كالاول[1]

ولما تمّ لابراهيم باشا فتح سوريا تقدم الى آسيا الصغرى فاستولى على أطنه وطرسوس. ثم انتهى اليهِ أن السلطان أعدَّ جيشاً ثالثاً بقيادة الصدر الأعظم رشيد باشا فجدّ للقائهِ. وفي ديسمبر التقاهُ في قونيه فمزّق شمله وأسر قائده وهدّد الاستانة. فخافت أوربا العاقبة وقامت لتوقفهُ عند هذا الحد. فأبرمت «معاهدة كوتاهيا» سنة ١٨٣٣ وفيها تنازل السلطان محمود لمحمد علي عن مصر والحجاز وكريت. ولابراهيم باشا عن سوريا وأطنه على أن يكون كلاهما تابعاً للباب العالي ويدفع لهُ جزية سنوية

ولكن السلطان محمود ما لبث أن استعد لاستعادة سوريا من ابراهيم باشا فأرسل لقتالهِ ٨٠,٠٠٠ مقاتل بقيادة حافظ باشا. فالتقاهم ابراهيم باشا في سهل نزيب غربي عين تاب في ٢٤ يونيو سنة ١٨٣٩ وهزمهم الى مرعش وقتل وأسر وغنم. وكانت الدولة قد أرسلت عمارة بحرية الى ثغر الاسكندرية فسلمت الى محمد علي بلا قتال

ومات السلطان محمود بعد موقعة نزيب بثمانية أيام فخلفهُ السلطان عبد المجيد وعقد مع روسيا وبروسيا وأوستريا وانكلترا «معاهدة لندن» في ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ سلَّم بمقتضاها أن يكون حكم مصر لمحمد علي وذريتهِ الاكبر فالاكبر من بعده، على

(١) أثار انتصار الجيش ما سمي بالمسألة الشرقية ووقفت الدول الأوربية مواقف مختلفة تبعاً لاختلاف أطماعها ومصالحها. فقد أعلن بالمرستون أن الحكومة البريطانية مهتمة بضرورة الحفاظ على كيان الدولة العثمانية أما فرنسا فقد كانت تميل الى إقرار محمد علي في سوريا وجزيرة العرب طبقاً لصلح كوتاهية.

قاعدة الوراثة في السلطنة العثمانية ، وان تكون ولاية عكا لهُ مدة حياتهِ على أن يتنازل لقاء ذلك عن سائر فتوحاتهِ . وبعثت الدولة الى محمد علي تبلغهُ رسمياً هذه المعاهدة فأبى التسليم بها واستعد للقتال وكانت فرنسا تعضدهُ . فأصدر السلطان فرماناً بعزلهِ عن مصر وخرجت عمارات الدول المتحالفة الى سوريا لترغم ابراهيم باشا على الجلاء عنها ففتحت سواحل سوريا واقلعت العمارة الانكليزية الى الاسكندرية ففاوضت محمد علي في أمر الصلح على أن يسلم سوريا والعمارة العثمانية في الحال وأن يكتفي بمصر لهُ ولذريتهِ. وان لا يتجاوز عدد الجيش المصري ١٨ ألف جندي . وأن يضرب النقود باسم السلطان » . وقد صدر الفرمان الشاهاني بذلك بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٨٤١م . ولم يكن محمد عليّ بعد فتوحاتهِ المجيدة راضياً بهذه النتيجة ولكنهُ قبلها مضطراً اختياراً لأهون الشرين . وقد امر جنودهُ ، قبل صدور الفرمان ، بالرجوع عن سوريا قيل فعادوا منها ٥٠ الفاً وكانوا قد ذهبوا اليها ١٣٠ الفاً

هذا وكان ابراهيم باشا قبل قيامهِ بالحملة على سوريا قد رمم بئر قطية و بئر العبد و بئر الشيخ زويّد ونظم بريداً على الهجن الى غزة وجعل لهُ المحطات الآتية : القنطرة. قطية . بير العبد . بير المزار. العريش. الشيخ زويّد . خان يونس . غزة. ووضع الخفراء على الآبار لحمايتها * ولما رجع بجيشهِ من سوريا نقض عليهِ السواركة والترابين فنهبوا محطات البريد في الشيخ زويد وبير المزار فجرَّد عليهم عرب الهنادي من مصر لتأديبهم فساروا في طريق العريش وكانوا كلما صادفوا عربيًّا في طريقهم جردوهُ من مالهِ فنفرت العربان الى الجبال فجمع الهنادي ماشيتهم وساقوها أمامهم الى خان يونس فاجتمع منها هناك شيء كثير حتى قيل ان رأس الماعز بيع بقرشين

٢ . ابراهيم باشا ابنه من يونيو الى نوفمبر سنة ١٨٤٨ م

وفي يونيو سنة ١٨٤٨ انحرفت صحة محمد علي حتى لم يعد في استطاعتهِ إدارة الأحكام فتولى مصر ابنه الاكبر ابراهيم باشا . ولكنهُ لم يلبث أن راجعهُ انحراف كان قد طرأ على صحتهِ واشتد عليهِ بغتةً ففارق هذا العالم في ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨ قبل أن يخرج الى حيز العمل ما كان قد نواه من الخير لبلاده . ثم توفي محمد علي باشا بعدهُ في ٢ أوغسطوس سنة ١٨٤٩ م تغمدهما الله برحمتهِ وأسكنهما فسيح جناتهِ

هذا وفي أيام محمد علي باشا، سنة ١٨١٠، طرق سيناء الرحّالة الشهير «بورخارت» فكان أول سائح جال في سيناء وكتب عنها في هذا العهد.[1]

وفي سنة ١٨٢٥ أرسل محمد علي مهندساً فرنساوياً يسمى الموسيو «لينان»[2] الى بلاد الطور فدرس معادنها ورسم خارطتها وسمَّى نفسهُ هناك «عبد الحق». وكانت الخارطة التي رسمها أول خارطة وُضعت لسيناء في التاريخ الحديث

٣ . عباس باشا الأول بن طوسون باشا بن محمد علي سنة ١٨٤٨ : ١٨٥٤ م

وبعد وفاة ابراهيم باشا تولى مصر عباس باشا اكبر أولاد الأسرة العلوية . وقد زار سيناء واهتم بها اهتماماً كبيراً وظهر أنهُ نوى أن يجعلها مصيفاً له فبنى فيها الحمام فوق النبع الكبريتي قرب مدينة الطور . ومهَّد طريقاً من دير طور سيناء الى قمة جبل موسى . وشرع في بناء قصر جميل على جبل «طلعة» غربي جبل موسى . وشرع في مدّ طريق للعربات من مدينة الطور الى القصر ولكن عاجلتهُ المنية قبل أن يتمها . وكان لرهبان الدير والجبالية حدائق عند جبل طلعة فأخذها منهم وعوَّض عنها الجبالية مبلغاً كبيرًا يساوي أضعاف الثمن وعوّض الرهبان «أبعدية» في سرياقوس بمصر مساحتها نحو مئة فدان من أجود الأطيان وهي الآن من أفضل أملاكهم وأنفعها

٤ . سعيد باشا نجل محمد علي باشا سنة ١٨٥٤ : ١٨٦٣ م

وخلفهُ سعيد باشا نجل محمد علي باشا . وهو الذي اذن في حفر ترعة السويس سنة ١٨٥٦ م . وأسس محجر الحجاج في سيناء سنة ١٨٥٨ م كما مرّ

٥ . اسماعيل باشا بن ابرهيم باشا سنة ١٨٦٣ : ١٨٧٩ م

وخلفهُ اسماعيل باشا بن ابرهيم باشا . وفي أيامهِ، سنة ١٨٦٨م، أرسل الانكليز لجنة علمية برئاسة الاستاذ هنري بلمر للتنقيب في بلاد الطور فأقامت فيها ستة أشهر رسمت في أثنائها عدة خرائط وأخذت نحو ٣٠٠ صورة شمسية تمثل أخص مواقع البلاد ونشرت خلاصة أعمالها وآرائها سنة ١٨٧٢ م في كتاب كبير.[3]

وفي أيامهِ تمت ترعة السويس فاحتفل بافتتاحها في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ احتفالاً شائقاً لم ترَ مصر مثلهُ في تاريخها الحديث . وقد أنشأ عند منتصف الترعة

---

(١) قضى بوركهارت في عام ١٨١٦م عدة أسابيع في سيناء، فارتدى ملابس عربية واقلع من السويس و بصحبته خادم و مرشد من البدو لكنه لم ينجح في الوصول إلى العقبة . و تقريره (رحلات في سوريا و الأرض المقدسة، لندن ١٨٢٢) لم ينشر حتى وفاته، و قد أشتمل كتابه علي وصف للأرض و السكان في سيناء

(٢) لعب لينان دورا مهما في مشروعات محمد علي خاصة فيما يتعلق منها بالري، فقد اقترح عليه بناء عدد من الجسور لزيادة مساحة الأرض المزرعة، كما لعب دورا في مشروع القناطر الخيرية

(٣) رحلة علي الأقدام في برية توهان الأربعين عاما كمبردج ١٨٧١

بلدة خاصة لهذا الغرض سماها باسمهِ (الاسماعيلية) . ودعت الحاجة الى انشاء قرية في طريق العريش على شاطىء الترعة الشرقي لجهة سيناء سميت « بالقنطرة » وقد مرَّ وصفها

وكان اسماعيل باشا كبير المطامع شديد الرغبة في اصلاح بلاده وتمدينها . وكانت الولاية في مصر الى عهده لا تزال تنتقل الى الأكبر فالأكبر من أفراد الأسرة المحمدية العلوية فسعى في جعلها لبكر أبنائه ولبكر هذا من بعده فأصدر السلطان عبد العزيز فرماناً بذلك في ٨ يوليو سنة ١٨٧٣م. وأجاز له زيادة الجيوش البرية والبحرية حسب الحاجة . وعقد قروض ومعاهدات تجارية . ومنحهُ لقب خديوي وهو أكبر ألقاب الدولة * وأنشأ اسماعيل باشا كثيرًا من القصور والمدارس والمعامل والمتاحف والشوارع وحفر الترع ومدّ خطوط السكك الحديدية والأسلاك التلغرافية وأسس مصلحة البريد في مصر وأدخلها في اتحاد البوسطة العام فضلاً عما أتاه في السودان والحبشة من الحروب والفتوحات . فاستغرقت كل هذه الأعمال والاصلاحات القناطير المقنطرة من الأموال . واستنفدت أموال البلاد فاضطر الى عقد قروض مالية في أوربا حتى بلغ دين الحكومة المصرية نحو ٩١ مليون جنيه فأصبحت حملاً ثقيلاً على الخزينة المصرية وعلى أهالي البلاد لأنهُ كان يضرب الضرائب الفادحة ليوفي منها فائدة تلك الديون ويستخدم العنف في تحصيلها . ومع ذلك فقد عجز عن تسديد الأقساط المستحقة في حينها. فآل الأمر الى مداخلة الدول الأجنبية المحافظة على أموال رعاياها أصحاب الديون فتشاورت في أحسن الوسائل لضمان تلك الديون واستهلاكها فألفت لجنة دولية مشتركة سميت صندوق الدين العمومي وصدر الأمر العالي بتشكيلهِ في ٢ مايو سنة ١٨٧٦. وكانت أعمال الحكومة المصرية الى هذا العهد تجري بمقتضى ارادة الخديوي رأساً فحملت الدول الخديوي على تأليف مجلس النظار كما هو الآن وتعيين ناظرين أحدهما انكليزي للماليـــة والآخر فرنساوي للأشغال العمومية . فاستعظم اسماعيل غلّ يديهِ بمجلس فيه ناظران أجنبيان فقلب هيئة المجلس في ٧ ابريل سنة ١٨٧٩ وأخرج منهُ الناظرين الأجنبيين فساء ذلك انكلترا وفرنسا فسعتا لدى الباب العالي فصدر الأمر الشاهاني باقالته في ٢٦ يونيو

سنة ١٨٧٩ . وفي ٣٠ منهُ غادر مصر الى نابولي . ثم استدعاه السلطان عبد الحميد الى الاستانة فبقي فيها الى ان توفي في ٦ مارس سنة ١٨٩٥ فنقلت جثتهُ الى مدفن آبائهِ في مصر طيَّب الله ثراه

۞ ٦ . محمد توفيق باشا بن اسماعيل باشا سنة ١٨٧٩ : ١٨٩٢ م ۞

وخلفهُ ابنـهُ الأكبر محمد توفيق باشا فأراد السلطان عبد الحميد حرمانهُ الامتيازات التي منحها السلطان عبد العزيز لأبيهِ فتصدت للدفاع عنهُ انكلترا وفرنسا صاحبتا المراقبة على أموال مصر لكن السلطان عبد الحميد فاز في تحديد عدد الجند فجعلهُ ١٨ ألفاً وأصدر الفرمان بذلك في ١٤ أوغسطوس سنة ١٨٧٩

﴿ الثورة العرابية سنة ١٨٨٢م ﴾ وأهم ما جرى في عهد توفيق باشا : الثورة العرابية في مصر ، ثم الثورة المهدية في السودان ، سنة ١٨٨٢م ، وكان الباعث الأكبر لهما في البلادين «ظلم الترك للعرب» . وقد ظهر ظلم الترك على الخصوص في الجندية فكان للتركي الرتب العالية والرواتب الفادحة والكلمة النافذة وما على العربي الاّ الطاعة . وكان أول من رفع صوتهُ وجاهر بالشكوى في مصر «عرابي باشا» فنسبت الثورة اليهِ

﴿ قتل الأستاذ بلمر ورفاقهُ في ١١ اوغسطوس سنة ١٨٨٢ ﴾ وأهم ما جرى في سيناء في أثناء الثورة العرابية قتل الاستاذ بلمر الانكليزي ورفاقهُ وتفصيل ذلك : « انه لما ثار عرابي في مصر وانبرى الانكليز لاخماد ثورتهِ ، حباً باعادة السلام الى مصر والمحافظة على القنال بنوع خاص ، أوفدوا الى سيناء الاستاذ هنري بلمر المار ذكره وأوفدوا معهُ ضابطين من الانكليز وهما الكبتن جِلّ من المهندسين واللفتننت تشارنتون[1] من البحارة بمهمة سرية غايتها الظاهرة شراء الجمال للحملة الانكليزية والخفية قطع خط التلغراف بين مصر وسوريا وتهدئة العربان ومراقبتهم لئلاّ يعبثوا بالقنال أو المراكب التي تمخر فيهِ . وقد وضعت البحرية الانكليزية تحت أمره عشرين ألف جنيه لاتمام هذه المهمة . فأخذ منها ٣٠٠٠ جنيه[2] وخرج من السويس مع رفيقيهِ في ٨ أوغسطوس سنة ١٨٨٢ قاصداً بلدة نخل بطريق وادي سدر . وقد صحبهُ مترجم سوري يدعى « خليل عتيق » وطباخ اسرائيلي يدعى

---

(١) كان الكابتن Gill من سلاح المهندسين ، يعارض بالمر في فكرة أخذ مبلغ كبير معه في رحلته ، فقد كان بالمر يود أن يأخذ مبلغ العشرين ألف جنيه كاملة .

(٢) هو من ضباط البحرية البريطانية وخبير في شئون البدو ، لهذا تم اختياره لمصاحبة بالمر في هذه الرحلة .

«بخور جشّون» وكان خبيره ومعتمده من عربان سيناء «مُطَير أبو صفيح» أحد كبار الصفايحة اللحيوات ومعه «سالم» ابن أخيه وتسعة جمّالة ثمانية من العليقات ورجل من مزينة



شكل ٨٦ : الاستاذ بلمر

وفي هذه الأثناء كان شرر الثورة العرابية في مصر قد تطاير الى سيناء فما أوغلوا في وادي سدر حتى انقضّ على الحملة عصابة من اللصوص الترابين والحويطات فقتلوا بلمر ورفيقيهِ الضابطين والمترجم والطباخ وأبقوا على البدو. وأما النقود فقد فرّ بها الشيخ مطير وابن أخيهِ . وكان ذلك في ١١ أوغسطوس سنة ١٨٨٢

ولما أخمد الانكليز الثورة العرابية في مصر أرسلوا الى سيناء وفداً برئاسة الكولونل السر تشارلس ورن فبحث عن الجناة حتى وجدهم وجاء بهم الى مصر فحوكموا في طنطا وحكم على خمسة منهم بالقتل وعلى سبعة آخرين بالسجن مدداً مختلفة.(1) وقد وجد الوفد بعض رفات الاستاذ بلمر ورفاقهِ الأربعة فنقلوها الى لندن فدفنت في دار كنيسة القديس بولس وجعل فوق المدفن صخرة تاريخية ذكرت فيها أسماؤهم ومقتلهم وغرض رسالتهم * ونشر الكولونل السر تشارلس ورن كتاباً وفّى فيهِ الكلام على مقتل بلمر ورفاقهِ وكيفية البحث عن الجناة والقبض عليهم ومحاكمتهم ولكني لم أذكر عن هذه الحادثة الاّ ما علمتهُ بنفسي من عرب سيناء سنة ١٩٠٦م

(١) الواقع أن الحكم بالإعدام قد صدر ضد عشرة أشخاص ممن ثبت أنهم مرتكبون لجناية القتل أو آمرون بارتكابها ثم نفذ الحكم في خمسة فقط بينما حكم على الخمسة الآخرين بالحكم الغيابي .

راجع : صبري العدل، المرجع السابق، ص ١١٨-١١٩ .

وقد كان بين الجمّالة العليقات الذين رافقوا حملة الاستاذ بلمر «مُدَخَّل سليمان» شيخ العليقات الحالي فسألتهُ أن يقصّ عليّ خبر مقتل بلمر ورفاقهِ فقال :

« كان الشيخ عبد الله (وهو الاسم الذي اختاره الاستاذ بلمر لنفسهِ في سينا) عند مجيئه الى السويس قد طلب من شيخنا عودة الزميلي ان يصحبه في سفرتهِ هذه الى سيناء فأبى قائلاً أن « البرّ مهزوز » فما أضمن سلامتكم فيه ولكن الشيخ عبد الله أصرّ على الذهاب فأخذ « مطير بن صفيح » خبيرًا ومعتمداً وقمنا من عيون موسى (فى ٩ أغسطوس سنة ١٨٨٢) وقيلنا في مطخّ النسر . فأتانا هجان حويطي يدعى سالم أبو صبحي يصحبهُ راجل فأسرّا كلاماً الى مطير وعاد الراجل الى حيث أتى وبقي الهجان . ثم استطردنا السير فنزلنا للمبيت في وادي الأحثا

وكنا قد التقينا في الطريق ثلاثة رجال حويطي وعليقي وترباني قاصدين عيون موسى فما حططنا رحالنا حتى رأيناهم رجعوا ونزلوا للمبيت معنا

وكان الشيخ عبد الله قد بدأ بشراء الابل من عيون موسى فاشترى فيها عشرة جمال وساقها معهُ . فلما أصبحنا « في ١٠ أوغسطوس » وجدنا الرجال الثلاثة قد سرقوا منها جملين وفرّوا بهما فركبت في الحال مع ثلاثة من الجمالة وسرنا في أثرهم حتى رأيناهم في أعالي وادي غرندل ولما رأونا تركوا الجملين وفرّوا هاربين . فعدنا بالجملين الى المخيم الساعة واحدة بعد الظهر . وفي عودتنا سألت عن سالم أبو صبحي الهجان الحويطي المذكور أنفاً فقالوا مشى فقلت لمطير « أرى الدنيا قائمة فالأفضل أن نرجع بالخواجات الى العيون » فهزأ بكلامي وقال « ان عادتكم انتم الطورة الخوف »

ثم رأيتهُ يسارّ الشيخ عبد الله . وفي العصر ناداني الشيخ عبد الله وقال نحن الضباط والترجمان نتقدم مع مطير وابن أخيهِ الى عين سدر وانتم والطباخ تبقون هنا الى قرب الغروب وتسيرون ليلاً فتبيتون في عدّ أبو جراد في بطن وادي سدر ثم تلحقون بنا فى اليوم التالي الى العين . وطلب هجيني ليركبهُ فاعطيتهُ اياه ، وسار هو ورفيقاهُ الضابطان والترجمان ومعهم مطير وابن أخيه والنقود ، وبقينا نحن الى قرب الغروب فسرنا وبتنا على عين أبو جراد ، على نحو ٧ ساعات من عين سدر ، حسب الأمر

أما الشيخ عبدالله ورفاقهُ فانهم بقوا سائرين بوادي سدر الى ما بعد الغروب فأتوا عدًّا فى أسفل عين أبو رجوم على نحو ساعتين من عين سدر . وكان بعض اللصوص من الحويطات والترابين فوق عين أبو رجوم متربصين لهم فلما أحسُّوا بهم شرعوا فى اطلاق النار عليهم فوقفوا وبرَّكوا هجنهم وفيما هم يبرّكون الهجن أصابت رصاصة ناقة سلامة ابن أخي مطير فماتت وكان عليها النقود في خرجَين فوضع مطير الخرجين على هجينهِ وأركبهُ ابن أخيه وسيَّرهُ الى بلادهِ . ثم ركب هجيناً من هجن الضباط ولحق بابن أخيـهِ فبقي الضباط والترجمان وحدهم فأخذ الترجمان ينادي اللصوص الأمان ياقوم الأمان تعالوا هنا . فأتوا وقبضوا عليهم وجرَّدوهم من ثيابهم الاّ الألبسة . ثمَّ قالوا هاتوا فلوسكم والاَّ قتلناكم فقالوا « الفلوس أخذها مطير وابن أخيه وفرَّا بها » . فقالوا أين بقية حملتكم ؟ قالوا « تركناها على أن نمرّح الليلة فى عدّ أبو جراد » . فتركوا سبعة منهم يخفرون الأسرى وانحدروا الينا على عين أبو جراد

وفي صباح اليوم التالي أي ١١ أغسطوس فيما نحن نحمل الإبل قصد استطراد السير اذا بهم يطلقون الرصاص علينا ثم اقتربوا منا وسألونا عن مطير وابن أخيه فأقسمنا اننا لم نرهما فساقوا الإبل والطباخ وسنَّدوا في الوادي . وفرَّ الجمَّالة الذين معنا بأربعة جمال عريانة . وأما أنا فقد رأيت من فعل هؤلاء اللصوص ان شرًّا لحق بالضباط والترجمان وكان هجيني معهم كما قدمت فتبعت اللصوص لأفتش عن هجيني فلم نبعد عن العين ساعة حتى جاءنا هجان من السبعة الذين تركهم اللصوص لخفارة الضباط والترجمان وقال ان مطيراً عاد ومعهُ عشرة من الحويطات الدبور والصفايحة لانقاذ الضباط والترجمان . وكان هذا الهجان راكباً هجيني فأقسمت للقوم انها لي فسمحوا لي بهِ فامتطيتهُ وقفلت راجعاً بهِ الى منزلي

وأما اللصوص فانهم جدُّوا السير حتى لحقوا بمطير والضباط فقالوا لهُ ان كنت تحب نجاة الضباط فهات الفلوس والاَّ قتلناهم لا محالة فألحَّ الضباط اذ ذاك على مطير أن يعطيهم الفلوس فقال لهم ان كان هؤلاء ينوون الشر فانهم لا بدَّ ان يقتلوكم أعطيناهم الفلوس أو لم نُعطهم . فقاد اللصوص الاستاذ بلمر والضابطين والترجمان والطباخ الى شاهق يطل على

عين أبو رجوم وأوثقوهم وقذفوا بهم الى بطن الوادي ثم أجهزوا عليهم رمياً بالرصاص وجروا جثثهم الى مكان قرب العين فيه « ديس » فخبأوها هناك وتفرقوا الى بلادهم

و بعد ان هدأت الثورة العرابية طُلبت الى مصر شاهداً فشهدت بما رأيتُ وسمعت . وكان الانكليز قد ساءهم من شيخنا عوده الزميلي إباءهُ مرافقة الضباط فعزلوه عن المشيخة ونصَّبوني في مكانهِ شيخاً على العليقات ومازلت كذلك الى اليوم» اه

وحدثني الشيخ موسى أبو نصير شيخ مشايخ الطورة عن هذه الحادثة قال :

« اهتم الانكليز لهذه الحادثة كل الاهتمام وصمموا على معرفة الجناة ومعاقبتهم وكان بدو مصر قد ألصقوا الجناية بالطورة وقالوا اني أنا شخصياً مسؤول عنها . فقبل أن أخمد الانكليز الثورة في مصر أرسلوا مركباً حربياً الى الطور يطلبونني بالإسم . وكان على مدينة الطور اذ ذاك ناظر من قبل محافظة السويس يدعى عفيفي افندي فجاءني بنفسهِ الى وادي فيران وتوسل اليَّ أن أذهب معهُ لمقابلة قائد المركب وقال اذا أنت لم تحضر معي فالله يعلم ماذا يكون جزائي . وكان عرب الطورة اذ ذاك في أشد الهياج وقد جاءهم بعض البدو من مصر وأخبروهم أن عسكر المسلمين ذبحوا الانكليز وقام المسلمون على النصارى في مصر وذبحوهم وغنموا مالهم فتعالوا نذبح نصارى الطور ونغنم مالهم . فقلت للناظر لا بدَّ لي في مثل هذه الأحوال من البقاء بين قومي لمنع هذه الفتنة التي تعود علينا جميعاً بالوبال. وان شاء الله بعد وصولك الى الطور بأربعة أيام أكون عندك . ولما كان الميعاد أخذت عشرة رجال من قبيلتي وسرت بهم قاصداً الطور بطريق وادي حيران فبت في فم الوادي في أول سهل القاع فلما درى العرب بقيامي أسرعوا بخيلهم ورجلهم لاحقين بي وقالوا لا بدَّ لنا من ذبح نصارى الطور

قال الشيخ أبو الجدائل « وقال واحد من القوم لنُبقِ على اليـاس عنصرة ليكشف لنا « كتاب الأم » فصاح حسين أبو ربيع من عرب مزينة « جلدي » أي لنقتلهم جميعاً ولا نبقِ على أحد فلُقّب « بحسين جلدي » الى اليوم »

قال الشيخ موسى « فقلقت لاصرارهم على هـذا العزم لأني رأيتُ فيهِ خراب جزيرتنا . فأخذت السيف ورسمت برأسهِ خطاً في عرض الطريق وصحت بالقوم

قائلاً ان من يتعدّى هذا الخط الى جهة الطور أقتلهُ أو يقتلني . وبعد جدال طويل سلّموا بالرجوع الى فيران ولكنهم شرطوا عليَّ أن أعود معهم فعدت تلافياً للشر وبعثت برسول الى الطور ليخبر الناظر بما كان وينذر أهل الطور ليأخذوا الحيطة لأنفسهم . وما وصلنـا فيران حتى أتانا الخبر أن الانكليز قهروا عرابي وأخذوهُ أسيراً . فرأى العرب اذ ذاك صواب رأيي وشكروني ولم يعد أحد منهم يخالفني برأي

ثم جئت الى الطور فوجدت المركب الحربي قد عاد الى السويس فعدت الى فيران وبعثت اليهِ بالخبر فجاءني منهُ رسول يدعى « مبارك أبو عطوة » من النفيعات فصحبتهُ الى السويس ووصلناها « في ١٩ أكتوبر سنة ١٨٨٢ » ودخلت دار المحافظة فوجدت فيها ثلاثة من الضباط الانكليز على كراسيهم ومعهم مترجم فحييتهم فلم يحفلوا بي ولا أمروا لي بكرسي أجلس عليهِ . وأخذ المترجم يسمع لهم ثم يلتفت اليَّ ويقرّعني لأني تأخرت عن المجيء الى الطور في الميعاد فاعتذرت بجملة مقتضبة ولكن الغيظ كان قد أخذ مني كل مأخذ حتى لم أعد أستطيع الكلام فصار المترجم يكلمني وأنا ساكت ثم قلت « قل لهؤلاء الانكليز ما أنا قتلت الشيخ عبد الله حتى أعنف وأهان واترك واقفاً أمامهم كمجرم قاتل واني رجل محترم في قومي وفي مجالس الحكام واكبر حاكم يقف لي ويشير اليَّ بالجلوس قبل أن يبادئني بخطاب »

فلما ترجم لهم هذا القول وقد رأوا من لهجتي الصدق والبراءة تبسموا وأمروا لي بكرسيّ وقهوة وسيجارة ثم سألوني عدة أسئلة دلت ان عربان مصر قد ألصقوا التهمة بالطورة وكنت أعلم ان الطورة أبرياء منها وان أهل التيه هم الجانون فقلت للمحققين تعالوا معي في الطريق التي سار بها بلمر والضباط وأنا أهديكم الى القاتلين ان شاء الله . ففرحوا لقولي وقاموا معي يصحبهم مترجم وبعض المشايخ من مصر . فسرنا في طريق وادي سدر ونحن نحقق الأمر حتى وصلنا الى محل القتل والمكان الذي خبأُوا فيهِ الجثث عند عين أبو رجوم وكانت الضباع قد عبثت بها وكان أول من دلني عليهـا وهداني الى الجناة رجل من العليقات مستخدم عند حسن بن مرشد التربانى أحد الجناة الملقب بأبي عُدَيمة



شكل ٨٧ : رجم مقتل الاستاذ بلمر ورفقائه

ودلنا على الشاهق الذي دُهوِر منهُ الأستاذ بلمر ورفاقهُ الأربعة فأقام الانكليز فوقهُ «رِجماً» عظيماً من الحجارة الغشيمة على شكل هرم باقٍ هناك الى اليوم

ثم ذهبنا كلنا الى نخل وشرعنا في التحقيق حتى عرفنا الجناة فرداً فرداً فألقي القبض على اكثرهم وسِيقوا الى القطر المصري فحُوكموا في طنطا فحُكِم على بعضهم بالشنق وعلى البعض بالسجن خمس عشرة سنة وعشر سنين وخمس وثلاث . وممن حكم عليهم بالشنق: سالم الشيخ من الغناميين الحويطات (مات في السجن قبل تنفيذ الحكم) . وسالم أبو تلحيظة من الدبور الحويطات . وعلي الشويعر من الترابين . وحسن بن مرشد الترباني الملقب بابي عديمة (وقد فرَّ من السجن)

أما مطير أبو صفيح فقد أنكر الدراهم أولاً ثم اعترف بها ودلنا على مخبإِها في الجبل فوجدنا الصندوق مفتوحاً والدراهم ناقصة ألف جنيه فاستدللنا من ذلك على طمعه وعدم اخلاصهِ . وقد مات هو وابن أخيهِ في السجن قبل صدور الحكم عليهما » اه

وحدثني أحد أعيان السويس عن لسان حسن بن مرشد الترباني المذكور قال: « ان الانكليز بذلوا الجهد في القبض عليَّ فألزموا سلامه بك شديد شيخ الحويطات أن يحضرني اليهم فأرسل سلامه بك الرسل بطلبي ثم أتى بنفسهِ وقال لي «أنت بوجهي تواجه سالم وتطلع غانم» فذهبت معهُ فأخذني الى العباسية وحال وصولي

وضعوا الحديد في رجلي وحبسوني في خيمة . ولما كانت الساعة ٣ بعد الغروب سمعت الحرّاس يقولون همساً باقٍ من عمر هذا المسكين ليلة. فلما سمعت هذا القول قلت هذا وقتك يا حسن وصممت على الفرار وبعد نصف الليل اغتنمت غفلة الحراس وفررت والقيد في رجلي فاختبأت في كهف في جبل المقطم . ولم يكن الاّ القليل حتى سمعت وقع حوافر الخيل ، خيل الحراس ، بالقرب مني ولكن الله سبحانهُ أعمى أبصارهم فلم يروني فأخذت أعالج القيد الذي برجلي حتى فككتهُ ونجوت بنفسي في تلك الليلة وما طلعت الشمس حتى كنت في جزيرة سيناء وقد عبرت الترعة سباحة شمالي السويس . واجتمع عليَّ خمسة من أولاد عمي فتسلحنا وكنا نقضي النهار كله على رأس جبل الراحة وفي الليل نعود الى أهلنا . وقد علمت أن الانكليز عادوا فطلبوني مرة ثانية من سلامه بك فقال لهم انهُ فرَّ الى بلاد الشام فأرسلوا العساكر الى مخيمي فأخذوا امرأتي ومالي : حمار و٢٠ رأس غنم وبيت شعر . فأبقوا المال وارجعوا امرأتي بعد أن ولدت في السجن . وأما أنا فبقيت محاذراً مهاجمة العساكر مدة ستة أشهر ولما رأيت الطلب قد كف عني عدت الى عيشتي السابقة» اه . قال محدثي «لم يمضِ على الحادثة سنتين حتى صار حسن المذكور يجيء الى السويس ويعود بلا خوف رقيب أو واشٍ لأنهُ كان محبوباً من الجميع من بدو وحضر وكان رجلاً عاقلاً بصيراً سخي الكف سديد الرأي وكان العرب يقصدونهُ لفض مشاكلهم وقد مات في البرّية نحو سنة ١٨٩٤م» اه

﴿ تحويل درب الحج المصري عن سيناء ﴾ ثم أن من أهم ما حدث في سينا في عهد المغفور لهُ توفيق باشا انقطاع الحج المصري منذ طلعة ١٣٠١ هـ (١٨٨٤م) عن طريق سيناء واتخاذه طريق البحر الى جدَّة.[1] وقد وُسّع محجر الطور ومُد اليهِ خط تلغرافي من السويس سنة ١٩٠٠م . فكان في تغيير هذه الطريق راحة للحجاج تفوق الوصف لأنهم كانوا يقاسون كثيراً من الشدائد والأخطار بطريق البر . ولكن شق على البدو انقطاع الحج عن بلادهم . وكان في جملة من خسروا بذلك الحويطات. واتفقَ أن الحكومة في ذلك الحين حاولت تجنيدهم فهالهم الأمر جدًّا وخرجوا من بلادهم راحلين الى الحجاز فأرسل الخديوي من أعادهم وأعفاهم من الجندية . وفي ذلك قال شاعرهم:

---

(١) الواقع أن الحكومة المصرية لم تلتزم بسفر المحمل بحراً بعد هذا التاريخ، حيث كانت تضطر في بعض السنوات — خاصة تلك التي يظهر بها وباء الكوليرا أو غيرها من الأوبئة — إلى تسيير المحمل براً مثلما حدث عام ١٨٨٦، حيث اضطرت إلى إرسال المحمل براً كأجراء صحي لمنع دخول وباء الكوليرا إلى مصر.

يا راكبين من فوق حيال وعفور	في جيرة الله غنُّوا لهنَّ
تلفوا علي أبو طقيقة ياعدّ مذكور	ويا كم حائل يرمي شحمهنَّ
قولوا لفانا علم ماهو على البدو ممرور	حتى بنات البدو عيَّن لا يقنعنَّ
والحج صبَّح عن مشاحيه مدحور	وصارت «غلايين البحر» ينقلنه
ولّ من دنيا لكِ سبعة أركان	ولكِ لوالب بس تبرم بهنَّ
من طاع للنمرة قاود كما التور	ويصبر لما ينزل النير عنَّه

ثم بعد انقطاع الحج المصري عن سيناء صدر قرار مجلس النظار في ٢١ مايو سنة ١٨٨٥ نمرة ١٣١ بالحاق القلاع الحجازية بالحربية وكانت تابعة للرزنامة بالمالية . فقامت تركيا تطالب مصر بهذه القلاع وكانت مصر تنفق عليها بلا جدوى فسلّمت الوجه سنة ٧ : ١٨٨٨ . ثم ضبا فالمويلح فالعقبة سنة ١ : ١٨٩٢ كما مرَّ

٧ . عباس حلمي باشا الثاني ابنه سنة ١٨٩٢ : ١٩١٤ م

﴿ فرمانهُ ﴾ وخلف توفيق باشا ابنهُ الأكبر عباس حلمي باشا الثاني . ولما أرسل السلطان عبد الحميد فرمان توليتهِ خديويًّا على مصر أخرج جزيرة سيناء كلها من حدود مصر فاعترض المعتمد الانكليزي السر افلن بارنج (اللورد كرومر) على ذلك وأوقف قراءة الفرمان رسميًّا حتى جاء التصحيح من الاستانة

﴿ زيارتهُ الطور سنة ١٨٩٦ ﴾ وفي ٢٢ يونيو سنة ١٨٩٦ أبحر عباس باشا الى مدينة الطور فزار محجرها وجامعها وحمام موسى وعاد الى مصر

﴿ زيارتهُ العريش سنة ١٨٩٨ ﴾ وفي سنة ١٨٩٨ زار برًّا بلاد العريش فوصل عمودَي الحدود عند رفح واستراح هناك ساعة . وكان محافظ العريش اذ ذاك عثمان بك فريد فأمرهُ بأن يكتب تاريخ زيارتهِ الحدود على العمود الذي الى جهة مصر . فخطَّ التاريخ الشيخ ابرهيم محمد قاضي المحكمة الشرعية بالعريش ، خطَّهُ على صحيفة كبيرة ، ونقشهُ في العمود مصطفى افندي البيك من أهالي العريش . وكان القاضي قد عمل مسودَّة للتاريخ فبقيت عند عبد الحميد افندي وهبه كاتب المحكمة فسلمني اياها في العريش في ٩ سبتمبر سنة ١٩٠٦ . وهذه هي صورتها مصغَّرة بالفوتوغرافية

في يوم السبت المبارك ٢ شوال سنة ١٣١٥
و٥ مارت سنة ١٨٩٨ اشرقت شمس طلعة
الجناب الاعظم ولي النعم سمو عباس
حلمي باشا الثاني الافخم في سيما الحدود
المصرية فكست هذه العلامة الكائنة
برفح حلل انوار البها محفوفا ببعض اعاظم
رجاله الكرام الذين منهم اصحاب
السعادة عبد الحليم عاصم باشا سر
ياور وحسن عاصم باشا سر تشريفاتي
وحسين محرم بك قومندان الحرس
حرس الله ملكه بحسن تدبيره وادام
عزه وتاييده وابتهاجه امين

محافظ العريش
عثمان فريد

بشكل ٨٨ : تاريخ زيارة عباس حلمي باشا الثاني لرفح

ومما أجراه عباس باشا من الإصلاح عند زيارتهِ العريش أنهُ جدَّد بناء جامع العريش كما مرَّ. ورمَّم بئر قطية. وحفر بئراً جديدة عند النبي ياسر على ساحل العريش. وأما ما جرى من الإصلاح في سينا عموماً على عهده فقد مرَّ الكلام عليهِ تفصيلاً

ومن الحوادث التي جرت في عهده في سيناء قتل المنداوبين. وتفصيل ذلك :

﴿ قتل الهنداويين على درب الحج سنة ١٩٠٥ ﴾ انهُ في ٧ مارس سنة ١٩٠٥ خرج محمد الهنداوي وأخوه ابرهيم من بلدتهما نخل في طريق الحج المصري قاصدين العقبة للاتجار ومعهما جملان يحملان من بضاعة البن والسكر والزيت والحنطة والأقمشة ما لا تزيد قيمتهُ على ١٥ جنيهاً . وقد رافقهما من نخل رجل تربانى وعبدٌ من العقبة معهُ جمل يحمل بضاعة لسيده * فلما كانوا على نحو عشرة أميال من نخل صادفهم خمسة من الصقيرات التياها مسلحين ببنادق رمتون آتين من الشمال لغزو الصفايحة في الجنوب طلباً لثار . وكان بين هؤلاء الصقيرات الخمسة : « سليم الأطرش» فتًى فى الثلاثين من عمره و « صبَّاح حسين » في الخامسة والعشرين . فقال هذان لرفاقهما هلمُّوا نتبع هؤلاء التجار فنقتلهم ونغنم مالهم . فأبى الرفاق عليهما ذلك وبقوا مستمرين في طريقهم لغزو الصفايحة . أما هما فانهما صمَّما على انفاذ رأيهما وتتبَّعا التجار الى أن نزلوا للمبيت في وادي « أبي قُوَيعة » على نحو عشرين ميلاً من نخل . وما أوقدوا النار وشرعوا في تهيئة الطعام حتى كان الرفيقان قد اقتربا من الوادي متسترين بالظلام فأطلق سليم الأطرش عياراً نارياً أصاب محمد الهنداوي فجندلهُ قتيلاً . وحاول صباح حسين اطلاق عيارهُ فلم ينطلق لأنهُ كان فاسداً ثم هاجما المحلة ففرَّ العبد والترباني وبقي ابراهيم الهنداوي مدهوشاً مما دهاهُ فأوثقاهُ وربطا عنقهُ برجل أخيهِ المقتول وحملا الابل الثلاثة بما خف وغلا . ثم حشا صباح حسين بندقيته بعيار صالح وأطلقه على ابراهيم فأرداهُ ثم أخذا جمال القافلة الثلاثة وأوغلا شمالاً في بلاد التيه

وفي صباح اليوم التالي « ٨ مارس » حضر الترباني ثم العبد الى نخل وكان فيها الميرالاي محمد بك كمال قومنداناً فأخبراه بما كان فأمر للحال ناظر نخل النشيط الملازم ميخائيل افندي حبيب ونفراً من البوليس الأهلي وبينهم من يقصّ الأثر لمطاردة الجناة فوصل الناظر ورجالهُ محل الحادثة الساعة ٣ بعد الظهر فوجدوا الأخوين المقتولين وابراهيم لا تزال عنقهُ مربوطة برجل أخيـهِ محمد وبضاعتهما منهوبة مبعثرة فوضعوا كل جثة في كيس وحملوهما على جمل وأرسلوهما الى نخل ثم تتبعوا الأثر فوجدوا أن القاتلين هما اثنان من الصقيرات بل عيَّنوهما بالإسم فذهبوا الى مخيَّم الصقيرات

وسألوا عنهما فقيل لهم انهما غائبان منذ أيام فأخذوا اثنين من أقربائهما رهينة وانقلبوا راجعين الى نخل . وفي الطريق التقوا رفاق الجانيَين الثلاثة المار ذكرهم عائدين من غزو الصفايحة فساقوهم الى نخل وقد أخبروا كيف أن رفيقيهم تركاهم ليقتلا رجال قافلة نخل وينهبا مالهم . ووصل الناظر بمن معهُ الى نخل في ١٤ مارس وأخبر القومندان بما كان . فأصدر القومندان أمرهُ الى الشيخ حمد مصلح شيخ التياها فطارد الجانيين الى بلاد غزة وأحضرهما الى نخل في ٢٦ مارس فأنكرا جنايتهما أولاً ثم اعترفا بها . وكان عند القومندان بنخل أمر عال مؤرخ ٣ يناير سنة ١٨٨٨ يقضي بتأليف « قومسيون » رئيسهُ القومندان وأعضاؤه ستة من مشايخ الجزيرة لمحاكمة الجناة . واتفق انهم كانوا جميعاً في نخل فعقدوا مجلساً وحكموا على الجانيين بالقتل . ولما أرسل الحكم الى مصر وجد أن الأمر العالي المشار اليهِ قد فات وقتهُ فاستصدرت الحربية أمراً عالياً لمحاكمة الجانيين من جديد وهذه صورتهُ :

نحن خديوي مصر

بناء على ما عرضهُ علينا ناظر الحربية وموافقة رأي مجلس النظار أمرنا بما هو آت:

المادة (١) يشكل قومسيون من: نعوم بك شقير نائباً عن قلم المخابرات بنظارة الحربية. والميرالاي سعد بك رفعت . وعلي بك حسين وكيل النيابة. تحت رئاسة نعوم بك شقير للتوجه الى شبه جزيرة سيناء لسماع الدعوى المتهم فيها سليم الأطرش وصباح بن حسين بقتل محمد الهنداوي وابراهيم الهنداوي في ٧ مارس الماضي والحكم فيها

المادة (٢) المرافعة والاجراءات أمام هذا القومسيون تكون علنيّة الاّ في ما يتعلق بالمداولة

المادة (٣) يعمل محضر عن كافة اجراءات القومسيون

المادة (٤) يعاون القومسيون في سماع الدعوى أربعة مشايخ ينتخبهم الرئيس من أعيان الجهة بصفة عدول . ويجوز لكل واحد من هؤلاء العدول أن يقترح على الرئيس تكليف أيّ شخص بالحضور أمام القومسيون بصفة شاهد وتوجيه أي سؤال الى أي شاهد من الشهود . ويأخذ القومسيون رأي كل واحد منهم عن مجموع القضية قبل أن يفصل هو فيها وتدوّن آراؤهم في محضر الاجراءات

المادة (٥) يراعي القومسيون في حكمه ما يكون معلوماً من عوائد الجهة ما لم يكن مغايراً للعدالة أو الذمة وفي حالة عدم وجود عوائد معلومة أو اذا كانت هذه العوائد مخالفة للعدالة أو الذمة يراعي القومسيون مبادئ العدالة . ويجوز للقومسيون بما له من واسع السلطة أن يحكم بأي عقوبة جائزة بمقتضى قانون العقوبات او اي عقوبة تقل عنها بشرط أنهُ اذا حكم القومسيون بالإعدام فلا ينفذ الاّ بعد عرض الحكم علينا للتصديق عليه

المادة (٦) يكون محافظ شبه جزيرة سيناء مسؤولاً عن احضار أي شخص يكون حضوره ضرورياً أمام القومسيون بصفة متَّهم أو شاهد

المادة (٧) يقدم القومسيون تقريراً عن اجراءاته الى ناظر الحربية

المادة (٨) على ناظر الحربية تنفيذ أمرنا هذا

صدر بسراي عابدين في ١٢ صفر ١٣٢٣ (١٧ ابريل سنة ١٩٠٥)

« عباس حلمي »

ناظر الحربية	بأمر الحضرة الخديوية رئيس مجلس النظار
« محمد العباني »	« مصطفى فهمي »

فوصلنا نحن أعضاء القومسيون الجديد نخل في ٢٥ ابريل وبعثنا في طلب الشهود. وفي ٧ مايو ذهبنا فشاهدنا محل الحادثة وعدنا الى نخل في اليوم نفسه . وكان المشايخ والشهود قد حضروا . وجاء العرب من جميع أنحاء الجزيرة لحضور المحاكمة فانتخبنا أربعة من أعيان الجزيرة ليكونوا « عدول » الجلسة حسب الأمر العالي وهم : سلاّم سلامة البرعصي من التياها . وسلمان سلام أبو صفية من الصفايحة اللحيوات وسلامة بن جازي من الترابين . وسعد سلمان أبو نار من الحويطات

وفي ٩ مايو الساعة ٩ صباحاً عقدت الجلسة لمحاكمة المتهمَين حضرها نحو مئة رجل من عرب سيناء وموظفيها فبدأ رئيس القومسيون بكلام تمهيدي اقتضاهُ المقام . ثم فتحت الجلسة باسم الجناب العالي وسئل المتهمان كل منهما على حدة فاعترف سالم الأطرش أنهُ قتل محمد الهنداوي واعترف حسين صباح أنهُ قتل ابراهيم الهنداوي وأتيا على تفصيل ذلك كما مرّ . وقد صدَّق اقرارهما عدة شهود

ثم سئل المشايخ العدول الأربعة عن رأيهم فقالوا انهُ ليس عندهم أقل ريب في أن المتهمين هما الجانيان وقد وجب عقابهما . قالوا ولكن عادات البلاد تعطي أهل القتيل — من الأب فصاعداً أو من الابن والأخ والأب فنازلاً لخامس جدّ — حق الثار أو العفو بأخذ الدية من القاتل أو من أقاربه الأدنين لخامس جدّ . وان أقارب القاتلين والمقتولين يجب أن يسألوا هل جرت بينهم المفاوضات المعتادة في مثل هذا الحادث بشأن العفو عن الجانيين بدفع الدية * ثم ان الدية في الشرع الاسلامي مئة جمل أما في سيناء فالدية ٤١ جملاً . وعرف البدو في سيناء كالشرع الاسلامي في أن لأقارب المقتول حق العفو التام عن القاتل أو العفو عن أخذ الدية أو قسم منها وانهُ اذا عفا واحد من ورثة المقتول سقط حق الورثة الآخرين في طلب العقاب كثروا أو قلوا * فأحضرنا أهل القاتلين والمقتولين جميعاً . فقال أهل القاتلين « لو رضي أهل القتيلين الدية فاننا لا نستطيع دفعها لفقرنا قبل مضي عدة سنين » . ثم سئل أهل المقتولين مراراً فرداً فرداً فأصروا جميعهم على تنفيذ الحـدّ الشرعي في الجانيين وأبوا بتاتاً النظر في أمر الدية

وفي الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم خلا أعضاء القومسيون للنظر في القضية فصدر الحكم بإجماع الآراء بقتل سليم الأطرش وصباح حسين شنقاً أمام قلعة نخل وأرسل الحكم الى القاهرة فصدقهُ الجناب العـالي ونُفّذ في القاتلين في ٢٨ مايو سنة ١٩٠٥ الساعة ٦ وربع صباحاً أمام باب القلعة .(١)

﴿ حوادث هامّة ﴾ هذا ومن الأمور الهامة التي حصلت في أيام عباس باشا في سيناء ما سمي « بحادثة الحدود » سنة ١٩٠٦ * ثم لما كانت الحرب الأوربية الحاضرة دخلت تركيا في صف ألمانيا فأعلنت انكلترا الحرب عليها . وكان عباس باشا اذ ذاك في الاستانة فانحاز الى المانيا فأعلنت انكلترا حمايتهـا على مصر وسمت الأمير حسين كامل ، ابن المغفور له اسماعيل باشا ، سلطاناً عليها في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ * ثم ان تركيا جرّدت حملة على مصر بطريق سيناء في أوائل سنة ١٩١٥ فكان نصيبها الفشل . وسنأتي على ذكر هذه الحوادث كلها تفصيلاً بعد

---

(١) هذا الحكم بالإعدام على قتلة المنداويين يعد الأول من نوعه منذ الحكم على قتلة بالمر عام ١٨٨٣ ، وهو حكم يعكس حرص السلطات البريطانية على تطبيق سياسة أحكام السيطرة على قبائل سيناء من خلال محاولة إخضاعهم لسلطة القانون العسكري وسلطة القوانين الاستثنائية الممثلة في القومسيونات التي تشكل للحكم على المتهمين.

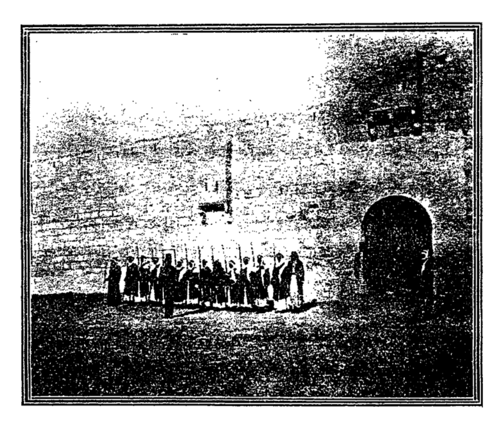
الفصل الثالث

في

نظار قلاع نخل والطور والعريش ومحافظيها

في عهد الاسرة المحمدية العلوية

تقدم أن سيناء كانت منذ القديم تحت السلطة العسكرية المصرية وأن مصر أنشأت فيها القلاع والحصون وأمدَّتها بالعساكر لحماية حدودها الشرقية واقرار الامن فى سيناء نفسها . وقد تهدَّمت تلك القلاع وهُجرت ولم يبقَ منها الى عهد الاسرة المحمدية العلوية سوى اثنتين أو ثلاث وهي :



شكل ٨٩ : قلعة نخل وعساكرها

﴿ ١ . قلعة نخل ﴾ من بناء السلطان قانصوه الغوري سنة ١٠ : ١٥١٦ . وهي احدى القلاع الحجازية وصرة جزيرة سيناء ومركز حكومتها الجديد

﴿ ٢ . قلعة الطور ﴾ قيل انها من بناء السلطان سليم الفاتح سنة ١٥٢٠ م وربما كان هو الذي رمَّمها . وهي في طريق مراكب السويس الى المويلح وينبع وجدَّة وغيرها من المواني الحجازية . وقد تهدمت سنة ١٨٢٦م ؟ في أوائل حكم محمد علي باشا

﴿ ٣ . قلعة العريش ﴾ من بناء السلطان سليمان العثماني سنة ١٥٦٠ م . وهي أهم قلاع سيناء لقربها من حدود سوريا ووجودها على البحر المتوسط

﴿ ١ . نظار قلعة نخل ومحافظوها ﴾

أما قلعة نخل فنرى أنها كانت هي وقلعة العقبة تحت ناظر واحد برتبة يوزباشي وكان في كل قلعة نفر من العساكر غير النظامية من متخلفي العساكر المقيمين في بلدتي نخل والعقبة . وكان الناظر يقيم غالباً في نخل ووكيله برتبة بلوكباشي يقيم في العقبة

﴿ ١ . حسين افندي ابراهيم الجندي سنة ١٨٧٤م ﴾ ففي سنة ١٨٧٤م كان في قلعة نخل من هؤلاء العساكر ٢٧ من المشاة و ٦ من الطوبجية وكان نفر منهم في قلعة العقبة وعلى الجميع حسين افندي ابراهيم الجندي في نخل ناظراً

﴿ ٢ . اليوزباشي محمد افندي عفيفي سنة ١٨٧٤ : ١٨٧٦ ﴾ وفي تلك السنة أصدرت الحكومة المصرية أمرها بعزل العساكر المحلية من القلعتين وأرسلت بدلهم نفراً من العساكر النظامية وعليهم اليوزباشي محمد افندي عفيفي ناظراً فبقي في نخل سنتين

﴿ ٣ . اليوزباشي محمد افندي عبده سنة ١٨٧٦ : ١٨٨٠ م ﴾ وضجَّ العساكر المحلية بالشكوى وقالوا انهم خدام القلعتين من الآباء والأجداد ولا عمل لهم إلاَّ حمايتهما فأرسلت الحربية البكباشي عرابي (عرابي باشا) الى نخل والعقبة مفتشاً فنصح باعادة العساكر المحلية الى القلعتين على أن يكون عليهم دائماً ضابط من الجيش النظامي فعملت الحربية بنصحهِ وأرسلت اليوزباشي محمد افندي عبده الى نخل فأقام فيها خمس سنين

﴿ ٤ . اليوزباشي علي افندي حسين سنة ١٨٨٢ ﴾ وفي سنة ١٨٨٢ كان الناظر في نخل اليوزباشي علي افندي حسين ووكيلهُ في العقبة اسماعيل احمد وكيل بلوكباشي . وفي أيامهما كانت الثورة العرابية وقُتل الأستاذ بلمر ورفاقه في سينا كما مرَّ . وقد رأيت مع اسماعيل احمد شهادة حسنة من السر تشارلس ورن الذي جاء سيناء

للبحث عن قاتلي بلمر ورفاقهِ . أما علي افندي حسين فانهُ أتهم بالتقصير فعُزل وخلفهُ :

﴿ ٥ . اليوزباشي حسين افندي أمين ٢١ مارس سنة١٨٨٣ : سنة ١٨٨٥ ﴾ وفي أيامهِ ، سنة ١٨٨٤، انقطع مسير الحج عن طريق سينا كما مرَّ وضعفت أهمية القلاع الحجازية فصدر اليهِ الأمر من الرزنامة بمصر فسلَّم قلعة نخل الى الشيخ مصلح شيخ التياها وذهب بالعساكر المحلية الى مصر فأمرت بعزلهم فعلت أصواتهم بالشكوى وبقي بعضهم في مصر يواصل الشكوى مدة ثمانية أشهر

﴿ ٦ . الملازم الثاني اسماعيل افندي عاصم سنة ١٨٨٥ م ﴾ وفي سنة ١٨٨٥ كانت الحربية قد تولَّت ادارة القلاع الحجازية فأصدرت أمرها باعادة العساكر المحلية الى كل من قلعتي نخل والعقبة مع انقاص عدد العساكر فجعلت في كل قلعة عشرة عساكر ستة من المشاة وأربعة من الطوبجية وعلى القلعتين ضابط برتبة ملازم وعيَّنت لها اسماعيل افندي عاصم فمكث في نخل نحو سنة ونصف سنة . وخلفهُ :

﴿ ٧ . الملازم الثاني محمد افندي امين التركي سنة ١٨٨٦ م ﴾ فمكث نحو سنة

﴿ ٨ . الملازم الأول محمد افندي أمين سنة١٨٨٨م ﴾ وفي١٣ سبتمبر سنة١٨٨٨م كان في العقبة الناظر محمد افندي أمين ومعهُ الشيخ زاهر احمد إمام نخل والعقبة و١٢ عسكريًا . وفي نخل وكيل الناظر البلوكباشي عبد الله آغا عبد الغني ومعهُ ١٠ عساكر

وفي هذا العهد كانت الحربية قد جعلت القلاع الحجازية كلها قومندانية واحدة مركزها العقبة وولت عليها البكباشي سعد افندي رفعت (أميرالاي الآن) . فلما استرجعت تركيا القلاع الحجازية من مصر حتى العقبة جعلت سيناء كلها إلاَّ محافظة العريش قومندانية واحدة مركزها نخل وبقي سعد افندي رفعت قومندانًا عليها

هذا وكان سعد افندي، عند اخلائهِ العقبة سنة ١٨٩٢، قد نزل في وادي طابا على نحو ٨ أميال من العقبة واحتفر بئرًا في فم الوادي وأقام هناك بعساكره نحو ٨ أشهر فشكى قلة الماء وبعد الشقة ووعورة الطريق الى طابا فأرسلت الحربية مندوبًا ليختار محلاً فيهِ ماء فاختار النويبع فبُني فيهِ قلعة صغيرة سنة ١٨٩٣ وجُعِل لنخل والنويبع ناظر واحد وللطور ناظر برتبة ملازم وكلاهما يرجعان الى قومندان سيناء في

نخل . وقد أتينا على ذكر قومندانات سيناء واحداً واحداً في باب الجغرافية

أما نظار نخل والنويبع فقد اشتهر منهم : « ميخائيل افندي حبيب . وعيسوي افندي احمد . ومحمد افندي توفيق خيري . ومصطفى افندي فهمي » . وفي عهد مصطفى افندي جرّدت تركيا الحملة على مصر فأمرت السلطة العسكرية باخلاء سيناء كلها إلاّ محجر الطور لتجعل الصحراء بينها وبين العدو فأخليت . وخرجت هيئة الحكومة من نخل نفسها في ٣٠ اكتوبر سنة ١٩١٤ فاحتلها الترك في الشهر التالي ولا يزالون

﴿ ٢ . نظار قلعة الطور ومحافظوها ﴾

أما قلعة الطور فقد ورد في « كتاب الأم » ذكر بعض محافظيها وفيهم :

١ . علي آغا سنة ١٥٩٣ م ٢ . عابدين بن مصطفى سنة ١٥٩٦ م

٣ . صفر آغا سنة ١٦٨٤ م ٤ . محمد آغا سنة ١٦٩٢ م

ولما تهدّمت القلعة سنة ١٨٢٦ م ؟ لم يبقَ في مدينة الطور الاّ « ناظر » يرجع بأحكامهِ الى محافظة السويس ومعهُ نفر من عساكر البوليس لحفظ النظام . ولم يكن ثمت موجب لترميم القلعة فسكنوا منزلاً من منازل الطور . وكان الناظر فيها في أثناء الثورة العرابية عفيفي افندي كما مرّ * وبقيت بلاد الطور تابعة في الادارة لمحافظة السويس الى أن أنشئت قومندانية سيناء فألحقت بها بقرار من نظارة الداخلية بتوقيع « رياض » مؤرخ في ٢٣ مارس سنة ١٨٩٣ هذا نصهُ : « يُرى موافقة احالة جهة الطور على قومندانية القلاع وايجاد العساكر (البوليس) اللازمة بها . انما ما يتعلق بالأمور الادارية والسياسية فتخابر عنهُ الداخلية لأنهُ مرتبطٌ بها »

ومنذ ألحقت الطور بقومندانية سيناء كان يرسل اليها « ناظر » برتبة ملازم ومعهُ نفر من البوليس الوطني . وقد اشتهر من نظارها في هذا العهد :

« ميخائيل افندي حبيب . وأحمد افندي عيساوي . وأحمد افندي توفيق » وقد تقدّم ذكرهم جميعاً . وفي عهد احمد افندي زحف الترك على مصر وأرسلوا شرذمة من عساكرهم الى الطور فأمرت السلطة العسكرية باخلاء مدينة الطور من السكان وأعدّتها للدفاع فمزقت شرذمة الترك كل ممزّق في ١٢ فبراير سنة ١٩١٥ كما سيجيء

﴿ ٣١ . محافظو قلعة العريش ونظارها ﴾

كانت العريش ، من قبل أن يتولى مصر محمد علي باشا ، محافظة قائمة بنفسها ترجع بأحكامها رأساً الى الداخلية . وبقيت كذلك الى أن ألحقت ادارياً بنظارة الحربية سنة ١٩٠٦ م فصار يرسل اليها « ناظر » من قومندانية سيناء كما مرّ

ولم أقف على محررات رسمية بشأن محافظي العريش ونظارها ولكني وقفت من تقاليد أهلها ومحفوظاتهم ومن اختباري الشخصي على ٣١ محافظاً وخمسة نظار وهم:

﴿ ١ . علي آغا أبو شناق سنة ١٥٦٠ م ﴾ جدّ العرايشية وهو بحسب تقاليدهم أول من حكم القلعة بعد بنائها . وقد اشتهر بالعدل وسداد الرأي

﴿ ٢ . محمود آغا سنة ١٥٧٩ م ﴾ عن حجر تاريخي من رخام رأيتهُ عند قبة الشيخ جبارة في العريش وقد مرَّ ذكره

﴿ ٣ . الميرميران أمين آغا الانكشارية سنة ١٧٨٣ ﴾ عن شاهدة على قبره عند قبة النبي ياسر وقد ذكر ما كُتب عليهِ بالتركية في محلهِ

﴿ ٤ . يعقوب آغا سنة ١٨٠٠ م ﴾ رأيت عند شاهين عبد الله من العرايشية فرماناً من السلطان سليم الثالث الى « اسماعيل باشا والي مصر ومحافظ قلعة العريش » مؤرخاً في ١ ربيع ثاني سنة ١٢١٥ هـ (٢٢ أوغسطوس سنة ١٨٠٠م) يأمره بتسمية يعقوب آغا قومنداناً على حامية العريش من أجل البسالة والولاء اللذين أظهرهما في محاربة الفرنساويين . ويعقوب آغا هذا هو جدّ العرايشية اليعاقبة وشاهين عبد الله المذكور حامل هذا الفرمان الآن هو من حفدتهِ

﴿ ٥ . الحاج قاسم ابنهُ سنة ١٨٠٥ م ؟ ﴾ قيل بعد وفاة يعقوب آغا تولّى قيادة القلعة ابنهُ الحاج قاسم في أول حكم محمد علي باشا على مصر

﴿ ٦ . رفاعي بك سنة ١٨١١ م ؟ [1] ﴾ كان في جملة من تولّى محافظة العريش في أيام محمد علي باشا وقد اشتهر بالعدل والرأفة وحب الخير

﴿ ٧ . غطاس آغا سنة ١٨٣١ م ؟ [2] ﴾ كبير الأغاوات الغطايسة من ذرية مصطفى آغا الكبير أحد فروع العرايشية . وفي أيامهِ حمل ابراهيم باشا حملتهُ المشهورة

---

(١) من المرجح أنه تولى عام ١٨١٠ وليس ١٨١١ حيث أن هذا العام الذي أنشأت فيه محافظة العريش كجهاز إداري منوط به حفظ الأمن في شمال سيناء .

(٢) تذكر الوثائق أسماء عدد من المحافظين منهم : حسن أغا تولى عام ١٢٤١هـ/١٨١٦م، وشاكر أغا ١٢٤٢ هـ/١٨١٧م، ومحمد أغا جبار زاده ١٢٤٩هـ/١٨٢٤م .

على سوريا عن طريق العريش كما مرّ. وقد جار غطاس آغا على أولاد سليمان، فرع آخر من العرايشية، وقطع نخيلهم فذهب فريق منهم الى مصر وآخر الى ابراهيم باشا في الشام وطلبوا عزلهُ فعزل. ولم تطق نفسهُ البقاء في العريش فخرج منها هو وبعض آله وقصد ابراهيم باشا في الشام فمات في الطريق. وسكن ابنهُ محمد القنطرة فعمَّر فيها ومات سنة ١٩٠٥؛ * وبعد غطاس آغا لم يعد يتولى العريش محافظ من أهلها بل صارت الداخلية تبعث اليها بالمحافظين من مصر

هذا وبعد رجوع ابراهيم باشا من سوريا ومصالحة مصر الباب العالي سنة ١٨٤٠م لم يعد من داعٍ لوضع حامية في العريش فالغيت القلعة وصار يرسل اليها نفر من عساكر البوليس يقيمون مع المحافظ لحفظ النظام * وكانت ترسل الحبوب الى عساكر القلعة من بلدة ملوي بمصر لذلك سميت بملوي العريش الى اليوم

﴿ ٨ . ضاضل افندي * ٩ . طالب آغا * ١٠ . ابراهيم آغا ﴾

﴿ ١١ . ابراهيم بك لاظ * ١٢ . طالب آغا ثانية[1] * ١٣ . عبد الكريم افندي ﴾

﴿ ١٤ . حسين بك[2] سنة ١٨٥٦ ﴾ وفي أيامهِ سنة ١٨٥٦ كانت الوقعة المشهورة « بواقعة المكسر » بين السواركة والترابين قرب الخرُّوبة وسيأتي ذكرها تفصيلاً

﴿ ١٥ . عثمان بك * ١٦ . داود افندي * ١٧ . عبد الرازق افندي ﴾

﴿ ١٨ . مصطفى افندي رمزي * ١٩ . عبدالله افندي * ٢٠ . محمد افندي عبُّورة ﴾

﴿ ٢١ . حسن بكداش آغا ﴾ وفي أيامهِ حصل قحط شديد فوزعت الحكومة على الأهلين الف أردب قمح وشعير رفقاً بهم

وكانت مدة هؤلاء المحافظين تختلف بين ستة أشهر وسبع سنين

﴿ ٢٢ . اسماعيل افندي حسين سنة ١٨٦٥ : ١٨٨٠ ﴾ وكان لهُ عبد يسمى محبوب فعرف عند أهل العريش باسماعيل افندي محبوب

﴿ ٢٣ . السيد بك النجار سنة ١٨٨١ : أواخر سنة ١٨٨٢ ﴾ وكان يقال لهُ أيضاً السيد بك الطنطاوي مكث سنتين وشهرين. وفي أيامهِ ثار عرابي في مصر كما مرّ

﴿ ٢٤ . مصطفى بك ممنون من أواخر سنة ١٨٨٢ الى أوائل ١٨٨٣ ﴾

---

(١) تاريخ رفته من الخدمة هو شهر توتى القبطي الواقع في عام ١٢٤٧ هجري كما تشير إلى ذلك الوثائق.

(٢) يظهر بالوثائق اسم حسين أفندي كامى وذلك في عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م ومن المحتمل أنه هو نفس الاسم الذي ذكره شقير.

﴿ ٢٥ . مصطفى بك شفيق من أوائل سنة ١٨٨٣ لغاية تلك السنة ﴾

﴿ ٢٦ . محمود بك حمدي سنة ١٨٨٤ : ١٨٩٤م ﴾ كان من أفضل المحافظين الذين تولوا العريش . وقد سمعت الثناء عليهِ في العريش من كل أحد . وكان رجلاً عدلاً حسن الإدارة شديداً في تنفيذ أوامره * قالوا أرسل مرَّة هجاناً من المحافظة في طلب رجل من أعيان السواركة يسمَّى زيادة بن الحاج جهينة فرفض زيادة المجيء مع الهجان فأرسلهُ في طلبهِ ثانية ومعهُ ٣ عساكر فأحضروهُ وأباه بالقوَّة فأمر بأن يكنسا دار القلعة ويرشاها بالماء قبل الدخول عليهِ . وهذا القصاص شديد جدًّا على نفس البدويّ فتوسلا اليهِ أن يبدلهُ بغرامة عشرين جنيه فأبى وألزمهما القيام بما أمر أما الإبن فلأنهُ لم يحضر مع الهجان لأول مرَّة وأما الأب فلأنهُ لم يجبر ابنهُ على اطاعة الأمر . ومن ذلك الحين لم يعد أحد من البدو أو الحضر يجسر أن يخالف لهُ أمراً .

ومن مآثره في العريش أنهُ وسَّع شوارعها وحافظ على نظافتها

﴿ ٢٧ . محمود بك صادق من أول سنة ١٨٩٥ : لغاية سنة ١٨٩٦ م ﴾ كان رجلاً تقيا متعبداً محبًّا للخير والسلام . وكان اذا جاءهُ خصمان للتقاضي عندهُ أحالهما أولاً على أحد الأعيان ليصلح بينهما فاذا لم يصطلحا نظر في أمرهما وقضى بالعدل

وكان سلفهُ محمود بك قد بدأ بتعيين حدود محافظة العريش «ودرك» كل قبيلة من قبائلها وكل شيخ من مشايخها فأتمّ هو العمل وبيَّن ذلك في كراس طبعهُ بمصر سنة ١٨٩٥ وأعطى كل شيخ منهُ نسخة للعمل بهِ . وقد مرّ بنا ذكر الحد الذي عينهُ للمحافظة

﴿ ٢٨ . عثمان بك فريد من اول ١٨٩٧ : مارس ١٩٠١ ﴾ كان رجلاً مهوباً كريم الخلق حسن الديانة محبوباً من الجميع . ومن آثاره في العريش أنهُ رمَّم قبة النبي ياسر وقبة الشيخ جبارة * وفي أيامهِ زار الخديوي عباس باشا حلمي العريش فرافقهُ الى رفح ونقش تاريخ زيارتهِ على احدى عمودَي الحدود كما مرّ

هذا وقد كان « طولسن افندي عبد الشافي » (والآن بك) من نبلاء أولاد سليمان معاوناً للمحافظين الثلاثة الآخرين وهو شاب نزيه عاقل عارف بأخلاق أهل البلاد وعاداتهم وما يصلح لإدارتهم ويحسن بهِ حالهم فكان خير معين للمحافظين





شكل ٩٠ : طولسن بك عبد الشافي   شكل ٩١ : اسعد افندي عرفات

المذكورين وأفضل مرشد . وقد رقي معاوناً لمركز فاقوس في مديرية الشرقية وهو الآن مأمور مركز كوم حماده في مديرية البحيرة وسيكون له في مصر مستقبل مجيد ان شاء الله

﴿ ٢٩ . محمود بك صادق للمرة الثانية من ابريل سنة ١٩٠١ لآخر السنة ﴾

﴿ ٣٠ . محمد بك صادق سنة ١٩٠٢ ﴾ قالوا كان مدمناً للخمر فلم يمضِ عليهِ في العريش شهران حتى اصيب بضربة شمس وعاد الى مصر

﴿ ٣١ . محمد بك اسلام من أول أوغسطوس سنة ١٩٠٢ : آخر ابريل سنة ١٩٠٦ ﴾

كان رجلاً عدلاً صاحب ذمة وديانة ولكنهُ كان ضعيفاً في اللغـة العربية والقانون فكان يقضي في اكثر المسائل التي تعرض عليهِ اجتهاديًّا

وفي أيامهِ كانت « حادثة الحدود » وأزال الترك عمودَي الحدود عند رفح فأبلغ أسعد افندي عرفات ، من نجباء أولاد سليمان ، الخبرَ لجريدة المقطم قبل أن يبلغهُ محمد بك الحكومة فاستُدعي الى مصر . وأُلحقت محافظة العريش اداريًّا بالحربية فأرسلت اليها القائمقام باركر بك مساعد مدير المخابرات لإدارة الأعمال فيها مؤقتاً



شكل ٩٢ : احمد افندي توفيق

﴿ ١ . احمد افندي توفيق ١٧ مايو سنة ١٩٠٦ : ١٣ ديسمبر سنة ١٩١٢ ﴾ وفي ١٧ مايو سنة ١٩٠٦ ندبت الحربية احمد افندي توفيق من موظفي المخابرات الملكيين لتولي ادارة الأعمال بالعريش وسمَّتهُ «ناظراً» وألحقتهُ بقومندانية سينا فأقام فيها الى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩١٢ فنُقل ناظراً الى الطور واشتهر بحب السلام وحسن الأخلاق كما مرَّ. وكان يقضي أكثر المسائل التي تعرض لهُ صلحاً. وخدم بعدهُ ناظراً في العريش:

٢ . عيسوي افندي احمد ٣ . وأمين افندي فكري ٤ . ومصطفى افندي فهمي. ثم ٥ . عيسوي افندي احمد ثانية . وفي عهده حمل الترك على مصر فخرجت هيئة الحكومة من العريش في ٢٤ أوكتوبر واحتلها الترك في أواسط نوفمبر سنة ١٩١٤ وهم فيها الآن

الفصل الرابع
في
حروب البدو في سيناء
في عهد الاسرة المحمدية العلوية

تقدم لنا، في الكلام على سكان سيناء، ذكر الحروب التي قامت بين قبائلها منذ هاجر اليها العرب المسلمون الى أن استقرت على قبائلها الحاليين قُبيل عهد الأسرة المحمدية العلوية على مصر. ونذكر هنا أهم ما جرى من الحروب بين هذه القبائل بعضها مع بعض و بينها و بين قبائل سوريا والحجاز في عهد الأسرة المحمدية العلوية أو قبلها بقليل كما أخذناها عن تقاليدهم وأشعارهم ورجومهم وقبورهم فنقول :

١ . حروب البدو في بلاد الطور

١ . حرب الطورة العليقات والكمابنة . في عهد أجداد الجيل الحاضر

﴿ واقعة الفهدي ﴾ جاء في تقاليد الطورة ان عرب الكمابنة القاطنين «الفرعة» جنوبي الخليل هاجموا بلاد الطور في عهد أجداد الجيل الحاضر وخطفوا إبلاً للعليقات و بنتاً من بناتهم وانقلبوا راجعين الى بلادهم ففزع العليقات وراءهم حتى أدركوهم في وادي الفهدي شرقي جبل إخرم فأوقعوا فيهم موقعة دموية كتب فيها النصر لهم فاستردوا إبلهم و بنتهم . وأقاموا لهذه الواقعة تذكاراً ثلماً في الأرض عن كل من جانبيه صف من الحجارة لا يزال محفوظاً الى اليوم وقد تقدم وصفهُ * وقال البعض ان هذه الواقعة حدثت بين بني واصل من عرب الطور والظلاّم من عرب الشام وان الإبل التي خُطفت من إبل بني واصل والبنت من بنات العليقات . وفي ذلك قال شاعرهم:

لحق طُلَيبك يا سُليمى   عليقات فوق اللقاح
هم برّكوا ونحن قرعنا   لما الدم تعارف بالقداح

٢ . حرب الطورة القرارشة والتياها . في عهد أجداد الجيل الحاضر

حدثني الشيخ موسى أبو نصير شيخ مشايخ الطورة السابق قال : «نشبت حرب بين قبيلتنا القرارشة والتياها في عهد جدّي الأسبق «نصير» دامت سنين . ثم توسط العرب بالصلح فاجتمع كبار القبيلتين عند جدّي وعقدوا صلحاً وانصرف التياها الى بلادهم . وعند انصرافهم أهدى لهم جدّي جراباً من البلح وجاناً من الزبدة وأرسل غلامهُ وراءهم وقال له أوهمهم انك تفتش عن إبل لنا وانصت الى ما يقولون . فلما خرج التياها من أرض الطور أتوا بالبلح والزبدة ليأكلوا فقال كبيرهم «بارك الله في السيف والدبوس اللذين أطعمانا البلح والزبدة» فرجع الغلام الى جدّي وأخبرهُ بالذي قالهُ كبير التياها فأعلن على التياها حرباً ثانية دامت سبع سنين ثم عادوا الى الصلح فعقدوا «حلفاً» ما زالوا مقيمين عليه الى الآن» اه

٣ . حرب الطورة والجيش المصري . في عهد أجداد الجيل الحاضر

﴿ واقعة برَق ﴾ حدثني الشيخ موسى أبو نصير قال: «كان جدّي «صالح» من المشايخ المشهود لهم بالبسالة واصالة الرأي وكان شيخ مشايخ الطورة كما أنا الآن وتجري له «صُرَّة» سنوية من الرزنامة المصرية قدرها ٤٠٠٠ غرش . ففي عهده حضر بعض التجار من الحجاز ببضاعة من البن الى السويس بالمراكب ومن السويس حملوها على الإبل وساروا بها قاصدين مصر . وكان جماعة من عرب الطورة يراقبونهم فلم يبعدوا عن السويس حتى انقضوا عليهم فسلبوهم البن وفرُّوا الى جبالهم . فأرسلت مصر سرية من العساكر في أثرهم فتجمع الطورة برئاسة جدّي في وادي برَق فأقاموا هناك سوراً من الحجارة وتترَّسوا بهِ . فانقسمت السرية فرقتين فرقة نزلت في الوادي تجاه العربان وفرقة علَت اكمة تشرف عليهم من الوراء وأشعلت فيهم النار من الجانبين فأجاب العرب نيرانهم وثبتوا لهم برهة قتل فيها جانب من الفريقين ثم لم يعد للعرب طاقة على تحمل نيران العساكر فانهزموا ولجأوا الى الدير . فتبعهم العساكر ونزلوا في سهل الراحة وأرسل قائدهم الأمان الى الشيخ صالح فحضر وصالحهُ على أن يُرجع البن ويعفى عنهُ وعن عربانهِ فجعل عنده الرهائن حتى أرجع البن كلهُ

أو معظمهُ ولكن مصر قاصتهُ بقطع نصف راتبهِ وبقي النصف الآخر يجري لهُ الى أن مات « فخلفهُ على المشيخة عمي موسى ومات قبل الثورة العرابية بست سنوات. فسميتُ شيخاً على الطورة في مكانهِ . وكان عمي قد وكَّل أبو شعير شيخ الصوالحة المقيمين بمصر في قبض الصرة فلم يجد ملبياً من الحكومة . ولما توليت المشيخة ذهبت الى السويس ومعي ستة من مشايخ الطور وطالبت بالصرة فلم أستفد شيئاً . فبقيت الى أن ضمت الحربية بلاد الطور الى نخل سنة ١٨٩٣ فعينت لي راتباً قدره ٤٨ جنيهاً في السنة لا يزال يجري لي الى اليوم » اه (سنة ١٩٠٧ م)

٤ . حرب الطورة العوارمة والمعازة . في عهد أجداد الجيل الحاضر

﴿ واقعة الهَبج ﴾ قالوا « نجع العوارمة أجداد الجيل الحاضر في ربيع بعض السنين الى بلاد المعازة في العريش ثم انقلبوا راجعين الى بلادهم فلحقهم المعازة ومعهم العبايدة حتى أدركوهم في الهَبج في أسفل وادي سدر فذبحوهم شر ذبحة . فافلت واحد منهم وأبلغ الطورة ما كان فساروا في أثر المعازة حتى أدركوهم في صعيد مصر وأوقعوا فيهم وقعة دموية . ثم اجتمع الفريقان في قلعة مصر وعقدا صلحاً لا يزالون عليهِ الى اليوم »

٥ . الطورة وحرب الحويطات وبلي في الحجاز سنة ١٩٠٤

انهُ في سنة ١٩٠٤ نشبت حرب بين حويطات ضبا شياخة عليَّان أبو طقيقه وبلي الوجه شياخة سليمان باشا عفنان . فأرسل الشيخ عليّان أخاه أحمد الى الشيخ موسى ابو نصير يطلب نجدة من الطورة لأنهم مرتبطون معهم بحلف قديم . فلم يرَ الشيخ موسى مصلحة للطورة في الدخول بهذه الحرب وكانت السردارية قد أصدرت أمرها الى قبائل سيناء كافة تحذّرهم الدخول فيها . فأجاب الشيخُ موسى رسولَ الشيخ عليَّان « كنا نود كثيراً أن ننجدكم ولكننا لا نستطيع ان نسير ضدّ أوامر حكومتنا » . فنظم الحويطات قصيدة بكتّوا فيها الطورة لتقاعدهم عن نصرتهم وهم حلفاؤهم ومنها:

« أحسبك ياطوري تعزّ القبيلة ـ تراك حصيني لا بِدْ في خميله »

فأجابهم الطورة بقصيدة طويلة وجهوها للشيخ عليَّان قالوا :

« اللي فتح باب الحرب يسدُّه والاّ يعطي الحكم راعيــه »

﴿ ٢ . حروب البدو في بلاد التيه ﴾

٦ مكون وادي الراحة . بين اللحيوات والتياها . في عهد أجداد الجيل الحاضر

﴿ مَكْون الراحة ﴾ وقعت حرب بين اللحيوات والتياها في عهد أجداد الجيل الحاضر سببها أن تيهيًّا يدعى « لقلوق » اغتصب بنت سليم قردود من اللحيوات الخناطلة . فهبَّ اللحيوات جميعاً وأعلنوا الحرب على التياها فقتلوا شيخهم حمد بن عامر، جد الشيخ حمد مصلح ، رمياً بالرصاص. فجمع التياها جموعهم وقصدوا بلاد اللحيوات حتى أتوا بئر الثمد فوجدوا اللحيوات قد جلوا عنها الى وادي فيران. ومن هذا الوادي أرسلوا ركباً الى جبل شويشة العجمة فساقوا ٣٠٠ جمل للتياها غنيمة . فجاء ابن نصير شيخ مشايخ الطورة الى اللحيوات وقال لهم انكم دخلتم بلادي وغزوتم منها بلاد التياها فعيب عليَّ أن أسمح لكم بالبقاء في أرضي ومعكم ابل التياها وأصرَّ على ردّ الابل أو يعلن عليهم الحرب فردُّوا الابل وقصدوا فرج أبو طقيقة شيخ الحويطات في مصر للاستنصار بهِ . ولما وصلوا السويس أرسلوا الظعن لأبي طقيقة وغزوا التياها في وادي الرواق فساقوا نحو ٢٠٠ جمل لابن ناصر وابن كيلة وانقلبوا راجعين الى السويس ففزع التياها وراءهم فأدركوهم في رأس وادي الراحة على نحو ست ساعات من بئر مبعوق فنشبت بين الفريقين معركة دامت من الصبح الى العصر كان النصر فيها للحيوات وقد سُمّي المكان الذي حصلت فيهِ الواقعة « بالمكْوَن » الى اليوم . وكان التياها في هذه الواقعة نحو ١٠٠ رجل بقيادة حمد بن عامر واللحيوات لا يزيدون على ٣٠ رجلاً برئاسة مسمح بن نجم . وقد قتل من التياها العُصَيبي وجرح واحد . وأما اللحيوات فلم يقتل منهم أحد وقد فازوا بالابل فأخذوها الى مصر * فذهب ابن ناصر وابن كيلة الى مصر لاسترجاع ابلهم فرد اللحيوات لهما النصف « بالحسنى » وأبقوا النصف . ثم اجتمع القائدان حمد بن عامر ومسمح بن نجم في بيت أبو طقيقة في مصر فعقدا صلحاً وعاد اللحيوات الى بلادهم * ومما قيل في هذه الحرب :

« في شأن لقلوق غدت اللحيوات بالنوق »

وقيل : « تياها يا سيل طموش والحيوات يا سدّ حبوس »

قالوا وكان التياها لما نزح اللحيوات الى فيران أرسلوا اليهم يقولون « اننا لم نعلن الحرب الا على النجمات والخناطلة والكساسبة وأما باقي اللحيوات فليس بيننا وبينهم حرب » وقد قصدوا بذلك شق القبيلة ففازوا بقصدهم ورجع قسم كبير من اللحيوات الى أوطانهم في بلاد التيه خوفاً على إبلهم من الشتات واجتناباً لشر الحرب ففنّى بنات الطورة في ذلك قالوا :

اللي قطع (الترعة) مضّى كلامه والنبي شوفاني
واللي قعـد يا بنـات والنبي كوباني (نذل)

ومن ذلك الحين فالفريق الذي ثبت على الحرب لهُ الميزة على الفريق الذي تخلّف عنها . من ذلك أنهُ اذا شرد أحد اللحيوات ببنت من بنات القبيلة وكان من الفريق الأول غُرّم « بمفرود » واذا كان من الفريق الثاني غُرّم « بمربوط »

٧ . حرب اللحيوات والمعازة سنة ١٨٢٠ : سنة ١٨٨٥ م

﴿ واقعة القرّيص الأولى ﴾ في نحو سنة ١٨٢٠م قامت حرب بين اللحيوات والمعازة دامت سنين عديدة سببها ان المعازة غزوا بلاد التياها وساقوا منها نياقاً لعتيق البريكي التيهي وانقلبوا راجعين الى بلادهم فمرُّوا في طريقهم على بئر القرّيص واتفق أن اللحيوات كانوا اذ ذاك مخيّمين قرب البئر يحتفلون بختان أولادهم وكان بين الذين يختنون «سليمان القصيّر» شيخ اللحيوات الأسبق . فجاءهم منذر يقول أن المعازة نهبوا ابلاً للتياها وهم مارُّون بها على البئر فلزم اللحيوات حسب عُرف العرب ردّ الابل المسلوبة لأهلها فطاردوا المعازة واستردوا الابل منهم عنوة . وقد قتل منهم سليمان بن عليوية من النجمات فهبّ النجمات لأخذ الثار وكان غزاة المعازة قليلين فأطنبوا على عيد بن حسين من كبار النجمات فأصبح مجبوراً بسلو العرب أن يحميهم من قومهِ فجاء الى النجمات طالبي الثار وسألهم أن لا يؤذوا المعازة وهم في بيتهِ فيجلبوا عليهِ العار بل ينتظروا حتى يخرجوا فيفعلوا بهم ما أرادوا . فقعد النجمات لهم في الطريق منتظرين خروجهم من البيت ، وكان عيد بن حسين واسع الحيلة سديد الرأي فلما دخل الليل ذبح نعجة من نعاجهِ وعلقها أمام خيمتهِ وأوقد النار ليوهم النجمات أنهُ

يصنع ضيافة للمعازة وأوعز الى المعازة أن يتسللوا واحداً بعد واحد تحت جنح الظلام ففعلوا ونجوا بأنفسهم فنقل المعازة هذا الفعل « حسنى » لعيد بن حسين الى اليوم

﴿ واقعة أبو عجارم ﴾ وفي حوالي سنة ١٨٤٠ غزا معازة الكرك التياها بقيادة «فريج أبو طيرين» فأخذوا نحو ٤٠ ناقة لأبي فارس التيهي . وكان اللحيوات اذ ذاك نازلين شمالي « وادي العقفي » فلما دروا بالخبر انطلقوا وراءهم فأدركوهم في « وادي أبو عجارم » قرب مصب العقفي بالجرافي فوقف لهم المعازة وحدثت واقعة دموية بالبارود أولاً ثم بالحجارة دامت من الصبح الى قرب الغروب . ثم تحمس أبو طيرين كبير المعازه فاستل سيفهُ وصاح بقومهِ وهجم على اللحيوات فرماهُ جمعة رضوان من اللحيوات السلاميين برصاصة من بندقيتهِ أم زناد فخرَّ قتيلاً فوقع الفشل في المعازه فتركوا غنيمتهم وابلهم وفرُّوا هاربين فاسترد اللحيوات جمال أبو فارس التيهي وغنموا فوقها نحو ٣٠ ذلولاً وفي ذلك قال شاعرهم :

دارِس يا قلبي دارِس   حطّينا ءَ الدرب حارس

خليك فاكر يا تيهي   فكّينا ابل أبو فارس

﴿ واقعة القريص الثانية ﴾ وفي حوالي سنة ١٨٧٧م أيام كان محمد افندي عبده ناظراً على نخل والعقبة خرجت سرية من المعازة مؤلفة من ٣٠ رجلاً بقيادة صبحي ابو هيشه بقصد غزو اللحيوات فساروا حتى أتوا بئر القريص فالتقوا قافلة من التجار ذاهبة الى العقبة وكانت القافلة خليطاً من الحويطات وأهل نخل والعقبة والسويس وليس فيهم الاّ لحيوي واحد فظنها المعازة انها قوم من اللحيوات فاشعلوا فيهم النار فصمدوا لهم وأجابوهم بالمثل فقتلوا كبيرهم صبحي ابو هيشه وجملهُ وجرح المعازة ابن عصبان الحويطي في كتفهِ . ثم صاح صالح الكبريتي من أهل العقبة بالقوم وقال: « نحن تجار أصحاب ولسنا لحيوات» فلما رأى المعازة انهم يحاربون قافلة كفُّوا عن الضرب وقالوا للكبريتي ادفن قتيلنا « بحسنى » فحملهُ الى العقبة ودفنهُ هناك

﴿ واقعة العقفي ﴾ وفي حوالي سنة ١٨٨٥ جهز معازة الكرك سرية من نحو ٢٠٠ رجل بقيادة كبيرهم الرُّطيل وأتوا وادي العُقفي ولم يكن فيهِ من اللحيوات سوى ٣٠

رجلاً فباغتوهم الهجوم عند الفجر وقتلوا منهم ١٤ رجلاً وساقوا ابلهم وانقلبوا راجعين الى بلادهم فقال شاعر اللحيوات مشيراً الى هذه الوقعة : « يا ما صُنيًّا طاحِ . مع لوحة الصباح . من بندق ورماح » * قالوا ولكن اللحيوات ثبتوا للمعازه في تلك الوقعة وقتلوا كبيرهم الرُّطيل وأخذوا يشنون الغارة على المعازة حتى قتلوا منهم بقدر ما خسروا في وقعة المقفي . وكان الفريقان قد ملأ الحرب فاجتمع كبارهم في بيت محمد بن جاد شيخ الحويطات العلاوين وعقدوا صلحاً لا يزالون عليهِ الى اليوم . وكان حسيب اللحيوات في هذا الصلح الشيخ سليمان القصيّر

٨ . حرب اللحيوات والشرارات سنة ١٨٧٣ : سنة ١٨٩٥ م

﴿ غزوة اللحيوات الاولى للشرارات سنة ١٨٧٣م ﴾ بينّا في الكلام على سكان سيناء كيف ان عرب هتيم يعيشون بين قبائل العرب « بالخاوه » . وكان الشرارات وهم من هتيم يدفعون الخاوه لبني عطية . فلما قوي ساعدهم أبوا دفع الخاوه فقامت الحرب بينهم و بين بني عطية ، واللحيوات فرع من بني عطية كما علمت . ففي حوالي سنة ١٨٧٣ جرَّد اللحيوات حملة على الشرارات مؤلفة من ٢٥٠ هجاناً عقدوا لواءها لسليمان بن رضوان من السلامين وصحبهم نفر من التياها والترابين والحويطات فساروا حتى قطعوا طريق الحج الشامي عند « سرَغ » وأتوا وادي السرحان على يومين من سرغ فأصابوا هناك إبلاً للشرارات الضباعين فأخذوها وانقلبوا راجعين الى سيناء فأنفذ الضباعين الخبر الى اخوانهم الشرارات فتجمع منهم في الحال نحو ٥٠٠ هجان ففزعوا وراء اللحيوات وأدركوهم في « سَرو القاع » فوقف لهم اللحيوات برهة ثم أفلتوا منهم وجدُّوا السير نحو سيناء فتبعهم الشرارات حتى أدركوهم في « ودعات » وهناك صمد لهم اللحيوات ووقع بين الفريقين وقعة شديدة دامت من طلوع الشمس الى ما بعد الظهر وكان النصر فيها للشرارات فقد قتلوا من اللحيوات عشرين رجلاً ومن رفاقهم أربعة واستردوا إبل الضباعين وغنموا إبل القتلى وعادوا الى بلادهم وخسارتهم ١٦ رجلاً . وقد نظموا بوصف هذه الواقعة قصيدة طويلة عرَّضوا فيها بمدح كبيرهم سطَّام افندي ومنها :

يا راكب حرّ القعدان　　حرًّا من نسل وضيحان
يمّك بهْ على سطّام　　دون افندي لا تبات
بيتهُ فيهِ خطوط الصوف　　وصوفه ما هنّ غبيّات
تشبع بهِ الهلاليج　　في الليالي السيّئات
قل افندي صباح الخير　　والله من قوم لفَت
غارت قوم اللحيوات　　في الحماده الهدَفات
ينقلون المزانيد　　والسيوف المرهفات
أخذوا نياق الضباعين　　معها خلج وحوارين
وقشّوا كل جمال الحي　　ونياق جريس المسّمات
لحقوهم طلابة الدين　　العزّام والضّبعات
برّكوهم «سرْو القاع»　　وثاني برْكه في «وذعات»
وصار الملح العرم الزين　　بين الصفّين المتقابلات
أول هوشة بالبارود　　وثاني هوشة بالطبنجات
وثالث هوشة بالرماح　　والسيوف المرهفات

﴿غزوة اللحيوات الثانية للشرارات﴾ وفي ربيع سنة ١٨٩٥ ؟ جرّد الصفايحة والشوّافون اللحيوات حملة مؤلفة من ١٥٠ هجاناً ليثأروا من الشرارات . وكان عقيد الصفايحة الحاج سلاّم أبو صفيح وعقيد الشوّافين سلامة بن رضوان . فساروا حتى أتوا سرَغ فسقوا هجنهم وملأوا قرَبهم واستطردوا السير الى مشاش الطُبيق قرب وادي السرحان وكانوا يظنون فيهِ الماء فوجدوهُ يابساً ورأوا من الأثر في الطريق أن الشرارات كثار جداً لا قبل لهم بهم فانقلبوا راجعين بطريق مختصرة تقطع درب الحج الشامي بين رسغ ومعان فضلُّوا الطريق وساروا الليل والنهار في طلب الماء حتى أعياهم الظمأ والنعاس فسقط منهم نحو ٣٠ هجاناً وأدرك الباقون مشاش «البترا» شمالي سرغ

ونام أحد الذين تأخروا لشدة الظمأ والنعاس فرأى شخصاً في الحلم يقول لهُ قم واشرب ودلّهُ على مكان فيهِ ماء فاستيقظ وذهب الى المكان الذي دلّهُ عليهِ فاذا

هو « مشاش كِبْد » على نحو ٦ ساعات من مشاش « البترا » فروّى ظمأهُ وعاد الى رفاقهِ فأتوا وشربوا وسقوا جمالهم واستطردوا السير فانضموا الى اخوانهم في مشاش « البترا » وانقلبوا راجعين الى سيناء بخفي حنين * وقد رافق هذه الحملة الشيخ ضيف الله سالم شاعر اللحيوات فنظم في ذلك قصيدة طويلة جاء فيها :

ونمشي على القردود والركب ساره ونشلّ على بطنان والرمل بيسيل
الليـل ما آني والِلي هجرنا نهاره وتاه الدليل عن الروا في المشاليل
القايلة بيبرّكن في الظلاله والذل شفتهُ في عيون الرجاجيل
والطيح منا صار بين الجباله والريق يابس والمخاليق بتعيل

٩ . حرب اللحيوات والسعديين سنة ١٩٠٦

﴿ حادثة الغبيَّة ﴾ وفي يناير سنة ١٩٠٦ اتفق خمسة من السعديين والمعازة والقديرات والتياها والكعابنة التابعين لتركيا ونزلوا على جماعة من اللحيوات في وادي الغبيَّة فقتلوا عقيدهم سلامة بن رضوان ونهبوا جملاً وعادوا الى بلادهم

﴿ حادثة أم حلُوف ﴾ ففتش اللحيوات على الغرماء فوجدوا الجمل المنهوب وعباءة القتيل عند السعديين . فقصد أخو القتيل وابن عم لهُ بلاد السعديين فالتقيا واحداً منهم يدعى سالم بن رمَّان عند ملتقى وادي أم حلوف بالجرافي فقتلاهُ

فلما بلغ الخبر شيخ السعديين بعث برسول من البريكات الى علي القصيّر شيخ اللحيوات السابق معلناً الحرب على اللحيوات فأرسل لهُ الشيخ علي القصير رسولاً من الترابين يقول انهُ مستعد للتحكيم في مجلس عرفي في بيت حماد الصوفي شيخ الترابين حقناً للدماء فأبى . وكان القومندان في سيناء اذ ذاك المستر براملي فرفع الشيخ علي القصير الأمر اليهِ فألقى القبض على القاتل ثم أطلقهُ بضمانة قوية وكتب الى قائمقام بئر السبع يسأله منع السعديين عن الحرب واقناعهم بقبول المجلس العرفي حسب سلو العرب فلا القائمقام أجابهُ ولا السعديون كفُّوا عن اللحيوات

﴿ حادثة الفحَّام ﴾ وفي صباح الاثنين ١١ يونيو سنة ١٩٠٦ كان المستر كيلن ، أحد مهندسي اللجنة التي ندبت لتحديد التخوم بين سينا وسوريا ، مشتغلاً

بتخطيط الحدود فلما وصل ملتقى وادي الفحام بوادي الجرافي فاجأهُ نحو مئة هجان من السعديين والمعازة والحجايا وكلهم مدججون بالأسلحة النارية أتوا من « الغَور » بنية غزو اللحيوات . وكان مع المستركيان رجلان من اللحيوات فأنكرا قبيلتيهما وادّعيا أنهما من الحويطات . وكان القوم قد بدأوا بنهب رجال الحملة ظنًّا أنهم من اللحيوات فلما لم يروا أحداً من هؤلاء ردُّوا ما كانوا قد نهبوهُ وعادوا الى « الغور »

١٠ . حرب اللحيوات والسواركة . في عهد أجداد الجيل الحاضر

﴿ وقعة القُرَيعة ﴾ في أيام علي بن نجم كبير اللحيوات ، الذي قتل في قلعة مصر ، غزا اللحيواتُ السواركةَ في القريعة عند رجم القبلَين فقتلوا منهم ونهبوا نحو مئة جمل وانقلبوا راجعين الى بلادهم . فجمع السواركة جموعهم وطاردوا اللحيوات فأدركوهم في العَمر وقاتلوهم ولكن اللحيوات تمكنوا من صدهم وفازوا بالغنيمة

وكان بين الإِبل المنهوبة ناقة لأرملة من السواركة لها ولد طفل فاستغاثت بكبير اللحيوات قائلة « ردّ ناقة الذي لا يعرف العذر » تعني بهِ ولدها فردَّ لها ناقتها وأعطاها فوقها قعوداً وخلع عليها ملايتهُ الحريرية * وكان اللحيوات في طريقهم الى هذه الغزوة التقوا رجلاً حسن البزة لابساً لبس الشيوخ فقتلوهُ ظنًّا انهُ شيخ للسواركة ثم ظهر أنهُ من أولاد سليمان العرايشية . فبعد الواقعة اجتمع كبار العرايشية واللحيوات في مقعد الوحيدي في وادي غزة فرضي العرايشية بأخذ الدية ٤٠ جملاً فأخذوا منها عشرين جملاً وعلقوا العشرين الأخرى « حسنى » على اللحيوات

﴿ وقعة الطيّبة ﴾ وبعد هذه الغزوة بسنة جمع السواركة جموعهم وغزوا اللحيوات في وادي الطيبة ، أحد فروع القرّيص ، وكان هناك من اللحيوات الشيخ علي والمسنّح أبو غريقانة فشردا فلحق بهم فارس من السواركة فوقع الشيخ عليّ من على هجينهِ ولكنهُ نهض للحال وأخذ بندقيتهُ وهمَّ بضرب الفارس فصاح الفارس قائلاً « أنا في وجهك » فتركهُ . ثم ركب ناقتهُ وصعد على قوز مرتفع وتبعهُ المسنّح اليهِ فتحصنا فيهِ واستعدا للدفاع . ولما اقتربت غزاة السواركة منهما ظنوهما جمعاً كبيراً فاجتمع شيخ السواركة بالشيخ علي وعقدا هدنة سنة . ثم اجتمعا في بيت ابن فيَّاض الترباني

وعقدا صلح « قلد ». و بعد ذلك بمدة حالف مسمحُ بن عليّان بن أخي علي الترابينَ وحارب معهم السواركة في واقعة المكسر سنة ١٨٥٦ كما سيجيء

١١. حرب التياها والسواركة نحو سنة ١٨٤٦

﴿ يوم ألبني ﴾ وفي حوالي سنة ١٨٤٦ هاجم السواركة والرميلات التياها عند جبل ألبني فقتلوا منهم تسعين رجلاً وغنموا عدداً كبيراً من الإبل وفي ذلك قال شاعرهم : يا زين بشّر العلامات تسعين بيضة صبّحن عريات

وتعرف هذه الواقعة « بيوم ألبني » . وكان في جملة ما غنمهُ السواركة نياق خواوير أي حلاّبة قالوا كانت الناقة تحلب باطية كبيرة في الصبح وباطية في المساء

﴿ ٣. حروب البدو في بلاد العريش ﴾

١٢. حرب الرتيمات مع الجيش المصري سنة ١٨٣٠

﴿ واقعة المقضبة ﴾ ومن محفوظات الجيل الحاضر في العريش « واقعة المقضبة » قالوا في نحو سنة ١٨٣٠ في عهد محمد علي باشا على مصر خرجت قافلة من غزة ومعها بضائع كثيرة من الأقمشة الحريرية والصابون والسكر وسارت في الدرب المصري قاصدة مصر فالتقاها عرب الرتيمات وسلبوها مالها قيل فكثر السكّر والحرير في بلاد الرتيمات حتى جدلوا لإبلهم قيوداً من الحرير وسقوها ماء السكّر وهم يغنون: « سمحه ذوقيه . طعم السكر مميوص فيه » . فأخذت حكومة مصر تترقبهم حتى علمت بتجمعهم يوماً في المقضبة فساقت اليهم العساكر فرقتين وحصرتهم بين نارين فقتلت منهم خلقاً كثيراً وما زالت تطاردهم حتى أتى كبارهم الى العريش طالبين الأمان فأعطي لهم

١٣. حرب الترابين والجبارات في عهد أجداد الجيل الحاضر

من الحروب الشهيرة التي جرت في بلاد العريش في عهد أجداد الجيل الحاضر ولا يزال هذا الجيل يذكرها ، حرب الترابين والجُبارات قالوا :

« كان الجبارات قبيلة قوية تسكن القسم الشرقي من بلاد العريش وكان ينسَب اليهم الرتيمات والسواركة فأشهر عليهم ترابين سوريا حرباً دامت نحو عشرين سنة جرت في أثنائها وقائع دموية في جهات وادي المغارة . والمُوَيلح . والحسنة . والعَمر

وغيرها وكانت الخسارة فيها جسيمة من الجانبين. وأخيراً انتصر ترابين مصر لاخوانهم في سوريا فأرسلوا لهم نجدة بقيادة الشيخ أبو سرحان ففازوا بطرد الجبارات. والرتيمات من بلاد العريش الى بلاد غزة وهناك أوقعوا فيهم وقعة فاصلة على نهر الشريعة وعقدوا بعدها صلحاً جعلوا فيه « قنان السرو » ، وهي طريق شهيرة شرق غزة ، الحدّ بينهم وبين الجبارات ما زالوا عليه الى اليوم . قالوا ولو لم ينجد ترابين سوريا أبو سرحان من مصر لم يتسنَّ لهم الفوز على الجبارات وفي ذلك قال الجبارات :

« ترباني جيت من التربة لولا أبو سرحان ما صحّت لك بلاد غزة » .

وقيل ان « قبور الرتيمات » بين وادي البروك ووادي الحسنة هي قبور قتلى هذه الحرب . وان قبور أولاد علي على ماء الروافعة بوادي العريش هي قبور أجداد الترابين وأوليائهم . والترابين يزورون هذه القبور ويذبحون لها الذبائح

١٤ حرب الترابين والعيايدة . من عهد أجداد الجيل الحاضر الى سنة ١٨٨٥ م

هذا وقد حلَّ بعض بدنات الترابين بعد هذه الحرب محل الجبارات فشغلوا قسماً في الجنوب الشرقي من بلاد العريش يشبه السفين وأصبحوا يحاذُون السواركة قبلي فالعيايدة من الشمال والتياها من الجنوب . وما عتّموا أن وقع بينهم وبين العيايدة خلاف على الحد أدّى الى الحرب وكان حسيبهم اذ ذاك سليم بن فياض ، وحسيب العيايدة صباح بن سبيع ، فدامت الحرب سنين الى أن عيّن الحد وأصبح حد الترابين الشمالي يتمشّى على الدرب المصري من حجر السواركة قرب صنع المنيعي الى البواطي فينحرف غرباً الى رِجم القبلين . فجبل ريسان عنيزة . فجبل المزار . فجبل الريشة . فجبل قدَيره الى أن ينتهي برجوم العمرَات على نحو عشرين ميلاً غربي جبل المغارة . فهم يحاذُون السواركة من صنع المنيعي الى رجوم القبلين . ويلي من رجوم القبلين الى الشيخ حميد . والعيايدة من الشيخ حميد الى رجوم العمرات

قالوا وكان العيايدة والسواركة مدققين على الحد مع الترابين حتى كانوا لواضطروا الى المرور في ارضهم يكمّون أفواه إبلهم لئلا ترعى عشب الترابين . وهكذا كان يفعل الترابين لو مرُّوا بأرض العيايدة والسواركة . ولكن هذه الحال قد زالت الآن

واشتري السواركة كثيرًا من أراضي الترابين شرقيهم وعاشوا معهم على صفاء تام

﴿ حادثة الحوار ﴾ ودام السلام بين الترابين والعيايدة الى سنة ١٨٨٥ فوقع ما كاد يؤدي الى الحرب وذلك أنهُ في تلك السنة اختلف سليمان القديري العيادي مع انسباء لهُ بسبب «حوار» فأطنب على حسَّان الحسينات التربانى في جبل المغارة للحصول على حقهِ . فذهب حسَّان الى أنسباء سليمان وسألهم أن ينهوا الخلاف مع نسيبهم بسلوِ العرَب فأبوا وأصرُّوا على التنكيل بهِ وأغاروا على أبلهِ فأخذوها . فلما درى حسَّان التربانى بذلك جمع جموعهُ وقصد أرض العيايدة وأخذ يفتّش عن أبل سليمان حتى وجدها فاستردَّها عنوة . فاستاء سليمان بن سبيع حسيب العيايدة من ذلك فقوَّض خيامهُ وعبر الترعة الى مصر وأخذ يغزو الترابين من هناك حتى كلَّ وأضرَّ الذباب إبلهُ فطلب الصلح فاجتمع الفريقان في بيت خضر الشنيبات شيخ الترابين الحرَرة فحكم على العيايدة باعطاء الحق لنسيبهم سليمان فاجتمعا في قطية لهذا الغرض وسمُّوا قضاة حق ثلاثة وهم : أول حق : سلاَّم الحاج بن صفيح من الصفايحة اللحيوات ثاني حق : مصلح أبو قردود التيهي * ثالث حق : مغنم ابو الريش العيَّادي . فحكم أول حق بالأمر فلم يرضَ الترابين بحكمهِ . فحكم ثاني حق فرضوا وانتهى الخلاف

١٥ . حرب الترابين والسواركة . من عهد أجداد الجيل الحاضر الى سنة ١٩١٤م

﴿ يوم القرارة الأول ﴾ كان الرميلات في عهد أجداد الجيل الحاضر يسكنون أرض « القرارة » شمالي خان يونس وهي مشهورة بخصبها . فقامت بينهم وبين الترابين حرب فاز فيها الترابين وطردوا الرميلات من القرارة وسكنوها مكانهم وطاردوهم حتى أدخلوهم أرض السواركة في بلاد العريش. وكان السواركة قد ورثوا عداوة الترابين من اخوانهم الجبارات فرحَّبوا بالرميلات وأسكنوهم على الحدّ الشرقي وكان يفصل بينهم وبين الترابين درب الحجر الذي ينشأ من حجر السواركة وينتهي ببئر رفح . وقد شقّ على الرميلات جدًّا خروجهم من أرض القرارة فقال شاعرهم :

« لا صوم عن كل الطعامات واقطع بلاد القرارة في الظلامات »

اشارة الى أن أنهُ لا يطيق أن يراها بيد أعدائهِ وأنهُ لا بدَّ من استرجاعها منهم

﴿ يوم الخناجرة ﴾ وما زال الرميلات والسوازكة يترقبون الفرص للأخذ بالثار من الترابين حتى كانت سنة ١٨٤٨ فلاحت لهم فرصة فهاجموا عرب الخناجرة القاطنين على الحد شرقيهم تحت حماية الترابين فاكتسحوا بلادهم . وتقدموا الى أرض الترابين فهاجموا محلة من محلاتهم وحملوا كل ما استطاعوا حملهُ من الأثاث والغفُور وساقوا أمامهم الإبل والأغنام والخيل والحمير وعادوا الى بلادهم . وكان بين غزاة السواركة رجل يقال له عوّاد البعيرة فنيما هو راجع من الغزوة وجد نساء «أبوستة» كبير الترابين يحمّلنَ الغفور على جمل لهم فأخذ عوّاد الجمل بما عليهِ وترك النساء وشأنهنّ

﴿ يوم القرارة الثاني ﴾ وفي نحو سنة ١٨٥٥ م وقع خصام بين صرّار ابو شريف من الخناصرة السواركة وبعض أقربائهِ فاضطهدوهُ فلجأ الى أعدائهم الترابين فجمع السواركة والرميلات جموعهم وهاجموا الترابين في أرض القرارة وسط النهار فطردوهم حتى أدخلوهم خان يونس وقتلوا منهم والقوا القبض على قريبهم صرار أبو شريف فقتلوهُ ثم بقروا بطنهُ وحشوهُ رملاً وقالوا « هذا جزاء من يخون أهلهُ وينضمُّ الى أعدائهم . وقال شاعر الرميلات في ذلك اليوم :

طاح السيف من كفّ الوحيدي سيف الشيخ صارت له رنَّه
قوطرت بهِ زعوب الخيل حمرا زقاق الخان ما بنزلّ عنّه

﴿ واقعة المكسر صيف سنة ١٨٥٦ ﴾ وقد تقدم لنا أن الترباني يتحاشى الشر جهدهُ حتى اذا لم يعد يرَ منهُ مهرباً نهض نهضة الأسد واستنصر بحلفائهِ واندفع بكليتهِ على خصمهِ حتى يقهرهُ . فلما رأى الترابين ما كان من مناهضة السواركة والرميلات لهم قاموا قومة رجل واحد وجمعوا جموعهم واستنصروا بحلفائهم العزازمة والحويطات واللحيوات وغيرهم وحملوا كالسيل الجارف على السواركة في بلادهم حتى أتوا مقام الشيخ زويّد فذبحوا له جملاً . وكان السوازكة والرميلات قد علموا بزحف الترابين فجمعوا قواتهم في الخرُّوبة في منتصف المسافة بين العريش والشيخ زويد .

وكان حسيب الترابين اذ ذاك الشيخ جمعة أبو ماسوح وعقيدهم الشيخ «أبو ستة» وحسيب السواركة وعقيدهم الشيخ سبيتان أبو عيطة وعمدتهم الشيخ سلامة عرادة

عم سلاّم عرادة عمدة السواركة الحالي. فبعث حسيب الترابين الى حسيب السواركة يقول « اكفونا شرّ الحرب واقنعوا ببلادكم وحدكم » فأجابهُ أبو عيطة « دع عنك هذا الهذر فلا بدّ من استرجاع بلادنا حتى القرارة »

فشرع عقيد الترابين اذ ذاك في تنظيم جيوشهِ واعدادها للهجوم فجعلها ثلاثة جيوش وأرسل جيشاً بطريق البحر وجيشاً بداخل البر وسار هو بالجيش الثالث في الطريق المعتادة قاصداً الخرُّوبة . فخرج السواركة لملاقاتهِ حتى صاروا على نحو نصف ساعة من الخرُّوبة فما شعروا الاّ وجيوش الترابين الثلاثة قد انقضّت عليهم من اليمين والشمال والامام فوقع فيهم الفشل فأعمل الترابين فيهم السيف حتى أفنوهم تقريباً ولم يسلم منهم الاّ طويل العمر ففرُّوا الى العريش واحتموا بقلعتها وقليل ما هم . وكانت هذه الواقعة في صيف سنة ١٨٥٦[١] . وقد سمي المكان الذي وقعت فيهِ «بالمكسر »

ولما كنت على الحدود سنة ١٩٠٦ قابلت بعض من حضر هذه الواقعة من السواركة وفيهم حسين سلامة وهو رجل قديم الأيام فقال « كان انكسارنا بواقعة « المكسر » عظيماً حتى أنهُ لم يبقَ فينا من الذكور الاّ نفر معدود لا نملك شيئاً فان الترابين عادوا الى بلادهم بابلنا وأغنامنا . وبعثنا نطلب الصلح من حسيب الترابين ونستأذنهُ في العودة الى بلادنا فأجابنا «عليكم وجهي ارجعوا الى بلادكم » . ثم اجتمع كبارنا وكبار الترابين في بيت سالم بن مصلح من الحناجرة ؟ وعقدوا بينهم صلح « قلَد » على أن يعود كل فريق الى بلادهِ » . وبذلك بقيت « القرارة » التي هي أصل الحرب بيد الترابين . وقال شاعرهم :

حرب بنوهُ الرميـلات يا ويلهم من عقابه
بطيخهم اكلوهُ اللحيوات ونحن نقشقش عقـابه

وكان قليد الترابين في هذا الصلح جمعةُ أبو ماسوح . وكان « أبوعيطة » قليد السواركة قد قتل في الواقعة فسمّى السواركة ابنهُ سالم البكر قليداً عليهم فكان قليدهم في الصلح مع الترابين . وعاش بعد ذلك سنتين ثم مات . وكان أخوهُ « صُبح » غير مرشد فولى السواركة « زيتون عوّاد » قليداً عليهم فتوفي سنة ١٨٨٥

---

(١) تورخ الوثائق للحادثة بعام ١٨٥٨م ، فتذكر انـــه تجمعت قواي ١١ قبيلة علي رأسها الترابية والتياها و الحويطات واللحيوات وغيرها ضد قبيلة السواركة بهدف الاستيلاء علي ممتلكاتها الزراعية ، وحدثت معركة كبيرة عند الخروبة قتل فيها عدد ضخم من السواركة ، ولجأ بعضهم لقلعة العريش للاحتماء بالحكومة التي حاولت عمل هدنه بين الطرفين ، تحريرات محافظة العريش ، سجل ٢٠ جزء ٢ ، ص ٤١ـ صادر الداخلية وثيقة ١٧٦ في ١٦ سبتمبر ١٨٥٨م

﴿ تجديد الصلح ﴾ فاجتمع كبار السواركة والترابين في بيت الحاج حماد بن مصاح واختاروا « صبح بن أبو عيطة » المشهور قليداً على السواركة في ٢٥ ربيع أول سنة ١٣٠٣هـ ١ يناير سنة ١٨٨٦ م وعوده سويلم جرمي قليداً للترابين فجدّد القليدان العهود والمواثيق « للسير بموجب الأساليب المرعية عند العربان وعدم تعدّي فريق على فريق في نفس أو مال أو عقار ومنع كل قليد عربانهُ عن النزاع »

وفي أوائل سنة ١٨٨٩ أيام كان محمود بك محافظاً للعريش وقع خلاف بين الترابين والسواركة فلجأ كل فريق الى أخذ جمال الفريق الآخر بالوثاقة وكاد الأمر يفضي الى « فضّ النقا » بينهم واعلان الحرب . فتدارك محمود بك الأمر بحكمتهِ وعيّن مندوبين من محافظة العريش وأرسل الى قائمقامية غزة فأرسلت مندوبين من قبلها فاجتمعوا في بيت مهيزع النرباني بحضور قليدَي السواركة والترابين وأعيانهم وعقدوا صلحاً في ٣ جماد الثاني سنة ١٣٠٦هـ ٤ فبراير سنة ١٨٨٩م لا يزالون عليهِ للآن

﴿ حادثة الفرَس ﴾ وفي سنة ١٩٠٤ ساق بعض الترابين ، ومعهم عساكر من خان يونس ، تسعة رؤوس بقر للرميلات وكان المحافظ على العريش اذ ذاك محمد بك اسلام فكتب الى قائمقامية بئر السبع في ردّها ومضى ستة أشهر بلا نتيجة حتى فرغ صبر الرميلات فركب عشرة من فرسانهم الى بلاد الترابين المغاصبة فأخذوا فرساً للشيخ « قعود المغاصيب » وأتوا بها الى بلادهم ففزع المغاصبة وراءهم فلم يدركوهم . وبعد ذلك بأيام أرسلوا خبراً للرميلات يقولون « لاقونا لبيت سلام عرادة عمدة السواركة في الخروبة في يوم كذا للتقاضي عنده » . فاجتمعوا في الميعاد فردّ الترابين البقر للرميلات واستردُّوا فرسهم فنظم فرج سليمان شاعر الرميلات قصيدة طويلة في ذلك جاء في ختامها :

جتك عشر فرسان في رايق الليل	حامت عليك الخيل زي الحديّات
خذوا الفرس منك والعين بتشوف	تبكي عليهـا بالدموع السخيّات
لازم تجيب الحق وتدور دورين	لتذوق من ضرب السيوف الطريرات
لازم تحطّ الحق يابو مغيصيب	ما يضيع حق يطلبوه الرميلات

١٦ : حرب الترابين والتياها سنة ١٨٥٦ : ١٨٧٥

﴿ واقعة بطيح ربيع سنة ١٨٥٦ ﴾ . وفي أوائل سنة ١٨٥٦ وقع بين الترابين والتياها في سوريا حرب سببها ان عودة من التياها العطيات طعن بعرض أخيه عامر وانتصر لهُ التياها فأطنب عامر على الترابين . فاشتبك القبيلتان في قتال قرب بطيح وراء نهر الشريعة قتل فيه من الترابين عشرة رجال . فعاد الترابين وجمعوا جموعهم وأوقعوا بالتياها وقعة في بطيح . فكسروهم شر كسرة وقتلوا منهم خلقاً كثيراً . وكان ذلك في ربيع سنة ١٨٥٦ . فجاءت بعدها وقعة « المكسر » بين الترابين والسواركة في صيف تلك السنة كما مرَّ

وكان التياها في سوريا قد حرّضوا السواركة على محاربة الترابين ووعدوهم بنجدتهم وعلم الترابين ذلك فتركوا قسماً من فرسانهم لبرء شر التياها ومنعهم من الاجتماع بالسواركة ثم لما علم هؤلاء الفرسان بدنو الواقعة أوهموا التياها انهم يستعدون لمهاجمتهم فشغلوهم في الاستعداد للدفاع وفي أثناء ذلك انسلّوا الى ساحة القتال فحضروا الواقعة وشاركوا اخوانهم في النصر وعادوا الى مكانهم في صدد التياها

ثم لما صالح السواركة الترابين صالحوهم هم أيضاً . وكان الصلح في بيت سالم أبو سنجر من الترابين النبعات

﴿ تجدُّد الحرب ﴾ : وفي نحو سنة ١٨٧٥ تجددت الحرب بين الترابين والتياها بشان الحدود ونصر العزازمة الترابين ففازوا فنظم شاعرهم في ذلك قال :

يا ربح قل للقديرات[1]   حمَّاد[2] وفي كلامه
« بيرين » لابن كريشان[3]   و « العمر » لابن جهامه[4]

(١) فرع من التياها (٢) حماد الصوفي (٣) شيخ العزازمة (٤) الترباني

وقال أبو عرقوب الشاعر العزَّامي المشهور ينوّه بهذه الحرب ويمدح « جربة » بنت حسين أبو ستة وزوجها حمَّاد الصوفي :

جربة بلُّور تضي زِ النور   في الليالي العتمه
بتمشي هزّ يبراها العزّ   عيونها سمر بلا كحلِ

أبوها سور يقود صقور حمّاي الحور عن النلّ
سيفه روباص يقطع راس يوم الفراس مثل النحلِ
زبعة حمّاد ملم جياد وفي ذمتي أنهُ فحلِ
هذا حمّاد يعطي جوخ ألبس عجبان في بيت أهلي
هذا حمّاد يذبح خرفان يقري الضيفان مع المَشلِ
صقر الغالي عزّ التالي يركض ءَ النار وهي شعلي
يوم الله عاد جانا حمّاد ردّ الأجواد من الدّحلِ
شفت الصبيان يهزوا الزان ينخُّوا نوران وأولاد علي

﴿ اللحيوات والبريكات ﴾ ونصر اللحيوات في هذه الحرب حلفاءهم الترابين فطردوا البريكات التياها من بلادهم واحتلوها مكانهم . ثم لما عقد الترابين والتياها الصلح عقد اللحيوات والبريكات صلح « قلد » في بيت سليمان أبو عصا العزّامي في المقراه لايزالون عليه الى اليوم. وكان البريكات قد قتلوا من اللحيوات الغريقانيين ثلاثة رجال فدفعوا لهم الدية ١٢٠ جملاً وعادوا الى بلادهم

۱۷ . حرب الترابين والعزازمة في نحو سنة ۱۸۸۷

وفي حوالي سنة ١٨٨٧ وقعت حرب بين الترابين والعزازمة بسبب قطعة أرض زراعية في جهة الخليل فاستنصر الترابين اخوانهم وحلفاءهم في جزيرة سيناء فنصرهم ١٥٠ رجلاً من الترابين و ١٠٠ من التياها ؟ و ٨٠ من اللحيوات الصفايحة ، ودامت هذه الحرب نحو ثلاث سنوات فتك الترابين بالعزازمة وضيقوا عليهم فلجأوا الى بطرك القدس فحمل الدولة على التوسط في الصلح فتصالحوا بعد حرب دامت نحو ٣ سنوات كانت فيها خسارة العزازمة نحو ١٢٤ قتيلاً وألف جمل وكثير من الخيل والمعز وخسارة الترابين ١٦ قتيلاً و ٤٠ جواداً ؟

هذه هي خلاصة حروب البدو الحديثة في سيناء استخلصتها بعد جهد جهيد فعلمت منها حال الحِلف والقلَد بينهم في وقتنا الحاضر . وقد تقدم ذكرها في الكلام على شرائعهم فليراجع

الفصل الخامس

في

حادثة الحدود سنة ١٩٠٦

المشهور أن الفرمان ، الذي أصدرهُ السلطان محمود الثاني لمحمد علي باشا سنة ١٨٤١ يثبّتهُ فيهِ على مصر ويجعل الحكم وراثياً في أسرتهِ ، كان معــهُ خريطة عُيّن فيها حد مصر الشرقي بخط يمتد من العريش الى السويس . والباب العالي يستشهد بهذه الخريطة أحياناً . على ان هذه الخريطة لم يُوقف لها على أثر في مصر أو الاستانة. وحكومة مصر لم تعترف بالحدّ المشار اليهِ بل جعلت حد مصر الشرقي خطاً مستقيماً ممتداً من رفح على نحو ٢٨ ميلاً من العريش الى جنوب قلعة الوجه فادخلت بهِ سيناء كلها وقلاع العقبة وضبا والمويلح والوجه بدليل أنهــا كانت تدبر سيناء وهذه القلاع وتحميها بعساكرها قبل فرمان سنة ١٨٤١ . ثم لما سلَّمت القلاع الحجازية ، من الوجه الى العقبة ، الى الدولة سنة ٨٧ : ١٨٩٢ جعلت حدها الشرقي خطاً مستقيماً ممتداً من رفح الى رأس خليج العقبة

لذلك لما جاء فرمان عباس حلمي باشا من السلطان عبد الحميد وقد أخرج منهُ جزيرة سيناء قامت مصر تطالب بحقها وعضدتها انكلترا فأوقفت قراءة الفرمان حتى ورد تلغراف جواد باشا الصدر الأعظم المؤرخ ٨ ابريل سنة ١٨٩٢ يولّج مصر ادارة سيناء ويترك القديم على قدمهِ فقبلت مصر الفرمان اذ ذاك وعدَّت التلغراف متمماً لهُ

ثم لأجل منع سوء التفاهم في المستقبل أرسل السر أفلن بارنج (اللورد كرومر) معتمد الدولة البريطانية في مصر بتاريخ ١٣ ابريل سنة ١٨٩٢ مذكرة الى تيغران باشا ناظر الخارجية المصرية في ذلك الحين مفادها « أنهُ لايمكن تغيير شيء من الفرمانات المقررة للعلائق التي بين الباب العالي ومصر الاّ برضى الدولة البريطانية . . وان شبه جزيرة سيناء – أي الأراضي المحدودة شرقاً بخط يمتــدّ جنوباً بشرق من نقطة

١ . تجاه صفحة ٥٨٨



شكل خاص ٢١ : اللورد كرومر

٢ . تجاه صفحة ٥٨٨



شكل خاص : ٢٢ : اللورد كتشنر

تبعد مسافة قصيرة عن شرق العريش الى خليج العقبة – تستمر ادارتها بيد مصر. وأما القلعة الواقعة شرقي الخط المذكور فتكون تابعة لولاية الحجاز »

وقد أرسل اللورد كرومر مذكرتهُ هذه رسمياً الى سفير انكلترا في الأستانة فأبلغها السفير الى الباب العالي وأرسل أيضاً صورة منها مع صوَر جميع المكاتبات التي دارت بشان فرمان التولية الى الدول الأخرى فاعترفت بقبولها . وأما الباب العالي فلم يجب عنها سلباً ولا ايجاباً

﴿ حادثة المرشَّش ﴾ ونامت المسألة نوماً طبيعياً الى أن سمي المستر براملي الانكليزي مفتشاً للجزيرة سنة ١٩٠٥ وشرع في الإصلاح الإداري الذي تقدّم لنا ذكرهُ . من ذلك تنظيم البوليس الأهلي وقسمتهُ الى هجانة ومشاة واقامة سد في بطن وادي العريش قرب نخل لارواء الأراضي المجاورة لها . فأشاعت بعض الجرائد المحلية المعادية للاحتلال خبراً مؤداه ان الانكليز أرسلوا رجالهم الى سينا ليبنوا القلاع على حدودها وفي النفس شيء . فبعث والي سوريا برسالة برقية بهذا المعنى الى السلطان فطلب من مصر رجوع العساكر الانكليزية عن الحدود فأجابتهُ مصر بكذب هذه الاشاعة

ثم بلغ مصر أن السلطان أمر بإنشاء نقطة عسكرية عند عين القصيّمة وأخرى عند مشاش الكنتلاّ في وادي الجرافي وكلا المحلين داخل في حد سينا. وكان السلطان قد أنشأ قائمقامية جديدة سنة ١٨٩٩ في بئر السبع . فأخذت مصر ترقب حركاتهِ على الحدود بعين ساهرة.(١)

وفي يناير سنة ١٩٠٦ أصدرت أمرها الى المستر براملي مفتش جزيرة سيناء بوضع خفر من البوليس في نقب العقبة لمراقبة الحدود فذهب المستر براملي ببعض رجال البوليس الى رأس النقب ولما لم يجد فيه الماء الكافي نزل الى المرشَّش في سفح النقب على الجانب الغربي من رأس خليج العقبة . وكان في قلعة العقبة اذ ذاك اللواء رشدي باشا الذي حارب في اليمن فأتى المرشَّش وطلب من المستر براملي بكل تلطُّف الرجوع عنها فرجع وأبلغ الأمر الى حكومة مصر فطلبت من السلطان تعيين لجنة من الأتراك والمصريين لتحديد التخوم نهائياً بين سيناء وسوريا فأبى

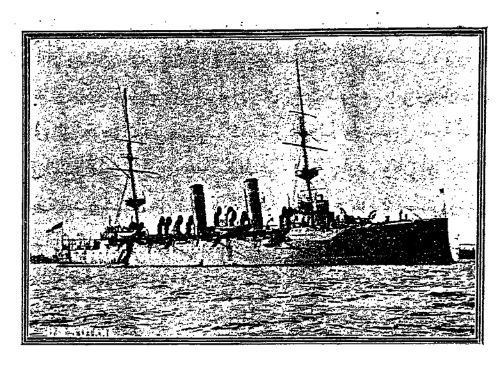
---

(١) كان الدافع وراء إنشاء قائمقامية بئر السبع هو حروب القبائل التي كان أخرها الحرب بين العزازمة والترابين في عام ١٨٨٧ والتي استمرت حتى عام ١٨٩٠ حيث أرسلت اليهم الحكومة العثمانية حملة بقياد رستم باشا فهدأ الحال، ورأى رستم باشا من الحكمة اقامة "مخفرا" في منطقة "الجهير" ببئر السبع خشية انتفاض العربان مرة أخرى. راجع: عارف العارف، المرجع السابق، ص ص ١٩٠–١٩٣.



شكل ٩٣ : اللواء رشدي باشا قومندان العقبة سنة ١٩٠٦

﴿ حادثة طابا ﴾ فاهتمت الحكومة المصرية لهذا الإباء وأرسلت « بلوكاً » من العساكر النظامية مع الأميرالاي سعد بك رفعت قومندان سيناء لاحتلال وادي طابا . وكان رشدي باشا قد سبق فأرسل الى هذا الوادي حامية من العساكر . قال سعد بك : « فلما وصلتُ بنا الباخرة ميناء طابه رأيتُ العساكر التركية قد انتشرت على التلال التي تطل على طابا من الشرق وقائدهم ضابط برتبة بكباشي واقفاً على الشاطئ . فأمرت العساكر بالاستعداد للنزول الى البر وسبقتهم اليه فاستقبلني القائد المذكور وقال ما الخبر قلت قد جئتُ ببعض العساكر المصرية لاحتلال طابا . قال ان طابا في حد « العقبة » وجزء منها فلا أسمح لأحدٍ أن ينزل فيها . قلت بل طابا في حد الجزيرة وقد أقمت فيها بنفسي مع العساكر بعد اخلاء العقبة سنة ١٨٩٢ تسعة أشهر وحفرتُ فيها هذه البئر ودللتهُ عليها . وفيما أنا أناقشهُ في ذلك حضر المستر براملي براً من نخل بوادي طُوَيبة واشترك معنا في المناقشة فأصرَّ القائد التركي على قولهِ انهُ يقاومنا اذا



شكل ٩٤ : الطراد ديانا الانكليزي

أنزلنا العساكر الى البر وكانت عساكره قد انتشرت على التلال وصوَّبت نيرانها نحونا. فرأينا من الصواب اجتناب سفك الدماء فعدنا الى الباخرة ونزلنا في جزيرة فرعون على نحو ميلين من طابا ثم أرسلنا الخبر الى حكومتنا ومكثنا ننتظر أوامرها » اه

وفي ١٧ فبراير سنة ١٩٠٦ صدر الأمر الى الكبتن «فيس هورنبي» قومندان الطراد «ديانا» في السويس بالسفر الى جزيرة فرعون المحافظة على العساكر النازلة فيها ومنع العساكر التركية من التوغل في سيناء . وقد صدر لي الأمر بمرافقة الطراد المذكور مندوباً من قبل المخابرات فوصلنا جزيرة فرعون مساء ١٨ فبراير

وفي صباح اليوم التالي قام بنا الطراد الى العقبة . وكان قد حضر الى جزيرة فرعون القائمقام بازكر بك مساعد مدير المخابرات المصرية فرافقنا الى العقبة . وعند مرورنا بطابة رأينا العساكر التركية لا تزال محتلة ذلك الوادي . وكنا نراقب العقبة بالنظارات فلما اقتربنا منها رأينا العساكر التركية قد اصطفت وراء جدران الجنائن قرب الشاطئ وبعضها في خنادق في منحدر الجبل فوق الجنائن وكلهم في استعداد تام لاطلاق النار . وقد قدرنا عددهم بنحو ألفي رجل

فوقف الكبتن هورنبي بالطراد بعيداً عن الشاطىء وقال لي «هل لك أن تنزل الى البرّ وتهدي سلامي الى اللواء رشدي باشا وتقول لهُ اني جئت لأزوره في محلهِ واريد أن احيّي القلعة باطلاق المدافع اذا كان يجيب التحية» . وأمر لي بقارب فذهبت بهِ الى البرّ فوجدت على الرصيف ضابطاً تركياً برتبة لواء طويل القامة أشقر اللون أزرق العينين كبير الشاربين ومعهُ ضابط هو ترجمانهُ وياوره . وكان اللواء ممتقع الوجه مرتجف اليدين مما دل على شدة تأثره . فحيَّيتهُ وقلت « هل أنا اخاطب رشدي باشا قومندان هذا الموقع » فقال بصوت أجشّ « نعم أنا رشدي باشا ومن أنت وما شأن هذا الطراد » ؟ قلت اني من موظفي الحربية المصرية وهذا الطراد انكليزي وقد جئت اليك من قومندانهِ برسالة وأبلغتهُ الرسالة . فقال « أما أنهُ يريد زيارتي فليتفضل ولكن ألم يرَ أصغر من هذا الطراد لتأدية الزيارة . وأما القلعة فليس فيها مدفع لردّ التحية لأنها قد تخربت منذ عهد بعيد ونحن نستعملها الآن مخزناً للغلال والمؤن »

فرجعت الى الكبتن هورنبي بهذا الجواب . فركب رفاص الطراد وركب معهُ باركر بك وكاتب هذه السطور وأتينا لزيارة رشدي باشا فاستقبلنا على الرصيف وآثار التأثر لا تزال بادية على وجههِ. فأمر بالكراسي فجلسنا تحت ظل النخيل قرب الرصيف ودار الحديث على أصل الخلاف فعدَّ رشدي باشا نزول المستر براملي الى المرشش تحرشاً بالدولة وقال ان طابة والنقب يتحكمان بالعقبة لذلك فهما منها ولا بدَّ من ضمهما اليها لأجل سلامتها . فقلنا لهُ المعلوم لدى حكومة مصر ان شرق الخليج تابع للعقبة وغربهُ تابع لسيناء وقد سبق لعساكر مصر ان احتلت طابا عدة أشهر بعد اخلاء العقبة ولم تتركها الاَّ لبعدها ووعورة طرقها فاحتلالكم لطابا والنقب قبل تحديد التخوم رسمياً بين الدولة ومصر يعدُّ تحرشاً بمصر . وقال الكبتن هورنبي « وأنا عائد الآن الى جزيرة فرعون وسأبقى فيها الى أن تُرسَل لجنة لتحديد التخوم» ثم ودعناه وانصرفنا . وعند انصرافنا أبدى رشدي باشا رغبتهُ في ردّ الزيارة للكبتن هورنبي قبل تركهِ ميناء العقبة فلما رجعنا الى الطراد أرسل الكبتن هورنبي رفاصهُ وقاربهُ الى رشدي فأتى بهما فردَّ الزيارة وعاد الى العقبة وقد ذهب عنهُ تأثره وذهبنا نحن الى جزيرة فرعون

وفي اليوم التالي أتانا ياور رشدي بقارب شراعي وكان القارب الوحيد في العقبة وقال انهُ ورد خبر من الاستانة ان مختار باشا الغازي قادم الى العقبة لتحديد التخوم

ثم حضرت الباخرة نور البحر من السويس وفيها الخبر ان الحكومتين اتفقتا على إرسال مندوبين لتعيين الحدود وان مندوبي الدولة هم ضابط من العقبة وضابطان من الاستانة احمد مظفر بك ومحمد فهمي بك وقد برحا الاستانة الى مصر. وأما مندوبو مصر فهم الأميرالاي اوين بك مدير المخابرات واللواء اسماعيل باشا سرهنك وكيل الحربية والأميرالاي سعد بك رفعت قومندان سيناء. فسألني الكبتن هورنبي أن أذهب بالرفاص الى رشدي باشا وأبلغهُ هذا الخبر. فذهبت اليهِ صباح ٢٦ فبراير فاستقبلني في خيمة فوق البحر فأبلغتهُ ذلك

ثم شرعنا نتحدث بشأن الحدود بصفة غير رسمية. وكان رشدي يتوهّم ان الانكليز يباشرون أعمالاً حربية عظيمة في سيناء ويقصدون بالدولة شرًّا وان المستر براملي قد أُرسل الى المرشّش عمداً لفتح باب الشرّ. فرأيتُ من الواجب ازالة هذا الوهم من ذهنهِ حباً بالسلام فقلت : « أنتَ تعلم أن بدو سيناء وسوريا دأبهم شن الغارة بعضهم على بعض. والسنة الماضية، سنة ١٩٠٥، عمَّت الفوضى سيناء كلها وقتل اثنان من غزاة البدو أخوَين من أهالي نخل على درب الحج وفرَّا الى سوريا. وكلما ارتكب بدوي جناية في سيناء فرَّ الى سوريا أو الحجاز وليس على الحدود من رادع أو مراقب. فاضطرت الحربية المصرية أن تعيد سعد بك رفعت قومنداناً على سيناء بعد أن أحيل على المعاش نظراً لمعرفتهِ حال البلاد ومقدرتهِ على سياسة البدو وعينت معهُ المستر براملي مفتشاً ومساعداً قصد ترقية أحوال البلاد الاقتصادية والزراعية. ثم بيَّنتُ لهُ الأعمال الاصلاحية التي باشرها المستر براملي في الجزيرة وقلت ان كل ما تريدهُ حكومة مصر الآن هو أن يُعين الخط الفاصل بين سيناء وسوريا لتتمكن من وضع خفر في نقط معينة على الحدود لمنع غزاة سوريا من الدخول الى سيناء ومنع غزاة سيناء من الخروج الى سوريا والوقوف في وجه الجناة الفارين من البلادين. وربما كان قصدها البعيد أن يكون القنــال بعيداً من كل خطر ». ثم قلت وانني

أرى «القوم» مصريّين على طلب اخلاء طابا قبل الشروع في تعيين الحدود لذلك يحسن جدًّا أن تنصحوا باخلاء هذا الوادي قبل أن يقدّم الطلب رسميًّا. فشكر لي صراحتي واخلاصي ثم ودعتهُ وعدت الى الطرّاد

ولما لم يعد لي شغل في جزيرة فرعون استأذنت الكبتن هورنبي وعدتُ الى مصر فوجدت المندوبَين التركيين قد حضرا ونزلا ضيفين على مختار باشا الغازي ثم صدر لهما الأمر بعد اسبوع فذهبا الى العقبة عن طريق بيروت والشام ومعان بدون أن يكلّما أحداً بشأن مهمتهما . فساء ذلك أصحاب الشان من الانكليز والمصريين وانتقلت المفاوضات بشأن الحدود الى لندن والأستانة

فطلبت الدولة العلية ضم معظم بلاد التيه الى سوريا وذلك برسم خط من العريش الى السويس ومن هذه الى نقب العقبة بحيث يكون شرق هذا الخط لها والباقي لمصر . ولما رفضت مصر النظر في هذا الطلب عادت فطلبت قسمة جزيرة سيناء قسمين بخط مستقيم من العريش الى رأس محمد وجعل القسم الغربي لمصر والشرقي للدولة فأبت مصر النظر في هذا الطلب أيضاً وأصرَّت على الخط الذي يخوّلهُ فرمان عباس حلمي باشا من رفح الى العقبة

﴿ حادثة رفح ﴾ هـذا وكان الأتراك بعد احتلال طابا قد أرسلوا نفراً من العساكر لاحتلال رفح فأزالوا عمودَي الحدود من مكانهما تحت السدرة واقتلعوا عُمد التلغراف المصري بين بئر رفح وطريق بئر رفيح وجعلوا مكانها عمداً تركية ونصبوا خيامهم في حد مصر بين السدرة وطريق رفيح . فلما بلغ الخبر حكومة مصر، وقد بلغها أولاً عن أسعد افندي عرفات مكاتب المقطم في العريش ، أمرت الطراد منرفا الانكليزي في بور سعيد بالسفر حالاً الى رفح لتحقيق الخبر وأمرتني بمرافقتهِ وقد عينت قومندانهُ الكبتن ويموث « معتمداً للدولة البريطانية » وعينتني « معتمداً للحكومة المصرية» وأمرتنا بالتثبت من الخبر بأنفسنا حتى اذا ما وجدناهُ صحيحاً نحتجّ على العمل رسمياً باسم الدولة البريطانية والحكومة المصرية معاً فنسلم احتجاجنا الى ضابط العساكر التركية في رفح ثم نعود الى مصر . وقد حذّرتنا في الوقت نفسهِ من

تعدّي حدود رفح شمالاً . فقام بنا الطراد منرفا من بورت سعيد عصر ٢٨ افريل سنة١٩٠٦ فوصلنا العريش صباح اليوم التالي فقابلت محافظها محمد بك اسلام وانتقيت أربعة من رجالهـا العارفين ميناء رفح ومكان عمودَي رفح بالدقة وهم : الشيخ سلاّم عرادة عمدة السواركة. والشيخ سليمان معيوف شيخ الرميلات وحسين عبد الكريم الجعلي من أنشط بوليس العريش . وقطامش أغا عبـد كبير هجانة العريش .
فأرسلت اثنين منهم في الحال بطريق الشاطىء على أن يقفا عند ميناء رفح ويومئا الينا لنقف عند الحد وأخذت اثنين معي في الطرّاد . وقام الطراد بنا قاصداً ميناء رفح الساعة الاولى بعد الظهر . وكنت قد أعلمت القومندان بما أخبر بهِ الدليلان اللذان معي عن موقع رفح فرسى في مينائها وذلك في الساعة أربعة وربع بعد الظهر. وكان الدليلان المرسلان بالبرّ قد قاما قبلنا من العريش بساعتين فوصلا بعدنا بساعة وربع ووقفا على الشاطىء تجاهنا وأومآ الينا فنزلت الى البرّ وقابلتهما فأكدا لي أننا على الحدّ ولم نتعدَّه . وخرائب رفح على نحو ساعة منّا تحجبها التلال الرملية التي تحاذي الشاطىء من بلدة العريش . وكانت الشمس قد غابت فأوصيت شيخ الرميلات أن يعدّ لنا بعض الركائب الى الصباح وعدتُ الى الطرّاد . وفي صباح ٣٠ افريل نزلتُ الى البر وركبت ومعي الخبراء الأربعة قاصداً رفح . أما الكبتن ويموث فانهُ بقي في الطراد ينتظر مني الخبر وقد تركتُ لهُ على الشاطىء جواداً مع خبير

وفي طريقي الى رفح في التلال الرملية التقيت بعض فرسان الرميلات فأكّدوا لي : ان عمودَي الحدود قد أُزيلا من مكانهما في ١٢ افريل . وان ١١ عموداً من عمد التلغراف المصري من بئر رفح الى طريق رفيح قد بدّلت بعمد تركيـة في ٢٨ افريل . وقالوا ان في رفح نحو خمسين عسكريًّا عليهم ملازم يدعى « اسماعيل افندي » ومعهم موظف ملكي مأمور الجفـالك يدعى « مصطفى افندي » وعلى الجميع يوزباشي أركان حرب « مفيد بك » . وهم يسكنون في ٥ خيام وقد نصبوا خيامهم في حد مصر بين السدرة ، حيث كان عمودا الحدود ، وطريق رفيح . مع ان عادة العساكر التركية كانت اذا جاءت لتنشئ محجراً على الحدود تجعل خيامها بين

السدرة و بئر رفح» . فلما خرجتُ من التلال الرملية وأشرفت على الخيام أرسلت مع البوليس حسين رقعة باسمي عليها هذه العبارة :

« نعوم بك شقير موظف بنظارة الحربية بمصر حضر منتدوباً من قِبَل الحكومة المصرية لمقابلة حضرة قومندان العساكر الشاهانية المعسكرة الآن في رفح مقابلة خصوصية ودّية »

ثم تقدمت الى كوخ التلغراف وهو عند ملتقى طريق رفيح بطريق العريش الى رفح على نحو ٥٠٠ خطوة من الخيام و٦٠٠ خطوة من السدرة ومكثت فيهِ بانتظار ردّ العجالة . وقد رأيت السدرة ولم أرَ عمودَي الحدود ورأيت عُمد التلغراف من الكوخ جنوباً تختلف عنها منهُ شمالاً . وقد وضع العساكر حارساً على الطريق بينهم و بين الكوخ فأوقف الحارس الرسول . و بعد هنيهة عاد الرسول وقال ان مفيد بك قومندان النقطة غائب في خان يونس ولكن مصطفى افندي مأمور الجفالك هنا وهو بانتظارك عند الحارس . فتقدمت اليهِ و بعد السلام قلتُ أليس الأصلح أن نعود الى الكوخ أو ندخل احدى هذه الخيام فنتحدث بما هو لازم ؟ فتردَّد في الجواب فعلمت انهُ مأمور بمقابلتي في ذلك المكان . فقلت أين قائد هذه العساكر ؟ قال ذهب الى خان يونس بمهمّة وسيعود قبل الظهر وقد بعثت اليهِ برقعتك مع رسول خاص . قلتُ اذاً انتظر قدومهُ في هذا الكوخ لأني أريد مقابلتهُ لغرض هام وقد حضر الكبتن ويوث في الطراد منرفا معتمداً من قِبَل الحكومة الانكليزية وهو أيضاً يريد ان يقابلهُ للغرض عينهِ . قال أليس لي أن أعلم هذا الغرض ؟ قلت بلى كان تحت هذه السدرة عمودان من الغرانيت جُعلا الحدّ بين مصر وسوريا فأُزيلا في ١٢ الجاري وفي ٢٨ منهُ بدّلت عمد التلغراف المصري بين كوخ التلغراف هذا و بئر رفح بعمد تركية . فنريد مقابلة الضابط المسؤول في هذه الجهة لنسألهُ عن ذلك ونبلغهُ أمراً نحن مكلفون ابلاغهُ إيّاهُ رسميًّا . فقال لقد مضى علينا هنا ٤٣ يوماً فلم نرَ أحداً غيّر عمد التلغراف ولا رأينا عمداً للحدود تحت السدرة ولكن هذا المكان مملوء بالعمد لأنهُ قد قام عليهِ في القديم هيكل عظيم وهذه العمد هي من آثارهِ . ثم ان الحدّ الذي نعرفهُ بين محافظة العريش وقائمقامية غزة هو طريق رُفَيح الذى عليهِ كوخ التلغراف . وقد

١ . تجاه صفحة ٥٩٦



شكل خاص : ٢٣ : الكبتن فيس هورنبي قومندان الطراد ديانا

٢ . تجاه صفحة ٥٩٦



شكل خاص : ٢٤ : الكبتن ويموث قومندان الطراد منرفا

كانت أراضي رفح كلها بيد أُناس من خان يونس ولكن لم يكن معهم حجج تثبت ملكيتهم فانتزعتها منهم وضممتها الى ادارة الجفالك باسم الحضرة السلطانيــة وبقي الواضعون أيديهم على الأرض يحرثونها كما من قبل ويدفعون العشور

فعلمت من جوابهِ ان الترك ينوون إنكار وجود العمودَين واذا اضطرُّوا قالوا انهما بقايا هيكل قديم وليسا الحدّ بين مصر وسوريا . ولكن لما لم يكن هو الموظّف المسؤول عمّا يقول قلت لهُ فهمت جوابك فمتى حضر الضابط المسؤول نرى قولهُ ونجيب عنهُ . ثم عدت الى الكوخ وبعثت برسول الى الكبتن ويموث أخبره ُ بما كان لحضر عند الظهر وانتظر القومندان برهة فلم يحضر فأرسل اليهِ عجالة بهذا المعنى:

« قومندان العساكر الشاهانية برفح * بعد السلام أكتب اليكم هذا لأخبركم اني جئت مندوباً من قِبَل الحكومة البريطانية لمقابلتكم بشأن خط الحدود ويمكني الانتظار هنا ساعتين فقط فإمّا أن تأتوا اليَّ أو أن أذهب اليكم . ومعي نعوم بك شقير الذي حضر مندوباً من حكومة مصر . وارجو أن تتكرموا بالرد حالاً مع رافعهِ . واعلموا ان مأموريتنا هذه هي مأمورية ودية سلمية ويمكن انهاؤها بمقابلة قصيرة »

رفح فى ٢٨ افريل سنة ١٩٠٦ الكبتن ا . و . ويموث

قومندان الطراد منرفا

فما وصلت عجالتهُ هذه مخيم العساكر حتى حضر اسماعيل افندي وقال ان مفيد بك لا يزال في خان يونس ولكن لا بدَّ من حضوره بعد نصف ساعة . وكانت الساعة إذ ذاك واحدة بعد الظهر فانتظرناهُ الى الساعة الثانية وربع فلم يحضر مع ان خان يونس لا يبعد عنّا غير ساعة فعدنا الى الوابور وأرسلنا اليهِ الاحتجاج الآتي:

« مينا رفح فى ٣٠ افريل سنة ١٩٠٦ الساعة ٣ بعد الظهر

« حضرة قومندان العساكر الشاهانية برفح

« نعلم حضرتكم أننا انتظرنا خمس ساعات في بيت التلغراف تجاه معسكركم لأجل مقابلتكم فلا حضرتم ولا حضر منكم جواب فعدنا الى الوابور . وقد لاحظنا أن عمودَي الحدود اللذين كانا قائمين عن جانبي السدرة التي عسكرتم بقربها قد رفعا من مكانهما.

ولاحظنا أيضاً أن عُمد التلغراف المصري من خط الحدود الى طريق بئر رُفيح قد بُدّلت بعمد أخرى . فبالنيابة عن الحكومة المصرية والحكومة البريطانية نحتج على فعلكم هذا احتجاجاً شديداً ونطلب أن تعيدوا عمودَي الحدود وعمد التلغراف الى أماكنها وتحافظوا على الحدود المقرَّرة . وسنرسل نسخة من كتابنا هذا الى رجال الحل والعقد من المصريين والانكليز في مصر . واذا أحببتم مخاطبتنا فالطراد لا يسافر من مينا رفح قبل صباح الغد الثلاثاء الساعة ٩ افرنجية »

ا . و . ويموث . قومندان الطراد منرفا — نعوم شقير

« معتمد الحكومة البريطانية » — « معتمد الحكومة المصرية »

وفي فجر الغد حضر ضابط من معسكر الترك الى الشاطئ وأرسل خبراً الى الطراد أن مفيد بك آتٍ لمقابلتنا الساعة ٨ من الصباح . فلما كان الميعاد رأينا كوكبة من الفرسان آتية من جهة رفح فعلمنا أنها مفيد بك وحرسهُ ، فذهبت في قارب يجرّه رفاص الطراد لمقابلتهِ . وكان قد قام في البحر اذ ذاك نوء شديد فلم يكن من الممكن الوصول بالقارب الى الشاطئ وكان قطامش الهجان الذي رافقني من العريش يحسن السباحة فأرسلتهُ الى مفيد بك فقال « لو كنت أحسن السباحة لذهبت اليكم في الحال على أن النزول من القارب الآن أيسر جدًّا من الصعود اليهِ فحبذا لو استطعتم النزول الى البر للمفاوضة معكم في ما اتيتم لأجلهِ » . وكان البحر قد اشتدَّ هيّاجهُ حتى تعالت أمواجهُ كالجبال وأنا لا أحسن السباحة الى حدّ احتقر معهُ الأنواء ولكني لم أطق أن أعود أدراجي الى الطراد بدون مقابلة الضابط المسؤول وسماع أقوالهِ لا سيما وقد لحظتُ من رسالتهِ أنهُ يودُّ كثيراً مقابلتي قبل السفر . فاعتمدت على الله وامتطيت الأمواج وصحبني الهجان والبوليس وأربعة من البحارة الانكليز فوصلنا الشاطئ بعد جهاد عظيم . فوجدت مفيد بك ومصطفى افندي واسماعيل افندي قد ترجَّلوا ووقفوا على الشاطئ ومعهم ١٥ فارساً قد انتظموا صفًّا واحداً على بضع خطوات منهم . فرحبوا بي وهنئوني بالسلامة ثم خلع عليَّ مصطفى افندي عباءتهُ ورفع الهجّان شمسيةً فوق رأسي وشرعنا في الحديث فقال مفيد بك : « كنت أمس في خان يونس وغزَّة أحقق قضية قتيل فلما وصلني كتابكم الأخير أسرعت لمقابلتكم . أما أنت معتمد الحكومة

المصرية فاني أفاوضك في الأمر وأما الكبتن ويموث معتمد الحكومة البريطانية فاني استقبلهُ كزائر وكل ما أعلمهُ عن مركز الانكليز في مصر أنهم يديرون ماليتها وليس لهم حقٌّ التدخل في مسألة الحدود . فالمفاوضة في الحدود انما تكون بين مصر ، وهي ولاية ممتازة من ولايات الدولة العليَّة ، وبين متصرفية القدس الشريف » . ثم قال « وهل تقصدون بكتابكم الأخير هذا بلاغاً نهائياً ؟ » قلت لا انما هو احتجاج رسمي على ازالة عمودي الحدود من مكانهما . فاتخذ مفيد بك خطة مصطفى افندي من انكار وجود العمودَين بتاتاً . فاستغربت اتخاذهم لهذه الخطة في مسألة هامة صريحة كمسألة العمودين وأحببت أن أريهِ عبث هذه الخطة ، وكان قد تجمَّع على الشاطئ بعض الرميلات وفيهم سليمان معيوف شيخ الرميلات فقلتُ « أيها الرميلات أصحاب هذه البلاد قولوا الحق هل كان تحت السدرة في رفح عمودان يُعدَّان الحد بين مصر والشام ؟ » فأجابوا « نعم كان تحت السدرة عمودان من الغرانيت الأحمر كنَّا نراهما هناك منذ نشأتنا ونعلم أنهما الحدّ بين مصر والشام وقد ورثنا هذا العلم عن الآباء والأجداد . وفي سنة ١٨٩٨ زار خديوي مصر الحدود ونقش تاريخ زيارتهِ على العمود الذي الى جهة العريش . فلما جاءت عساكر الدولة موخراً أزالت العمودين في ١٢ أفريل سنة ١٩٠٦ » فامتعض مفيد بك من صراحة الرميلات وجرأتهم ولكنهُ كظم غيظهُ وقال « ان العساكر لا تجسر أن تزيل العمد أو تبدلها إلاَّ بأوامر عالية » . قلتُ قد فهمتُ الحالة الآن وأريد الانصراف . ولكن قبل الانصراف أريد أن أقول كلمة نصح لعلها تفيد ، ولست أقول هذه الكلمة كمندوب من قبل الحكومة المصرية بل أقولها كلبناني الأصل ذي صبغة عثمانية يغار على كرامة دولتهِ : ان مسألة الحدود الآن قد دخلت في دور حرج جدًّا وأن قولنا لم يكن هناك عمُد تدل على الحدود لا يشرّفنا ولا ينجينا من الحرج وأرى «القوم» قد عقدوا النية على تنفيذ مطالبهم وترك القديم على قدمهِ بالرضى أو بالقوَّة . فان كان رجال الدولة واثقين بقدرتهم على الثبات في هذا المضمار فليفعلوا ما شاءُوا والأفاني بالحاح أنصحهم أن يجدوا لهذه المشكلة حلاًّ يحفظ كرامة الدولة ولا يعرّضها للفشل والخذلان . وأبسط حل لها في ما أرى أن تعود العساكر

من طابا والعقبة الى أماكنها وتعين لجنة مختلطة من أتراك ومصريين تمرُّ على الحدود فتعين الخط الفاصل بصورة جدّية ودية . وقد رأى مفيد بك ورفيقاهُ اني اكلمهم باخلاص فشكروني على ذلك كثيراً ولكنهم لم يجسروا أن يصرحوا لي بغير ما لُقّنوه. ثم ودَّعني مفيد بك وعاد بحرسهِ الى رفح وترك معي مصطفى افندي واسماعيل افندي للاعتناء بي الى أن أعود الى الطراد

وكان القارب والرفاص لايزالان في انتظارنا وراء الأمواج فرمى لنا الرفاص حبلاً نستعين بهِ على الرجوع وكان النوء قد زاد اشتداداً فحاولنا الوصول الى القارب مراراً فلم نفلح وقد أصبح القارب في خطر الغرق . وكان بين الانكليز الذين على الشاطئ من يحسن المواصلة بالاشارة فبعثت باشارة الى الكبتن ويموث أخبره أن المفاوضة مع مفيد بك لم تسفر عن شيء يستلزم حضوره أو بقاءه في المينا وأنهُ يستحيل علينا بسبب الأنواء أن نصل القارب فاذا كان يودُّ السفر الى العريش حالاً فليرسل الينا ثيابنا ونحن نسير في البر فنوافيه الى العريش غداً . فطلب اذ ذاك الرفاص والقارب وجعل ثيابنا في برميل ورماه في البحر فقذفته الأمواج الى الشاطئ . ثم أقلع بالطراد الى العريش

وذهب اسماعيل افندي الضابط التركي مع الهجان وشيخ الرميلات ليحضروا لنا الركائب وبقي معي مصطفى افندي فعاد الى مسئلة الحدود فقال «كنا ظننا أن الطراد عازم على انزال العساكر الى البر فصففنا عساكرنا على رؤوس التلال الرملية المشرفة على الشاطئ لمنع عساكركم من النزول. بل نوينا مرَّة ، إذ كنت أنت والكبتن ويموث في الكوخ ، أن نلقي القبض عليكما قال ولكن لا تسألني عن السبب» . فقلت لطف الله بهذه الدولة وقيَّض لها رجالاً اكفاء أمناء يعرفون كيف يديرون دفتها الى ميناء الأمان

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر حضرت الركائب من الابل والخيل فسرنا ما بقي من النهار وقسماً من الليل حتى وصلنا قلعة العريش الساعة الثالثة من صباح ٢ مايو فبتنا في القلعة الى طلوع الشمس ثم ذهبنا الى الشاطئ فأرسل لنا الطرادُ الرَّفاصَ ومعهُ قارب مسطح يمكن ادناءهُ من الشاطئ في النو . وكان النو لايزال شديداً فوصلنا الرفاص بكل مشقة. وعاد بنا الطراد فوصلنا بورسعيد مساء ذلك اليوم ومصر مساء اليوم التالي

﴿ لهج الجرائد ﴾ هذا وقد لهجت الجرائد المحلية بمسألة الحدود وجاهرت المعادية منها للاحتلال باستيائها الشديد من مداخلة انكلترا فيها وقالت ليس لانكلترا حق الدفاع عن استقلال مصر الاداري في وجه الدولة لأنها لو تغلبت عليها في هذا المضمار فقدت الدولة معنى السيادة الحقيقي على مصر

وقالت الجرائد الموالية للاحتلال « بل لانكلترا كل الحق في هذا الدفاع والاَّ فانها تفقد معنى السيادة الاحتلالية ويكون بعد ذلك للدولة الحق أن تنقص ما شاءت من استقلال مصر الاداري

وايدت بعض الجرائد المعتدلة هذا القول الأخير وزادت عليهِ ان حق انكلترا هذا يدوم حتى تقوم الدولة العلية وتكرهها على الجلاء عن مصر . وأما في مسألة سينا فالأمر ليس كذلك لأن سيناء ليست جزءاً من مصر ولا امتيازاً لها بل هي «وديعة» اعطيت لها موقتاً تسهيلاً للحج المصري ففي احتلال الدولة لطابا تكون قد استردت جزءاً من سيناء لايجاد دائرة حول العقبة لا يكون لأحد كلمة فيها غير الأتراك كما استردَّت من قبل الوجه والمويلح وضبا والعقبة

فردَّ المتمصرون لمصر هذا القول بأن سيناء كانت في اكثر عصور التاريخ بل بعد الاسلام كانت في كل العصور تابعة لمصر وجزءاً متمماً لها غير منفصل عنها يشهد بذلك آثار مصر الباقية في سيناء منذ عهد الدولة الاولى المصرية الى هذا العهد . هذه هي خلاصة ما دار في الجرائد المحلية في مسألة سيناء

أما الحكومة البريطانية فانها صرَّحت بأنها لا تسمح بأقل تغيير يحصل في امتيازات مصر الممنوحة لها في الفرمانات الاَّ اذا صدَّقتهُ وأقرَّتهُ وقالت اننا دخلنا مصر وسيناء جزءٌ منها وتحت ادارتها وسنرى انها تبقى كذلك ما دمنا فيها

وكانت الجرائد المحلية قد أحدثت بعض الشغب في البلاد خصوصاً وان بعضها أتهم الانكليز انهم يسعون في احباط مشروع سكة الحجاز الحديدية فزادت الحكومة البريطانية حاميتها حتى بلغت نحو ٦٠٠٠ رجل

﴿ بلاغ انكلترا النهائي الى تركيا ﴾ ورأت انكلترا ان في قبول مطالب تركيا

باتساعها الأخير خطراً على حرية القنال ومصر والعائلة الخديوية فأوعز ناظر خارجيتها السر ادوارد جراي الى سفيرها في الاستانة السر نيقولاس اوكنور فرفع الى الباب العالي بلاغاً نهائياً بتاريخ ٣ مايو يدعوه الى اجابة مطالب انكلترا في أثناء عشرة أيام. وهذه المطالب هي : « ١ . اخلاء طابا ٢ . عود عساكر رفح الى حدهم ٣ . اعادة عمودَي الحدود في رفح الى مكانهما » . ودل البلاغ المذكور انهُ اذا لم يقدّم الباب العالي الترضية المطلوبة تصطر انكلترا للالتجاء الى القوة . وعضد سفيرا فرنسا وروسيا في الاستانة مطالب انكلترا. وأخذت انكلترا تستعد للطوارىء في مصر وسيناء والاستانة

هذا وقد كان معلوماً للمطلعين على دخائل الأمور ان المانيا هي التي حرشت تركيا في الخفاء على احداث مسألة الحدود وحرّضتها على المقاومة لغاية في النفس . والظاهر ان استعداد المانيا لم يكن قد تمَّ بعد فنصح سفيرها في الاستانة السلطان بالتسليم الى مطالب انكلترا قال لأن دولتهُ لا تستطيع ان تنصره عليها في الأحوال الحاضرة . فسلم السلطان بمطالب انكلترا في آخر ساعة وأمر فخرجت العساكر من طابا وعاد عساكر رفح الى حدّهم وكانوا قد كسَّروا عمودَي الحدود فصدر الأمر الى قائمقام بئر السبع وقائمقام غزة بتلافي الأمر فحضرا الى رفح ونبشا عمودَين من خرائب رفح عموداً من الغرانيت الاسود طوله ٦ أقدام وآخر من الغرانيت الرمادي طوله ٤ أمتار ونصباهما تحت السدرة بقرب مكان العمودَين الأولين

وفي ١٤ مايو سنة ١٩٠٦ بعث توفيق باشا الصدر الأعظم الرسالة الآتية الى السر نيقولاس اوكونور سفير بريطانيا العظمى بالاستانة هذا نصها :

« جناب السفير

« تشرَّفت بالمذكرة التي تكرّمتم بارسالها لي في ١٢ الجاري بشأن احتلال طابا. فاسمحوا لي أن أخبركم أنهُ لم يخطر قط ببال الحكومة الشاهانية الخروج عن مضمون التلغراف المرسل من المرحوم جواد باشا الى سموّ الخديوي في ٨ افريل سنة ١٨٩٢. ومع ذلك فان الرسالة التي تشرفت بارسالها اليكم في ١١ الجاري كانت واضحة كل الوضوح فان اخلاء طابا قد تقرر وصدرت الأوامر بذلك



شكل ٩٥ : عمودا رفح الجديدان

«وقد قرّ الرأي على ان الضباط أركان حرب الموجودين الآن في العقبة والموظفين الذين ينتدبون من قبل سمو الخديوي يمرون معاً على الأمكنة اللازمة ليجروا التحريات الفنية على مقتضى القواعد الطوبوغرافية ويعيّنوا على خريطة النقط الطبيعية التي يكون بها ضمان الحال الحاضرة وبقاء القديم على قدمهِ في شبه جزيرة سيناء على القاعدة التي وضعها جواد باشا في تلغرافهِ السالف الذكر وان يرسموا خطاً للحدود يبتدىء من رفح بقرب العريش ويتجه جنوباً بشرق على خط مستقيم تقريباً الى نقطة على خليج العقبة تبعد على الأقل ٣ أميال من العقبة . وبذلك تكون الرغائب التي أبديتموها سعادتكم في رسالتكم المشار اليها قد تحققت تماماً

« هذا وأنا نسأل سعادتكم أن تبلغوا ذلك الى لندن ونأمل ان حكومة جلالة الملك ترى بذلك برهاناً جديداً على رغبتنا الشديدة في دوام حفظ العلائق بيننا على دعائم المودة التامة وان في ابداء حكومة جلالتهِ تمام ارتياحها لذلك دليلاً على القيمة التي تعلقها على حفظ وتوطيد العلاقات الحسنة الكائنة لحسن الحظ بين الحكومتين افندم

الامضاء « توفيق »



شكل ٩٦ : أعضاء اللجنة المصرية في مخيم العقبة

﴿ لجنة تحديد التخوم ﴾ وبناء على ذلك صدر أمر الباب العالي الى المندوبين العثمانيين في العقبة أن يتحدا مع من تنتدبهم مصر لتعيين خط الحدود . وقد جرى تبديل في أعضاء اللجنة التي انتدبتها مصر أولاً لأسباب صحية وتألفت من جديد من الأميرالاي اوين بك مدير المخابرات واللواء ابراهيم باشا فتحي من أرباب المعاشات اذ ذاك . وقد ندبتُ للذهاب معهما سكرتيرًا للجنة المصرية . وهذه صورة الأمر العالي الصادر بهذا الشأن :

«سعادتلو ابراهيم باشا فتحي . وعزتلو الأميرالاي اوين بك

« اقتضت ارادتنا بتعيينكما وتعيين حضرة نعوم بك شقير معكما بصفة سكرتير لتسوية الحدود بين العقبة ورفح وذلك بالاتحاد مع الضباط المندوبين من قبل الدولة العلية لهذا الغرض وهم الآن في العقبة . وقد فوّضنا كم تفويضاً مطلقاً باجراء ما ترونهُ موافقاً من التغييرات الطفيفة في خط الحدود بقصد تسهيل الادارة على الطرفين وذلك بالاتفاق مع مندوبي الدولة العلية المذكورين . وهذا الخط الفاصل يبدأ من رفح بقرب العريش ويتجه الى الجنوب الشرقي حتى ينتهي في نقطة على خليج

١٠ تجاه صفحة ٦٠٤



شكل خاص : ٢٥ : الفريق السير ابراهيم فتحي باشا وزير الأوقاف الحالي

٢ . تجاه صفحة ٦٠٤



شكل خاص : ٢٦ : اللوا اوين باشا مدير منقلة الحالي

العقبة تبعد على الأقل ثلاثة أميال من العقبة ويكون خطاً متعرجاً يقرب من المستقيم. ولذا أصدرنا أمرنا هذا لكم للعمل بمقتضاه

في ٢٢ مايو سنة ١٩٠٦ الختم (عباس حلمي)

وقد صحب اللجنة المصرية : المستر كيلن . والمستر ويد . وهما مهندسان انكليزيان بارعان من قلم المساحة المصرية لأجل رسم خريطة فنية للحدود من العقبة الى رفح . والقائمقام براكنرج بك طبيب انكليزي ماهر من المصلحة الطبية بالجيش المصري . والمستر افنس كاتب انكليزي نجيب من موظفي ادارة المخابرات بمصر . ويوسف افندي سامح (والآن بك) مترجم تركي موظف في نظارة الحربية بمصر . فسار أعضاء اللجنة المصرية من مصر الخميس في ٢٤ مايو سنة ١٩٠٦ قاصدين العقبة بطريق البحر فوصلوا جزيرة فرعون مساء السبت في ٢٦ من الشهر المذكور

وفي صباح اليوم التالي ذهبنا الى العقبة فاستقبلنا على الرصيف : اللواء رشدي باشا. وياورهُ الجديد محمد أسعد بك صاغ أركان حرب وهو ضابط عربي نجيب من أهل بيروت يتقن التركية والعربية وينظم الشعر ولهُ إلمام بالعلوم الطبيعية والرياضية . والمندوبان العثمانيان وهما : الأميرالاي اركان حرب احمد مظفر بك وهو تركي الأصل أشقر اللون معتدل القامة يناهز الخمسين من العمر . والبكباشي اركان حرب محمد فهمي بك كردي الأصل وُلد في السليمانية قرب الموصل وتربى في بغداد وهو قصير القامة أسمر اللون اسود العينين براقهما وسنهُ يناهز الأربعين

وبعد أن تعارفنا وتبادلنا التحية شرع المهندسان المرافقان لجنتنا في رسم خريطة العقبة وضواحيها وذهبنا نحن الى خيمة على شاطىء البحر وشرعنا نتناقش في مبدإ الخط الفاصل فصرَّح رشدي باشا ومندوبا اللجنة التركية ان الدولة العلية انما أخلت طابا وتركتهُ لمصر حفظاً لكرامة مصر والدولة البريطانية وأملوا لقاء ذلك ان تسلم اللجنة المصرية بأن يبدأ الخط المستقيم، المشار اليه في كتاب الصدر الأعظم ، من أنف الجبل الذي على شاطىء الخليج ويطل على وادي طابا من الشرق ثم يتمشى على رؤوس تلال النقب التي تطل على العقبة الى المفرق . قالوا لأن هذا الحد وحده يضمن سلامة العقبة من الوجهة الحربية * فأجلت اللجنة المصرية قرارها في ذلك الى أن تتم خريطة الحدود



شكل ٩٧ : مخيم اللجنة المصرية في العقبة

وكانت الحكومة المصرية قد عهدت بتدبير طعامنا وشرابنا وخيامنا الى شركة كوك بمصر فأرسلت هذه الى وكالتها في القدس فبعثت بترجمانها سليم افندي أسعد بطريق البر فوصل العقبة يوم وصولنا ومعهُ الخيام والمؤن والمهمات اللازمة فنصب لنا الخيام على رأس الخليج بين قلعة العقبة والمرشش فأقمنا هنالك أياماً في انتظار خريطة العقبة. وكنا في كل يوم أو يومين نجتمع برشدي واللجنة التركية ونبحث في خط الحدود حتى عرف كل منا رأي الآخر ولكننا قررنا الاَّ نبتَّ في أمر حتى تتم الخريطة فننظر في خط الحدود كلهِ دفعة واحدة



شكل ٩٨ : سليم افندي اسعد ترجمان شركة كوك الذي رافق اللجنة المصرية على الحدود

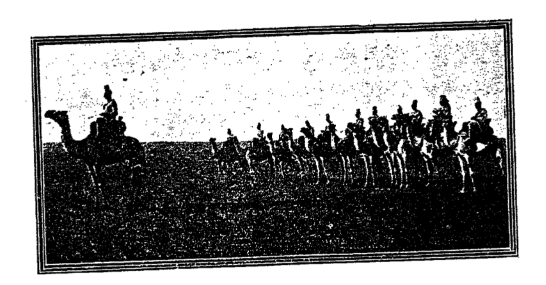
وفي ٤ يونيو سنة ١٩٠٦ فرغ المهندسان من رسم خريطة العقبة فبرحناها على ان نسير على الحدود الى رفح . ولما كان اتفاق ١٤ مايو الأخير يقضي باتباع « خط يقرب من المستقيم يبدأ من رفح وينتهي بنقطة تبعد ٣ أميال على الأقل من العقبة » كان لا بدّ لنا قبل ترك العقبة من تعيين نقطة على خليج العقبة تكون مبدأ الخط الذي نسير عليه فاتفقنا أن يكون مبدأه المرشش التي تبعد ٣ ¾ الميل من قلعة العقبة وخمّنا موقع رفح تخميناً من الخرط التي بأيدينا ورسمنا بين المكانين خطاً تقريبياً اتخذناه دليلاً لنا لتعيين جهة السير على الحدود . فجعلنا أول محطة لنا المفرق عند رأس النقب فوصلناه عصر ٤ يونيو . وكان في حملتنا نحو مئة جمل يخفرها اثنا عشر من هجانة خفر السواحل



شكل ٩٩ : أعضاء اللجنة المصرية على الهجن

وفي اليوم التالي لحقنا اليه مندوبا اللجنة التركية يصحبهما أسعد بك المار ذكره سكرتيرًا ليكون عدد أعضاء اللجنتين متساوياً . وقد صحبهما أيضاً ضابط تركي برتبة ملازم وبعض العساكر للاهتمام بحملتهم

وفي ٧ يونيو سنة ١٩٠٦ سار المهندسان أمامنا على الخط المستقيم التخميني يعينان مواقع الجبال والأمكنة البارزة عن جانبي الخط بالارصاد الفلكية ويرسمان خريطة الطريق . وسرنا نحن في أثرهما على الخط أو عرجنا عنهُ يسيرًا طلباً للماء .



شكل ١٠٠ : هجانة خفر السواحل المرافقة للجنة المصرية

وما زلنا كذلك حتى أتينا رفح في ٢٨ يونيو سنة ١٩٠٦ ولم نكن نعلم موقعها الجغرافي بالدقة فلما وصلناها وجدنا مكتب التلغراف من مصر قد سبقنا اليها . فاتصل المهندسان بالمرصد الفلكي في حلوان فعينّا موقع رفح الجغرافي فاذاً هو في طول شرقي ٨ً ٥٢َ ٣٥ْ وعرض شمالي ١ً ٣٦َ ٢٩ْ . ولم يكن في رفح محل يصلح لرسم الخرط فأخذ المهندسان ارصادهما ورسومهما وذهبا الى قلعة العريش وكان في انتظارهما هناك المستر هيس من موظفي قلم المساحة النجباء فرسموا خريطة للحدود خطاً مستقيماً من رفح الى المرشش والبلاد عن جانبيهِ على نحو خمسة أميال من كل جانب

فاجتمع اللجنتان اذ ذاك للنظر في تعيين خط الحدود . فعرضت اللجنة المصرية خطاً للحدود يقرب جداً من المستقيم وينطبق علي طبيعة البلاد وتقسيم القبائل اكثر من كل خط سواه

أما اللجنة التركية فقد عرضت خطاً ، سمتهُ الخط الاداري الفاصل ، بدأ من رأس طابا على خليج العقبة . وامتدّ على رؤوس التلال المطلة على العقبة الى المفرق ثم سار بطريق غزة المشهورة الى أن وصل جبل الأحيقبة فانحرف شمالاً بغرب الى بئر عجرود فضمها اليهِ ثم عاد الى طريق غزة حتى وصل قرب عين القصيّمة فانحرف غرباً نحو ٥ كيلومترات عنها فضمها اليـهِ . ومرَّ فوق جبل المويلح الى الروافعة في

وادي العريش وتمشّى في الوادي الى المقضبة . ثم سار شمالاً بشرق الى الحد بين السواركة والترابين فتمشى عليهِ الى رفح فمرّ بعاموديَ الحدود الى ان وصل البحر المتوسط عند تل خرائب عند مينا رفح على البحر المتوسط . وقد أدخلت اللجنة التركية في هذا الخط كثيراً من بلاد اللحيوات والتياها والعزازمة والترابين التابعين لسيناء . وحجتها ان قائمقامية بئر السبع بعد تأسيسها سنة ١٨٩٩ وقائمقامية غزَّة من قبلها ضربتا عليها الضرائب وان اتفاق ١٤ مايو يقضي علينا بترك القديم على قدمهِ



شكل ١٠١ : بعض مشايخ اللحيوات والتياها والترابين . وبين الوقوف من اتباع اللجنة المصرية: الذكي احمد افندي السيد والمراسلة النشيط الأمين ابراهيم جابر وقطامش أغا عيد

ففندت اللجنة المصرية هذه الحجة تفنيداً وبيَّنت بالأدلة الناصعة والمحررات الرسمية وشهادة مشايخ الحدود انفسهم الذين رافقونا من العقبة الى رفح ، ان البلاد التي أخرجتها اللجنة التركية من خطنا الذي يقرب من المستقيم وأدخلتها في خطها

المتعرّج نحو الغرب ، كانت منذ القديم تابعة لسيناء ولم يدفع أهلها قط ضرائب لتركيا. الاّ القديرات التياهـا والصبحيُّون العزازمة الداخلين في خطنا أيضاً فقد تبيَّن ان قائمقامية بئر السبع بعدَ تأسيسها سنة ١٨٩٩ ضربت عليهم بعض الضرائب ظلماً واعتداء ولكن قائمقامية غزة من قبلها لم تضرب عليهم ضرائب

وقد استغرقت هذه المناقشات عدة جلسات بين ٨ و ٢٢ يوليو سنة ١٩٠٦ فأصرَّت اللجنة التركية على رأيها ولم تشأ تعديل خطهـا فرفع كل فريق حججهُ وآراءه مفصلة الى حكومتهِ ، ولا نتعب القارئ بسردها هنا ، ومكثنا في رفح ننتظر الردّ وقد طال انتظارنا حتى سئمنا عيشة الخلاء والبداوة

﴿ اتفاق الحدود ﴾ فلما كان يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٩٠٦ جاء لكل فريق تلغرافاً من حكومتهِ يخبرهُ بمـا تمَّ عليهِ القرار بين سفير الدولة البريطانية ومجلس الوكلاء في الاستانة ومفاد الارادة السلطانية بهذا الشأن وهو :

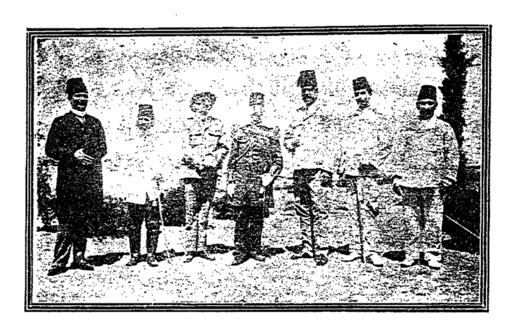
١ . ان الحكومة العثمانية أقرَّت على ان النقب من رأس طابا الشرقي الى نقطة قرب المفرق يكون للعقبة. وأما المفرق نفسهُ وآبار مايين وعين قديس وعين القديرات وعين القصيمة تكون لجزيرة سيناء ويكون خط الحدود من المفرق الى رفح خطاً يقرب من المستقيم كما اقترحتهُ اللجنة المصرية

٢ . ان تقام أعمدة على طول خط الحدود للدلالة عليهِ وذلك بحضور مندوبي الفريقين

٣ . ان القبائل القاطنة عن جانبي الخط يكون لها حق الانتفاع بالميـاه كجاري العادة. وكذلك العساكر الشاهانية وأفراد الأهالي والجندرمة ينتفعون من المياه التي بقيت غربي الخط الفاصل

٤ . أن يبقى الأهالي والعربان على ما كانوا عليهِ قبلاً من حيث ملكية الأراضي والمياه كما هو متعارف بينهم

فعقد أعضاء اللجنتين عدة جلسات وعيَّنوا خط الحدود بموجب هذه القواعد الأربعة على الخريطة فكان خطاً يقرب جداً من المستقيم ولكنهُ واقع كلهُ غربي الخط المستقيم الاَّ نقطة واحدة فيهِ أي موضع عمودَي رفح فانها وحدها على الخط المستقيم . فرفع كل فريق هذا الخط وصورة الاتفاق الى حكومتهِ



شكل ١٠٢ : أعضاء لجنتي الحدود على تل رفح

ولما كان صباح ١ أكتوبر سنة ١٩٠٦ جاء لكل فريق التصريح من حكومته بتوقيع الاتفاق والخريطة فاجتمع الفريقان في خيمة « مس » المندوب بين المصريين بعد ظهر ذلك اليوم ورسموا الخط المتفق عليه منقطاً بالحبر الأسود الهندي على نسختين من خريطة الحدود . ثم بحثوا ملياً في اللغة التي يكتب بها الاتفاق فاتفقوا أخيراً على ان يكتب بالتركية لأنها اللغة الرسمية بين تركيا ومصر وأن يعمل منهُ نسختان ويوقع الفريقان نسختي الاتفاق والخريطة . وأن يترجم الاتفاق الى الانكليزية والعربية فيأخذ كل فريق نسخة من كل ترجمة ليضمها الى الأصل الموقَّع

ولما كانت الساعة ٨ من مساء اليوم المذكور وقَّع مندوبو الفريقين نسختين من الاتفاق المكتوب بالتركية ونسختين من الخريطة المرسوم عليها خط الحدود المتفق عليهِ . وأخذ كل فريق نسخة من الاتفاق ونسخة من الخريطة الموقع عليهما . وضم اليهما نسخة من الترجمة الانكليزية وأخرى من الترجمة العربية * وهذه هي صورة الاتفاق كما تُرجم الى العربية بالحرف الواحد :

« هذه هي الاتفاقية التي وُقّع عليها وتبُودلت في رفح، ١٣ شعبان المعظم سنة ١٣٢٤ — الموافق ١٨ ايلول سنة ١٣٢٢ — أول أكتوبر سنة ١٩٠٦، بين

مندوبَي الدولة العلية ومندوبي الخديوية الجليلة المصرية بشأن تعيين « خط فاصل اداري » بين ولاية الحجاز ومتصرفية القدس، و بين شبه جزيرة طور سيناء

«بما انهُ قد عُهد الى كل من الاميرالاي أركان حرب احمد مظفر بك والبكباشي أركان حرب محمد فهمي بك بصفتهما مندوبَي الدولة العلية والى كلٍّ من امير اللواء ابراهيم فتحي باشا والاميرالاي روجر كرميكل روبرت اوين بك بصفتهما مندوبَي الخديوية الجليلة المصرية بتعيين خط فاصل اداريّ بين ولاية الحجاز ومتصرفية القدس و بين شبه جزيرة طور سيناء — قد اتفق الفريقان باسم الدولة العلية والخديوية الجليلة المصرية على ما يأتي :—

(المادة الأولى) يبدأُ الخط الفاصل الاداري كما هو مبين بالخريطة المرفوقة بهذه الاتفاقية من نقطة رأس طابا الكائنة على الساحل الغربي لخليج العقبة ويمتدّ الى قمة جبل فورت ماراًّ على رؤوس جبال طابا الشرقية المطلة على وادي طابا. ثم من قمة جبل فورت يتجه الخط الفاصل بالاستقامات الآتية :—

من جبل فورت الى نقطة لا تتجاوز مائتي متر الى الشرق من قمة جبل فتحي باشا ومنها الى النقطة الحادثة من تلاقي امتداد هذا الخط بالعمود المقام من نقطة على مائتي متر من قمة جبل فتحي باشا على الخط الذي يربط مركز تلك القمة بنقطة المفرق (المفرق هو ملتقى طريق غزة الى العقبة بطريق نخل الى العقبة) . ومن نقطة التلاقي المذكورة الى التلة التي الى الشرق من مكان ماء يعرف بثميلة الردَّادي والمطلة على تلك الثميلة (بحيث تبقى الثميلة غربي الخط) . ومن هناك الى قمة رأس الردَّادي المدلول عليها بالخريطة المذكورة أعلاه ب A 3 . ومن هناك الى رأس جبل الصفرا المدلول عليهِ ب A 4 . ومن هناك الى القمة الشرقية لجبل أم قُفّ المدلول عليها ب A 5 . ومن هناك الى نقطة مدلول عليها ب A 7 الى الشمال من ثميلة سُوَيلمة . ومنها الى نقطة مدلول عليها ب A 8 الى غرب الشمال الغربي من جبل سماوي . ومن هناك الى قمة التلة التي الى غرب الشمال الغربي من بئر المغارة (وهو بئر في الفرع الشمالي من وادي مايين بحيث يكون البئر شرقي الخط الفاصل).

ومن هناك الى A 9 . ومنها الى A 9 bis غربي جبل المقراة . ومن هناك الى رأس العين المدلول عليهِ ب A 10 bis . ومن هناك الى نقطة على جبل أم حواويط المدلول عليها بـ A 11 . ومن هناك الى منتصف المسافة بين عمودين قائمين تحت شجرة على مسافة (٣٩٠) ثلاثماية وتسعين متراً الى الجنوب الغربي من بئر رفح والمدلول عليهِ ب A 13 . ومن هناك الى نقطة على التلال الرملية في اتجاه (٢٨٠°) مايتين وثمانين درجة من الشمال المغناطيسي (أعني ٨٠° الى الغرب) وعلى مسافة أربعماية وعشرين متراً في خط مستقيم من العمودين المذكورين . ومن هذه النقطة يمتد الخط مستقيماً باتجاه (٣٣٤°) ثلثماية وأربع وثلاثين درجة من الشمال المغناطيسي (أعني ٢٦° الى الغرب) الى شاطئ البحر الأبيض المتوسط ماراً بتلة خرائب على ساحل البحر

(المادة الثانية) قد دُلّ على الخط الفاصل المذكور بالمادة الأولى بخط أسود متقطع في نسختي الخريطة المرفوقة بهذه الاتفاقية والتي يوقّع عليها الفريقان ويتبادلانها بنفس الوقت الذي يوقعان فيهِ على الاتفاقية ويتبادلانها

(المادة الثالثة) تقام أعمدة على طول الخط الفاصل من النقطة التي على ساحل البحر الأبيض المتوسط الى النقطة التي على ساحل خليج العقبة بحيث ان كل عمود منها يمكن رؤيتهُ من العمود الذي يليهِ وذلك بحضور مندوبي الفريقين

(المادة الرابعة) يحافظ على أعمدة الخط الفاصل هذه كل من الدولة العلية والخديوية الجليلة المصرية

(المادة الخامسة) اذا اقتضى في المستقبل تجديد هذه الأعمدة أو الزيادة عليها فكل من الطرفين يرسل مندوباً لهذه الغاية وتطبق مواقع العمد التي تزاد على الخط المدلول عليهِ في الخريطة

(المادة السادسة) جميع القبائل القاطنة في كلا الجانبين لهما حق الانتفاع بالمياه حسب سابق عاداتها أي ان القديم يبقى على قدمهِ فيما يتعلق بذلك وتُعطى التأمينات اللازمة بهذا الشأن الى العربان والعشائر . وكذلك العساكر الشاهانية وأفراد الأهالي والجندرمة ينتفعون من المياه التي بقيت غربي الخط الفاصل

(المادة السابعة) لا يؤذن للعساكر الشاهانيـة والجندرمة بالمرور الى غربي الخط الفاصل وهم مسلحون

(المادة الثامنة) تبقى أهالي وعربان الجهتين على ما كانت عليهِ قبلاً من حيث ملكيَّة المياه والحقول والأراضي في الجهتين كما هو متعارف بينهم »

مندوبون من قبل الخديوية الجليلة المصرية	مندوبون من قبل الدولة العلية
أمير اللواء « ابراهيم فتحي »	اميرالاي أركان حرب « مظفر »
اميرالاي « اوين »	بكباشي اركان حرب « فهمي » اه

وقد نظم فرج سليمان شاعر الرميلات برفح قصيدة في الحد قال :

فَ اوَّل دهرنا ما لنا حد مظبوط وأما رفح في الذكر نسمع بطرياه
التمَّت الباشات بين المحاديد وِاحْنا صبرنا بينهم للمداعاه
واليوم صار حدادنا بطن بارود والكل من حده يرجع لمشاه
نعوم بك والمدير المسمَّى وفتحات باشا والعساكر بتبراه
جاهم مظفَّر وفهمي وأسعد الكل منهم بيك يا نعم ملقاه
يوم الأحد مشيوا على خيرة الله وغزُّوا علايم حدّهم بالمواتاه
يا رب تحميهم وتنصر دولهم ارتاحت العربان بعد المقاساه

﴿ أعمدة الحدود ﴾ و بعد توقيع الاتفاق أصبح من الضروري أن يعود أعضاء اللجنتين على طول الحد لتخطيطهِ عملاً بالمادة الثالثة فقرَّ رأي اللجنتين أن تقام عمد على طول الخط وتُثبَّت في الأرض بفلنكات من حديد كعمد التلغراف . و بعد ذلك تُبنى في مكان هـذه العمد عمد ثابتة بالحجر والسمنت بحضور مندوبي الفريقين . وعليهِ فقد أحضروا من مصر بطريق القنطرة عمداً وفلنكات من حديد وسار الفريقان على طول الخط ونصبوا العُمد بحيث كان كل عمود يُرى من مكان العمود الذي يليهِ كنص المادة المذكورة . فكان جملة ما نصبوهُ ٩١ عموداً وقد نصبوا أول عمود في مينا رفح على تل الخرائب المارّ ذكرهُ بعد ظهر الخميس في ٤ أوكتوبر وآخر عمود على رأس طابا الاربعاء في ١٧ منهُ عند غروب الشمس

وفي اليوم التالي عاد اللواء فتحي باشا و بعض ملحقات اللجنة المصرية بطريق

البحر الى مصر . أما مدير المخابرات وكاتب هذه السطور قد رجعنا بدرب الحج المصري فوصلنا السويس في ٢٤ أوكتوبر سنة ١٩٠٦



غالي افندي زكي

علي افندي حلمي

اسماعيل افندي المفتي

شكل ١٠٣ : لجنة بناء العمد المصرية

وكان قد رافقنا من رفح اليوزباشي اسماعيل افندي المفتي من أنجب ضباط مصلحة الأشغال بالجيش المصري والمستر ويد أحد مهندسي اللجنة المصرية ليساعدا في نصب الأعمدة . وفي ٤ ديسمبر سنة ١٩٠٦ عاد اليوزباشي اسماعيل افندي المفتي الى طابا مندوباً من قِبَل اللجنة المصرية لبناء الأعمدة بالحجارة حسب اتفاق اللجنتين ومعهُ الملازم الأول النشيط غالي افندي زكي والملازم الثاني علي افندي حلمي من ضباط الجيش المصري و ٣٧ عسكريًّا من الأورطة الرابعة المشاة و ٥ عساكر بنائين من قسم الأشغال وعسكري تمرجي من القسم الطبي . ساروا بطريق البحر فوصلوا طابا في ٧ ديسمبر . وكان القائمقام باركر بك قد سمي مديراً على جزيرة سيناء فوافاهم الى طابا برًّا في اليوم المذكور ومكثوا في انتظار المندوبين العثمانيين

وفي ٣٠ من الشهر المذكور حضر مظفر باشا وفهمي بك مندوبا لجنة الحدود التركية ومعهما اليوزباشي غالب افندي ليرافقوا مندوبي لجنة الحدود المصرية لبناء العمد فنظر الجميع في شكل العمد الثابتة التي يجب اقامتها فاتفقوا بعد جدال طويل على ان يكون شكلها هرماً مقطوعاً تكون قاعدتهُ متر مربع وارتفاعهُ عن سطح

الأرض من مترين الى مترين ونصف متر ومسطح رأسهِ ٣٠ × ٣٠ س وان تنزع الفلنكة الحديدية وعرق الخشب فيستغنى عن العرق وتغرز الفلنكة في رأس العمود

وبعد الاتفاق على شكل العمد عاد بارِكر بك الى نخل وشرع اسماعيل افندي ورجاله في بناء العمد يصحبهم المندوبون الأتراك الثلاثة على طول الخط حتى أتوا الى آخرها. وقد اعترضهم في الطريق صعوبتان: الماء والحجارة في الصحارى المرملة: أما الماء فانهم بعد خروجهم من طابا أتوا بهِ من بئر ملحان وبئر غضيان في وادي العربة حتى وصلوا آبار مايين فوجدوها جافة فاستقوا من بئر المغارة. وأتوا بالحجارة الى صحراء الهاشة من جبل أم قف قرب جبال الصفرا. والى صحراء العجرة من خرائب العوجة وجبل خشم القرن وخربة الرُّطيل وشاطئ البحر

وكان أول عمود بنوه على رأس طابا السبت في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٦ أعطوه نمرة ٩١ وآخر عمود على تل الخرائب في مينا رفح في ٩ فبراير سنة ١٩٠٧ أعطوه نمرة ١. وهذه السرعة التي أتمَّ فيها اسماعيل افندي ورجالهُ بنـــاء العمد على طول الخط دلّت على نشاط عظيم وأوجبت لهم كل مدح وثناء

وقد بلغت أُجور الجمال التي كانت تنقل المياه ومواد البناء لهذه العمد جنيه ٧١٧ مليم ٤٠٠

وكان جملة ما أنفقتهُ مصر على تحديد التخوم نحو عشرين ألف جنيه أو أكثر

وبعد ان تم بناء العمد شرعت حكومة سيناء في اقامة نقط البوليس على الحدود فجعلت نقطاً في بئر الثمد. ومشاش الكنتلا. والقصيمة. ورفح. ومدَّت اليهـــا الأسلاك التليفونية وما زالت مثابرة على الاصلاح على ما بيّنا في باب الجغرافية حتى قامت الحرب الاوربية الكبرى في اوغسطوس سنة ١٩١٤ وزج الاتحاديون الدولة في هذه الحرب في جانب المانيا وجرَّدوا حملة على مصر قصد فتحها فرأت السلطة العسكرية في مصر اخلاء سيناء لتجعل الصحراء بينها وبين الجيش المهاجم فسحبت عساكرها من نقط الحدود ثم أخلت العريش في ٢٤ اوكتوبر ونخل في ٣٠ اوكتوبر سنة ١٩١٤ فدخل الأتراك سيناء واحتلوا بلاد العريش والتيه. وأما بلاد الطور فما زالت بيد مصر ولها حامية في محجر الطور. وسيجيء تفصيل ذلك في الفصل التالي وهو الخاتمة

الخاتمة

في

خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب
وما كان بينها من العلائق التجارية والحربية وغيرها

« عن طريق سيناء »

منذ أول عهد التاريخ الى اليوم

تمهيد

مصر والشام والعراق وجزيرة العرب جارات بل أخوات كريمات تربط بينها برًّا سيناء وبحراً البحر المتوسط والبحر الأحمر . وقد طالما ضمّها في التاريخ سلطان واحد . ومرَّ على مصر أزمان طوال قبل تقدم الملاحة لم يكن بينها وبين جاراتها اتصال الاّ بطريق سيناء * فسيناء هي طريق الفاتحين الرعاة والأشوريين والفرس والعرب والترك الى مصر . وهي طريق الفاتحين الفراعنة الى الشام والعراق وجزيرة العرب . ولا تزال الطريق البرية للمهاجرين والحجاج والتجار والغزاة بين مصر والشام والعراق والحجاز الى اليوم

لذلك ولما كانت الحرب الحاضرة قد جدَّدت الحملة على مصر بطريق سيناء ، وكان المراد الإلمام بتاريخ سيناء من جميع وجوهه ، كان لا بدَّ لنا من ذكر هذه الحملة وما كان بين مصر وجاراتها من الوقائع الحربية والصلات التجارية وغيرها عن طريق سيناء منذ انبلج فجر التاريخ الى اليوم

ثم ان الباحث في تاريخ مصر والشام والعراق كلما تعمّق في البحث وجد أن معظم سكان هذه البلاد كانوا في كل عصور التاريخ ، كما هم في هذا العصر ، عرباً

أو من أصل عربيّ وكانت لغتهم العربية أو أختاً لها . وعليه فأول الصلات التي تربط هذه البلاد بعضها ببعض وأهمها هي الصلة الجنسية العربية

لذلك يجدر بنا قبل ذكر الصلات الحربية والتجارية أن نأتي على زبدة تاريخ هذه البلاد وشعوبها وممالكها ايضاحاً لهذه الحقيقة واتماماً للفائدة فنقول :

﴿ ١ . خلاصة تاريخ العرب ﴾

﴿ مهد العرب ومسرحهم ﴾ أوجد اللهُ سبحانهُ وتعالى في الشرق أربع أشباه جزائر الواحدة بجانب الأخرى وهي : شبه جزيرة العراق . وشبه جزيرة العرب . وشبه جزيرة سيناء . وشبه جزيرة أفريقيا . وأوجد في هذه الجزائر صنفين ممتازين من البشر : السود في جزيرة أفريقيا وكلهم حَضَر. والبيض من الجنس السامي في سائر الجزائر وهم حضر وبادية

وقد اختلفت آراء المحقّقين في مهد الجنس السامي وأوجهها رأيان :

رأي مفسّري التوراة وهو أن مهد الجنس السامي جزيرة العراق ومنها تفرق في الجهات فسكن البابليون والأشوريون العراق . والآراميون الشام . والفينيقيون سواحل سوريا . والعبرانيون فلسطين . والعرب جزيرة العرب . والايثيوبيون الحبشة

وذهب آخرون وفي مقدمتهم العلاّمة روبرتسن سمث الانكليزي ان مهد الجنس السامي جزيرة العرب ومنها تفرق في الشرق قبل التاريخ كما تفرق العرب المسلمون في صدر الاسلام . ولهم على ذلك أدلة لغوية اجتماعية ومن أدلتهم اللغوية ان اللغة العربية هي أقرب أخواتها — الكلدانية والسريانية أو الأرامية . والعبرانية . والحبشية — الى اللغة السامية الأصلية . وان في الأرامية والعبرانية آثار الحياة البدوية العربية

ومهما يكن من أمر ذلك المهد فاننا نرى العرب قد أسسوا في جزيرتهم عدة ممالك اشتهرت في التاريخ قديماً وحديثاً . وخرجوا من جزيرتهم للفتوحات غرباً الى سيناء ومصر وأفريقيا الشمالية وشرقاً الى العراق وتركستان وشمالاً الى سوريا وآسيا الصغرى فأسسوا فيها عدة ممالك قبل الاسلام وبعده . فكان مهد العرب

ومسرحهم منذ القديم من المحيط الهندي الى المحيط الاتلانتيكي شرقاً وغرباً ومن أعالي الفرات ودجلة والبحر المتوسط الى أقاصي السودان شمالاً وجنوباً

ذلك لأن جزيرة العرب واسعة الأطراف كثيرة البوادي والقفار قليلة النبت والمياه وليس فيها على اتساعها نهر واحد حيّ يجمع الجمّ الغفير من الناس في صعيد واحد فعاش معظم أهلها عيشة البادية يتنقّلون من مكان الى مكان في انتجاع مواقع الكلاء والماء . وقد انقسموا فيها قبائل شتى دأبهم شن الغارة بعضهم على بعض فكانوا بحكم الضرورة والطبع أهل حرب وفتوح

وكان في جوارهم عن اليمين والشمال على الفرات ودجلة وبرَدَى والعاصي والأردن والنيل بلادٌ من أخصب بلاد الدنيا وأغناها فكانوا ينتابونهـا للاتجار والارتزاق فيدهشهم خصبها وغناها ويطمحون بأبصارهم اليها حتى اذا ما أنسوا من احداها الضعف ورأوا أهلها قد انشقوا بعضهم على بعض وانغمسوا في الملاهي والملذات ، واتفق أن كان لهم في باديتهم زعيم ذو عصبية قوية التفوا حولهُ وأغاروا على تلك البلاد وامتلكوها وتحضروا فيها. وبقوا حتى تُذهب الحضارة منهم روح الغزو والفتوح وينغمسون في الترّف والملذات ويتفق قيام زعيم قوي في البادية فيغير عليهم ويتملّكهم والاّ تملكهم أجنبيٌّ وهكذا على ممرّ العصور

هذا وقد وجد العرب في بوادي أفريقيا الشمالية المتاخمة لهم مسرحاً واسعاً يشبهُ بلادهم كل الشبهِ في الهواء والماء والتربة ولم يكن البحر الأحمر وهو الحاجز الضيق بين البلادين ليمنعهم عن الوصول الى تلك البوادي خصوصاً وأن لهم منفذاً طبيعياً من برزخ السويس في الشمال وبوغاز المندب في الجنوب . فكانوا كلما أضطروا الى مهاجرة بلادهم بسبب ضيق الرزق أو الحروب الأهلية عبروا البحر الأحمر الى أفريقيا الشمالية وسكنوا بواديها ولم يجدوا من السود سكان البلاد الحضر خصماً يردُّهم عن سكنى البوادي . بل لما كانوا أرقى عقلاً وأسمى ادراكاً وأقوى عدَّةً من السود . كانوا كلما كثروا في جهة من جهات السود وكان لهم زعيم ذو دهاء وتدبير ونزعةٍ الى الملك أغاروا على تلك الجهة وملكوها مع ملوكها السود أو وحدهم كما بيّنا تفصيلاً في كتابنا تاريخ السودان

﴿ أنداد العرب ﴾ هذا وقد قام للعرب منذ القديم ندّان في الشرق وهما الفرس والترك . وندّان في الغرب وهما اليونان والرومان . فقلما نكبوا في بلادهم أو في فتوحاتهم الاّ كان السبب في نكبتهم أحد هؤلاء الأنداد كما سيجيء .

﴿ ا . ممالك العرب قبل الاسلام ﴾

جعل النسّابون العربَ ثلاث طبقات :

١ . العرب العاربة أو البائدة وهم أقوام شتى أشهرهم العمالقة

٢ . والعرب المتعربة وهم القحطانيون

٣ . والعرب المستعربة وهم العدنانيون

﴿ ١ . العرب العاربة ﴾

أما العرب العاربة فهم سكان البلاد الأولون وقد أسسوا في البلاد عدة دول أشهرها :

﴿ عاد ﴾ سكنوا احقاف الرمال بين اليمن وعمان الى حضرموت والشحر . قالوا « وهم نسل عاد بن عوص بن أرام بن سام » . ولعلهم أقدم دول الجزيرة لأن العرب يطلقون لفظ عادي على كل شيء قديم لم يعلم تاريخهُ

﴿ وثمود ﴾ قالوا و « هم بنو ثمود بن جاثر (أخو عوص) بن أرام » وكانت ديارهم بالحجر ووادي القرى في ما بين الحجاز والشام . وكانوا ينحتون بيوتهم في الجبال

﴿ وطسم وجديس ﴾ قيل « وهما أيضاً من ولد جاثر » . وقد سكنتا اليمامة بين نجد واليمن

« والنبط » في البتراء شرقي وادي العرَبة وقد تقدم الكلام عليهم تفصيلاً

« وتَدْمر » في بادية الشام وسيأتي الكلام عليها

﴿ والعمالقة ﴾ قيل « انهم من ولد عماليق بن لود (لاوذ أخو ارام) بن سام » قال أبو الفداء : « لما تبلبلت الألسن نزلت العمالقة بصنعاء من اليمن ثم تحولوا الى الحرم وأهلكوا من قاتلهم من الأمم . وكان من العمالقة جماعة بالشام » .

وذكر ابن خلدون ان أهل البحرين وعمان طوائف منهم وكذلك أهل الحجاز ونجد

والظاهر أن اسم العمالقة أطلق على عدة طوائف من العرب البائدة وخصوصاً أهل الشمال مما يلي الجزيرة وقد ذُكروا في أخبار بني اسرائيل حين مرورهم ببرية سيناء كما مرَّ . وذُكروا بعد ذلك مراراً في تاريخ بني اسرائيل * وقد أطلق البعض اسم العمالقة على جميع العرب البائدة

﴿ العرب البائدة والعراق ﴾ وأقدم ما وصلنا من أمر العمالقة أو العرب البائدة انهم كانوا يسكنون البادية بين العراق والعقبة وقد انقسموا فيها قبائل شتى وكان ذوو العصبية منهم ينقلون التجارة بين بابل ومصر

قيل وما زالوا على هـذه البداوة حتى قويت عصبيتهم وتغلبوا على بابل (وكان فيها السومريون والأكّاديون من الجنس المغولي) وقامت فيها دولة منهم في القرن الخامس والعشرين قبل المسيح كان أول ملوكها « ساموابي » أي «ابن سام»

وما زالوا حتى ظهر منهم في القرن الثالث والعشرين ملك اسمه « حمُّورابي » فأسس مملكة قوية عرفت بدولة « حمُّورابي » بلغت اسمى ما وصلت اليه دولة في العهد القديم من الرقي الأدبي والمادي وقد اشتهرت على الخصوص بسنّ الشرائع والقوانين وبناء الهياكل والقصور واستمرت حاكمة الى أواخر القرن الـ٢١ قبل المسيح

﴿ العرب البائدة ومصر ﴾ وذكر مؤرخو العرب ان العمالقة هم الرعاة الهكسوس الذين ملكوا مصر في مدة الدول الخامسة عشرة الى السابعة عشرة . ويظن الآن ان سكان مصر وايثيوبيا الأولين الذين سكنوا النيل قبل التاريخ هم عرب هاجروا اليه من جزيرة العرب عن طريق سيناء أو بوغاز باب المندب كما سيجيء

﴿ العرب البائدة وسوريا ﴾ هذا وسنرى في تاريخ سوريا ان معظم سكانها الأولين هاجروا اليها من جزيرة العرب وأسسوا فيها دولاً شتى

﴿ بقايا العرب البائدة ﴾ ولقد باد سكان جزيرة العرب الأولون ولم يبق منهم الأ بقايا ضعيفة اختلطت بالعرب المتعربة لذلك سموا بالعرب البائدة . ولعل البدو المعروفين الآن بهتيم الذين يعيشون مع العرب بالخاوة وقد مرَّ ذكرهم هم بقية

العرب البائدة . فانهم أعرف بطرق البوادي ومياهها ومراعيها من القحطانيين والعدنانيين أسياد البلاد الآن

﴿ ٢ . العرب المتعربة أو القحطانيون ﴾

أما القحطانيون فقيل «هم ابناء قحطان أو يقطان بن عابر بن شالح بن أرفكشاد ابن سام بن نوح » (تك ١٠ : ٢١) ومنهم بنو جرهم . وقال ابن خلدون « ان يعرب بن قحطان لما غلب عاداً على اليمن وملكهُ من أيديهم . ولّى اخوتهُ على الأقاليم . وولّى جرهم على الحجاز » . ويقول العرب ان قحطان أبو اليمن كلهم وأنهم كانوا يتكلمون غير العربية فلما نزلوا اليمن كان فيها العرب العاربة فتعلموا العربية منهم ولذلك سموا العرب المتعرّبة * وقد اشتهر للقحطانيين في اليمن ثلاث دول وهي : الدولة المَعِينية * والدولة السبائية * والدولة الحِمْيَرية

﴿ الدولة المعينية ﴾ أما الدولة المعينية فكانت دولة قوية عاصمتها « مَعِين » في وادي الشارد شرقي اليمن وشمال حضرموت . ومن الغريب أن مؤرخيّ العرب لم تذكر لنا شيئاً عن هذه الدولة ولكن علماء الآثار الافرنج اكتشفوا آثارها منذ عهد قريب وقرأوا كتاباتها فظهر أنه ملك في « معين » ٢٦ ملكاً مدّوا نفوذهم الى بلاد العرب كلها

وكان لهم قلم يكتبون به يعرف الآن بالقلم المُسْنَد أو القلم الحِمْيَري . قالوا لم تكن هذه الدولة دولة حرب وفتوح بل دولة تجارة وزراعة كدولة الفينيقيين. وكانوا ينقلون التجارة من الهند والحبشة وبلاد العرب الى مصر والشام والعراق . وكانوا يقيمون السدود في الأودية ويفتحون الترع لتنظيم الريّ. وقد اختلف المحققون في بدء تاريخهم فقال بعضهم انهُ يبدأ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد . وقال آخرون من القرن السابع أو الثامن . ووقف الباحثون على نقوش معينية في العلاء قرب وادي القرى وفي حوران وغيرهما * وقد عدّ بعضهم هذه الدولة من العرب البائدة . قالوا انضم المعينيون الى من بقي من دولة عاد الأولى وكوّنوا دولة عاد الثانية حتى تغلب عليها القحطانيون وأنشأوا الدولة السبائية

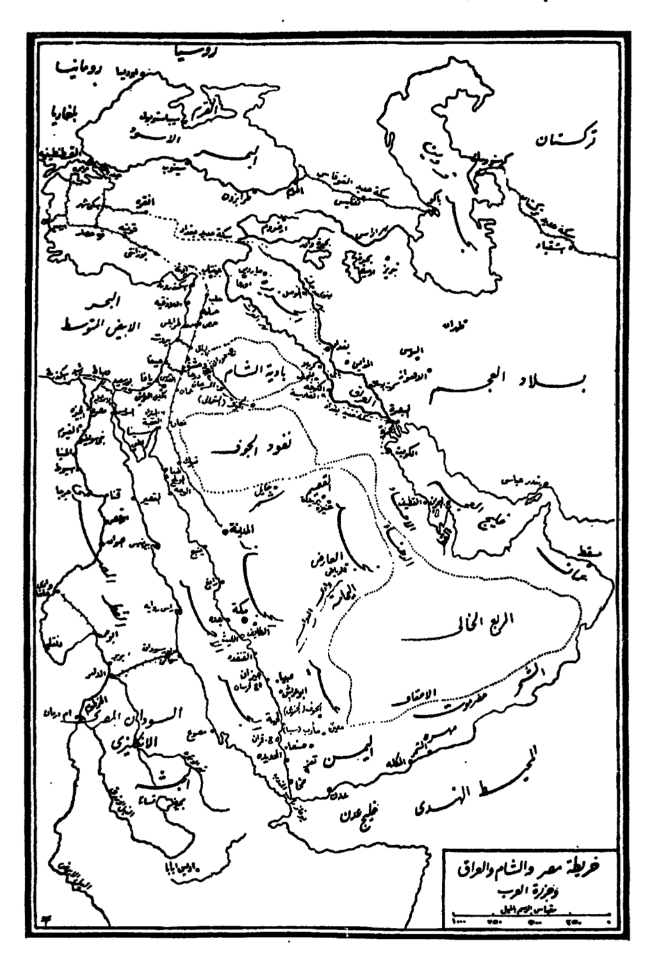


صاحب العظمة السلطان حسين كامل سلطان مصر



فخامة السر هنري مكماهون نائب جلالة ملك بريطانيا العظمى بمصر

تجاه صفحة ٦١٧



﴿ الدولة السبائية ﴾ أما الدولة السبائية فقد كانت كالمعينية دولة تجارة وزراعة وكانت في القرون الأخيرة قبل الميلاد أعظم واسطة للاتصال بين الأمم الشرقية

والظاهر ان السبائيين قضوا زماناً في جوار المعينيين وهم من قبيل « الأذواء » أي كان لكل قبيلة منهم رئيس له كفر أو مدينة أو قصر ينسب اليهِ بقولهم ذو ريدان وذو صرواح أي صاحب ريدان وصاحب صرواح . وكان اذا قوي رئيس من هؤلاء الأذواء تغلّب على البلاد التي في جواره وسمي مجموع الأذواء التي يملكهـا محفداً وصاحبها قيلاً . واذا اجتمعت له عدة محافد سمي مجموعها مخلافاً وصاحبها ملكاً

قالوا وما زالوا على ذلك حتى نبغ سبأ صاحب قصر صرواح شرقي صنعاء وكان قوياً طامعاً فاستولى على جيرانهِ المعينيين وأصبحت صرواح قصبة مملكتهم ثم صاروا الى مأرب في وادي داما وكانت لهم فيها شهرة عظيمة

وقد بلغ عدد ملوك سبأ بضعة وثلاثين ملكاً ولا يعلم بالتأكيد مبدأ ملكهم . ولكنا نجد في التوراة ان ملكة سبأ جاءت الى سليمان زائرة في القرن التاسع قبل الميلاد . فاذا صح ان سبأ هذه ملكة مأرب كان بدء دولة سبأ قبل عهد سليمان وقد انتهت سنة ١١٥ ق . م . وبها تبتدىء دولة حمير

﴿ سد مأرب ﴾ ومن أهم آثار السبائيين سد مأرب قالوا ان مياه الأمطار التي تهطل على جبال اليمن تسيل في أودية شتى الى الشرق والغرب . فالسيول التي تنزل الى الشرق تتجمع في وادٍ عظيم يسمونهُ الميزاب شرقي مدينة مأرب يرتفع نحو ١١٠٠ متر عن سطح البحر . وهذا الوادي يضيق عند مدينة مأرب وينحصر بين جبلين بينهما نحو ٤٠٠ متر وهناك يسمى وادي أذينة ثمَّ ينفرج هذا الوادي انفراجاً عظيماً وتضيع فيـه السيول بلا فائدة . فأقام السبائيون على مسافة قليلة من مضيق الوادي سدًّا من الحجر طوله ٨٠٠ ذراع وعرضه ١٥٠ ذراعاً . وجعل لهُ عن جانبيهِ فتحتان ببابين يُوزَّع بهما الماء على قدر الحاجة عند الاقتضاء

قالوا وأول من بنى هـذا السد يثعمر ملك سبأ فى القرن السادس قبل المسيح وزاد فيه خلفـاؤه ما زاد في فائدتهِ فحوَّلوا ذلك القفر البلقع حول السد الى رياض

وجنان فيها من كل فاكهة زوجان حتي كانوا يعبرون عن البلاد التي الى يمناه بالجنة اليمنى والتي الى يسراه بالجنة اليسرى. وكان الرومان يسمون هذه البلاد بالعربية السعيدة والعرب يسمونها باليمن الخضراء

وما زال هـذا السدّ حتى تهدم فحصل منهُ خراب عظيم وتشتت أهل سبأ في جزيرة العرب فنزلت خزاعة مكة . ونزلت الأوس والخزرج يثرب . ونزلت الأزد عمان واليمامة . ونزح اللخميون الى بادية العراق فكان منهم دولة المناذرة في الحيرة . ونزح الغساسنة الى بادية الشام فكان منهم دولة الغساسنة الشهيرة. وعرب الصفا الى جبل الصفا من جبال حوران وكان لهم قلم خاص يتفرع من القلم المسند السباءي

وقد ورد ذكر سبأ وخرابها في القرآن الكريم قال :

« لقد كانْ لسباء في مسكنهم آيةٌ جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا لهُ بلدةٌ طيبةٌ وربٌّ غفور فأعرضوا . فأرسلنـا عليهم سيل العَرِم وبدّلناهم بجنّتَيهم جنّتين ذواتَي أُكُل خَمْطٍ وأثلٍ وشيء من سِدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الاّ الكفور . وجعلنا بينهم وبين القُرى التي باركنا فيها قُرًى ظاهرة وقدَّرنا فيه السيرَ سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين . فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم آحاديث ومزَّقناهم كل ممزَّق »

وفي المثل « تفرقوا أيدي سبأ »

﴿ الدولة الحميريَّة ﴾ أما الدولة الحميرية فقد خلفت الدولة السبائية فانهُ لمـا انهدم بنيان دولة سبأ وتلاشت مدينة مأرب عاصمة ملكهم صارت السلطة ببلاد اليمن من قبيل الأذواء وما زالت حتى قام «علهان لهفان» ذو ريدان في نهاية القرن الأول المسيح وتغلب على عدة محافد ومخاليف من مملكة سبأ فسمي «ملك ريدان وسبأ»

﴿ التبابعة ﴾ ثم ما زالت هذه المملكة تكبر وتمتد في زمن خلفاء علهان حتى دخل فيها حضرموت وما والاها من البلاد شرقاً مدة حكم «شمر يرعش» في أواخر القرن الثالث للميلاد فسمي ملك « ريدان وسبأ وحضرموت » . وعرفت دولة حمير بعده بدولة « التبابعة » واحدها تبَّع أي ملك الملوك

قالوا وقد كانت حكومة التبابعة في غاية الرقي وكانت حضارتهم لا تقل عن حضارة الاشوريين وغيرهم من الممالك التي كانت في شمال الجزيرة وذلك لاتصالهم بالتجارة مع الهند والفرس والسوريين والمصريين . وقد رمموا سدّ مأرب بعد هدمهِ وأعادوا الخصب والنماء الى بلاد اليمن وكانوا يتعهدون السد بالعمارة ويرممون ما تهدَّم منهُ حتى خرب قُبَيل الاسلام فأهمل ولا تزال آثاره ظاهرة الى اليوم

وكانوا يستخرجون من جبالهم الذهب والفضة والحجارة الكريمة كالياقوت والزمرد والعقيق ولذلك كان الحميريون والسبائيون من قبلهم من أغنى أهل الأرض وأكثرهم حضارة ورفاهية . وكانت لهم القصور الفاخرة والرياض الزاهرة والرياش الباهرة . قال الهمذاني في وصف قصر كوكبان : « كان مؤزر الخارج بالفضة وما فوقها حجارة بيض وداخلهُ ممرد بالمرعر والفسيفساء والجزع وصنوف الجوهر »

وقيل في وصف قصر ينون: «واسأل ينون وحيطانها * قد نطقت بالدر والجوهر»

وقيل في وصف مأرب : «ومأرب قد نطقت بالرخام* وفي سقفها الذهب الأحمر»

﴿ كندة ﴾ وقد اشتهر للعرب في عهد التبابعـــة دولة « كندة » في ظاهر حضرموت كان لها شأن مع الحميريين . وآخر ملوكها امرؤ القيس الشاعر المشهور كان معاصراً للحارث بن جبلة الغساني وقد توفي سنة ٥٦٠ م

﴿ اليهود والنصارى في بلاد العرب ﴾ هذا وبعد خراب أورشليم أو قبلهُ قصد كثير من اليهود جزيرة العرب وتشيَّع لهم عدة قبائل مثل حمير وكنانة وبني الحارث ابن كعب وكندة حتى قويت سطوتهم . وفي أوائل القرن السادس للمسيح كان على اليمن ذونواس فدان باليهودية وكان شديد الغيرة عليها حتى أنهُ اضطهد كل من لم يتهوَّد

وكانت النصرانية أيضاً في هذا العهد قد انتشرت في الجزيرة ودان بها قبائل حمير وغسَّان وربيعة وتغلب وتنوخ وطي وقضاعة والحيرة ونجران

﴿ حكم الحبشة على اليمن ﴾ قيل فطلب ذونواس من نصارى نجران اعتناق اليهودية ولما لم يسمعوا لهُ نقم عليهم وبالغ في نقمتهِ حتى أنهُ خدَّ أُخدوداً وأضرم فيهِ النار وجعل يرمي فيهِ كل من لم يرجع عن النصرانية . فاستنجد أهل نجران بنجاشي

الحبشة وكان نصرانياً فأرسل الى اليمن جيشاً عليهِ «ارباط» وكان من ضباطهِ أبرهة الأشرم. فقابلهم ذونواس عند البحر الأحمر وقاتلهم قتالاً شديداً دارت الدائرة فيهِ عليهِ وخاف من سقوطهِ في يد عدوه ونقمتهِ فأغرق نفسهُ. وآستولى الأحباش على معظم بلاد اليمن وكان ذلك سنة ٥٢٥ ب. م. ومات ارباط بعد ان حكم اليمن نحو عشرين سنة. فتولاّها أبرهة وجعل عاصمتهُ صنَعاء وبنى فيها قصراً جميلاً وغزا مكة قصد هدم الكعبة وحَمْل الناس على الحج الى قصره بدل الكعبة فعاد مقهوراً ومات بعد حكم نحو ٢٣ سنة. وكانت غزوتهُ مكة سنة ٥٧١م وتُعرف بعام الفيل لأنهُ جاءها غازياً على فيل

وتولى الملك بعده آبنهُ يكسوم فحكم ٢٠ سنة ثم أخوهُ مسروق فحكم ١٢ سنة

﴿ حكم الفرس على اليمن ﴾ وكان لما مات ذونواس قام أمير من أهلهِ اسمهُ ذو يزن واستولى على بعض البلاد فملك فيها نحو ٨ سنين. ثم تغلب عليهِ الأحباش فانتحر. وفرَّ ابنـهُ «سيف» الى قيصر الروم يستنصرهُ وأقام ببابهِ سبع سنين فلم ينجدهُ فسار الى كسرى أنو شروان ملك الفرس وهو أشهر ملوك الدولة الساسانية وكانت عاصمة ملكهِ «المدائن» قرب بغداد وبها ايوانهُ العظيم. فوجّه معهُ رجلاً اسمهُ وهرز في جيش من المساجين وقال «ان هم فتحوا كانوا لنا وان هم هلكوا كانوا لنا» فركب وهرز وجيشهُ البحر فالتقاهم جيش الأحباش في ساحل اليمن فهزموهُ وامتلكوا البلاد. وجلس سيف بن ذي يزن على كرسيها تحت سيادة الفرس وأتتهُ وفود العرب تهنئهُ بالملك وكان في من أتاه من مكة عبد المطلب جد النبي محمد في نفرٍ من قومهِ فأكرم وفادتهُ

وبعد ان حكم مدة قتلهُ حُجَّابهُ وكانوا من الحبشة وبهِ انتهى حكم التبابعة في اليمن. وصارت بعد ذلك تابعة لمملكة الفرس يولُّون عليها الولاة. حتى اذا كانت السنة التاسعة للهجرة أسلم أهل اليمن وأرسلوا وفداً منهم الى النبي محمد بالمدينة فأرسل اليهم معاذ بن جبل وجعل لهُ الأمارة عليهم. وكان العامل عليهم من قبل كسرى رجل اسمهُ باذان فدخل في الاسلام وبذلك صار حكم اليمن الى العرب المسلمين. الى ان استولى الترك على سواحلها في عهد السلطان سليمان الأول سنة ٩٢٦هـ ١٥٢٠م. ثم عليها كلها سنة ١٢٥٥ هـ ١٨٣٩ م في عهد السلطان عبد المجيد. ولكن سلطتهم عليها كانت على الدوام ضعيفة مهدّدة بالثورات الداخلية الى اليوم

﴿ ٣ . العرب المستعربة أو العدنانيون ﴾

أما العدنانيون فهم أبناء اسمعيل بن ابراهيم الخليل من امرأته هاجر . جاء في سفر التكوين ص ٢١ : أن سارة زوجة ابراهيم الأولى غارت من زوجتهِ هاجر فصرف ابراهيم هاجر مع ابنها « فمضت وتاهت في برية بئر سبع . . . ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها . . . لا تخافي لأن الله سمع صوت الغلام حيث هو . قومي احملي الغلام وشدّي يدكِ به لأني سأجعلهُ أمة عظيمة . . . وكان الله مع الغلام فكبر . . . وسكن في برية فاران . . . »

وقال مؤرخو العرب : أتى اسمعيل الى مكة وكان فيها بقية من « جرهم » القحطاني فتزوج من بناتهم وولد لهُ اثنا عشر ولداً . وما زال نسلهُ يتكاثر حتى أنتج حفيدهُ عدنان . فولد لعدنان مُعدّ وولد لمعدّ نزار . وولد لنزار « أنمار ومضر وقضاعة وربيعة وأياد » . وبارك الله في نسلهم فكان منهم العرب العدنانية . وقد تعربوا كلهم فسمُّوا بالعرب المستعربة . وكانت منازلهم في مبدإ أمرهم مكة وجوارها ثم تفرقوا في الجزيرة كلها طلباً للرزق وسكنوها مع القحطانيين . ومن شعب قحطان وعدنان تتألف العرب الآن

﴿ الحجر الأسود والكعبة ﴾ هذا وقد وُجد في مكة قبل التاريخ حجر أسود بنى العرب عليهِ بيتاً مربَّعاً سمّوهُ « الكعبة » وحجوا اليهِ . ويغلب على الظن أنهُ نيزك نزل في وادي مكة من السماء فأجلَّهُ العرب وبنوا عليهِ الكعبة وجعلوا فيهِ أصنامهم وصاروا يحجون اليهِ فكان لهم خير واسطة لجمع الشمل وتوحيد المجموع . ثم لما جاء الاسلام أقرَّ الحج الى الكعبة لما في ذلك من الفائدة للعرب والمسلمين كافةً

﴿ سوق عكاظ ﴾ هذا ومما ساعد على توحيد لغة العرب وتآلفهم انهُ كان من عادتهم اقامة الأسواق للتجارة وتناشد الأشعار والقاء الخطب والمباهاة بالنسب

وأشهر هذه الأسواق «سوق عكاظ» بين نخلة والطائف على ثلاث ليالٍ من مكة كانت تقوم هلال ذي القعدة قبيل الحج الى الكعبة . ولقد بلغ من كلف العرب بالشعر والمباراة فيهِ أن عمدوا الى سبع قصائد من الشعر النفيس وكتبوها بماء الذهب وعلقوها بأستار الكعبة لذلك قيل لها مذهَّبات أو معلَّقات . وأشهرها معلقات امرئ القيس

ابن حُجر الكندي المار ذكرهُ. وزُهير بن أبي سُلمى المزني المتوفى سنة ٥٢ ق . ه .
وعمرو بن كلثوم التغلبي المتوفى سنة ٢٣ ق. ه. وعنترة العبسي المتوفى سنة ٧ ق . ه. ومنها:

وليلٍ كموج البحر أرخى سُدولهُ　　عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت لهُ لمَّا تمطَّى بصُلبهِ　　وأردف أعجازاً وناء بكَلْكلِ
ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلي　　بصُبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثلِ
فيالك من ليلٍ كأنَّ نجومهُ　　بأمراسِ كتَّانٍ الى صُمّ جندلِ

« امرؤ القيس »

وودتُ تقبيل السيوف لأنها　　لمعت كبارقِ ثغركِ المتبسّمِ
يُخبركِ من شهد الوقيعةَ أنني　　أغشى الوغى وأعِفُّ عند المَغنمِ
ولقد خشيتُ بأن أموت ولم تكن　　للحربِ دائرةٌ على ابنَي ضَمضَمِ
الشاتمي عِرضي ولم أشتِمهما　　والناذِرَين اذا لَمَ القهما دَمي

« عنتر »

أبا هندٍ فلا تعجل علينا　　وأنظرنا نخبّرك اليقينا
بأنّا نوردُ الراياتِ بيضاً　　ونُصدِرُهنّ حُمراً قد رَوينا
ورثنا المجد قد علمت مَعَدٌّ　　نطاعنُ دونهُ حتى يبينا
ألا لا يجهلنْ أحد علينا　　فنجهل فوق جهل الجاهلينا
وأنا المانعون لمن يلينا　　اذا ما البيض فارقت الجفونا
ونشرب ان وردنا الماء صرفاً　　ويشرب غيرُنا كدراً وطينا
ملأنا البر حتى ضاق عنَّا　　وظهرَ البحر نملأهُ سفينا
اذا بلغ الفطامَ لنا صبيٌّ　　تخرُّ لهُ الجبابرُ ساجدينا

« ابن كلثوم »

فأقسمت بالبيت الذي طاف حولهُ　　رجالٌ بنوهُ من قُرَيشٍ وجُرْهُمِ
رأيت المنايا خبْطَ عَشواءَ من تُصِب　　تُمِتْهُ ومن تخطِئْ يُعمَّر فيهرمِ
ومن يجعل المعروف من دون عرضهِ　　يَفِرْهُ ومن لا يتّقِ الشتم يُشتَمِ
ومن يغترِبْ يَحسَبْ عدوًّا صديقهُ　　ومن لا يكرّم نفسهُ لا يُكرَّمِ

ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضلهِ   على قومهِ يُستغنَ عنهُ ويُذممِ
ومهما تكن عند امرىء من خليقةٍ   وان خالها تخفى على الناس تُعْلَمِ
« زهير »

﴿ قبيلة قريش ﴾ وقد آل أمر الكعبة في القرن الثاني قبل الاسلام الى قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر العدناني الملقب بقريش

قال أبو الفداء : «قيل سُمّي فهر قريشاً لشدَّتهِ تشبيهاً لهُ بدابة من دوابّ البحر يقال لها القرش تأكل دواب البحر وتقهرها . وقيل ان قصي بن كلاب لما استولى على البيت وجمع أشتات بني فهر سمُّوا قُرَيشاً لأنهُ قرش بني فهر أي جمعهم حول الحرم» اه

وبطون قريش الذين تولَّوا حراسة الكعبة عشرة وهم : هاشم . وأُمية . وتَيم . وعَدي . ومخزوم . ونوفل . وأسد . وجُمَح . وسهم . وعبد الدار

ولقد كان لقريش في مكة بسبب استيلائهم على الكعبة منزلة إجلالٍ واكرامٍ لا تقل عن منزلة الملوك . ولكنهُ لم يقم منهم أو من غيرهم من القبائل العدنانية قبل الاسلام دول تستحق الذكر بل كان ملوك حمير يعطون بعض ساداتهم لقب ملك ويولُّونهُ الزعامة على القبائل . وكانت قريش تتجر الى الشام واليمن فكانت لهم رحلتان رحلة الشتاء الى اليمن ورحلة الصيف الى الشام

﴿ ب . ممالك العرب بعد الاسلام ﴾

١ . النبي محمد صاحب الشريعة الاسلامية سنة ٥٧١ : ٦٣٢ م

وما زال العرب من قحطانيين وعدنانيين على ما بينّا حتى ظهر في قريش من فرع هاشم النبي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب في أوائل القرن السابع للمسيح ونادى بالاسلام فانتشرت دعوتهُ في الجزيرة كلها ثم في الشرق كافة بسرعةٍ لا مثيل لها في تاريخ الأديان نظراً لتوافر الأسباب الملائمة لانتشارها :

كانت بلاد الشام ومصر في ذلك العهد في يد المملكة البيزنتيّة التي عرفت عند العرب «بمملكة الروم» وعليها ملك يُدعى هِرَقل(١) وكان العراق واليمن في يد مملكة الفرس وعليها كسرى أنوشروان المار ذكرهُ . وكانت المملكتان تتطاحنان في الحروب

(١) تولى الإمبراطور هرقل حكم الدولة البيزنطية في الفترة من عام ٦١٠م وحتى ٦٤١م .

وتئنّان من الثورات الداخلية وفراغ خزينتيهما من النقود . وقد افتتح جيش كسرى من بلاد الروم مدينة الرُّها سنة ٦١١ م . واستولى على دمشق سنة ٦١٣ م . وعلى اورشليم سنة ٦١٤ م وغنم منها نفائس لا تثمّن وفي جملتها خشبة الصليب . ثم زحف على مصر سنة ٦١٧ م فافتتح الاسكندرية . وكان جيش آخر للفرس يجتاح آسيا الصغرى حتى بلغ خلقدونية فاحتلها ولم يبقَ بينهُ وبين العاصمة سوى البوسفور . فهبَّ هرقل اذ ذاك من رقادهِ وضرب النفير في أقطار مملكتهِ وجرَّد جيوشهُ واستردَّ من الفرس هذه المدن كلها وخشبة الصليب . وقام الاسلام في جزيرة العرب والحرب دائرة بين المملكتين ولم تنتهِ الّا سنة ٦٢٨ م

وكانت المملكتان في الوقت نفسهِ تتنافسان في بسط نفوذهما على بلاد العرب لما كان لهذه البلاد من الشان بالنظر لحاصلاتها من الذهب والبخور وأنواع العطور والتوابل ثم بالنظر الى موقعها الجغرافي اذ كانت في ذلك العهد طريق الهند

وكان الروم بعد اخفاق الحملة التي سيروها الى بلاد العرب بقيادة اليوس غالوس سنة ١٨ ق . م في عهد اوغسطوس قيصر وقد تقدم ذكرها قد عدلوا عن فتح البلاد عنوة وعوّلوا على الفتح السلمي واختاروا لمعاونتهم على ذلك ملوك غسان فناطوا بهم مراقبة حدود بلاد العرب من جهة سوريا وفلسطين والسعي في بسط نفوذهم في البلاد العربية

واتبع الفرس من جانبهم مثل هذه السياسة واعتمدوا على المناذرة ملوك الحيرة وناطوا بهم مقاومة نفوذ الروم ورفع شأن الفرس في بلاد العرب

وكانت ديانة مملكة الروم النصرانية وديانة مملكة الفرس المجوسية أو عبادة النار لمؤسسها زردشت . وكان المجوس يناوئون النصارى ويعضدهم اليهود . وقد انقسم النصارى طوائف شتى يعاقبة ونساطرة واريوسيين وارثوذكس وغيرهم . وانقسم اليهود الى ربانيين وقرَّائين وسامريين

وكان العرب في جزيرتهم يتخبَّطون في عبادة الكواكب والأصنام . وقد دخل الجزيرة اليهودية والنصرانيـة من الشام والمجوسية من العراق . وكان من العرب مَن اعترف بالخالق وأنكر البعث . ومنهم من أنكر الخالق والبعث وقال بالطبع

المحيي والدهر المُفْني ، وكلهم قالوا بالبخت والجن واشتغلوا بالتنجيم والسحر وتفسير الأحلام . وكان من عاداتهم الذميمة وأدُ البنات وعدم الرفق بالرقيق وشرب الخمر ولعب الميسر . وبالاجمال فقد كانت الفوضى في السياسة والادارة والدين سائدة في الشرق كلّهِ . وكان الشرق يتطلب الخروج من هذه الفوضى والراحة من شرّها

فلما ظهر النبي محمد نادى قومهُ بقولهُ . « لا إله الاّ الله محمــد رسول الله » وعوّضهم عن الأصنام والكواكب « القرآن الكريم » فجاء آيةً في الفصاحة والبلاغة وحسن التنسيق . وقد ضُمِّن : الايمان باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ[1] ورسلهِ[2] واليوم الآخر . وضُمّن فوق ذلك آداباً وحكماً وشرائع وعلماً وتاريخاً وسياسةً وخلقاً كريماً

وكان ظهور النبي محمد في جوار الكعبة والاسواق الشهيرة التي كانت تحجُّ اليها العرب من كل فج . وهو من قريش اسياد دين العرب ومجازهم الى اليمن والشام والعراق

وقد حضّ قومهُ على نشر الاسلام والجهادِ في سبيلهِ ووعَدَ المجاهدين منهم الجنّة لذلك كلهِ ، ولما كانت العرب تعجب بالفصاحة والبلاغة وتتحرك بالمعاني الروحية لما في طبعهم الحرّ من المروءة والنجدة والحماسة وكانوا قد اعتادوا في باديتهم القتال وركوب الأخطار ، استفزّهم وعدُ نبيهم وبلاغتهُ وسيرتهُ فنصروه ثم نصروا من بعده خلفاءه الذين ساروا سيرتهُ فتمكنوا في جيل أو أقلّ من نشر سلطانهم ودينهم ولغتهم من السند والهند الى المحيط الاتلانتيكي شرقاً وغرباً . ومن بحر الخزر وآسيا الصغرى وبحر الروم وفرنسا الى المحيط الهندي وأعالي السودان شمالاً وجنوباً

وهاك ما قالهُ مؤرخو الإسلام في سيرة النبي محمد ودعوتهِ وكيفية انتشارها . ثم في سيرة خلفائهِ الراشدين وفتوحاتهم كما لخصنها عن أحدث كتبهم وأشهرها :

وُلد النبي محمد بمكة في ١٢ ربيع الأول على المشهور ، و ٨ منهُ على الصحيح ، سنة ٥٤ ق . ه ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ م وهي عام الفيل . وتوفي أبوهُ قبل أن يُولد فكفلهُ جدُّه عبد المطلب الى أن بلغ الثامنة من عمرهِ ومات جدُّهُ فكفلهُ عمهُ أبو طالب * وكانت قريش في ذلك العهد قائمة بالتجارة بين اليمن والشام والعراق . وكان أبو طالب

---

(١) أهمها القرآن والتوراة والزبور والانجيل (٢) وفيهم عيسى وموسى وابرهيم والياس

يحترف ما احترفهُ قومهُ فخرج بالفتى محمد الى الشام وهو في الثالثة عشرة من عمره . وكان الفتى نجيباً ذكيّ الفؤاد ودلائل النجابة والذكاء بادية على وجههِ . قيل فلما نزل بُصرى مع عمهِ رآه راهب مشهور بالصلاح والتقوى يُدعى « بحيرا » فقال : « سيكون من هذا الفتى أمر عظيم ينتشر ذكرهُ في مشارق الأرض ومغاربها »

ولما بلغ الخامسة والعشرين خرج الى الشام في تجارة للسيدة خديجة بنت خويلد مع غلامها ميسرة وعاد اليها بربح عظيم . وقد أعجبها جداً مهارتهُ وصدقهُ وأمانتهُ فخطبتهُ لنفسها . وكانت من أعظم نساء قُريش فضلاً وأكثرهن مالاً وأوضحهن نسباً فكان لهُ من شرف بيتها وثروتها وحسن عشرتها خيرَ معين قبل البعثة وبعدها

وقد شبَّ النبي محمد على كرم الخلق وعزة النفس وشدة الغيرة على قومهِ حتى كان لا يطيق أن يراهم على ضلال . وكان متين الاعتقاد بوجود الله ووحدانيتهِ وبالبعث والخلود . وكان تقياً ورعاً محباً للزهد والنسك وكثيرًا ما كان يذهب الى غار حِراء قرب مكة للصلاة والعبادة

وبقي حتى ناهز الأربعين من عمرهِ . ففي ذات ليلة ١ فبراير سنة ٦١٠م بينما كان في غار حراء رأى الملاك جبرائيل يدعوهُ الى « الرسالة » . فلما أفاق قصَّ هذه الرؤية على زوجتهِ خديجة فآمنت بهِ وآمن بهِ ابن عمهِ عليّ بن أبي طالب وهو صبي ومولاهُ زيد بن حارثة وصديقهُ الحميم أبو بكر . وكان أبو بكر رجلاً سهلاً محبباً لقومهِ فجعل يدعو الى الاسلام سرًّا من وثق منهم فأسلم على يده عثمان بن عفّان . والزبير بن العوّام . وعبد الرحمن بن عوف . وسعد بن أبي وقّاص . وطلحة بن عبيد الله . فكان هؤلاء هم المسلمين السابقين

وظلَّ النبي يخفي الدعوة ثلاث سنين حتى بلغ اتباعهُ نحو الأربعين وفيهم عمر بن الخطاب وعمهُ حمزة . ثم جهر بها وأنذر عشيرتهُ الأقربين فنبذوا دعوتهُ وعملوا على ابطالها بكل قواهم لأنهم كانوا رؤساء دين العرب وأهل البيت الحرام . وخافوا اذا أتوا بدين جديد أن تنتقض عليهم العرب فتبور تجارتهم . وفوق ذلك فانهم لم يطيقوا أن يستأثر النبي محمد بالسيادة عليهم على فقره وقلة جاههِ . ولذلك كان أشد الناس معارضة لهُ أشراف قريش وأغنياؤُهم . ولكنهُ كان محميًّا منهم بعمومتهِ وأصهارهِ

وقد اضطهدوا أصحابهُ فمن كان بلا نصير أمرهُ بالهجرة الى الحبشة فهاجر اليها جمع منهم وفيهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف فأكرم النجاشي مثواهم . وعاد بعضهم قبل الهجرة واكثرهم في السابعة للهجرة. وماتت زوج النبي خديجة بعد ٢٥ سنة من زواجها منهُ ثم مات عمهُ أبو طالب فقل بموتهما انصاره . ولكنهُ لم ييأس ولا ضعفت عزيمتهُ بل كان يقصد الأسواق العامة ومواسم الحج ويدعو القبائل جهاراً الى توحيد الله وترك عبادة الأصنام والكواكب وقد حرَّم الخمرة والميسر ووأد البنات وكل ما كانت تدين بهِ الجاهلية . فاستجاب لهُ ستة نفر من أهل المدينة (يثرب) وكلهم من الخزرج فأسلموا وعادوا الى قومهم فأسلم على أيديهم كثيرون

ثم جاء منهم في الموسم التالي اثنا عشر رجلاً من الأوس والخزرج بايعوهُ على الاسلام . وبعث معهم مصعب بن عُمير فعلّمهم القرآن وشعائر الاسلام فانتشر بهم الاسلام في المدينة حتى قيل انهُ لم تبقَ دارٌ الاَّ وفيها ذكرٌ للنبي

وفي الموسم الثالث جاءهُ ٧٣ رجلاً وامرأتان بايعوهُ على الايمان والدفاع عن دعوتهِ بالسيف متى قدم عليهم ثم عادوا الى المدينة . وعزم النبي على اللحاق بهم هو وأصحابهُ. ولما علم قريش بذلك خافوا أن يؤلّب عليهم أهل المدينة ويغزوهم في دارهم فعزموا على قتلهِ. فخرج مهاجراً الى المدينة سرًّا ومعهُ صديقهُ أبو بكر وذلك في ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ م . ثم تلاحق بهِ أصحابهُ من مكة فسماهم المهاجرين وسمى أهل المدينة الأنصار . وقد آخى بين افراد الفريقين فجعل لكل واحد من المهاجرين أخاً من الانصار

ولما كثر اتباعهُ شرع ينشر دينهُ بالدعوة اليهِ مع حماية هذه الدعوة بالسيف اذا اضطر لذلك . وقد بلغت غزواتهُ التي خرج فيها بنفسهِ ٢٧ وقع القتال منها في تسع . وبلغت سراياهُ وبعوثهُ ٤٨ . وأشهر غزواتهِ سبع وهي :

١ . « غزوة بدر » (بئر بين مكة والمدينة) في ١٧ رمضان سنة ٢ هـ . كان النبي لا يقاتل أحداً على الدخول في الدين بل كان أمرهُ قاصراً على التبشير والانذار والاقناع بالحجة حتى اذا فعلت قريش ما فعلت وناصبتهُ العداء اذن بقتالها . وكان من عادة قريش أن ترسل تجارتها الى الشام ولا بدَّ لقوافلها من المرور بالمدينة فكان

النبي يرسل السرايا لاعتراضها في سفرها ذهاباً واياباً . ثم خرج بنفسهِ لاعتراض قافلة لها عائدة من الشام الى مكة . وكان عميد القافلة أبا سفيان بن حرب الأموي وهو حامل « العقاب » راية حرب قريش فاتبع طريق الساحل ونجا بالقافلة . وكان قد استنفر أهل مكة فنفر منهم سراعاً ٩٥٠ مقاتلاً . وكان أصحاب النبي ٣١٣ فالتقى الفريقان عند بئر بدر فاقتتلا وكان النصر لأصحاب النبي وقد قتلوا من أهل النفير ٧٠ رجلاً

٢ . « غزوة أُحُد » (جبل قرب المدينة) في ٧ شوال سنة ٣ هـ . وفيها اجتمع ٣٠٠٠ رجل من قريش بقيادة زعيمهم أبي سفيان للأخذ بثار قتلى بدر . وكان أصحاب النبي ٧٠٠ فقُتل من هؤلاء ٧٠ بينهم حمزة عمّ النبي وجُرح النبيُّ في وجههِ

٣ . « غزوة الخندق » (في ضواحي المدينة) سنة ٥ هـ . وذلك ان قريشاً اجتمعت هي وكثير من قبائل نجد والحجاز واليهود وقصدوا المدينة للقضاء على الاسلام وأهلهِ . فحفر النبي حول المدينة خندقاً وجاء العرب وأحاطوا بالمدينة بضعاً وعشرين ليلة ثم انصرفوا خائبين . وكان بين بني قُرَيظة من اليهود و بين النبي عهد فنقضوهُ وتابعوا الأحزاب . فلما انصرفوا لحقهم النبي في اليوم التالي وحاصرهم في حصونهم وأوقع بهم

٤ . « غزوة الحُدَيبيَّة » (بئر قرب مكة) سنة ٦ هـ . خرج النبي في جمع من الصحابة الى مكة للعُمرة . فلما بلغ الحديبية علم ان قريشاً لا تسلّم بدخولهِ مكة فتردَّد السفرآء بين الفريقين وعقدوا هدنة ١٠ سنين على شروط معيّنة بها امكن النبي وأصحابهُ أن يؤيدوا دعوتهم وهم آمنون

٥ . «غزوة خيبر»(شمال المدينة) سنة ٧ هـ. وكان فيها اليهود ففتحها حصناً حصناً وفي هذه السنة أرسل كُتب الانذار الى كسرى ملك الفرس . وقيصر ملك الروم . والمقوقس عامل القيصر في مصر . والنجاشي ملك الحبشة. والحارث بن أبي شمَّر الغسَّاني في بادية الشام . وهَوْذة ملك اليمامة . والمنذر بن ساوى ملك البحرين كما مرّ

٦ . «غزوة الفتح» فتح مكة ٢٠ رمضان سنة ٨ هـ . وفيها نقض قُريش الهدنة فخرج النبي الى مكة في عشرة آلاف مقاتل فيهم خالد بن الوليد القرشي من فرع مخزوم وكان قد أسلم هو وعمرو بن العاص قبيل ذلك . فلم تبدُ قريش الاَّ مقاومة ضعيفة وجاء

أبو سفيان كبير قريش مسلّماً فأكرمهُ النبي وعفا عن أهل مكة فأسلموا جميعاً. ثم دخل الحرم فأزال الأصنام وكسَّرها . وكان ذلك ختام الوثنية في بلاد العرب

٧ . « غزوة تبوك » سنة ٩ هـ . وهي آخر غزواتهِ وذلك انهُ لما رأى اكثر العرب قد دانوا لهُ شرع في الفتوحات فخرجَ الى بلاد الروم ومعهُ ثلاثون ألفاً وكانت الخيل عشرة آلاف وضرب الجزية على أهل أيلة (العقبة) وأذرح (قرب تبوك) ودومة الجندل (الجوف) وهي امارات نصرانية تابعة للروم . وفي هذه الغزوة أعطى أهل ايلة واذرح عهدهُ بالأمان وقد تقدم لنا ذكره برمتهِ

وفي سنة ١٠ هـ حج الى مكة ومعهُ من أصحابهِ أربعون ألفاً . وفي هذه الحَجّة تمَّ نزول القرآن الكريم . وكان ينزل مفرَّقاً حسب الوقائع . وعاد الى المدينة فمرض وقُبِض في يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١١ هـ ٨ يونيو سنة ٦٣٢ م وعمرهُ ٦١ سنة م

وقد رُزق عدة أولادٍ ذكوراً وأناثاً ولكنهُ لم يترك الاّ بنتاً من زوجتهِ خديجة وهي السيدة فاطمة زوجة عليّ بن أبي طالب . ودُفِن في حُجرة زوجتهِ عائشة حيث قُبض . وبنى الخلفاء حول قبره مسجداً فكان الحرم الثاني للمسلمين بعد مكة

ومما يجدر ذكرهُ في هذا المقام، مصحوباً بالأسف الشديد، ان بلادنا الساميَّة التي هي مهد الاديان ومهبط الحكمة قد كانت أقل البلاد انتفاعاً من تلك الأديان وتلك الحكمة . فان أهل الأديان فيها، على وحدتهم الجنسية، قد انشق بعضهم على بعض بل انشق أهل كل دين الى طوائف شتى . والخلاف القائم بين أهل طائفة وأخرى يكاد يكون أشد وأنكى من الخلاف بين أهل دين وآخر . وقلما كان في بلادنا شقاق أو شقاء الاّ كان الخلاف الديني أساسهُ أو الداعي اليهِ

فعلامَ هذا الخلاف وحتّامَ هذا الشقاق وهذا الشقاء . فقد رأينا أننا كلنا من أصل واحد عربيّ أو ساميّ . وقد كنا عرباً أو ساميين قبل ان كنا يهوداً ونصارى ومسلمين بل قبل ان كنا شاميين وحجازيين وعراقيين

ثم أن مؤسّسي أدياننا يرجعون بأنسابهم الى جدّ واحد وهو جدنا ابرهيم الخليل السامي الارامي، العراقي المنبت السوري المحتد. وقد رموا كلهم الى غرض واحد وهو

دلالتنا على الله . وأيّد التالي منهم السالف في شريعتهِ : قام موسى بين اليهود فأتاهم بشريعة تناسب حالهم وزمانهم. ثم جاء المسيح فأقر شريعة موسى وأتمها برسالة جديدة. ثم قام محمد بين العرب فلقّنهم رسالتهُ وأقر شريعة موسى والمسيح وأذن لليهود والنصارى في البقاء على دينهم مقابل جزية يكون لهم بها ما للمسلمين وعليهم ما عليهم

ثم ان الكتب التي أتونا بها وهي : « التوراة والانجيل والقرآن » تتفق في كثير من الامور الجوهرية أهمُّها : ان الله روح غير منظور أزلي غير محدود واحد أحد فرد صمد خالق السموات والأرض . وان النفس وهي نسمة من روح الله خالدة تعود بعد الموت الى خالقها . وهي وما كسبت في الأرض إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر

ثم ان هذه الكتب الثلاثة تتفق في أمر جوهري آخر نعرفهُ كلنا ونسلّم بصحتهِ ولكننا لا نعمل به وتركنا العمل بهِ انما هو اصل شقاقنا وشقائنا وذلك الأمر هو : « ان الدين لله وحدهُ وليس لنا حتى نتنازع فيهِ . وما جعل الله بعضنا أولياء بعض في دينهِ . وما تجزي نفس عن نفس شيئاً عند الله » . يورّث الأب ابنهُ مالهُ وجاههُ وقد يورثهُ ملامحهُ وطباعهُ ولكن هل لهُ أن يورّثهُ مثقال ذرة من نصيبهِ عند ربّهِ في الآخرة ؟ اذا كان أبٌ تقيٌّ صالحٌ نصيبهُ الجنّة وكان لهُ ابن شرير طالح نصيبهُ جهنّم فهل يؤخذ الأب بجريرة الابن ؟ أم يستطيع الأب أن يأتي بابنهِ الى جنّتهِ ولو ساعة واحدة ؟ أجيبوني من كتبكم أيها العرب اليهود والنصارى والمسلمون .

« قال نوح ربّي ان ابني من أهلي. قال انهُ ليس من أهلك انهُ عملٌ غيرُ صالح » الآية

اذاً فاتركوا الدين لله واطلقوا الحرية الدينية للأفراد والمجموع ليعبد كل منا ربّهُ بما يرتاح اليهِ ويرضاه فليس بين الانسان وربهِ إجبار أو إكراه . وليكن أساس التعامل بيننا « المصلحة العامّة » ليس الاّ فان « الدين المعاملة »

وان كان أحد منا يغار على ابن جنسهِ ووطنهِ الذي على غير دينهِ فليس لهُ الاّ أن ينصحهُ برفق وتؤدة بما يظنّهُ أصلح لآخرتهِ ودنياه ثم يتركهُ وشأنهُ مع الله الذي أنشاه

« ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » . . .

« انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » الآية . ولنعد الى موضوعنا

﴿ ٢٠٠. الخلفاء الراشدون في المدينة ثم في الكوفة ﴾

﴿ الخلافة في الاسلام ﴾ لما قُبض النبي حدثت في الناس ضجة عظيمة فمنهم المصدق ومنهم المكذب. وكان صديقهُ الحميم أبو بكر غائباً في أهلهِ فلما أتاه منعاه دخل عليهِ وكشف عن وجههِ وقبَّلهُ وقال: « بأبي أنت وأمي لقد طبتَ حيًّا وطبتَ ميتاً وخصَّ بك الرزء حتى تُنوسيت معهُ الأرزاء وعمَّ حتى كان الجميع فيهِ سواء »

ثم خرج الى الناس وقال: « أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حيٌّ لا يموت » . ثم تلا « وما محمد الاّ رسولٌ قد خلت من قبله الرسل» الآية * * ولما كان النبي قد قُبض لغير وصية بالخلافة تنازع المسلمون في أمرها فكانوا ثلاثة أحزاب كليةً لا يزالون عليها الى اليوم وهي :

١. « الحزب الانصاري » وهو أن تكون الخلافة في الاسلام شوروية ينتخبون الأصلح منهم . واليهِ مال الأنصار وأرادوا مبايعة سعد بن عبادة الانصاري. وحجَّتهم سيف نصرتهم

٢. « الحزب القرشي » وقد عُرف أصحابهُ بأهل السنة والجماعة . وهو أن تكون الخلافة في بني قريش للأصلح بينهم أي شوروية مقيدة . واليهِ مال المهاجرون وحجتهم حديث النبي « الائمة من قريش» رواه لهم أبو بكر الصديق وقال : « نحن أولياء النبي وعشيرتهُ وأحق الناس بأمره وأنتم لكم حق السابقة والنصرة فنحن الأمراء وأنتم الوزراء » . وقال عمر بن الخطاب : « ان الرسول صلّى الله عليه وسلّم أوصانا بكم كما تعلمون ولو كنتم الأمراء لأوصاكم بنا »

٣. « الحزب الهاشمي » وهو أن تكون الخلافة خاصة في بني هاشم من قريش للأقرب بينهم الى الرسول

وبعد أخذٍ وردٍّ طويل بين هذه الأحزاب غلب الحزب الأوسط وفصل الأمر بشير بن سعد الخزرجي فقال : « ان محمداً من قريش وقومهُ أحق وأولى ونحن وان كنا أولي فضل في الجهاد وسابقة في الدين فما أردنا بذلك الاَّ رضى الله وطاعة نبيّه فلا نبتغي بهِ من الدنيا عوضاً ولا نستطيل بهِ على الناس »

١ . أبو بكر الصديق سنة ١١ : ١٣ هـ ٦٣٢ : ٦٣٤ م

وكان لما مرض النبي أمر صديقهُ أبا بكر الصديق ان يصلي بالناس فلما اختلف أصحابهُ في من يكون خليفتهُ مال اكثرهم لانتخاب أبي بكر وقالوا « رضيهُ رسول الله لديننا أفلا نرضاه لدنيانا » ومدَّ عمر يده لمبايعتهِ فأقبل الناس من كل جانب فبايعوه. وكان ذلك يوم الثلثاء في ١٤ ربيع الأول سنة ١١هـ قبيل دفن النبي

ولما انتهت بيعتهُ صعد المنبر وقال: « أيها الناس قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فعاونوني وان صدفت فقوّموني . الصدق أمانة والكذب خيانة . والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذلهُ حقهُ والقويُّ فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منهُ ان شاء الله. لا يدع أحد منكم الجهاد فانهُ لا يدعهُ قوم الاّ ضربهم الله بالذل. أطيعوني ما أطعت الله ورسولهُ . فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله »

وكان أبو بكر من قريش فرع تَيم . وقد استقرَّت الخلافة بعدهُ في فروع قريش حتى انقطعت سنة ٩٢٢ هـ بفتح السلطان سليم العثماني لمصر وأخذهِ منها آخر الخلفاء العباسيين الى الاستانة كما سيجيء

﴿ غزوة قضاعة ﴾ وأول عمل بدأ بهِ أبو بكر تسيير جيش أسامة الذي جهزه النبي قبل وفاتهِ الى بلاد قضاعة في أطراف الشام وأوصاه عند مسيره بهذه الوصية: « لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة. ولا تعزقوا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرةً مثمرة . ولا تذبحوا شاةً ولا بقرة ولا بعيراً الاّ للاكل . واذا مررتم بقوم فرَّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم لهُ . واذا لقيتم قوماً فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاضربوا بالسيف ما فحصوا عنهُ . فلذا قرّب اليكم الطعام فاذكروا اسم الله . يا أُسامة اصنع ما أمرك نبيُّ الله ببلاد قضاعة ثم أنت قافل ولا تقصر من أمر رسول الله (صلعم)

﴿ قتال أهل الردَّة ﴾ وكان قد قام في اليمامة في زمن النبي رجل يدعى مُسَيلِمة ادّعى النبوَّة ومال اليهِ بعض العرب فعرض على النبي قسمة الأرض بينهما فهزأ النبي بهِ . فلما مات النبي قويت شوكة مسيلمة هذا وظهر أنبياء كذبة آخرون وارتد اكثر

العرب عن الأسلام ومنعوا الزكاة الاّ أهل المدينة ومكة والطائف . وكاد الاسلام يقتلع من أصوله لولا حزم أبي بكر ومضاء عزيمتهِ فانهُ جهَّز ١١ جيشاً لمحاربة أهل الردّة والانبياء الكذبة أهمها جيش عدتهُ ٤٠ ألفاً عقد لواءه لبطل الاسلام وقائدهم الأكبر خالد بن الوليد ووجّههُ لقتال مسيلمة فانتصر خالد على مسيلمة وقتلهُ . ولم يمضِ أقل من سنة حتى خضعت العرب كلها وعادت الى الاسلام فساقهم أبو بكر الى ممالك كسرى وقيصر

﴿ غزو العراق ﴾ فسيّر خالد بن الوليد لغزو بلاد الفرس وأمره أن يبدأ بالأُبلة وهي ثغر من ثغور الفرس عند مصب دجلة وكان صاحبهُ هرمز فكتب اليهِ خالد كتاباً يقول فيهِ : « أما بعد فاسلم تسلم او اعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر الجزية والاّ فلا تلومن الاّ نفسك فقد جئتك اليوم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة »

فجيّش هرمز جيشاً عظيماً وسبق خالداً على الماء ثم تلاقيا وسط الصف فاحتضنهُ خالد وقتلهُ وهزم جيشهُ * فجيّش عليهِ كسرى جيشاً آخر فهزمهُ ثم جيشاً آخر اكبر من الأولين فرتب خالد جنوده على ثلاث فرق أحاطت بهِ من كل جانب ومزَّقتهُ كل ممزَّق

ثم سار خالد الى « الحيرة » عاصمة المناذرة غربي الفرات وكان ملكها النعمان ابن المنذر فرأى اهلها ان لا طاقة لهم بحرب خالد فصالحوهُ على ١٩٠ ألف درهم . ثم سار شمالاً الى الأنبار فصالحهُ صاحبها . ثم الى عين التمر فدومة الجندل ففتحهما عنوة

﴿ غزو الشام ﴾ وجهّز ابو بكر أربعة جيوش فيها ٣٦ ألفاً لغزو الروم في الشام وعقد لواءها لأربعة من قواد المسلمين وهم يزيد بن ابي سفيان وعمرو بن العاص وابو عبيدة الجرّاح وشُرَحبيل ابن حسنة . وقد أوصى كلاً منهم وصية وهذه وصيتهُ ليزيد:

« اني قد وليتك لأبلوك وأجربك فان أحسنت رددتك الى عملك وزدتك وان اسأت عزلتك . فعليك بتقوى الله فانهُ يرى من باطنك مثل الذي يرى من ظاهرك . وان أولى الناس بالله أشدهم تولياً لهُ وأقرب الناس من الله أشدهم تقرباً اليهِ بعملهِ . وقد وليتك عمل خالد (بن سعيد) فاياك وعيبة الجاهلية فان الله يبغضها ويبغض أهلها . واذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم اياه . واذا وعظتهم فأوجز فان كثير الكلام ينسي بعضهُ بعضاً . وأصلح نفسك يصلح لك

الناس . وصلِّ الصلوات لأوقاتهـا باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها . واذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وامنع مَن قِبلك من محادثتهم وكن أنت المتولي كلامهم ولا تجعل سرك لعـلانيتك فيخلط أمرك . واذا استشرتَ فاصدقِ الحديث تُصدَق المشورة ولا تخزن عن المشير خبرك فتُؤتى من قِبل نفسك . واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عندك الأستار . واكثر حرسك وبددهم في عسكرك واكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك فمن وجدتهُ غفل عن حرسهِ فأحسن أدبهُ وعاقبهُ في غير افراط واعقب بينهم بالليل واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة فانها ايسرها لقربها من النهار . ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تلجَّن فيها ولا تسرع اليها ولا تخذ لها مدافعاً . ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده . ولا تجسس عليهم فتفضحهم . ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتفِ بعلانيتهم . ولا تجالس العبَّاثين وجالس أهل الصدق والوفاء . واصدق اللقاءَ ولا تجبن فيجبن الناس واجتنب الغلول فانهُ يقرب الفقر ويدفع النصر » اه

هذا ولما بلغ هرقل ملك الروم قدوم العرب الى الشام هالهُ الأمر فأسرع الى انطاكية وكانت عاصمة نواب الروم بالشرق وجمع جيشاً عظيماً وارسلهُ لقتال العرب فالتقى الجيشان بصحراء اجنادين جنوبي دمشق واقتتلا قتالاً شديداً كان النصر فيهِ للعرب . فاستنجد هرقل بجبلة ابن الأيهم ملك الغساسنة فسيَّرا جيشاً عرمرماً عدتهُ ٢٤٠ الفاً فزحف هذا الجيش حتى أتى وادي اليرموك في الجنوب الشرقي من الشام بجوار بصرى ، فخاف العرب العاقبة واستمدوا أبا بكر فكتب الى خالد بن الوليد بالعراق فاستخلف على نصف جيشهِ وجاء مسرعاً الى قومهِ بالشام بالنصف الاخر . وكتب أبو بكر الى ابي عبيدة أمير جيش العرب يقول لهُ: « اني قد وليت خالداً قتال العدو بالشام فلا تخالفهُ واسمع لهُ واطع قولهُ فانني ظننت ان لهُ في الحرب خبرة ليست لك والسلام»

فرتب خالد جيشهُ وكرَّ على جيش الروم فاستمر القتال طول النهار ومعظم الليل ودارت الدائرة على جيش الروم . فلما طار الخبر الى هرقل وهو دون حمص ارتحل الى القسطنطينية وقال : « سلام عليك يا سوريا سلام لا لقاء بعده »

ولما رأى الروم، ومن ناصرهم من الغساسنة ، بأس العرب هادنوهم . وسار خالد الى دمشق وحاصرها سنة ١٣ هـ ٦٣٤ م . وفي أثناء الحصار جاء البريد يحمل وفاة ابي بكر واستخلاف عمر بن الخطاب * وكانت وفاة أبي بكر بالمدينة سنة ١٣ هـ وعمره ٦٣ سنة ودفن بجانب ضريح النبي . قيل وفي أيامهِ بُوشر بجمع القرآن باشارة عمر

٢. عمر بن الخطاب سنة ١٣ : ٢٣ هـ ٦٣٤ : ٦٤٤ م

بويع عمر بن الخطاب بالخلافة في اليوم الذي توفي فيهِ أبو بكر بعهد منهُ وسمّي أمير المؤمنين وهو من قريش فرع عدِي . وهذا عهد أبي بكر لهُ : «هذا ما عهد بهِ أبو بكر خليفة محمد (صلعم) عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويتقي الفاجر . اني استعملت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلُكم خيراً فان صبر وعدل فذاكَ علمي بهِ وان جار و بدَّل فلا علم لي بالغيب والخيرَ أردتُ ولكل امريءٍ ما اكتسب . وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون »

ولما بويع عمر صعد المنبر وقال : « انما مثل العرب مثل جمل آنف اتبع قائدهُ فلينظر قائدُه أين يقوده . أما أنا فوربِّ الكعبة لأحملنَّكم على الطريق »

وفي عهده تمّ فتح الشام والعراق وفتحت مصر

﴿ فتح الشام ﴾ ومما قيل في فتح الشام : ان عمر عند توليهِ الخلافة عزل خالداً بن الوليد عن قيادة الجيش ، وكان محاصراً دمشق الشام كما مرّ ، وأسندها الى أبي عبيدة عامر بن الجراح وكتب الى البلاد يقول : « اني لم أعزل خالداً عن سخط ولا عن خيانة ولكن الناس عظَّموه وفُتنوا بهِ فخفت أن يُوكلوا اليهِ فأحببت أن يعلموا ان الله هو الصانع والاّ يكونوا بعرض فتنة » . ففتح أبو عبيدة دمشق بعد سبعين ليلة من حصارها . ثم فتح حمص وحماه والمعرَّة واللاذقية وحلب وقنَّسرين

وفتح عمرو بن العاص بأمر عبيدة اجنادين. ثم سار الى ايليا (القدس) وحاصرها ولما رأى أهلها أنهم لا يستطيعون مقاومة العرب رغبوا في الصلح على شرط أن يكون المتولي لعقده امير المؤمنين فكتب اليهِ عمرو بذلك فسار عمر الى الشام وكتب لهم صلحاً سنة ١٥ هـ ٦٣٦ م وقيل سنة ١٦ هـ * ثم أمر ببناء مسجد على الصخرة التي

كلم الله عليها يعقوب. ثم قسم الشام الى ولايات وولى عليها ولاة وعاد الى المدينة

﴿ فتح مصر ﴾ ثم كان فتح مصر سنة ١٨هـ على يد عمرو بن العاص كما مرّ

﴿ فتح العراق ﴾ ومما جاء في فتح العراق : ان عمر سيَّر الى الفرس جيشاً ضخماً يقوده سعد بن أبي وقاص وأوصاه بقوله : « يا سعدُ لا يغرنَّك من الله أن يقال خال رسول الله وصاحب رسول الله فان الله لا يمحو السيء بالسيء ولكنهُ يمحو السيء بالحسن . وليس بين الله و بين أحد نسب الاّ بطاعتهِ . فالناس في دين الله سواء وهم عبادهُ يتفاضلون عنده بالعافية و يدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذي رأيت فيهِ رسول الله يلزمهُ فالزمهُ »

فسار سعد حتى أتى القادسية وهي بقرب الكوفة فأرسل جماعة من كبار الصحابة لهم شجاعة ومهابة الى يزدجرد ملك الفرس يدعوه الى اعتناق الاسلام أو دفع الجزية فأبى وسيّر جيشاً قدره نحو ١٠٠ الف عقد لواءه لأكبر قواده «رستم» فتلاقى الجيشان ووقعت واقعة القادسية فاستمر القتال ثلاثة أيام بلياليها وانتهى بهزيمة الفرس وقَتْل قائدهم وابادة عسكرهم قتلاً وغرقاً . فسار سعد يفتح ما في طريقهِ من البلاد حتى وصل المدائن قاعدةَ ملك الفرس ففتحها ونزل قصر كسرى وجعله قاعدة لهُ

وكان من رأي عمر ان قاعدة المسلمين لا ينبغي أن يفصلها عنهُ بحر فأمر سعداً فاختار موضع الكوفة قاعدة للمسلمين فأسست سنة ١٧هـ . وفي هذا العام بنيت مدينة البصرة

و بعد ذلك أرسل سعد السرايا شرقاً لفتح بلاد الفرس ولكن لم يتم فتح هذهِ البلاد على يده . لأن عمر عزلهُ وولَّى النعمان بن مقرّن . ولم يمضِ زمن عمر حتى كانت فتوحات العرب قد امتدت شرقاً الى نهر جيحون ونهر مهران فشملت بلاد فارس وخراسان والسند وغيرها

وقد اشتهر عمر بحزمهِ وعزمهِ وعدلهِ وزهدهِ . وكان أول من وضع التاريخ الاسلامي في السنة الثامنة عشرة للهجرة فجعل مبدأهُ هجرة النبي الى المدينة أي ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ م كما مرّ . وهو أول من دوّن الدواوين ومصّر الأمصار . و بنيت في مدتهِ الكوفة والبصرة في العراق والفسطاط في مصر . وقد قتل غدراً وهو

قائم يصلي في جامع المدينة بطعنة خنجر من يد عبد يُدعى أبو لؤلؤة فيروز المجوسي ودفن بجانب النبي وكان ذلك في سنة ٢٣ هـ سنة ٦٤٤ م وعمره ٦٣ سنة

٣ . عثمان بن عفان سنة ٢٤ : ٣٥ هـ ٦٤٤ : ٦٥٦ م

وعهد عمر بالخلافة الى واحدٍ ينتخب من النفر الذين مات النبي وهو راضٍ عنهم وهم عليّ وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقّاص. وجعل ابنهُ عبد الله شريكاً لهم في الرأي لا في الخلافة . فانتخب الناس عثمان بن عفان وهو من قريش فرع أميّة. ففتح برقة وطرابلس الغرب والنوبة وجزيرة قبرس . وظفر جندهُ بيزدجرد ملك الفرس وكان فارًّا بخراسان فقتلوهُ. وولّى الممالك المفتوحة من يثق بهِ من أهلهِ واخصّائهِ . فنقم منهُ بعض العرب ورموه بمحاباة أهلهِ والتغيير في سُنّة النبي فحاصروه في داره بالمدينة وطالبوهُ بعدة أمور لم يرَها من حقّهم فتسوّروا عليهِ وقتلوهُ سنة ٣٥ هـ ٦٥٦ م ودفن بالبقيع خارج المدينة ولهُ من العمر ٨٢ سنة

٤ . عليّ بن أبي طالب سنة ٣٥ : ٤٠ هـ : ٦٥٦ : ٦٦٠ م

وبعد قتل عثمان تنازع الناس فيمن يتولّى الخلافة فبايع الاكثرون عليًّا . وهو من قريش فرع هاشم . وبقي نفر من الصحابة وبنو أميّة ورأسهم معاوية بن أبي سفيان بن حرب وطلحة والزبير لم يبايعوهُ . واتهموهُ بأن قتل عثمان كان عن رغبة منهُ . وكانت السيدة عائشة زوج النبي اذ ذاك في الحج فخرج طلحة والزبير من المدينة الى مكة وقابلا السيدة عائشة وحرّضاها على محاربة عليّ أخذاً بثار عثمان فخرجت معهما الى البصرة . وكان علي قد خرج الى الكوفة فأتى البصرة وقاتلهما فقُتلا وانهزم جيشهما ووقعت السيدة عائشة في يد علي فأرسلها مكرّمة الى المدينة . وعرفت هذه الواقعة « بواقعة الجمل » لأن عائشة كانت فيها راكبة جملاً

وبعد هذه الواقعة ازدادت العداوة بين معاوية وعليّ فجردا جيشين التقيا في صِفّين على الفرات في صفر ٣٧ هـ ودام الحرب بينهما أربعين صباحاً

ثم حكما بينهما حكمين : أبا موسى الأشعري من قبل عليٍّ وعمرو بن العاص من قبل معاوية فاتفق الحكمان على خلع الاثنين واعادة انتخاب الخليفة من جديد

وفي يوم اعلان الحكم اجتمع العرب فحكم أبو موسى بخلع صاحبهِ ورجع عمرو عن اتفاقهِ وحكم بتثبيت معاوية ففتَّ ذلك في عضد أصحاب علي وتقاعد عن نصرتهِ كثيرون. وخيف من استفحال الشر وسفك الدماء فانتُدب ثلاثة من فتاك الخوارج لاغتيال علي ومعاوية وعمرو بن العاص فنجح أمرهم في عليّ وخاب في معاوية وعمرو. وقد قتل عليّ وهو ينادي لصلاة الصبح غلساً بمسجد الكوفة فدفنهُ ابنهُ الحسن خفية وستر قبره وقتل قاتلهُ . وكانت وفاة علي في ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ ٢٤ يناير سنة ٦٦١ م وعمره ٦٣ سنة وكان عالماً كريماً . ومن مآثرهِ أنهُ أمر أبا الأسود الدؤلي فوضع النحو

٥٠ الحسن بن علي بن أبي طالب سنة ٤١ هـ : ٦٦١ م

وبعد قتل عليّ اجتمع أصحابهُ في الكوفة وبايعوا ابنهُ الحسن وبايع أهل الشام معاوية . ولما رأى الحسن ان بقاءه في الخلافة يوجب بقاء الفتنة في المسلمين تنازل عنها لمعاوية في ٢٦ ربيع الثاني سنة ٤١ هـ ٢٩ أغسطوس سنة ٦٦١م. ثم مات مسموماً في المدينة

٣ . الدولة الاموية في الشام سنة ٤١ : ١٣٢ هـ ٦٦١ : ٧٥٠ م

بعد تنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة استولى معاوية على الممالك التي دخلت في طاعة عليّ وأسس دولة بني أمية * وفي عهده فتحت بعض بلاد تركستان وبلاد أفغانستان وشمال الهند والجزائر ومراكش وجزيرة رودس

وحمل معاوية الناس فبايعوا ابنهُ يزيد وكانت الخلافة الى عهده بالانتخاب. وخالف بعض الصحابة والعامة فلم يستطيعوا اخراج الخلافة من بني أمية بل بقيت ملكاً عضوضاً

وكان ممَّن نازع يزيد في الخلافة أهل العراق فانهم استاءوا من الحسن لتنازل معاوية . فأرادوا مبايعة أخيهِ الحسين،فساد الاضطراب بين المسلمين . وتمكن بعض دعاة يزيد من القبض على الحسين فاجتزُّوا رأسهُ في كربلاء يوم عاشوراء وبعثوا بهِ الى يزيد وكان ذلك في ١٠ محرم سنة ٦١ هـ فدفن جسمهُ في كربلاء . وفي المشهور ان الرأس نُقل من مدفنهِ بالشام الى القاهرة في عهد الفاطميين وبُني فوقهُ جامع الحسين الحالي . ولكن العلويين يؤكدون انهُ أعيد الى الجسم ودُفن معهُ في كربلاء

ونازع يزيد في الخلافة أيضاً عبد الله بن الزبير فبايعهُ أهل المدينة ومكة . ثم بايعهُ أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان . وبقي يناوئ الأمويين في الخلافة الى أن قام عبد الملك بن مروان (سنة ٦٥ : ٨٦ هـ ٦٨٥ : ٧٠٥ م) فاستخلص منهُ العراق والبصرة والجزيرة وحاصرهُ بمكة ٧ أشهر حتى ظفر بهِ وقتلهُ واستقلَّ بالخلافة

وخلفهُ الوليد بن عبد الملك سنة ٦٨ هـ ٧٠٥ م وكان أشهر خلفاء بني أمية ففتح أواسط أفريقية ونشر فيها الاسلام وفتح الاندلس وسمرقند وحارب تركستان والفرس والهند والقسطنطينية وعاد ظافراً * وكان مُولعاً بالبناء فجدد بناء الحرم المدني ووسعهُ وبنى قصوراً ومساجد كثيرة أشهرها الجامع الأموي في دمشق وهو من أعظم مباني الاسلام وأفخمها . قيل أنفق في بنائهِ ٢١١,٠٠٠ دينار

ومات الوليد سنة ٩٦ هـ ٧١٥ م وسلطان العرب المسلمين يمتد من الصين والهند الى المحيط الاتلانتيكي شرقاً وغرباً ومن سهول سيبريا الى السودان شمالاً وجنوباً . وهي اكبر مساحة وصلت اليها المملكة العربية الاسلامية

ومن ذلك الحين كثرت الفتن الداخلية في دولة بني أمية وقويت الأحزاب المشايعة للعباسيين حتى غلبتها على أمرها وكان انقراض دولة بني أمية سنة ١٣٢ هـ ٧٥٠ م . وكانت هذه الدولة عربية محضة حافظت على الشعار العربي في لبسها ومعيشتها وحكومتها . وكانت السلطة في زمانها كلهِ بيد العرب

﴿ ٤ . الدولة العباسية في الانبار ثم في بغداد ﴾

سنة ١٣٢ : ٦٥٦ هـ : ٧٥٠ : ١٢٥٨ م

﴿ العباسيون والعلويون ﴾ تقدم أن من الأحزاب التي قامت في أمر الخلافة بعد موت النبي «الحزب الهاشمي» القائل بحصر الخلافة في بني هاشم . وما لبث هذا الحزب حتى انقسم الى حزبين عظيمين : «العباسيين» نسبة الى العباس عمّ الرسول . «والعلويين» نسبة الى علي ابن عمهِ وصهرهِ . ثم عرف أهل هذا الحزب بالشيعة أيضاً . وحجة العباسيين ان عم الرسول أقرب اليهِ من ابن عمهِ . وحجة العلويين أن النبي لما أظهر دعوتهُ لأهلهِ وعد بالخلافة لمن وازره في دعوتهِ فلم يلبِّ دعوتهُ اذ ذاك غير عليّ

والعلويُّون يرفضون الخلفاء الثلاثة الذين تقدموا علياً ويعتبرونهم متعدين على حقوقهِ في الخلافة ويعتقدون أن الامام علياً وان لم يكن الخليفة ظاهراً فهو الخليفة باطناً منذ وفاة النبي ويعتبرون هذه الخلافة الباطنية في ذريتهِ من بعده (راجع كتابنا تاريخ السودان في الكلام على الاسلام)

وكان لما عجز العلويون عن جعل الخلافة فيهم عن طريق السياسة والقوة لقتل من خرج من أئمتهم ومشايعة أكثر المسلمين لبني أمية ، أخذوا يسعون سرًّا لاعادة الخلافة اليهم . وقد كان لعلي كثير من الولد الاّ أن الذين تطلّعوا للخلافة وتعصبت لهم الشيعة ودعوا لهم في الجهات ثلاثة وهم : الحسن والحسين أبنا علي من فاطمة بنت الرسول وأخوهما محمد بن الحنفية * وكان الشيعة قد سخطوا من الحسن لخلعهِ نفسهُ وتسليم الأمر لمعاوية . فكتبوا الى الحسين بالدعاء فامتنع ووعدهم الى موت معاوية . فغدر بهِ بعض دعاة يزيد كما مرَّ. فمضى الشيعة اذ ذاك الى أخيهِ محمد بن الحنفية وبايعوهُ. ومن هولاء فرقة الكيسانية نسبة الى زعيمها كيسان واكثرهم في خراسان والعراق

ويرى الكيسانيون أن الأمر بعد محمد بن الحنفية لابنهِ أبي هاشم عبد الله . فاتفق ان أبا هاشم مرَّ في بعض أسفاره بمنزل محمد بن علي بن عبد الله بن عباس (عم النبي) بالحميمة من أعمال البلقاء على يوم من الشوبك فنزل عليهِ وأدركه المرض عنده فمات وأوصى لهُ بالأمر * وكان قد أعلم حزبهُ بالعراق وخراسان ان الأمر صائر الى محمد بن علي العباسي فلما مات قصد الشيعة محمد بن علي هذا فبايعوه سرًّا

وتوفي محمد بن علي سنة ١٢٤ هـ ٧٤٢م فعهد بالامامة لابنهِ ابراهيم فقبض عليهِ مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية في الحميمة وسجنهُ في حرّان فمات هناك

وكان قد أوصى بالامامة الى أخيهِ أبي العباس محمد الملقب بالسفَّاح فبايعهُ أهل الكوفة في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٢هـ ١ يناير سنة ٧٥٠م . ونصره أبو مُسلم الخراساني بجيش فاستولى على بلاد خراسان وفارس باسمهِ . وأرسل السفَّاح عمهُ عبد الله بن علي لمحاربة مروان الثاني فالتقى بهِ على نهر الزاب أحد فروع دجلة فانهزم مروان وتبعهُ جيوش العباسيين الى الشام فمصر فلحقوه بقرية أبي صير في مديرية بني سويف وقتلوه

واتخذ السفاح مدينة الانبار قرب الكوفة داراً للخلافة . ومات فيها سنة ١٣٦ هـ ٧٥٣ م فولي الخلافة بعهد منهُ أخوهُ « أبو جعفر المنصور »

وكان لما اختل أمر بني أمية اجتمع أهل البيت بالمدينة وبايعوا بالخلافة سرًّا لمحمد بن عبد الله بن حسن المثنى بن حسن السبط بن علي بن أبي طالب . وحضر مبايعتهُ أبو جعفر المنصور هذا فكان من جملة المبايعين . فلما آل اليهِ أمر الخلافة بعد أخيهِ السفّاح خرج عليهِ محمد بن عبدالله المذكور في المدينة وبعث عمالهُ في الجهات . فكتب اليهِ المنصور يعرض عليهِ الأمان وينصحهُ بالرجوع عن الدعوة ويكون لديهِ معززاً مكرماً هو وشيعتهُ . فأجابهُ « وأنا أعرض عليك من الامان مثل الذي أعطيتني فقد تعلم أن أبانا علياً (عم) كان الوصي والامام فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحيا . . . »

فردَّ عليهِ المنصور ردًّا جميلاً بيَّن فيهِ فضل بني العباس على الاسلام وكرَّر لهُ النصح بالرجوع عن الدعوة . ولما لم يمتثل أرسل عليهِ جيشاً فقتلهُ سنة ١٤٥ هـ

والمنصور شيخ العباسيين وأعظم خلفائهم والمؤسس الحقيقي لدولتهم . وهو الذي اختط مدينة بغداد وجعلها عاصمة ملكهِ وما زال ابناؤه بها حتى أضحت أزهى وأفخم مدينة في العالم * وكان المنصور أول خليفة أمر كتَّاب العرب بنقل الكتب الأجنبية الى العربية ككتاب كليلة ودمنة لابن المقفَّع وهو من أنفس الكتب العربية وأبلغها . ورسائل أرسطاليس في المنطق وأصول أقليدس في الفنون الرياضية وغيرها

هذا وباتساع فتوحات العرب اتسعت تجارتهم فامتدت بحراً الى الهند والجزائر الهندية : سيلان وسومطرة وجاوة الى الصين وطفق العرب يقطنون تلك النواحي.

ودخل كثير من الهنود في دين الاسلام منذ القرن التاسع للمسيح

وامتدت القوافل العربية برًّا الى بلاد التتر وجنوب سيبيريا

واتجهت سراياهم غرباً الى بلاد السودان فأخذت دولهم تتأسس منذ القرن العاشر للمسيح في سنَّار ودارفور وواداي وكانم وبرنو وغانه وغيرها

ونزلوا من بوغاز المندب على سواحل أفريقيا الشرقيـة والسومال وزنجبار ومدكسكر وسكنوها وأسسوا فيها الممالك الاسلامية . ولا يزال بعضها قائماً الى اليوم

وبلغ رُقي الدولة العباسية أقصاه في عصر هرون الرشيد (سنة ١٧٠ : ١٩٣ هـ : ٧٨٦ : ٨٠٩ م) . وعصر ابنهِ عبد الله المأمون (سنة ١٩٨ : ٢١٨ هـ ٨١٣ : ٨٣٣ م) فان في عهدهما بلغ العرب أقصى مبلغ من الحضارة وتمتعوا بأعظم أسباب النعيم والرفاه

ثم أخذت الدولة العباسية تنحط رويداً والنكبات تتوالى عليها حتى زالت

﴿القرامطة﴾ وكان من أهمّ نكباتها ظهور القرامطة . وذلك أنهُ في سنة ٢٧٨ هـ : ٨٩١ م : ظهر في ضواحي الكوفة داعية من الشيعة الباطنيّة الاسماعيلية يدعى قُرمُط أصلهُ من أنباط العراق ادَّعى أنهُ روحانية الأنبياء السابقين واختار من أتباعهِ ١٢ رجلاً وأرسلهم لينذروا بشريعتهِ . ولما شاع خبرهُ أمر حاكم الكوفة بسجنهِ فشفقت عليهِ جارية الحارس وفتحت له باب السجن فنجا ودخل البادية فاجتمع عليهِ الأعراب ثم اختفى ولم يُعلَم مكانهُ . فقال تلاميذهُ أنهُ عرَّج الى السماء ومعهُ ثلاثة ملائكة وتفرَّقوا بين عرب البادية يعظمون بدين إمامهم ويحزّبون العرب على العباسيين ويندّدون عليهم لبذخهم واسرافهم فحاربوا جيوش الخليفة وانتصروا عليها

ثم قطعوا طريق الحج الى مكة . وفي سنة ٣٠٧ هـ هاجموا مكة والحجاج فيها فقتلوا نحو خمسين ألفاً ونهبوا الكعبة واقتلعوا منها الحجر الأسود وأخذوه الى الكوفة وملأوا بئر زمزم دماً . وفي سنة ٣٣٩ هـ أعادوا الحجر الأسود الى مكة وأذنوا للمسلمين بالحج . ولما مات رؤساؤهم فترت غيرتهم الدينية وتفرقوا بتوالي الأيام بعد أن أقلقوا بغزواتهم مصر والعراق وجزيرة العرب والشام

﴿ ٥ . الدولة الاموية في الاندلس سنة ١٤١ : ٤٢٢ هـ ٧٥٨ : ١٠٣١ م ﴾

هذا وكان السفاح قد تتبع بني أمية قتلاً وحبساً فهاموا على وجوههم في أنحاء البلاد . وهرب منهم عبد الرحمن بن معاوية بن الخليفة هشام فسار الى الاندلس حيث وجد كثيرًا من عسكر آبائهِ وشيعتهم فتغلب على تلك البلاد سنة ١٤١ هـ وأسس فيها دولة أمويّة وجعل عاصمتهُ « قُرطُبة » وقطع الخطبة عن العباسيين . وما زال بنوه عليها حتى اذا تربَّع منهم عبد الرحمن الناصر في دست الامارة سنة ٣٠٠ هـ ٩١٢ م لقب بأمير المؤمنين . وكانت دولة الأمويين في الاندلس تضارع الدولة العباسية في بغداد

وما زالت الخلافة تنتقل في بنيه حتى تولاَّها الخليفة السادس عشر أمية بن عبد الرحمن سنة ٤٢٢ﻫ فورثهم في البلاد ملوك الطوائف من العلويين وغيرهم وكانوا أحزاباً فأخذ الأسبان يقتطعون الاندلس من أطرافها بلداً بلداً . حتى استولوا عليها كلها سنة ٨٩٧ﻫ

﴿ ٦ . الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ومصر ﴾

سنة ٢٩٦ : ٥٦٧ ﻫ ٩٠٨ : ١١٧١ م

وفي سنة ٢٨٠ ﻫ ٨٩٣ م ذهب أبو عبد الله اليمني من دعاة الشيعة الباطنية الأسماعيلية الى بلاد المغرب داعياً لعُبَيد الله بن محمد المنتسب الى اسماعيل بن جعفر الصادق فنجح في دعوتهِ وطرد الأمير الأغلبي حاكم تلك البلاد من قِبل الدولة العباسية سنة ٢٩٦ ﻫ . وأعلن أن الخليفة الحقيقي للمسلمين ورئيس دينهم هو الإمام عبيد الله . وحضر عبيد الله فحكم بلاد المغرب ٢٤سنة ولُقّب بالمهدي وعُرفت دولتهُ بالعُبَيديَّة نسبةً اليهِ وبالفاطمية نسبةً الى فاطمة بنت النبي التي ينتسب اليها

وتوالى أبناؤهُ الخلافة من بعدهِ حتى تولَّى المعزُّ لدين الله الخليفة الرابع سنة ٣٤١ ﻫ ٩٥٢ م فدانت له مراكش وجميع القبائل الغربية حتى سواحل الأتلانتيكي

﴿ الدولة الطولونيَّة في مصر ﴾ ثم صرف همَّهُ لفتح مصر . وكانت مصر بيد العباسيين يُولُّون عليهـا الولاة من العرب الى سنة ٢٢٤ ﻫ ٨٥٦ م اذ قوي بأس مماليكهم الترك في بغداد كما سيجيء فصاروا يُولُّون عليها من هؤلاء المماليك حتى وليها منهم احمد بن طولون سنة ٢٥٤ ﻫ ٨٦٨ م فاستقل بها هو وذريتهُ الى سنة ٢٩٣ ﻫ ٩٠٥ م فعادت دولة عباسية يليها الولاة المماليك من بغداد مدة ٣٠ سنة كانت فيها بغـاية الاضطراب لأن القوة الحقيقية أصبحت بيد الجند من المماليك الترك الذين كانوا يرسلون من وقت الى آخر لتوطيد النظام !

﴿ الدولة الأخشيديّة في مصر ﴾ ثم صارت الى الدولة الأخشيدية وكان رأسها محمد بن طغج الأخشيد . قيل أصلهُ من أسرة ملوك فرغانة ببـلاد ما وراء النهر (جيحون) أرسلهُ الخليفة ببغداد والياً على مصر فاستقلَّ بها

وكان من ملوك هذه الدولة كافور الأخشيدي وأصلهُ خصيّ حبشيّ اشتراهُ

الأخشيد المذكور بثمن بخس. وكان شجاعاً مدبراً حكيماً وساعدتهُ الأقدار فملك مصر تحت سيادة العباسيين. وهو الذي وفد عليهِ المتنبي الكوفي المنبت الشامي المحتد فمدحهُ وكان قد طمع أن يوليهِ منصباً فلما لم يحقق أملهُ هاجر مصر وهجاهُ ومما قال في مدحهِ :

يدبّر الملك من مصر الى عدنٍ   الى العراق فأرض الرُّوم فالنوبِ

ومما قال في هجوهِ :

من علّم الأسودَ المخصيَّ مكرمةً   أقومهُ البيضُ أم آباؤهُ الصيّدُ

وخلفهُ احمد بن عليّ بن محمد الأخشيد وكان عمره ١١ سنة فاضطربت في عهده أحوال مصر وكان الخليفة العباسيّ ببغداد مشغولاً بصدِّ غارات القرامطة فرأى المعزُّ لدين الله الفاطمي الفرصة سانحة فأرسل قائدهُ جوهر الروميّ بجيش كبير فافتتح مصر سنة ٣٥٨ هـ ٩٦٩ م. ثم جاءها المعزُّ سنة ٣٦٢ هـ ٩٧٣ م ونقل اليها عاصمة ملكهِ. فأصبح في الاسلام في ذلك العهد ثلاثة خلفاء: الخلفاء العباسيون في بغداد. والخلفاء الأمويون في الأندلس. والخلفاء الفاطميون في مصر

وفي أيام المعز ظهر شاعر الأندلس محمد بن هاني الأزدي فمدحهُ بقصيدة مطلعها:

ما شئت لا ما شاءت الأقدارُ   فاحكم فأنت الواحد القهّارُ

ومدحهُ بقصيدة عند فتح مصر عن يد جوهر القائد مطلعها :

تقول بنو العباس هل فُتِحت مصرُ   فقل لبني العباس قد قُضي الأمرُ

وقد جاوز الاسكندريةَ جوهرٌ   تطالعهُ البُشرى ويقدمهُ النصرُ

وقد أوفدت مصرٌ اليهِ وفودَها   وزِيدَ الى المعقود من جسرها جسرُ

وانتهت دولة الفاطميين على مصر سنة ٥٦٧ هـ ١١٧١ م. وكانت من أعظم الدول ملكاً وأشدها للعلم أزراً وأرقاها حضارة وأدباً وهي الدولة العربية الوحيدة التي جعلت مصر مقرّ الحكم فأكسبت مصر صبغة لا تزال آثارها ظاهرة فيها الى اليوم. ومن تلك الآثار مدينة القاهرة والجامع الأزهر من بناء جوهر القائد وجامع الحاكم والجامع الأحمر بالنحاسين. وهي التي أحدثت في مصر كثيراً من المواسم

والأعياد والحفلات الوطنية كيوم عاشوراء ومولد النبي وقافلة الحج وفتح الخليج وغيرها

وكان من أهم أسباب سقوطها استهانة خلفائها بحماتها الأولين وأهل الدعوة والعصبيّة من العرب والبربر والاستعاضة عنهم بمماليك الترك والديلم والسودان والأرمن والصقالبة مما أوقع المنافسة بين هذه الطوائف وأثار بينها الحروب الداخلية التي خربت البلاد وأهلكت العباد وأذلّت الخلفاء في قصورهم * وهي الغلطة التي غلطها الخلفاء العباسيون من قبلهم ، فقد كان السبب الأعظم في انحطاط هؤلاء وزوال ملكهم أنهم أبعدوا أهل العصبيّة من العرب واستعاضوا عنهم بالفرس ومماليك الترك

﴿ عود الى ٤ . الدولة العباسية في بغداد ﴾

﴿ مماليك الترك في بغداد ﴾ أما الترك فهم جيل من الجنس المغولي قيل كانوا قديماً يقطنون جبال ألاطاغ شمالي الصين فارتحلوا منها غرباً وانتشروا في السهول والأنجاد الواقعة بين تلك الجبال وبحر الخزر فسميت « تركستان » أي بلاد الترك وأسسوا فيها امارات شتى . وكانوا على الجاهلية حتى كانت الدولة العباسية ببغداد فاعتنقوا الدين الاسلامي وأخذوا من ذلك العهد يفدون على العراق للانتظام في جيشها وحكومتها

ومن المعلوم انهُ منذ افتتح العرب سوريا ومصر من يد الروم كان الخلفاء مضطرين لحفظ جيش قويّ على الدوام ليوقفوا الروم عند حدهم في الشمال ، وقد كان بينهم وبين ملوك الروم وقائع مشهورة . وكانت جيوش الخلفاء الراشدين ثم جيوش الأمويين بعدهم كلها من العرب . وأما العباسيون فانهم ما قاموا الآ بنصر خراسان لهم كما قدمنا فكان جيشهم مؤلفاً من عُنصرين عربي وعجمي . وكان العنصران متكافئين في القوة الى أن توفي هارون الرشيد وكان قد ولّى عهدهُ ولديهِ الأمين ثم المأمون على أن يكون المأمون في أثناء خلافة أخيهِ أمير خراسان . فأراد الأمين أن يخلع المأمون ويولّي ابنهُ موسى العهدَ فوقع النزاع بين الأخوين فنصر العربُ الأمينَ والعجمُ المأمونَ وانتصر المأمون فاعتزّ بالعجم

وقد قدمنا أن العرب تقلّدوا سيف الاسلام عن اقتناع داخلي بصحة تعاليمهِ فكانوا يقتحمون الموت لا طمعاً بالربح أو المجد العالي بل لنيل الجزاء الموعود بهِ .

فلما طال اختلاطهم بالفرس وأهل الشام ومصر وذاقوا نعيم الدنيا هجع فيهم ذلك التعطُّش لنعيم الآخرة ففقدوا كثيراً من البسالة التي أظهروها في صدر الاسلام . بخلاف الترك وغيرهم من سكان الشمال فانهم أهل جرأةٍ ونشاط بالطبع والقوى الحيوانية فيهم أشدّ منها في سكان الجنوب وغايتهم الأولى في الحروب الربح المادي ومن كانت هذه صفاتهُ تبقى شجاعتهُ ما دام له أمل بالربح

فلما تولى المعتصم أخو المأمون الخلافة سنة ٢١٨ ﻫ ٨٣٣ م رأى نفسهُ مضطراً لمحاربة الروم وكان يتوهم أن لأهل العصبية من العرب الميل الى العلويين لذلك أبعد العرب وبالغ في تقريب مماليك الترك فألّف منهم جيشاً كبيراً وبنى لأجلهم مدينة سامرَّا شمالي بغداد وجعلها مصيفاً لهُ . وحارب الروم حربهُ الشهيرة في آسيا الصغرى فتح عمُّورية وكان فتحاً مبيناً . وكان في أيامهِ أبو تمام الشاعر الشامي المشهور فمدحهُ بقصيدة ذكر فيها فتح عمورية ومنها :

السيف أصدق إنباء من الكتب	في حدّه الحدُّ بين الجدّ واللعبِ
فتحٌ تفتحُ أبوابُ السماء لهُ	وتبرز الأرضُ في أثوابها القُشُبِ
يا يومَ وقعةِ عمُّوريَّةَ انصرفت	عنك المنى حفَّلاً معسولةَ الحلَبِ
بصرتَ بالراحة الكبرى فلم ترَها	تُنال الاّ على جسر من التعبِ
أبقت بني الأصفَر المصفرِّ كاسمهم	صفر الوجوه وجلَّت أوجه العربِ

وقد أبلى مماليك الترك بهذه الواقعة البلاء الحسن فازداد المعتصم رغبة فيهم واستكثر منهم حتى بلغ عنده ما يزيد عن خمسين ألفاً . واتخذ منهم حراساً لنفسهِ وولى كبارهم محافظة الثغور وحكم الولايات . واقتدى بهِ الخلفاء بعده فأخذت شوكة المماليك تقوى شيئاً فشيئاً حتى تغلبوا على الدولة وأصبح الخلفاء ألعوبة في أيديهم يولون ويعزلون من يشاؤون .

وقام في شرق العراق في عهد الدولة العباسية عدة دول اسلامية عجمية استقلت عن الخلافة أهمها أربعة وهي : السامانية . والبويهية . والغزنوية . والسلجوقية . وكان للخلفاء العباسيين مع البويهية والسلجوقية شأن غريب وذلك أن كلا من

هاتين الدولتين استولت على بغداد واستبدت فيها بالسلطة الفعلية وما كان الخلفاء الاّ صورة مع أنها كانت تستمد سلطتها من الخلفاء . وهذا مما لا مثيل لهُ في تاريخ الدول

﴿ الدولة البُوَيهية في بغداد ﴾ أما الدولة البويهية فهي دولة من الديلم (جيل من الفرس) أسسها ثلاثة اخوة عليّ والحسن وأحمد أولاد شجاع بن بُوَيه فملكت العراقين والأهواز والفرس والجبال والريّ . وكان ابتداء ظهورها بشيراز سنة ٣٢٢ ﻫ ٩٣٤ م

وفي سنة ٣٣٤ ﻫ ٩٤٥ م سار أحمد بن بُوَيه الى بغداد واستولى عليها وكان فيها الخليفة المستكفي بالله فأقرَّه وولاّه الخراج وجباية الأموال ولقَّبهُ معز الدولة ولقّب أخاه عليًّا عماد الدولة وأخاه الحسن ركن الدولة وأمر أن تضرب ألقابهم على الدنانير والدراهم

﴿ الدولة السلجوقية في بغداد ﴾ ولما كانت سنة ٤٤٧ ﻫ ١٠٥٦ م قدم بغداد طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجوق من جهات تركستان بجيش كبير من قومهِ الترك وكان الخليفة على بغداد القائم بأمر الله والسلطة الفعلية بيد الملك الرحيم من أمراء بني بُوَيه فقبض طغرل على الملك الرحيم واستبد هو وقومهُ بالدولة العباسية تحت رعاية خلفائها

وفي سنة ٤٦٩ ﻫ ١٠٧٦ م زحف على سوريا تتش أخو ملك شاه ابن ألب أرسلان ابن جغري بك داود أخو طغرل بك السلجوقي . وكانت سوريا اذ ذاك بيد العرب الفاطميين الحاكمين في مصر فانتزع دمشق و بيت المقدس من يدهم فانتقلت السلطة الفعلية من يد العرب أهل الضيافة والكرم الى أيدي السلاجقة أهل القسوة والطمع فاضطهدوا حجاج الافرنج الى بيت المقدس وحمَّلوهم أشدّ أنواع المغارم والاهانات

ثم اكتسح فريق من السلاجقة آسيا الصغرى فملكوها من الروم سنة ٤٧٤ ﻫ ١٠٨١ م وجعلوا مدينة نيقية عاصمة لهم ثم نقلوها الى قونية . وقد أمروا بهدم الكنائس النصرانية واستعباد أهلها . وهددوا الكسيس قيصر الروم في عاصمتهِ حتى استنجد بنصارى الغرب . ولما كانت آسيا الصغرى في طريق حجاج الافرنج الى القدس الشريف عظم الخطب على الحجاج واشتد الاضطهاد . وما زالت شرور السلجوقيين تتزايد من جهة والحماسة الدينية في أوروبا من الجهة الأخرى حتى طفح الكاس وأعلن البابا أوربانس الثاني الجهاد الديني سنة ١٠٩٥م وثارت الحروب الصليبية

التي دامت نحو ٢٠٠ سنة وجلبت من المصائب والبلايا على الشرق والغرب ما يملأ ذكره المجلدات الضخمة وذهب في سبيلها من النفوس البريئة ما يعدُّ بمئات الألوف .

هذا وكان الفاطميون قد استعادوا بيت المقدس من الأتراك السلجوقيين سنة ١٠٩٨ م فاستخلصها منهم الصليبيون في السنة التالية وأسسوا فيها امارة لاتينية عرفت بمملكة بيت المقدس

﴿ الدولة الأيوبية في مصر ﴾ ثم ظهر صلاح الدين الأيوبي المشهور وهو من رجال نور الدين السلجوقي صاحب دمشق . أرسلهُ هذا مع عمهِ أسد الدين شيركوه الى مصر نجدة للعاضد الفاطمي ضد وزيرهِ « شاور » والصليبيين . فعاد الصليبيون الى فلسطين وتمكن أسد الدين من قتل شاور وتولى وزارة العاضد مكانهُ . ثم مات فجأة سنة ١١٦٩ م فخلفهُ في الوزارة ابن أخيهِ صلاح الدين فانتزع مصر من يد الفاطميين سنة ١١٧١م. ودمشق الشام وشمال سوريا من السلجوقيين سنة ١١٧٦م. والقدس من يد الصليبيين سنة ١١٨٧م

ودامت الدولة الأيوبية على مصر وسوريا الى سنة ٦٤٨ ﻫ ١٢٥٠م فآلت الى المماليك البحرية الاّ شمال سوريا فانهُ بقي بيد خلفاء صلاح الدين مدة

﴿ دولة التتر في بغداد ﴾ هذا وفي أوائل القرن السابع للهجرة والثالث عشر للمسيح خرج التتر ، وهم جنس آخر من المغول ، من أطراف الصين بقيادة زعيمهم جنكزخان واكتسحوا بلاد تركستان واكثر الممالك الاسلامية التي كانت تتنازع الملك من حدود الصين الى العراق وأسسوا مملكة قوية في سمرقند في بلاد ما وراء النهر وطمحوا بأبصارهم الى بغداد وصاروا يترقبون الفرص للاستيلاء عليها

فلما كانت سنة ٦٥٥ ﻫ ١٢٥٧م ، في عهد المستعصم الخليفة الـ ٢٧ من الخلفاء العباسيين ، زحف على بغداد جيش من التتر بقيادة هولاكو حفيد جنكزخان وحصرها . وكان قد كتب اليهِ يستحثهُ على الحضور الخائن مؤيد الدين العلقمي الشيعي وزير المستعصم لخلاف حصل بينهما فدخل هولاكو بغداد في ٢٦ محرم سنة ٦٥٦ ﻫ ٣ فبراير سنة ١٢٥٨ م وقتـل المستعصم وأولادهُ وكل من وجدهُ

من بني العباس وقضى على الدولة العباسية وتشتت من بقي من ذرية بني العباس في البلاد

ثم ان هولاكو رتب الولاة يبغداد وزحف على آسيا الصغرى وسوريا فافتتح حلب ودمشق من خلفاء صلاح الدين الأيوبي سنة ٦٥٨ هـ ١٢٦٠م . ووجه جيشاً الى فلسطين قصد الزحف منها على مصر

﴿ دولة المماليك البحرية في مصر ﴾ وكانت مصر وفلسطين اذ ذاك بيد الملك المظفّر سيف الدين قُطُز من المماليك البحرية فخرج لقتال التتر فأدركهم على عين جالوت قرب بيسان فأوقع بهم وطردهم من سوريا وأعاد للأيوبيين حمص وحماه وأناب عنهُ في سائر المدن رجالاً يثق بهم وعاد الى مصر

وكان بعض المفسدين قد أوغروا صدرهُ على بيبرس اكبر قواده فأضمر لهُ السوء وبلغت بيبرس الوشاية فكمن لقطزْ في الطريق وقتلهُ قبل أن يبلغ قاعدة سلطانهِ وتولى مصر مكانهُ سنة ٦٥٨ هـ ١٢٦٠ م

وأراد بيبرس أن يعزز زعامتـهُ للاسلام فدعا الى مصر أحد أولاد الخلفاء العباسيين الذين فرّوا من وجه التتر من بغداد وبايعهُ الخلافة ولقبهُ بالمستنصر وكان ذلك سنة ٦٥٩ هـ ١٢٦١ م وضرب النقود باسمهِ واسم الخليفة فثبّتهُ الخليفة لقاء ذلك في السلطنة وخلع عليهِ فأصبح بيبرس من ذلك الحين زعيم الاسلام شرعاً وفعلاً . « وقد احتفظ بالسلطان التام ولم يعطِ الخلافة غير السلطة الدينية ومظاهر السلطة السياسية » * وجهّز بيبرس المستنصر بجيش ووجّهه لقتال التتر طمعاً باسترجاع بغداد ولكن التتر فتكوا بهِ وفرّقوا جيشهُ

وفي ذي الحجة سنة ٦٦٠ هـ اكتوبر سنة ١٢٦٢ م حضر الى مصر عباسيّ آخر يسمى أحمد بن الحسن . . . بن المستظهر فأثبت نسبهُ وبايعهُ السلطان بيبرس والعلماء ولقب الحاكم بأمر الله وهو جد الخلفاء العباسيين في مصر

هذا وكان هولاكو ، قبل زحفهِ على سوريا ، قد قصد قونيه عاصمة السلجوقيين في آسيا الصغرى وكان عليها اذ ذاك السلطان علاء الدين فصدّهم عن بلاده وكان الفضل في ذلك للأتراك العثمانيين الذين كان لهم اكبر الشان مع العرب واليك البيان:

﴿ الترك العثمانيون والعرب منذ سنة ٩٢٢ هـ ١٥١٧م الى اليوم ﴾

لما زحف جنكزخان بجيوشهِ من الشرق وغزا تركستان في أوائل القرن الثالث عشر كما قدمنا جلت من وجههِ قبيلة قايي خان بقيادة زعيمها سليمان شاه بن ألب أرسلان سنة ٦٢١هـ ١٢٢٤م وسارت غرباً من شرق بحر الخزر تطلب مقاماً لها ومراعي لمواشيها حتى أتت الفرات . وفيما هم يعبرون النهر عند قلعة جَعبر غرق زعيمهم سليمان شاه فدفنوهُ عند القلعة . قالوا وتشاءم بعضهم من غرق زعيمهم فعادوا الى بلادهم وبقي منهم نحو ٤٠٠ خيمة برئاسة أرطغرل بن سليمان شاه فنزلوا في نواحي مدينة « اخلاط » غربي بحيرة « وان » وأقاموا هناك مدة ثم ارتحلوا غرباً يخترقون آسيا الصغرى واتفق ان كان ارتحالهم في العهد الذي زحف فيهِ هولاكو التتري من بغداد لفتح آسيا الصغرى من الأتراك السلجوقيين كما مر

فلما اقترب الأتراك العثمانيون من قونية شاهدوا من بعد غباراً متصاعداً وحرباً قائمة فأقروا على الدخول في الحرب انتصاراً لأضعف الفئتين وانتصروا لها فعلاً وهم لا يدرون لمن ينتصرون ! ثم علموا أنهم انتصروا للسلجوقيين وقهروا التتر فشكروا الله على ذلك . وسُرَّ علاء الدين صاحب قونية من فعلهم فأقطعهم بلاد فريجيا على حدود بلاده مما يلي مقاطعة بورصة التي كانت اذ ذاك بيد الروم . وكانت مدينة سكود أهم مدن فريجيا فاتخذها ارطغرل مركزاً لهُ فوُلد لهُ فيها وَلد سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م سماه عثمان وهو جد سلاطين آل عثمان ومؤسس الدولة العثمانية

﴿ ١ . عثمان الأول ﴾ وفي سنة ٦٨٠ هـ ١٢٨١ م توفي ارطغرل فخلفهُ ابنهُ عثمان فأغار على اعداء السلاجقة في قره جه حصار وبلاد أخرى واستولى عليها فسُرَّ منهُ السلطان علاء الدين وأعلنهُ أميراً وأهدى اليهِ الطبل والحربة علامة الامارة ولقبهُ بالغازي وذلك سنة ٦٩٩هـ ١٢٩٩ م

وتوفي علاء الدين في تلك السنة بلا عقب فاستقل الولاة السلجوقيون كل منهم في ولايتهِ وأعلن عثمان أيضاً استقلالهُ في ولايتهِ ونقل كرسيَّهُ الى مدينة يني شهر وذلك في ٢٧ يناير سنة ١٣٠٠ م وهو تاريخ تأسيس الدولة العثمانية

وكانت بورصة اذ ذاك لا تزال بيد الروم فزحف عليهـا وحصرها وتوفي سنة ٧٢٦ هـ ١٣٢٦ م قبل ان يدخلها جيشهُ

﴿ ٢ . اورخان ﴾ فخلفهُ ابنهُ اورخان ففتح بورصة ونقل اليها كرسي ملكهِ . وألّف جيشاً من ٦٠٠٠ أسير نصراني اعتنقوا الاسلام وسمّوا « الانكشارية » . وعبر بهم الدردنيل سنة ١٣٥٦م وفتح مدينة غليبولي وهي أول مدينة استولى عليها العثمانيون في أوربا

﴿ ٣ . مراد الأول ﴾ وقام بعدهُ ابنهُ مراد الأول سنة ٧٦١ هـ ١٣٦٠ م فاستولى على اكثر الامارات السلجوقية في آسيا الصغرى ثم اجتاز الدردنيل وافتتح مدينة ادرنة سنة ١٣٦١ م وجعلها كرسي ملكهِ

﴿ ٤ . بايزيد الأول ﴾ وخلفهُ ابنـهُ بايزيد الأول سنة ٧٩٢ هـ ١٣٨٩ م فأدخل سائر بلاد السلاجقة في آسيا الصغرى في سلطتهِ ودوّخ البلقان كلها و بلاد اليونان وحاصر القسطنطينية عشر سنوات وكان مصمماً على أخذها

﴿ تيمورلنك ﴾ وفي هذه الأثناء ظهر في بلاد التتر الجبار العظيم تيمورلنك ولم يكن من الأسرة المالكة بل كان متزوجاً بأميرة من أسرة جنكزخان فزحف على بغداد وافتتحها سنة ١٣٩٣ م ثم تقدم الى آسيا الصغرى للاستيلاء عليها . فلما بلغ خبرهُ السلطان بايزيد رفع الحصار عن القسطنطينية وسار بجيوشهِ فالتقى تيمورلنك بالقرب من مدينة أنقره سنة ٨٠٥ هـ ١٤٠٢ م وجرت هناك واقعة عظيمة قتل فيهـا خلق كثير من الفريقين وكانت الغلبة لتيمورلنك ووقع السلطان بايزيد أسيراً في يده . قيل فسجنهُ في قفص من حديد فمات قهراً سنة ١٤٠٣ م . وكان تيمورلنك قد عزم على فتح القسطنطينية ولكنهُ لما لم يجد السفن لعبور البوغاز عدل عن عزمهِ وزحف على دمشق الشام فخربها تخريباً عظيماً ويقال انهُ قتل عدداً كبيراً من أهلها انتقاماً للحسين لأنهُ كان شيعياً . ثم عاد الى بغداد فمات فيها حفيده محمد فاغتمّ لموتهِ كثيراً وعاد الى بلادهِ

﴿ ٥ . محمد الأول ﴾ وخلف بايزيد ابنهُ محمد الأول سنة ٨١٦ هـ ١٤١٣ م

﴿ ٦ . مراد الثاني ﴾ ثم مراد الثاني بن محمد الأول ٨٢٤ هـ ١٤٢١م فوالى الفتوحات

ووسّع فرقة الانكشارية حتى زادت على مئة الف مقــاتل وأتم تدويخ اليونان

﴿ ٧ . محمد الثاني ﴾ وملك بعده ابنهُ محمد الثاني سنة ٨٥٥ ﻫ ١٥٤١ م ففتح القسطنطينية سنة ٨٥٧ ﻫ ١٤٥٣ م على عهد امبراطورها قسطنطين الثاني عشر ونقل اليها عاصمة السلطنة ولم تزل الى اليوم

﴿ ٨ . بايزيد الثاني ﴾ وخلفهُ ابنهُ بايزيد الثاني سنة ٨٨٦ ﻫ ١٤٨١ م. فسار الى مصر لنزعها من يد المماليك الجراكسة فلم يفلح . وكانت سلطة الانكشارية قد قويت في السلطنة فلما كانت سنة ٩١٨ ﻫ ١٥١٢ م اضطروه أن يتنازل لابنهِ سليم

﴿ ٩ . سليم الاول ﴾ وفي سنة ٩٢٢ ﻫ ١٥١٦ م زحف السلطان سليم بجيش عظيم على الشام ثم على مصر فافتتحهما كما مرَّ . وكانت الحجاز تابعة لمصر فاستولى عليها . ثم نظم مصر وولى عليها الولاة وعاد الى الاستانة

وكان في مصر عند افتتاحها المتوكل على الله الخليفة الـ ٥٥ من الخلفاء العباسيين فصحبهُ الى الاستانة ومات هناك . وبذلك انتهى أمر الخلافة العربية

﴿ ١٠ . سليمان الأول ﴾ وخلف السلطان سليم ابنهُ سليمان الأول سنة ٩٢٦ ﻫ ١٥٢٠ م فسنَّ لبلاده القوانين الادارية والعسكرية فلقب بالقانوني . وكانت العراق في ذلك العهد بيد الفرس افتتحوها من التتر سنة ١٥٠٢ م فلم يسع الترك بعد أن ملكوا سوريا ومصر والحجاز أن تكون العراق شوكة في جنبهم فسيَّر السلطان سليمان جيشاً ففتح العراق سنة ١٥٣٥ م

ثم أرسل عمارتهُ الى بلاد المغرب فطرد الاسبان منهــا واستولى على تونس والجزائر وطرابلس الغرب فأصبح تحت سلطة ترك الاستانة أو تحت سيادتهم جميع الممالك العربية وفيها بلاد الشام والعراق التي تعد سياج الحرمين والحرمان الشريفان. وبيت المقدس . والنجف . وكربلاء . وسامراء وغيرها من الأماكن المقدسة

وقد بلغت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان مبلغها من الصولة والاتساع فامتدت من بودابست على نهر الطونة الى اصوان شمالاً وجنوباً ومن نهر دجلة الى حدود مراكش شرقاً وغرباً فشملت رومانيا والسرب والبلقان والبوسنة والهرسك

والجبل الاسود والبانيا واليونان في أوربا . وقبرس ورودس وكريت في البحر المتوسط وآسيا الصغرى والشام والعراق والحجاز واليمن في آسيا . ومصر والنوبة وبني غازي وطرابلس الغرب وتونس والجزائر في أفريقيا * وكلها كما ترى بلاد أجنبية عن الترك جنساً أو جنساً وديناً . ومعلوم ان الأمة المستعمرة التي تحكم أمماً من غير جنسها أو من غير دينها لا بدّ لتعزيز حكمها أن تتوافر فيها صفات وشرائط خاصة أهمها : ١ . أن تكون أسمى ادراكاً وأوسع علماً وأرقى حضارة وأقوى عدّة وأتمّ نظاماً من الأمم التي تحكمها ٢ . أن يكون أساس حكمها العدل . وأن تحكم كل قوم بما يناسب حالهم وزمانهم من الشرائع والقوانين ٣ . أن تعطي الأمم المحكومة من حق الحكم على قدر ما عند تلك الأمم من الاستعداد الطبيعي والاكتسابي لذلك ٤ . أن تكون وطأة حكمها خفيفة ليّنة حتى ان الأمم المحكومة لا تكاد تشعر انها محكومة من غير أبنائها ٥ . ألاّ تقدم على فتح بلاد جديدة حتى تكون قد نظّمت البلاد التي في يدها ووطّدت فيها أسباب الأمن والراحة والرقيّ

وهذه الشرائط وهذه الصفات لم تتوافر في خلفاء سليمان القانوني على الاستانة وقد دلّ التاريخ ان العربي على بداوته وأميّته أصلح جدًّا للاستعمار من ترك الاستانة :

أنظر الى العراق الذي كان في عهد حمّورابي قديماً والرشيد حديثاً جنة الله في أرضه كيف أصبح الآن واكثر أراضيه قفار . وقد كانت جبايتهُ في عهد المأمون نيفاً وعشرين مليون دينار والآن لا يزيد عن مئتي الف جنيه

وهذه سوريا التي كانت في عهد الأمويين تسع ١٢ مليوناً من السكان وجبايتها ١٫٧٣٠٫٠٠٠ دينار لا يكاد عدد سكانها يبلغ الآن مليونين ونصف مليون من النفوس وجبايتها لا تتجاوز ٧٥٠ الف جنيه . وقد أقفرت ديارها وعفت آثارها وتشتت أهلها في أقاصي المعمور يقاسون من ذلّ الغربة وآلام البعاد ما يفتت الاكباد

وماذا بمصر ؟ نزلها الفراعنة قديماً والفاطميون حديثاً فتركوا في واديها من الآثار ما لا يزال قائماً الى اليوم ناطقاً بفضل العرب وشاهداً بمقدرتهم الطبيعية واستعدادهم الفطري للوصول الى أعلى درجات التمدن والارتقاء . ولقد كانت جباية مصر في عهد

عمرو بن العاص العربي البدوي ٢٠ مليون دينار فأمست في آخر حكم ولاة الاستانة على مصر قبل أن تولاها محمد علي باشا حوالي ٦٥ ألف جنيه

وقد بدأت الدولة العثمانية في الانحطاط منذ عهد السلطان سليمان القانوني وانتقض عليها جميع الشعوب التي خضعت لسلطانها ففازت الشعوب الأوربية كلها بالاستقلال التام وفازت مصر باستقلالها الاداري عن يد الأسرة المحمدية العلوية كما قدمنا . ولم يبقَ للدولة الآ جزء صغير في أوربا وآسيا الصغرى وسوريا والعراق وبعض جزيرة العرب . وكان الانكشارية الذين بسواعدهم بنوا مجد الدولة هم السبب الأعظم في هدمهِ

ولقد بلغ الظلم والخراب حدّهما في عهد السلطان الـ ٣٤ عبد الحميد السابق فألف الاتحاديون جمعية سرية استمالوا اليها نخبة شبان الجيش فدكّوا عرش عبدالحميد وبنوا على انقاضهِ حكومتهم الدستورية وكان ذلك سنة ١٩٠٨ . وقد حبذت الأمة كلها عملهم ونصرتهم على اختلاف الأجناس والأديان . ولكنهم ما لبثوا ان استأثروا بالسلطة وأرادوا أن يكون لهم الأمر والسيادة وللعرب، وسائر الأمم العثمانية، الخضوع والطاعة . وقد عملوا على تعميم اللغة التركية وطمس اللغة العربية حتى في المحاكم . فقام عقلاء الترك والعرب وبينوا لهم خطأ هذه الخطة وطالبوا بالاصلاح على مبدإ اللامركزية وقالوا انهُ بهذا المبدإ وبهِ وحدهُ يحفظ كيان الدولة ونظامها . فما صغوا لهذا القول ولم يكن لطلاّب الاصلاح أمة مستجمعة القوى متحدة المقاصد تشد أزرهم ففشلوا

والآن فان الاتحاديين على رغم عقلاء الترك والعرب من رعايا الدولة والنصحاء المخلصين من غير رعاياها قد زجّوا بأنفسهم وبالدولة في هذه الحرب الجهنمية في جانب الالمان لغير ما سبب . فأضاعوا الى الآن عشرات بل مئات الألوف من نخبة شبان البلاد وكهولها وعطلوا المتاجر وأوقفوا الصنائع وجلبوا على أنفسهم وعلى أمتهم من الويلات والأحزان ما لا يعبر عنهُ بقلم أو لسان . وماذا جنوا ؟

أما الالمان فانهم جنوا نفعاً كبيرًا ظاهراً لأمتهم ولبلادهم فقد أشغلوا بجيوش الترك والعرب قسماً كبيراً من جيوش أعدائهم . وأما الاتحاديون فانهُ لم يكن لديهم المال للانفاق على الحرب فاستمدوهُ من الالمان فوضع الالمان أيديهم على مرافق

البلاد الحيوية ومراكزها الرئيسية تأميناً على أموالهم بل وضعوا أيديهم على الجيش زهرة شبان البلاد ليديروه بما يوافق مصلحتهم فأصبحت البلاد العثمانية برمتها ، من ملكية وعسكرية . عربية وتركية . مسلمة ومسيحية ، مستعمرة المانية . والحلفاء الآن باذلون الجهد لانتزاعها من يد الالمان . وهناك أدلّة كثيرة على أنهُ لا بدَّ من فوز الحلفاء عاجلاً أو آجلاً. وفي الحالين فان الاتحاديين قد أضاعوا ملكهم بسوء سياستهم

« أعطيت ملكاً ولم تحسن سياستهُ وكلُّ من لا يسوس الملك يُخلَعهُ »

وأما جزيرة العرب فالطبيعة ورجالها تحميها . وقد أعلن الحلفاء استقلالها تحت يد امرائها . وأصدر الجنرال السر جون مكسويل القائد العام البريطاني بمصر منشوراً وجّهُ الى « العرب الكرام » بتاريخ ٣١ ديسمبر سنة ١٩١٤ جاء فيهِ ما نصهُ :

« ان جلالة الملك جورج الخامس ملك الانكليز قد أعلن أنهُ لا يتخذ اجراءات حربية برية أو بحرية في بلاد العرب أو في موانيها ما لم تمسّ الحاجة الى ذلك قصد حماية مصالح العرب من اعتداء الترك وغيرهم أو انجاد من ينهض من العرب للخلاص من ربقة الترك »

﴿ صفة جزيرة العرب ﴾

﴿ وأقسامها الطبيعية والادارية ومدنها وموانيها وقبائلها الشهيرة وأمراؤها الحاليون ﴾

﴿ حدودها ﴾ يراد بجزيرة العرب البلاد التي يحدها من الشمال بلاد الشام والفرات . ومن الشرق الفرات وخليج العجم وبحر عمان . ومن الجنوب المحيط الهندي . ومن الغرب البحر الأحمر

﴿ صحاريها ﴾ ومعظم أراضي هذه البلاد صحارى رملية وخصوصاً في وسطها ما بين اليمن وحضرموت وعمان ونجد فان فيها الصحراء الكبرى التي تعرف « بالربع الخالي » وهي قفر مرمل لا نبات فيهِ ولا ماء ولا تزال الرياح تثير رمالها الناعمة وتكيّف سطحها على أشكال شتى حسب مهابّها فتجعل السير فيها خطراً . واذا ما خاطرت قافلة بالسير على جانبها في زمن الرياح التهمتها الرمال ودفنتها في جوفها ويمتد من شمال هذه الصحراء لسان يعرف «بالدهناء» يفصل بين الحسا ونجد

ثم يميل نحو الغرب ويتسع حتى يتصل « بالجوف الشمالي » المعروف « بدومة الجندل » فيسمى هناك « نفود الجوف » . والى الغرب من نفود الجوف بادية « الحِسمة » . وقد عرّفنا هذا الجوف بالشمالي تمييزاً لهُ عن « الجوف الجنوبي » المعروف « بجوف العمر » في منتصف الطريق بين بُرَيدة والعقبة . وهناك جوف آخر بين الربع الخالي واليمن

ويخترق الدهناء طرق شتى من نجد الى عمان والاحساء والعراق . وفي القاموس الدهناء الفلاة . وأرض في نجد لبني تميم وتُقصر قال الشاعر :

يمرُّون بالدهنا خفافاً عيابهم ويرجعنَ من دارينَ بُجْرَ الحقائبِ

والى شمال الجوف الشمالي بين جبال حوران والفرات « بادية الشام الكبرى » ويفصل بينها وبين نفود الجوف « وادي السرحان » العظيم الآتي من جبال حوران

﴿ جبالها وسهولها ﴾ ويخترق الجانب الغربي من جزيرة العرب من الجنوب الى الشمال « جبل الحجاز » وهو اكبر جبالها وأشهرها ويعلو بعض قممهِ نحو ٣٠٠٠ متر عن سطح البحر وفيهِ ينابيع غزيرة وغابات وبساتين ومزارع وقرى عامرة بالسكان

وبين هذا الجبل والبحر الأحمر سهل منخفض ضيق يسمى « تهامة » أرضهُ مرملة وبعضهُ صالح للزراعة وعرضهُ يتراوح بين ٤٠ و ٨٠ كيلومتراً * والى شرق هذا الجبل بلاد مرتفعة واسعة جيدة الهواء تسمى « نجد » . وقد سُمي الجبل بالحجاز لأنهُ حاجز بين تهامة ونجد . ويسمى القسم الجنوبي منهُ بالسُّراة . ويسمَّى القسم الشمالي من نجد « شمَّر » * وأشهر جبال نجد: العارض وطُوَيق. وأشهر جبال شمر: أجا وسَلمى

﴿ أوديتها ﴾ ويسيل من جبالها ومرتفعاتها في زمن الأمطار أودية شتى شهيرة تصب في البحر الأحمر والمحيط الهندي أو تغور في الرمال قبل أن تصل البحر . فاذا ارتفعت الأمطار جفّت الأوديةِ كان لم يكن فيها ماء . وليس في الجزيرة كلها نهر واحد حيّ كما قدمنا . ولكن في كثير من أوديتها ينابيع حيَّة تكسبها الخصب والنماء

﴿ أقسامها ﴾ وتقسم جزيرة العرب الآن اداريًّا الى عشرة أقسام وهي :

« الحجاز . وعسير . واليمن . وحضرموت . وعُمان . وقطَر . والبحرين . والكُوَيت . ونجد ويتبعها الاحسا . وشمَّر » * وأما « بادية الشام الكبرى » فمفصولة عنها إداريًّا

﴿ ١ . الحجاز ﴾

أما الحجاز فهي القسم الشمالي الغربي من الجزيرة ما بين الشام وعسير اليمن. وهي قسمان تهامة وجبل * وأشهر مدن تهامة : «مكة» وهي عاصمة الحجاز . « والمدينة » على عشرة مراحل شمالي مكة . وفيهما الحرمان الشريفان

وأشهر مدن الجبل : الطائف وهي مصيف مكة على ثلاث مراحل منها جنوباً

وأشهر مواني الحجاز من الشمال : المويلح . وضبا . والوجه . وينبع وهي ميناء المدينة . ورابغ . والقَضيمة . وجدَّة وهي ميناء مكة بينهما ٨٠ كيلومتراً . واللّيث

وأشهر قبائل الحجاز :

« الأشراف » في مكة وضواحيها . وهم نسل الشريف أبي نمى القرشي الذي تولَّى أمارة مكة سنة ٩٣٢ هـ ١٥٢٥ م وحفظت الأمارة في نسلهِ الى اليوم . وقد أنجب ثلاثة أولاد صاروا رؤوس ثلاث قبائل لكل منهم فروع وهم : الشريف حسن جد الشريف حسين أمير مكة الحالي . والشريف بركات . والشريف أحمد

« وقُرَيش » « وهذَيل » حول مكة * « وابن الحارث » . « والبُقوم » . « وسُبَيع » شرقيها * « وبنو مالك » . « والجحادلة » . « وفهم » جنوبيها

« وحرب » قبيلة جسيمة بين مكة والمدينة . وهي فرعان كبيران :

بنو سالم و بنو مسروح * و بنو سالم فرعان: بنو ميمون والمراوحة المشهورون بالحوازم. و بنو ميمون فروع أشهرها صُبح والحاميد والاحامدة . ومن هؤلاء فرع يقال لهم الشواربية القاطنين بقليوب مصر * و بنو مسروح فرعان : زبيد و بنو عمرو . و بنو عمرو فروع أشهرها بشر والحمران

« وعُتَيبة » «وسُلَيم» « ومُطَير » بين الحجاز ونجد * «وثُقَيف» حول الطائف

« وجُهَينة » بين ينبع والوجه وهي فرعان كبيران : بنو مالك و بنو موسى . و بنو مالك فروع أشهرها رفاعة والحمدة . و بنو موسى فروع أشهرها العلاوين والعوامرة ومن بني موسى فرع بمصر بقرية لهم تابعة لشبين القناطر

« وبِـلي » بين الوجه والعقبة وقد عرفت بلادهم قديماً ببلاد « مديان »

«والحويطات» «وبنو عطية» في الحِسمة شمالي بلي . ويتفرَّع من الحويطات : الجوازي والعمران والدبور والترابين وغيرهم * «والشرارات» شرق الحِسمة «وعنزة» في نفود الجوف الشمالي * ومن القبائل الشهيرة: «لحيان». «وخزاعة» وجميع من ذكرنا من قبائل الحجاز ترجع بأنسابها الى عدنان

والحجاز الآن بيد أميرها الشريف حسين بن علي بن محمد أمير مكة تولى الامارة في القعدة سنة ١٣٢٨ هـ بعد ابن عمهِ الشريف علي بن عبدالله بن محمد نزيل مصر حالاً. وكان الشريف علي قد تولاها في ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٢٣هـ . بعد وفاة عمهِ الشريف عون الرفيق * وفي الحجاز الآن حاميات من الترك في مكة والمدينة وجدَّة والطائف

٢ . عسير

أما عسير فبين الحجاز واليمن . وهي قسمان تهامة وجبل * أما جبل عسير فيعرف بالسراة وأشهر مدنهِ : أبها وهي عاصمتهُ . ومحايل . ورغدان . والنماص

وأما تهامة عسير فأشهر مدنها «صبيا» وهي عاصمتها . «وأبو عريش» على نحو ٣٠ كيلومتراً جنوب صبيا

وأشهر مواني عسير من الشمال : «القنفدة وهي ميناء أبها . والوَسْم . والشُّقَيق. وجيزان وهي ميناء صبيا على نحو ٣٠ كيلومتراً منها غرباً . ومَيدِي . وحَبْل»

وأشهر قبائل جبل عسير : «غامد . وزهران . وشمران . وخثعم . والحلف . وأكلب . ومعاوية . وبنو سلول * وبالأسمر . وبنو شهر . وبنو عمرو . وبالقرن . وبالحارث . وزُبَيد * وقحطان . وشهران . وبالأحمر . وربيعة * ورجال الحميسين . وبنو أسلم . ومسروح

وأشهر قبائل تهامة عسير: «كنانة . والمرازيق . ورجال المع . والرايش . وبنو قيس . والجعافرة . والعرايشة أو رجال ابو عريش . والمسارحة . وبنو مروان . وبنو حسن . وبنو عبس . وبنو زيد . وبنو نَشَر أو النواشرة . وبنو شهاب ؟»

وجميع من ذكرنا من قبائل عسير ينتسبون الى قحطان الاّ أكلب . ومعاوية . وبنو سلول . وكنانة . وبنو قيس . وبنو عبس فانهم ينتسبون الى عدنان

١ . تجاه صفحة ٦٦٤



شكل خاص ٢٧ : السيد مصطفى عبد العال الادريسي

٢ . تجاه صفحة ٦٦٤



شكل خاص ٢٨ : السيد احمد الشريف السنوسي

﴿ السيد محمد علي الادريسي ﴾ وعسير الان بيد أميرها العربي الأبيّ الكبير السيد محمد علي الادريسي حفيد السيد أحمد بن ادريس العالم المتصوف الشهير

وُلد السيد أحمد بن ادريس في بلدة ميسور من أعمال فاس يبلاد المغرب في ٢١ رجب سنة ١١٧٣هـ وهو من قبيلة من الأشراف تدعى «العرايش» ويتصل نسبهُ بمولاي ادريس فاتح المغرب المدفون بفاس المنتسب الى الحسن بن علي بن ابي طالب

تلقّى العلوم بفاس الى أن برع فيها وأُذن لهُ بالتدريس وكان يميل بالطبع الى التصوُّف فأخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ عبد الوهاب التازي عن السيد عبد العزيز الدبّاغ. ثم رحل الى مكة عن طريق مصر فوصلها سنة ١٢١٤ هـ فأقام فيها حلقة للتدريس وأسس طريقتهُ الصوفية المعروفة باسمهِ . وفي سنة ١٢٢٩هـ أتى صعيد مصر وأقام في الزينية شمالي الأقصر مبشراً بطريقتهِ الى سنة ١٢٣٤هـ فعاد الى مكة فأقام فيها الى سنة ١٢٤٤ هـ . ثم توجه الى اليمن فمكث بزبيد بضعة أشهر وعاد الى صبيا فأقام فيها الى أن توفي في ٢١ رجب سنة ١٢٥٣هـ . ٢١ اكتوبر سنة ١٨٣٧م ولهُ هناك قبر يزار * وقد أخذ عنهُ في مكة كثير من العلماء الأعلام نخص بالذكر الذين أسسوا طرقاً للصوفية اشتهرت بأسمائهم وهم :

السيد محمد عثمان المرغني صاحب الطريقة المرغنية في السودان ومصر والنوبة

والسيد محمد علي السنوسي صاحب الطريقة السنوسية في صحراء طرابلس الغرب

والشيخ محمد حسن الظافر المدني صاحب الطريقة المدنية في طرابلس الغرب وغيرها

والشيخ محمد المجذوب (السواكني) صاحب طريقة المجاذيب في السودان الشرقي

والشيخ ابرهيم الرشيد الدنقلاوي الشايقي صاحب الطريقة الرشيدية بمكة والسومال والسودان وصعيد مصر

وقد ترك عدة أولاد أشهرهم : السيد محمد وهو الاكبر. والسيد عبد العال أما السيد عبد العال فانهُ بعد وفاة والده ارتحل الى صعيد مصر وسكن الزينية فأقام فيها نحو ١٨ سنة ثم توجَّه الى دنقلة فتوفي فيها سنة ١٢٩٥ هـ . ولهُ هناك قبر يزار . وقد ترك تسعة أولاد اكبرهم السيد محمد شريف ، وأوسطهم السيد مصطفى

أما السيد محمد بن السيد أحمد ادريس فانهُ انتقل بعد وفاة والده الى الحديّدة وأقام هناك بخلوتهِ نحو ٥٠ سنة لم يخرج منها ثم أمر أن يحملَ الى صبيا فمكث فيها ٤ أيام ومات ودفن بجوار والدهِ وكان معدوداً من كبار الاولياء * وقد ترك ولداً وحيداً وهو السيد علي أقام وتوفي بصبيا سنة ١٣٢٤ ﻫ وكان كأبيهِ معدوداً من كبار الأولياء. وقد ترك أربعة أولاد أكبرهم السيد محمد علي الذي نحن بصددهِ

ولد محمد علي بصبيا سنة ١٢٩٣ﻫ وتلقى العلوم الدينية في مسجد جدهِ هناك. ثم أتى مصر سنة ١٣١٤ﻫ. وأخذ العلوم الدينية في الازهر الشريف. وفي سنة ١٣١٧ﻫ زار السيد محمد المهدي السنوسي في الكفرة عن طريق الجغبوب ثم عاد الى الازهر فبقي الى أواخر سنة ١٣٢١ ﻫ ثم توجه الى دنقلة وزار قبر عمهِ السيد عبد العال وبقي هناك مدة ثم عاد الى صبيا بطريق بربر وسواكن فوصلها سنة ١٣٢٣ ﻫ ١٩٠٥م

وهو طويل القامة بدين الجسم عظيم المنكبين واسع العينين أسمر اللون مهوباً وقوراً وقد نشأ على حب العلم والأدب وكره الظلم والاستبداد عالي الهمة شديد الذكاء كريم الطبع عزيز النفس غيور على قومهِ ودينهِ وبلادهِ مع الميل الى الزهد والتقوى. فلما عاد الى صبيا وجد أهلها يئنُّون من ظلم الحكام الترك واستبداد الجباة فنصحهم بترك الظلم والسير في قومهِ بسنَّة الله ورسولهِ وكرر النصح لهم مراراً فما ضغوا لهُ ونصرتهُ قبائل تهامة فأعلن استقلالهُ في صبيا سنة ١٣٢٧ﻫ وحارب الترك وانتصر عليهم في عدة مواقع وأخذ منهم جيزان عنوة. وهو الآن يناوئهم في جبل عسير وتهامة اليمن

﴿ السيد مصطفى عبد العال الادريسي ﴾ وأكبر صفيّ لهُ من أولاد عمّهِ: السيد مصطفى بن السيد عبد العال الأدريسي في الزينية وهو الآن في الثانية والاربعين من عمرهِ طويل القامة بهيّ الطلعة كريم الخلق رقيق الطبع ذكي الفؤاد طيب النفس حسن العشرة ما مازجهُ أحد الاَّ أحبهُ وصافاه. والسيد محمد علي الادريسي يحبهُ حبًّا جمًّا ويعتمد عليهِ في جميع أموره في السياسة الخارجية وقد استدعاهُ مراراً الى صبيا مركز حكومتهِ ووسَّطهُ في نهو بعض المهام السياسية نظراً لما يعهدهُ فيهِ من الفطنة والذكاء وسداد الرأي واتساع الصدر مع الغيرة الحسنة لمصلحة أهلهِ والعرب كافة

﴿ ٣ . اليمن ﴾

واليمن في جنوب عسير وتمتد الى سلطنة لحج وهي أيضاً قسمان : تهامة وجبل

وأشهر مدن الجبل: «صنعاء» وهي عاصمة اليمن . «ومناخة» وهي في منتصف الطريق بين صنعاء والحديدة على ١٠٠ كيلومتر من صنعاء و١٥٠ كيلومتراً من الحديدة

« وعمران » الى الشمال من صنعاء * « وحَجَّـة » الى الغرب من عمران

« وحُجور » الى الشمال من حجة * والى شمالي عمران وحجة جبل شهارة المشهور بحصانتهِ * وفيما بين حجة وعمران جبل كوكبان المشهور بارتفاعهِ

« وذِمار » الى الجنوب من صنعاء * « ويريم » الى الجنوب من ذمار

« ورَداع » شرقي يريم * « وقَعْطَبَة » . « وإِب » جنوبي يَريم في سفح الضالع الغربي . ويمتد هذا الجبل جنوباً الى لحَج

وأشهر مدن تهامة : «بيت الفقيه» على مرحلة ونصف من الحديدة جنوباً بشرق

« وزَبيد » على نحو مرحلتين جنوبي بيت الفقيه . « وتِعِزّ » على نحو ثلاث مراحل جنوبي زبيد . « وباجل » على طريق صنعاء بين الحديدة ومناخة

« والحج َجيلة » على طريق صنعاء بين باجل ومنـاخة . « والزيدية » بين الحدّيدة وباجل بانحراف الى الشمال . «والمراوعة» على ست ساعات شرق الحديدة

وأشهر موانىء اليمن : « اللحية » . وبقربها جزيرة قمران وهي محجر اليمن

« والحدّيدة » وهي ميناء صنعاء . « ومخا » وهي ميناء تعزّ

«وعدن» وهي بيد الانكليز منذ سنة ١٨٣٩م ومركز تجاري مهم بين الشرق والغرب

وأشهر قبائل اليمن : « الزيدية » وهم فرع من العلويين ويلقب أميرهم بأمير المؤمنين وينتسبون الى الامام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب

وأشهر قبائل الزيدية : « حاشد وبكيل » في جنوب جبل شهارة . «وخولان» الى الشمال الغربي من جبل شهارة . « والعَود . والشِّعر . وعمَّار » في بلاد قعطبة

وأشهر قبائل تهامة اليمن: «بنو الاهدل وهم أشراف تهامة وأهم مراكزهم المراوعة وكبيرهم السيد عبد الباري . والواعظات . وصُليل . والجرابح . والقُحْرة . والزرانيق»

وجميع قبائل اليمن ينتسبون الى قحطان الاّ بنو الاهدل فانهم ينتسبون الى عدنان
والىمن الآن بيد الامام يحيي أمير الزيدية تولى بعد وفاة أبيه الامام محمد حميد الدين سنة ١٣٢٠ هـ ١٩٠٢م ومركزه «قَفْلة عُذَر» على أكمة غربي جبل شهارة على مرحلتين منهُ ومعقلهُ ومصيفهُ جبل شهارة . وأوّل إمام ذكره التاريخ الحديث للزيدية هو الامام الهادي يحيي بن الحسين وفي أخباره انهُ حارب القرامطة وقهرهم وكان مركزه صعدة . وقد دخلت اليمن في حكم العثمانيين سنة ١٨٣٩م كما قدمنا .
وفيها الآن حاميات صغيرة من الترك في صنعاء والحديدة واللحية وغيرها
ويتبع اليمن عدة سلطنات وامارات مستقلة أهمها :
« امارة صعدة » شمالي جبل شهارة وأميرها السيد محمد أبو نبية وأهلها زيدية
« وامارة نجران » شمالي صعدة على حدود نجد الجنوبية وأهلها يام أو مكارمة
«وامارة مأرب سبا» في جنوب الجوف اليمني * وبينها و بين الجوف آثار« مَعين»
« وسلطنة لَحَج » شمالي عدن * « وسلطنة يافع » الى الشمال الشرقي من لحج
«وسلطنة البيضا» بين يافع ومأرب* «وسلطنة العوالق» شرقي يافع ومركزها النصاب

﴿ ٤ . حضرموت ﴾

أما حضرموت فعلى المحيط الهنـدي في جنوب الربع الخالي وهي قسمان :
حضرموت البحر وحضرموت البر
أما « حضرموت البحر » فأشهر موانيها : المكلّة وهي عاصمة البلاد . والشِّحر »
وأهمّ قبائلها : آل أبو وزير . وآل أبو رشيد . وسلطانها « غالب القُعَيطي»
وأما« حضرموت البر » في الشمال وعاصمتها« سيوون» على ثمان مراحل من المكلة
ومن مدنها : تَريم . وشبام . والسيبان . وبنو شيبان
وأهم قبائلها: آل كثيري ومنها سلطانهم منصور الكثيري . وآل مرعي . وآل عموري
وفي حضرموت البر عدة قبائل مستقلة عن الكثيري أهمها : كِندة ويقال لها الصاعر أيضاً . والمناهيل . والحموم . والعوامر . والعوابثة . ونهد . وبنو تميم . وآل جابر . والجعدَة
ويحادّ حضرموت البر من الشمال « الاحقاف » وهي داخلة في الربع الخالي

﴿ ٥ . عمان ﴾

أما عُمان فهي الزاوية الجنوبية الشرقية من الجزيرة شرقي الربع الخالي وعاصمتها وميناؤها مسقط * وسلطانها تيمور بن فيصل بن تركي . وا كثر أهلها على مذهب الاباضية نسبة الى عبد الله بن أباض المرّي من المرّية من أعمال طرابلس الغرب الذي استولى على أفريقيا الشمالية سنة ١٥٢ ﻫ ٧٦٩م وادعى فيها الخلافة

﴿ ٦ . القطر ﴾

وأما القَطَر فهو شبه جزيرة بين عمان والبحرين وأميرها عبدالله بن قاسم آل ثاني

﴿ ٧ . البحرين ﴾

وهي جزائر في خليج العجم تجاه القطر غربيها وأميرها الشيخ عيسى آل خليفة

﴿ ٨ . الكويت ﴾

وهي ميناء بحري وامارة مستقلة . وأميرها الحالي الشيخ جابر بن الشيخ مبارك الصباح المشهور المتوفى في ديسمبر سنة ١٩١٥

﴿ ٩ . نجد ﴾

أما نجد فأربعة أقسام كبيرة : ١ . « القَصِيم » في الشمال . وأشهر مدنها بُرَيدة وعُنيزة ٢ . « والرياض » في الجنوب وهي خمسة أقاليم : « الرياض » في الوسط وأشهر مدنهِ « الرياض » وهي عاصمة نجد . وفيهِ خرائب « عُيَينة » على مرحلة شمالي الرياض وهي المدينة التي ظهر فيها محمد عبد الوهاب صاحب مذهب الوهابية المشهور. وخرائب « درعية » بين عيينة والرياض على نحو أربع ساعات من كل منهما وهي بلدة محمد بن سعود جدّ آل سعود * « والسُّدَير » في الشمال ومن مدنهِ المجمعة . والزِّلفي * « والوَشم » في الغرب ومن مدنهِ شقرا . والحريملة . والسدوس . والقزاين * « والحريق » في الجنوب ومن مدنهِ الحوطة * « واليمامة » المشهورة في أقصى الجنوب

٣ . « ووادي الدواسر » . ينشأ هذا الوادي من جبل السراة ويسير شمالاً بشرق مسافة طويلة ثم يغور في الرمال وهو وادٍ خصب وفيهِ ينابيع غزيرة ونخيل كثير وقرى آهلة بالسكان وأشهر قراه : « لَيلى . والسليّل . والأفلاج . والفَرعة . واللِدام . والبُدَيّع »

٤ . «والاحسا» . وهو ساحل نجد على خليج العجم ولها ميناءان العُقير والقَطيف

وأشهر قبائل نجد : « برَيه في القصيم . « وسُبيع . والسهول » في الرياض .
« وبنو تميم » في الحوطة والدهنا . « وقحطان » بين الحوطة وشهران عسير
« والعجمان » بين الرياض والاحسا . « ومُطير » ومركز سلطانهم المجمعة .
« وآل مرّة . وبنو هاجر » بين الاحسا وقطر . « والدواسر » بوادي الدواسر

ونجد الآن بيد أميرها الحر الكبير عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود وسنأتي على ذكره بعد

١٠ . شمر

أما شمر ففي شمال نجد وعاصمتها حائل وقبائلها ثلاثة فروع : عبدا . وسنجارة . والأسلم . وأميرها « سعود بن عبد العزيز بن متعب بن عبد الله بن الرشيد » :

هذا وامراء تهـامة عسير . والحجج . وحضرموت البحر . وعمان . والقطر . والبحرين . والكويت . ونجد كلهم موالون للانكليز

بادية الشام الكبرى

أما بادية الشام الكبرى وتعرف أيضاً ببادية الشام والعراق فيسكنها قبائل شتى بعضها تابع في الإدارة للشام والبعض للعراق

أما القبائل التابعة للشام فأشهرها عرب « الجلاس » وهم ثلاثة فروع كبيرة :

« الرولا » وهي قبيلة جسيمة تسكن في الصيف نقرة الشام أي سهول حوران وتمتد شمالاً الى حمص وحماة وفي الشتاء تسكن الجوف وشيخها الاكبر نوري الشعلان

« والمحَلف » وهي ثلاث أفخاذ الأشاجعة والسوالمة وعبدِ الله وهم من أصل واحد مع الرولا ولكنهم مستقلون عن نوري الشعلان

« وأولاد علي » ويسكنون مع الرولا صيفاً وشتاء ولكنهم في الشتاء لا يبعدون كثيراً عن الشام . وشيخهم الاكبر رُشَيد بن سُمَير

ومن أولاد علي « الايدا والفقير » وهم يسكنون أرض تيماء على سكة حديد الحجاز

« وعنزة » وهي فرعان كبيران : « العمارات » ينزلون في الصيف في نواحي كربلاء وفي الشتاء في البادية بين بغداد والشام وبين بغداد ونجد وهم تابعون للعراق وكبير مشايخهم فهد بن عبد المحسن آل هذّال * « وبِشر » وهم ثلاث فروع : السباعة في بادية حمص وحماه . والفدعان في بادية حلب . وولد سليمان في تيماء

وفي بوادي البلقاء والزرقاء والغور جنوبي حوران قبائل شتى أشهرها « بنو صخر »

وأما قبائل البادية التابعة للعراق فأشهرها : في ولاية الموصل : طيّ . وشمَّر . والجبُور * وفي متصرفية الزور : العُبيد * وفي ولاية بغداد : عنزة العمارات المار ذكرهم . والدليم . وشمَّر طوقة . وزُبيد . والإمارة . وربيعة * وفي ولاية البصرة : بنو لام . وآل أبو محمد . والمنتفك وكبيرهم عجيمي آل سعدون . والظّفير ومركزهم الزُّبير غرب البصرة وشيخهم حُمُود بن صُوَيت

وبدو العراق كلهم، ما عدا عنزة والظفير، متحضرون يسكنون الخيام في جهات معينة يفلحون فيها ويزرعون ولا يبرحونها الى البادية فهم وسط بين الحضر والبادية

﴿ سكان جزيرة العرب ﴾

أما سكان جزيرة العرب فهم الآن كما كانوا في كل آن حضر وبادية واكثرهم بادية واكثر الحضر في اليمن ونجد ومدن الساحل

﴿ عددهم ﴾ وأما عدد سكان الجزيرة فلا يمكن القطع فيهِ لعدم وجود احصاء رسمي . وقد قدَّره بعضهم بنحو عشرين مليون نسمة وقدره الاكثرون بنحو اثني عشر مليون نسمة أي نحو مليونين ونصف في كلٍّ من الحجاز واليمن ، ومليون ونصف في كلٍّ من عسير وعمان ، ومليونين في بادية الشام الكبرى التابعة اداريًا للشام والعراق ، ومليونين في سائر الجهات

﴿ مذاهبهم ﴾ ثم ان سكان الجزيرة كلهم يدينون بالإسلام. وهم مذاهب مختلفة وقد تغلب مذهب الشافعية في السواحل . والمالكية في الحجاز . والحنبلية في نجد . والزيدية في اليمن . والأباضية في عمان . والمكارمة في نجران . والوهابية في نجد وعسير

﴿ الوهابية ﴾ أما الوهابية فتنسب الى زعيمها الأول محمد بن عبد الوهاب .

وُلد في العُيَينة من أعمال الرياض سنة ١١٠٦ هـ ١٦٩٥م . وكان أبوه فقيهاً فربي في حجره على المذهب الحنبلي وأتمَّ دروسهُ بالبصرة ثم زار مكة والمدينة وعاد الى بلده فتزوج في الحريملة بأقليم الرياض واشتهر بالتقوى والتمسك بالجوهر دون العرَض وقام بمذهب جديد هو في الاسلام كالبروتستانية في النصرانية وخلاصتهُ اغفال الكتب الدينية الاَّ القرآن والحديث وأن لا يعرف صاحبهُ الاَّ الله ولا يتوسل الاَّ اليهِ وأهم تعاليمهِ :

« الصلاة خمس مرات في اليوم . والصوم في رمضان . والحج مرة على الأقل. ومنع المسكر والدخان والبغاء والميسر والسحر والربا والزينة . وتوزيع جزء من مئة من الأموال زكاة على الفقراء . وهدم المزارات وقبب الأولياء قال لأنها من مظاهر الوثنية وتشغل الناس عن مخاطبة الله رأساً »

وقد أنحى باللائمة على قومهِ لاهمالهم جوهر الدين وتعلقهم بالقشور وبالغ في تعنيفهم فاضطهدوه ففر منهم ولجأ الى محمد بن سعود (كبير آل سعود) أمير الدرعيّة

وكانت بلاد نجد في ذلك العهد امارات شتى مستقلة بعضها عن بعض فأكرم ابن سعود وفادتهُ ووعد بحمايتهِ وأذن لهُ بنشر تعاليمهِ . فأخذ ينشرها بالاقناع والموعظة وابن سعود ينشر معها نفوذه وسلطانهُ في نجد فعارضهُ بعض امراء نجد وحملوا عليهِ فقهرهم وردَّهم خائبين فتشدد بن سعود وشيخهُ بن عبد الوهاب وتمكنا من الثبات في الدعوة

وتزوج محمد بن سعود ابنة محمد بن عبد الوهاب فوُلد لهُ عبد العزيز فخلف أباه عند موتهِ سنة ١٧٦٥ وكان عبد العزيز شجاعاً حازماً شديد البطش مع تقوى وورع وكان الوهابيون قد تكاثروا وصاروا جنداً كبيراً فحمل بهم على أطراف البلاد ووسّع سلطانهُ . وغدر بهِ رجل من فارس فطعنهُ بخنجر وهو يصلي فقتلهُ سنة ١٣٠٣. فخلفهُ ابنهُ سعود وكان قد تعوَّد الحرب من صغره فقاد جند أبيهِ وهو لا يزال في الثانية عشرة من عمره وتمكن من ضم بلاد نجد كلها الى سلطانهِ حتى هدد الدولة العثمانية في الشام والعراق وحمل على كربلاء فهدم قبر الحسين وجميع المزارات فيها واستولى على ما كان هناك من التحف والأموال واستعان بها على أموره . وقام فى اعتقاد العرب أنهُ لا يلبث أن ينشر مذهبهِ في العالم أجمع فحاموا حولهُ . فزحف بهم على مكة ففتحها ودخل الكعبة واستولى على ما فيها من التحف وكتب الى السلطان سليم الثالث كتاباً معناهُ:

« اني دخلت مكة في ٤ محرم سنة ١٢١٨ هـ ٢٦ افريل سنة ١٨٠٣ م وأمّنت أهلها على أرواحهم وأموالهم بعد ان هدمت ما هناك من أشباه الوثنية وألغيت الضرائب الاّ ما كان منها حقاً وثبّتُّ القاضي الذي وليتهُ أنت طبقاً للشرع الاسلامي فعليك أن تمنع والي دمشق ووالي القاهرة من المجيء الى هذا البلد المقدس بالمحمل والطبول والزمور فان ذلك ليس من الدين في شيء »

ولم تمضِ تلك السنة حتى دخلت « المدينة » أيضاً في حوزتهِ وأخذ في نشر سيادتهِ على جزيرة العرب فلم تأتِ سنة ١٨٠٩ م حتى أصبحت حدود مملكتهِ شمالاً صحراء الشام وجنوباً بحر العرب وشرقاً خليج العجم وغرباً البحر الأحمر

ولما استفحل أمره لم يرَ الباب العالي بدًّا من تكليف بطل مصر محمد علي باشا لقهره فأرسل عليهِ الجيوش بقيادة ابنهِ طوسون ثم بقيادة ابنهِ ابراهيم فقهر الوهابيين وخرَّب بلدتهم درعية . وكان سعود قائد الوهابية قد مات في ٢٦ ربيع آخر سنة ١٢٢٩ هـ ١٧ افريل سنة ١٨١٤ م وخلفهُ ابنهُ عبد الله فأخذه ابراهيم باشا أسيرًا وشتت شمل الوهابيين كما قدمنا

ثم بعد ذلك بسنين عاد تركي بن عبد الله الى الرياض واعاد دولة آبائهِ

وتوفي فخلفهُ ابنهُ فيصل فسمى عبد الله بن الرشيد أميرًا على بلاده شمَّر

ثم توفى فيصل وخلفهُ ابنهُ عبدالله فانتقض عليهِ أخوه سعود وتقاتلا حتى فنيت قواتهما فظهر محمد بن عبد الله بن الرشيد عليهما واستولى على نجد . وبقي حتى ظهر عبد العزيز والي نجد الحالي فاسترد ملك آبائهِ في نجد من آل الرشيد بمعونة الشيخ مبارك شيخ الكويت السابق . وكان الاتراك قد استولوا على الاحسا أيام كان مدحت باشا والياً على بغداد سنة ١٨٧١ . فاستردَّها عبد العزيز منهم سنة ١٣٣٢هـ ١٩١٣م

هذا وفي داخلية اليمن وسواحلها طوائف من اليهود اكثرهم في صنعاء وذمار ويريم ورداع وإب وقعطبة . وهم يتعاطون التجارة والصناعة واكثرهم صاغة

وهناك طوائف من النصارى والهنود الوثنيين في ساحل الجزيرة في مواني الحجاز واليمن وحضرموت وغيرها وكلهم تجار . وسنأتي على تجارة الجزيرة مع مصر فيما بعد

﴿ أنساب العرب ﴾ ثم ان جميع قبائل العرب تنتسب اما الى قحطان وإما الى عدنان ومن لا يتصل نسبهم بأحد هذين الأصلين يطلق عليهم اسم هتَيم والعرب لا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم كما قدمنا . فما زال العرب الى اليوم يفاخرون بالنسب حتى ان كثيرين منهم يسجلون أنسابهم رسمياً في المحاكم . ومن هؤلاء أشراف مكة فانهم أقدم أسرات العالم أجمع . وهذا نسب الشريف حسين أمير مكة الحالي :

﴿ نسب الشريف حسين أمير مكة الحالي الى النبي محمد فابراهيم فنوح ﴾

الشريف حسين . بن علي . بن محمد . بن عبد المعين . بن عون . بن محسن . ابن عبد الله . بن حسين . بن عبد الله . بن حسن . بن أبي نمي محمد الذي تولّى امارة مكة سنة ٩٣٢ هـ وقد تولاها ستين سنة . ابن بركات الأمير . بن محمد الأمير . بن بركات . بن حسن . بن عجلان . بن رمية أبو عرارة أسد الدين . بن محمد أبي نمى نجم الدين ابو مهدي الذي تولى امارة مكة خمسين سنة وتوفي سنة ٧٠١ هـ . بن أبي سعيد الحسن . بن علي . بن قتادة الذي تولى امارة مكة سنة ٥٩٨ هـ . بن ادريس . بن مطاعن . بن عبد الكريم . بن عيسى . بن الحسين . بن سليمان . بن علي . بن عبد الله . بن محمد الثائر . بن موسى . بن عبد الله . بن موسى الجون . بن عبد الله المحض . بن الحسن المثنّى . بن الامام الحسن السبط . بن الامام علي بن أبي طالب من زوجتهِ السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي محمد صلعم » * وهذا نسب النبي:

« أبو القاسم محمد . بن عبد الله . بن عبد المطلب . بن هاشم . بن عبد مناف . بن قُصَيّ . بن كلاب . بن مرة . بن كعب . بن لؤي . بن غالب . بن فهر (قريش) . بن مالك . بن النضر . بن كنانة . بن خزيمة . بن مدركة . بن الياس . بن مضر . بن نزار . بن معد . بن عدنان » * وهذا نسب عدنان الى ابرهيم على المشهور :

« عدنان بن اد . بن ادد . بن اليسع . بن الهميسع . بن سلامان . بن نبت . بن حمل . بن قيذار . بن اسماعيل . بن ابراهيم » * وهذا نسب ابرهيم كما في تك ص ١٠

« ابراهيم . بن تارح . بن ناحور . بن سروج . بن رعو . بن فالج . بن عابر (أبو قحطان) بن شالح . بن أرفكشاد (أخو لود وارام) . بن سام . بن نوح »

﴿ ٢ . خلاصة تاريخ سوريا ﴾

اشتهر في سوريا قديماً ستة شعوب كبيرة ترجع في أنسابها الى أربعة أصول وهم: الأراميُّون . والكنعانيون . والحثيون . والعبرانيون . والفلسطينيون . والفينيقيون وكلهم هاجروا اليها من جزيرة العرب أو العراق الاّ الفلسطينيين

﴿ الأراميون ﴾ أما الاراميون فهم على رواية موسى نسل ارام بن سام بن نوح . وهم فروع شتى منهم الجبابرة والعمالقة الساميون . وقد اشتهر لهم ملك في دمشق الشام وهم أقدم سكان سوريا في ما نعلم وفي رأي البعض أنهم هم المعروفون على الآثار المصرية «بالرّتنو» * وقد مرَّ بنا ان المصريين القدماء أطلقوا اسم «الآمو» على جميع سكان سوريا الساميّين . ومنهم «الهيروشايتو» أو أسياد الرمال سكان بلاد التيه والعريش . «والمونيتو» سكان بلاد الطور

﴿ الكنعانيون ﴾ أما الكنعانيون فقيل انهم نسل كنعان بن حام بن نوح وأولاده الاحد عشر . والمشهور انهم هاجروا الى سوريا من رأس خليج العجم مما يلي بلاد العرب في القرن الثالث والعشرين قبل المسيح أي سنة ٢٢٥٠ : ٢٣٠٠ ق . م وقد انتشروا في شمال البلاد وجنوبها وسواحلها الغربية وسكنوها مع الاراميين وكان لهم شأن مع العبرانيين كما هو معلوم في التوراة

﴿ الحثّيون ﴾ وأما الحثيون فهم على رواية موسى فرع من الكنعانيين نسل حث بن كنعان وهم فريقان : الحثّيون الجنوبيون وقد سكنوا مع الكنعانيين في جهة الخليل ومنهم العمالقة الحاميون وكان لهم شأن مع العبرانيين . والحثيون الشماليون سكنوا شمال سوريا مع الرتنو فتوطّنوا أولاً جبل أمانوس المعروف بجبل اللكام ثم تقوّوا تدريجاً وأسسوا ملكاً عظيماً وكان لهم شأن كبير مع مصر كما سيجيء

﴿ العبرانيون ﴾ أما العبرانيون ويقال لهم الاسترائيليون واليهود فهم نسل ابرهيم الخليل وقد مرَّ بنا ذكر تاريخهم منذ هاجر ابرهيم من أرض العراق ثم ذكر تغربهم في أرض مصر ورجوعهم الى سوريا عن طريق سيناء الى أن أسسوا ملكاً في أورشليم. وكان لهم شأن عظيم مع مصر وسنأتي على خلاصة تاريخهم منذ تأسيس ملكهم الى اليوم

﴿ الفلسطينيون ﴾ أما الفلسطينيون فأسفار موسى لا تبحث في أصلهم ولكن جاء في (عا ٩ : ٧) : « قال الرب ألم أصعد اسرائيل من أرض مصر والفلسطينيين من كفتور » . ويتبين من قول ارميا النبي (ص ٤٧ : ٤) أن كفتور هذه جزيرة

وذُكر في تاريخ مصر ان قوماً من آسيا الصغرى وجزيرة كريت أو قبرص هاجموا مصر برًّا وبحرًّا في أوائل القرن الثاني عشر للمسيح وكان على مصر اذ ذاك رعمسيس الثالث من ملوك الدولة العشرين فانتصر عليهم وأسر السواد الأعظم منهم وأسكنهم في جنوب بلاد كنعان في التخوم الفاصلة بين مصر وسوريا في غزة وضواحيها فتناسلوا هناك وتقووا برًّا وبحراً حتى أقدموا على مهاجمة صيداء سنة ١٢٠٠ ق . م ؟ وكانوا أكبر أعداء بني اسرائيل وقد حصلت بين الفريقين وقائع شتى مشهورة في التوارة . وبقوا حتى اندمجوا في سكان جنوب سوريا فألفوا معهم شعباً واحداً

﴿ الفينيقيون ﴾ أما الفينيقيون الذين نالوا تلك الشهرة الواسعة في تاريخ سوريا فهم سكان فينيقية وهو الاسم الذي أطلقهُ اليونان على سواحل سوريا الغربية وما جاورها من جبل لبنان . والظاهر ان أول من سكن هذه السواحل الاراميون . ثم لما هاجر الكنعانيون الى سوريا سكنوها معهم الاَّ ساحل لبنان بين طرابلس وصيداء فالمشهور ان سكانهُ بقوا أراميين صرفاً * ومعلوم ان تمدن الفينيقيين قديم جداً ولكنهُ زها منذ عهد الدولة التاسعة عشر المصرية أي منذ ٢٠٠٠ ق . م

وللفينيقيين الفخر في أنهم أوَّل من اخترعوا الملاحة واحتكروها قروناً لم يكن لهم فيها مبارٍ فكانوا في تلك الأعصر القديمة أسياد البحار كالانكليز في هذا العصر وقد بلغت سفنهم أقاصي البلاد المعمورة فكانوا يتجرون مع الهند شرقاً وبلاد اليونان وآسيا وايطاليا واسبانيا وجزائر بريطانيا غرباً وقد بلغوا البحر الأسود وبحر البلطيق شمالاً وطافوا بأسطولهم حول أفريقيا كما هو مشهور في التاريخ

وكان لهم سفن صغيرة متينة واسعة القعر تأتي الشطوط المصرية وتذهب صُعداً في النيل الى مصر العليا . ونرى الآن على جدران أحد القبور في الكرنك صورة تمثل سفنهم عند وصولهم الى ثيبة * هذا ولم تكن تجارة الفينيقيين تقتصر على البحر بل

كانت لهم أيضاً تجارة في البرّ فكانت قوافلهم تنتاب العراق ومصر وجزيرة العرب

وأما مصنوعاتهم التي اخترعوها واتجروا بها ونالوا منهـا الغنى الوافر فأهمها : الأرجوان . والزجاج الشفاف . وآنية النحاس الاصفر . والآنية الخزفية . وصياغة الجواهر الكريمة . وصنع العاج . وكلها من الاختراعات الفنية الجميلة التي كانت تزهو بها قصور الملوك والعظماء في تلك العصور * ولكن أهمّ ما اخترعوهُ وخلّد لهم الفخر في التاريخ « الحروف الهجائية » وهي أُس الحروف الهجائية لجميع لغات العالم . وقد كانوا ينقلون حروفهم هذه مع مصنوعاتهم الى جميع البلاد العامرة ويتجرون بها

ثم ان تجارتهم الواسعـة دعتهم الى تأسيس مراكز ومهاجر في جزر البحر المتوسط وشطوطهِ كقبرس ورودس وصقلية وبعض جهات اسبانيا . وأهمّ مهجر لهم مدينة « قرطاجة » التي قامت على انقاضها مدينة تونس في شمال أفريقيا أسسوها في القرن التاسع قبل المسيح وأقاموا فيها مملكة قوية ناوأت رومية في عزّ مجدها في عهد بطلها هنيبال الكبير ودامت الى أن تغلب عليها الرومان وخربوها سنة ١٤٦ق.م

ولم تكن فينيقية قديماً على صغرها حكومة واحدة بل كانت كل مدينة مع ضواحيها وقراها حكومة صغيرة قائمة بذاتها . ولكن كثيراً ما كانت تلك المدن تعترف بالزعامة لاقواها . وقد تولى هذه الزعامة بالتناوب مدينتان عظيمتان وهما :

صيداء من سنة ٢٢٠٠ : ١٢٠٠ ق . م * ثم صور من سنة ١٢٠٠ : ٥٧٤ ق . م

أما صيداء فقد احتكرت التجارة في الشرق برًّا وبحراً الى سنة ١٥٠٠ ق . م وكان اليونان في هذا العهد قد أصبحوا مملكة قوية فنافسوها في الأرخبيل الرومي وأجلوا الفينيقيين عن جزائره . وانتهز الفلسطينيون فرصة ضعفهم فاستولوا على مدينتهم صيداء وخربوها سنة ١٢٠٠ ق . م ؟

هذه هي أهم الشعوب التي سكنت سوريا في القديم وكلها تقريباً فروع لأصل واحد ساميّ كما رأيت . ومع ذلك فقد دلَّ تاريخها القديم والحديث انهُ لم يقم فيها في عصر من عصور التاريخ مملكة واحدة عامة جمعت كلمة ابنائها كلهم على اختلاف

الفروع وذلك لتنوع طبيعة أرضها وقلة وسائل الاتصال والتعارف بين جهاتها فتنوعت الطبائع وتشعبت الأغراض والأديان فكان ذلك باعثاً لاضعاف المجموع وانقسامهِ

ثم بالنظر لموقع البلاد الجغرافي بين الشرق والغرب أصبحت عرضة لكل فاتح أوغازٍ برًّا أو بحراً و بالنظر لانقسام أهلها كان الفاتحون يفتحونها بلاداً بلاداً بلا كبير عناء

وقد تناوبتها دول مصر والعراق والغرب منذ أقدم أزمنة التاريخ فافتتحها أولاً البابليون . ثم المصريون في عهد الدولة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة . ثم الأشوريون على يد شلمناصَّر سنة ٧٢١ ق.م . ثم اليونان على يد الاسكندر سنة ٣٣٢ ق. م وقامت بعدهُ فيها دولة السلوقيين وكان بينها و بين البطالسة في مصر حروب يأتي ذكرها . و بقيت الى أن افتتحها الرومان سنة ٦٤ ق . م . ثم العرب المسلمون سنة ٦٣٨ ب. م وجعل الأمويون فيها دمشق الشام عاصمة المملكة العربية سنة ٦٦١م . ثم قام العباسيون سنة ٧٥٠ م فنقلوا عاصمة المملكة العربية الى بغداد كما مرّ

وفي هذا العهد تداولت سوريا دول مصر والعراق فكانت تارة تابعة لمصر وتارة لبغداد أو قسماً تابعاً لمصر وآخر لبغداد الى سنة ١٠٧٦م اذ استولى عليها الأتراك السلجوقيون وكانوا السبب في اثارة الحروب الصليبية التي انهكت سوريا نحو ٢٠٠ سنة وملك الصليبيون أجزاءً منها كما مرّ

وقبيل نهاية هذه الحروب غار التتر على بغداد سنة ١٢٦٠ م فافتتحوها ثم أتوا سوريا فخربوها وأعملوا بأهلها السيف فطردهم منها قطُز أحد المماليك البحرية بمصر وملكها الى الفرات و بقيت بيد المماليك البحرية ثم المماليك الجراكسة الى أن افتتحها الأتراك العثمانيون على يد السلطان سليم الفاتح سنة ١٥١٦م وما زالت بيدهم الى اليوم

وتقسم سوريا الآن ادارياً الى أربع ولايات : حلب . والشام . و بيروت . والقدس . ومتصرفية لبنان. وسكانها مزيج من الأراميين والكنعانيين واليهود والسمرة والفلسطينيين واليونان والرومان والعرب والصليبيين والأتراك والافرنج وغيرهم . وقد اندمجت هذه الاجناس بعضها ببعض حتى أصبحت جنساً واحداً يعرف بالجنس السوري ولكن الأديان والمذاهب ما زالت تميز أهلها فهم في المذهب نصارى:

روم أرثوذكس . وروم كاثوليك . وموارنة . وبروتستانت وغيرهم . ومسلمون : سنيون وشيعيون متاولة . ونصيرية . ودروز . ويهود قرّائون وربانيُّون . وسمرة

ويقدّر عددهم بنحو ثلاثة ملايين كما يأتي :

٩٠٠,٠٠٠	في ولاية حلب	٣٥٠,٠٠٠	في ولاية القدس
٨٥٠,٠٠٠	في ولاية الشام	٤٠٠,٠٠٠	في متصرفية لبنان
٥٠٠,٠٠٠	في ولاية بيروت	٣,٠٠٠,٠٠٠	المجموع

منهم نحو نصف مليون بدواً ومليونان ونصف مليون حضراً

أو نحو مليونين الآر بع مسلمين ومليون الآر بع نصارى ونصف مليون من سائر الطوائف

أما المسلمون فأكثرهم سنّية . وأما النصارى فنهم نحو ٣٠٠ الف روم أرثوذكس و ٣٠٠ ألف موارنة و ١٥٠ الف روم كاثوليك و ٢٠ الف بروتستانت * وهناك ١٥٠ الف من الدروز و ١٠٠ الف من النصيرية و ١٠٠ الف من اليهود و ١٠ آلاف من الافرنج

أما اليهود فهم في ولايات القدس وحلب وبيروت والشام . والنصيرية في جبلهم في ولاية بيروت شرق اللاذقية وفي ولاية حلب . والدروز ثلثاهم في جبل حوران من ولاية الشام والثلث الآخر في قضا الشوف من جبل لبنان . والنصارى في كل الجهات لكن أكثر الموارنة في لبنان

﴿ ٣ . خلاصة تاريخ العراق ﴾

نعني بالعراق جميع البلاد الواقعة ما بين النهرين الفرات ودجلة مع ان « العراق » يطلق في الأصل على القسم الجنوبي من هذه البلاد الى بغداد ويطلق على البلاد التي الى شمال بغداد اسم « الجزيرة » ولكن أطلقنا اسم العراق على البلاد كلها توسعاً

وهذه البلاد من أخصب بلاد الدنيا وأغناها والمشهور ان جنة عدن كانت فيها وأنها موطن الانسان الأول . ولقد قام فيها عدة ممالك اشتهرت في التاريخ وهي :

﴿ ١ . مملكة السومريين والأكاديين ﴾ وهي أقدم ممالكها

﴿ ٢ . مملكة الكلدان الأولى ﴾ وعاصمتها بابل على الفرات ولذلك تسمى أيضاً مملكة بابل . ومن مدنها اور الكلدانيين التي خرج منها ابرهيم الى أرض كنعان

كما مرّ . وقام في هذه المملكة سبع دول كانت الدولة الخامسة منها عربية وأشهر ملوك هذه الدولة الملك حمّورابي وقد مرَّ ذكرها

﴿ ٣ . مملكة أشور ﴾ قامت على انقاض مملكة بابل الأولى وكانت عاصمتها أشور ثم نينوى وكلتاهما على دجلة . ودامت هذه المملكة من نحو سنة ١٣٠٠ ق.م الى نحو سنة ٦٠٩ ق . م وكان لها شأن مع مصر وسوريا كما سيجيء

﴿ ٤ . مملكة بابل الثانية ﴾ دامت من سنة ٦٠٩ : سنة ٥٣٩ ق . م وكان أشهر ملوكها نبوخذنصَّر

﴿ ٥ . مملكة مادي وفارس ﴾ قامت هذه المملكة أولاً في مادي . ثم تغلبت فارس عليها في أيام ملكها كورش فسميت مملكة مادي وفارس . ثم استولى كورش على بابل وعلى جميع أملاكها في سوريا سنة ٥٣٩ ق . م واستولى ابنهُ قمبيز على مصر . وهكذا طمى سيل الفرس في الشرق على الساميين الذين تسلطوا على غرب آسيا قروناً وأظهروا من البأس والسطوة والتمدن والعلم ما لم يظهرهُ شعب آخر من شعوب آسيا

﴿ ٦ . المملكة اليونانية أو السلوقية ﴾ ودامت مملكة مادي وفارس على العراق حتى افتتح الاسكندر بابل من ملكها داريوس سنة ٣٣١ ق . م وبعد موت الاسكندر آلت الى يد قوادهِ فاستولى السلوقيون عليها وعلى سوريا معاً فبنى سلوقوس مؤسس الدولة السلوقية مدينة على العاصي وسماها انطاكية على اسم أبيهِ وجعلها كرسي ملكهِ وهجر بابل وبنى مدينة على دجلة سماها باسمهِ

﴿ ٧ . مملكة الفرثيين ﴾ وبقي حكم السلوقيين على العراق حتى انتزعها الفرثيون منهم سنة ١٧٤ ق . م فدام ملكهم الى سنة ٢٢٦ ب . م

﴿ ٨ . المملكة الساسانية ﴾ أو الفارسية الوسطى . خلفت مملكة الفرثيين على العراق وكانت مدتها ٤١٠ سنين من سنة ٢٢٦ : سنة ٦٣٦ ب . م . وظهر فيها ٢٨ ملكاً أشهرهم أزدشير الأول مؤسس المملكة ثم كسرى انوشروان ويزدجرد الثالث المار ذكرها

﴿ ٩ . الخلافة العربية ﴾ وفي سنة ٦٣٦ م غزا العرب العراق في خلافة عمر بن الخطاب وملكوها من الفرس . وفيها نشأت الدولة العباسية وكانت عاصمتها بغداد

«١٠. المملكة التترية» وبقيت الى سنة ١٢٥٨م اذ تغلب عليها هولاكو التتري وأسس فيها الدولة التترية ثمَّ استولى عليها تيمورلنك سنة ١٣٩٣ وتوفي سنة ١٤٠٥

«١١. المملكة الفارسية» وضعفت البلاد بعد تيمورلنك وكان الفرس قد تقووا وأسسوا مملكة في طهران فهاجموا بغداد في عهد ملكهم الشاه اسماعيل الأول فافتتحوها سنة ١٥٠٢ م

«١٢. السلطنة العثمانية» واستولى الترك العثمانيون على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ فلم يسعهم أن يكون الفرس شوكة في جنبهم فسعوا لفتح العراق منذ أيام السلطان سليم وتمَّ لهم ذلك في أيام السلطان سليمان الكبير سنة ١٥٣٤م كما مرّ * ولكن الفرس أعادوا الكرة على بغداد سنة ١٦٢٠ في عهد الشاه عباس الاول و بقيت الى أن قام السلطان مراد الرابع فاسترجعها من الفرس سنة ١٦٣٨ ودامت بيد الأتراك حتى هذه الحرب.

وتقسم العراق اداريًا الى ثلاث ولايات: الموصل. و بغداد. والبصرة. ومتصرفية الزور

و يقدر عدد سكانها بنحو ثلاثة ملايين وكلهم عرب النصف حضر والنصف الآخر بدو متحضرون أو بدو صرف. وهناك بعض عشائر الأكراد في السليمانية وغيرها

وهم في المذهب مسلمون: سنّيون وشيعة. ومسيحيون: كلدان وسريان و يعاقبة. و يهود: قرائون وربانيون * وتسعة أعشارهم مسلمون والعشر الباقي من سائر الطوائف. و بين المسلمين أسرات من آل البيت أشهرهم:

«الفاروقيون» من سلالة عمر بن الخطاب و يسكنون الموصل. وكبيرهم حسن بك العُمري. ومنهم محمد شريف الفاروقي من الضباط النجباء

«والسادة» من سلالة علي بن أبي طالب. يسكنون الموصل و بغداد والبصرة. وكبيرهم السيد طالب النقيب * «والسُّويديُّون» من سلالة الخلفاء العباسيين. وكلهم في بغداد

«والجيلانية» في بغداد وهم ذرية عبد القادر الجيلاني من أكبر أقطاب الصوفية المدفون ببغداد. وكبيرهم السيد عبد الرحمن النقيب

«والألوسيون» من أشهر أسرات بغداد وأقدمها وكبيرهم السيد محمود شكري الألوسي وهو مروّج مذهب السلَفية (الوهابية) في العراق

﴿ ٤ . خلاصة تاريخ مصر ﴾

وما كان بينها وبين سوريا والعراق وجزيرة العرب
من الوقائع الحربية والصلات التجارية وغيرها

« عن طريق سيناء »

منذ أول عهد التاريخ الى اليوم

كان المشهور الذي عليهِ الجمهور ان سكان مصر القدماء هم أبنـاء مصرايم ابن حام بن نوح هاجر اليها من آسيا ولكن بعض المتضلعين من اللغة الهيروغليفية اكتشفوا حديثاً ان هذه اللغة واللغة العربية السامية هما من أصل واحد كما مرَّ . فاذا ثبت ذلك كان سكان مصر الأولون أجداد القبط الحاليين هم من أصل عربي قديم « وكان هذا هو الفتح العربي الأول لمصر »

وقد اختلف الباحثون في الطريق التي جاء منها الفاتحون الأولون ففريق يرى أنهم جاءوا من الجنوب عن طريق بوغاز المندب قالوا لأن أقدم تمدن في مصر بدأ في الصعيد . والفريق الآخر انهم جاءوا عن طريق سيناء

أما التمدن المصري فقديم جداً يرجع الى نحو خمسة آلاف سنة قبل المسيح . وقد قام على مصر في عهدها القديم ٣١ دولة عرفت بدول الفراعنة امتد حكمها من سنة ٥٠٠٤ : ٣٣٢ ق . م وتركت في وادي النيل من الآثار النفيسة الفخمة كالأهرام والنُّصُب والتماثيل ما لا يزال الى اليوم ناطقاً بفضلها وشاهداً بسمو منزلتها في الزراعة والصناعة والعلم

ودلَّ تاريخ مصر القديم كما دلَّ تاريخها الحديث انها بلاد مطموع بها لخصب واديها وكثرة خيراتها فكانت كلما ضعف سلطانها وانشقت كلمة أبنائها وكان لملوك البلاد المجاورة لها أو الطامعة بها شيء من القوّة والعصبية زحفوا عليها وامتلكوها الى أن يقوم من ملوكها الأصليين من يضمُّ كلمتها ويجمع شتاتها ويردُّ الملك الى أهلها فيحافظ على حدودها الطبيعية أو يمدُّ فتوحاتهِ شرقاً الى الشام والعراق وجزيرة العرب

أو غرباً الى صحراء ليبيا أو جنوباً الى السودان . لكن أهم ما يلفت النظر في تاريخ مصر انهُ منذ افتتحها الاسكندر سنة ٣٣٢ ق. م لم يقم فيها دولة وطنية صرفاً الى اليوم

ونحن لا نأتي في هذه الخلاصة من تاريخ مصر الاّ بما كان لهُ علاقة مع جاراتها عن طريق سيناء استيفاءً لموضوعنا

الدولة السادسة المصرية . وبلاد فلسطين

وأول ملك ذكره التاريخ من ملوك مصر الذين كان لهم علاقة مع جارات مصر عن طريق سيناء : الملك پيپي الأول (سنة ٤١٦٧ : ٤١٤٤ ق . م) مؤسس الدولة السادسة فاننا نقرأ في الآثار انهُ وجَّه قائدهُ أُوني بجيش جرّار الى «الهيروشايتو» أسياد الرمال القاطنين بين جبال التيه والبحر الميت لاعتدائهم على أرض مصر فقتل منهم خلقاً كثيراً وأحرق مساكنهم وعاث بأشجارهم وكرومهم وعاد الى مصر بالغنائم والأسرى . وقد سُرَّ الملك پيپي بما أوتي من النصر على يد قائده فأنعم عليهِ بأفضل ما كان ينعم بهِ على القواد الفاتحين فقلدهُ الصولجان وأذن لهُ في لبس النعال في حضرتهِ»

الدولة الثانية عشرة المصرية . وسيناء وفلسطين

ثم كانت الدولة الثانية عشرة وقام من ملوكها امنمحعت الأول (سنة ٣٤٥٩هـ : ٣٤٢٩ ق . م) فعزّز الحصون التي أقامها أسلافهُ على حدود مصر الشرقية بين رأس خليج السويس وفم الفرع البليوسي . وقد حافظ خلفاؤه على تلك الحصون ولم يتعدّوها لأن ملوك هذه الدولة لم يكن يهمُّهم السيطرة على سادة الرمال ما داموا محترمين الحدود المصرية

﴿ مملكة الكلدان الأولى ﴾ وفي أواخر عهد الدولة الثانية عشرة المصرية اشتهر للكلدان دولة على الفرات . وكان لها اتصال مع سوريا ومصر

﴿ تجارة مصر وآسيا ﴾ وكانت تجارة آسيا من قبل الدولة الثانية عشرة بأزمان رائجة في أسواق مصر . وكان التجار السوريون يأتون اليها بالعبيد والعطور وخشب الأرز وعطر الأرز والكؤوس المنقوشة بالميناء والحجارة الكريمة وحجارة اللازوَرد والأقمشة الصوفية المصبوغة والمطرزة التي احتكر الكلدان تجارتها الى زمن الرومان

وكان تجار الدلتا يقتحمون مخاطر الصحراء معرّضين أنفسهم للوحوش الكاسرة وقطاع الطرق ويحملون الى سوريا من مصنوعات مصر : الكتان الرفيع والحلي والفخار والفراء والتمائم وغيرها

﴿ مهاجرو آسيا في مصر ﴾ وكانت مصر السفلى من قبل هذا العهد بزمان ملجأ للمهاجرين والفارين من وجه الثورات في سوريا . جاء في الآثار : « انهُ في السنة السابعة من ملك أوسرتسن الثاني قدم الى مصر ٣٧ أسيويًّا من رجال ونساء وأولاد عن طريق صحراء بلاد العرب والبحر الأحمر ونزلوا في مقاطعة « الغزال » فاستقبلهم كبير الصيادين « خيتي » وأتى بهم الى الأمير « خمهتبو » فقدموا لهُ الهدايا: الكحل وصباغاً أخضر للعين وتيتلين حيّين فأمر الأمير بحفر صورهم على جدران ضريحهِ في قبور « بني حسين » تذكاراً لزيارتهم وما زال هذا الأثر محفوظاً الى اليوم

﴿ مهاجرو مصر في آسيا ﴾ هذا وكان الجناة المصريون والمجرمون السياسيون الفارون من وجه الفراعنة يجدون ملجأ عند قبائل آسيا وكانوا يستقبلونهم على الغالب بالحفاوة والتكريم . وفي الآثار المصرية ذكر أخبار بعضهم

﴿ قصة البطل سنوهيت ﴾ حُكي ان امنمحت الأول مات فجأة ولما بلغ منعاه اوسرتسن الأول كان « سنوهيت » ابن امنمحت جالساً بالقرب من الخيمة الملكية فخشي أن يأمر اوسرتسن بقتلهِ ففرّ هارباً حتى اجتاز الحدود الشرقية وأوغل في الصحراء . وحدّث عن نفسهِ قال : « لما لاح الفجر كنت قد وصلت الى « بُتني » فسرت منها الى بحيرة « كيموريري » واشتدّ بي الظمأ حتى شعرت بحشرجة الموت في حلقي ثم سمعت خوار قطعان فالتفتُّ فاذا بجماعة من الأسيويين مقبلين نحوي وكان زعيمهم قد سبق انهُ جاء مصر فعرفني فقدَّم لي الماء فشربت ثم قدّم لي اللبن وأتى بي الى مخيّمهِ . ومنهُ ذهبت الى بلاد « كدومة » فوجدت عند أميرها جماعة من المصريين قد لجأوا اليهِ فراراً من الظلم نحاهم فاستأنست بهم اذ سمعتهم يتكلمون لغة مصر . وأحبّني أمير كدومة فازوجني بابنتهِ وأقطعني أرضاً جميلة على حدود بلادهِ تدعى «آيا» فيها كثير من شجر التين والعنب والزيتون وغيره من

الأشجار المثمرة . وفيها الخمر أكثر من الماء والعسل والقمح والدقيق وجميع أنواع الماشية . وقد جعل لي راتباً يومياً من الخبز والخمر والزبدة واللبن على أنواعهِ واللحم المطبوخ ولحم الطير والصيد علاوة على ما كانت تأتيني بهِ كلاب الصيد . فبقيت على الحدود حتى وُلد لي أولاد وكبروا وأصبح كلّ منهم رئيس قبيلة . وكان كلما ذهب رسول الى الداخلية أو عاد منها عرَّج في طريقهِ عليَّ فكنت أعامل الجميع بلطف أسقي العطشان وأهدي التائه واؤدب قطـاع الطرق . وكنت أقود قبيلة « البيتاتو » وأغزو بهم البلاد الأجنبيـة البعيدة . فأهاجم القبائل في آبارها فأقتل منها وأغنم قطعانها وأستأسر عبيدها فرهبت القبائل سطوتي وملأ ذكري الأقطار .

ولما رأى أمير البلاد شجاعتي وحسن درايتي زاد حبّه بي وجعلني زعيم أولادهِ

وكان في بلاد « تونو » بطل مشهور تهاب لقاءه الأبطال فلما رأى منزلتي عند الأمير حسدني على ذلك فأتى يوماً الى مخيّمي طالباً نزالي فأخبرني الأمير بأمرهِ . فقلت اني لا أعرف هذا البطل ولا أسأت اليهِ ولا أتيت منزلهُ ولا دخلت خباءهُ . لا شك انهُ حسدني وظنَّ انهُ يتغلّب عليَّ ويستولي على ما أملك من القطط والنعاج والثيران والأسلحة . فحنيت قوسي وأخرجت سهامي وهيأت أسلحتي . وما لاح الفجر حتى ازدحمت بلاد « تونو » بمن اجتمع من قبائلها وقبائل البلاد المجاورة لها للتفرج على مبارزتنا وكانوا يتساءلون هل في الناس بطل كفوءٌ لي . ثم أقبل العدوّ ومعهُ ترس وباطة ورمح وقوس وقبضة من السهام . فشرعنا في المبارزة وكان هو البادئ فأخذ يرميني بالسهام وأنا أقصيها عني فلم يمسني واحد منها . ثمَّ أطلقت سهمي عليهِ فنفذ في عنقهِ فصاح وسقط الى الارض على وجههِ فأخذت رمحهُ ووقفت على ظهرهِ وصحت صياح الظفر والانتصار فضجَّ المتفرجون بأصوات الفرح والتهليل وجعل اتباعهُ الذين كانوا يقاسون من ظلمهِ يشكرون « مونتو » . وأنعم عليَّ الامير « اميانشي » بكل ما كانت تملكهُ يدا المغلوب فكثرت كنوزي وزاد عدد مواشيَّ »

انتهى ملخصاً عن « فجر العمران »

دول الرعاة وهي الدول الخامسة عشرة الى السابعة عشرة المصرية

وكان أول من هاجم مصر من الخارج وتملكها في عهدها القديم « الرعاة » أتوها عن طريق البتراء أو طريق الفرما وأسسوا فيها الدول الخامسة عشرة الى السابعة عشرة . وقد اختلف المحققون في أصلهم فقد سمّاهم مؤرخو اليونان « الهكسوس » ومعناه الملوك الرعاة . وهذا الاسم يوافق كلمة « حق شاسو » من لغة المصريين القدماء أي ملك البوادي . وسماهم مؤرخو العرب العمالقة . قال ياقوت : « ان العمالقة امتدوا من بلاد العرب الى سوريا فكانوا ملوكاً في سوريا وفراعنة في مصر »

وزعم بعض المؤرخين انهم رعاة فينيقيون . والبعض انهم ادوميون من جبل سعير . والبعض انهم لفيف من القبائل الرحّالة عليهم ملوك من الحثيين الذين أسسوا ملكاً قوياً في سوريا الشمالية كما مرَّ . وخلاصة القول انهم قوم رحالة أو عرب أتوا من المشرق « فاذا ثبت ذلك كان هذا هو الفتح العربي الثاني لمصر »

والظاهر انهم كانوا من جنس عرب سوريا لأن في أيامهم عمّ السلام بين مصر وسوريا ونزح كثير من السوريين الى مصر . وقد أجمع المؤرخون ان تغرب بني اسرائيل في مصر كان في عهد الرعاة لأن أحوال مصر في زمانهم كانت كما تمثلها التوراة مدة تغرب اسرائيل فيها . ولكن المنقبين في الآثار المصرية لم يجدوا شيئاً يدلُّ صراحة على هذا التغرب الاّ أنهُ وجد في مصر العليا كتابة على قبر رئيس اسمهُ بابا عاش في عهد الدولة السابعة عشرة تدل أنهُ حصل قحط في أيامهِ دام عدة سنين فتعين هو لتوزيع القمح على الناس في المدينة لئلاّ يهلكوا جوعاً . فاستدل البعض من ذلك أنهُ الجوع الذي حصل في أيام يوسف الصدّيق

الدولة الثامنة عشرة المصرية . والرتنو والحثيون في سوريا . والكلدان في العراق

وبقي الرعاة سائدين في مصر حتى أخرجهم منها احمس مؤسس الدولة الثامنة عشرة * وخلفهُ تحوتمس الأول فانتصر على « الرتنو » في شمال سوريا وتوغل في سوريا حتى بلغ الفرات فوصل حدًّا لم يصلهُ ملك قبلهُ من ملوك مصر وقد انتصر على ملك الكلدان في موقعة فاصلة على الفرات عند كركميش فأقام هناك نصباً دوَّن فيهِ انتصاراتهِ وعدَّهُ حدّ مملكتهِ الشمالي

وخلفهُ تحوتمس الثاني فملك مع أختهِ هتشبسوت زمناً قصيرًا . ثم مات فلكت اختهُ وحدها مدة . ثم ملكت مع أخيها تحوتمس الثالث (١٤٨١ : ١٤٤٩ ق. م.) فكان لهُ في سوريا غزوات نقشت أخبارها على جدران هيكل الكرنك وخلاصتها :

« انهُ ارتقى الى منصّة الملك طفلاً فكانت اختهُ هتشبسوت تدير الملك فثار السوريون وأبوا دفع الجزية ولم يبقَ على طاعة مصر الاّ غزَّة . فلما شب تحوتمس غزا سوريا والفرات ست غزوات بين السنة الـ ٢٣ والسنة الـ ٤٢ من ملكهِ »

« ففي الغزوة الأولى كان ملوك سوريا والكنعانيون قد ألقوا القيادة العامة على ملك « قادس » (مدينة على العاصي قرب حمص) وحشدوا معظم جيوشهم في مجدّو (اللجون في جانب جبل الكرمل) فزحف تحوتمس عليهم بجيوشهِ وانتشب القتال في ظاهر المدينة فانهزمت جيوش الحلفاء وتبعتهم جيوش تحوتمس الى أسوار المدينة وكان حراسها قد أقفلوا الأبواب فألقوا الحبال من أعلى السور ورفعوا المنهزمين . فحصر تحوتمس المدينة وضيَّق عليها حتى اضطرها الى التسليم . ثم سار في مرج ابن عامر مخترقاً شمالي سوريا حتى أتى الفرات وقد بلغت المدن التي دانت لهُ في هذه الغزوة ١١٩ منها بيروت دمشق . وعاد الى مصر ظافراً ومعهُ آلاف من الاسرى ومن الغنايم ٩٤٢ مركبة و ٢٠٤١ فرساً وعدد كبير من الصفايح الذهبية »

«وفي الغزوة الثانية أتم اخضاع سوريا واجتاز الفرات ثاني مرة فدان لهُ الرّتنو الذين في عبر الفرات وأرسل اليهِ ملك بابل وملك أشُّور الجزية . وشاد حصناً على نهر الخابور بقيت آثاره الى الآن »

« وفي الغزوة الثالثة كان ملك « الرّتنو » في قادس قد لمَّ شعثهُ وأعد معدات الحرب واستمال اليهِ جميع سكان سوريا الشمالية فسار تحوتمس بطريق الساحل ففتح ارواد . وحاصر قادس فافتتحها عنوة . وعاد الى مصر منصوراً ومعهُ أبناء الملوك وأخوانهم رهائن فكان اذا مات أحد الملوك في سوريا أرسل من يخلفهُ من الرهائن التي عنده في مصر — على نحو ما كان جارياً في سلطنة الفور كما بيناه في كتابنا تاريخ السودان

« وفي الغزوة الرابعة اكتسح سوريا والعراق حتى بلغ نينوى وضرب على أهلها

الجزية . وكانت جزية بلاد « الحثيين » الفسيحة ٨ حلقات من الفضة وزنها ٣٠١ ليبرة وحجراً ثميناً كبيراً أبيض ومركبات وأخشاباً » — وهذه أول مرة ذُكر فيها الحثيون على الآثار المصرية * « وفي الغزوة الخامسة انتصر على « الرّتنو » وأدى اليهِ « الحثيون « الجزية فكانت ٤٠ ليبرة ذهباً و٢١ عبداً وامة وثيران وبقراً » * « وفي الغزوة السادسة كان ملك قادس قد حصَّن مدينتهُ وأغرى بعض ملوك سوريا بالخروج عن طاعة تحوتمس فزحف تحوتمس على سوريا وافتتح قادس عنوة وبدَّد شمل الحلفاء

وخلفهُ تحوتمس الرابع فوجد في هيكل « آمون » في الاقصر حجر مكتوب عليهِ هكذا : « غزوة الملك تحوتمس الرابع لبلاد الحثيين »

وكانت جنود هذه الدولة أرقى نظاماً وأكمل تدريباً من جميع الجيوش التي جنَّدتها مصر الى ذلك العهد. وذكر في الآثار : « انهُ لم يكن يصعب على جنود مصر التغلب على سوريا ليس لأن السوريين كانوا أقل شجاعة وأسوأ نظاماً من المصريين بل لأن السوريين كانوا أقلّ جنداً ولأن طبيعة بلادهم وصعوبة المواصلات فيها وقفتا في سبيل اتحادهم وتعاضدهم »

﴿ التجارة بين مصر وسوريا ﴾ وفي عهد هذه الدولة راجت التجارة بين مصر وسوريا رواجاً لم يسبق له مثيل فقد كان الاتصال ما بين القطرين برًّا وبحراً أشدَّ مما كان عليهِ في عهد أية دولة تقدمتها . وكان أهم ما أتى بهِ التجار السوريون الى مصر : « العبيد. والخيل. والبقر . والثيران الحثية. والسمك المقدد. والطيور المغردة على أشكالها . والحجارة الكريمة وأهمها حجر اللازَوَرْد . والخشب للبناء والزينة . والالات الموسيقية . والحراب من البرونز والحديد . والعربات. والأقمشة المزركشة والمصبوغة . والعطور . والزيت . والخمور وغيرها . وكانوا يدفعون رسماً جمركياً على الحدود سواء حضروا بالبر أو بالبحر

وكان التجار المصريون ايضاً يدفعون رسماً جمركياً لملوك الحثيين واشور وبابل. وأهم ما اتجروا بهِ مع سوريا وبابل واشور : « الأسلحة . والاقمشة . والأدوات المعدنية . ونفيس الأثاث »

﴿ الأجانب في مصر ﴾ وكانت مصر في ذلك العهد مفتوحة في وجه الأجنبي المهاجر من سوريا وغيرها فكان يأتيها ويتزوَّج فيها ويقتني عقاراً وأطياناً زراعية وكانت لهُ الحرية التامة في ممارسة شعائرهِ الدينية بل كانت وظائف الحكومة مفتوحة أمامهُ . ونرى في جبانة ثيبة قبوراً لغير واحد من الضباط السوريين أو المولودين في مصر من والدين سوريين ممَّن عاشوا في البلاط الملكي

وكان المهاجرون الى مصر بنيَّة التوطُّن فيها وعدم الرجوع الى بلادهم يتمتعون بجميع الحقوق والامتيازات التي كان يتمتع بهـا أهل البلاد الأصليون . وأما الذين كانت اقامتهم وقتية فقد أقاموا فيها تحت شروط معينة

ومعلوم أن هذا التسامح من جانب مصر نحو المهاجرين المتوطنين في البلاد هو في مصلحة مصر كما هو في مصلحة الأجنبي ويدل على نبوغ المصريين في ذلك العهد وتفوّقهم في فن الاقتصاد السياسي ووقوفهم على أسرار رقيّ المجتمع الانساني

الدولة التاسعة عشرة والعشرون المصرية . ومملكة الحثيين في شمال سوريا

﴿ مملكة الحثيين ﴾ وقد ظهر بأس الحثيين وسطوتهم في شمال سوريا في عهد الدولة الـ ١٩ المصرية اذ كانوا في هذا العهد قد تغلّبوا على « الرّتنو » واستولوا على سوريا الشمالية كلها وكان أول ملك اشتهر لهم في التاريخ « سابَلْت » فقد نبذ الطاعة لملك مصر وأغرى غيره من ملوك سوريا فنبذوا هم ايضاً الطاعة لمصر . وكان قد حصل في آخر عهد الدولة الـ ١٨ المصرية اضطراب سياسي ديني أضعف قوة مصر فأصلح رعمسيس الأول (١٣٨٠ ق . م) مؤسس الدولة الـ ١٩ شؤون البلاد . ثم اهتم باعادة سوريا الى الطاعة فحشد الجيوش وزحف على فلسطين فلم يصادف فيها مقاومة شديدة . وتقدم شمالاً الى العاصي فقابلهُ ملك الحثيين بجيوش لم تكن في حسبانهِ وكانت بينهما حرب لم نطلع على تفصيلها والأرجح ان رعمسيس أضرب عن تدوينها لأنها لم تكن مشرفة لهُ

ولم يكن الفراعنة قبل هذا العهد يحسبون ملوك سوريا مساوين لهم فيتنازلون لعقد صلح معهم بل كانوا يحسبونهم اعداء ينكلون بهم أو عصاة يعاقبونهم . فلما قامت

دولة الحثيين رأينا رعمسيس قد عقد صلحاً مع ملكهم دلَّ على تكافؤ الملكين

وخلف رعمسيس ابنهُ ساني الأول سنة ١٣٢٦ ق . م . ففي السنة الأولى من ملكهِ حارب العرب لأنهم اكثروا من السطو على تخوم مصر الشرقية . وفي السنة التالية زحف على سوريا ففتح قلعة قادس من الحثيين بعد قتال تعددت فيهِ الوقائع . ولكن لم يكن فتح قادس ختام القتال فان الحثيين دافعوا عن بلادهم شبراً شبراً وكانوا كلما طال أمد القتال اشتدت عزائمهم وعظمت حميتهم حتى أعيوا ساني فاضطر أن يعقد صلحاً مع ملكهم «متنار» ضمن لهم فيهِ بلادهم وأعاد لهم مدينتهم قادس ولم يُلزَموا الاَّ بالكف عن الاعتداء على الاعمال المصرية في سوريا وهي فلسطين وفينيقية وقد أرسل ساني اليها عمَّالاً مصريين وأقام حاميات دائمة في حصون غزة وعسقلان ومجدُّو وغيرها

وخلفهُ رعمسيس الثاني الغازي الشهير سنة ١٣٠٠ ق . م . ففي السنة الرابعة بدت آثار ثورة في فلسطين يُرجَّح أن يداً حثية حرَّكتها فحمل رعمسيس عليها مرتين بلغ في احداهما مدينة بيروت وترك صورتهُ محفورة على صخر عند مصب نهر الكلب

وكان الحثيون إذ ذاك في أوج عزّهم فنقضوا الصلح الذي عقدوه مع أبيهِ وأخذوا يتأهبون لحربهِ . ومن الشعوب التي تحالفت عليهِ كما روت الآثار: سكان حلب. والجرجاشيون أحد فروع الكنعانيين . والأراميون سكان البقاع وارواد . ولم يعلم عدد الجيوش المتحالفة ولكن يظهر انهُ كان كبيراً جدًّا فان ملك حلب وحده جهَّز ١٨،٠٠٠ جندي وكان عدد المركبات الحربية ٢٥٠٠ أو اكثر

وجهَّز رعمسيس الثاني الجيوش الجرارة وزحف بها في السنة الخامسة من ملكهِ فسار بطريق الساحل الى طرابلس وكان أهل الساحل الى طرابلس ممالئين لهُ . ومن طرابلس ترك الساحل واتخذ طريق حمص وواقع الحثيين في عدة وقائع دموية

وكان مُتنار ملك الحثيين مدبّراً واسع الحيلة فكاد لرعمسيس حتى فصلهُ عن معظم جيشهِ وكاد يبطش بهِ لولا أن اسرع جيشهُ الى نجدتهِ فأنقذه من الخطر وأكسبهُ النصر . وقد وصف بنتأور الشاعر المصري حرب رعمسيس هذه مع الحثيين بقصيدة نقشت على جدران هيكل الكرنك تجاه الاقصر وكتبت في درج

من البابيروس محفوظ الآن في المتحف البريطاني بلندن ومما جاء فيه بلسان رعمسيس:

« كنت وحدي لا يصحبني قائد ولا جندي اذ دهمني العدو فصرخت أين أنت يا ابتاه « آمون رَع » (الشمس). هل يرى أبٌ ابنهُ في ضيق ويتركهُ في ضيقهِ. هل خالفت لك أمراً أم نبذت لك مشورة أم أتيت أي عمل لا ترضاهُ. هل وقفت أم مشيت ولم اشخص بنظري اليك ؟ هل تطيق أن يذلّ ملك مصر وسيدها لشعوب « الآمو » الذين يعاندونك ولا يقرُّون بالوهيتك؟ ألم أشيّد لك معابد تدوم آلافاً من السنين ! ألم أملأ هيكلك بالغنائم التي أحرزتها من الأعداء ؟ فبك استجير واياك ادعو يا أبتاه « آمون » .... قد استجابني « رَع » لما دعوتهُ ومدَّ اليَّ يده وقال : لا تخف يا رعمسيس أنا معك أنا أبوك « رَع » ويدي تعضدك. أنا خير لك من آلاف من الجند. أنا رب النصر وعشيق الشجاعة . فاذا رأيت شجاعاً باسلاً مثلك همت بحبهِ ومنحته النصر . . . وفعلاً نصرني على الأعداء فكنت أرمي سهامي بيميني مثل مونت (إله الحرب) واقبض بشمالي على الاعداء . وأرى الآن ٢٥٠٠ مركبة وأنا في وسطها وليس من رجالها من يمدُّ يداً للقتال فقد نولاّهم كلهم الرعب وشلت أيديهم فأغرقتهم بالماء كما يغرق التمساح »

« وكان ان رعمسيس ادركهُ جيشهُ وشبت نار الحرب النهار كلهُ الى أن أظلم الليل ثم تجدد شبوبها في اليوم التالي فكانت وقعة دموية دارت فيها الدائرة على الحثيين فانكسرت صفوفهم وقتل حامل سلاح الملك وقائد المشاة ورئيس الخصيان وكاتب الوقائع الرسمية وغيرهم. وحاول بعض المنهزمين أن يعبروا النهر سباحة فغرقوا ونجا مسرائيم أخو ملك الحثيين وغرق ملك « نينا » وانتُشل ملك حلب من الماء »

فأرسل ملك الحثيين الى رعمسيس في طلب الصلح يقول : « أيها الملك العظيم ان الحثيين يشتركون مع المصريين في تقديم خدماتهم أمام قدميك فان « رع » أباك السعيد نصرك عليهم وولاّك أمرهم فارفع عنهم غضبك فانك شديد البأس وقد نكلت بهم تنكيلاً أيحسن بك أن تفني عبيداً أنت سيدهم فلقد قتلت منهم مئات الالوف فان عدت الى القتال اليوم فلا يبقى من يخضع لك فامنحنا نعمة الحياة » اه

فعقد رعمسيس صلحاً مع الحثيين وعاد الى مصر . على أن ذلك الصلح لم يكن الاّ هدنة على ضغَن فان ملك الحثيين لم يلبث أن نفخ نار الثورة على رعمسيس في جنوب سوريا وتهيأ للحرب . فخرج رعمسيس بجيوشهِ في السنة الـ ١١ من ملكهِ وتمكن من استرداد عسقلان وشلاما (أورشليم) والكرمل وقهر جيوش الحلفاء في فلسطين وفينيقية وسهل البقاع ثم زحف على قادس فافتتحهـا مرة أخرى وتوغل في بلاد العاصي الى قلب بلاد الحثيين . ودامت هذه الحروب ١٥ سنة ولم تخمد جذوتها حتى قتل متنار ملك الحثيين غيلة في بعض المعارك

وخلفهُ أخوه « كيتاسار » أو خاتوسارو وكانت الدولتان المتحاربتان قد ملّتا القتال فعقدتا معاهدة صلح دلّت على تكافئهما وتساويهما في العظمة والكرامة وقد نقشت على جدار هيكل الكرنك ولا تزال محفوظة الى اليوم الاّ أن آخرها مشوّه. وهي أقدم معاهدة دوَّنها التاريخ وخلاصتها :

«انهُ في السنة الـ ٢١ من ملك رعمسيس محب آمون في اليوم الـ ٢١ من شهر طوبه بينما كان جلالتهُ في مدينة رعمسيس يقدّم الفرائض لأبيهِ آمون رع . . . وافاهُ مفوّضان من قِبل « كيتاسار » ملك الحثيين المعظّم ومعهما صحيفة من فضة كتبت عليها شروط الصلح والاخاء المؤبدين بين ملك مصر الكبير وكيتاسار ملك الحثيين الكبير وهذا هو الاتفاق الذي وُقّع عليهِ :

« قد كانت في أيام أخي مُتنار ملك الحثيين المعظّم حروب طال عهدها مع ملك مصر المعظّم . فمن الآن فصاعداً يكون سلام وإِخاء مؤبَّدان بين بلاد مصر و بلاد الحثيين فلا تنشأ بعد الآن عداوة بينهما البتة بل يكون ملك مصر المعظّم أخاً لي محافظاً على السلام وأنا اكون أخاً لهُ محافظاً على السلام . . . ويكون خلفاء رعمسيس العظيم على صفاء واخاء مع خلفاء كيتاسار العظيم . ويكون المصريون والحثيون على صفـاء واخاء تامين الى الأبد * فلا ملك الحثيين يسطو على أرض مصر ولا ملك مصر يسطو على أرض الحثيين . وأنا أرعى العهد الذي وقّعهُ سبالات ملك الحثيين والعهد الذي وقّعهُ أخي متنار وأسلك بموجبهما وكذلك يفعل ملك مصر *

واذا غشي عدوّ أرض مصر وطلب ملك مصر النجدة من ملك الحثيين لزم ملك الحثيين أن ينجده بنفسه واذا تعذّر عليهِ الحضور بنفسهِ أرسل رجالهُ وخيلهُ لنجدتهِ وكذلك اذا غشي عدوّ أرضَ الحثيين وطلب ملكهم من ملك مصر النجدة أنجدهُ بنفسهِ أو برجالهِ وخيلهِ * وكل جانٍ في احدى المملكتين حاول النجاة من جزاء وقع عليهِ بالفرار الى المملكة الأخرى لزم تسليمهُ الى رئيس قبيلتهِ . وكل عبد أبق من احدى المملكتين وأضرَّ بمولاه لزم ردّه الى مولاه . وكذلك كل متنقل لغير جناية . وكل مأخوذ جبراً . وكل صاحب صناعة أو فنّ انتقل من المملكة الواحدة الى الأخرى — كلٌّ من هؤلاء يردُّ الى بلاده اذا طلبتهُ ولكن لا يحسب انتقالهُ من وطنهِ على هذهِ الصوَر جناية فلا يمسُّهُ ضرر في بيتهِ ولا تُزعَج امرأتهُ ولا أولادهُ ولا تُضرَب أمهُ ولا يُضرَب هو على عينيهِ أو على فمهِ أو على قدميهِ ولا يُرفَع عليهِ دعوى جزائية * ويلزم أن تكون المساواة التامّة والاشتراك الكامل بين الشعبين المصري والحثي * هذا هو عهد الدفاع والهجوم الذي أبرم بين المملكتين . . . وقد استدعى كل من الملكين المتعاهدين الهتهُ للشهادة عليهِ والانتقام ممن يخالف شيئاً مما أُبرم فيهِ » اه

ويظهر انهُ في هذا الاتفاق كانت سوريا من جبيل فجنوباً للمصريين ومنهـا فشمالاً للحثيين . وقد حافظ الفريقان عليهِ وعمَّ السلام البلادين وأمنت السبل وراجت التجارة برًّا وبحراً . وتزوج رعمسيس بنت كيتاسار ودعا حماهُ لزيارة مصر فاستقبلهُ في مدينة رعمسيس التي شادها في أرض جاسان حيث كان بنو اسرائيل مغتربين ثم أتى بهِ الى ثيبة (الأقصر) وأقام هناك نصباً حفر عليهِ صورتهُ وصورة حميهِ وامرأتهِ وما زال هذا النصب باقياً هناك الى اليوم * وخلف رعمسيس الثاني ابنهُ منفتاح فكان خروج بني اسرائيل من مصر في عهدهِ على المشهور كما مرَّ

ثم لا نجد ذكراً للحثيين في الآثار المصرية الاّ في عهد رعمسيس الثالث أحد فراعنة الدولة العشرين المصرية سنة ١٢٢٥ ق . م فانهُ نقش على جدار مدينة «أبو» أسماء الملوك الذين أخضعهم فكان بينهم «ملك الحثيين المنكود الحظ الذي أُسر حيًّا في الحرب»

وأما مدينة قادس فلم نعد نسمع بذكرها بعد الدولة الـ ١٩ المصرية والظاهر

انها هدّمت وهجرت . واشتهر بعدها في شمال سوريا دمشق الشام فأسس فيها الأراميون ملكاً قوياً ذُكر كثيراً في التوراة . وأصبحت كركميش على الفرات عاصمة الحثيين ويدلُّ تاريخ أشور انهُ كان للحثيين حروب شهيرة مع الأشوريين ملوك نينوى وان عاصمتهم كركميش سقطت بيد الأشوريين في عهد الملك سرجون سنة ٧١٦ ق . م

وتدلُّ آثار الحثيين على انهم بسطوا ولايتهم على آسيا الصغرى كما بسطوها على شمال سوريا ولا يبعد أن يكونوا هم الكيتيو الذين ذكرهم هوميروس الشاعر اليوناني الشهير في الياذتهِ . وللحثيين آثار فخمة في الكبادوك وجهات أُخرى في آسيا الصغرى . وفي كركميش وحلب ومرعش وحماه وحمص في سوريا

ونرى في الآثار المصرية عدة صور للأسرى الحثيين فهم أقرب الى الرّتنو منهم الى سكان فلسطين ولون وجوههم أبيض ضارب الى الحمرة بخلاف الآمو الساميين فان لون وجوههم مائل الى الصفرة . ولا يطلق الحثيُّون لحاهم كالساميين بل يحلقون لحاهم وشواربهم وشعور رؤوسهم ويتركون في أعلاها ناحيةً ولون شعورهم أسود . ولباسهم قميص طويل يصل الى العقب . وتمثلهم الآثار المصرية حفاة للدلالة على أسرهم وذلّهم ولكن آثارهم في أوطانهم تدل انهم كانوا يلبسون الأحذية المعكوفة رؤوسها الى فوق على مثال الأحذية المستعملة في سوريا الى اليوم

وقد كان للحثيين قلم خاص يكتبون بهِ لم يحلّ العلماء رموزه بعد . وكانت معظم قوتهم الحربية في الخيل والمركبات وكانت جيوشهم مدرَّبة على القتال أحسن تدريب وأجمل ما في طباعهم الانقياد الى قوادهم

الدولة الحادية والعشرون المصرية . ومملكة اليهود في فلسطين

﴿ مملكة اليهود ﴾ أما اليهود فقد مرَّ بنا ذكر تاريخهم وخروجهم من أرض مصر الى ان أسسوا ملكاً في فلسطين سنة ١٠٩٥ م . وكان ملوكهم شاول ثم داود النبي صاحب المزامير ثم سليمان الحكيم صاحب سفر الأمثال والجامعة ونشيد الأنشاد . وهو باني هيكل اليهود في اورشليم بناهُ على مثال خيمة الاجتماع وأغنى قومهُ عن الخيمة وكانت البلاد الواقعة بين غزة وبليوسيوم خاضعة لمصر وقد أطلق العبرانيون

عليها « برية شور » وأطلقوا على أهلها اسم العمالقة وكانت مصر في عهد الدولة الـ ٢١ قد فقدت السطوة التي كانت لها في عهد الدولة الـ ١٩ فلما استأنس سليمان الضعف من مصر غزا العمالقة وأخضعهم لسلطانهِ ومدَّ حدود مملكتهِ الى فرع النيل البليوسي

وعرف سليمان فضل التجارة مما كانت تدرُّهُ من الخيرات على جيرانهِ الفينيقيين فكان يشتغل بها مع مصر « وكان مخرج الخيل التي لسليمان من مصر وجماعة تجار الملك أخذوا جلبية بثمن . وكانت المركبة تصعد وتخرج من مصر بست مئة شاقل من الفضة والفرس بمئة وخمسين . وهكذا لجميع ملوك الحثيين وملوك أرام كانوا يخرجون على يدهم » (١ مل ١٠ : ٢٨)

« وصاهر سليمانُ فرعونَ ملك مصر وأخذ بنت فرعون وأتى بها الى مدينة داود » (١ مل٣ : ١) * «وصعد فرعون ملك مصر وأخذ جازر (بين يافا والقدس) وقتل الكنعانيين الساكنين في المدينة وأعطاها مهراً لإبنتهِ زوجة سليمان» (١مل٩:١٦)

وتوفي سليمان سنة ٩٧٥ ق . م فانقسمت مملكتهِ الى قسمين : مملكة يهوذا وتشمل سبطي يهوذا و بنيامين وقاعدتها أورشليم . ومملكة اسرائيل وتشمل سائر أسباط بني اسرائيل وقاعدتها السامرة

ووقع الخصام بين المملكتين فانتصر شيشق ملك مصر (سنة ٩٩٠ : ٩٦٠ ق.م) من ملوك الدولة الـ ٢١ لمملكة اسرائيل على مملكة يهوذا : «وفي السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر على اورشليم . . . بألف ومئتي مركبة وستين ألف فارس ولم يكن عدد للشعب الذين جاءوا معه من مصر لوبيين وسكيين وكوشيين وأخذوا المدن الحصينة التي ليهوذا وأتى الى أورشليم (٢ أيام ١٢ :٢) «وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك ... وجميع أتراس الذهب التي عمل سليمان» (١مل١٤:٢٥)

الدولة الرابعة والعشرون المصرية . والفينيقيون

وفي عهد الدولة الـ ٢٤ المصرية كان الفينيقيون لا يزالون أسياد التجارة البحرية بين مصر وسوريا . وكان من ملوك هذه الدولة الملك بقُّورس سنة ٧٤٣ : ٧٣٧ ق.م أقام في سايس على فرع النيل الكنوبي على نحو ٤٠ ميلاً من البحر المتوسط . وفي

عهدهِ كان الفرع البليوسي الذي عليهِ مدينة تانيس والفرع التيتني الذي عليهِ مدينة بوباستس قد بدآ يشحَّان فتحولت التجارة الفينيقية منهما الى الفرع الكنوبي

الدولة الخامسة والعشرون المصرية . واليهود والأشوريون

﴿ زوال مملكة اسرائيل سنة ٧٢١ ق.م ﴾ وفي عهد الدولة الخامسة والعشرين المصرية كان الأشوريون قد أسسوا مملكة قوية في نينوى (تجاه الموصل) قامت على أنقاض مملكة بابل في العراق وأشهر ملوكها شلمناصَّر فانهُ مدَّ فتوحاتهِ غرباً ففتح صيدا وعكا وجزيرة قبرس وحاصر صور وتهدد هوشع ملك اسرائيل . وكان على مصر اذ ذاك الملك سباقون المعروف في التوراة باسم « سوا » فأرسل اليهِ هوشع هدايا وعقد معهُ محالفة ضد شلمناصر ولكن ذلك لم يجدهِ نفعاً فان شلمناصر حاصر السامرة ودام الحصار ٣ سنين . ومات شلمناصر في أثناء الحصار وخلفهُ على آشور الملك سرجون ففتح السامرة وسائر مدن اسرائيل وجلا أهلها الى آشور . وبذلك انقرضت مملكة اسرائيل وكان ذلك سنة ٧٢١ ق.م باجماع المورخين (٢ مل ١٧ و١٨) وفي هذا الوقت هاجر كثير من اليهود الى مصر وتوطنوا فيها

﴿ السَّمَرَة ﴾ وأقام سرجون والياً أشورياً على السامرة وضرب عليهـا الجزية وأسكنها قوماً من بلاده فكان منهم طائفة السمرة المشهورة وقد كرههم اليهود منذ احتلوا بلادهم وما زالوا يكرهونهم الى اليوم

﴿ واقعة رفح الأولى ﴾ وبعد أن فتح سرجون السامرة زحف على غزة بقصد فتحها . وكان حانون ملك غزة قد حالف سباقون ملك مصر ففرَّ حانون الى رفح على حدود مصر واستنجد بسباقون فأتاه بنجدة قوية فسار سرجون بجيوشهِ الى رفح والتقى هناك بجيش غزة ومصر فهزمهما وأخذ حانون أسيراً الى آشور وأما سباقون فقد نجا . وهذه أول واقعة بين مصر وآشور وكانت في نحو سنة ٧٢٠ ق . م

﴿ واقعة بليوسيوم الأولى ﴾ وفي نحو سنة ٦٩٩ ق.م عقد حزقيا ملك يهوذا حلفاً مع طرهاقة ملك مصر ورفض طاعة سنحاريب ملك آشور فزحف سنحاريب بجيش عظيم لمحاربتهِ . وعلم ان طرهاقة قادم بجيش لنجدة حزقيا فلم ينتظره في سوريا

بل سار بجيشهِ نحو مصر حتى أتى بليوسيوم . وكان يسكنها منذ القديم بحارة من الفينيقيين وغيرهم من الأسيويين ويحميها جيش من المصريين. فحصرها حصاراً شديداً وحفر الخنادق ورفع ترابها سوراً حتى صار بعلو أسوار المدينة . وكان قد سيَّر مراكبهُ في البحر نجدة لجيشهِ البرّي فحصر المدينة برًّا وبحراً . وما كاد استعدادهُ يتم حتى هبَّت ريح شرقية فكسرت مراكبهُ في البحر . « وخرج ملاك الرب وضرب من جيش آشور مئة وخمسة وثمانين ألفاً فلما بكروا في الصباح اذا هم جميعاً جثث ميتة . فانقلب سنحاريب ملك آشور راجعاً الى نينوى » (اشعيا ٣٧ : ٣٦ و ٢ مل ١٨ : ٣٥) وبذلك انصرف الشر عن أورشليم ومصر معاً

﴿ الدولة السادسة والعشرون المصرية . واليهود والأشوريون والفرس ﴾

وخلف سنحاريب على أشور الملك اسرحدُّون فحمل على مصر وأخذها من طرهاقة وبقيت بيد الأشوريين الى أن انتزعها منهم بساميتيك الأول (سنة ٦٥٨:٦١٤ق.م) مؤسس الدولة الـ ٢٦ . وقد ساعده على طرد الأشوريين من مصر مسترزقة اليونان فأقطعهم أرضاً بقرب بليوسيوم سُميت «بالمعسكرات» فأحاطوها بالخنادق والمتاريس وجعلوا مساكنهم وأحواض مراكبهم بداخلها وكانوا حماة فم النيل البليوسي

﴿ زوال مملكة يهوذا ﴾ وخلف بساميتيك على مصر ابنهُ نخو الثاني (سنة ٦١٤ : ٦٠٨ ق.م) وفي أيامهِ كان الأشوريون قد دالت دولتهم وتغلبت بابل على نينوى وقامت على العراق مملكة بابل الثانية في عهد الملك نبو بلاصَّر فوقع بين ملوك بابل وملوك مصر نزاع على اليهودية اذ أراد كل فريق ضمها الى سلطانهِ . وكان اليهود اذ ذاك على قلتهم وضعفهم حزبين حزباً مع البابليين وحزباً مع المصريين فساعدوا الغير على أنفسهم وانتهى النزاع بين الفريقين بأن ضمَّت اليهودية الى بابل في عهد نبوخذنصر الذي أحرق أورشليم والهيكل وهدَّم أسوارها وسبى اليهود الى بابل وذلك سنة ٥٨٧ ق . م * وبذلك زالت مملكة اليهود ولم يعد لهم وجه لطلب النجدة من مصر فاتخذوا مصر ملجأً لهم وصاروا يهاجرون اليها أفواجاً وهاجر معهم ارميا النبي فكتب فيها مراثيه عن سقوط أورشليم وزوال ملك يهوذا. وكان على مصر اذ ذاك الملك بساميتيك

الثالث المعروف في التوراة باسم هفرع فرحب بهم وأسكنهم أرض جاسان بين ممفيس والبحر الأحمر الأرض التي سكنها أجدادهم ٤٠٠ سنة قبل الخروج والتاريخ يعيد نفسهُ

﴿ الدول السابعة والعشرون الى الدولة الحادية والثلاثين المصرية . والفرس ﴾

وفي آخر عهد الدولة السادسة والعشرين قويت مملكة الفرس في عهد ملكها كورش ففتح بابل من الكلدان سنة ٥٣٨ ق . م ثم فتح سوريا وهمَّ بفتح مصر ولكن المنية عاجلتهُ قبل أن يتمَّ قصده . فخلفهُ ابنهُ قمبيز فزحف على مصر سنة ٥٢٤ ق . م

﴿ واقعة بليوسيوم الثانية ﴾ وكان على مصر اذ ذاك الملك بسامنيتُس فجهَّز جيشاً كبيراً من الجنود المصرية ومسترزقة اليونان وأتى مدينة بليوسيوم . وحضر قمبيز فعسكر على مرأى منهُ . ففر رجل من مسترزقة اليونان يُدعى فانس ولحق بجيش قمبيز فاستعظم اليونان هذه الخيانة وكان أولاد فانس عندهم فقتلوهم على مرأى من أبيهم ثم مزجوا دمهم بالخمر وشربوا منهُ كلهم . وبعد ذلك التحم الجيشان فكانت واقعة لم تشاهد أسوار بليوسيوم أشدَّ منها هولاً وكان النصر فيها لقمبيز . قالوا فجمعت جثث القتلى بعد الواقعة فكان منها تل عظيم . ثم تقدم قمبيز الى ممفيس وافتتحها وقتل ملكها وبهِ انقرضت الدولة الـ ٢٦ المصرية . وأتى هيرودتس مصر بعد ذلك بقليل وزار محل الواقعة فرأى تلَّ الجثث ولحظ ان جماجم الفرس ألين جداً من جماجم المصريين لان الفرس كانوا يلبسون العمائم الكبيرة على رؤوسهم بخلاف المصريين فانهم لم يكونوا يتعمَّمون

وبعد فتح قمبيز لمصر كان المصريون تارة يقوون على الفرس فيخرجونهم من مصر وتارة يقوى الفرس عليهم فيثبتون قدمهم في البلاد ودامت هذه الحال الى انقضاء ملك الفراعنة على مصر وقد حصل في أثناء ذلك عدة وقائع بين الفريقين منها : غزوة تاخوس ملك مصر للفرس في فلسطين سنة ٣٦١ : ٣٥٩ ق . م . وذلك ان تاخوس لم يكتفِ باستقلال بلاده عن الفرس وتوطيد أركان الامن فيها بل أراد اخراج الفرس من فلسطين . وكان في جيشهِ من مسترزقة اليونان ١١ ألفاً وعليهم اجسيلوس السبارطي وعلى جيشهِ البحري شبرياس الأثيني وكان جيشهُ المصري مؤلفاً من ٨٠ ألفاً بقيادة ابنهِ نقتنيبو . وكان الجيش المصري قد استاء منهُ

لاستخدامهِ اليونان في جيشهِ فأعلنوا ابنهُ نقتنيبو قائدهم ملكاً على مصر بدلاً منهُ وعادوا بهِ الى مصر . وفي أثناء ذلك قرَّر الاثينيون في مجلس أعيانهم اخراج شبرياس من خدمة مصر ارضاءً لصديقهم الملك ارتازركسيس الفارسي . هذا وكان اجسيلوس قائد مسترزقة اليونان صغير الجسم جداً فقال لهُ تاخوس مستهزئاً بهِ في ساعة غضب « تمخَّض الجبل فولد فارة » . فأجابهُ اجسيلوس « عمّا قريب ترى من هذه الفأرة أسداً ان شاء الله » ثم ترك خدمته ودخل خدمة ابنهِ . وهكذا فقد تاخوس جيشهُ وأنصارهُ. فأرسل الى ارتازركسيس في طلب الصلح ولما لم يكن مراد ارتازركسيس التغلب على تاخوس بل على مصر قَبِل الصلح من تاخوس وجعل تحت امرته الجيش الذي كان قد أعدّه لقتالهِ ليسترجع بهِ عرشهُ . ولكن قبـل أن يتحرك جيش الفرس مات ارتازركسيس ثم مات تاخوس بالدوزنتاريا لعدم موافقة أطعمة الفرس لهُ

﴿ واقعة بليوسيوم الثالثة ﴾ وتولى الفرس اذ ذاك « اشوس » فانتقض عليهِ محالفوهُ الفينيقيون وأهل قبرس وانضموا الى أعدائهِ المصريين فأصبح همُّهُ قبل الزحف على مصر استرجاع فينيقية لأنهُ بفقدها فقد عمارتهُ البحرية ولأنهُ اذا لم يسُد البحر المتوسط لم يستطع التغلب على مصر * فجمع جيشاً عرمرماً من جميع انحاء بلادهِ قيل بلغت عدّتهُ : ٣٠٠,٠٠٠ من المشاة فيهم جيش من مسترزقة اليونان و ٣٠,٠٠٠ فارس و ٣٠٠ مركب حربي و ٥٠٠ مركب للنقل وزحف بهِ على صيداء فافتتحها بخيانة كبير أعيانها تَنَس . ولما كان الخائن كذكر النحل لا يبقى فيهِ خير بعد خيانتهِ قتلهُ ليأمن شره ونعم ما فعل ! هذا وباستيلائهِ على صيداء دانت لهُ سائر مدن فينيقية وقبرس فسار بالبر والبحر ومسترزقة اليونان فى مقدمة جيش البرّ حتى أتى مدينة بليوسيوم

وكان نقتنيبو ملك مصر قد حصّن هذه المدينة وجميع ثغور النيل وحشد جيشاً كبيراً فيهِ ٢٠ ألفاً من مسترزقة اليونان و٢٠ ألفاً من الليبيين و٦٠ ألفاً من المصريين وارتكب الخطأ الذي وقع فيهِ أبوهُ فلم ينتظر مهاجمة العدو لهُ بل بادأ العدو بالهجوم ولما لم يقدر على صدّهِ رجع بنصف جيشهِ الى ممفيس . فحاصر الفرس بليوسيوم حصاراً فنياً ورموا أسوارها بالآلات الهادمة ففتحوا فيها ثغرات واسعة وكانت حاميتها اليونانية

كلما فتح الفرس ثغرة سدُّوها بجسور من الخشب حتى سمعوا بفرار نقتنيبو ففاوضوا الفرس بالتسليم على شرط سلامتهم فسلّموا وسلموا . ومعلوم ان معركة واحدة في بلاد أنهكتها المظالم تقضي على الحرب . فدخل الفاتح الفارسي مصر بلا قتال

﴿ دولة اليونان البطالسة في مصر . وأحبار اليهود في فلسطين . والسلوقيون في سوريا والعراق ﴾

وفي هذا العهد ظهر اسكندر الكبير في مكدونية واستولى على اليونان وكان قد حصل بين اليونان والفرس مواقع شهيرة أخصها موقعة مراثون وموقعة ثرموبولي فحمل الاسكندر على الفرس في عهد ملكهم دارا فقهرهم في مضيق إِسّس شمالي خليج اسكندرونة سنة ٣٣٣ ق . م . ثم زحف على سوريا ففتح صيداء صلحاً لأن أهلها كانوا مغتاظين من الفرس لما فعلوه بهم عند فتح مدينتهم . ثم فتح صور عنوة بعد حصار سبعة أشهر ثم غزَّة بعد حصار شهرين . وقد أظهر أهل صور وغزَّة من البسالة والجلد في الدفاع عن مدينتيهما ما خلد لهم الفخر مدى الدهر

﴿ واقعة بليوسيوم الرابعة ﴾ ولما فرغ الاسكندر من فتح فينيقية وملك البحر زحف على مصر بطريق البرّ ووافتهُ عمارتهُ بحراً حتى انتهى الى بليوسيوم بعد مسيرة سبعة أيام قطع فيها ١٧٠ ميلاً في صحراء رملية قاحلة . وكان الفرس قد أخذوا معظم جيوشهم من مصر نجدة لدارا في واقعة إِسُّس ولم تكن الحاميات الباقية تقوى على المقاومة وكان المصريون يكرهون الفرس لأنهم ظلموهم وأهانوا دينهم فلم يخفوا فرحهم بوصول الاسكندر

وكانت العمارة المصرية في بليوسيوم قد قاومت عمارة الاسكندر فلم تثبت أمامها وفتحت المدينة أبوابها للاسكندر بلا قتال فترك فيها حامية وتقدم بشاطىء النيل البليوسي وكان قد أمر عمارتهُ فوافتهُ الى هليو بولس فعبر النيل هناك وتقدم الى ممفيس وكان عليها والٍ من قِبل دارا فسلمها للاسكندر بلا قتال وذلك سنة ٣٣٢ ق . م

وزار الاسكندر هيكل الشمس في واحة سيوه وفي طريقهِ أمر ببنــاء مدينة الاسكندرية فكانت من أعظم مواني البحر المتوسط الى اليوم . وسار من مصر الى العراق فافتتحها من الفرس سنة ٣٣١ ق . م كما مرّ . ثم فتح الهند وعاد الى بابل فمات

فيها سنة ٣٢٣ ق . م * ولم يترك الاسكندر ابناً شرعياً يرث الملك بعدهُ بل ترك امرأتهُ ركسانة حبلى فقُسمت ممالكهُ بين قوادهِ فكانت مصر من نصيب البطالسة

﴿ واقعة بليوسيوم الخامسة ﴾ وكان القواد قد اتفقوا أن يجعلوا القائد بردكّاس وكيل المملكة الى ان تلد ركسانة فولدت ابناً وسمتهُ الاسكندر على اسم أبيهِ . ولكن بردكاس ما لبث أن طمع بالملك كلهِ لنفسهِ وسار لفتح مصر وأصحب معهُ ابن الاسكندر ليكون لهُ حجة على اصدار الأوامر الى بلاد الاسكندر

وكان أول البطالسة على مصر بطليموس صوتر (سنة ٣٢٢ : ٢٨٤ ق . م) فألتقاه في بليوسيوم وتحصن في قلعة صغيرة قرب المدينة فحصرهُ بردكاس فيها ولكن بطليموس خرج من القلعة وردَّهُ الى معسكره وخنادقهِ

وكان بردكاس فظّاً غطريساً فقام عليهِ بعض خاصتهِ وقتلهُ وانضمَّ جيشهُ الى بطليموس فتقوَّى بهِ وكان ذلك سنة ٣٢١ ق . م * وبعد قتل بردكاس وقعت مكدونية واليونان في يد القائد كَسَنْدَر فقتل ركسانا وابنها ليخلو لهُ الجوّ

ورأى بطليموس صوتر ان ضمّ فلسطين وفينيقية وجزيرة قبرس الى مصر ضربة لازب وقاية لها من مهاجمة الأعداء . وكان على سوريا اذ ذاك القائدلاوميدون فجهَّز عليهِ جيشاً برّياً عقد لواءهُ لقائده نيكانور وسار هو في البحر الى شطوط فينيقية فانتصر نيكانور على لاوميدون وأخذهُ أسيرًا . وافتتح بطليموس فينيقية ثم تقدم الى فلسطين لاخضاع اليهود

﴿ أحبار اليهود ﴾ وقد تقدم ان نبوخذنصَّر ملك أشور سبى اليهود الى بابل سنة ٥٨٧ ق . م . فلما فتح كورش الفارسي بابل عطف على اليهود — ربما لأنهم ساعدوهُ على فتح بابل — فأطلقهم من السبي وأذن لهم في الرجوع الى بلادهم سنة ٥٣٦ ق . م فرجع منهم ٤٢,٠٠٠ نسمة وسكنوا أورشليم وأعادوا بناء الهيكل فأتموهُ سنة ٥١٦ ق . م . ثم جاء عزرا من بابل ومعهُ ١٧٧٧ نفساً وفيهم الاسرة المالكة . وفي سنة ٤٤٥ ق . م جاء الى أورشليم « نحميا » وكان مكرماً في دار ارتازركسيس ملك الفرس ولكنهُ فضّل خدمة قومهِ وبلاده فعينهُ الملك والياً على

أورشليم وكان في الوقت نفسهِ الحبر الأعظم لليهود . ومن ذلك الحين أصبح الحبر الأعظم رئيس الشعب الديني والسياسي تحت سيادة الفرس . وبقي اليهود خاضعين للفرس الى أن طردهم الاسكندر من سوريا سنة ٣٣٣ ق . م كما مرّ فدانوا لهُ . وبعد موتهِ وقعت سوريا واليهودية في يد القائد لاوميدون فحلفوا لهُ يمين الطاعة فلما أتى بطليموس قاوموه برًّا بيمينهم الى لاوميدون فحصر بطليموس اورشليم طويلاً . ثم علم ان اليهود لا يأتون عملاً يوم السبت فهاجمهم في يوم سبت وقعدوا عن الدفاع ! ! فافتتح المدينة وعامل أهلها بالشدة وأسر منهم نحو مئة ألف أسير وأرسلهم الى مصر . ثم تذكَّر بسالتهم وحفظهم العهد لحكامهم فرفق بهم وجعل عليهم في بلادهم والياً منهم.

ودام حكم البطالسة على اليهود نحو مئة سنة فلم يثقل نيرهم عليهم لأن البطالسة سمحوا لهم أن يحكموا أنفسهم ويختاروا أحبارهم وكان أحبارهم ينوبون عن الولاة على جزية يدفعونها لمصر . واشتهر من اليهود في عهد بطليموس الأول الحبر سمعان نحو سنة ٣٠٠ ق . م وكان مستقيم السيرة فلقب بالعادل

﴿ واقعة غزة الأولى سنة ٣١٢ ق . م ﴾ هذا وكان على آسيا الصغرى من قواد الاسكندر القائد انتيغونس فطمع بالاستيلاء على أملاك الاسكندر كلها وبالخلافة له . فتألب عليهِ كسندر ملك مقدونية وبطليموس ملك مصر ولسيمخوس ملك تراقيا وانتشبت الحرب بينهم في البر والبحر سنة ٣١٥ ق.م فانكسرت جنوده في واقعة بحرية

وكان من رأي بطليموس ان قبرس هي مفتاح فينيقية كما ان فينيقية مفتاح مصر . فاستولى على قبرس وبقيت خاضعة لمصر في كل عهد البطالسة ، الاَّ في فترات قليلة ، حتى استولى عليها الرومان سنة ٥٧ ق . م

وفي سنة ٣١٤ ق . م جدَّد انتيغونس قواه وزحف بجيش عظيم لامتلاك سوريا ومصر . فلما درى بطليموس بهِ أخذ من فينيقية كل ما وجد من السفن وقوَّى حصونها الجنوبية بزيادة حامياتها فلما وصل انتيغونس رأى جميع مراكبها قد أخذت الى مصر ولم يكن في وسعهِ مهاجمة مصر بل لم يكن في وسعهِ فتح مدن فينيقية الجنوبية بلا عمارة بحرية فشرع في بناء السفن في جبيل وطرابلس مستخدماً ألوفاً من العمال

في قطع الاشجار من جبل لبنان وجدّ في العمل حتى بنى اسطولاً كاملاً في سنة واحدة . وسار الى فينيقية الجنوبية ففتح صيداء وصور وغزة بعد عناء شديد ثم شرع في تجهيز جيشهِ للزحف على مصر . وفيما هو كذلك اذ أتاه الخبر ان كسندر ملك مكدونية قد استحوذ على أمكنة عديدة من آسيا الصغرى فأسرع بفرقة من جيشهِ لمقاتلة كسندر وترك سائر الجيش مع ابنهِ ديمتريوس وأمرهُ بمهاجمة مصر وكان مع ديمتريوس عمارة بحرية فيهـا ٢٤٣ مركباً حربياً وجيش برّيٌّ فيهِ ١١٠٠٠ من المشاة و ٢٣٠٠ من الفرسان و ٤٣ من الأفيال ولفيف من البرابرة المسلحين بالأسلحة الخفيفة

فخرج بطليموس من الاسكندرية للقائهِ حتى أتى غزة ومعهُ من الجيوش : ١٨٠٠٠ من المشاة . و٤٠٠٠ من الفرسان وكلهم من اليونان النظاميين والمسترزقة ومعهم لفيف من المصريين بعضهم مسلّح للقتال و بعضهم للاهتمام بالمؤن والذخائر . فالتقى الجيشان في ضواحي غزة فاتقى بطليموس شرّ الأفيال باستخدام أطباق الحديد وانجلى القتال عن انهزام ديمتريوس بعد ان ترك في حومة الوغى ٥٠٠٠ من القتلى و ٨٠٠٠ من الاسرى وغنم بطليموس أفيالهُ وخيمهُ وامتعتهُ واستولى على اليهودية وفينيقية والبقاع * وأرسل جيشاً مع أحد قواده لمطاردة ديمتريوس فأدركهُ في جوار طرابلس ووقع القتال فكان النصر لديمتريوس وقد وقع في يده ٦٠٠٠ أسير من جيش بطليموس

﴿ واقعة بليوسيوم السادسة سنة ٣٠٥ ق . م ﴾ وبلغ انتيغونس خبر ابنـهِ فأسرع اليهِ من فريجيا بجيش كبير . وكان بطليموس رجلاً عاقلاً حذراً فلم يكن يقدم على موقعة فاصلة خسارتها تفقدهُ ملكهُ . لذلك لم يقف في وجه انتيغونس في سوريا فهدم حصون عكا ويافا والسامرة وغزة ورجع بجيوشهِ الى مصر تاركاً صحراء سيناء بينهُ وبين انتيغونس وكان ذلك سنة ٣١١ ق . م

ولكن انتيغونس بقي مصمماً على غزو مصر وكان قد نوى غزوها بطريق البتراء فوقف النبط في وجههِ كما مرّ فلم يبقَ أمامهُ الاّ طريق الفرما . ولما كان غزو مصر بهذه الطريق يقضي بامتلاك قبرس وكانت قبرس في يد بطليموس كان أوَّل ما فعله

انهُ جهز ابنهُ ديمتريوس بجيش فأخذ قبرس عنوة بعد واقعة عنيفة سنة ٣٠٦ ق . م

وفي السنة التالية جهز انتيغونس في البقاع جيشاً يزيد عن ٨٠،٠٠٠ من المشاة و ٨،٠٠٠ من الفرسان و ٨٣ من الأفيال . وعاد ابنهُ ديمتريوس من قبرس بأسطول فيهِ ١٥٠ سفينة حربية و ١٠٠ سفينة للنقل مشحونة بالمؤن ومعدات الحرب

ولما أتمَّ استعدادهُ سار بجيشهِ في صحراء بليوسيوم وسار ابنهُ ديمتريوس محاذياً لهُ في البحر . ولكن لم يسر ديمتريوس الاّ قليلاً حتى هبت الرياح الشمالية التي تكثر في تلك الجهة فألحَّ البحارة عليهِ بالانتظار ثمانية أيام ريثما تسكن هذه الرياح فأبى صلفاً وتكبُّراً فاغرقت الريح بعض المراكب وقذفت بالباقي الى ميناء بليوسيوم فوقعت غنيمة باردة في يد بطليموس

وكان بطليموس قد حصَّن جميع الأمكنة في طريق انتيغونس فصدَّهُ في كل مكان وفرَّ جماعات من جيش انتيغونس وانضموا الى جيش بطليموس . فلما رأى انتيغونس ذلك ورأى النكبة التي أصابت مراكبهُ في البحر اضطر أن يعمل بمشورة قواده وعاد بجيشهِ الى سورية وعاد بطليموس الى الاسكندرية * ثم غاب انتيغونس وابنهُ عن سوريا فحمل عليها بطليموس واسترجع فينيقية لحد عكا واليهودية والبقاع

وعاد قواد الاسكندر فتألبوا على انتيغونس وحشد كل منهم جيشاً مؤلفاً من نحو ٨٠ ألف مقاتل وأوقعوا بهِ في ابسوس من أعمال فريجية فقتلوهُ وكان ذلك سنة ٣٠١ ق . م * وأما ابنه ديمتريوس فانهُ فرَّ من واقعة ابسوس بجيش صغير من المشاة والفرسان وبقي شريداً والأقدار ترفعهُ تارة وتحطهُ أخرى حتى وقع أسيرًا في يد سلوقوس سنة ٢٨٦ ق . م ومات سنة ٢٨٣ ق . م

واقتسم القواد مملكة الاسكندر من جديد فكان نصيب بطليموس مصر وجنوب سوريا ؟ وجزيرة قبرس . وسلوقوس بابل وشمـــال سوريا وجانباً من آسيا الصغرى . ولسيمخوس ما بقي من آسيا الصغرى وتراقيه

وأصبحت هذه البلاد كلها ممالك يونانية ولكن لم يكن في مملكة منها من اليونان بقدر ما كان في مصر السفلى ولا سيا مدينة الاسكندرية . وكانت مصر اذ

ذاك محكومة بقوانين مصرية وقضاة مصريين ومع ذلك فقد كانت الاسكندرية خاضعة للقانون المكدوني ولم يكن يسكن الاسكندرية مصري الاّ ويشعر انهُ من شعب مغلوب على أمرهِ لأنهُ لم يكن يتمتع بالحقوق المدنية التي كان يتمتع بها اليونان واليهود من سكان تلك المدينة مع انهُ لم يكن يدخل تلك المدينة يوناني أو يهودي الاّ كانت تعطى لهُ تلك الحقوق بحال دخولهِ . وبقيت هذه الحال لا سيما في ما يتعلق باليونان الى أن استولى العرب على الاسكندرية في أيام عمرو بن العاص

﴿ الدولة السلوقية في سوريا ﴾ أما سلوقوس مؤسس الدولة السلوقية في سوريا فهو ابن رجل مكدوني اسمهُ انطيوخوس رافق الاسكندر في غزواتهِ وبعد موت الاسكندر عضد برد كاس الى أن طمع بمصر فخرج عليهِ . وبعد قتل برد كاس اقتسم القواد الأملاك فكان نصيب سلوقوس بابل والقسم الشرقي من مملكة الاسكندر . ولكن أنتيغونس ضايقهُ ففرَّ من بابل ولجأ الى مصر فرافق بطليموس في حملتهِ على فلسطين وحضر معهُ واقعة غزة الاولى سنة ٣١٢ ق . م المتقدم ذكرها

وبعد الواقعة أخذ شرذمة من العساكر وأسرع الى بابل فجرد انتيغونس عليهِ جيشاً فقهر جيش انتيغونس واستقل بالملك وأسس مملكة عظيمـة عرفت بالدولة السلوقية وكان بدء تاريخها أول اكتوبر سنة ٣١٢ ق . م

ثم بعد أن تغلب قواد الاسكندر على انتيغونس في ابسوس سنة ٣٠١ ق . م ألحق سلوقوس بأملاكهِ شمال سوريا . وكان اليونان في هذا القسم من سوريا اكثر عدداً مما هم في بابل فبنى عاصمة جديدة على نهر العاصي سماها انطاكية على اسم أبيهِ ونقل اليها عاصمتهُ نحو سنة ٣٠٠ ق . م فقدَّمت بابل لهذه المدينة الجديدة نفس الطاعة التي قدمتها ممفيس للاسكندرية في مصر في عهد البطالسة . وأصبحت أشور وبابل ولايتين تابعتين لانطاكية . ولقب أسلاف سلوقوس أنفسهم ملوك سوريا لا ملوك بابل . وبنى سلوقوس وأسلافهُ مدناً كثيرة في سوريا منهـا سلوقية عند مصب العاصي محل السويدية الآن وهي فرضة انطاكية على ١٢ ميلاً منها . وبنوا اللاذقية وغيرها وأدخلوا تمدن اليونان الى كل مدن سوريا

ومنذ أيام سلوقوس انقسمت سوريا قسمين : الشمالي للسلوقيين في انطاكية والجنوبي للبطالسة في مصر . ولكن السلوقيين ما برحوا يدّعون ان جنوب سوريا أيضاً داخل في نصيبهم فحصل بينهم وبين البطالسة لأجلها حروب طال أمدها وجرَّت على سوريا عموماً وسوريا الجنوبية خصوصاً أعظم الويلات وأمرّ الشدائد

وكان الصوريون الى عهد بطليموس الثاني الملقب فيلادلفوس (سنة ٢٨٤ : ٢٤٦ ق . م) قد احتكروا تجارة البحر الأحمر كما احتكروا تجارة البحر المتوسط فكانوا ينقلون السلع بالبحر الأحمر الى أيلة فتنقلها القوافل الى صور. فأراد بطليموس أن يحوّل تجارة البحر الى الاسكندرية فأنشأ كثيرًا من السفن في البحر المتوسط والبحر الأحمر وبنى مدينة على شاطىء البحر الأحمر الغربي سماها بيرنيس باسم أمهِ وكانت السلع تأتيها بالمراكب من الهند والعربية وفارس والحبشة وتنقلها القوافل الى النيل عند قنا ثم تُحمَل بالمراكب الى الاسكندرية فتشحن فيها الى الغرب وتستأتي منهُ البضائع اليها . فكان هذا داعياً للتحاسد بين انطيوخوس صاحب سوريا وبطليموس صاحب مصر

﴿ عود الى أحبار اليهود ﴾ وكتب بطليموس الثاني هذا الى اليعازر رئيس أحبار اليهود وأخي سمعان المار ذكرهُ أن يرسل اليهِ رجالاً خبيرين بشريعة اليهود وأهلاً لترجمة التوراة الى اليونانية وأطلق الحرية لمئة وعشرين ألفاً من اليهود المقيمين في مصر ليعودوا الى أوطانهم فبعث اليهِ اليعازر باثنين وسبعين رجلاً من علماء اليهود ستة من كل سبط من اسباطهم الاثني عشر فرحب بهم بطليموس وأكرم مثواهم وأنزلهم في جزيرة فاروس تجاه الاسكندرية فترجموا لهُ التوراة المعروفة الآن بالترجمة السبعينية فأجزل جوائزهُ لهم وأعادهم بهدايا ثمينة الى رئيس الأحبار

وفي عهد بطليموس الثالث الملقَّب يورجيتس (سنة ٢٤٧ : ٢٢٢ ق . م) كان الحبر الأعظم على اليهود اونياس الثاني فأبى أن يؤدي لهُ الجزية فتهدد اليهود فشخص يوسف بن أخت اونياس الى مصر ليصرف غضب الملك . وكان يوسف رجلاً كيّساً ذكي الفؤاد خفيف الروح لطيف المعشر فأحبَّهُ الملك وأعجب بهِ حتى

انهُ دعاهُ لينزل في قصرهِ وكان يركبهُ معهُ في عربتهِ ويدعوهُ الى مائدتهِ

واتفق انهُ عُرِض خراج البقاع وفينيقية والسامرة بالمزاد فقدم الملتزمون ٨٠٠٠ وزنة من الفضة أي مليون و٢٠٠ ألف جنيه فقدم يوسف ضعفَي ذلك فقال لهُ الملك ومن كفيلك قال مازحاً «لأَنتَ كفيلي أيها الملك وجلالة الملكة» فسرَّ الملك منهُ ومنحهُ ما طلب وبقي في هذهِ الوظيفة نائلاً رضى الملك مدة ٢٢ سنة . وهذا يوسف ثانٍ في مصر

﴿ واقعة رفح الثانية سنة ٢١٧ ق . م ﴾ وفي عهد بطليموس الرابع الملقَّب فيلوبتر (سنة ٢٢٢ : ٢٠٥ ق . م) كان على سوريا انطيوخوس الثالث الملقَّب بالكبير ففتح صور وعكا وزحف على مصر قصد افتتاحها فأتى بليوسيوم سنة ٢١٧ ق . م فهبَّ بطليموس الرابع وحشد جيوشهُ فكان مجموعها ٧٣٠٠٠ مقاتل من المصريين واليونان والمكدونيين وأهل تراقية والغاليين و٧٣ فيلاً . وسار قاصداً بليوسيوم ولكن قبل وصولهِ اليها كان انطيوخوس قد عاد بجيشهِ الى سلوقية لقضاء فصل الشتاء فيها

وسعى بعضهم اذ ذاك بالصلح بين الملكين فكان بطليموس يدَّعي انهُ عند قسمة المملكة بعد قتل انتيغونس وقعت فينيقية واليهودية والبقاع في نصيب بطليموس الأول . وزعم انطيوخوس انها وقعت في نصيب سلوقوس وهو وارثهُ وخليفتهُ فهي اذاً لهُ . ولما لم يسلِّم فيلوبتر بذلك عاد انطيوخوس في الربيع فزحف على مصر ومعهُ من الجيوش ٧٢٠٠٠ من المشاة و ٦٠٠٠ من الفرسان و ١٠٢ من الأفيال

فزحف فيلوبتر بجيوشهِ الى الحدود لصدهِ عن الدخول لأرض مصر فالتقاهُ انطيوخوس قرب مدينة رفح (على نحو ١٠٠ ميل من بليوسيوم) وكان فيلوبتر متزوجاً شقيقتهُ أرسينوى فرافقتهُ الى الحدود وركبت فرسهـا وجالت معهُ بين الصفوف تحرّض الجند على القتال والاستبسال في الدفاع عن نسائهم وأولادهم وحلَّ الجيشان الواحد على مقربة من الآخر فدخل ثيودوت أحد قوَّاد انطيوخوس ذات ليلة معسكر الجيش المصري متستراً في الظلام يصحبهُ نفران من أتباعهِ فظنَّهُ الجنود مصرياً وسار حتى انتهى الى خباء بطليموس قاصداً قتلهُ ودكّ ركن الحرب بضربة واحدة ولم يكن بطليموس في خبائهِ فقتل طبيبهُ وهو يظنـهُ الملك وجرح اثنين

من حاشيتهِ فقلق الجيش ونجا ثيودوت تحت جنح الظلام وعاد الى معسكرهِ

وفي الغد صفَّ الملكان جيشيهما للقتال ووقف كل منهما أمام صفوفهِ تشجيعاً لهم ونزلت امرأة بطليموس مع بعلها الى ساحة القتال لتثير الحمية في رؤوس المصريين. وفي بدء القتال ظهر ان المصريين كانوا في خطر الانكسار لأنهُ لما اقترب الجيشان وشمَّت الأفيال الايثيوبية رائحة الأفيال الهندية ارتعدت وانكمشت عن منازلة أفيال أضخم منها جدًّا. ثم عند التحام الجيشين انكسر الجناح الأيسر لكل منهما ولكن قبل أن ينتهي النهار انهزم جيش انطيوخوس انهزاماً تاماً فرجع الى غزة ومنها الى انطاكية تاركاً في ساحة القتال عشرة آلاف قتيل وأربعة آلاف أسير. واسترجع بطليموس فينيقية واليهودية والبقاع وعاد الى مصر

﴿ واقعة بليوسيوم السابعة نحو سنة ١٧٠ ق . م ﴾ وفي عهد بطليموس السادس الملقب فيلومتر (سنة ١٨١ : ١٤٦ ق . م) كان على سوريا خالهُ انطيوخوس الرابع الملقب ايفانس وكان فيلومتر قد تولى الملك بعد وفاة أبيهِ سنة ١٨١ ق . م وهو ابن ست سنين فاستلمت أمهُّ أخت انطيوخوس الرابع زمام الملك فكانت ذكية حسنة السياسة لكنها لم تعش طويلاً فماتت سنة ١٧٣ ق . م . فتولى اثنان من الاخصاء « ليناي » أحد أشراف البلاد و « أولاي » أحد الخصيان زمام الملك بالوكالة . وكانا عاجزين ضعيفي الرأي وهما يجهلان عجزهما ويدعيان المقدرة على ادارة الملك فبدلاً من تحصين الحدود وتقوية البلاد من الداخل أرادا أن يتشبَّها بطلاَّب المجد في مباشرة الحروب . وكان انطيوخوس الثالث قد انتزع اليهودية والبقاع من مصر ثم أعطاهما مهراً لابنتهِ كليوبترا عند تزويجها بطليموس السادس ولم يسلمهما عند الزواج فأرسل ليناي وأولاي انذاراً الى انطيوخوس الرابع ملك سوريا ليخلي اليهودية والبقاع مهر كليوبترا فأبى بحجة ان شرط هبة البلادين مهراً لم يكن الاَّ تلجئةً فهو فاسد باطل لا يعمل بهِ فأعلنا الحرب عليـهِ . فحشد جيوشهُ وسار الى مصر فالتقاهُ فيلومتر بجيشهِ عند بليوسيوم فقهرهُ انطيوخوس وأخذهُ أسيراً ثم تقدم الى ممفيس فدخلها بدون مقاومة . وكان بورجيتس أخو فيلومتر مع شقيقتهِ كليوبترا في الاسكندرية فأعلن نفسهُ ملكاً على مصر

فزحف انطيوخوس بجيشهِ الى الاسكندرية وحصرها ولكنهُ عجز عن فتحها فجعل فيلومتر ملكاً في ممفيس وعاد الى سوريا ولكنهُ أبقى بليوسيوم تحت سلطتهِ وجعل فيها حامية قوية ليتمكن من الدخول الى مصر أي وقت شاء . وقد أمّل أن يتنازع الشقيقان مُلك مصر فتشتعل بينهما حرب أهليــة وتضطرب مصر فتمسي فريسة لهُ . فعلم الشقيقان مراد انطيوخوس فعقدا صلحاً على أن يملكا معاً وفي الوقت نفسهِ اتخذ فيلومتر أختهُ كليوبترا زوجةً لهُ . وهذا الزواج الذي تقشعر منهُ أبداننا اليوم لم يكن ممنوعاً بشرائع البلاد وعاداتها . وكانت كليوبترا السبب في منع الشقاق بين الشقيقين . وفي السنة التاليــة للصلح قدم انطيوخوس الرابع الى مصر وطلب أن يُعطى جزيرة قبرس ومدينة بليوسيوم ثمناً لسكوتهِ . ثم تقدم الى ممفيس ففتحت لهُ أبوابها ثم زحف على الاسكندرية

﴿ دولة الرومان ﴾ وكان الرومان في هذا العهد قد أسَّسوا جمهورية قوية في رومية وتغلبوا على فيلبُّس ملك مكدونية سنة ٢٠٥ ق . م وقهروا هنيبال بطل قرطاجة العظيم في موقعة فاصلة قرب مدينة زاما سنة ٢٠٢ ق . م وأصبحت المملكة الرومانية سيدة الممالك وجميع الدول ترهب جانبها وكان يورجيتس الثاني قد استجار بها من انطيوخوس الرابع . فلما كان هذا على أربعة أميال من الاسكندرية التقاه سفراء رومية وأمروه بترك البلاد ولما لم يجب تقدم اليهِ بوبيلوس أحد السفراء ورسم بعصاهُ دائرة على الرمل حول مجلسهِ وقال لهُ « اذا تخطيت هذه الدائرة قبل أن تعِدَ بالخروج من مصر فيُعَدُّ ذلك منك اعلاناً للحرب على رومية » فلم يسع انطيوخوس اذ ذاك الاَّ الخروج من مصر وكان ذلك سنة ١٦٩ ق . م

﴿ دولة المكابيين اليهود ﴾ هــذا وفي مدة الحرب بين بطليموس السادس وانطيوخوس الرابع انقسم اليهود بينهما حزبين . فلما عاد انطيوخوس من مصر أول مرة سنة ١٧٠ ق . م دخل اورشليم ساخطاً فأخذ يقتل في الذين كانوا على غير حزبه ونهب الهيكل وسمَّى على اليهود يونانياً يدعى فيلبس فأذلّهم

وكان اونياس رئيس الكهنة في رأس حزب مصر فجمع جمهوراً كبيراً من رجال

حزبهِ وأتى بهم الى مصر فأحسن فيلومتر استقبالهم واكرم مثواهم واقطعهم أرضاً في أُون في مقاطعة هليو بولس على نحو ٢٠ ميلاً من ممفيس الأرض التي سكنها أجدادهم لما دخلوا مصر مع يعقوب قبل هذا العهد بمئات السنين وأذن لهم أن يبنوا هيكلاً ويرسموا كهنتهم ويقيموا شعائر دياناتهم فبنى اونياس هناك هيكلاً على مثال هيكل اورشليم . فكان بناء هذا الهيكل واقامة الشعائر الدينية فيهِ علة دائمة للخصام بين اليهود اليونان واليهود العبرانيين

ثم لما عاد انطيوخوس من مصر المرة الثانية سنة ١٦٨ ق . م عزم على النقمة الشديدة من اليهود فأرسل لاتمام عزمهِ قائداً يسمى أبولُونيوس وجهَّزهُ بجيش كبير فأتى اورشليم وانتظر حلول السبت فدخل المدينة وسرَّح جنوده فقتلوا الرجال واستعبدوا النساء والأولاد وأحرقوا المنازل وهدموا الأسوار ثم احتلوا البرج على جبل صهيون وحصّنوه ليتمكنوا من التسلط التام على المدينة . وبقي هذا الحصن في يد جنود ملك سوريا الى أن طردهم منهُ سمعان المكابي سنة ١٤٣ ق . م . ثم سعى انطيوخوس في الغاء دين اليهود واكراههم على دين اليونان فأرسل الى اورشليم لهذا الغرض رجلاً شديد التعصب يدعى أثينيوس فأقام في الهيكل تمثالاً لزفس وتمثالاً لأنطيوخوس وقدم لهما ذبائح من الخنازير واكره الناس على المشاركة فيها . وبلغ الظلم حدًّا لا يتحملهُ الطبع البشري فكان ذلك السبب في قيام دولة المكابيين المشهورة بين اليهود . وذلك أنهُ لما عظم الاضطهاد على اليهود في اورشليم فرَّ منها من استطاع الفرار وكان بين هؤلاء كاهن اسمهُ متاثيا فرّ الى مدينة مودين في نواحي بلاد فلسطين هو وعائلتهُ وكان لهُ خمسة بنين فأتى رسول الملك الى مودين وبنى مذبحاً وأمر السكان أن يذبحوا للأوثان وقال من لم يمتثل الأمر يقتل فأراد أحدهم أن يعمل بأمر الملك فقام عليهِ متاثيا وقتلهُ وقتل رسول الملك وهدم المذبح ونادى بالدفاع عن شريعة موسى. ثم التجأ الى بعض كهوف الجبال فنصره بنوه وجماعة من أهل الحمية الدينية فأعلن الجهاد على اليونان

وكان متاثيا طاعناً في السن فمات سنة ١٦٦ ق . م وخلفهُ ابنهُ يهوذا وكان رجلاً شهماً حسن التدبير يلتهب غيرة على وطنهِ ودينهِ وجنسهِ فاستمر بالجهاد الذي أعلنهُ

أبوهُ على اليونان وأصلاهم هو واخوتهُ من بعده حرباً دامت سنين أظهروا فيها من البأس وصدق العزيمة في النزال ما أدهش الأعداء . وكان من خطة يهوذا أن يبيّت الأعداء ويهاجمهم على غير انتظار ثم يستبسل في القتال وقد انتصر على جيوش انطيوخوس في عدة وقائع واسترجع اورشليم عنوة سنة ١٦٥ ق . م . ثم تكاثرت عليهِ جيوش اليونان فاضطر الى الفرار منها وطاردوه الى نواحي أشدود وكانوا نحو ٢٠ ألفاً ولم يكن معهُ سوى ٨٠٠ رجل فثبت هو ورجالهُ وحاربوا حرب الأبطال مدة ولما تكاثرت عليهِ الجيوش نادى رجالهُ قائلاً « لقد دنا أجلنا فلنمت موت الابطال » ثم حملوا على ميمنة العدو فكسروها غير ان الميسرة دارت عليهم من خلفهم واحاطت بهم لقلة عددهم فقتل يهوذا ومعظم رجالهِ وكان يلقب مكابيوس فعُرف قومهُ بالمكابيين

وخلفهُ أخوه يوناثان . ثم أخوه سمعان وما زال هذا يجاهد في سبيل الاستقلال حتى نالهُ وعاد الى أورشليم سنة ١٤٣ ق . م وطرد اليونان منها . وقد ساعدهُ على الاستقلال محالفتهُ للرومان وانقسام أفراد الاسرة السلوقية بعضهم على بعض وقيام دولة الفرثيين في شرق دجلة وطموحها لامتلاك سوريا وانتزاعها من يد السلوقيين

وقتل سمعان غدراً سنة ١٣٥ق . م وخلفهُ ابنه هركانوس فملك الى سنة ١٠٦ق . م

وخلف هذا ابنهُ ارستوبولس فكان أول من لبس التاج وسمى نفسهُ ملكاً ولكنهُ كان يسمَّى أيضاً رئيس الأحبار * وخلفهُ اخوهُ اسكندر ينيوس سنة ١٠٥ ق . م فملك الى سنة ٧٨ ق . م * وكان لهُ ابنان هركانس الثاني وارستوبولس فصار الأول وهو البكر رئيس الكهنة والثاني قائد الجيوش

وكان اليهود في آخر ملك هركانوس الأول قد انقسموا حزبين دينيين سياسيين:

« الصدّوقيين » ويقولون انهُ ليس قيامة ولا ملاك ولا روح

« والفرّيسيين » ويقولون بكل ذلك (أعمال ٢٣ : ٨)

وكان هذا الخلاف علة الشقاق الدائم والخراب . وقد استولى الرومان على سوريا وانتزعوها من يد السلوقيين سنة ٦٤ ق . م . ثم استولوا على اليهودية عنوة على يد بمبيوس الكبير سنة ٦٣ ق . م فولّى بمبيوس هركانوس الثاني والياً على اليهودية تحت

سلطة رومية وأخذ أخاهُ ارستوبولس اسيراً الى رومية . ومن ذلك العهد صار الرومان يولون الولاة من قبلهم على اليهودية الى انقضاء ملكهم

وكان هدم استقلال المكابيين ضربة قاضية على يهود مصر كما كان على يهود سوريا فان يهود مصر لما كان اخوانهم أسياد اليهودية كانت رؤوسهم مرفوعة وكان مقامهم فيها كمقام اليونان . فلما سقطت اورشليم وزال ملكهم نكست رؤوسهم وانحطوا في عيون أنفسهم كما انحطوا في عيون الآخرين ونزلوا عن مقامهم الى مصاف عامة المصريين

﴿ واقعة بليوسيوم الثامنة سنة ٥٥ ق . م ﴾ هذا وكان على مصر في هذا العهد بطليموس الملقب اوليتس وكان ضعيفاً فكرههُ قومهُ . وفي سنة ٥٧ ق . م ضم الرومان قبرس الى أملاكهم فلم يحتجّ عليهم فزاد قومهُ كرهاً لهُ وقاموا عليهِ بالسلاح ففر الى رومية وطلب من مجلس الشيوخ أن يساعدوه بجيش لاسترجاع ملكهِ فلم يفلح لأن رئيس الكهنة أعلن انه ثابت في كتبهم « ان رومية يجب أن تكون صديقة ملك مصر ولكن لا يجب أن تمدّه بجيش» ! الاّ ان اوليتس تمكن من مصادقة « بمبيوس الكبير » فأخذ منه كتاب توصية الى غابينوس الوالي الروماني على سوريا وأتى سوريا فنقد غابينوس ١٥,٠٠٠ جنيه على ان يمكّنهُ من استرجاع عرش مصر فجهزه غابينوس بجيش وأرسل معهُ مرقس انطونيوس أميرًا على الفرسان وأمدَّهُ هركانوس والي اليهودية بجيش من اليهود بقيادة انتيباتر الأدومي . وسار غابينوس بالجيشين سنة ٥٥ ق . م حتى أتى بليوسيوم وكان مرقس انطونيوس مع فرسانهِ في المقدمة فكسر الجيش المصري ودخل المدينة فأراد اوليتس أن يعمل السيف بأهلها فمنعهُ مرقس انطونيوس . ثم أقبل غابينوس نفسه بجيش وزحف على مصر ففتحها بلا عناء وقتل بيرنيس المالكة في مصر وزوجها ارفلاوس وولى اوليتس عرش مصر كما كان وعاد الى سوريا

﴿ واقعة بليوسيوم التاسعة سنة ٤٨ ق. م ﴾ ومات أوليتس سنة ٥١ ق . م عن ابنين وبنتين وهما كليوبترا وأرسينوى و بطليموس الأكبر و بطليموس الأصغر وكتب في وصيتهِ أن تتزوج بنتهُ الكبرى كليوبترا بابنهِ الأكبر بطليموس ويتوليا عرش مصر معاً وأرسل نسخة من وصيتهِ الى مجلس رومية واستحلفهُ بمعبوداتهِ أن ينفذ

الوصية ويتولى الوصاية على ابنـــهِ الى أن يبلغ سن الرشد . فأنفذ مجلس الرومان الوصية وعين بمبيوس وصياً لبطليموس الأكبر ولكنهُ كان في الواقع والياً على مصر

وكانت كليو بترا اكبر من أخيها زوجها وداهية عاتية أحبت الاستقلال في الملك فحاولت طردهُ وانتشبت الحرب بينهما فانهزمت كليو بترا ولحقت بسوريا وهناك جمعت العساكر وعادت الى مصر فغلبتهُ وقتلتهُ وانفردت بالملك

وفي هذه الاثناء تنازع بمبيوس الكبير ويوليوس قيصر السلطة في رومية فأرسلت كليو بترا ستين مركباً حربياً لمساعدة بمبيوس الكبير ولكن يوليوس قيصر فاز عليهِ في موقعة فرساليا (في مقاطعة تساليا من أعمال اليونان) سنة ٤٨ ق . م فانتهز الخصيّ بوثينس ، المتولي العناية ببطليموس الأصغر ، الفرصة وأعلن سيدهُ ملكاً على مصر وعزل كليو بترا . ففرَّت الى سوريا وهناك جنّدت جيشاً وزحفت بهِ على بليوسيوم فقابلتها الجيوش المصرية ووقف الجيشان هناك الواحد تجاه الآخر بينهما بضع غلوات

وكان بمبيوس الكبير عند انكساره في موقعة تساليا قد ركب سفينة وفرَّ من وجه قيصر قاصداً مصر فأتى بليوسيوم لاجئاً الى أولاد اوليتس لأنهُ كان أحسن الى أبيهم كما مرَّ . ولكن يقال ان عرفان الجميل فضيلة قلما توجد في القصور

وكان الاسكندريُّون في هذه الحرب الأهليــة بين بمبيوس الكبير وقيصر يودّون أن يكونوا على الحياد فلما جاء بمبيوس الكبير بهذه الحال اضطروا أن يختاروا حزباً فاختاروا حزب الأقوى . وكان أصحاب الكلمة في مجلس بطليموس الصغير : بوثينوس الخصيّ وأشيلاس القائد المصري وثيودوتس معلم بطليموس الأصغر فقرَّ رأيهم على قتل بمبيوس الكبير . قال ثيودوتس « اننا بقتل بمبيوس نحمّل يوليوس قيصر منّة ولا نخشى شرًّا » ثم قال باسماً « ان الموتى لا يعضُّون ! » . فأصدروا أمراً الى اشيلاس القائد المصري ولوسيوس سبتيميوس قائد العساكر الرومانيــة في الجيش المصري فذهبا الى شاطئ البحر ورحبا ببمبيوس واستقبلاه مقابلة الصديق للصديق فانزلاه من سفينتهِ الى قاربهما وأتيا بهِ الى البرّ فقتلاهُ ثم قطعا رأسهُ وأحضراه الى الملك وطرحا جثتهُ في البحر. قيل فانتشلها عسكري روماني وأحرقها ودفن رمادها على الشاطئ

(٩٠)

ثم نصب عليها حجراً وكتب عليهِ بفحمةٍ « بمبيوس الكبير ! » سنة ٤٨ ق . م

وبعد ذلك بقليل وصل قيصر الى الاسكندرية مطارداً بمبيوس فوفد عليهِ أصحاب الملك وقدموا لهُ رأس بمبيوس فاقشعر بدنهُ من رؤيتهِ وحزن عليهِ كثيراً وأمر بدفنهِ مكرماً . وقد أراحهُ بطليموس الأصغر ورجال مجلسهِ من جريمة قتل حميهِ

ولم يكن مع قيصر عند وصولهِ الاسكندرية الاّ ٣٢٠٠ من المشاة و ٨٠٠ فارس وقد ظن انهُ بعد انتصاره الباهر على بمبيوس في فرساليا لم يبق لهُ حاجة الى قوّة اكبر وان لوسيوس سبتيميوس ومن معه من العساكر الرومانية في مصر ينضمون اليهِ ومع ذلك فقد أرسل الى الكتائب التي تركها في آسيا أن توافيه الى مصر . ولما كان قد أصبح بعد انتصارهِ على خصمهِ القنصل الوحيد لرومية ادَّعى الحق بفضّ الخلاف بين كليوبترا ملكة مصر وأخيها فأمرهما بصرف جيوشهما من بليوسيوم . وكان بطليموس الأصغر قد رجع الى الاسكندرية فمال الى اطاعة الأمر ولكن وصيَّهُ بوثينس لم يرق لهُ ذلك فأرسل سرًّا الى أشيلاس قائد الجيوش المصرية في بليوسيوم أن يحضر بجيشهِ الى الاسكندرية ليتمكن من اصدار الأمر الى قيصر بدلاً من استماع أوامرهِ وأرسل بطليموس الأصغر بأمر قيصر اثنين من أخصائهِ الى أشيلاس ليبقى في بليوسيوم وكان أشيلاس من رأي بوثينس فقتل رسولي بطليموس وزحف على الاسكندرية ومعهُ من الجيوش ٢٠،٠٠٠ من المشاة و ٢٠٠٠ من الفرسان

وكانت كليوبترا لا تزال مع جيشها وراء بليوسيوم ولما كانت بارعة جدًّا في الجمال رأت ، وكان رأيها في محلهِ ، انها تؤثر على قيصر بجمالها اكثر مما تؤثر عليهِ بكتبها للحكم لها على أخيها فأتت متخفية بقارب صغير ومعها رفيق من اخصائها من أهالي جزيرة سيسيليا وقد رأت انهُ يستحيل عليها أن تدخل القصر مكشوفة فلفّت نفسها في سجادة وأمرت رفيقها فحملها على ظهره كأنها طرد بضاعة وأتى بها الى قيصر ففتنتهُ بجمالها ونالت منهُ ما تمنت

ثم وصل اشيلاس بجيشهِ الى الاسكندرية فاعتصم قيصر في القصر الملكي الحصين قرب المرفأ ومعهُ من الرهائن ابنا اوليتس واختهما ارسينوي و بوثينوس الخصي

فحصرهُ اشيلاس في القصر وواقعهُ في عدة وقائع كان النصر فيها يتراوح بين الفريقين

ثم فرت ارسينوى من القصر ولجأت الى جيش اشيلاس وأرسل بوثينس الى اشيلاس يعلمهُ ان قيصر يعوزهُ الزاد ويحثهُ على استمرار الحصار فعلم قيصر بذلك فقتلهُ

ووقع خلاف بين ارسينوى وأشيلاس فأمرت بقتلهِ وولت خصيها جانيميدس قائداً عاماً على الجيوش مكانهُ واستبدت بملك مصر فشددت الحصار على قيصر وهاجمتهُ برًّا وبحراً وقيصر يردُّ هجماتها حتى كلَّ الفريقان من القتال وعقدا هدنة. وملَّ الاسكندريُّون تحكُّم ارسينوى وخصيها قائد جيشها وطلبوا من القيصر ملكهم بطليموس الأكبر فأرسلهُ اليهم ظناً منهُ أنهُ يريحهُ شرَّ أرسينوى وينهي هذه الحرب التي لم تكن تخطر لهُ على بال . ولكن بطليموس خيَّب أمل قيصر فشدد عليه الحصار ووضع بعض المراكب في فم النيل الكنوبي لمنع وصول الزاد اليهِ من سوريا فأرسل قيصر عمارتهُ من الاسكندرية لتشتيت هذه المراكب فرجعت خائبة خاسرة

﴿ واقعة بليوسيوم العاشرة ﴾ وفي هذا الوقت قدم متريدات ملك برغامس بجيش من سوريا وسيليسيا لنجدة قيصر ونزل تجاه بليوسيوم وحمل على أسوارها وافتتحها عنوةً يوم وصولهِ ثم زحف نحو ممفيس حتى أتى هليوبولس فحاول أن يعبر النيل هناك فتصدى لهُ اليهود القاطنون تلك الجهة وحملوا السلاح في وجههِ ولكن متريدات أتاهم بكتب من أبناء جنسهم في أورشليم فلما اطلعوا عليها انقلبوا الى معونتهِ . وكان الوالي على اليهودية اذ ذاك من قبل الرومان هركانوس الثاني فأرسل انتيباتر الأدومي المارّ ذكرهُ بجيش مؤلف من ٣٠٠٠ من السور بين اليهود والعرب لنجدة قيصر فوصل في وقت الحاجة اليهِ

وكان بطليموس قد علم بقدوم متريدات فأرسل قوة الى الاسكندرية لمنعهِ من عبور النيل ثم لحقها بجميع جيشهِ وبذلك ارتفع الحصار عن الاسكندرية فسار قيصر لمعونة متريدات وتمكن من الانضمام اليهِ قبل انتشاب القتال مع جيش بطليموس فواقع بطليموس في عدة وقائع عند رأس الدلتا فغلبهُ فامتنع بطليموس في معسكر حصين وراء ترعة عميقة فحمل قيصر عليهِ وكسر جنوده ففرُّوا بلا نظام الى مراكب لهم في

النيل وغرق مركب بطليموس من كثرة اللاجئين اليهِ وكان هو بين الغرقى ووقعت ارسينوى أسيرة في يد قيصر . و بعد هذا النصر أسرع قيصر بفرسانهِ الى الاسكندرية فدخلها بلا معارض وأصبح الآمر الناهي فأمر بتنفيذ وصية بطليموس أوليتس كما هي . ولما كان الابن الأكبر من ابني اوليتس قد مات عيّن بطليموس الأصغر وسنهُ اذ ذاك ١١ سنة شريكاً لكليوبترا في الملك وعاد الى رومية آخذاً الأميرة ارسينوى أسيرة معهُ . وترك في مصر حامية من العساكر الرومانية تنفق عليها كليوبترا وتكون اسميًّا تحت أوامرها ولكنها فعلاً تحفظ مصر تحت طاعة رومية

وكانت كليوبترا قد ولدت لقيصر ابناً وسمتهُ قيصر الصغير فلما بلغ من العمر أربع سنين ذهبت بهِ الى رومية فأحسن قيصر استقبالها وأسكنها قصراً لهُ على نهر التيبر. وفي ١٥ مارس سنة ٤٤ ق . م قُتل قيصر في الندوة غيلة بمؤامرة أخص منشئيها كاسيوس و بروتس الذي غمره قيصر بنعمهِ ووقعت رومية بيد ثلاثة من قوادها وهم اوغسطوس قيصر ومرقس انطونيوس ولبدس فسُمّيت حكومتهم بالحكومة الثلاثية . فطلبت كليوبترا من مجلس الأعيان الاعتراف بجعل ابنها من قيصر شريكاً لها في ملك مصر بدلاً من أخيها ولكن رجال السلطة اذ ذاك لم يسعفوها على ذلك فعادت الى مصر وهي تنوي انفاذ عزمها بالقوّة عند سنوح الفرصة . ولما كان بطليموس أخوها زوجها الثاني دون البلوغ لم يكن يهمها بقاؤه فلما دخل في سن الخامسة عشرة وصار يمكنهُ أن يطالب المساواة بها أمرت بعض عبيدها فقتلوه فحكمت وحدها وسمت ابنها شريكاً لها في العرش . وأرسلت من مصر جيشاً مؤلفاً من اربع كتائب رومانية الى سوريا لينصروا مرقس انطونيوس على قاتلي قيصر فلما وصلت هذه الكتائب الى سوريا حازها كاسيوس وضمَّها الى القوة التي جمعها لمحاربة مرقس انطونيوس

ولكن مرقس انطونيوس تغلَّب على جميع خصومهِ وأرسل أمراً الى كليوبترا لتوافيه الى طرسوس فوافتهُ اليها في زورقٍ مجاذيفهُ من فضة وقلوعهُ من حريرٍ مدبّج ومفروشٍ بأنفس الرياش وارتدت أفخر ثيابها وأحاطت نفسها بجواريها فأدهشتهُ بغناها كما فتنتهُ بجمالها وقد أرسل بطلبها وهو لها السيد الآمر فأصبح العبد الطائع. وكان أول ما طلبت

منهُ أن يقتل أختها ارسينوى ليخلو لها الجو في مصر فقتلها في هيكل ديانا في أفسس ثم سألتهُ أن يأتي معهـا الى الاسكندرية فحضر واولدها بنتاً ثم توأمين صبياً وبنتاً . ثم بلغهُ ان خصمهُ اوغسطوس قيصر طرد امرأتهُ وأخاه من رومية فأسرع الى رومية وقبل وصولهِ كانت امرأتهُ قد ماتت فتزوج بأخت اوغسطوس تقوية لحزبهِ . ومع ذلك فان الوحشة قد ازدادت بين انطونيوس وأوغسطوس حتى أدَّت الى حرب بينهما في اكسيوم سنة ٣١ ق . م كان أوغسطوس الفائز فيها . ففرَّ انطونيوس الى الاسكندرية وعاش مع كليوبترا عيشة الرخاء والترف التي اعتادها من قبل

﴿ واقعة بليوسيوم الحادية عشرة ﴾ فتبعهُ اوغسطوس مطارداً لهُ حتى أتى بليوسيوم وحارب جيش مصر بالبر والبحر فسلمت لهُ بليوسيوم وزحف على الاسكندرية فخرج انطونيوس لمصادمتهِ برًّا وبحراً ولكن قواد انطونيوس خانوهُ وفتحوا الطريق لاوغسطوس فدخل المدينة . وعند ذلك استل انطونيوس سيفهِ وجعل رأسهِ على صدره ثم انثنى عليهِ فاخترق قلبهُ وخرَّ قتيلاً

أما كليوبترا فقد أمر أوغسطوس فقُبض عليها حية وكان يحب أن يأخذها أسيرة الى رومية ليتباهى بها ولكنها لما علمت بانتحار حبيبها انطونيوس شربت سمًّا وماتت . والمشهور انها افلتت على صدرها حية أُتي بهـا اليها في سلَّة ثمار فلسعتها فماتت وهي في الـ ٣٩ من عمرها وقد ملكت ٢٢ سنة ودفنت في قبرها باحتفال ملكي . وبها انتهت دولة البطالسة وبدأت دولة الرومان على مصر وذلك سنة ٣٠ ق . م

دولة الرومان في سوريا سنة ٦٤ ق.م : ٦٣٨ ب.م وفي مصر سنة ٣٠ ق.م : ٦٤٠ ب.م

هذا ومنذ استولى الرومان على سوريا ومصر أخذوا يرسلون اليهما الولاة من أبناء جنسهم وما زال هذا حالهم الى انقضاء ملكهم . ومما يلفت النظر في تاريخ هذين القطرين انهُ منذ الفتح الروماني أصبح سيد القطرين واحـداً الى تاريخ الحرب الحاضرة فانهما خرجتا من يد الرومان الى العرب المسلمين ثم الى الأتراك العثمانيين . لذلك ولما كانت الملاحة قد تقدمت في مصر والشام منذ الفتح الروماني أصبح الاتصال بين البلادين من ذلك العهد بحراً اكثر كثيراً منهُ برًّا . وها نحن مثبتون هنا أهم

ما كان من تلك العلائق وما كان من أمر اليهود مع الرومان استطراداً لتاريخهم فنقول:

﴿ اليهود تحت حكم الرومان ﴾ قدمنا ان الرومان ملكوا اليهودية على يد بمبيوس الكبير سنة ٦٣ ق . م وثبّتوا هركانوس الثـاني على اليهودية تحت سلطة رومية . وكان قد هاد في عهد اسكندر أبي هركانوس رجل أدومي اسمهُ انتيباتر فولاّهُ اسكندر على أدومية وبقي الى عهد ابنهِ هركانوس الثاني . فأرسلهُ أولاً نجدة لبطليموس أوليتس سنة ٥٥ ق . م ثم أرسلهُ نجدة الى يوليوس قيصر عند ما كان محصوراً في الاسكندرية فكان لهُ فرجاً عظيماً كما مرّ . فلما استتب الأمر لقيصر أمر أن يسمى هركانوس رئيس الكهنة وجعل انتيباتر نائباً لهُ في اليهودية وذلك سنة ٤٨ ق . م فصار مُلك اليهود الى هذا الأدومي و بنيهِ من ذلك الحين

وكان لانتيباتر أربعة أولاد منهم فسايل وهيرودس فجعل فسايل والياً على اورشليم وهيرودس والياً على الجليل وذلك سنة ٤٤ ق . م * وفي هذه السنة قتل قيصر غيلة في رومية وانتيباتر في اليهودية فتولى هيرودس ابن انتيباتر مكان أبيهِ وكان داهية طاغية سفاكاً للدماء فتغلب على جميع خصومهِ من اليهود واستبد بهم

﴿ مجيء المسيح الى مصر وعَودهُ منها ﴾ وفي آخر سنة من حكم هيرودس وُلد يسوع المسيح في بيت لحم من مريم العذراء . والسنة التي وُلد فيها المسيح سابقة للتاريخ المسيحي المستعمل الآن بأربع سنين لأن منشيء التاريخ المسيحي وهو دانيس الصغير أحد كهنة رومية المتوفى سنة ٥٤٠ ب . م بدأهُ خطأً بعد ميعادهِ الحقيقي بأربع سنين فالسنة الحالية سنة ١٩١٦ م مثلاً هي في الحقيقة سنة ١٩٢٠م

« ولما وُلد يسوع المسيح . . . اذا مجوس من المشرق قد جاءوا الى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود . فاننا رأينا نجمهُ في المشرق واتينا لنسجد لهُ . فلما سمع هيرودس اضطرب . . . فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يُولد المسيح فقالوا لهُ في بيت لحم . . . » — وكان هيرودس عالماً بانتظار اليهود رئيساً سياسياً وفقاً لنبوات التوراة ولم يشأ أن يقوم من اليهود ملك من غير نسلهِ فنوى على قتل المسيح — « فدعا المجوس سرًّا وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر . ثم أرسلهم

الى بيت لحم وقال اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي ومتى وجدتموهُ فاخبروني لكي آتي أنا أيضاً وأسجد لهُ ... فذهبوا واذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف حيث كان الصبي . . . فأتوا الى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمهِ فخرُّوا وسجدوا لهُ . . . ثم أُوحي اليهم في حلم أن لا يرجعوا الى هيرودس فانصرفوا الى بلادهم في طريق أخرى . . . واذا ملاك الرب ظهر ليوسف في حلم قائلاً قم وخذ الصبي وأمهُ واهرب الى مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكهُ . فقام وأخذ الصبي وأمهُ ليلاً وانصرف الى مصر. وكان هناك الى وفاة هيرودس . . . ولما رأى هيرودس ان المجوس سخروا بهِ غضب جدًّا فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها من ابن سنتين فما دون... فلما مات هيرودس اذا ملاك الرب قد ظهر في حلمٍ ليوسف في مصر قائلاً قم وخذ الصبي وأمهُ واذهب الى أرض اسرائيل لأنهُ قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي فقام وأخذ الصبي وأمهُ وجاء الى اسرائيل . . .» (متى ص ٢)

وقد كانت الدعوة التي جاء بها المسيح روحية ديموقراطية خلاصتها : « محبة الله والقريب ومقابلة الشر بالخير رغبةً في الخير وترفُّعاً عن الشر ». وأول ما ترمي اليهِ تجديد القلب وتنقية الضمير . وهي لا تقف بعاطفة أبنائها عند حدّ الجنس أو الدين بل تبسطها على البشرية كافة وآيتها الذهبية: « افعلوا بالناس ما تريدون الناس أن يفعلوا بكم»

وكان الناس قد ملُّوا من عبادة الأصنام التي كانوا يصنعونها بأيديهم وتعبوا من تقديم الذبائح البشرية والحيوانية للآلهة فلبُّوا دعوة المسيح واعتنقوا ديانتهُ بكل رغبة وحماسة. وكان أوَّل من بشّر بالمسيح في مصر، حسب تقاليد الكنيسة، مرقس الانجيلي. وقد قاوم امبراطرة الرومان دين المسيح واضطهدوا أصحابهُ أشد الاضطهاد في كل جهة ومع ذلك فقد انتشر في العالم الروماني كلهِ انتشاراً عظيماً . ولما قام قسطنطين الكبير سنة ٣٢٣ : ٣٣٧ م اعتنق الدين المسيحي وجعلهُ الدين الرسمي للملكة الرومانية فسطعت شمس المسيح اذ ذاك في الشرق والغرب وما زالت

وكان نجم اليهود قد بدأ بالافول في سوريا ومصر منذ عهد الامبراطور طيباريوس

سنة ١٤ : ٣٧ م فانهُ في عهد هذا الامبراطور كان في مصر نحو مليون يهودي وكان ثلث سكان الاسكندرية منهم ولهم شيوخ ومجلس ملي خاص وكانوا يذهبون في أعيادهم الكبيرة الى هيكلهم في أُون (هليو بولس) . على أن بعضهم كانوا خاضعين لمجلس الملة في اورشليم ويعتقدون ان هيكل اورشليم هو الهيكل الوحيد لليهود وكان من عادة هؤلاء في الأعياد الكبيرة أن يرسلوا الى اورشليم من ينوب عنهم في تقديم الذبائح والصلوات . الاَّ أنهُ بالرغم عن اصدار القيصر أمره العالي الذي نقش على عامود الاسكندرية بأن لليهود حق مدنية الاسكندرية كاليونان فان حكومة الاسكندرية واليونان بل المصريين أنفسهم لم يعطوهم هذا الحق . فقد كان الحق في ذلك العهد للقوة ومن الأسف أنهُ لا يزال كذلك الى اليوم ! وسيبقى كذلك أجيالاً بعد ! !

ثم انقضى عهد طيباريوس وأتى عهد جاليغولا ٣٧ : ٤١ م ثم قلوديوس سنة ٤١ : ٥٥ م فبدأ اضطهاد اليهود في مصر وسوريا . واشتدت المظالم عليهم في أيام نيرون سنة ٥٥ : ٦٨م فتألبوا للدفاع عن حريتهم واستقلالهم . وبقوا الى عهد فسباسيان سنة ٦٩ : ٧٩م فأرسل قائده تيطس بجيش لقمعهم فاتخذ الطريق الآتية :

سار من الاسكندرية ميلين ونصف ميل فأتى نيكوبولس . فركب النيل الى ثميوس قرب مندس . ثم سار اليوم الأول الى تانيس . والثاني الى هيرقليوم . والثالث الى بليوسيوم وهناك عبر النيل . والرابع الى القَلْس . والخامس الى اوستراسين وهناك قابلوه بماء للشرب . والسادس الى رينوكلورا (العريش) . والسابع الى رفح بلدة الحدود . ومنها الى اورشليم فحصرها و بذل جهده لافتتاحها صلحاً . ووقع في يدهِ يوسيفوس المؤرخ الشهير فأرسلهُ الى اليهود ليعرض على اخوانهِ الأمان فأبوا فشدَّد الحصار على المدينة وافتتحها عنوة في ١٠ أوغسطوس سنة ٧٠ م بعد ان دافع اهلها عنها دفاعاً لا مثيل له في التاريخ . وخرب تيطس الهيكل وهدم أسوار المدينة الى أساسها وأعمل بأهلها السيف وشتت من بقي منهم في الأقطار

وبقي اليهود لا يحركون ساكناً في السياسة الى عهد الامبراطور هدريان سنة ١١٧ : ١٢٨ م فثاروا على النائب الروماني في سوريا وكان زعيمهم رجل يدعى

« باركوكب » أملوا أن يكون المسيح المنتظر ويحررهم من العبودية . وجمع يهودمصر جيشاً صغيرًا وأرسلوهُ نجدة لأخوانهم فأرسل هدريان عليهم جيشاً قوياً شتّت شملهم وقتل منهم خلقاً كثيرًا وأتى بقوم من رومية فعمَّر بهم اورشليم فأقاموا فيها عبادة آلهة رومية لينفروا منها اليهود الباقين وأصبحت من ذلك العهد مهجراً رومانياً

وبعد هذا الاضطهاد لم يقم لليهود قائمة فانهم تشتتوا في أقطار العالم ومع ذلك فلم يتركوا جنسيتهم ولا نسوا دينهم ولا بلادهم فكانوا أينما حلُّوا أقاموا شعائرهم وحافظوا على عاداتهم وتقاليدهم وأملوا الرجوع منصورين الى اورشليم وما زال هذا شأنهم الى اليوم

﴿ التلمود ﴾ ثم بعد هذا الاضطهاد اجتمع بعض علماء اليهود في طيبارية فشادوا مدرسة علّموا فيها فرائض دينهم وتقاليدهم وعاداتهم وألفوا كتابهم المعروف « بالتلمود » ليكون جامعة معنوية لامتهم اذ لم تعد لهم جامعة وطنية . وهو قسمان : « المشنا » ومعناه الشريعة الثانية وهو تفسير التوراة . « والغَمَرة » ومعناه التكميل وهو تفسير المشنا * والمشنا تفسيران :

« الأورشليمي » ألّفهُ علماؤهم الذين بقوا في اليهودية وقد بدأوا بتأليفهِ في القرن الثاني ولم يتمّ الاّ في القرن الرابع

« والبابلي » ألّفهُ علماؤهم الذين هاجروا الى بابل على أثر اضطهادهم الأخير ولكنهُ لم يتمّ الاّ في القرن السادس * واليهود باعتبار التلمود فريقان :

« الربانيون » وهم أصحاب التلمود وهم جمهور اليهود

« والقرائون » وهم ينكرون التلمود ولا يعتقدون الاّ بالتوراة والأنبياء ولا يزيد عددهم على ربع مليون

وأما «السمرة» فلا يعتقدون الاّ بتوراة موسى والأنبياء الى يشوع ولا يصدقون بالتلمود وعددهم الآن لا يزيد على ٢٠٠ نفس وكلهم في نابلس . وهم لحد الآن يقدمون الذبائح وهي قربان الفصح على جبل جرزّيم

ويبلغ عدد اليهود الآن حسب تقدير بعض أعيانهم ١٢ مليوناً موزعين كما يأتي:

العدد	المكان	العدد	المكان
٥٬٥٠٠٬٠٠٠	في روسيا	١٬٥٠٠٬٠٠٠	في أميركا واوستراليا
٢٬٠٠٠٬٠٠٠	في النمسا	١٬٢٠٠٬٠٠٠	في العجم وشمال أفريقيا
٥٠٠٬٠٠٠	في المانيا	٥٠٠٬٠٠٠	في تركيا اوربا وآسيا منهم نحو ١٠٠ ألف في سوريا ونحو ٤٥ ألف في مصر
٣٠٠٬٠٠٠	في رومانيا		
٥٠٠٬٠٠٠	في انكلترا وفرنسا وبلجيكا وهولاندا وايطاليا	١٢٬٠٠٠٬٠٠٠	الجملة

وقد نظّم اليهود حديثاً جمعيتين كبيرتين :

« الصهيونية » وغايتها جمع اليهود كلهم في صهيون أي فلسطين موطنهم الأصلي

« والاقليمية » وغايتها جمع اليهود في أية بقعة من بقاع الأرض ليخلصوا من الشتات . وهؤلاء يعلمون ان غاية الصهيونية غير مستطاعة لأن أهل فلسطين أنفسهم يقاومونها أشد المقاومة والدول لا تساعدهم عليها . وهم يقولون انهُ متى ظهر المسيح فهو يجمعهم في صهيون بقوّة الله

﴿ الدولة التدمريَّة في بادية الشام ﴾ وفي أواسط القرن الثالث للمسيح قام في بادية الشام مملكة عربية قوية عاصمتها تدمر . وهي في طريق الشام الى بابل على نحو ١٧٦ ميلاً رومانياً من الشام ونحو ضعفي ذلك من بابل . وقد كانت تدمر الوصلة بين الرومان في سوريا والفرثيين الذين خلفوا الفرس شرقي دجلة وكانت المملكتان تخطبان ودَّها بدلاً من ان تخضعاها

وأشهر ملوكها « أدوناتوس » كان محالفاً رومية . وبعد موتهِ تولّت زوجتهُ « زنوبيا » عرش تدمر فنقضت عهد رومية وملكت سوريا وآسيا الصغرى وقهرت الجيوش التي أرسلها الامبراطور جاليانوس الروماني (سنة ٢٥٣ : ٢٦٨ م) ضدها . وادَّعت انها من نسل كليو بترا ملكة مصر المار ذكرها وسيَّرت جيشاً الى مصر بقيادة « زبدا » لاسترجاع عرش أجدادها . وكان جيشها مؤلفاً من نحو ٧٠ ألفاً من أهل تدمر وسوريا والبجة ؟ فالتقاهم جيش مصر وكان مؤلفاً من نحو ٥٠ الف جندي بقيادة بروباتس فهزموهُ فانتحر من شدة قهره . ومع ذلك فان جيش تدمر لم يفز بامتلاك مصر فان المصريين اعترفوا بقلوديوس امبراطوراً عليهم

وبعد موت قلوديوس جدَّد التدمريون غزوتهم على مصر فملكوها سنة ٢٦٨ م

واعترف المصريون بزنوبيا ملكة عليهم « وكان ذلك هو الفتح العربي الثالث لمصر »

ولما تولى أورليان امبراطوراً على رومية سنة ٢٧٠ : ٢٧٥ م منح زنوبيا اسم شريك لهُ في الملك وضرب النقود في الاسكندرية رأسهُ على وجه ورأسها على الوجه الآخر . ثم قاد جيوشهُ على سوريا وحاربها في واقعتين فتغلب عليها وأخذها أسيرة الى رومية بعد أن ملكت أربع سنين في تدمر وبضعة أشهر في مصر

الدولة العربية الاسلامية في مصر

وبقيت مصر بيد الرومان الى أن افتتحها العرب المسلمون سنة ٦٤٠ م على يد عمرو بن العاص كما مرَّ . وكان بينهم وبين الرومان في بليوسيوم واقعة هي الثانية عشرة من وقائع بليوسيوم . « وكان هذا الفتح هو الفتح العربي الرابع لمصر »

الدولة التركية العثمانية في مصر

وما زالت مصر تحت حكم العرب وقد تقلَّب عليها عدة دول منهم ومن الأتراك المماليك والجراكسة وقد مرَّ ذكرها جميعاً حتى فتحها الأتراك العثمانيون على يد السلطان سليم سنة ١٥١٧ م

وكانت الطريق الوحيد للجيوش والتجار بين مصر والشام «طريق الفرما» على شاطئ البحر المتوسط منذ أول عهد التاريخ الى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي في القرن الثاني عشر للمسيح فاستجدّ «طريق العريش» . وكان أول من سار بهذه الطريق من الفاتحين السلطان سليم . وما زال الطريقان مستعملان بين مصر وسوريا الى اليوم

الدولة الفرنساوية في مصر

وامتلك الفرنساويون مصر على يد نابليون الكبير سنة ١٧٩٨ : ١٨٠١ م . وهاجم نابليون سوريا وعاد منها بطريق العريش كما مرّ

الأسرة المحمدية العلوية في مصر

واستقل بمصر الأسرة المحمدية العلوية سنة ١٨٠٥ وهاجم ابراهيم باشا سوريا وعاد منها بطريق العريش كما مرّ . وبقيت مصر تحت سيادة الأتراك العثمانيين الى تاريخ هذه الحرب فزالت عنها تلك السيادة كما سيجيء

﴿ سكان مصر ﴾ وأهل مصر الآن مزيج من أقباط نصارى. وعرب مسلمين. وعرب بادية. وأتراك مسلمين . وسوريين نصارى ومسلمين ويهود . وافرنج نصارى يونانيين وطليان وانكليز وفرنساويين ونمساويين والمان وروسيين و بلجيكيين وغيرهم وفي التعداد الرسمي الأخير سنة ١٩٠٧ بلغ عددهم ١١,٢٨٧,٣٥٩ نفساً منهم ١٠,٢٦٩,٤٤٥ مسلمون ربما كان ثلثاهم من أصل قبطي والثلث الباقي من أصل عربي بينهم ٢٧,٥٩١ من أتراك عثمانيين وأعجام وغيرهم

٧٠٦,٣٢٢ (أقباط نصارى منهم ١٤,٥٧٦ كاثوليك و ٢٤,٧١٠ بروتستانت (والباقون أرثوذكس

١٧٥,٣٧٠ نصارى سوريون وافرنج من جميع الأجناس وأكثرهم يونانيون وطليان

٣٨,٦٣٥ اسرائيليون

٩٧,٥٨٧ أديان أخرى

﴿ قبائل البدو في مصر ﴾ أما البدو في مصر فقد بلغ عددهم في التعداد الأخير ٦٣٥,٠٠٠ منهم ٩٧,٣٨٠ قُدّروا تقديراً وهم قبائل شتى. وكلهم مسلمون وينتسبون الى عرب الحجاز . وهم لا يزالون يتمتعون بامتيازات جمة أهمها اعفاؤهم من القرعة العسكرية ومحاكمتهم بموجب قانون خاص ينطبق على عرفهم وعاداتهم . وهذه هي قبائل البدو في القطر المصري كما في نشرة قانون العربان الرسمية المؤرخة ٧ يناير سنة ١٩٠٦ :

في مديرية القليوبية : العُلَيقات . الحويطات (وعمدتهم سعد بك شديد) العايدة بحري . جهينة . الصُّهب . بلي بحري . الصوالحة

في مديرية الشرقية : الهنادي. الطُميلات . العبابدة بحري . مُطَير . النفيعات . (وعمدتهم منصور بك نصر الله). السعديين (وعمدتهم محمد بك شابي) السماعنة. أولاد موسى (وعمدتهم أمين بك بدران) . البياضين. أولاد سليمان. عبس. العقايلة . الأخارسة . بني غازي . القطّاوية . العتبيين . جهينة الشرقية . أولاد علي الشرقية

في مديرية المنوفية : القدادفة

في مديرية الغربية : بنو عون . البهَجة . الضُّعفا البحرية . الفواخر . المداهيد

في مديرية البحيرة : أولاد علي (وفروعها . أولاد علي الأحمر . أولاد خروف. السننا . السناقرة وعمدتهم عمر بن خير الله بك الدّجن) . الجميعات . سمّالوس الدُّمينات . الجوابيص . التمّايم . هوّاره . الربايع . لَزْد

في مديرية الجيزة : النجَمة . الترابين . النعام . العبايدة قبلي

في بني سوَيف : المشارقة . خويلد . السعادنة . فزارة . الضُّعفا

في مديرية الفيوم : الحرابي (وعمدتهم عبد الستار بك الباسل) . الصبيحات. سمّالوس . فرجان الفيوم . الرماح . البراعصة . الحوّته

في مديرية المنيا : الفوايد (وعمدتهم للوم بك السعدي) . المعازة . الفرجان . الجوازي البيض الجوازي الحمر . الجلالات

في مديرية أسيوط : مطير . الجهَمة . السعادنة التابعة للجهمة . العطيّات . العطيات قبلي.العطيات التابعة للجهمة.طرهونة (وعمدتهم مهنى بك سيف النصر) انداره التابعة لطرهونة . الطرشان واجلاص التابعة لطرهونة . العمايم . الشنابلة . الكلَيبات . الأطاولة

في مديرية جرجا : بلي . بنو واصل . الرشايدة . الحروبة . الصبحة

في مديرية قنا : الكلاحين . العوازم . العزايزه . الهدلاو . جهينة قبلي

في مديرية اسوان: العليقات. العبابدة وفروعها : العشّاباب . الفقرا والمليكاب. العبودين والشناتير

﴿ قبائل الصحراء الغربية ﴾ وأما قبائل الصحراء الغربية فقد حدثني بها الشيخ موسى صالح شيخ زاوية مربوط وغيره من الخبيرين بهم قالوا :

يسكن صحراء ليبيا أو الغربية من النيل الى جالو والكفرة فريقان من البدو : « المرابطون والسعادي » . والمرابطون أقدم من السعادي ويعرفون أيضاً بالصدقان أو الأصدقاء وأهمّ قبائلهم : زُوَي . المجابرة . الأواجلة . المنفة . الموالك . الشواعر . الجرارّة . القطعان . الحوّته . القبائل . التراكي . مسراته . الشهيبات . الفواخر . ترهونة . العوائمة . الصوانعة . السلاطنة . سُعَيط . القدادفة

والسعادي فريقان : فريق يسكن الصحراء من حدود النيل الى بني غازي قيل ان هؤلاء نسل أولاد سعدى . وفريق يسكن الصحراء من بني غازي الى حدود جالو

أما أولاد سعدى فهم ثلاثة : عقار . وجبريل . وبرغوث وكل منهم رئيس قبائل وافخاذ شتى

١. فمن ذرية عقار : أولاد علي . الحرابي . الهنادي . بني عونه

ومن فروع اولاد علي : علي الأحمر ومنهم القنيشات والعشيبات والكميلات . وعلي الأبيض ومنهم السناقرة وأولاد خروف والسننا . ومن السننا عروة ومُحَيفظة

ومن فروع الحرابي : البراعصة . والخاسة . والدَّرَسة . والعبيدات

٢. ومن ذرية جبريل : العواقير . والعرَيبات . والمغاربة . والجوازي

٣. ومن ذرية برغوث : العَبيد . والعرَفة . والفوايد

ومن السعادي الذين لا ينتمون لأولاد سعدى ويسكنون الصحراء الغربية من بني غازي الى جالو والكفرة : الفرجان . الحُسون . أولاد أبو سيف . ورِفَلاّ . المحاميد . المقارحة . أولاد سليمان . الرماح

ومن ذلك ترى ان بعض قبائل السعادي والمرابطين كأولاد علي والمنفة وغيرهم قد انقسموا قسمين فقسم سكن القطر المصري والقسم الآخر بلاد برقة وطرابلس الغرب

وكل قبيلة من المرابطين هي في حمى قبيلة من السعادي وتدفع لها جعلاً سنوياً . ولعلّ السبب في ذلك ان السعادي جاءوا البلاد فاتحين فضربوا على المرابطين جزية لا تزال الى اليوم . وفي رواية العرب المرابطين ان سعدى أم الاخوة الثلاثة وفدت على بيت مناف جد المنفة وكان أشهر المرابطين وعمدتهم فجعل على كل قبيلة من المرابطين جعلاً يدفعونهُ لسعدى لتربي أولادها اليتامى فسرى هذا الجعل عليهم وصار السعادي يحسبونهُ حقاً لهم الى اليوم يطالبون بهِ اذا قصَّر مرابطوهم بادائهِ . ومن ذلك أنهُ اذا ضاف السعادي أحدَ المرابطين ولم يحتفل بضيافتهِ رفع الأمر الى مجلس عرفي وألزم القاضي المرابطَ دفع غرامة للسعادي حسبما يتراءى لهُ واذا ظلم سعاديّ مرابطاً شكاه الى صديقه الذي يحميه فاذا لم يحصل لهُ حقهُ ترك صداقتهُ واتخذ لهُ صديقاً آخر



﴿ صاحب العظمة السلطان حسين كامل سلطان مصر ﴾

وعهد مصر الجديد

منذ ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤

لما ثار المصريون تحت راية عرابي في عهد المغفور لهُ توفيق باشا تدخلت انكلترا فاطفأت الثورة بمعركة التل الكبير في ١٢ سبتمبر سنة ١٨٨٢ واحتلت جنودها مصر على أن تخرج منها ريثما يعود اليها النظام ويستتب الأمن . ولكنها ما لبثت ان رأت ان مهدي السودان محمد أحمد كان أصعب مراساً وأشدّ خطراً على الراحة في مصر والسودان معاً من عرابي فلم ترَ بدًّا من البقاء في مصر ريثما تخمد ثورة المهدي ثم ثورة خليفته عبدالله التعايشي من بعدهِ فانهما استوليا على السودان كله وهدَّدا مصر. فأخذ الانكليز يناوئونهما ويسترجعون السودان بلداً بلداً حتى استرجعوا الخرطوم عاصمة السودان عن يد بطلها اللورد كتشنر بعد وقعة أُم درمان في ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨

ولكنهم لم ينتهوا من مهمتهم في السودان الاّ بعد القضاء على التعايشي بيد « بطل جديد » الجنرال السر رجينولد ونجت باشا سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام الحالي في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩ على ما بينا بالتفصيل في كتابنا تاريخ السودان

وكان الانكليز قد فاوضوا الباب العالي سنة ٧ — ١٨٨٨ بشأن خروجهم من مصر فما لقوا شروطاً يطمئنون اليها فقرروا البقاء حتى ينالوا الشروط التي ترضيهم فتولوا المراكز الرئيسية في البلاد وشرعوا في اصلاحها فنظموا ماليتها وريها وجيشها وداخليتها وسائر مصالحها الحيوية

وتوفي المغفور له توفيق باشا فخلفهُ ابنهُ الأكبر عباس باشا في ٨ يناير سنة ١٨٩٢ فلم يطل الوقت حتى ظهر « الحزب الوطني » ونادى بطلب جلاء الانكليز عن مصر. وفي حادثة العقبة سنة ١٩٠٥ أحدثت جرائد هذا الحزب بعض الشغب في البلاد كما مرَّ

ورأى الانكليز انهم اذا خرجوا من مصر وسلموها للترك في الاستانة فبناء الاصلاح الذي شادوهُ يتهدَّم الى الأرض بعد خروجهم منها بقليل ويتطرق الخلل الى جميع مصالحها وتضطرب ماليتها وتعود اليها الفوضى التي كانت قبل الثورة العرابية فيضطرون أن يعودوا اليها للمحافظة على مصالحهم ومصالح اوربا فيها أو تحتلها دولة اوربية مكانهم لذلك قرروا استمرار الاحتلال الى أجل غير معين

هذا وكانوا عند استرجاع الخرطوم سنة ١٨٩٨ قد رفعوا الراية الانكليزية بجانب الراية المصرية وجعلوا السودان حكومة مشتركة بين مصر وانكلترا بموجب اتفاق عقد بتاريخ ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ ولكنهم لم يتعرضوا لسيادة تركيا على مصر ولا للجزية السنوية التي تدفعها مصر الى تركيا

فلما كانت هذه الحرب وضارب الاتحاديون بالسيادة العثمانية على مصر بدخولهم الحرب في جانب الالمان ضد انكلترا رأى الانكليز انهُ لم يعد لهم بدٌّ من ازالة السيادة التركية عن مصر فأزالوها و بسطوا حمايتهم على البلاد

واتفق انهُ عنـد نشوب الحرب الحاضرة كان سمو الخديوي عباس باشا في الاستانة فطلب من الحكومة الانكليزية مساعدتهُ على العودة الى مصر. ولم يكن في ماضيه معهم ما يشجعهم على اجابة الطلب فانهم كانوا قد مارسوهُ طويلاً من قبل و بدَّلوا عليه ثلاثة من كبار ساستهم : اللورد كرومر ثم السر الدن غورست ثم اللورد كتشنر وكان لكل من هؤلاء الساسة اسلوب خاص وكل منهم في اسلوبهِ بذل جهده للاتفاق معهُ فلم يفلحوا . فخاف الانكليز انهُ اذا عاد الخديوي الى مصر في هذا الوقت العصيب ، الذي كانت تشتغل فيهِ دسائس الالمان والاتحاديين بافساد العقول واذاعة الأراجيف ضد الحلفاء ، زاد مركزهم في مصر حرجاً فنصحوا لهُ أن يقيم موقتاً في الاستانة فاستاء من ذلك . قالوا « ولم يمضِ على الحرب شهر حتى كان

يبحث مع الوزراء وكبار القواد في غزو مصر . . . فاقترح عليهِ سفير انكلترا في الاستانة ان يقيم مدة في ايطاليا فأبى . فكان إباؤهُ بمثابة امضاء نفيهِ السياسي » .
وقال اللورد كرومر عنهُ في كتابهِ : — « انهُ فضل الانضمام الى أعداء بريطانيا العظمى ظناً منهُ على الأرجح انهُ مع الفريق الذي يفوز أخيراً في الحرب . وباختياره هذه الخطة ارتكب الانتحار السياسي »

على ان الاتحاديين والالمان بعد ان تملقوهُ كل التملُّق وورَّطوهُ بالانضمام اليهم قلبوا لهُ ظهر المجنّ ولم تنقضِ على دخول الاتحاديين الحرب بضعة أسابيع حتى طلبوا اليهِ أن يتحمّل ويغادر الاستانة فذهب الى سويسرا وأقام فيها

وكان الانكليز قد أقرُّوا على خلعهِ واختيار خلفٍ لهُ من بيت محمد علي باشا بالنظر لما لهذا البيت الكريم من الفضل العظيم على مصر فوقع اختيارهم على البرنس حسين كامل عمّ الخديوي واكبر أعضاء البيت المالك وأحسن من يمثل هذا البيت . فلما عُرِض المركز عليهِ لم يبدِ الرغبة في قبولهِ لأنهُ لم يشأ أن يظهر أمام أُمتهِ كمن جلس في سرير ابن أخيهِ المخلوع . ولكنهُ في الوقت نفسهِ خشي ان هو رفض المركز بتاتاً ان يخرج الحكم من أسرتهِ أو يتولى أمتهُ وبلادهُ اللتين اشتهر بحبهما والغيرة عليهما من لا يحسن خدمتهما أو يقصّر بواجبهما . فتخلصاً من هذين المحذورَين طلب انشاء سرير في مصر غير سرير الخديوية وأرفع منهُ ليأتي أمتهُ بشيء جديد . وفي ذلك من الشهامة وعزة النفس وسمو المطالب والرغبة في رفعة شأن الوطن ما فيه

فدارت المفاوضات بينهُ وبين نائب الحكومة البريطانية في القاهرة السر ملن شيتهام ، يعاونهُ النبيل المستر ستورس السكرتير الشرقي لدار الحماية ، فاستقر الرأي على أن يتبوأ البرنس حسين عرش مصر « بلقب سلطان » وأن يتقدم هذا اللقب كلمتا « صاحب العظمة » تمييزاً لهُ عن امراء الأسرة المحمدية العلوية الذين يلقبون بأصحاب السمو . وأن تكون راية الاسرة العلوية المعروفة راية وطنية لمصر وهي مؤلفة من ثلاثة أهلة بيضاء متجهة محدبها نحو عصا الراية وفي كل هلال نجمة بيضاء ذات خمسة أشعة والكل ملقى على ديباجة حمراء

وقد عينت الحكومة البريطانية معتمداً انكليزياً سامياً لمصر وهو السر هنري مكماهون من كبار موظفي حكومة الهند الممتازين . وبدّل اسم « الوكالة البريطانية » « بدار الحماية البريطانية » وقد بسط السر ملن شيتهام رأي الحكومة الانكليزية في عهد مصر الجديد في بلاغ أرسلهُ الى البرنس حسين كامل هذه ترجمتهُ :

صورة التبليغ الوارد الى الحضرة السلطانية من قبل الحكومة البريطانية

« يا صاحب السمو »

« كلفني جناب ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى أن أخبر سموّكم بالظروف التي سبّبت نشوب الحرب بين جلالتهِ وبين سلطان تركيا وبما نتج عن هذه الحرب من التغيير في مركز مصر

كان في الوزارة العثمانية حزبان أحدهما معتدل لم يبرح عن بالهِ ما كانت بريطانيا العظمى تبذلهُ من العطف والمساعدة لكل مجهود نحو الاصلاح في تركيا ومقتنع بأن الحرب التي دخل فيهـا جلالته لا تمس مصالح تركيا في شيء ومرتاح لما صرح بهِ جلالتهُ وحلفاؤه من أن هذه الحرب لن تكون وسيلة للاضرار بتلك المصالح لا في مصر ولا في سواها . وأما الحزب الآخر فشرذمة جنديين أفاكين لا ضمير لهم أرادوا إثارة حرب عدوانية بالاتفاق مع أعداء جلالتهِ معلّلين أنفسهم أنهم بذلك يتلافون ما جرّوه على بلادهم من المصائب الماليـة والاقتصادية . أما جلالتهُ وحلفاؤه فمع انتهاك حرمة حقوقهم قد ظلوا الى آخر لحظة وهم يأملون أن تتغلب النصائح الرشيدة على هذا الحزب . لذلك امتنعوا عن مقابلة العدوان بمثله حتى أرغموا على ذلك بسبب اجتياز عصابات مسلحة للحدود المصرية ومهاجمة الأسطول التركي بقيادة ضباط ألمانيين ثغوراً روسية غير محصنة

ولدى حكومة جلالة الملك أدلة وافرة على أن سموّ عباس حلمي باشا خديو مصر السابق قد انضم انضماماً قطعياً الى أعداء جلالتهِ منذ أول نشوب الحرب مع ألمانيا وبذلك تكون الحقوق التي كانت لسلطان تركيا وللخديو السابق على بلاد مصر قد سقطت عنهما وآلت الى جلالتهِ

ولما كان قد سبق لحكومة جلالتهِ أنها أعلنت بلسان قائد جيوش جلالتهِ في بلاد مصر أنهـا أخذت على عاتقها وحدها مسؤولية الدفاع عن القطر المصري في الحرب الحاضرة فقد أصبح من الضروري الآن وضع شكل للحكومة التي ستحكم البلاد بعد تحريرها كما ذكر من حقوق السيادة وجميع الحقوق الأخرى التي كانت تدَّعيها الحكومة العثمانية .

فحكومة جلالة الملك تعتبر وديعة تحت يدها لسكان القطر المصري جميع الحقوق التي آلت اليها بالصفة المذكورة وكذلك جميع الحقوق التي استعملتها في البلاد مدة سني الاصلاح الثلاثين الماضية . ولذا رأت حكومة جلالتهِ أن أفضل وسيلة لقيام بريطانيا العظمى بالمسؤولية التي عليهـا نحو مصر أن تعلن الحماية البريطانية إعلانا صريحاً وأن تكون حكومة البلاد تحت هذه الحماية بيد أمير من امراء العائلة الخديوية طبقاً لنظام وراثي يقرَّر فيما بعد

بناءً عليهِ قد كلفتني حكومة جلالة الملك أن أبلغ سموكم أنهُ بالنظر لسنّ سموكم وخبرتكم قد رُئي في سموكم أكثر الأمراء من سلالة محمد علي أهلية لتقلد منصب الخديوية مع لقب « سلطان مصر » . وأني مكلف بأن أؤكد لسموكم صراحة عند عرضي على سموكم قبول عبء هذا المنصب أن بريطانيا العظمى أخذت على عاتقها وحدها كل المسؤولية في دفع أي تعدٍّ على الأراضي التي تحت حكم سموكم مهما كان مصدره . وقد فوّضت اليّ حكومة جلالتهِ أن أصرح بأنهُ بعـد اعلان الحماية البريطانية يكون لجميع الرعايا المصريين أينما كانوا الحق في أن يكونوا مشمولين بحماية حكومة جلالة الملك

وبزوال السيادة العثمانية تزول أيضاً القيود التي كانت موضوعة بمقتضى الفرمانات العثمانية لعدد جيش سموكم وللحق الذي لسموكم في الانعام بالرتب والنياشين

أما فيما يختص بالعلاقات الخارجية فترى حكومة جلالتهِ أن المسؤولية الحديثة التي أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها تستدعي أن تكون المخابرات منذ الآن بين حكومة سموكم وبين وكلاء الدول الأجنبية بواسطة وكيل جلالتهِ في مصر

وقد سبق لحكومة جلالتهِ أنها صرّحت مراراً بأن المعاهدات الدولية المعروفة بالامتيازات الأجنبية المقيدة بها حكومة سموكم لم تعد ملائمة لتقدم البلاد ولكن من رأي حكومة جلالتهِ أن يؤجل النظر في تعديل هذه المعاهدات الى ما بعد انتهاء الحرب

وفيما يختص بادارة البلاد الداخلية عليَّ أن اذكّر سموكم أن حكومة جلالتهِ طبقاً لتقاليد السياسة البريطانية قد دأبت على الجدّ بالاتحاد مع حكومة البلاد وبواسطتها في ضمان الحرية الشخصية وترقية التعليم ونشره وانماء مصادر ثروة البلاد الطبيعية والتدرج في اشراك المحكومين في الحكم بمقدار ما تسمح بهِ حالة الأمة من الرقيّ السياسي . وفي عزم حكومة جلالته المحافظة على هذه التقاليد بل أنها موقنة بأن تحديد مركز بريطانيا العظمى في هذه البلاد تحديداً صريحاً يؤدي الى سرعة التقدم في سبيل الحكم الذاتي

وستُحترم عقائد المصريين الدينية احتراماً تاماً كما تُحترم الآن عقائد نفس رعايا جلالته على اختلاف مذاهبهم . ولا أرى لزوماً لأن أؤكد لسموكم أن تحرير حكومة جلالتهِ لمصر من ربقة أولئك الذين اغتصبوا السلطة السياسية في الاستانة لم يكن ناتجاً عن أي عداء للخلافة فان تاريخ مصر السابق يدل في الواقع على أن إخلاص المسلمين المصريين للخلافة لاعلاقة لهُ البتة بالروابط السياسية التي بين مصر والاستانة

وان تأييد الهيئات النظامية الاسلامية في مصر والسير بها في سبيل التقدم هو بالطبع من الأمور التي تهتم بها حكومة جلالة الملك مزيد الاهتمام وستلقى من جانب سموكم عناية خاصة ولسموكم أن تعتمدوا في اجراء ما يلزم لذلك من الاصلاحات على كل انعطاف وتأييد من جانب الحكومة البريطانية . وعليَّ أن أزيد على ما تقدم أن حكومة جلالة الملك تعوّل بكل اطمئنان على اخلاص المصريين ورويتهم واعتدالهم في تسهيل المهمة الموكولة الى قائد جيوش جلالتهِ المكلف بحفظ الأمن في داخل البلاد وبمنع كل عون للعدوّ

واني انتهز هذه الفرصة فأقدم لسموكم أجلّ تعظيماتي ؟

تحريراً في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ « ملن شيتهام »

تجاه صفحة ٧٣٢



شكل خاص ٣٠ : صاحب الدولة حسين رشدي باشا رئيس الوزراء الحالي

وفي اليوم نفسه انتشر في القاهرة ثم في جميع مراكز المديريات المنشور الآتي :

« يعلن وزير خارجية بريطانيا العظمى انهُ نظراً الى حالة الحرب الناشئة من عمل تركيا وُضعت مصر تحت حماية جلالتهِ وستكون من الآن محمية انكليزية . وبذلك انتهت سيادة تركيا في مصر . وستتخذ حكومة جلالة الملك جميع التدابير اللازمة للدفاع عن مصر وتصون سكانها ومصالحها » اه

هذا وكان صاحب الدولة حسين رشدي باشا رئيس الوزراء قد استعفى هو وسائر أعضاء الوزارة حالما أبلغ رسمياً عزل الخديوي فكان أول عمل رسمي أتى بهِ السلطان حسين هو أنهُ أصدر الأمر الآتي : —

الامر الكريم السلطاني الصادر لصاحب المطوفة حسين رشدي باشا

« عزيزي رشدي باشا »

« ان الحوادث السياسية التي وقعت في هذه الأيام ادت الى بسط بريطانيا العظمى حمايتها على مصر والى خلو الأريكة الخديوية

وبهذه المناسبة ارسلت الحكومة البريطانية الينا رسالة نبعث بصورتها اليكم لنشرها على الأمة المصرية ، موجهة فيها نداءها الى ما انطوى عليهِ فؤادنا من عواطف الإخلاص نحو بلادنا لكي نرتقي عرش الخديوية المصرية بلقب « السلطان » وستكون السلطنة وراثية في بيت محمد علي طبقاً لنظام يقرّر فيما بعد

وقد كان لنا بعد أن وقفنا حياتنا كلها الى اليوم على خدمة بلادنا أن يكون الاخلاد الى الراحة من عناء الأعمال مطمح أنظارنا ، الاّ أننا بالنظر الى المركز الدقيق الذي صارت اليهِ البلاد بسبب الحوادث الحالية قد رأينا مع ذلك أنهُ يتحتم علينا القيام بهذا العبء الجسيم وان نستمر على خطتنا الماضية فنجعل كل ما فينا من حولٍ وقوة وقفاً على خدمة الوطن العزيز

هذا هو الواجب المفروض علينا لمصر ولجدنا المجيد محمد علي الكبير الذي نعمل على تخليد الملك في سلالتهِ

وبما فُطرنا عليهِ من الاهتمام بمصالح القطر سنوجّه عنايتنا على الدوام الى تأييد

السعادة الحسية والمعنوية لجميع أهاليهِ . مواصلين خطة الاصلاحات التي بُدئَ العمل فيها . لذلك ستكون همة حكومتنا منصرفة الى تعميم التعليم واتقانهِ بجميع درجاتهِ والى نشر العدل وتنظيم القضاء بما يلائم أحوال القطر في هذا العصر ، وسيكون من أكبر ما تعنى بهِ توطيد أركان الراحة والأمن العام بين جميع السكان وترقية الشؤون الاقتصادية في البلاد

أما الهيئات النيابيــة في القطر فسيكون من أقصى أمانينا أن نزيد اشتراك المحكومين في حكومة البلاد زيادة متوالية

ونحن على ثقة بأننا في سبيل تحقيق هذا المنهاج سنجد لدى حكومة صاحب الجلالة البريطانية خير انعطاف في تأييدنا . وأننا لموقنون بأن تحديد مركز الحكومة البريطانية في مصر تحديداً واضحاً بما يترتب عليهِ من ازالة كل سبب لسوء التفاهم يكون من شأنهِ تسهيل تعاون جميع العناصر السياسية بالقطر لتوجيه مساعيها معاً الى غاية واحدة

واننا لنعتمد على اخلاص جميع رعايانا لتعضيدنا في العمل الذي أمامنا

ولوثوقنا بكمال خبرتكم وبما تحليتم بهِ من الصفات العالية واعتماداً على وطنيتكم نطلب منكم مؤازرتنا في المهمة التي أخذناها على عاتقنا ، وندعوكم بناء على ذلك الى تولي رياسة مجلس وزرائنا والى تأليف وزارة تختارون أعضاءها لمعاونتكم وتعرضون أسماءهم على تصديقنا العالي

ونسأل الحق جلّت قدرته أن يبارك لنا جميعاً فيما نبتغيه من نفع الوطن وبنيه » اه

تحريراً بالقاهرة في ٢ صفر سنة ١٣٣٣ (١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤) « حسين كامل »

فقبل حسين رشدي باشا ما عهد اليهِ ورفع الكتاب الآتي : —

« مولاي »

« أقدم لسدة عظمتكم السلطانية مزيد الشكر على ما أوليتموني من الشرف السامي إذ تفضلتم عليَّ بأمركم الكريم الذي فوضتم بهِ اليَّ تأليف هيئة الوزارة

نعم انني كنت وكيلاً عن وليّ الأمر السابق ، ولكنني مصري قبل كل شيء . وبصفتي مصرياً قد رأيت من المفروض عليَّ أن اجتهد تحت رعايتكم السلطانية في

أن اكون نافعاً لبلادي ، فتغلبت مصلحة الوطن السامية التي كانت رائدي في كل أعمالي على جميع ما عداها من الاعتبارات الشخصية

لهذا فاني أقبل المهمة التي تفضلت عظمتكم السلطانية بتفويضها اليَّ . ولما كان زملائي بالأمس الموجودون الان بمصر متشربين بنفس هذه العواطف وهم لذلك مستعدون للاستمرار على معاونتهم لي ، فاني اتشرف بأن أعرض على تصديق عظمتكم السلطانية رفق هذا مشروع المرسوم السلطاني بتشكيل هيئة الوزارة الجديدة وانني بكل احترام واجلال لعظمتكم السلطانية ؟ العبد الخاضع المطيع المخلص

تحريراً في ٢ صفر سنة ١٣٣٣ (١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤) « حسين رشدي »

ولقد أظهر صاحب الدولة رشدي باشا رئيس الوزراء فى هذه الأزمة السياسية الحرجة من المقدرة النادرة المثال في السياسة والادارة وحسن الاسلوب مع الغيرة على مصلحة الوطن والصراحة التامة في القول والعمل ماخلّدلهُ أجمل الذكر في عهد مصر الجديد

وبقي جميع الوزراء فى مناصبهم ما عدا محب باشا وزير الأوقاف فانهُ أقيل وربما كان السبب فى اقالتهِ حسن انعطاف الخديوي اليهِ فسافر الى ايطاليا . وتولى مكانهُ الفريق السر ابرهيم باشا فتحي وهو من الضباط الممتازين . ثم ان بسط الحماية البريطانية على مصر أوجب الغاء وزارة الخارجية لأن أعمالها تحولت الى دار الحماية

وفى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩١٤ احتفل رسمياً بجلوس السلطان حسين فقصد عابدين من منزله قرب قصر النيل بموكب حافل كانت الجماهير التي ملأت الطرقات وشرفات المنازل تحييهِ بالتصفيق على طول الطريق . وكان جمع غفير من أعيان البلاد ووجوهها وكبار موظفي الحكومة ينتظر الموكب فى رحبة عابدين فلما أقبل السلطان هتفوا لهُ هتافاً عظيماً . ثم استقبل عظمتهُ الجماهير استقبالاً دام ست ساعات القى عليهم فيهِ كثيراً من درر نصائحهِ الغوالي في الزراعة والاقتصاد السياسي والأخلاق الراقية وذم الخصومات المذهبية والعائلية وحث الجميع على الاتحاد وجمع الكلمة على ما فيهِ خير وطنهم ورقيه وسعادته

وحقاً ان حظ مصر كبير بسلطانها الجديد . انهُ سلطان عرك الزمان وعرف

كيف تساس البلدان . سلطان يتفانى في حب بلاده كما تتفانى بلادهُ في حبّهِ . سلطان لا همَّ لهُ الاّ خير أُمتهِ ولا مطلب الاّ راحتها ورقيها . سلطان يعرف قدر الرجال فيقرّب العامل النافع وينبذ الفاسد الضار . سلطان يكره أن يرى الشقاق في عناصر أُمتهِ وطوائفها وأسراتها وهو دائب على جمع كلمتهم الى ما فيهِ مصلحتها وكرامتها . حقاً ان الشرق ليغبط مصر على سلطانها الجديد لأن الشرق لم يرَ مثلهُ منذ عهد بعيـد . أطال الله أيامهُ وكلَّل بالنصر اعلامهُ ما كرّ الجديدان وتعاقب النيّران وقام في الشرق سلطان

حديث لعظمة السلطان عن مصر ومستقبلها

ولا شيء أدلَّ على اخلاق عظمته السامية وحبهِ المتناهي لمصر والمصريين ونياتهِ الشريفة نحو أمتهِ وبلاده من حديث لعظمته عن مصر ومستقبلها مع الدكتور هربرت آدم جيبون مراسل جريدة النيويورك هرلد الأميركية بعد ان كان لعظمتهِ نحو سنة على عرش مصر . وهذا هو الحديث مترجماً بجريدة الاهرام فى ٢٧ فبراير سنة ١٩١٦

« قال المراسل : استقبلني السلطان حسين كامل حفيد محمد علي وصافحني بيد مبسوطة على الطريقة الأميركية ثم قال عظمته :

« لم أذهب إلى اميركا ولكني أعرف الشعب الأميركي إذ قابلت الاميركيين فى كل مكان في اوربا ورأيت كثيرين منهم فى مصر . واني لأحب أساليبهم الحرة الطليقة من القيود والتكلف وامتدح النشاط والدأب الأميركيين وهي صفات نريدها لمصر . وأنت كلما اطلت وجودك فى بلادنا ازددت حباً لها فهي ساحرتك بطلاقتها وجمالها وستتحمس أشد التحمس لمسائلها الاقتصادية . ولقد خصت مصر بأربع مزايا جعلتها بلد الله المبارك : نيلها الجوّاد الفياض وشمسها الدائمة الأشراق . وأرضها الغنية المخصاب . وفلاحها العامل الكدود . وان الفلاح المصري لعون للطبيعة على استدرار الثروة لنا ولهذا كنت دائماً كلفاً بالفلاحين وخصصتهم بأوقاتي وعنـايتي لتحسين حالهم . ولما كنت الأمير حسيناً كانوا يسمونني أبا الفلاّح واني لأفضل أن اكون الأمير حسيناً فاذا كنت الآن السلطان فلأن الواجب كان يدعوني أن

لا أرفض الدعوة التي كانت تستفزني لأن أوسّع نطاق عملي ولا أقصره على أملاكي الخاصة لينال فلاحو مصر نصيبهم من العناية والاهتمام . فأنا لم أكن قط ذا مطامع شخصية بل كنت مؤثراً مصلحة بلادي على مصالحي الخاصة »

وهنا نهض السلطان وأومأ ايماءة دل بها على أن ترف عابدين لا قيمة لهُ عنده . وكنا نتمشى بهدوء وكانت جوقة عسكرية تعزف خارج القصر والحراس على صهوات خيولهم كتماثيل ثابتة في مدخل الأبواب . وتابع عظمتهُ الكلام فقال :

« هذه مظاهر لا تهمني ولقد كنت اكثر حرية وهناء لما كنت الأمير حسيناً ولم تكن عليَّ هذه المشاغل والعمل المستمر الذي يستنفد كل وقتي . ولكن لما دخلت تركيا الحرب هل كان لي أن أرفض ؟ . أكان في مقـــدوري أنا أحد امراء بيت محمد علي ان اتنحى عن الواجب الذي يحول دون هدم العمل المجيد الذي بدأ بهِ جدي الخالد الذكر لترقية المصريين واسعادهم ؟

لقد كان الحكم التركي مصيبة على مصر حتى جاء محمد علي اليها . وكذلك كان حكم الأتراك في كل أرض نزلوها وحكموها حيناً من الدهر . ويكفيك برهاناً أن تقابل بين رومانيا واليونان وبلغاريا وبلاد الأتراك ويكفي أهل العواطف الذين يقولون ببقاء السلطنة العثمانية اقناعاً وتخطئة لآرائهم أن يركبوا القطار من فينا الى الاستانة فانهم يمرون بهنغاريا والسرب وبلغاريا هذه البلاد التي أنقذت من حكم الأتراك فيرون المدن الجميلة والمزارع الخصبة والشعوب الرغيدة العيشة . ثم تعال الى تركيا وتغلغل فيها بعد حدودها القديمة وعرج يميناً عند مصطفى باشا فانك لا ترى الا الانحطاط والقذارة والأرض البوار المهملة والبيوت المشيدة من صفائح البترول الفارغة. خذ طريقك من اسكندرية الى أزمير وقابل بين الميناءين والبلدين . فاذا كان الالمان يعتقدون أننا مغتبطون بفكرة الرجوع الى حكم الأتراك واننا نرحب بهم اذا أقبلوا علينا كمحررين لنا برجالهم الرحل المختلفي الأزياء اذن لشد ما أضاع الألمان قواهم العاقلة ولشد ما فقدوا مزية النظر الى الأمور كما هي

وانها لفرصة طيبة لنـــا اذا جازف الألمان والأتراك وعملوا على تحقيق هذه

الفكرة ففي تحقيقها ولا شك تعجيل بسقوطهم . أما وأنت ستنشر كتاباتك بين الأميركين البعيدي النظر والذكاء فاني أقول بملء الصراحة اننا نحن المصريين ننظر الى الانكليز كأصدقاء لنا ومحامين عنا واننا لموقنون بأن بلادنا كانت ولاشك ضائعة في العام الفائت لو لم يخفّ الانكليز لمساعدتنا . والانكليز بركة لمصر الآن وكذلك كانوا من قبل. واني لمعجب بالأساليب والوسائط التي اتخذت للدفاع عن بلادي وشعبي وهذه الأساليب هي كافية كل الكفاية . ثق ان بريطانيا العظمى ستبذل اكبر الجهد لتحمي قناة السويس وتدافع عن مصر لأجل سلامة امبراطوريتها فهي لا تضن بالتضحيات في هذا السبيل من الرجال والمال اذا كان الأمر حيوياً خطيرًا ولهذا فاني لا يخامرني أقل تصور في غزوة خارجية أو اضطراب داخلي »

قال المراسل : وما هي آمال عظمتكم في مستقبل مصر ؟ فابتسم عظمتهُ وقال :

«ان سؤالك لمتطلب أجوبة كثيرة ولكني مجيبك صراحة وبدون تعجل . ولك أن تنظر الى الجيوش الانكليزية في مصر وتتعرّف البلاد التي اقبلت منها فتتيقن ان هذه الحرب برهنت على متانة الامبراطورية الانكليزية وعظمتها . أما وقد برهنت انكلترا بتضحياتها التي لاعداد لها هذه التضحيات التي اشتركت فيها أملاكها فلا يمكن أن تكون قناة السويس بعد الحرب أقل منها نفعاً وأهمية لها قبل الحرب

وما كنت لأقبل سلطنة مصر في ظل الحماية البريطانية لو لم أكن موالياًمنعطفاً على الدولة الحرة العظيمة الذي سأتساند معها في انجاح شعبي اقتصادياً وأدبياً . ولقد علمني الاختبار الشخصي الطويل بأن الانكليز هم أصدقاء شعبي وعائلتي الخلص وهذا العام الذي مرّ عليَّ وأنا سلطان على مصر وفيه عاشرت كبار رجال الحكومة الانكليزية ونوابها واشتركت معهم في العمل يوماً بعد يوم جعلني أيقن تماماً انهم أشدّ ولاء لي ولمصر وأنا متابع للعمل معهم ما داموا على ثقة من ولائي واخلاصي . ولولا هذه الثقة والولاء لاعتزلت منصبي بدون تردد وان في طبعي ولاءً واخلاصاً ولهذا فاني مستطيع العمل مع هؤلاء الخلص الأوفياء . وأنا الآن وقد أوفيت على الرابعة والستين وخبرت الانكليز الخبرة الطويلة فاني ارتضيت العمل معهم على

انهاض بلادي وتحقيق آمال مصر وشعبها . هذه الآمال التي انتهت اليَّ من جدي الخالد العظيم مؤسس عائلتي في مصر

ولا تنسَ أن تذكر الفرح العظيم الذي يهزني للعمل لأجل المصريين فهم شعب حقيق بأن يسعى الانسان لأجلهِ

نعم ان في مصر أناساً أخياراً وكذلك عرف محمد علي من قبلي وهم خلقاء أن يُحَبُّوا وأن يعطف الانسان عليهم . والاّ فأي شعب آخر أحق منهم بالمحبة والعطف » اه

﴿ ٥ . سيناء والحرب الحاضرة ﴾

سنة ١٤ — ١٩١٦

ما أشدُّ هول هذه الحرب وأعظم ويلاتها وأكثر ضحاياها. لقد شاهد العالم في زمن نوح « طوفان الماء » ونحن نشاهد الآن « طوفان الدماء » . أما طوفان الماء فقد عمَّ بعض جهات الشرق وأما طوفان الدماء هذا فقد عمَّ الشرق والغرب واضطرمت نار الحرب في البرّ والبحر والهواء والماء وتحت الماء وفوق الأرض وتحت الأرض

انها لحرب التاريخ فاذا ذكرت الحرب بعد الآن مجرَّدة عن الوصف والتعريف انصرف الذهن الى هذه الحرب والعياذ بالله !

لما طيَّر البرق خبر هذه الحرب في أواخر يوليو سنة ١٩١٤ كنت مع القائلين انها لا تقع وانها وان اضطرمت نارها فلا تلبث أن تطفأ لأن شدة هولها وجسامة خسائرها وويلاتها تحمل القائمين بها على قتلها في المهد . ولكن ما لبثنا أن رأينا أن علمنا بغايات المثيرين لها وأخلاقهم ودرجة رقيهم الانساني كان قاصراً جداً . فانهُ لم يكن الاّ القليل حتى اشتعلت نار الحرب في شرق أوربا وغربها وصار البرق يطيّر لنا من أخبار ويلاتها كل يوم ما تقشعر لهُ الأبدان وتتفطَّر لهولهِ القلوب . وما زال هذا الحال المحزن المخيف المخجل للانسانية الى اليوم ! فويل لمثيري هذه الحرب من حكم التاريخ ! وويل لهم ثم الويل يوم الحساب الأخير !

هذا ولما انقطع رجاؤنا من ايقاف الحرب بقي لنا رجاء حار وهو أن الفئة القائمة

بأمر الدولة العثمانية تتخذ خطة الحكمة والسداد فلا تتعرّض لهذه الحرب الطاحنة بل تحافظ على الحياد التام مع الميل قلباً الى الحلفاء اذ مصلحتها في مصافاتهم وتنتفع من هذه الفرصة النادرة فتلمّ شعثها وتنظم أمورها الداخلية وتحكم شعوبها المختلفة بمبدإ اللامركزية وتؤلف منهم دولة قوية متضامنة تعيد الشرق الى سابق عزه ومجده

ولكن هذا الرجاء ما لبث أن تبدَّد ورأينا والأسف ملء افئدتنا ان الاتحاديين القائمين الآن بالأمر في تركيا قد زجُّوا بأنفسهم وبالدولة في هذه الحرب الضروس في جانب الألمان . وكان الحلفاء قد بذلوا منتهى الجهد لاقناعهم في البقاء على الحياد وان ذلك في مصلحتهم فلم يقتنعوا لأن لمعان ذهب الألمان كان قد بهرهم حتى لم يعودوا يبصرون

فاللهمّ صبرك ! اللهم رأفتك بالأبرياء من ابناء سوريا والعراق وآسيا الصغرى الذين يضحي بهم الاتحاديون على مذبح الألمان ! اللهم اشفق على خلائقك أجمع وأرح العالم شرّ هذه الحرب الطاحنة المخيفة انك الحكيم القدير الرؤوف المتعال !

أما غرض الالمان من ادخال تركيا في هذه الحرب فهي أن تجيّش منها جيشين: جيشاً من آسيا الصغرى وتركيا أوربا قاعدتهُ أرضروم لمهاجمة الروس في القوقاس . وآخر من سوريا والعراق قاعدتهُ دمشق الشام لمهاجمة الانكليز في مصر . والالمان عالمون حق العلم ان الاتراك غير مفلحين في القوقاس ولا في مصر وانما أرادوا أن يشغلوا قسماً كبيراً من جيوش الروس والانكليز ويمنعوهُ من الذهاب الى ميدان الحرب في شرق أوربا وغربها كما قدمنا . وموضوعنا الآن الجيش الذي أعدتهُ تركيا من سوريا والعراق في دمشق الشام لمهاجمة مصر

﴿ جيش سوريا والعراق ﴾ تجنّد الدولة من سوريا والعراق في زمن الحرب أربعة فيالق على الأقل :

١ . فيلق حلب ثلاث فرق: فرقة من حلب وفرقة من كلّس وفرقة من أدنة ؟
٢ . فيلق الشام ثلاث فرق : فرقة من الشام وفرقة من بيروت وفرقة من القدس
٣ . فيلق الموصل فرقتان : فرقة من الموصل وفرقة من كركوك
٤ . فيلق بغداد فرقتان : فرقة من بغداد وفرقة من البصرة

وجملة الفرق عشر . والفرقة ثلاثة آلايات . والآلاي أربعة طوابير أو أورط في زمن الحرب وثلاثة في زمن السلم . ومتوسط عدد الأورطة ألف رجل . فجملة ما يمكن جمعهُ من سوريا والعراق مئة وعشرون ألف رجل

﴿ سكك الحديد في سوريا وضواحيها ﴾ وتمتد سكة حديد من حيدر باشا تجاه الاستانة فتخترق آسيا الصغرى مارة بأزميد . فافيون قره حصار . فقونية . فبوزانتي وهنا قَطْع تحدثهُ جبال طورس يُجاز بالعربات الى طرسوس . ومن طرسوس تمتد سكة الحديد الى أدنة . فالحميدية وهنا قطع آخر تحدثهُ جبال اللكّام يُجاز بالعربات الى راجون . ومن راجون تمتد سكة الحديد الى حلب . فحماه . فحمص . فالريّاق . فبعلبك . فدمشق الشام

ومن حلب خط يمتد شرقاً الى رأس العين في الطريق الى نصيبين فالموصل

ومن حمص خط يمتد غرباً الى طرابلس الشام على البحر المتوسط

ومن الشام يتفرَّع ثلاثة خطوط : خط يمتد غرباً مارًّا ببعلبك فالرياق ومخترقاً لبنان الى بيروت. وآخر يمتد جنوباً الى المزَيريب. وآخر يمتدّ جنوباً مارًّا ببصرى حوران . فدرعا . فمعان . فالعلاء . فمداين صالح . الى « المدينة »

ومن درعا على خط المدينة يتفرَّع خط الى حيفا على البحر المتوسط مارًّا بتل شهاب . فسماخ . فالسيلي . فحيفا

وهناك خط يمتد من يافا على البحر المتوسط الى القدس مارًّا باللدّ

ومن محطة السيلي في خط حيفا خط يمرّ بعفُولة . فسباستيا . فنابلس . فاللدّ . فبئر السبع .وقد بُدئ بهذا الخط بعد دخول تركيا الحرب فتم السبت ٣٠ اكتوبر ١٩١٥

﴿ تنظيم الحملة على مصر ﴾ ولما أعلن الاتحاديون الدخول في الحرب كان قومندان الجيش الرابع في سوريا الفريق زكي باشا الحلبي فقاوم فكرة الحملة على مصر مصرّحاً بأن أمل النجاح فيها ضعيف جداً خصوصاً بعد ان فشل في جمع الإبل واثارة القبائل للانضمام الى الجيش . فعُيّن ياوراً لامبراطور المانيا ونقل الى برلين وسمّي مكانهُ الفريق احمد جمال باشا قائداً عاماً للحملة على مصر

وكان زكي باشا قد بعث بفيلق حلب الى الاستانة فلما حضر جمال باشا أتى بفيلق الموصل الى حلب وجعلهُ جيشاً احتياطياً وحامياً للسواحل . وأعدَّ فيلق الشام العربي كلهُ ثلاث فرق للحملة على مصر وعزَّزهُ بفرقتين تركيتين أتى بهما من ازمير والاستانة والمجموع خمس فرق في كل فرقة ١٢ ألفاً والكل ستون ألفاً . أضاف اليها من المتطوعة تسعة آلاف من سوريا وألفاً من الحجاز فكان مجموع رجال الحملة على مصر سبعين ألف مقاتل ومعها المقرر لها من الطوبجية والفرسان والمهندسين والأطباء. وكان مع الطوبجية من المدافع الكبيرة البعيدة المدى أربعة أتوا بها من الاستانة

وكان مع الحملة ٨ آلاف جمل ألفان منها لجرّ الأحمال التي وُضعت على مركبات زحَّافة على الرمل و ٦ آلاف لحمل الزاد والذخيرة والماء

وكان معها أيضاً جسر مؤلف من ٣٦ زورقاً حديديًّا لمدّهِ على الترعة . وهذه الزوارق يمكن استخدامها أيضاً أرصفة عائمة لمدّ الجسور ونقل المؤونة فهي بذلك زوارق ومركبات معاً . وقد شاهدنا بعض هذه الزوارق في محل عرضها بالقاهرة بعد الواقعة فاذا هي مخرقة بالرصاص كالشباك

هذا وبينما كان جمال باشا يعدُّ جيشهُ للزحف على مصر كان الالمان والنمساويون والأتراك الاتحاديون وأشياعهم في مصر يدسُّون الدسائس لاحداث ثورة في البلاد ضد الانكليز. وكان القصد انهُ عند تقدم الجيش المهاجم من الشرق يهاجم السنوسي من الغرب وتثور العربان في قلب مصر فيقع الانكليز في الارتباك ويملك الجيش المهاجم مصر ! ! وقد أحدثوا فعلاً بعض الشغب في البلاد

ولكن السلطة العسكرية تنبهت لهم ونفتهم الى مالطة أو غيرها أو اعتقلتهم في مصر فلم تأتِ سنة ١٩١٥ حتى كانت مصر قد تنقَّت منهم

وكانت انكلترا قد طهَّرت البحار من سفن الاعداء فأخذت ترسل الى مصر الجند بعشرات الألوف بل بمئاتها من انكلترا من التريتوريال واوستراليا ونيوزيلاند والهند حتى ملأت جنودها البرّ والبحر وأصبح لسان حالها ينشد قول الشاعر العربي :

« ملأنا البرّ حتى ضاق عنا وظهر البحر نملأهُ سفينا »

وانتشر الجند على حدود مصر وفي أمهات مدنها وأخذوا ينثرون الذهب في أسواقها فارتفعت الضائقة المالية عنها وعوّضت أضعاف ما خسرتهُ من نزول أسعار أقطانها

وأخذت السلطة العسكرية تستعد لصد الحملة على مصر فأمرت باخلاء سيناء لتجعل الصحراء بينها وبين الجيش المهاجم كما مرّ. وفتحت سدًّا في البحر المتوسط على زاوية سيناء الشمالية الغربية فأغرقتها الى قرب القنطرة . وحفرت الخنادق على ضفة الترعة الشرقية من القنطرة فجنوباً وعززتها بالجيوش القوية. وحفرت الخنادق أيضاً على الضفة الغربية وبالغت في اتقانها وعززتها بخمسين ألف جندي . واجتمع وراءها من الاحتياطي ٤٠ ألف رجل في الزقازيق وغيرها . وعضّدت الجيوش ببعض مدرّعات حربية في بحيرة التمساح وقطارات سكة حديد مسلحة تمرّ بين بورتسعيد والسويس . واحضرت الطيارات للاستكشاف واستعدت لكل طارئ

ومع ذلك فقد توهم البعض ان في استطاعة الجيش المهاجم اختراق الترعة . ولكن العارفين صحراء سيناء وصعوبة تسيير الجيوش فيها والواقفين على معدات الدفاع على القنال أكدوا لهؤلاء المتخوفين فشل الحملة لأن أمامها من العقبات الطبيعية والحربية ما يستحيل على أي جيش من جيوش العالم التغلب عليها. وأول تلك العقبات وأصعبها « الطريق » . ولقد عرف غزاة مصر منذ القديم صعوبة تسيير الجيوش في برية سيناء القاحلة لذلك لم يجسر أحد منهم أن يهاجم مصر من أيام سنحاريب الأشوري الى قمبيز الفارسي الى اسكندر المكدوني وانتيغونس اليوناني وغيرهم الاّ بعد أن امتلك سوريا وموانيها وتمكن من الانتفاع ببحرها ومراكبها كما مرّ

وكان الاسكندر يقول « لا بدّ لنجاح الحملة على مصر من امتلاك فينيقية » لذلك رأيناهُ في زحفهِ على مصر قد ثبت على حصار صور سبعة أشهر وعلى حصار غزة شهرين وأضاع قدراً كبيرًا من المال والرجال في فتحهما ليتمكن من الانتفاع بمراكب الفينيقيين فسيَّرها بالزاد والمهمات في البحر وسار هو محاذياً لها بجيشه في البر

وكان بطليموس الأول خليفة الاسكندر على مصر يرى أنهُ لا بدّ لامتلاك فينيقية من امتلاك جزيرة قبرس فبذل كل ما عزّ وهان حتى امتلكها كما مرّ

وكذلك نابليون عند مهاجمتهِ سوريا من مصر أرسل الجيش في البر والمثقلات وأدوات الحصار في البحر . ولما كان البحر المتوسط اذ ذاك بيد الانكليز قسم أدوات الحصار قسمين وأرسلهما الى سواحل سوريا في عمارتين عمارة من الاسكندرية وعمارة من دمياط حتى اذا ما صادف العدو احداهما وأهلكها سلمت الأخرى

ثم ان ابرهيم باشا عند مهاجمتهِ سوريا سنة ١٨٣٩ أمن جانب البحر فأرسل الجيش في البر وسار هو بالمثقلات في البحر

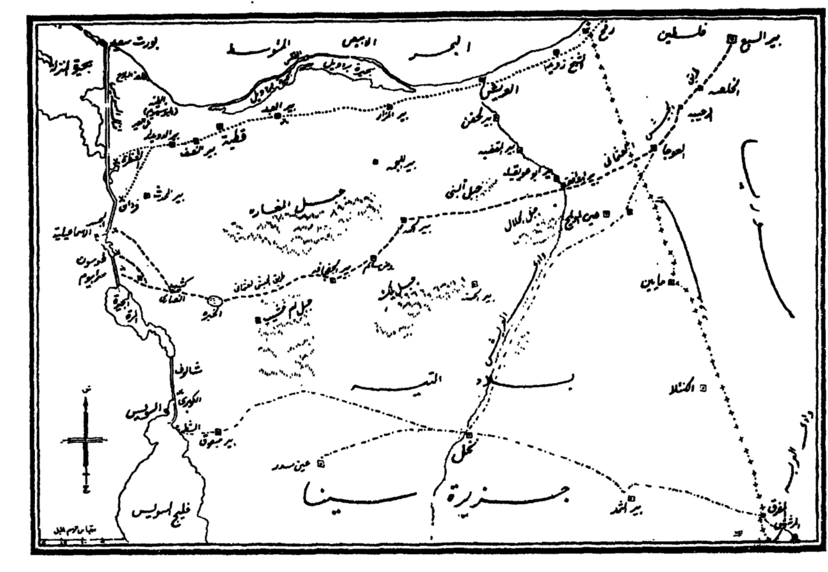
أما الآن فجزيرة قبرس التي هي مفتاح فينيقية بل سواحل فينيقية كلها والبحر المتوسط بيد المتولين الدفاع عن مصر فلم يبق طريق للحملة من سوريا الاّ صحراء سيناء

ولا يخفى أنهُ ليس في صحراء سيناء كلها مكان واحد يصلح لأن يكون قاعدة أو أساساً للحملة على مصر تحشد فيهِ الجند فتستريح وتأخذ الأهبة قبل مباشرة الهجوم ثم تلجأ الى الأساس اذا قُدّر لها الفشل . فكان لا بدّ من حمل الزاد والماء والذخيرة والأسلحة والمدافع وسائر المهمات الحربية ذهاباً وأياباً في فلاة جرداء لا يقل اتساعها عن ١٥٠ ميلاً . والمسافة بين ماء وماء في طرقها تختلف من يومين الى أربعة

ثم انهُ ليس في أي الطرق ماء الاّ لعدد محدود من الجند قد لا يزيد على ٢٠ ألف رجل . هذا اذا كان السفر في فصل الشتاء واتفق نزول الأمطار بغزارة في سيناء وفاضت الينابيع وامتلأت الخيران ، كما حصل في سنة مجيء جمال باشا ، والاّ فالعدد الممكن تسييره من الجند في تلك الفلاة ينقص بنسبة نقص الماء في الينابيع والخيران

ثم ان هذا الجيش الصغير يضطر أن يوالي السير في تلك الرمضاء وهو مثقل بأحمالهِ فلا يقف الاّ ريثما يتنفس خوفاً من نفاد الماء والزاد حتى يصل القنال تعباً منهوكاً ليهاجم جيشاً مستريحاً اكبر منهُ عدداً وأفضل عُدَداً وأرقى نظاماً معتصماً بخنادق على أحدث طرز ومحميًّا من الوراء بالطردات في البحر والقطارات المسلّحة في البر والنجدات العظيمة على رؤوس السكة الحديدية في المدن المجاورة . وعندهُ من الزاد والماء والذخيرة ما يكفيهُ سنين . وفوق ذلك كلهِ فان الجيش المدافع شاعر في نفسهِ انهُ يدافع عن كرامته وكرامة أمته وبلاده وحرية الأمم

تجاه صفحة ٧٤٥



خريطة طريق الجيش العثماني الى القنال — سنة ١٩١٥

واقعة القنال في ٣ فبراير سنة ١٩١٥

هذا وأسهل الطرق وأقربها الى مصر من سوريا طريق الساحل المشهورة . وأول موضع في هذه الطريق يصلح أن يحشد فيهِ الجيوش بعد الدخول في سيناء مدينة العريش لكثرة مائها ولكن لم يكن في وسع جمال باشا تسيير الجيوش بهذه الطريق ولاحشدها في العريش لأن الطريق والمدينة معرضتان لبوارج الحلفاء فكان لا بدَّ لجمال باشا من اتخاذ طريق داخلية بعيدة عن مرمى القنابل فاتخذ طريق القدس الى بئر السبع واتخذ هذه البئر أساساً للحملة على مصر . وهناك قسم جيشهُ ثلاثة جيوش وسيَّر كل جيش في طريق :

١ . جيش صغير بقيادة ممتاز بك وفيه متطوعة سوريا والبدو يحتل «العريش» مختبئاً في الوادي ثم يسير في طريق العريش وقطية لمهاجمة القنال عند كوبري القنطرة

٢ . وجيش صغير آخر وفيهِ متطوعة الحجاز واورطة من فرقة الشام يحتل « نخل » ثم يسير في طريق السويس لمهاجمة القنال عند كوبري السويس

٣ . والجيش الثالث وهو الجيش الكبير بقي بقيادتهِ وفيهِ فرقة الشام العربية المعروفة بالفرقة الـ ٢٥ تسير في المقدمة ووراؤها فرقتا أزمير والاستانة التركيتان ووراء هؤلاء الفرقتان العربيتان الباقيتان من فيلق الشام . وقد سار هذا الجيش في طريق الاسماعلية لمهاجمة الترعة عند كوبري الاسماعيلية مارًّا بالأمكنة الآتية :

بئر السبع . فالخَلَصة . فبئر العوجة . فبئر الروافعة في وادي العريش . فجبل ألبني . فمحطة السرّ بقرب بئر المرّ تُجلب اليها الماء على الإبل من آبار المقضبة والروافعة والحسنة و بئر أولاد علي واللَجمة . فخمة الركاب . فروض سالم وهناك ثميلة يستخرج منها الماء بالطلمبات . فالجفجافة كذلك . فالحَبرة شمالي جبل أم خُشَيب وهناك غدير شهير

وعند وصول جمال باشا الى الحَبرة قسم جيشهُ قسمين : قسماً صغيراً سيَّره بقيادة كمال بك الى بئر المَحْدَث لمهاجمة الاسماعلية عند الكوبري . والقسم الاكبر بقي بقيادتهِ فسار بهِ الى كثيب النصارى على نحو ٣ ساعات بسير الإبل من القنال تجاه محطتي سرابيوم وطوسون . هذا وفي أثناء زحفهِ على الاسماعيلية زحف الجيش

الذي أرسلهُ بطريق العريش لمهاجمة القنال عند القنطرة والجيش الذي أرسلهُ بطريق نخل لمهاجمة القنال عند السويس فهاجم القنال في القنطرة والاسماعيلية وسرابيوم وطوسون والسويس في وقت واحد . ولكنهُ لم يصل من جيش جمال باشا الى القنال الا نحو عشرين ألفاً ومعهم جماعة من الضباط الالمان أركان حرب

وهذا الجيش الصغير على ما كان عليهِ من التعب وسوء الحال هاجم في فجر ٣ فبراير سنة ١٩١٥ ذلك الجيش العظيم الذي كان مرابطاً على القنال على كمال دربتهِ واستكمال عدتهِ واتقان خنادقهِ ورباطة جأشهِ وثقتهِ بنفسهِ

وقد كانت النتيجة ظاهرة للعيان لا يشوبها ريب ولا ظل ريب وما من قائد يعمل بأوليات الفن الحربي يقدم على الهجوم الذي أقدم عليهِ جمال باشا . وظاهر أن الألمان الذين يديرون دفة الجيش العثماني على ما يوافق أغراضهم هم الذين أمروا بالهجوم متكلين على حسن البخت وغفلة الخصم وأمل حصول الثورة في مصر. قالوا فاذا فاز الجيش العثماني بلغنا غاية ما نتمنى والاَّ فان الغرض الأصلي الذي نرمى اليهِ وهو حجز جيش قوي من جيوش الانكليز عن الميدان الغربي في أوربا حاصل في كل حال . ومما يدلُّ على ان جمال باشا مأمور بالهجوم على كل حال أنهُ لما دنا من الترعة أول فبراير لم يبعث بالجند لاستطلاع قوة أعدائهِ وجسِّ نبضهم كما تقتضيهِ الأصول الحربية اذ لا سبيل الى أخذهم على غرة وعندهم الطيارات وقد اقتفت خطواتهِ في الصحراء على ما يعلم . ثم ان جمال باشا بعد وصولهِ الى كثيب النصارى لم يهاجم بكل قوتهِ بل القت فرقتهُ الأمامية بأيديها الى الخنادق الانكليزية ووقفت فرقة أخرى احتياطية وراءها وعلى بعد ٣ أميال منها مما دلَّ على ان جمال باشا لما أمر بالهجوم قرَّر الهجوم بجزء من قوتهِ تخلصاً من إلحاح الألمان وتفدية للكل بالبعض . وقد كانت الفرقة المهاجمة كلها أو جلُّها من أبناء العرب الذين لم «يتعب الألمان ولا الترك بدق ريحانهم» وقد شهد لهم الانكليز أنهم حاربوا حرب الأسود وأقدموا على الموت بكل شهامة وبسالة كما اشتهر عن العرب في كل زمان ومكان

أما الجيش المدافع فانهُ ترك الجيش المهاجم يدنو منهُ حتى بات ضمن مرماه

فأصلاه ناراً محكمة صائبة وفي بعض الجهات تُرك المهاجمون يُنزلون زورقين من زوارقهم الى الترعة قبلما شرع المدافعون في اطلاق النار عليهم . وكان أشد هجوم العثمانيين في سرابيوم وقد بدأوا بضرب مواقع الانكليز والمدرّعات التي في بحيرة التمساح بأكبر مدافعهم عيار ٦ بوصة وكانت ناره فعّالة فاصابت السفينة هاردنج بقنبلتين وجرحت قائدها الكبتن كارو. ولكن لم يكن الاّ القليل حتى أسكتتهُ احدى المدرعات . وفي الساعة السادسة مساءً كان المهاجمون يتقهقرون ولم يُرَ من الحكمة مطاردتهم في الصحراء. وقال بعض النقّاد الحربيين انهم لو طوردوا لقُبض على اكثرهم قبض اليد وما نجا منهم الى سوريا الاّ القليل



شكل ١٠٤ : واقعة سرابيوم على القنال

وكان بعض الجنود العثمانيين قد لجأوا الى جهة على ضفة الترعة الشرقية وحفروا خندقاً ولما أظلم الليل جعلوا يصطادون المدافعين فرادى بنار بنادقهم . وفي صباح اليوم التالي ٤ فبراير أرسل عليهم المدافعون فصيلتين فقوبلتا بنار حامية فأُرسل اليهما نجدة قوية فاستولوا على الخندق برؤوس الحراب بعد أن قتلوا من قتلوا وأسروا الباقين وعددهم ٢٥٠ رجلاً من نخبة الجنود

وقد اطلع القراء على وصف القتال في البلاغات الرسمية فرأيت ان الخص هنا وصف القتال كما حدثني بهِ أحد الأسرى العثمانيين وكان ممّن هاجم القنال في سرابيوم قال:

« صحبت الحملة من دمشق الشام وسرت في المقدمة فاخترقنا صحراء سيناء في

طريق الاسماعيلية وما لقينا أحداً من عربان سيناء فانهم فرّوا من طريقنا ولجأوا الى الجبال . وبقينا سائرين حتى أتينا كثيباً مشرفاً على القنال على ٣ ساعات منه (وهو كثيب النصارى) فانقسمنا قسمين قسماً للهجوم وقسماً للنجدة . وكنت مع القسم المهاجم وقد صدر لنا الأمر بالهجوم في الساعة الثالثة من صباح ٣ فبراير وحالما دنونا من القنال بادرنا الجيش المرابط باطلاق النار لكننا ظللنا نتقدم بزوارقنا حتى تمكنّا من انزال بعضها في القنال تحت وابل من الرصاص

غير ان اطلاق النار من القنال أخذ يشتد علينا حتى ان جنودنا بعد قتال يوم شديد اضطرت الى التقهقر تاركة عدداً كبيراً من القتلى والجرحى وكنت أنا في جملة الجرحى . وقد جرحت في ساقي الساعة الرابعة صباحاً واذ كان جرحي بعد حامياً تمكنت من الانسلال تحت جنح الظلام حتى بلغت كثيباً من الرمال فاختبأت وراءهُ

و بعد ظهر ذلك اليوم في أثناء تقهقر جنودنا رآني بعض الجنود الاتراك وحملوني مسافة قصيرة واذ أعياهم حملي تركوني وحيداً في ذلك القفر بعد ما سلبوني نظارتي وكيس زادي أما قربتي فكانت فارغة . و بقيت هناك أقاسي الجوع والعطش والبرد والحر وألم الجراح الى صباح الجمعة ٥ فبراير حين جاء رجال الصليب الأحمر الانكليز فحملوني الى مستشفى الاسماعيلية واعتنوا بي عناية اذكرها لهم بالشكر أبد الدهر » اه

وقد حدثت كثيرين من الأسرى السوريين فقالوا : « اننا أتينا على رغمنا وكان الالمان يقولون لنا ان قوة الانكليز على القنال ضعيفة لا يعتد بها واننا حالما نشرف على القنال يزحف السنوسي من الغرب على مصر وتثور عرب مصر على الانكليز . حتى صرنا نعتقد اننا حالما نهاجم القنال نجتازه ونستولي على مصر . ولكننا علمنا الآن ان الالمان خدعونا وانَّ اختراق القنال ضرب من المحال » اه

وكانت خسارة العثمانيين في ذلك اليوم: ١٢٥٠ من القتلى و٢٠٠٠ من الجرحى. و ٧٥٠ من الأسرى * وأما الخسارة التي اعترفوا بها في نشراتهم فهي : ٦٠٠ من القتلى و ٥٠٠ من الجرحى و ٤٠٠ من الأسرى

وأما خسارة الانكليز فلم تتجاوز الستين بين قتيل وجريح

وقد قاست حملة جمال باشا الشدائد في اختراقها برية سيناء لذلك صمَّم جمال باشا الاَّ يهاجم القنال مرة ثانية الا اذا أعدَّ حملة قوية وجهزها بالجمال والمدافع والعدد الكافي من الاتراك والالمان بعد مدّ سكة الحديد بقدر المستطاع في الصحراء

أما الآن وقد استولى الروس على حصون ارضروم وبلاد أرمينيا كلها واستولى الانكليز على العراق الى كوت الامارة وهم والروس يهددون بغداد فلا يُحتمل أن يعيد الترك الكرَّة على مصر . ومع ذلك فان الجيش الانكليزي المدافع عن مصر قد حصن القنال بالمدرعات وحفر صفوفاً من الخنادق القوية شرقيَّهُ وزاد الخنادق الغربية تحصيناً وعزَّزها بالمدافع والرجال فأصبح القنال أمنع من عقاب الجو حتى لقد يقال انهُ لو هاجمتهُ جيوش الالمان والترك برمتها لما نالت منهُ مأرباً وعادت عنهُ كما عادت في المرة الاولى بالخيبة والخسران

واقعة الطور في ١٢ فبراير سنة ١٩١٥

هذا وكان الجيش الذي أرسله جمال باشا الى نخل بعد وصولهِ اليها بقليل بعث بشرزمة من العساكر مؤلفة من نحو ٧٠ رجلاً اكثرهم من المتطوعة لحصر مدينة الطور بقيادة ضابط ألماني يدعى « جورج قندس » ومعهُ البكباشي حسين نوري من أهل بني غازي . فوصلوا ضواحي مدينة الطور يوم ٢٨ يناير سنة ١٩١٥ واتخذوا موقعاً حصيناً في سفح جبل الحمام * وكان في مجيء هذه الشرزمة الى الطور على بعد سبعة أيام للهجان من قاعدتهم الخاصة في نخل وعشرين يوماً من قاعدتهم العامة في بئر السبع. ونزولهم في قفر لا زاد فيهِ ولا مأوى مجازفة فاقت مجازفة جمال باشا بمهاجمة القنال فانهم ما لبثوا ان وصلوا الى ضواحي الطور حتى نفد الزاد القليل الذي حملوه من نخل فبعثوا الى الدير يطلبون انجادهم بالزاد ويتهددونهُ اذا لم يجب طلبهم . فأرسل لهم الدير بعض المؤنة في قافلتين خوفاً من بطشهم ولكن قبل وصول القافلة الثانية اليهم كان الجيش المدافع قد بطش بهم وأراح الدير وسيناء شرّهم وتفصيل ذلك :

انهُ لما بلغ القائد العام في مصر خبر هذه الشرزمة أمر أهل مدينة الطور والمنشية والحمام فهاجروها الى السويس ومصر وكان قد حصَّن جانباً من المحجر على شاطئ

البحر وجعل فيهِ نحو ٢٠٠ رجل من الأورطة الثانية المصرية فأنجدهم من السويس بنحو ٣٠٠ رجل من جنود الجوركة الهنود

وفي ١٢ فبراير سنة ١٩١٥ بعد نصف الليل زحفوا على العدو في الوادي يقودهم المقدام النبيل الكولونل باركر مدير سيناء الأسبق فساروا حتى أتوا شمالي محلة الأعداء. وكان قد انحاز الى العدو نحو مئة نفس من أهل المنشيَّة ونزلوا بالقرب من محلتهِ على ماء في الوادي. فلما طلع الفجر انقسم جيشنا المهاجم قسمين: الجنود المصرية ارتدُّوا جنوباً ورصدوا للعدو من الإمام وجنود الجوركة زحفوا عليهِ من الوراء فهاجمت فصيلة منهم محلة الأهلين في الوادي فأسرتهم وقبضت عليهم قبض اليد ثم زحف الجوركة كلهم على العدو فحصروهُ هم والجنود المصرية بين نارين وفتحوا عليهِ أفواه البنادق فشوتهُ شياً فباد اكثرهُ ووقع من سلم من فعل الرصاص أسرى في يد الجيش وهم البكباشي حسين نوري و ١٥ رجلاً. وكان قد انضم الى العدو بعض بدو سيناء فقتل منهم: عيد محمد من العليقات. وحسين مبارك من الزهيرات العوارمة. وعامر خضر أخو خضر عامر شيخ قبيلة مزينة وغيرهم

وكان دليل العدو صباح آغا أحد عساكر نخل الباشبوزق فقتل في الواقعة

وأما جورج فندس الألماني فانهُ كان قد ذهب قبل الواقعة بيوم الى أبي زنيمة ومعهُ سليمان غنيم شيخ العوارمة ومنصور أبو قرمة من قبيلتهِ فحرقوا مخازن شركة المغنيس هناك وبذلك نجوا من القتل. ولم يقتل من جند الحكومة الآجندي واحد من الجوركة

وهكذا انتهت حملة جمال باشا بالفشل ولم يكن منها الآ تخريب ما قام بهِ المديرون من الاصلاح في سيناء. واضطر المدافعون على القنال الى هدم مدينة القنطرة ونقل أهلها الى مصر. وضربت الوابورات الحربية بعض قنابلها على قلعة العريش فخربتها فأصبحت سيناء كلها خراب في خراب والعياذ بالله!!

ولكن لا بدَّ من استرجاع سيناء واعادة الاصلاح اليها قريباً ان شاء الله

السيد احمد الشريف بن السيد محمد الشريف السنوسي

لم يكتف الألمان بأن زجُّوا بالاتحاديين والدولة في هذه الحرب الضروس بل أنفذوا رسلهم الى السيد أحمد الشريف السنوسي كبير السنوسية الحالي في صحراء ليبيا الغربية وأغروه بالدخول فيها أيضاً . وكان بين الذين أرسلوهم الى السنوسي ألماني يدعى مانسمان ونوري باشا أخو أنور باشا وضابط عربي من بغداد يدعى جعفر باشا العسكري

وكان القائد العام وأركان حربهِ برئاسة النبيل الكولونل كليتون مدير المخابرات قد بذلوا منتهى الجهد واستخدموا كامل الصبر وخالص النصيحة — وأنا شاهد عيان — لمنع السنوسي عن الدخول في هذه الحرب وبيّنوا لهُ بالرسائل والرسل الذين يثق بهم ان مصلحتهُ غير مصلحة الالمان والترك وان سلامتهُ وسلامة أنصاره وكرامتهُ تقضي بالتزامهِ الحياد التام. فاما انهُ لم يقتنع بالنصيحة وطمع بامتلاك مصر كما قيل انهُ ثابت عنده في علم الجفر «انهُ يدخل مصر ضحوة يوم الخميس بعد ما يحمي الوطيس ويقل الأنيس ويملّ الجليس». واما انهُ اقتنع بالنصيحة ولم يستطع التغلب على دسائس الترك والألمان فورَّطوه على رغمهِ ووقع ما كنا نخشاه وحصلت بين عرب الغرب والجيش البريطاني على الحدود ست وقعات متوالية أشهرها «وقعة بئر ماجد» في ٢٥ دسمبر سنة ١٩١٥. «ووقعة العقاقير» على ١٥ ميلاً شرقي «براني» في ٢٦ فبراير سنة ١٩١٦ . وكانت هذه الوقعة فاصلة قُتل فيها عدد كبير من العرب وأُسر جماعة من ضباط الترك والعرب بينهم قائدهم جعفر باشا مجروحاً واحتل الجيش البريطاني السلوم وخرَّب معسكر السنوسي فيها في ١٤ مارس سنة ١٩١٦ وعاد عرب مصر الغربيون نادمين وطالبين العفو

هذا وفي أول الشتاء كان قد غرق في البحر المتوسط قريباً من ساحل السلُّوم باخرتان انكليزيتان «تارا . ومورينا» فتمكن بعض بحارتهما من الوصول الى الساحل فأسرهم السنوسي وجعلهم في زاوية العزّيات على نحو أربعة أيام بسير الإبل غربي السلوم . فلما كانت واقعة العقاقير هاجم الدوق اوف وستمنستر بقطار من السيارات المدرعة وسيارات النقل وأنقذ البحارة الانكليز المذكورين وعددهم ٩١ نفساً وعاد بهم الى السلوم فالاسكندرية . وكان فعلهُ هذا من أجمل ما جاءت بهِ هذه الحرب من فعال الشهامة والاقدام

ونحن لا نذكر تفاصيل هذه الوقائع لأنها ليست من موضوعنا ولكنا انما نشير اليها هنا لنبدي مزيد الأسف عمّن ذهب ضحية من ابطال العرب والانكليز الاشاوس وعما وقع بين الأسرة السنوسية وجارتهم الكريمة مصر من الجفاء بعد الذي كان بينهما من المودة والصفاء . وأملنا بعد الآن ان السيد احمد الشريف، وهو ابن أخي السيد محمد المهدي كبير السنوسية السابق وحفيد السيد محمد علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية الكبير ، يتبع خطة سلفيه فلا يعكر الصفاء الذي أسسهُ ذانك الفاضلان النبيلان مع مصر وان لا يصغي الى دسائس الدساسين ولا يعمل الاّ ما فيه مصلحة العرب والاسرة السنوسية عموماً ان شاء الله

﴿ علي دينار سلطان دارفور وحكومة السودان ﴾

أما علي دينار سلطان دارفور فانهُ سلك في هذه الاثناء مسلكاً مغايراً لرضى الحكومة وتحدِّي سلطتها جهاراً فسيرت من النهود قوّة من الجيش المصري بقيادة الكولونل كلي قائد الفرسان المصريين فاحتلت « آبار أم شنقة » في ٢٠ مارس سنة ١٩١٦ وفي اليوم التالي احتلت « جبل الحلّة » وكلاهما من بلاد دارفور بجوار الحدود . وقد لقيت مقاومة ضعيفة في جبل الحلة ولكنها تغلبت عليها وشتتت شمل المقاومين ولم يلحق بجنودنا خسارة ما . ولهذين الموقعين شأن عظيم من الوجهة الحربية لوجود الماء فيهما ولوقوعهما في الطريق بين النهود في مديرية كردوفان و بين الفاشر عاصمة دارفور فباحتلالها ادركت القوة الغرض الأول من التقدم وهو حماية موارد الماء التي يستقي منها أهل البلاد بين النهود والفاشر من كل سوء واعتداء

﴿ صاحب المعالي الجنرال السر رجينولد ونجت باشا ﴾

« والسلام في السودان »

أما السودان نفسهُ فقد خيم عليهِ السلام والامن والراحة الى الآن ولولا الجرائد لما عُلم فيهِ ان في الدنيا حرباً طاحنة تُذهب في كل يوم عشرات الألوف من النفوس ذلك كلهُ بفضل الاحتياطات الحكيمة الفعَّالة التي اتخذها بطلهُ العظيم الجنرال السر رجينولد ونجت باشا ورجالهُ المنتخبون الكرام وولاء أهالي السودان على اختلاف الأجناس لحكومتهم الجديدة الشفيقة العادلة

﴿ ٦ . العلائق التجارية بين مصر وجاراتها في هذا العصر ﴾

﴿ صادرات جزيرة العرب الى مصر ﴾ لجزيرة العرب تجارة مع مصر والعراق والشام في هذا العصر كما في كل عصر . أما صادرات جزيرة العرب الى مصر فأشهرها من نجد : الابل والخيل عن طريق حايل فالحيانية فالجوف الشمالي فوادي السرحان فدمشق الشام فطريق العريش فالقنطرة * ومن شمال الحجاز : الإبل والغنم والسمن عن طريق العقبة فنخل فالاسماعيلية أو السويس . أو عن طريق النبك فالسويس

ومن اليمن : البن * ومن حضرموت : التنباك عن طريق البحر الأحمر الى السويس

ولبلاد نجد تجارة الى العراق بدرب زبيدة الى النجف أو كربلاء فبغداد

ويطلق اسم « عُقَيل » الآن في بغداد والشام ومصر على تجار نجد وشمَّر عموماً . وقالوا في سبب ذلك ان قبيلة من الاحساء تعرف بهذا الاسم نزحت قديماً الى بغداد واستقلت بتجارة الخيل والابل ونقل بضائع التجار على الابل بين نجد وبغداد وبين نجد والشام فمصر فاطلق اسم عقيل على جميع تجار نجد وشمر الى الآن

﴿ صادرات العراق الى مصر ﴾ أما صادرات العراق الى مصر فاذا استثنينا الابل والغنم التي ترد اليها عن طريق الشام فأهمها :

التمر . والمغات (نبت يستعمل للسمنة وللنفساء) . والكوفيّة المعروفة بالحجازية . والمنديل الحجازي صنع بغداد تستعملهُ نساء الفلاحين هنا غطاء للرأس . والغباني تقليد الهندي تستعمل أحزمة وعمائم . والسجاد وعبي الصوف ترد من بلاد العجم من أصفهان وشيراز وغيرهما . والأفيون من أصفهان . وصمغ الكثيراء ويعرف هنا بالكثيراء ظفر وأصلهُ من رَشت * وميناء هذه الأصناف كلها البصرة وطريقها البحر الأحمر

﴿ صادرات سوريا الى مصر ﴾ أما صادرات سوريا الى مصر براً فهي : الابل والخيل والبغال والغنم عن طريق العريش فالقنطرة أو الاسماعيلية وقد مرَّ ذكر ذلك

وتأتي الخيل والغنم أيضاً من سوريا بطريق البحر

ويأتي أيضاً منها بطريق البحر ما يعرف بالبضائع المحزومة ومال القبان والحبوب

أما البضائع المحزومة فهي : الحراير القطنية التي تصنع في مدن الشام وحمص

وحماه وطرابلس الشام وبيروت وساحل لبنان وأهمُّ أنواعها : الشاهي والكرمسوت. والديما والغزلي والمَلَس. والزنار. وبمازار. ومنديل الأوية . والحبال. والمرس. والخيطان

ومن مال القبان والحبوب من حوران والشام وحمص وحماه ولبنان وساحل سوريا : القمح . والشعير. والترمس. والصنوبر والجوز . واللوز . والفستق. والكمون . والأنيسون . والكراويا . والزعتر . والمشمش المجفف . وقمر الدين . وعرق السوس . والزبيب . والسراس . والعنب . والبرتقال . والبطيخ . والسمن . وزيت الزيتون . والصابون . وماء الورد . وماء الزهر . ودبس العنب . ودبس الخروب . وسكر نبات. والدخان . وبذر التقاوي : البقله والسبانخ والبرسيم والكزبرة

وأما التجار السوريون في مصر الذين يتجرون بالبضائع الشامية مال القبان فأشهرهم:

في الاسكندرية من حلب : جبيلي وقناعة وشركاهم . مصطفى حماض وأولاده. محمد بهاء الدين مكانسي. وَلاية اخوان عبدالرحن سمَّاقيَة * وفيهامن دمشق: سمان اخوان . عبد الكريم مَذور. حبيب والياس زيات * ومن بيروت هِبري وعفرة

وفي مصر القاهرة من دمشق الشام : الحاج عبد الله الكحال . والسيد بكري الرفأ. وأحمد بك توكل . ورشيد المحايري وأولاده وغيرهم

وأما التجار السوريون في مصر الذين يتجرون بالبضائع المحزومة الشامية فأشهرهم:

في الاسكندرية من الشام: محمد توفيق جبري وشركاه * وفي القاهرة من الشام: السيد محمد السيد نظام . سعيد ومحمد الحموي . عبد الغني سليم سليق . خليل التكريتي وأولاده * وفيها من حمص : محمد بك أبو النصر السيد . وحصني أبناء عمّ * وجميع من ذكرنا من التجار هم مسلمون الاّ حصني أبناء عم وحبيب والياس زيات فهم مسيحيون

وقد جدَّ حديثاً بعض التجار المسيحيين الذين يتجرون «بالبقالة الشامية» كالزيت والزيتون واللبنة والبرغل والتين والجوز واللوز والفستق والمشمش وغيرها وأشهرهم : الخواجات شهدان. وأمين متري. وخليل دياب. وابرهيم صفير. وأديب شعيا وغيرهم

﴿ صادرات مصر ﴾ وأما صادرات مصر الى الشام والحجاز فأهمها : السكر . والفول . والعدس . والأرز الرشيدي . والحصر .. وفي بعض السنين القمح والشعير

﴿ ٧ . السورى فى مصر ﴾

يؤخذ من تاريخ العلائق بين مصر وجاراتها التي أوردناها في هذا المختصر ثلاثة أمور جديرة بالاعتبار وهي :

أولاً . ان الاتصال بين مصر وسوريا كان مضطرداً منذ أقدم أزمنة التاريخ الى اليوم وكان الاتصال بين مصر وسوريا اكثر منه بين مصر وأية جارة أخرى

ثانياً . ان مصر وسوريا تتعاونان في الضيق . فالسوري يلجأ الى مصر في زمن الاضطهاد وسوء الأحكام فيقيم فيها زمناً ثم يعود الى بلادهِ أو يتخذها وطناً لهُ ويهجر وطنهُ . كذلك كان يفعل المصري اذا وقع عليهِ ضيق أو اضطهاد في بلادهِ

ثالثاً . ان السوريّ الذي توطّن مصر منذ عهد يوسف الصديق أو قبلهُ أو بعدهُ بأجيال أخلص الخدمة لمصر واشتهر فيها بذكائهِ وعلمهِ وحسن ادارتهِ . وكثيرًا ما تمتع بجميع حقوقها الوطنية ونال الحظوى عند ملوكها وأمرائها وأصحاب الكلمة فيها

هذا وتاريخ سوريا ومصر حافل بالشواهد على أن السوريين في بلادهم بوجه عام والفينيقيين بوجه خاص كانوا ولا يزالون يحرصون على صداقة المصريين وإدامة السلام بين سوريا ومصر لأن مصلحة القطرين وراحتهما تقضيان بذلك. وان الغزوات التي قام بها الفاتحون من سوريا على مصر كانت معظمها أو كلها كالغزوة الحاضرة من غزاة أجانب عن سوريا أشوريين وفرس ويونان وروءمان وبدو وأتراك ولم يكن للسوريين أقلّ مأرب فيها بل كثيرًا ما نصروا مصر ضد غزاتها الأجانب

حقّاً ان مصر والشام شقيقتان متجاورتان متساويتان في العظمة والكرامة ولا يليق بهما ولا يصلح لهما الاّ التواد والوئام . وان من يوقع الشقاق بين هاتين الشقيقتين أو يقف في سبيل اتصالهما وتصافيهما تلعنهُ الطبيعة والتاريخ حتى ان بلاد التيه التي اعترضت بين البلادين قد مسختها الطبيعة مسخاً فصيَّرتها قاعاً بلقعاً وتيهاً ضعضعاً

والسوريون المتوطنون مصر في هذا العهد ثلاث طوائف : يهود ونصارى ومسلمون

أما «اليهود» فهم أقدم السوريين المعروفين في مصر وربما اتصل نسب بعضهم

بجماعة الحبر أونياس الثاني أو أرميا النبي الذين أتوا مصر فراراً من الظلم كما مرّ

وفي تعداد سنة ١٩٠٧ الأخير بلغ عدد اليهود في مصر ٣٨،٦٣٥ نفساً. ويقدّر عددهم الآن بنحو ٤٥ ألف نسمة وكثير منهم من أصل أوربي . وتقدّر ثروتهم بنحو خمسة عشر مليون جنيه . واكثرهم صيارفة وتجار . ويتولى بعضهم وظائف الحكومة ومن هؤلاء : يوسف قطاوي باشا عضو في الجمعية التشريعية

مارك بك بيولويس مراقب الحسابات في وزارة الحربية

ڤكتور هراري باشا مدير عموم الحسابات في وزارة المالية سابقاً

وما زال اليهود في مصر من أول عهدهم الى الآن عنصراً منفرداً قائماً بذاته للفارق بينهم وبين أهل البلاد في الجنس والدين واللغة . وأشهر أُسر اليهود وأقدمها في مصر : قطاوي . وسوارس . ومُصيري . ومنشّي . ورولو . وأجيون . ويعبيس . وعُرَيبي . وجاليكو وغيرهم

أما السوريون « المسلمون » فأكثرهم نزلوا مصر للاتجار في البضائع الشامية وقد مرَّ ذكر بعضهم فالقديمو العهد منهم اختلطوا في الزواج بالعنصر الاسلامي من السكان الأصليين لعدم وجود الفارق في اللغة أو الدين أو الجنس وامتزجوا بهم حتى ان كثيرين منهم لم يعد يمكن ارجاعهم الى أصلهم السوري. وأما الحديثو العهد فما زالوا متميزين عن السكان الأصليين ويمكن الرجوع الى أصلهم ومن هؤلاء غير من ذكرنا من تجار البضائع الشامية : خالد باشا لطفي . وأُسر : عبد القادر باشا حلمي. وابرهيم بك وفا . ومصطفى باشا الحلبي . وسعد الله حلابو . وطلميات * والأسرة الرافعية وقد بلغ عددها هذا العام في مصر نحو ٣٤٠ نفساً ومنهم جميل افندي الرافعي الموظف بحكومة السودان . ومن ادباء السوريين المسلمين بمصر :

السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار . ورفيق بك العظم سنة ١٨٨٣ صاحب تاريخ أشهر مشاهير الإسلام . وحقي بك العظم سنة ١٨٩١. وحسن بك خالد نجل السيد أبو الهدى الصيادي . ومحب الدين افندي الخطيب . وفؤاد افندي الخطيب الشاعر اللبناني * وللسوريين المسلمين بالقاهرة جمعية خيرية اسست سنة ١٩١٣

وأما «السوريون» النصارى المتوطنون مصر الآن وهم من نعني بالعنصر السوري عند التخصيص فهم من مهاجري اللاذقية وطرابلس و بيروت وصيدا وصور وعكا وحيفا و يافا وغزة ولبنان وحلب وحماه وحمص والشام و بعلبك والقدس الشريف

ومنهم من توطّن مصر قبل المغفور لهُ محمد علي باشا الكبير بزمان طويل فانهم أتوا الى مصر تجاراً أو موظفين وهم أسر معدودة وقد باد بعضها أو كاد. وأشهر هذه الأسر : زنانيري . وفخر قيل أتوا مصر منذ نحو ٣٠٠ سنة * وجيعه. وحجّار . ورزوق. وسرور . وصاصي . وقصيري . وكحيل قيل أتوها منذ نحو ٢٠٠ سنة * وبحري . وسابا . وسكاكيني قيل أتوها منذ نحو ١٥٠ سنة

ومن السوريين النصارى من توطنوا مصر في عهد محمد علي باشا و بعدهُ الى الثورة العرابية وأشهرهم أسرات : ابو شعر . ارقش. انطونيوس . ايوب . بابازوغلي . بسترس . تاجر . تقلا . تويني . حموي . خلاط سنة ١٨٨٠ . خياط . دبانة . دهان . رطل . زغيب . الزند . سرسق. شدياق . شديد . شكور . شميل. صعب . صفير سنة ١٨٧٠ . صيدناوي . طحان . ظريفة . عازوري . عمون . عنحوري . عيد . عيروط . فركوح . قرداحي . قطة . لطف الله سنة ١٨٥٢ . مشاقة . ناصر . ناصيف . نحاس . نوفل . هاشم

ومنهم وهم الفريق الأكبر من هاجروا الى مصر بعد الثورة العرابية سنة ١٨٨٣ وهم أسرات : أديب . بركات سنة ١٨٩٢ . بستاني . جمّال . جميّل . حداد . خازن . داغر . زيدان . شحادة . شقير سنة ١٨٨٤ . صروف . غانم . غرزوزي . غناجة . متري . مرشاق . معلوف . مغبغب . مكاربوس . موصلي . نمر وغيرهم

وقد بلغ عدد السوريين النصارى في مصر حسب الاحصاء الرسمي الأخير ٣٣،٩٤٧ نفساً . ولكن هذا الاحصاء ناقص جدًّا لأن كثيرين من السوريين قيَّدوا أنفسهم عثمانيين لأنهم لم يتجنسوا بالجنسية المصرية بعد . والمعلوم في بطركخانة الروم الكاثوليك في مصر ان الروم الكاثوليك وحدهم يزيدون عن هذا العدد . ثم ان عدد الروم الأرثوذكس والموارنة معاً لا يقلون عن الروم الكاثوليك . وعليهِ فعدد

السوريين النصارى فيالقطر المصري لا يقل عن سبعين ألف نسمة . وتقدر ثروتهم بنحو خمسة وعشرين مليون جنيه * وللسوريين في مصر القاهرة ناديان عموميان :

« النادي الشرقي » على مثال الأندية الأوربية وهو جامع لأعيانهم وكبرائهم و « نادي الاتحاد السوري » وهو جامع لنخبة شبانهم . وغايتهُ : « توثيق روابط الإخاء بين السوريين كافة على اختلاف المذاهب والأديان . والقيام بكل عمل خيري أو أدبي . وتنظيم حفلات خطابيـــة ومنع القمار وكل مناقشة دينية أو سياسية في مركز الجمعية منعاً باتاً »

وللسوريين في القاهرة أيضاً أربع جمعيات خيرية : جمعية لكل من طوائف الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك والموارنة والبروتستانت

وفي طنطا جمعية خيرية جنسية جامعـة لجميع أفراد السوريين على اختلاف المذاهب والأديان تدعى « جمعية الاتحاد والاحسان السورية » وهي خير مثال للجمعيات العنصرية في هذا القطر وفي كل قطر

ولقد كان للعنصر السوري في مصر اليد الطولى في النهضة الحديثة فنهم التاجر والمزارع والصانع والكاتب والصحافي والمؤلف والشاعر والخطيب والطبيب والمحامي والمهندس والموظف. ولهم في القطر أهم المجلات والجرائد العلمية والأدبية والسياسية . وهذه هي أشهر مجلاتهم العلمية والأدبية مع سني انشائها وأسماء منشئيها :

« المقتطف » سنة ١٩٧٥ — الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر

« الهلال » سنة ١٨٩٢ — اميل افندي زيدان ومؤسسها المرحوم والدهُ

« العمران » سنة ١٩١٠ — عبد المسيح بك انطاكي

« مجلة سركيس » سنة ١٩٠٧ — سليم افندي سركيس

« فتاة الشرق » سنة ١٩٠٦ — السيدة لبيبة « ماضي » هاشم

« اللطائف المصورة » سنة ١٩١٤ — اسكندر افندي مكاريوس

« الحقوق » — المحامي ابرهيم افندي الجمَّال ومؤسسها المرحوم أمين شميل

« الاستقلال » سنة ١٩٠٢ — المحامي نجيب بك شقرا

وهذه أشهر جرائدهم السياسية مع سني انشائها وأسماء منشئيها :

« الأهرام » سنة ١٨٧٥ — جبرائيل بك تقلا ومؤسساها المرحومان والده بشاره باشا تقلا وعمه سليم بك تقلا

« المحروسة » سنة ١٨٧٦ — الياس افندي زيادة — ومؤسسها عزيز بك الزند

« الاتحاد المصري » سنة ١٨٨١ — ادجار روفائيل مشاقة ومؤسسها المرحوم والده

« المقطم » سنة ١٨٨٨ — صروف ونمر ومكاريوس

« الأخبار » سنة ١٨٩٦ — الشيخ يوسف الخازن

« البصير » سنة ١٨٩٧ — رشيد بك شميل

« السودان » سنة ١٩٠٠ — صروف ونمر * وكل هذه الجرائد تصدر بالقاهرة ماعدا البصير والاتحاد المصري فانهما تصدران بالاسكندرية . والسودان بالخرطوم .

ومن مجلاتهم وجرائدهم العلمية والأدبية والسياسية التي ظهرت حيناً ثم احتجبت :

« الشفاء » الدكتور شبلي شميل وهو من أقدم كتاب العصر وأقدرهم

« البيان والضياء » الشيخ ابرهيم اليازجي الكاتب اللغوي الشهير

« مجلة الزهور » الشيخ أنطون جميّل * « الجامعة » فرح افندي انطون

« اللطائف » شاهين بك مكاريوس * « الفلاح » سليم باشا حموي

« الجوائب المصرية » خليل افندي مطران وهو من اكبر شعراء العصر

« الرائد المصري » نقولا افندي شحاده * « المشير » سليم افندي سركيس

« الشرق » طانيوس افندي عبده * « لسان العرب » الشيخ نجيب الحداد

« الرأي العام » اسكندر افندي شاهين * « مجلة الروايات الجديدة » نقولا رزق الله

وممّن يجمل ذكرهُ هنا « سليمان افندي البستاني » مترجم الالياذة فانهُ أقام بمصر عدة سنين وطبع فيها الياذتهُ قبل ان تولى منصب الوزارة في الاستانة

وللسوريين النصارى من الرؤساء الروحانيين :

المطران يوسف دريان : النائب البطريركي الماروني بمصر

المطران مكاريوس سابا : النائب البطريركي الكاثوليكي بمصر

المطران بولس أبو مراد : مطران دمياط للروم الكاثوليك

وفيهم من أرباب الثروة في القاهرة :

حبيب باشا لطف الله وأولاده ميشال بك وحبيب بك وجورج بك وحبيب باشا سكاكيني . وأسرة قسطندي بك كحيل * وفي الاسكندرية : خليل باشا خياط . وأسرات سرسق . وبسترس . وزغيب . وكرم . ودبانه وفي الزقازيق الكونت سليم شديد * وفي المنصورة أسرة الكونت خليل صعب

وفيهم من أرباب الشركات الزراعية :

نجيب شكور باشا : مدير شركة الغربية والمباحث

جورج بك عيد : مدير الشركة الزراعية الصناعية

ومن أصحاب البنوكة في مصر القاهرة :

الكونت قريصاتي : صاحب ومدير البنك الفرنساوي

الدكتور ألفريد عيد : مدير صندوق الرهنيات

ولهم من المحلات التجارية المشهورة في مصر القاهرة :

محل جدعون اخوان — تجار قومسيونجية

محل جرجس براهيمشا — تجارة مانيفاتورة — بالحمزاوي

محل حاطوم — تجارة أنتيكات — بالسكة الجديدة

محل حنا بك صباغ وشركاه — تجارة جلود افرنجية

محل حسيب وتوفيق غبريل — تجار قومسيونجية

محل خوام اخوان — تجارة مجوهرات وأنتيكات — بخان الخليلي

محل سليم وسمعان صيدناوي وشركاهم لميتد . تجار حراير وأصواف بمصر والاسكندرية

محل سليم حداد . تجارة مكنات الكتابة وموبيلات اميركية . بشارع المناخ

محل شحادة اخوان . تجارة جزم أميركية وقمصان وغيرها . بشارع المناخ

محل شيحا — تجارة أنتيكات — بشارع المناخ

محل مرشاق اخوان — تجار قومسيونجية

محل موسى وجبرائيل صيدح — تجارة أغلال — بشارع محمد علي

محل نجيب غناجه . تجارة أدوية . في مصر والاسكندرية وطنطا وأسيوط

وفي الاسكندرية :

محل كرم — تجارة خشب * ومحل الخواجات أبو شنب — تجار قومسيونجية

وفي طنطا : محل فركوح . ومحل الخواجات ناصر

وفي الخرطوم : محل عزيز كفوري تاجر ومزارع كبير

ولهم من المكاتب الشهيرة في القاهرة :

مكتبة هندية سنة ١٨٨٣ — امين افندي هندية — بالسكة الجديدة

مكتبة الهلال سنة ١٨٩٦ — جورج وابرهيم زيدان — بالفجالة

مكتبة المعارف سنة ١٩٠١ — نجيب افندي متري — بالفجالة

المكتبة الشرقية سنة ١٨٨٩ — ابرهيم افندي فارس — كلوت بك

وفي الاسكندرية : مكتبة غرزوزي لجورج افندي غرزوزي

وفيهم من الاطباء في القاهرة وبينهم شعراء وخطباء وكتّاب الدكاترة :

ابرهيم شدودي. أديب زيات . أمين أبو خاطر . أمين معلوف . جان انطاكي . خليل مشاقه . روفائيل كساب . شبلي شميل . شكري مشرق . صابر بسيط . عبد الله البستاني . عبد الله ملّوك . يوسف بحري (ولهُ معمل كيماوي) . يوسف كحيل

وفي الاسكندرية : أسعد حداد . ونقولا فياض * وفي الفيوم : يوسف غبريل

ومن الأطباء في خدمة الحكومة المصرية الدكاترة : — اسكندر القيّم . اسكندر عطية . ألفريد غرزوزي . ايليا خير الله . حنا رحمة . عبد الله شقير

ومنهم في الجيش المصري من رتبة يوزباشي فصاعداً :

اللوا سليم موصلي باشا . والبكباشي صموئيل افندي خوري . والصاغات : أسعد افندي أيوب . أسعد افندي معلوف . سليم افندي غصن . الأمير فريد شهاب . منصور افندي الحاج * واليوزباشية : أنيس افندي عجيمي . سليمان افندي الصليبي . عزيز افندي شحادة . قيصر افندي الخوري . نجيب افندي الحداد . نسيب افندي البارودي . يوسف افندي مبارك . يوسف افندي درويش . يوسف افندي مزهر * ومنهم في المصلحة الطبية الملكية السودانية :

الدكتور سليم افندي عطيه حكيمباشي أم درمان . والدكتور سليم افندي الصايغ . والدكتور جورج افندي حداد * ومن الأطباء الذين خدموا الجيش والآن بالمعاش : الدكتور يوسف بك شدياق والقائمقام نعمة الله بك طحَّان . والصاغ أسعد افندي راشد ومن أطباء الأسنان السوريين في القاهرة :

الدكاترة ادوار غرزوزي . أسعد عطيـه . أمين بهيت . رشيد حدَّاد . خليل جريصاتي . نقولا بيطار . نقولا واكيم . وفي الاسكندرية : أسعد حداد

ومن اطباء العيون في القاهرة : ابرهيم نشاطي . الياس صليبي . حبيب غانم ومن المحامين السوريين في القاهرة :

اسكندر بك عمون	الياس بك دبانة	انطون بك سلامة
حبيب بك غانم	الدكتور سليم بك البستاني	سليم بك رطل
لطفي بك عيروط	نجيب بك البستاني	نجيب بك شكور
الأمير خليل أبو اللمع	ادوار افندي قصيري	الياس افندي جيعة
اميل افندي بولاد	اميل افندي جهشان	امين افندي البستاني
انطون افندي يزبك	ألفونس افندي زينية	حبيب افندي رطل
زكي افندي خوام	سامي افندي جريديني	جبرائيل افندي أصفر
عبده افندي داود	كميل افندي ادّه	لويس افندي أسمر

ميشيل افندي صيدناوي ميشيل افندي ناصيف وأخواه فيليب وجورج

وفي الاسكندرية : انطون بك سلامة نجيب بك أيوب اسكندر افندي لكح

الفونس افندي كميكاني انطون افندي أرقش يوسف افندي السودا

وفي طنطا : حبيب بك زين ، جرجس بك حاوي قسطنطين بك سعادة

نقولا بك ارقش بديع افندي قربه خليل افندي نعمة

وفي القاهرة من المؤلفين والكتاب والشعراء والخطباء ما عدا أصحاب الجرائد المتقدم ذكرهم وكثيرون منهم بارعون بالانكليزية والفرنساوية وبعضهم بالروسية :

خليل بك ثابت	خليل بك سعادة	سليم بك شميل
سليم بك مكاريوس	ماريوس بك شميل	ابرهيم افندي نجَّار

اسعد افندي داغر	اشيل افندي صيقلي	الياس افندي فيَّاض
أيوب افندي كميد	خليل افندي زينية	داود افندي بركات
رشيد افندي ثابت	سامي افندي قصيري	سليم افندي عبد الاحد
سليم افندي قبعين	شحادة افندي شحاده	لبيب افندي جريديني
نجيب افندي شاهين	نجيب افندي ظريفة	نقولا افندي حداد
وديع افندي أبو فاضل	وديع افندي البستاني	يوسف افندي البستاني
الآنسة سعدى سابا	الآنسة مي * *	وفي طنطا : ابرهيم افندي حنا

ومن أرباب الوظائف الكبيرة في القاهرة :

سعيد باشا شقير	مدير عموم حسابات السودان وهو شاعر مجيد وكاتب قدير
عزيز باشا كحيل	مستشار بمحكمة الاستئناف الأهلية
عبدالله باشا صفير	وكيل مدير عموم الأمن العام بوزارة الداخلية
ميشال بك لطف الله	عضو السوريين في الجمعية التشريعية
يوسف بك خلاط	مدير قلم المطبوعات بوزارة الداخلية
عبدالله بك عازوري	سكرتير وزير الحربية
عزيز بك أبو شعر	مدير الاقلام الافرنجية بوزارة الأشغال
جورج بك فيلبيدس	مدير قلم الضبط والربط بمحافظة مصر
سليم بك باخوس	ناظر القسم المالي بمحافظة مصر
ميشال بك خوري	مفتش قسم أول بمصلحة التلغراف
جورج بك خوري	مدير حسابات بمصلحة السكة الحديد

وفي الاسكندرية :

جورج باشا زنانيري	سكرتير عام مصلحة المحاجر
ميشال باشا أيوب	سكرتير عام مصلحة الجمارك
فتح الله بك صوصه	مدير حسابات بمصلحة الجمارك
جبرائل بك حداد	مدير قلم مراقبة الصحف

وفي الخرطوم :

شاهين بك جرجس السكرتير العربي للسردار وحاكم السودان العام

ابرهيم بك ديمتري سكرتير مفتش السودان العام

صموئيل افندي عطية سكرتير ادارة المخابرات بالخرطوم

وكان منهم في الوظائف الكبيرة الى عهد قريب جدًّا :

السير يوسف سابا باشا مدير عموم مصلحة البوسطة المصرية ثم وزير المالية

ادوار باشا الياس مفتش في وزارة الداخلية

أنطون باشا مشاقة سكرتير عموم مصلحة الصحة العمومية

أوغست باشا أديب مدير عموم حسابات المالية بمصر

بطرس باشا مشاقة مراقب الخزينة المصرية

فريد باشا بابازوغلي سكرتير عام وزارة الأشغال العمومية

قسطنطين باشا قطه السكرتير الأول لمجلس الوزراء

نجيب باشا سيور سكرتير عام مصلحة الدومين

يوسف باشا مسرَّة رئيس ادارة السكة الحديد المصرية

اسكندر بك عمون قاضي بمحكمة الاستئناف

حبيب بك دبانة وأخواه نجيب بك ويوسف بك في قلم قضايا وزارة المالية

جبران بك مسكات مدير قلم الضبط والربط بمحافظة مصر

جبران بك ناصيف قاضي في المحاكم الأهلية

سليمان بك ناصيف رئيس قلم بوزارة الحربية

طنوس بك شحاده رئيس قلم بالحربية * نجيب بك عنحوري مدير قلم قضايا

ومن أرباب الصنايع والفنون الجميلة :

في فن الطباعة — نجيب افندي متري صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر وهو أشهر من اشتغل بهذه الصناعة من الشرقيين ليس في مصر وحدها بل في الشرق كله ومئات الكتب التي تخرج من مطبعتهِ ومنها تاريخ سيناء هذا وتاريخ السودان تشهد لهُ بالتفوق بهذه الصناعة لا سيما بنظافة الطبع واتقانه حسب أصول الصناعة .

وقد علمنا ان محل مكملان الانكليزي الشهير في لندن جعله وكيلاً لمطبوعاته العربية والانكليزية التي تدرَّس في المدارس الأميرية في القطر المصري وقد عهد اليهِ طبع هذه الكتب في مطبعتهِ . وكان انشاء مطبعة المعارف سنة ١٨٩٠ وقد صدر هذا التاريخ والمؤلفون العديدون الذين طبعوا كتبهم فيها سيحتفلون بيوبيلها الفضي في ٢٨ ابريل سنة ١٩١٦ اعترافاً بما لها من الخدمة لهم وللطباعة في مصر

وفي فن التصوير الشمسي — وداد افندي شقير ابن المرحوم شاكر شقير الشاعر المشهور . وهو صاحب محل فوتوغرافي بشارع نوبار باشا بالقاهرة وقد نال شهرة عظيمة بصناعتهِ فى الخرطوم وانتقل الى مصر من عهد قريب

وفي فن التمثيل : جورج افندي أبيض . وعزيز افندي عيد

وفي فن الموسيقى : سامي افندي الشوا وهو من أشهر الضاربين على الكمنجة فى الشرق

وفي فن الزراعة : الخواجه حبيب بولاد وهو أول من أوجد الري الصيفي بمصر

وفي فن التصوير باليد — سليم افندي حداد وهو مخترع آلة الكتابة العربية . وفيليب افندي واكد مخترع آلة أخرى للكتابة العربية

وفي الخط العربي : الياس افندي علاّم . ونجيب بك هواويني المحامي . وممَّن امتاز بالخط العربي « فرنسيس صفير » وقد توفي سنة ١٩١٤ وترك من خطهِ مآثر جميلة رحمهُ الله

وممن توفاهم الله في هذا القطر من التجار والموظفين الكبار والأدباء الذين ساعدوا في تأسيس النهضة الحديثة في مصر ويستحقون اجمل الذكر المغفور لهم :

روفائيل عبيد سنة	١٨٦٦	بشاره باشا تقلا	١٩٠١	عزيز بك الزند	١٩١٠
سليم بك نقاش	١٨٨٤	نقولا بك توما	١٩٠٥	الشيخ امين الحداد	١٩١٢
سمعان كرم	١٨٨٨	الدكتور بشاره زلزل	١٩٠٥	جورج كرم	١٩١٢
سليم بك تقلا	١٨٩٢	الشيخ ابراهيم اليازجي	١٩٠٦	الدكتور حبيب كرم	١٩١٣
الياس صالح	١٨٩٥	سليم بك صيدناوي	١٩٠٨	سليم باشا حموي	١٩١٣
أمين بك الشميل	١٨٩٧	شاهين بك مكاريوس	١٩١٠	جورج بك زيدان	١٩١٤
الشيخ نجيب الحداد	١٨٩٩	ملحم بك شكور	١٩١٠	نقولا رزق الله	١٩١٥

وممن لا يصح اغفال ذكره هنا الكاتب الخطيب الشهير المرحوم اديب بك اسحق فانه بعد ان خدم الصحافة والتمثيل خدمات جليلة عدة سنوات في مصر عاد الى بيروت وتوفي فيها سنة ١٨٨٥

-﴿ مستقبل سوريا بعد الحرب الحاضرة . ومستقبل السوري في مصر ﴾-

هذا وقبل الحرب الحاضرة كان السوريون في مصر بعضهم متجنساً بالجنسية المصرية والبعض الاخر باقياً على التابعية العثمانية . أما الآن وقد فصلت مصر عن الدولة العثمانيـة وأصبحت تحت الحماية البريطانية فلا بدَّ أن يُسنّ قانون خاص للتجنس بالجنسية المصرية البريطانية . واذ ذاك فالسوريون الذين كانوا باقين على التابعية العثمانية إما أن يتجنسوا بالجنسية المصرية وإما أن يتجنسوا بالجنسية التي تستقر عليها سوريا * على ان قرارهم النهائي بهذا الشأن يتوقف على مستقبل سوريا بعد الحرب فان كانت الجنسية التي تستقر عليها مما يروق لهم تبعوها والاَّ اختاروا لهم تابعيَّة أخرى

أما مستقبل سوريا فلا يزال بيد الأقدار ولا يعلم أين تضعهُ . ولا أستطيع التبسط بهذا الموضوع كما أريد لأنهُ موضوع سياسي حرج الى الغاية خصوصاً في الأحوال الحاضرة فلم يبق لي الاّ الكلام عنـهُ من الوجهة التاريخية . ويقال بالاجمال ان السوريين من مسلمين ومسيحيين ويهود كلهم أو جلهم على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم السياسية متفقون على أمور أربعة :

الأول . السخط على الاتحاديين سرًّا وجهراً لدخولهم في الحرب الحاضرة

الثاني . الميل الصادق الى الحلفاء في هذه الحرب

الثالث . انشاء حكومة جديدة على مبادي اللامركزية الشوروية تضمن لهم الأمن والراحة والنجاح في بلادهم مع المحافظة على لغتهم وتقاليدهم وعاداتهم ووحدتهم القومية

الرابع . شعورهم بالحاجة الى دولة من دول الحلفاء العظام يستعينون بها على تنظيم حكومتهم الجديدة . ولكنهم يختلفون في كيفية انشاء الحكومة وتنظيمها ثم في نوع المساعدة التي يتطلبونها ومقدارها

نعم ان هناك فئة لا يهمهم الاحتفاظ بقوميتهم ما دامت البلاد ممتّعة بأسباب الأمن والراحة والرقي . ولكن هؤلاء هم فئة قليلة جدًّا والسواد الأعظم من أهالي سوريا من مسلمين ونصارى ويهود متمسكون بقوميتهم ولغتهم وعاداتهم كل التمسك . وأهل الخبرة منهم يقولون انهُ لا يكون للسوريين كلمة نافذة ولا مكانة سياسية ولا

شأن ولا مقام ولا راحة ولا سلام في بلادهم أو خارج بلادهم الاَّ اذا احتفظوا بقوميتهم واتحدوا في الرأي والعمل على اختلاف المذاهب والاديان . وأهم الأسباب التي تدعو الى اتحادهم ثلاثة : ١ . أن يتخذوا أساس المعاملة المصلحة العامة الوطنية ليس الا

٢. أن يتذكروا انهم كلهم من أصل واحد عربي أو سامي وانهم كانوا عرباً أو ساميين قبل أن كانوا سوريين وقبل أن كانوا يهوداً ونصارى ومسلمين

٣. أن يحافظوا على لغتهم العربية لأنها لغة راقية ولأنهُ لا شيء يقرّب العناصر المتنافرة مثل الاجماع على لغة واحدة

على ان أهل الخبرة والعقلاء من السوريين يعلمون حق العلم أنهم سواء اختلفوا أو اتفقوا فانهم لا يقوون على ردّ أية دولة من الدول العظام اذا طمعت بهم . ولكن السوريين وهم أول من غرس أصول التمدن في العالم لا يخشون أن تطمع بهم دولة من الدول المتمدنة

وفوق ذلك فان السوريين واثقون بأن الغلبة في الحرب الحاضرة للحلفاء . وهم لم يشاركوا الحلفاء في أميالهم وعواطفهم فقط بل كثيرون منهم شاركوهم بالفعل و بذلوا لهم أتعابهم وأموالهم ودماءهم . ولم يزالوا معهم على ذلك الى اليوم وسيبقون كذلك الى أن يحرز الحلفاء النصر الأخير قريباً ان شاء الله

وعليهِ ولما كان الحلفاء قد جاهروا بأنهم يحاربون للمدنية والحرية واستقلال الأمم الضعيفة وكان لهم الكلمة الأولى في مستقبل سوريا بعد كلمة أبنائها فالسوريون واثقون كل الثقة انهم مهما اختلفوا هم أنفسهم في كيفية انشاء حكومتهم المقبلة فان الحلفاء لا يسمحون بأن يكون مستقبل سوريا مما لا ترضى بهِ نفوس الأحرار العقلاء منهم أو لا يكون فيهِ رقيهم وراحتهم وكرامتهم على اختلاف الأجناس والأديان

وفي كل حال فان أقلَّ ما نؤملهُ أن يعاد لذلك الشيخ الجليل لبنان المحبوب حدودهُ الطبيعية ، عملاً بقاعدة ترك القديم على قدمهِ ، وتبقى لهُ تلك الامتيازات التي منحتهُ اياها الطبيعة وأيدها التاريخ منذ قديم الزمان

بقي علينا بحث اجتماعي في غاية الأهمية للسوري المهاجر الى مصر وهو : أمن مصلحة

السوري المهاجر استيطان مصر والتجنس بجنسيتها وهجر وطنهِ الاصلي بتاتاً أم لا ؟»

ان في مصر أموراً كثيرة تحبب للسوري المهاجرة اليها واستيطانها أهمها : ان لغة مصر هي لغتنا وجنسها جنسنا وعاداتها عاداتنا وهي على ليلة من بلادنا فضلاً عن ان مصر بلاد غنية واسعة الأطراف وافرة الخيرات وتحتاج على الدوام الى أيدٍ كثيرة نشيطة مخلصة كالأيدي السورية

الاَّ أن هناك أسباباً وجيهة تحمل السوري على التردد في استيطانها أهمها: ان هواء مصر شديد الوطأة على الأجناس الطارئة عليها من البلاد المعتدلة الحرارة وسوريا من الجملة . فان المشاهدة والاختبار يدلاننا على ان اللون والنشاط والصحة التي نراها في المهاجر الجديد من سوريا لا نراها في المهاجر القديم . بل ان كثيراً من الاسرات السورية التي هاجرت الى مصر منذ أجيال لا يزيد عدد أعضائها الآن على عدد الاصابع ومنها من انقرض بالمرة خصوصاً الذين قطعوا علائقهم بتاتاً مع سوريا . وعليهِ ترى حكم الرأي الغالب ان استيطان مصر ليس من مصلحة السوري

ثم ان السوريين النصارى الذين يهاجرون الى مصر هم مضطرون بسبب الفارق في العنصر والدين وعدم الاختلاط بالزواج مع سائر العناصر أن يبقوا عنصراً منفرداً كاليهود والأرمن والقبط . ومهما كثروا في البلاد فانهم يبقون عنصراً ضعيفاً بالنسبة لعناصر الأمة المصرية . فاذا لم ترتقِ نظامات مصر ارتقاءً تزول أمامهُ فوارق الدين والعنصر في أبناء الوطن الواحد ليتمكن افرادهُ النابغون ، من كل جنس ودين ، من نيل ما تتوق اليهِ نفوسهم الكبيرة من المنزلة الرفيعة في الحياة القومية او السياسية كان ذلك سبباً آخر في «أن استيطان مصر والتجنُّس بجنسيتها ليسا من مصلحة السوري»

ولكن الناس في حياتهم الاجتماعية قلما ينظرون الى المستقبل البعيد فهم يطلبون غالباً النفع القريب العاجل ويتركون المستقبل لله . وقد رأينا انهُ لأسباب تجارية أو سياسية أو اجتماعية توطّن مصر اسرات من السوريين في كل عصر من عصور التاريخ . وستبقى هذه الحال الى ما شاء الله خصوصاً ما دام الحكم في سوريا على غير المرام

لذلك لا يضرّ السوريين الذين يهاجرون الى هذه البلاد لأي سبب كان ان

يطلعوا على اختبار وطنيّ محب جاوز الخمسين وقد قضى منها فوق الثلاثين سنة في مصر وضمّن اختبارهُ هذه الكلمات العشر :

١ . أنتم احفاد الحثيين الذين عاصروا الفراعنة العظام وساووهم ، وهم في أوج عزهم ، بالكرامة والمجد . انتم احفاد الفينيقيين الذين كانوا اول من اخترع الاختراعات واكتشف الاكتشافات وساد البحار و بذر بذار التمـدن في جميع الأقطار . أنتم انصار ابرهيم وموسى والمسيح ومحمد الذين كانوا اول من نادى بوحدانية الله وهذَّب الأخلاق وشاد الأديان التي تسود العالم الآن

فلا تستحيوا بأصلكم السوريّ ولا تحاولوا الانتساب الى الأصول السائدةالآن فان ذلك فضلاً عن انه غير مستطاع فهو اعتراف منكم بضعة اصلكم وهو من فضل الله غير وضيع.ولكن لا يمنعنَّـكم ذلك من التشبه بالكرام والامتزاج بهم والتودُّد اليهم وتحدّي طرقهم القويمة وعاداتهم الحميدة ومبادئهم الشريفة من اي جنس كانوا

٢ . ليكن ارتباطكم بوطنكم الأصلي حيًّا ما امكن لتبديل الهواء وتجديد الدم بالزواج فان ذلك هو السبيل الوحيد لتخفيف وطأة الهواء في مصر عليكم وعلى اولادكم . واطلبوا الزواج الباكر فان فيه حفظاً لصحتكم وانماء لنسلكم . وافسحوا للرياضةالبدنية جانباً من وقتكم فان العقل السليم في الجسم السليم .

٣ . أنتم في مصر عنصر ضعيف فاستعينوا على ضعفكم بقوات ثلاث : العلم الشريف والمال الحلال والخلق الحسن . واحذروا آفات ثلاثاً : المسكر والمنكر والقمار

٤ . لا تحترفوا الاّ الحرف الراقية النافعـة الحرَّة كالطب والهندسة والأدب والمحاماة والزراعة والصناعة والتجارة . واطرقوا باب التجارة قبل كل باب فان السوري تاجر في طبعهِ . ولا نحسبنّ الاشتغال بالربا تجارة بل لنبتعد عنهُ ما أمكن ولو حللهُ القانون فان الربا لا يشرّف صاحبهُ ولا يرقّيه ولو أغناه

٥ . اني مع اغتباطي بمركزي الحالي في الحكومة لا أنصح بالتهافت على الوظايف فان موظفي الحكومة من السوريين هم أقلهم حظاً في النجاح . وربما كان مجموع ثروتهم في القطر كلهِ لا يساوي ثروة تاجر أو مزارع واحد من تجارهم أو مزارعيهم الكبار

٦ . اتقنوا ما استطعتم من اللغات الأجنبية الراقيــة الغنية بالعلوم والآداب كالانكليزية والفرنساوية فانها تنفعكم في معاملاتكم التجارية والاجتماعية والعلمية والسياسية . ولكن قبل كل شيء اتقنوا لغتكم العربية واحتفظوا بها كل الاحتفاظ للأسباب الاتية : ١ً . لأنهُ عار على الانسان أن يتقن لغة الغير ويهمل لغتهُ .فان ذلك يكون بمثابة اعتراف منهُ بانحطاط لغتهِ والحال ليس كذلك في لغتنا العربية فانها من أقدم لغات العالم وأرقاها وأغناها شعراً ونثراً ٢ً . لأن جامعة اللغة هي أفضل جامعة للعناصر المتحدة في المصلحة والغاية ٣ً . لأن اللغة العربية هي أجمل صلة بينكم وبين مواطنيكم المصريين الذين بحق يقدّسون هذه اللغة ٤ً . لأن العربية هي لغة جنسكم العربي ومن لا يرجع بنسبهِ الى أصل عربي فلا بدَّ لهُ من التسليم بأن العربية هي لغتهُ ولغة أجداده منذ الفتح العربي الأخير أي منذ ١٣٠٠ سنة على الأقل . وهي الصلة الوحيدة التي تربطهُ بآثار أجدادهِ الأدبية وقرائح أفكارهم كل تلك الأجيال

٧ . ان أبناء الوطن الواحد أو العنصر الواحد كأبناء الأُسرة الواحدة متضامنون في الخير والشر فاذا نبغ منهم فرد صالح أصلح سمعة المجموع كلهِ . واذا قام فرد طالح أساء الى المجموع كلهِ . وعليهِ فالفرد الصالح من مجموعنا النافع بمالهِ أو علمهِ أو أدبهِ ينفع كل فرد منا بالتضامن . والفرد الطالح يضرّ كل فرد منّا بالتضامن عينهِ

لذلك كان أول واجب علينا كعنصر خاص أن نكرّم نوابغنا ونجلّ أفاضلنا عرفاناً للجميل وأن نبذل الجهد في تقويم المعوجّ منا احتفاظاً بكرامة مجموعنا . وكل عنصر قصَّر في هذا الواجب لن ينالَ احترام الغير « ومن لا يكرّمْ نفسهُ لا يُكرَّمِ »

٨ . ان لكل مجموع من الناس حاجات عامة لا بدَّ منها لراحة المجموع وكرامتهِ كانشاء المعابد والمدارس والمستشفيات ونحوها . وهذه الحاجات لا يمكن غير أهل الثروة واليسار القيام بها لما تتطلبهُ من النفقات الباهظة ولأن العامة قلما تفوز بغير الكفاف في جهاد الحياة . فاذا قصَّر أصحاب الثروة منكم عن القيام بالواجب عليهم حفظاً لكرامة المجموع كانوا جناة على المجموع فاياكم أن توجهوا اليهم التكريم الذي اعتاده الناس لأهل الثروة في كل بلاد بل أنبذوهم هم ومالهم نبذ النواة

فمن يكُ ذا فضل ويبخل بفضلهِ   على قومهِ يستغنَ عنـهُ ويُذممِ

وفي كل حال فلتتحد كافة وعلى الخصوص جمعياتنا الخيرية الطائفية للقيام بحاجاتنا الضرورية ولا سيما التي فيها حفظ كرامتنا بين سائر العناصر كملاجئ العجزة والاحسان الى المعوزين والفقراء فان الأفراد الضعيفة تكوّن مجموعاً قوياً وتكون قوة المجموع وفائدتهُ بقدر عدد أفرادهِ وغيرتهم على كرامة المجموع

٩. لا تدعوا الاختلافات المذهبيـة التي أورثتكم الشقاق والشقاء في بلادكم ترافقكم الى دار هجرتكم فتكدر صفاءكم وتحرمكم لذة التمتع بالالفة الجنسية . وليكن عندكم في كل بلدةٍ نزلتموها نادٍ تجتمعون اليهِ . ولتكن الأندية في جميع البلاد مرتبطة بنادٍ عام في العاصمة . ثم ليكن لهذا النادي ارتباط بالأندية السورية في جميع أقطار العالم ليكون لكم من ذلك جامعة معنوية تعوّض عن وطنيتكم الأصلية التي فقدتموها

١٠ . أطيعوا السلطان وقانون البلاد . وما دمتم على جنسيتكم فاعملوا لنفع الأمة التي أضافتكم . واحرصوا على كرامتها كل الحرص في كل قول تقولونهُ أو كل رأي ترتأونهُ أو كل عمل تباشرونهُ . ومتى تجنستم بالجنسية المصرية أصبحت مصلحة مصر مصلحتكم وعزُّها عزَّكم ورقيّها رقيكم ولا يُطلب منكم لوطنكم الاصلي اذ ذاك الاّ العطف عليهِ والتردد اليهِ صيفاً كما أمكن مراعاة لصحتكم وصحة نسلكم

واذا لا سمح الله اعترضت مصلحةُ سوريا مصلحةَ مصر وأنتم متجنسون بالجنسية المصرية فالواجب والضمير يقضيان عليكم بتفضيل مصلحة مصر . ومن لم يكن هذا شأنهُ فليس لهُ أن يتجنس بالجنسية المصرية . ثم من لم يكن من المهاجرين نافعاً لمصر في أي عمل باشره فليس لهُ أن يقيم فيها بل «الطريق التي جاء منها فليرجع منها »

هذا ولا بدَّ أن تسن حكومة مصر قانوناً خاصاً للمهاجرة الى مصر وقانوناً آخر للتجنس بجنسيتها فلا تسمح بالدخول الاّ لمن تراه صالحاً لها ولا تقبل في جنسيتها الاّ من ترى الخير والمصلحة في تجنسهِ . ثم متى منحتهُ الجنسية تمنحهُ معها كل الحقوق التي لأهل البلاد كما انها تفرض عليهِ كل الواجبات بلا فرق ولا تمييز في

الدين أو الجنس . فان اعطاء المستوطن الجديد قسطهُ من الحقوق المدنية هو في مصلحة مصر كما هو في مصلحة المستوطن في حين ان حرمانهُ الحقوق المدنية كلها أو بعضها يفقد الأمة اخلاصهُ وغيرتهُ ولا يكسبها شيئاً

ولقد عرف المصريون القدماء هذه الحقيقة فأعطوا المهاجر المستوطن جميع الحقوق المدنية بدون استثناء شيء منها كما قدمنا

وهذه أميركا التي أصبحت الآن من أقوى أمم العالم وأرقاها ، وقد تألفت من عناصر شتى ، لا يقيم المهاجر فيها الاَّ سنين معدودة حتى يصبح فرداً من أفراد الأمة الأميركية لهُ أن يتمتع بجميع حقوقها كما ان عليهِ جميع واجباتها . بل لهُ أن يرشح نفسهُ لجميع مناصبها ولابنهِ أن يرشح نفسهُ لرئاسة الجمهورية عينها مهما كان مذهبهُ أو جنسهُ . وذلك ، أيها النبلاء الذين يهمهم مصلحة مصر ، سرُّ نجاح الامة الاميركية وقوتها

والآن فاني أودّ أن أختم كتابي هذا بأبيات ختمت بها مهمتي على حدود سيناء سنة ١٩٠٦ وأنا لا أرمي الى غرضٍ سياسيّ البتة بل هي أماني طبيعية هاجتها فيَّ عاطفة الشعر . فقد هاجرتُ الى هذا القطر السعيد غير متجاوز العشرين وأصبحت الآن وقد تجاوزت الخمسين ولم ألقَ من هذا القطر وأهلهِ الكرماء الاّ ما أذكرهُ بالشكر والثناء . فأنا أحنُّ الى وطني الأول وأحب الخير كل الخير لوطني الثاني فانقسم قلبي بحبهما شطرين . وقد وددتُ الخلاص من هذه القسمة فقلت:

هجرتُ الشآمَ ومهدَ الصبا ... وجئتُ الكنانة مهدَ العلى
شطرتُ فؤاديَ شطرَ النواة ... فشطرٌ لذاك وشطرٌ لذا
فشطرٌ يحنُّ لتلك الربوعِ ... وشطرٌ لهذي الربوع فدى
هناك مراتعُ عهد الشبابِ ... ولكنَّ صفوَ الحياة هنا
فليتَ رجومَ الحدود تزولُ ... ويذهب ذاك « القرارُ » سُدى
وليتَ الشآمَ تعانقُ مصرَ ... عناقَ الإخاء الى « المنتهى »

مصر القاهرة في ٢٧ مارس سنة ١٩١٦ — « نعوم شقير »

فهرست الكتاب

على ترتيب الفصول والأبواب

الجزء الثاني

في بداوة سينـاء

الجزء الثالث

في تاريخ سيناء القديم والحديث

﴿ الباب الأول ﴾ في تاريخ سينا القديم

﴿ الباب الثاني ﴾ في تاريخ سيناء الحديث

الخاتمة

في خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب
وما كان بينها من العلائق التجارية والحربية وغيرها

« عن طريق سيناء »

منذ أول عهد التاريخ الى اليوم



خريطة
سينا
مقياس الرسم ١ : ٧٥٠،٠٠٠
البحر الأبيض المتوسط
رمل الجفار
العريش
السويس
العقبة
البحر الأحمر
وادي

